

الإغريق

تاريخهم و حضارتهم

من حضارة كريت حتى قيام

إمبراطورية الإسكندر الأكبر



تأليف

دكتور : سيد أحمد علي الناصري

أستاذ التاريخ القديم - كلية الآداب - جامعة القاهرة

الإغريق تاريخهم وحضارتهم

من حضارة كريت حتى قيام
امبراطورية الاسكندر الأكبر

دكتور
سيد أحمد علي الناصري
استاذ التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة القاهرة

الطبعة الثانية منقحة ومزودة

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت
القاهرة

Magistro Meo
Professor Dr. : Abdullatif Ahmed Ali
hoc librum

Dedicatio

MCMLXXVII

Anno Domini

إسم الكتاب: التاريخ العربي

تصدير الطبعة الاولى

انه ليسعدنى أن أقدم للمكتبة العربية كتابى هذا عن تاريخ الاغريق وحضارتهم .

أئنى لا أدعى لنفسى تجديدا يتميز عما تزخر به المكتبة الأوربية من معلومات غزيرة فى هذا الموضوع ولكنه يحق لى أن اعتر بتقديم عمل مكتوب بتفكير عربى لأن مؤلفه قرأ وهضم ثم صاغ التاريخ بطريقة تناسب المفهوم والشكل العربى .

كذلك فانه ليسعدنى أن أبدى اهتماما عند كتابة تاريخ الاغريق بالعلاقات الحضارية بين شرقنا الأوسط ومصرنا العزیزة من ناحية وبين هذا الشعب العريق من ناحية أخرى فى حين أن معظم المؤلفات الغربية لا تعطيها سوى القليل أو تسقطها من حسابها لأن لنا رسالة فى تدريس تاريخ الاغريق وهو تعميق المفهوم والاصالة الحضارية ل خلفاء الحضارات العريقة قبل أن نطلب المعرفة لذات المعرفة .

كذلك فائنى لم أحاول أن أقدم تاريخا سياسيا بل آثرت أن أقدم تاريخا يمسك العقليّة الاغريقية بفكرها وفنها وخيالها . وذلك فابع من ايمانى بأن التاريخ « معرفة » هدفها الأول تعريف الناس بالناس رغم تفاوت الزمان واختلاف المكان .

ان قضية الاختيار من المنجم التاريخى أمر صعب لأن المؤرخ لا يتدر على كتابة كل التاريخ فى كتاب واحد يطلب بعده من الطالب استيعابه . ومن ثم كان على مقدم التاريخ للقراء أن يصوغ من منجم المعرفة التاريخية

تاريخا مناسباً في وسع القارئ العربي استيعابه . ومن ثم كان من حقي أن أختصر وأسقط وأمر مرورا سريعا على ما أراه بذى قيمة محدودة أو ذى أثر في الأحداث محدود . كما أنني لم أستطع أن أكبح جماح اهتمامي ببعض الموضوعات المعينة لأن للمؤرخ ضمير مثل باقى الناس . ولهذا لم أتردد في أن أسجل أى فكرة جديدة يثيرها عقلى ولكن في هوامش الكتاب لكي لا أفرضها على الناس .

إنها بداية محاولة وليس نهايتها وأملى أن أ دوام مستقبلا على الاضافة والمراجعة حتى يستكين قوادى ويقتنع عقلى بأن هذا كل ما يمكن أن يقال عن هؤلاء الذين صنعوا هذه الحضارة العريقة .

وقل رب زدنى علما واجعلنى من الصالحين .

كلية الآداب - جامعة القاهرة

ديسمبر ١٩٧٣

تصدير الطبعة الثانية

كان للنجاح الغير متوقع الذى حققته الطبعة الأولى أثره الكبير فى قسمى ، فقد قال الكتاب أعجاب زملائي القائمين على تدريس تاريخ الاغريق وحضارتهم فى الجامعات المصرية وأوصوا طلبتهم بالرجوع اليه من أجل مزيد من المعرفة ، أما أساتذتى الكبار فى هذا الفرع من الدراسات الانسانية فقد أبدوا مشكورين ملاحظاتهم فى اعداد الطبعة الثانية وأود أن أخص بالذكر والشكر الأستاذ العلامة الدكتور ابراهيم نصحي الذى كان مرجعا لى فى كل مشكلة قابلتنى وكذلك الأستاذ الكبير محمد محمود السلامونى الذى قدم لى نصائحه وارشاداته خاصة فيما يختص بتعريب بعض المصطلحات الاغريقية الى العربية .

والله الموفق

كلية الآداب - جامعة القاهرة

يناير سنة ١٩٧٦

الفصل الأول

مدخل الى الموضوع

هيللاس أو اليونان هي ذلك البلد الجميل الذي يرتنى في أحضان البحر المتوسط والذي اليه يتدفق السائحون من كافة أنحاء العالم وخاصة من القارة الأوربية ، بحثا عن الشمس والهدوء الطبيعي ، ريعا وصيفا ، شتاء وخريفا . ومن أهم الدوافع التي تشجع الناس على الذهاب الى اليونان هو مكائنها الحضارية القديمة وتراثها الثقافي والفنى الكبير الذي ساهم به شعبها في حضارة الانسان على مدى قرون طويلة اذ ظلت الحضارة الهلينية تثرى الفكر الانسانى منذ أواخر الألف الثانى قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادى وعلى ضفاف النيل وحدة ترعرعت هذه الحضارة لألف عام ، فهو البلد الذى قدم للعالم الإلياذة والاولديسا وروائع التراجيديات المسرحية كأعمال ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس وملاهى ارستوفانيس وميناندر الساخرة ، وهو البلد الذى أخرج فلاسفة لا تزال أبحاثهم من المعالم الكبرى في طريق البحث عن المعرفة والحقيقة كأمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وهو البلد الذى تزرع متاحفه ومتاحف العالم بأعمال فنانيه الخالدة سواء في العمارة ، والنحت من أمثال فيدياس وبراكستيليس وسكوباس ليكوبوس ، أو في الرسم على الأواني الفخارية ، وغيرها من ذخيرة التراث الفنى الانسانى ولا تزال أطلال المعابد تطل متحدية الدهر بعظمتها وجمالها . كذلك فان المدارس لتاريخ الاغريق سوف يجد في دراسته منجبا غنيا بالتطورات السياسية من كل

جنس ونوع والتي كان لبعضها أكبر الأثر في سير التاريخ الانساني (١).
كما ساهم المفكرون الاغريق في بعض المشاكل السياسية التي لا تزال
الشغل الشاغل للمفكرين المعاصرين . واذا كان يحق للأوروبيين أن يولوا
دراسة الحضارة الاغريقية (٢) والرومانية (٣) أهمية خاصة باعتبارها أول
حضارة أوروبية ولأن تراثهم الثقافي والحضارى ينحدر من جذور اغريقية
رومانية فالتا يجب نحن انشاء الشرق الأوسط (٤) وخاصة نحن المصريين
أن نلفت النظر الى حقيقة تاريخية هامة وهي أن الحضارة الاغريقية
تتمسكها قد حوت عناصر فكرية حضارية مبعثها مصر ودول الشرق
الأوسط .

واذا كان قد قدر للحضارة الأوروبية - التي شملت الى جانب
تراث الاغريق والرومان حضارة مصر والشرق القديم وحضارة العرب
الاسلامية أن تشكل حضارة العالم المعاصر فان دراستنا لها كعرب
وكمصريين تعيننا ، لا لأتتا جزء من العالم المعاصر بل لأتتا ساهمنا في

(١) لقد حدد الاغريق الكثير من خصائص الفكر الانساني ويكفى ان
نشير الى الصيغ التي نزال نستخدمها في عالمنا المعاصر في مناهج السياسة
والفكر مثل الملكية monarchy والاستقرائية aristocracy والديمقراطية
democracy والأوليبارخية أو حكام الأقلية Oligarchia والديماجوجية
أو الفوغاغية demagogia وحكم الطغاة Tyranny فضلا عن اثره
الاداب والعلوم بالانفاظ مثل الملحمة الشعرية Epic والقصيدة الغنائية
lyric والرواية التمثيلية drama والمسرح Theatre والمأساة أو التراجيديا
tragedy والكوميديا Comedy والشعر Poetry وعلم الفيزياء Physics
والفلك astronomy والرياضة mathematics والتاريخ history والفلسفة
Philosophy والمنطق logic وعلم النفس Psychology كلها من صياغ
الاغريق أو تطوير من صياغتهم . انظر رمزي عبده جرجس : تاريخ
الحضارة الهلينية تأليف أرنولد تويني - اكسفورد ١٩٥٩ (سلسلة الالف
كتاب القاهرة ١٩٦٣ انظر أيضا : تراث العالم القديم تأليف و. ج. دي
بورج ترجمة زكي سوس ومراجعة صقر خفاجة - دار الكرنك - سلسلة
الالف كتاب القاهرة ١٩٦٥ من ١٤٦ .

(٢) عن تراث الشرق الأوسط والحضارة الهلينية فيه انظر الكتاب
الشيقي

الحضارة الاغريقية ذاتها بقدر ما ساهم أجداد الأوروبيين . أضف الى ذلك أن جزءا كبيرا من الوطن العربى كمصر وشمال أفريقيا والساحل السورى كانت من أهم منارات الحضارة الاغريقية فى وقت ما وقد حفظت مصر بالذات التراث الاغريقى من خلال مدنها الاغريقية كالاسكندرية ونقراطيس وبطلمية وأكسيريخوس واطينوبوليس ومدن اقليم الفيوم المختلفة . ولولا رمال مصر الدفينة ما عرف العالم الأوروبى الكثير عن حضارته الاغريقية (١) . والى جانب دور مصر الحضارى فى هذا المجال فان أجدادنا العرب أيضا قد حافظوا على هذا التراث من الاندثار فى فترة كانت أوروبا تمر فيها بمرحلة من أحلك مراحلها ولا يزال الأوروبيون يعترفون بفضل العرب فى هذا المضمار بل ويحتفلون بالمفكرين العرب من أمثال ابن سينا وابن رشد والفارابى وغيرهم من الفلاسفة الذين قاموا بجمع ورجمة أعمال أغريقية كثيرة ومتنوعة الى العربية فحموها بذلك من الاندثار (٢) اذا فدراسة الحضارة الاغريقية تهم العربى فى الحقيقة أكثر ماتهم الأوروبى ، لأنه ساهم فيها أصلا ثم تثقف بها وحماها . وقدمها للأوروبيين عندما بدأت أوروبا تستيقظ من غفوتها ثم استقبلها مرة أخرى مع الحضارة المعاصرة الآتية من أوروبا مع عصر النهضة الحديثة .

(١) من الأدبيات التى أخرجتها رمال مصر مؤلفات الشاعرين الكايوس وباخيليديس وبعض مسرحيات ميناندروس النادرة ومسرحيات هيرونداس الصامتة (بانتوميم) وكتاب أرسطو عن دستور الاثينيين وكانت هذه الأعمال قد فقدت كلية من المخطوطات الأدبية الاغريقية التى كان الرهبان فى العصور الوسطى ينسخونها فى الأديرة .

(٢) انظر عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية دراسات لكبار المستشرقين الطبعة الثانية ١٩٤٦ ، كذلك جلال مظهر : مآثر العرب على الحضارة الاوربية - مكتبة الانجلو القاهرة ١٩٦٠ ، أيضا انظر « ما خلفته اليونان - لجنة الترجمة والنشر (مترجم) الطبعة الاميرية ١٩٢٩ (تأليف نخبة من اساتذة جامعة اكسفورد) ، أيضا انظر : تمام حسان مسالك الثقافة الاغريقية عند العرب تأليف أولبرى - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٧ . كذلك انظر محمد مفيد الشوباشى العرب والحضارة الاوربية - المكتبة الثقافية ٣١٧ القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٢ وما بعدها أيضا انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : المدينة الاسلامية وأثرها فى الحضارة الاوربية الطبعة الاولى القاهرة دار النهضة العربية ١٩٦٣ ص ٣١ وما بعدها .

الموقع الجغرافي لبلاد اليونان واثره على تطور حضارتها :

تعرف بلاد اليونان في اللغة اليونانية القديمة والمعاصرة باسم هيللاس Hellas وهي تشمل شبه جزيرة البلقان والجزر المنتشرة في بحر ايجه وكذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل آسيا الصغرى . وأطلق للاغريق على أنفسهم لفظ Hellenes أو « الهلينيون » ولكن الرومان أطلقوا عليها اسم Graeci^(١) وهو في الحقيقة اسم قبيلة هيلينية نزلت من اقليم بيوتيا Boeotia في شمال بلاد اليونان الى جنوب إيطاليا وسرعان ما أصبح الاسم الروماني هو الذي اشتهر به هذا الشعب في اللغات المعاصرة .

وتبلغ مساحة بلاد اليونان ما يقرب من خمسين ألف ميلا مربعا^(٢) . وهي في طبيعتها أرض قفرة جبلية ، قليلة الخصب ، ولو ألقينا نظرة على موقع البلاد من خريطة أوروبا ، لرأينا أنها تحتل جزءا حيويا من القارة ذاتها إذ أن شبه جزيرة البلقان بالنسبة لأوروبا هو شبه الجزيرة الشرقية (لأن هناك شبه الجزيرة الأوسط وهو شبه الجزيرة الإيطالية وشبه الجزيرة الغربية وهو شبه جزيرة أيبيريا) كما أنها تطل على حوض البحر الأبيض المتوسط جنوبا والبحر الادرياتيكي غربا وبحر ايجه شرقا . كما نلاحظ انتشار الجزر اليونانية الصغيرة وخاصة في بحر ايجه^(٣) وعلى طول ساحل آسيا الصغرى ، لقد كانت هذه الجزر بمثابة جسر بحري

(١) ومنه اشتق العرب لفظ « الاغريق » أما لفظ « يوناني » فهو لفظ متوارث من اللغات السامية القديمة ومشتق من لفظ « ياونيين » الذي أطلقه أهل الشرق الأوسط القديم على الهلنيين وربما أيضا مشتق من لفظ « أيوني » خاصة أن المستوطنات الأيونية انتشرت في آسيا الصغرى المتاخمة لحدود الشرق الأوسط . لكنني أرت أن استخدام لفظ الاغريق لأنه شائع فضلا على أنه يحدد مفهوم الحضارة الهلينية القديمة ولا يخلط بينها وبين اليونان الحديثة .

(٢) للمزيد من اثر الجغرافيا والتضاريس على الحضارات الاغريقية ارجع الى : عبد اللطيف أحمد على - التاريخ اليوناني : العصر الهيللادي دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧١ ص ٧ - ٤٨ حيث عالج ذلك بأسهاب ودقة .

(٣) يوجد في بحر ايجه وحده حاليا ٤٨٣ جزيرة وفي غرب بلاد اليونان ما يقرب من ١١٦ جزيرة : عبد اللطيف أحمد على المرجع السابق ص ٢٥ .

يربط آسيا وأوروبا ، كما نلاحظ أيضا أهمية موقع جزيرتي كريت وقبرص في البحر الأبيض وقربهما من ساحل أفريقيا الشمالى وأعلى ليبيا ومصر .

أما من ناحية تضاريس بلاد اليونان فنلاحظ أنها تتميز بوجود الجبال الوعرة التى تحول دون قيام اتصال سهل بين أجزاء البلاد نفسها إذ قسمت هذه الجبال - التى تقف كموانئ طبيعية - البلاد الى مجموعة من الوديان والسهول منحلة بعضها عن بعض ولقد كان لموقع البلاد وتضاريسها الجغرافية أشد الأثر على تفكير الاغريق وعلى حضارتهم فنلاحظ مثلا :

أولا : قرب بلاد اليونان من الشرق الأسط منبع الحضارات سواء من مصر أو بلاد الهلال الخصيب جعل بلاد اليونان بمثابة البوابة الشرقية لأوروبا والتي منها تدبقت حضارة الشرق القديم وكما كانت جزيرتا قبرص وكريت بمثابة المعبر الجنوبى للاتصال التجارى والحضارى لساحل أفريقيا الشمالى كما كانت الجزر اليونانية فى بحر ايجه وعلى طول ساحل آسيا الصغرى بمثابة الجسر الشرقى بين أوروبا وآسيا الصغرى . كما كان ساحل شبه القارة اليونانية الغربى والجزر التى فيه وخاصة جزيرة كوركيرا Korkyra بمثابة البوابة الغربية لبلاد اليونان حيث حمل التجار والمهاجرون الاغريق الحضارة الى شبه الجزيرة الإيطالية . وبذلك ساعد الموقع الجغرافى لبلاد اليونان على أن تقوم بدور المستورد لحضارات الشرق والموزع لها فى باقى أنحاء القارة الأوروبية .

ومن الجدير بالذكر أن تصور الاغريق للعالم المسكون كان يختلف عن تصورنا الحديث . لأن عالم الاغريق كان أضيق بكثير من حدود عالمنا ، إذ لم تكن أوروبا بالنسبة للاغريق سوى سواحلها الجنوبية المطلة على البحر المتوسط والمحصورة بين بحر ايجه وبحر الادرياتيك والبحر التيرانى ، وكانت قارة آسيا بالنسبة لهم هى آسيا الصغرى (Asia Minor) بشواطئها المطلة على بحر ايجه من مدخل البسفور المرنديل شمالا حتى الشاطئ السورى والفينيقي بالإضافة الى المنطقة الداخلية الواقعة الى

الشرق داخل صحراء الشام الكبرى حتى بلاد الرافدين Mesopotamia * حيث عهد العديد من الحضارات التي تعلم منها الإغريق الكثير وآخر آسيا بالنسبة لهم كان غلبة إيران وسهولها الممتدة شرقاً حتى بحر قزوين أما الهند فقد بقيت حتى وقت متأخر بالنسبة لهم ظلمسا غريبا وبلاداً جغرافية تقع قريب طيف العالم المسكون أما قارة أفريقيا فكانت بالنسبة للإغريق هي المنطقة الوسطى من ساحل أفريقيا الشمالي والتي أطلق عليها الإغريق اسم لوبيا أو ليبيا * Libya *

ثانياً : أن التضاريس الوعرة والتجبال التي قسّمت اليونان إلى مجموعة من الوديان الصغيرة المنزلة لصعوبة الاتصال بينها ، أدت إلى عاقبة الاتصال وظهور العزلة الحضارية بين المناطق المختلفة في بلاد اليونان ومن ثم فقد أدى ذلك إلى ظهور العزلة الفكرية والسياسية بين إقليم البلاد المختلفة ، فقد نشأ نتيجة لذلك نظام دويلات المدن (Polis) (١) وخاصة حول المدن الكبرى والهامة . وأصبح على كل مدينة Polis أن تعتمد على نفسها اعتماداً ذاتياً من الناحية الاقتصادية Autarkia كما تسميت كل مدينة باستقلالها السياسي Autonomia وتمسكها بالحرية Eleutheria إذ أن العوائق الطبيعية الجغرافية وقت حائل دون قيام وحدة سياسية شاملة بل جعلتها مدناً متفرقة متصارعة ومتنافسة والحرب بينها ظاهرة طبيعية على مر التاريخ . وبالطبع كان ذلك على حساب الحضارة الإغريقية نفسها التي دفعت ثمنها باهظاً نتيجة للحروب المتعددة .

كذلك كان من نتائج وعورة التضاريس البرية أن اتجه الإغريق إلى البحار كوسيلة للاتصال إذا كان من الأسهل على الإغريق أن يركب

(١) انظر عبد اللطيف أحمد على المرجع السابق ص ١٠ .

(٢) جدير بالذكر أن نشر إلى أن نظام دويلة المدينة Polis أوجد أولاً شعوب الشرق القديم خاصة « السومريون » منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد وهو نظام لا يختلف كثيراً عن النظام الذي ساد بين الإغريق . أيضاً جدير بالذكر أن نشر إلى أن السومريين كانوا أول من أوجد نظام مجلس الشيوخ ومجلس المحاربين (المجلس الشعبي) وهذا مؤكد على الأقل في مدينة أوروك (الوركاء) ويذكرنا بالنظام الذي أقام عليه الآثينيون نظام حكمهم المسمى باسم الديموقراسيا (الديمقراطية) وهذا يبين مدى مساهمة حضارة الشرق القديم في الحضارة الإغريقية .

البحر منطلقا فيما وراءه ، على أن يتحمل مشقة اجتياز المرتفعات والجبال والوديان ومن ثم فقد كانت الحضارة الاغريقية حضارة بحرية تجارية عالمية منذ بدايتها وكان الأسطول وخاصة في أثينا - عاملا هاما من معالم الحضارة والتجارة بل وارتبط اسمه الديموقراطية الاثينية . وهكذا وجد الاغريقى من السهل عليه أن يعمل بالبحر والتجارة ومن ثم سافر الى جهات بعيدة وعاد معه بذور وأفكار من حضارات أخرى طور منها حضارته . بعد أن أضاف إليها كل ما استطاع أن يصل اليه عن طريق قدراته الخاصة .

ثالثا : ان فقر التربة وقلة الأراضى الصالحة للزراعة والتي لم تتناسب مع الازدياد المضطرد في عدد السكان ، دفع السكان الى الهجرة بحثا عن أرض جديدة ، وقد ساعد ذلك على انتشار المدن المستوطنات الاغريقية في مناطق شتى من العالم كما دفع السكان الى البحث عن جرف غير زراعية مثل التجارة والصناعات الفنية ومن ثم فإن حضارة بلاد الاغريق لم تكن في جوهرها حضارة زراعية كحضارة مصر أو بلاد الهلال الخصيب بل كانت حضارة تجارية صناعية قبل أن تكون زراعية .

رابعا : كان لعامل المناخ اثره الكبير في الحضارة الاغريقية ، فطقس البلاد الدافئ المعتدل وشمسها المشرقة طوال العام الى جانب نوع التراكيب الجغرافية من جبال وسهول وأنهار ووديان ساعد على نمو ونضوج العقيلة اغريقية وجعلها أكثر تحمرا وتنوعا وأقل جمودا من غيرها كما شجع السكان على قضاء وقت أكبر خارج ديارهم ولهذا فقد اهتموا بالرياضة البدنية التي كانت من أهم مميزات مظاهر الحياة الاجتماعية (١) كما أصبح من الضروري على الفرد أن يلم بشئون مدينته السياسية

(١) اشتقت كلمة politics أى « علم السياسة » من لفظ polis لأن الحديث في شئون المدينة خلال الجلوس في سوق المدينة العام (agora) كان في نظر الاغريق هو السياسة ولكن بمفهوم مجتمع المدينة وأحوال الناس وليس السياسة الخارجية كما ذكر أرسطو أن الإنسان حيوان سياسى (أى اجتماعى) انظر : Ernest Parker: Greek Political Theory London 1960 Paperbacks p. 12 ff.

ايضا انظر : الطبيعة الاغريق : تأليف إيرفين شروندجر وترجمة عزت قرنى ومراجعة محمد صقر خفاجة القاهرة دار النهضة العربية ١٩٦٢

والاجتماعية وهذا يبين الدور الهام الذى لعبه سوق المدينة Agora
والذى كان من أهم معالم المدينة الاغريقية القديمة . أيضا ساعد التنوع
الجغرافى وامتداد البحار الشاسعة حول شبه الجزيرة اليونانية على نمو
للخيال القنى الذى تزخر به أساطيرهم . فقد طالب للاغريقى أن يمزج
الحقيقة بالخيال ولذا يجب الاشارة دائما الى الأسطورة ومن الأسطورة
سوف نعاول البحث عن حقيقة هذه الحضارة الخالدة .

الاسطورة والدين الاغريقى :

سبق أن ذكرنا أن الاغريق أطلقوا على أنفسهم اسم الهلينيين واذا
أردنا البحث عن سبب تسميتهم لأنفسهم بهذا الاسم لوجدنا أنفسنا
ندخل الى أعماق الأساطير والديانة الاغريقية ، اللتان لا غنى لدارس
الحضارة والتاريخ عن الاطلاع بهما . وسوف نبدأ بمعالجة سريعة وشاملة
لآلهة الاغريق الكبرى .

تروى الاساطير الاغريقية أنه فى البدء (١) كانت الفوضى (٢) Chaos
ثم خلقت الارض Gaia مسطحه وصلبه تخفى من تحتها الجحيم Tartarus
ومن الأرض تطلعت السماء Uranus والجبال والانهر والمحيط Oceanus
ومن زواج الارض بالسماء جاءت المردة Titans وهم مخلوقات شيطانية

(١) ربما كان من الطريف لو قارنا ذلك بتفسير مدرسة اوون المصرية
(هليوبوليس) للوجود والتي تقول انه فى البدء كان التون (المحيط الازلى)
ومن التون برز اتوم الذى ذرا عن نفسه كلا من « شو » رب الهواء وتفنوت
ربة الرطوبة وبرواجهما أنجبا الرب جيب (الأرض) والربهنوت (السماء) واللدان
بدورهما أنجبا أوزوريس وايزيس وست ونفتيس . مع ملاحظة أنه بينما
اعتبر الاغريق الأرض أنثى والسماء ذكرا اعتقد المصريون عكس ذلك .

(٢) جدير بالذكر أن الأستاذ احمدا مين ترجم كلمة Chaos « بالعماء
وشرح ذلك بأنه اللفظ التى يعنى المادة التى هى على حالة اختلال وعدم
انتظام قبل أن تخلق ودمم راية برد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام
عندما سألوه : « اين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ فاجاب
صلى الله عليه وسلم فى عماء تحته هواء وفوقه هواء » انظر مبادئ الفلسفة
تأليف رانوبرت ترجمة احمد امين الطبعة الثامنة - دار النهضة المصرية
١٩٧١ ص ١٩٧ ملحوظة (١) .

غلاظ القلوب محبة للعنف والفوضى مما أقلق أباهم الاورانوس (السماء) فالتقى بهم في الجحيم ولكن الارض استاعت لقطعه وعز عليها أن ترى أبناءها سجناء في الجحيم فحرضتهم على الثورة ضد أبيهم بل وأمدتهم بمعدن الحديد ليصنعوا منه سلاحا وتزعج المردة كرونوس Kronos الذي استطاع أن يقتص لاخوته بأن عزل أباه أورانوس عن عرشه وترجع مكانه وظل على ذلك عشر سنين حتى ثارت المردة مرة أخرى واشتبكت في عراك مرير ضد الآلهة عرف باسم صراع المردة Gigantomachia وانتهى هذا الصراع الذي يرمز للصراع بين النظام والفوضى وبين الخير والشر بالتصارع الآلهة والزج بهم مرة أخرى الى الجحيم Tartarus وتولى الحكم ابن كرونوس الأكبر وهو زيوس كبير الآلهة، وكان كرونوس قد أنجب بعد زواجه من أخته ريا Rhea وكذلك أنجب منها بوسيدون Poseidon رب البحار والمحيطات وهاديس Hades رب العالم الأسفل كما أنجب كرونوس بنتا واحدة هي هيرا Hera التي تزوجت من أخيها زيوس وأنجبت منه معظم الآلهة التي كانت تمش فوق قمة الاولمبوس Olympus^(١) الذين سوف نذكرهم فيما بعد . هكذا حكم زيوس من فوق قمة جبل الاولمبوس ونصب من نفسه كبيرا على الآلهة والبشر وقد اعتمد زيوس في حكمه للآلهة على قوته التي كانت تتمثل في أسلحته الشهيرة كالبرق والرعد والصواعق كما تحكم في زمام السماء وما يتصل بها كالطر والسحب والرياح بينما ترك لأخيه بوسيدون مطلق التصرف في البحار والمحيطات ووهب أخاه الآخر هاديس Hades مملكة العالم الأسفل فبقى فيه يحكمه ويتحكم فيه . كما اتفق زيوس وأخواه أن يوجدوا للبشر حياة بعد الموت يحيونها في مملكة هاديس السفلى .

وقد عرف زيوس بكثرة غرامياته ومغامراته مع (٢) النساء اذ اتخذ

(١) يقع هذا الجبل الشاهق في شمال اقليم تراكيا وعلى حدود مقدونيا حيث تصور الأريق أنه أطراف العالم المتحضر أى الأريقى .

(٢) للمزيد عن الاساطير : انظر عبد اللطيف أحمد على ومحمد صقر خفاجة : اساطير اليونان . دار النهضة العربية القاهرة ١٩٥٩ . أيضا انظر :

H.J. Ross: A Handbook of Greek Mythology Methuen revised edition 1968 ; also John Pinnent: Greek Mythology London 1969.

له العديد من المشيقات مما أثار عليه غضب زوجته وأخته ، هيرا في كثير من الأحيان وحدث ذات مرة أن ضاق « زيوس » ذرعا لما رآه من فساد في أخلاق البشر وتزايد في شروهم فقرّر أن يهلك الخلق ثم يعيده فأغرق بلاد اليونان بطوفان لم ينج منه أحد سوى زوجان من البشر هما ديوكاليون Dencalion وبورها Pyrrha إذ سبق لرب الأرباب أن حذرهما وأخبرهما مسبقا بأمر الطوفان ، فصنعا سفينة حملتهما عبر جبال المياه حتى رست فوق جبل البارناسوس Parnassus وهناك استقبلهما هرميس رسول زيوس مقدما لهما الهدايا ومهنئا بسلامة الوصول ، ولكن ديوكاليون وبورها شكيا لرسول الآلهة من وحدتهما وأنهما لا يقدران على العيش في عالم خال من البشر فقبل لهم أن يلقوا أحجارا وكلما فعلوا ذلك تحولت الأحجار الى بشر رجالا ونساء . وأقام ديوكاليون وبورها في رغد من العيش وأنجبا بنينا وبناتا ومن بين أبنائهما « هيلين » جد الهلينيين الأسطوري .

١ - آلهة الأولمبوس :

تصور خيال الاغريق أن الآلهة الكبرى وعددها اثني عشرة ربا وربة من الناحية الرسمية وأربع عشرة ربا وربة من الناحية العرفية (١) ، كانت تمش في مجمع Pantheon فوق جبل الأولمب تحت رئاسة زيوس فوجزها على النحو التالي :

زيوس : Zeus يعرفه الرومان باسم جوبتر (Jupiter) هو رب الأرباب وحاكم الكون المطلق من فوق جبل الأولمبوس ، تتصل عبادته بأسماء مناطق كثيرة من بلاد اليونان مثل دودونا Dodona بأقليم أيروس Epirus غرب بلاد اليونان حيث كانت مركز نبوءته ، وكذلك في أولبيا Olympia بأقليم إيليس Elis في غرب إقليم البلويونيز حيث يلتقى

(١) وذلك بعد تسلسل الرب ديميتير وابنتها « كوري » أو برسيفوني الى مجمع الآلهة .

نهر كلابديوس Kladeus والفايوس Alphaeus الذين خلدهما الأساطير وأعمال الفنانين وكانت أولبيا من أشهر الأماكن اتصالا بزيوس إذ كان يجري فيها أعياد ومهرجانات رياضية (سميت بالأولبية نسبة لهذا المكان) تكريما له كل أربعة سنوات . كما كانت أولبيا مقر عبادة حيث تطور معبد من حجر مقدس Altis وسط الأحرار إلى معبد من أشهر المعابد الاغريقية في العصر القديم بنى ما بين عامى ٤٦٨ و ٤٥٦ ق م . وقد اشتهر هذا المعبد بالأعمال الفنية الجميلة وخاصة رسوماته الرخامية المنحوتة على واجهة المعبد Pediment كما ارتبط هذا المعبد باسم فنان العصر الكلاسيكى الشهير فيدياس Phedias الذى صنع تمثالا عملاقا لزيوس من العاج والذهب . (Chryselephantine) . وقد ظل هذا المعبد باقيا حتى دمره زلزال فى القرن السادس الميلادى . وعلى شمال هذا المعبد كان يقف معبد زوجته هيرا والذى اشتهر باسم الهيرايوم Heraeum . وقد أخرجت الحفائر الاثرية التى أجريت فى هذا المكان منذ عام ١٩٢٦ الكثير من المواد الاثرية الهامة .

٢ - هيرا : Hera وقد عرفها الرومان باسم Juno وهى شقيقة زيوس وقرينته . الشرعية ، وكانت الربة المختصة بشئون النساء والحامية للزواج وللأسرة وإلى جانب معبدها فى أولبيا عبدت فى مدينة Argos فى أسبرطة وكذلك فى جزيرة Samos بالقرب من شاطئ آسيا الصغرى .

٣ - أثينا : وتعرف عند الرومان باسم مينرفا باللاس (Minerva Pallas) وتروى الأساطير الاغريقية أن زيوس ضاق ذرعا بربة العقل والحكمة (Metis) ميتس وخاصة بعد أن أُنذر من خطر الانجاب منها فقرر التخلص منها ولم يجد خيرا من أن يتلعها فى جوفه . وما أن فعل ذلك حتى أصيب بصداع شديد فى رأسه جعله يصرخ من الألم ووقفت الآلهة حيال ذلك لا حول لها ولا قوة ثم نودى على اله الحدادة هيفايستوس Hephaestus وبعد أن تفحصه زيوس انهال على رأسه بفأسه ففجها وسرعان ما قفزت منها الربة أثينا مدججة بالسلاح وتصرخ صيحات الحرب . وقد ورثت أثينا الحكمة عن أمها كما كانت ربة الحرب والنزال وحامية الصنائع وقد

لقيت بأسماء كثيرة أشهرها « ذات الوجه الحسن » Glaucopis « والعذراء Parthenos ذلك لأنها آثرت أن تبقى دون زواج حتى لا تفسد عذريتها ، وقد أقيم لها أكبر معبد عرفته اليونان في تاريخها وهو معبد البارثينون Parthenon (أى معبد العذراء) فوق الاكربول . وقد قام الفنان فيدياس بصنع تمثال ضخيم لها من العاج والذهب حفظ في هذا المعبد . وكان يرمز لها بطائر البومة ، رمز الحكمة والمعرفة في اليونان القديمة .

كما كانت أثينا الربة الحامية للمدن وخاصة أثينا وهي في ذلك شبيهة بحماية الربة المصرية نايث لمدينة سايس Sais (صالحجر) في غرب دلتا النيل بل ان بعض كتاب الاغريق نسبوا أصول أثينا الى هذه الربة . وقد عثر في مصر على تماثيل تجسيب بين هاتين الربتين في صورة واحدة وقد نسبت الأساطير الى أثينا أعظم الأعمال وهي الاتيان بأول شجرة زيتون الى بلاد اليونان .

٤ - أبوللون : Apollon وباللاتينية Apollo عرفه الرومان باسم فيبوس Phoebus رب النور أما عند اليونان فكان أيضا رب الشباب والشعر والموسيقى فهو الذي أوجد القيثارة ، وقد ولد مع أخته ارتميس حيث انفجته أمهما ليتو Leto من زيوس ولذا يظهر دائما مثلا مع أمه وأخته أو في صحبة أخته Artemis وحدها كما عرف أبوللو بأنه رب النبؤات والطهارة ورد الأذى والابوثة عن الناس . وقد اشتهرت جزيرة ديلوس مسقط رأسه كمركز لعبادته حيث كان يقام أعياد ومهرجانات كل أربعة أعوام تعرف باسم البيثية Pythian نسبة الى يثيا مكان معبده القديم ، وكان معبده في دلفي Delphi كعبة اليونان جميعا ومركز للوحدة الدينية والسياسية فيما بعد . وبلغ من غيره اليونان على قداسة هذا المعبد أن قامت حملة لجمع التبرعات من كافة المدن الاغريقية بما في ذلك مدينة قراطيس في مصر . لاعادة بنائه بعد أن تعرض لحريق مدمر في القرن السادس قبل الميلاد . وكان هذا المعبد مركزا لتقديم النبوءات حيث كانت تجلس كاهنة المعبد على مقعدها الشهير ذي الثلاث أرجل (Tripodes) وتتمتع بكلمات من وحى الآلهة .

٥ - ارتيميس : Artemis وقد عرفها الرومان باسم Diana وهي توأم أبوللون وقد اعتبرها المفكرون والفنانون الاغريق رمزا للكمال والجمال العذري كما كان أخوها بالنسبة للشباب . لقد فضلت ارتيميس أن تعيش عذراء على أن يدنسها ذكر ، واهبة حياتها للدغال والمراعى ، فهي ربة الصيد حيث صورت دائما وهي تتنطق بجعبة السهام كما عرف عنها الانتقام ممن يحاول حتى النظر الى قوامها كما فعل اکتايون الذي كان يصطاد في إحدى الغابات فقوجيء بالربة وهي تستحم فجلس يغتسل النظر اليها فما كان من الربة الا أن جعلت كلابه تنهش لحمه . هكذا أصبحت ارتيميس حامية للشرف العذري كما كانت أثينا ، بل كانت أيضا الربة التي تعاون النساء ساعة الوضع اذ قيل أنها ساعدت في مولد أخيها أبوللون رغم أنها ولدت قبله بدقائق كما ارتبط اسم ارتيميس بالقمر مثلما ارتباط اسم أخيها بالشمس .

٦ - هرميس : Hermes ويعرف عند الرومان باسم مركوريوس Mercurius وقد ذكرته الأساطير بأنه مبعوث الآلهة - لذا كان يصور دائما وهو يحمل عصا الرسول Kerykeion ويرتدى خوذة الاخفاء للجنحة والحذاء الطويل المجنح . وقد قام بعد مولده بسرقة ماشية أخيه أبوللون ولذا اتخذته اللصوص ربا لهم كما عرف بأنه رب التجار وحامي الطرق . وقائد الأرواح عبر سرايب العالم الآخر Psychopompos وقد اعتبره الاغريق أكثر آلهتهم « أغريقية » (١) فكان حامي الحدود ومعاهد الرياضة Gymnasia والمكتبات العامة . وقد ارتبطت صورته بعضو الاخصاب Phallos حيث كانت تقدم اليه القرابين في هذا

(١) أقام الاغريق في مصر مدينة نسبوها لهذا الاله وهي مدينة هرموبوليس الكبرى ومكنها الآن الاشمونين مركز ملوى محافظة المنيا . ومن الجدير بالذكر أن عبادة هذا الاله انتشرت في مصر في العصر اليوناني الروماني حيث عودل بالرب المصري أتوبيس . وقد عرفت عبادته باسم هرميس مثلث العظماة Hermes trimastix وقد ظهر مصورا على جباه كوم الشقافة بالاسكندرية وهو يقود أرواح الموتى الى مملكة هاديس . أوزوريس السفلى عون تطور عبادة هذا الاله أنظر :

Norman O. Brown : Hermes, the thief : the evolution of a myth, university of wisconsin press 1947.
(٢ - الطريق)

الشكل . وقد عرف أيضا بأنه رب الطبقات الفقيرة والبروليتاريا الاثنية . فكان رمزا لنظام الحكم الديموقراطي ولما وجدت تماثله معطمة ذات يوم دق حمة الديمقراطية ناقوس الخطر . وحدثت أزمة في أثينا هددت بفوضى عارمة . والحقيقة أن هذا الاله ارتبط بالتجارة وبلاستعمار التجارى وبالتالي بالامبراطورية الاثنية .

٧ - ديونيسوس : Dionysus وقد عرفه الرومان باسم باخوس Bacchus رب الحصاد والحدايق والكروم وفوق كل شيء رب الخمر والمرح والشهوة والمتعة . كان لا يفيق من سكره أبدا اذ كان يصور ثملا يحيط به جوق من اتباعه من السيلين Sileni وهم مخلوقات بشرية لها ذيول الخيل وآذانها معبة للعريضة والمرح خاصة مع المنيات Maenads وهن نساء غريبات . ولهذا الاله أهمية في الأدب الاغريقى والتراجيديا الاغريقية حتى أن كلمة تراجيديا اشتقت من اسم تراجوس أى «الجدى» . يوانه المفضل لما عرف عنه من طاقة وحيوية وخاصة في الجباع . ويسدو أن ديونيسوس كان الاها وافدا من الشرق ولكن الأساطير الاغريقية ربطته باقليم طيبة شمال غرب بلاد اليونان .

٨ - ٩ ديمتر Demeter وبرسيفوني Persephone :

وقد عرف الرومان ديمتر باسم Ceres كما عرفوا ابنتها بتحرشف اسمها الاغريقى الى بروسرينا Proserpina التى كانت تعرف عند الاغريق أيضا باسم الصبيبة Kore وقد عبت الأم والابنة كرتين عظيمتين ولما كانت بلاد اليونان تعاني نقصا كبيرا في انتاج الغلال فقد أولوا هاتين الربتين عناية كبيرة وجعلوها أساسا لعبادة زراعية سرعان ما أصبحت شعائرها سرية وارتبطت هذه العبادة باسم ضاحية اليوسيس قرب أثينا (١) . كما تروى الأساطير قصة حادث خطف هاديس للابنة كورى وحبسها في عالمه المظلم . وقصة بحث أمها ونواحا عليها الذى كان

(١) ومن الجدير بالذكر أن بطالمصر اقاموا ضاحية لمدينة الاسكندرية وسموها أيضا اليوسيس كدليل على اهتمامهم بعبادة ديمتر .

شبيها بنوح ايزيس على اوزيريس (١) حيث طبأت الأرض تتادى عليها وهي متوشحة بالسواد وقد أجذبت الأرض وأقفر الزرع حتى وافق هاديس على عودة الابنة الى الأرض لفترة معينة تعود بعدها اليه لأنه كان قد اقترن بها وتوجها ملكة على العالم الأسفل ولعل ارتباط الابنة بالعالم الآخر لدليل واضح على ارتباطها بالنبات وخاصة القمح وكانت الأم تصور دائما وهي تحمل سنابل القمح في يدها .

(١٠) بوسيدون Poseidon :

وقد عرفه الرومان باسم نبتون Neptuneus رب البحار والمحيطات والينابيع والأنهار . وكان يمسك بالأرض حتى لا تهتز أو ترتجف فإذا أراد شرا بالناس هز الأرض فتحدث الزلازل وقد عشق بوسيدون الخيل وارتبط بها ، وكان مركز عبادته عند منطقة خليج كورتنا حيث تبدأ السفن رحلاتها الى ما وراء البحار . ومن أشهر معابد هذا الاله معبد في كالاوريا Calauria حيث كانت تقام له مهرجانات .

(١١) أفروديت Aphrodite :

وتعرف عند الرومان باسم فينوس Venus ربة العشق والجمال والسحر القتال . صورها الفنانون الاغريق بقدر مشوق وجمال خلاب وجسد يتعجر أنوثة . كانت افروديتي تعنى بأمور النساء من عواطف وعلاقات عاطفية ولها كانت قلوب العشاق تتوجه دائما بالدعاء . تقول الأساطير الاغريقية أن أفروديتي ولدت من زبد البحر (Aphros) قرب شواطئ قبرص (٢) . ومما لا شك أن عبادة أفروديتي تتبع من أصل

(١) ادمج الاغريق المتمصرون ايزيس مع ديميتر في صورة واحدة يعرفها الآريون باسم ايزيس ديميتر وقد انتشرت هذه التماثيل الطينية بكثرة في مصر في العصرين الهلينستي والروماني خاصة في اقليم الفيوم .

(٢) من الواضح أن اسم قبرص Cyprus « الشهوة » كان أحد صفات أفروديت وربما اشتق اسم الجزيرة منه حيث كانت مدينة بافوس Paphos في قبرص مركزا لعبادة ربة الجمال كما أن الشاعر يوربيديس ناداها في مسرحيته اندروماخا باسم قبرص .

(٣) انظر : فاضل عبد الواحد على : عشتار وماسة تموز سلسلة الكتب الحديثة - منشورات وزارة الاعلام العراقية (٦٢) بغداد ١٩٧٢ ص ١٧٢ وما بعدها .

شرقى وربما من الربة السورية عشتار^(١) . وقد يفسر امتزاج الربتين معا في صورة واحدة على الأراضي المصرية في العصر الهلينستي ، هذه القرابة . وعلى أى حال كانت شخصية أفروديتى الغذاء الروحي والالهام الفنى لكثير من فناني الاغريق منذ القرن الرابع وأبان العصر الهلينستي واليوناني الرومانى . اذ كان جسدها وجمالها الآخاذ محل دراسة وحقل تجارب من جانب الفنانين للوصول الى سر الجمال الكامل . وقد خلد بعضهم للإنسانية روائع نادرة كانت حديث العالم كالتمثال الشهير الذى صنعه الفنان الاغريقى براكستيلس Praxiteles لحساب أهل مدينة كنيديوس في القرن الرابع حيث تجرأ هذا الفنان فصور الربة عارية لأول مرة وهى في طريقها الى الحمام وقد تناول الفنانون في العصور التالية هذا الموضوع بنماذج مختلفة وقد شغف الاغريق في الاسكندرية بجمال هذه الربة واحتفظوا برسومات صارخة لها علقوها في حجرات نومهم مما أثار غضب القديس كليمنت السكندري فهاجم مثل هذا « الانحلال الخلقى »^(٢) . ومن دراسة آثار الاغريق في مصر يظهر أن هذه الربة كانت من أشهر الربات في العصور الأخيرة لكثرة تماثيلها وصورها . وقد ارتبط ظهور الربة في كثير من الأحيان بانها الطفل Eros والذى عرفه الرومان باسم كيويديوس Cupidus حيث كان يرمى القلوب بسهام الحب . وكانت أفروديتى تبدو دائما وهى تسك بالتفاحة أو ترتدى قلادتها الشهيرة حول عنقها . وأحيانا كانت تحتضن اليمامة طائرها المفضل .

(١٢) هيفايستوس Hephaestus :

ويعرف عند الرومان باسم فولكانوس Vulcanus رب النار سواء التى تصدر من البراكين أو التى يشعلها الانسان كما كان أيضا رب الحدادة وقيل أنه كان يملك مصنعا للحدادة أقامه في قلب مجموعة من البراكين كانت توجد في جزر ليبارى Lipari وكان يعاونه في حدادته الككلوبيس Cyclopes وهم مخلوقات عملاقة لكل منها عين واحدة في منتصف وجهه .. وكان هيفايستوس يقوم في مصنعه بعمل أسلحة

(1) St. Clement of Alexandria, Protrepticus, IV, 60.

الآلهة المختلفة ، وهو قادر الظهور في الأعمال الفنية وقد وصفت الأساطير بأنه أعرج وذلك لأن أمه « هيرا » لم تعجبها خلقته المشوهة. بعد ولادته قالت به من الساء فأصيب بكسر في ساقه ، ومن العجيب أن جعلت الأساطير زوجا لأفروديتي وربما كان ذلك من أجل تعليل خيافات الربة المتعددة مع الآلهة والبشر . وهو مثل بوسيدون اله أقدرت عبادته باندثار العصر الكلاسيكي في اليونان القديمة .

(١٣) آريس Ares :

ويعرفه الرومان باسم مارس Mars اله الحرب والوباء وعشيق أفروديتي الشهير . كانت عبادته تتركز في منطقة طيبة وثرانيا Thracia وقد لعب دورا كبيرا في أسطورة الحرب بين الاغريق والطوراديين ولكن الديانة الاغريقية لم توليه أهمية كبرى إذ اعتبره الاغريق بـ « دحخلا » عليهم وباستثناء ظهوره مع أعضاء مجلس الآلهة . لم يظهر كثيرا في أعمال الفنانين ولم تعرف أى معبدا خاصا بعبادته .

(١٤) هستيا Hestia :

وقد عرفها الرومان باسم فستا Vesta وقد غالت الأساطير الاغريقية في تمسكها بعذريتها ورد الكثيرين ممن جاءوا يطلبون يدها مثل بوسيدون وأبوللون وقد عرفت هستيا بأنها ربة الموقد الذي كان يوجد في المنزل أو يتوسط ساحات المدن كرمز للحياة . حيث اعتبر الاغريق الموقد من أهم أجزاء البيت ولذا اعتبرت هستيا ربة الدار ورعاية الأسرة والساهرة على سعادتها وراحتها والتي لها تتقدم بالصلاة قبل تناول الطعام وبعده . كما أعجب الرومان كثيرا بهذه الربة حيث كان يقام لها معبد يقوم في الخدمة فيه راهبات عذراوات . كما كان يحفظ في هذا المعبد الوصايا والوثائق السياسية الخطيرة للدولة حيث السرية فيه مقدسة .

(١) كما كان المهاجرون يحرسون على حمل شعله من موقد مدينتهم الأم ٧ شعال موقد المستوطنة الجديد كرمز الولاء للمدينة الأم .

ثانياً - الآلهة الصغرى :

والى جانب الآلهة الكبرى كان يوجد عدد كبير من الآلهة الصغرى والتي قامت بأدوار متعددة ومختلفة يصعب ذكرها بالتفصيل ولذا نحاول ايجازها بتقسيمها الى المجموعات التالية :

(أ) الرسل والحاشية للآلهة الكبرى :

مثل ايريس Iris رسولة الآلهة وهيى Hebe ربة الشباب والصحة وجانيد Ganymede الطفل الطروادى الذى خطفه زيوس ليجعل منه ساقيا له وربات الخير Charites وربات ساعات النهار Horae وغيرهما •

(ب) آلهة الريف والراعى والغابات :

ويجىء على رأسها الرب الاركاى بان Pan وكان قبيح الخلقة ينتهى نصفه الأسفل بجسم ماعز وكان رب الرعاة وحامى القطعان من الذئاب والى هذه المجموعة تنسب «التيلين» تلك المخلوقات البرية التى كانت تخرج مع ديونيسوس رب الخمر ، وعادة يرتبط الريف بالينابيع وعيون الماء حيث قيل أن الحوريات كن يكن هناك Nymphai وكن ينقسمن الى حوريات الينابيع والأنهار (Naiades) وحوريات الجبل Oreades وحوريات الأدغال والأشجار Hamadrayades •

(ج) آلهة المحيطات والبحار :

وجميعهم كانوا اتباعا لبوسيدون • ويجىء على رأسهم أمفتريتى Amphitrite زوجة بوسيدون والوحش تريتون وكان له ثلاث رؤوس بشرية ونصفه الأسفل على شكل ثعبان^(١) • ومنها أيضا الأقيانوس Oceanos إله المحيطات وزوجته ثيتس Thetis والنريديات Nereides حوريات البحر والرب بروتئوس Proteus الذى كان فى مقدوره الظهور فى صور متعددة وفى أشكال متباينة وكذلك رب الماء جلاوكوس Glaucus وليوكيشيا وغيرهم من أرواح البحر •

(١) وقد عادله الإغريق برب الشر والحقد عند المصريين وهو ست .

(د) ربّات تشخص قوى ورغبات معينة :

وهن كثيرات وكان لبعضهن عباد وكهنة وعبادة أما ترجمة لرغبات معينة ومنهن Nike رب النصر المجنحة والتي عرفها الرومان باسم Victoria وتيمس Themis ربة العدالة وليميس Nemesis ربة الانتقام والعقاب الى جانب أسماء البلاد التي جسدها الاغريق في صور نساء والواقع أن الاتجاه نحو التجسيد قد ازداد بشكل واضح منذ القرن السادس قبل الميلاد وبلغ أقصاه في المصور المتأخرة حيث تدهورت الآلهة الكبرى وقامت على أثلثها آله جديدة في عالم جديد .

(هـ) الأبطال :

(Heroes) وكانوا في الأصل بشرًا ثم ألّهُوا لسبب ما وأصبحوا وسطاً بين البشر (أيلفن عرفوا باسم التانين (Brotai) الآلهة الذين كان يشار إليهم باسم الخالدين (Athanatoi) ويحيى على رأس الأبطال هرقل Heracles وباللاتينية (Hercules) بطل الأبطال وحامي الحضارة الهلينية في بلاد البرابرة (١) . وقد كان للأبطال أهمية كبيرة في حياة الاغريق لأن كل قبيلة كان تنسب نفسها الى أحد هؤلاء الأبطال . كجد أول » وكذلك فعلت كثير من أصحاب الطوائف الحرفية في مدينة أثينا . وكان الأبطال الأجداد يسمون (Heroes Eponymoi) كما اعتاد الاغريق أن ينسبوا مدنهم عند تأسيسها الى أحد من هؤلاء الأبطال .

أصل الاغريق :

أثبتت الحفائر الأثرية وجود سكان بلاد اليونان منذ العصر الحجري القديم (Palaeolithic) ربما هم أول من دخلوا البلاد ومن المؤكد أن هؤلاء كانوا من عنصر البحر المتوسط الذي انتشر في المنطقة كلها ومارس الصيد وجنى الثمار .

(١) والدليل على ذلك ظهوره على الأواني الإغريقية في القرن السادس وهو يفتك بالملك المصري بوسيريس في وهو في محرابه لأن هذا الملك لم يكن مضيافاً تجاه الاغريق . وقد تحدث هيرودوت عن ذلك في كتابه الثاني - هيرودوت - الكتاب الثاني ، ٤٥ .

وابان العصر الحجري الجديد Neolithic والذي يحدده العلماء بالفترة ما بين ٣٥٠٠ حتى ١٩٠٠ ق.م ، دخل بلاد اليونان مهاجرون لانعرف هويتهم ، أطلق عليهم الاغريق اسم البيلاسجيين (Pelasgians) (١) ، وربما وفد البيلاسجيون من غرب آسيا الصغرى ودخلوا شبه الجزيرة اليونانية من سواحلها الشرقية أو عن طريق مضيق البسفور والدردنيل ثم توغلوا جنوبا وقد لاحظ علماء حضارة بلاد الاغريق في عصور ما قبل التاريخ أن هذا العصر السكاني يتشابه مع سكان كريت وجزر بحر ايجه وساحل طروادة ، وأن حضارة البيلاسجيين حضارة زراعية ، وأنهم يتكلمون لغة ليست هندوأوروبية وبقيت آكارها الى وقت متأخر في أسماء بعض المدن التي انتهت بنهايات غريبة عن اللغة المالاغريقية والأصل الهندي الأوروبي لها ، مثل النهاية nthos (Olynthos و Corinthos) والنهاية enc (Messene و Gyllene) والنهاية ssa (Lorissa) ، والنهاية asos (Parnassos و Halicarnassos) (٢) ومن الواضح أن البيلاسجيين كانوا على قرابة كبيرة بسكان كريت القديمة وينتمون الى شعوب بحر ايجه . ويذكر هيرودوت أنهم هم السكان الأصليون لبلاد الاغريق وامتزجوا مع من وجدوهم من شعوب البحر الأبيض مكونين عنصرا سكن البلاد قبل وصول الهجرات الآرية أو الهندو أوروبية وظل يسيطر عليها خلال العصر الحجري الحديث وحتى مطلع عصر النحاس عام ١٩٠٠ ق.م .

(١) ربما تعني هذه الكلمة شعوب البحر وهذا الاسم يعادل الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على سكان بحر ايجه وهو الحاد - نبوت أي شعوب البحر : أنظر : جان فركوتيه قدماء المصريين والاغريق - بحث في العلاقات بين الشعبين من أقدم الأزمنة الى نهاية الدولة بالحدثة (ترجمة محمد علي كمال الدين وكمال الدسوقي ومراجعة محمد صقر خفاجة) دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٥ - ٤٢ . ، وكان هوميروس أول من ذكر اسم البيلاسجيين في الإلياذة (الكتاب الثاني ٤٨٠) ، والكتاب السابع عشر - ٣٠١) على أنهم قبيلة في تراكيا كانوا حلفاء للطرواديين ، كما أطلق هيرودوت (الكتاب الأول ٥٧) اسم Pelasgiot على مدينة لاريسا الواقعة في تساليا .

وبالرغم من أن البيلاسجين لم يكونوا «آريين» أو «هيلينيين» إلا أن علماء الحضارة درجوا على سمية الشطر الثاني من العصر الحجري (٢٥٠٠ - ١٩٠٠ ق م) باسم العصر الهيلادي Helladic على اعتبار أنهم سوف يكونون أجداد الأغريق بعد امتزاجهم بالعصر الآري أو الهندو أوروبى الذى هبط على البلاد مع مطلع عصر النحاس في نهاية الألف قبل الميلاد .

ويعرف العلماء العصر الهيلادى حضاريا بأنه الحضارة الزراعية التى انتشرت من تساليا شمالا الى بلاد اليونان الوسطى (اقليم بوءتيا ، وأتيكا) ثم الى بلاد اليونان الجنوبية (شبه جزيرة البيلوبونيز وجزيرة ايجينا) وجزر بحر ايجة خاصة الكيكلاديس Cyclades .
(جزر الأرخبيل) .

وكانت الحضارة المينية في كريت من أهم مراكز هذه الحضارة الهيلادية وعلى ذلك يجب أن ندرك أن الكريتين القدماء - بالرغم من مساهمتهم الكبيرة في تأسيس الحضارة الأغريقية - كانوا يختلفون تماما عن الأغريق اللاحقين في السلالة وفي الصفات البدنية وفي اللغة ، كما أن المسؤل عن تدمير الحضارة المينية هم القبائل التى جاءت من شبه الجزيرة اليونانية قرب نهاية الألف الثانى ق م ، ما يؤكد اختلاف العنصرين بالرغم من استمرار الحضارة .

أما بعد عام ١٩٠٠ ق م فيبدأ عصر النحاس والبرونز حيث هبط على شبه الجزيرة اليونانية موجات متتابعة من الغزاة واستمر ذلك لفترة طويلة ويظهر هؤلاء الغزاة مصورين كقوم طوال القامة ، ذوى بشرة شقراء وينتمون الى العصر الهندو أوروبى وعلى وجه التحديد الفصيلة النوردية الألبانية ، وكان هؤلاء الغزاة يجلبون معهم أسرهم وأمتعتهم . ويعملون بالصيد والقنص ويستخدمون أسلحة مصنوعة من النحاس والبرونز . ويرى العلماء أن هؤلاء الغزاة الجدد قريبو الشبه في عاداتهم وثقافتهم بالمقدونيين القدماء أو الألبانيين المعاصرين .

ولا يعرف من أن جاء هؤلاء الغزاة ولكن من المؤكد أنهم كانوا

يتكلمون لغة هندو أوروبية (١) ، ويعتقد المؤرخون أنهم جاءوا من أصقاع شمال أوروبا الشرقية أو من منطقة حوض الدانوب أو شرق بحر قزوين وأواسط آسيا الصغرى ، ثم شقوا طريقهم جنوبا الى تركيا ومقدونيا وتاليا وإيروس ثم الى بلاد اليونان الوسطى والجنوبية . وبفضل أسلحتهم البرونزية وشخصيتهم العدوانية سيطروا على البلاسجين وأصبحوا حكاما عليهم بالرغم من أنهم لم يكونوا أرقى منهم حضارة ، ولكنهم فرضوا عليهم لغتهم الجديدة الهندو أوروبية . وبحرور الزمن بدأ العنصران يمتزجان عرقيا وحضاريا وما أن جاء القرن السادس عشر ق.م حتى اكتمل هذا العنصر في شكل جديد أطلق عليه هوميروس اسم « الآخيون (Achaiói) وربما كان ذلك اسم قبيلة ثم عمم هوميروس الاسم على الشعب كله . وقد تركزت هذه القبائل في منطقة شمال شرق البيلوبونيسوس حيث ظهرت مدن موكيناي وتيرنز Tiryns وفي غرب البيلوبونيسوس ظهرت مدينة بيلوس Pylos وفي إقليم بوءتيا ظهرت أو أورخومينوس Orchomenos .

أما العلماء المعاصرين فقد فضلوا أن يطلقوا على الشعوب التي شهدت هذه الحضارة بالموكينيين Myceneans اذ عموما اسم أشهر مدينة وهو موكيناي على العصر كله . بعد أن أماط ثيليمان اللثام عن شطركبير من حضارتها ونجح فنترس Ventris في حل طلاس كتابتها حيث أثبت أن الموكينيين كانوا يتكلمون لغة اغريقية في طورها البدائي . وفي بعض الأحيان يسمي العلماء هذه الفترة بحضارة العصر الهيللادي الثاني . لكن من المؤكد أن غزاة عصر البرونز هم أجداد الاغريق . وهم الذين قادوا بلاد اليونان في حرب مريرة ضد مدينة طروادة وقد وصف

(١) الهندو أوروبية هم اللغة الأم لعدد كبير من اللغات القديمة مثل السنسكريتية والفارسية القديمة والأرمنية واللغة اللاتينية ومشتقاتها من اللغات الأوروبية الحديثة (الإيطالية والفرنسية والأسبانية ومجموعة اللغات الكتليه) واللغة اليونانية القديمة والحديثة ، وعدد من لغات بحر البلطيق السلافيه والألبانية فضلا عن بعض لغات البحر المتوسط التي انقرضت مثل الفريجية والحيثية والاليرية .

ما يكل جرائت ذلك بأنه صراع بين شعوب متجولة وليس صراعا قوميا وحضاريا كما صورده الأفرقي فيما بعد .

هكذا برزت شخصية الأفرقي من هذا المزيج السكاني والحضاري . وعندما تحقق الوعي القومي أطلق الأفرقي على أنفسهم اسم «الهيلينيون» Hellenes نسبة الى جد اسطوري هو هيلين Helken ، وفي الحق كانت هناك قبيلة تعرف بهذا الاسم وتوطن في شمال بلاد اليونان وسرعان ما عسم اسمها على العنصر كله ثم ازداد التعميم فأصبح يطلق على المتحدثين باللغة الهيلينية (اليونانية) وسواء كانوا يقطنون بلاد اليونان أو ساحل آسيا الصغرى أو في جزر بحر ايجه أو حول البحر الأسود أو في جنوب إيطاليا . وما غيرهم سمي بالأجانب أو الأعاجم Barbaroi (١) . أما شعوب الشرق الأوسط القديم فقد أطلقوا على الأفرقي اسم «الايوانيون» Yauna وهو اللفظ الذي تطور في اللغة العربية الى اليونانيين (٢) .

وجدير بالذكر أن مصر ذاتها قد تعرضت لعدوان هؤلاء الأخيين ، اذ ذكرت لوحة سجلت انتصارات رمسيس الثالث (١١٨٤-١١٥٣ ق.م) وهو أعظم ملوك الأسرة العشرين أن مصر قد تعرضت لمحنة من جراء عدوان شعوب البحر الأخايواشا والدانونا على شواطئها الغربية والشرقية وأن الفرعون رمسيس الثالث قد خاض ضدهم ثلاثة معارك ضارية اثنتان منها على الحدود الغربية والثالثة على الحدود الشمالية الشرقية للدلتا

(١) ومعناها الذين يوطنون بلغة اجنبية انظر .

H. D. Kitto, the Greeks, A study of the character and history of an ancient civilization and of the people who created it, A pelican book 1954, p 7 ff.

كذلك انظر ترجمه هذا الكتاب التي قام بها عبد الرازق يسرى تحت اسم الأفرقي - القاهرة . دار الفكر العربي ١٩٦٢ ، ص ٥ .

(٢) عبد اللطيف احمد على التاريخ اليوناني - العصر الهيللادي -

بيروت دار النهضة العربية ١٩٧١ ص ٨٥ - ٨٨ .

وكانت الأخيرة معركة برية بحرية وهى من المارك الناذرة من هذا النوع فى تاريخ العسكرية المصرية القديمة وبفضل هذه الانتصارات أمكن لمسيى الثالث وقف زحف هؤلاء المغيرين • وكان الانتصار مذهلا لدرجة أن هذا الفرعون خلده على جدران معبده العظيم فى مدينة هابو الواقعة فى الجزء الغربى من مدينة طيبة (الأقصر) (١) ويفسر العلماء هذه القلائل والفوضى التى سادت بحر ايج وشرق البحر المتوسط خلال هذه الفترة الى تدهور الامبراطورية الحثية (الخيشية) (أو الخيتية كما سماها القدماء) فى غرب آسيا الصغرى مما أدى الى تدفق الطامعين فيها من شعوب البحر •

وفى مطلع الألف الحادى عشر ق.م وصل الى بلاد اليونان آخر موجات الهجرات وهم الدوريون (Dorians) وهم قبائل هندو أوروبية وتكلم اللغة اليونانية بلهجة مميزة • وكان مقصدهم شعبه جزيرة اليلوبونيسوس حيث دمروا القصور الموكينية وأقاموا على خرائبها قراهم الصغيرة وقد جاء هؤلاء الدوريون معهم بمعدن الحديد ومن ثم انتهى عصر البرونز وبدأ عصر الحديد ، كما جاءوا معهم بالعبادة الأغريقية Himation أما فيما عدا ذلك فلا يذكر لهم تجديد معين فى الحضارة ولما كان هؤلاء الدوريون من نفس العنصر فقد أطلق مؤرخو الأغريق على غزوتهم اسم « عودة أخاد البطل الأسطورى هيراكليس (The Return of the Herakleidae) ، حتى يعطلوا لغزوتهم شيئا من الشرعية ، وفر الهاربون شرقا الى أتيكا حيث تبلور العنصر الأيونى فى الشرق فى مواجهة العنصر الجديد الدورى ، كما هرب بعض المهاجرين الأخيين الى الشمال فى بوء تيا حيث امتزجوا بسكانها وظهر العنصر الأيولى وعندما بدأت

(١) من هجوم الاخايواشا والدانونا انظر : -

G. A. Wainwright, Journal. of Egyptian Archaeology xxv, p 148-153.

وكذلك جان فركوتيه - المرجع السابق - ص ٦ ، ص ٩٤ وما بعدها .

الهجرة نحو ساحل آسيا الصغرى أسس الأيوليون منطقة في الشمال وحول جزيرة لسبوس سموها أيوليس، أما الأيونيون فقد احتلوا الساحل الأوسط وسموه أيونيا وهاجر الدوريون الى جنوب الغربى من ساحل آسيا الصغرى وجزيرة رودس وكرت وسموه دوريس Doris أى منطقة الدوريين . ولكن بقى أن نعرف أن الفرق بين هذه العناصر الثلاث كان فى لهجات اللغة الاغريقية التى هى من فعل التأثير الاقلىنى للقبائل المحلية .

أسطورة البطل القومى الاثينى ثيسوس .

لقد اخترنا الأسطورة كمدخل للدراسة التحلية لأصول الحضارة الاغريقية لأنها تشير الى فكرة حضارية بالرغم من أنها من نسج الخيال الهللىنى البحت وبعد عرضنا لهذه الأسطورة سوف ندع . علم الآثار المادى يحدد لنا المعالم الحقيقية للتاريخ والحضارة الهللىنية لأننا نرى من الواجب اعتبار الفكر المعنوى عنصرا ماديا لا يجب اغفاله وخاصة فى دراسة حضارة الأغرقي التى لعب الخيال والأسطورة فيها دورا كبيرا تردد صداه فى الفلسفة والأدب والفن والسياسة . ويعتقد البعض أن موطن هذه الأسطورة هو جزيرة كريت ، وتروى أن ملكا طاغيا كان يحكم الجزيرة ويدعى مينوس Minos وكان له ولدان وابنة أولهما اسمه اندروجيوس Androgeus . وقد ضرب به المثل فى الذكاء وفى إجادة الألعاب الرياضية البدنية حتى عت شهرته سائر البلاد ، أما الابنة فكانت تدعى اريدىانى وعرفت بجمالها ورقتها أما الابن الآخر فكان مخلوقا عجيبا ، لقد كان وحشا يفترس الأدميين ، له جسم الانسان ورأس الثور ولذا سمي « بالمينوتوروس » وقد اضطر الملك مينوس ازاء الخوف من هذا المخلوق . أن يحبسه فى أروقة قصر التيه الذى كان يعيش فيه Labyrinth وهو قصر كبير معقد الوحدات البنائية حتى أن الانسان يضل طريقه بين أروقه وتروى الأساطير أن مهندسا وفنانا اسمه دايدالوس هو الذى بناه للملك فى قلب عاصمة كريت القديسة كنوسوس Knossus . وتذكر الأسطورة أيضا أن الأمير اندروجيوس عاش حياة سعيدة وهو يمارس الرياضة البدنية بكافة أنواعها اذ كان

يشارك في مهرجانات الرياضة المختلفة ويفوز بكل جوائزها ، وذات مرة ذهب الى مدينة أثينا ليشترك في مهرجان رياضي كبير أقامه ملكها أيجيوس Aegens وبالطبع فاز هذا الأمير الكريتي وهزم المتنافسين جميعا ، فحق عليه الملك الأثيني ودبر مؤامرة أدت الى قتله ولما علم أبوه الملك مينوس بذلك تأجج غضبا وأعلن الحرب ضد مدينة أثينا انتقاما لمقتل ابنه وتم له بالفعل هزيمة المدينة واخضاعها وتوقيع عقوبة صارمة ضد الأثينيين بأن يرغمهم على ارسال جزية كل تسع سنوات وهى سبع فتيان وسبع فتيات من خيرة الشباب يقدمون وجبة للمينوتور فى كهفه بقصر التيه . وظلت أثينا تدفع هذه الجزية حتى جاء الاختيار على الأمير ثيسوس Theseus ابن الملك ايجيوس نفسه من بين الفتيان وكان حله راود خيان هذا الأمير وهو أن يقتل هذا الوحش ويخلص رفاقه من الموت وبلاده من الذل والهوان ، وكما اعتادت مدينة أثينا ودعت شبابها وشاباتا الى رحلتهم الأخير عندما كانوا يهرون الى كنوسوس حيث تشر السفينة أقلعتها السوداء رمزا للحداد والحزن . ولما علم الملك بما اتواه ابنه طلب أن تزود السفينة بشراع ثان أبيض اللون وأوصى الربسان بأن ينشروا هذا الشراع الأبيض لو تحقق حلم ولده الأمير ثيسوس بالانتصار على المينوتور الوحش والعودة معه بقية رفاقه أحياء وكانت ارادة الآلهة أن ينتصر ثيسوس فدبرت لقاء بينه وبين الأميرة أريادنى التى هامت حبا بالأمير القادم من أثينا وعطفت عليه وشجعتة على تحقيق حلمه بل وساعدته بأن أعطته كرة من الخيط ثبت أولها عند باب القصر وكلما سار الأمير الى داخل أعماق القصر سحب معه الكرة وبذلك عرف الأمير طريقه وتجنب التخييط والفسلال حتى لا يبعد نفسه فى النهاية وجها لوجه أمام المينوتور ففعلا استطاع ثيسوس الشجاع أن يذبح المينوتور وأن يقتحم طريقه سالما الى خارج القصر . ولما علم رفاقه بالخبر سروا لنجاتهم من الموت وراحوا يرقصون ويغنون وهم متشابكنى الأيدى حول بطلهم ثيسوس والأميرة أريادنى واقبلوا عاكدين « وتضيف الأسطورة أن ربان السفينة نسوا فى غمرة النشوة والفرح أن ينفذوا تعاليم الملك برفع الشراع الأبيض بعد الانتصار .

ولما أبصر الملك السفينة قادمة بشراعها الأسود وكان ينتظر ذلك قسرب شاطئ البحر ظن أن ابنه لم ينجح وراح كثيره من الشباب ضحية لهذا الوحش . وأحس بأنه لا يحتمل العيش من بعد فقدان وحيدته فالتقى بنفسه في البحر واختلطت الأمواج الى نهايته ومن هنا تقول الأسطورة أن أطلق على هذا البحر اسم بحر إيجه Aegean Sea نسبة الى الملك ايجيوس Aegeus .

ماذا ياترى يقول التاريخ وعلم الآثار في أمر هذه الأسطورة الطريفة ؟ لقد ظل المؤرخون والأثريون حتى نهاية القرن التاسع عشر يؤكدون بأنها خيال خرافي الى أن ظهرت اكتشافات سير آرثر ايفانس Sir Arther Evans الأثرية في منطقة القصر الملكي بكنوسوس في كريت . لقد ضرب سير آرثر ايفانس الأثرى الأرض ببعوله في أحد أيام عام ١٨٩٩ فتكشفت الأرض عن أبنية القصر وغيرها من المواد الأثرية التي ساعدت المؤرخين على أن يخطوا لأول مرة فصلا من تاريخ حضارة لم يعرفوا عنها شيئا من قبل سوى القليل .

الفصل الثاني

العصر الهيللادى

حضارات خوض بحرايجه

(Aegean Civilization)

بالرغم من قدم الحضارة الهلينية فى بلاد اليونان توصل العلماء الى معرفة حضارة أقدم منها ازدهرت بالقرب من شواطئها وكان لها أكبر الأثر عليها وقد عرف العلماء هذه الحضارة بالهيللادية أو حضارة بحر ايجيه لأنها انبعثت من بعض جزر بحر ايجيه خاصة جزيرة (١) ميلوس Melos والى هذه الحضارة تنتمى كل حضارات بلاد اليونان فى عصر البرونز والتي تشمل حضارة كريت وحضارة موكناي وحضارة شمال غرب آسيا الصغرى أو حضارة طروادة على الجانب الآخر من بحر ايجيه .

وكل ما نعرفه عن هذه الحضارة هو أن أهلها كانوا من جنس البحر المتوسط وأنها تمتد قدما الى حضارة العصر الحجري الحديث ولكنها تصبح مميزة عنها بعد الألف الثالث قبل الميلاد حيث تبدأ كريت فى بلورتها بأسلوبها الخاص . وقد استمرت هذه الحضارات مزدهرة حتى انهارت حضارة كريت فجأة حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد نتيجة لغزو خارجى أطاح بها واختفت كريت من مسرح هذه الحضارة ثم نجد الأخيين وهم أصحاب الحضارة الموكينية يندفعون فى حرب ضروس ضد مدينة طروادة

(١) من الكتب الجيدة والحديثة عن بحر ايجيه منذ عام ٣٠٠٠ ق.م (العصر الحجري الحديث) وحتى ١٠٠٠ ق.م (نهاية عصر البرونز) كتاب .

G. Renfrew : the Emergence Civilization-the Cyclades and the Aegean in the third millenium B. C. (studies in pre-history) London, Methuen Company (1972) Reviewed by S. F Hood in J.H.S, xc 111 (1973) p 251-252.

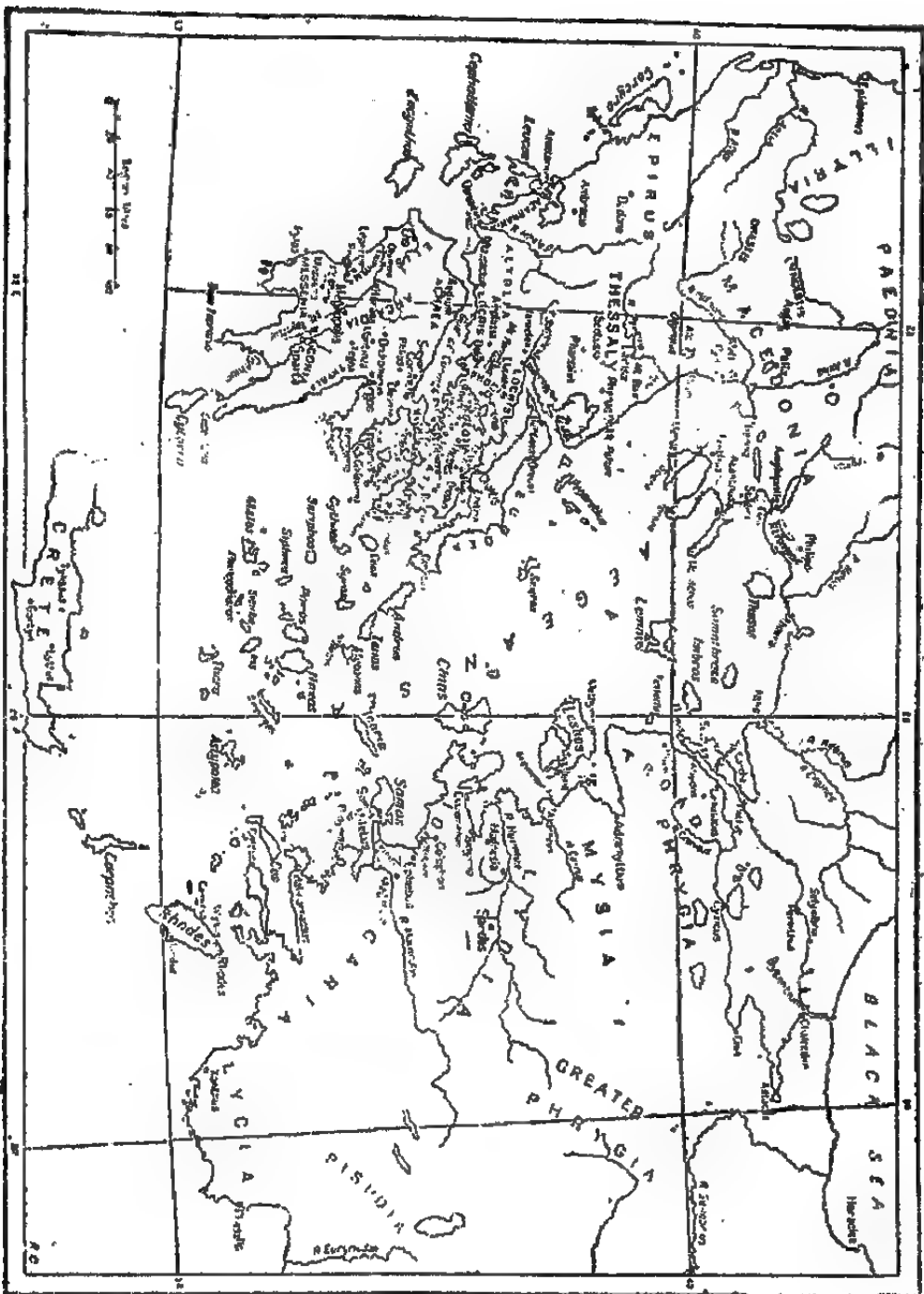
ويدمروها ويدمرُوا حضارتها في حوالي منتصف القرن الثالث عشر وأحياء يتعرض الموكينيون أنفسهم لهجوم مدمر من قبائل أيضاً هليلينية هبطت من الشمال حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م. وقضت على آخر وريث لحضارات حوض بحر ايجيه .

ونظراً لقلة معلوماتنا عن أهل طرواده وحضارتهم وعن اللغمة التي كانوا يتحدثونها ونظراً لأهمية حضارة كريت وموكيناي بالنسبة لحضارة بلاد اليونان فسوف نركز على هاتين الحضارتين بشيء من التفصيل .

(١) حضارة كريت ودورها في الحضارة الاغريقية :

ان الاهتمام بكريت ودورها الذي لعبته كورثة لحضارة حوض بحر ايجيه وكجد للحضارة الهلينية فيما بعد ، بدأ يلقي اهتماما معينا من جانب علماء الحضارة بعد النتائج التي توصل اليها العلماء عن طريق جمع النقوش ودراستها عن طريق التنقيب عن الآثار خاصة في الفترة ما بين نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . لقد كانت هذه المادة العلمية غزيرة لدرجة أن العلماء لا يزالون يراجعون هذه الاكتشافات ويستخرجون منها معلومات قيمة . ومهما يكن من أمر فإن المعلومات الأثرية تؤكد أن جزيرة كريت لعبت أبان العصر البرونزي دوراً حضارياً يفوق حجمها بكثير ، لا بالنسبة للحضارة الانسانية عامة بل أيضاً بالنسبة لحضارة أوروبا القديمة .

ان نظرة عامة على موقع الجزيرة بين أهميتها الجغرافية ، في البحر المتوسط الذي ترمى فيه كشرط طويل ومتعرج ، ملء بالخلجان التي تجعل منها موانئ طبيعية ممتازة . وبالنسبة للموقع الجغرافي تواجه كريت شمالا مداخل حوض بحر ايجيه في شرق بلاد اليونان لدرجة أن أرسطو نفسه ذكر أن الطبيعة أرادت لهذه الجزيرة أن تتحكم في بلاد اليونان كما أن الطرف الشرقي من كريت لا يبعد كثيراً عن شواطئ سوريا وفينيقياء وقد مهد لها هذا الموقع أن تكون علاقة وثيقة بحضارات الشرق الأوسط القديمة . ومن ناحية الجنوب تواجه كريت ساحل أفريقيا الشمالي ولذا كانت على علاقة وثيقة بحضارة وادي النيل بل



GREECE AND THE AEGEAN SEA

خريطة بلاد اليونان وجزر بحر ايجة وساحل ايونيا

يقال أن كريت قامت بدور الوسيط بين حضارة الشرق الأوسط وحضارة وادى النيل .

هكذا حبت الطبيعة كريت لكي تصبح لواء لامباطورية بحرية وتجارية واسعة وكانت أولى المناطق التى اهتمت على حضارة مصر والشرق الأوسط القديم وتأثرت بها ، فشلا أخذت كريت عن هذه الحضارة استخدام معدن البرونز وجعلته محور حضارتها . وما أن جاء الألف الثالث قبل الميلاد حتى كان الكريتيون قد بلوروا حضارة مميزة لهم ظلت لوقت طويل خافية عن علماء الحضارة والتاريخ حتى كشفت الحفائر الأثرية النقاب عنها .

ولم يكن علم الآثار وحده هو الذى أبرز شخصية كريت المميزة بل يرجع الفضل أيضاً الى دراسات علماء اللغات وفقه اللغة اليونانية فضلاً عما قدمته المعلومات التى استخرجها العلماء من نصوص الإلياذة والأوديسا والتي تشير من قريب أو بعيد الى كريت وحضارتها .

حقاً لقد تغيرت الصورة التى كانت معروفة عن الحضارة المينوية كثيراً منذ المائة سنة الأخيرة نتيجة للدراسات المقارنة بين آثار كريت المبعثرة فى مدنها من أطلال القصور ومباني قديمة وأوالى فخارية متنوعة الأشكال والأحجام وبين الحلى والأسلحة المختلفة من ناحية ، وبين المعلومات المتفرقة التى وردت فى الإلياذة والأوديسا ، وبين المعلومات التى تستخرج من النقوش اليونانية فى الجزيرة ، ومن مجموع هذه الدراسات خرج علماء الحضارة بآفاق بعيدة للحضارة الاغريقية ذهبت بهم أبعد من الحدود التى كانوا يتصورونها لهذه الحضارة ومن التاريخ التقليدى الموروث القائل بأن تاريخ بلاد اليونان يبدأ عام ٧٧٦ ق.م (وهو تاريخ أول مهرجان أولمبى أقامه الاغريق) وأن ما قبل ذلك كان أسطورة وخرافة لا يمكن الاعتماد عليها . ويرجع الفضل فى هذا التفسير الى

عالمين خطيلين هما آرثر ايفانز وهينرش شليمان (١) . لقد أعلن الأخير
بأنه قد اكتشف آفاقا جديدة لعلم الآثار بحفائره في طروادة وموكيناي
وتيرتز . وثلث المادة الأثرية التي أخرجت من حفائره محل دراسة من جانب
علماء كثيرين من أمثال بليجن Blegen وويس wace وتوصلوا في نهاية
دراستهم الى حقيقة واحدة وهي أن هناك جذورا تاريخية حقيقية وراء
الأساطير الهومرية .

أما سير آرثر ايفانز فقد بدأ أبحاثه الأثرية عن قصر اللايرانت أوقصر
الملك مينوس في كنوسوس واستمرت حفائره ست مواسم امتدت من
عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٠٥ . وكانت نتائجها هو اكتشاف معالم حضارة
عصر النحاس في كريت والتي سماها ايفانز الحضارة المينوية نسبة الى
ملكها الأسطوري مينوس . وسرعان ما تكشف معالم جديدة لهذه
الحضارة الرائعة التي تشاهدها عين الناظر في القصور الشاسعة ومحتوياتها
النفيسة وفي القللات الجميلة والمنازل المتلاصقة وفي الجبانة والقبور
وفي المجوهرات وأدوات الزينة والأسلحة والرسومات ذات الذوق الرفيع
والذي لا شك فيه أن أكثر مناطق الجزيرة تحضرأ كانت في الشرق
والوسط .

وقد كسب أهل كريت شهرة تاريخية كبجارة مهرة وراحت أساطيلهم
تجوب البحار بحثا عن المواد الخام لصناعاتهم مثل الذهب والفضة
والتصدير والنحاس . والعاج وحجر اللازورد Lapla lauzuli كذلك
أقام أهل كريت المديد من المحطات البحرية سرعان ما أصبحت أسواقا
تجارية للتبادل والمقايضة ، وعلى العموم كان المجتمع في كريت مجتمعا مسالما
ديناميكيا يقدر العمل والصناعة والعمال والمهرة . ان من يشاهد أطلال

(١) عن حياة شليمان واكتشافاته انظر : ذهب طروادة تاليف روبرت
بين ، ترجمة رشدي السبسي ومراجعة مصطفى حبيب سلسلة الاف
كتاب (٥٥٠) مع ملاحظة ان المؤلف روائى النظرة والموضوع ولكنه يعطينا
معلومات قيمة عن حياة هذا الاثرى الهاوى وانفعالاته ساعة عثورة على
بقايا طروادة .

للإيراث العظيم ليدرك كيف كان هؤلاء الكريتيون البنائين الأول الذين وضعوا أساس العمارة لحضارة أوروبا . كذلك تشهد شبكة الطرق المتداخلة والمعقدة والتي تنتشر لتربط بين مدن الجزيرة المختلفة وموانئها بالقدرة الخلاقة للمهندس الكريتي (١) . كذلك تظهر القدرة والابداع في الجسور العالية التي تحمل المياه aqueducts وفي القنوات وئع الري وفي نظام الصرف والتخلص من المياه المستعملة وفي المرافق المدينة داخل الموانئ القديمة . ولم يكن أهل كريت عمليين فحسب، بل كان لهم ذوق رفيع فهم لمول من خلد للبشرية لوحات تصويرية رائعة على الفريسكو . كذلك كان للفنان الكريتي قدرة رائعة (٢) في تشكيل النحاس وطرقه وصهره ثم صب في قوالب . كما كانوا ذوي خبرة عميقة بسبك المعادن المختلفة بنسب معينة . كذلك تشهد الآثار بمهارتهم في الصناعات الدقيقة خاصة صناعة العلى وأدوات الزينة وتطعيم المنصوعات الذهبية بالفضة والماج وحجر اللازورد . ولم يكن الفنان في كريت أقل قدرة من غيره في نحت الأحجار بأنواعها سواء من البازلت أو من الحجر الأوبسیدی أو الجيرى . كما فاق أهل كريت غيرهم في صناعة الاواني الفخارية ورسم المناظر الزخرفية أو القصصية عليها مستخدمين في ذلك الألوان المبهجة ، وفي صناعة الزجاج واستخدامه كبديل للأحجار الكريمة والماسية . كذلك كان أهل كريت أول من صنع تماثيل من الذهب والماج في نفس الوقت Chryselephantine وأول من استخدم الخزف الملون . والنماذج الفنية كثيرة ولكنها من حجم صغير Miniature وبالرغم من ذلك فهي تحمل أسلوباً فنياً مشتركة بينها وبين الرسومات الكبرى على جدران القصور .

إن الزائر لمتحف كريت القومي ليدعش لجمال محتوياته وتنوعها كما أنه سوف يجيب بحركة وحيوية الرسوم والتماثيل الصغيرة ويمكن

(1) cf. John Pendlebury : The Archaeology of Crete Methuen, 1939.

(2) S. Hood, the Minoans : Crete in the bronze Age (Ancient people and places 75) London Thames and Hudson, 1971.

والمؤلف يهتم بأوجه الحضارة الكريتية أكثر من المراحل التاريخية للجزيرة . وهو نتاج خمسة وعشرون عاماً في كريت قضاها المؤلف كباحث وأثرى .

أن نقول أن رصد الحركة هي أسلوب الفنان الكريتى الذى يميزه عن غيره من الفنون • فمناذجه الفنية تتحرك بركة وبدلال محيين الى النفس ولا تقتصر الحركة على النماذج الفنية واللوحات التصويرية فحسب ، بل تمتد لتشمل الزخرفة التجريدية نفسها والتي تفيض بالخطوط المتعرجة والمتوترة التى تبدو وكأنها تتحرك حتى عناصر الهندسة المعمارية أيضا شملتها فكرة الحركة والتنوع الحى وباختصار يمكن أن نلخص فلسفة الفنان الكريتى فى عبارة هي : أن الحركة الدائبة هي التشخيص السائد لهذا الفن • Motion is the ruling characteristic of Cretan Art.

كما يتميز الفن الكريتى بمشوق الفنان الشديد وولعه بالوان الزاهية والمتنوعة Polychrome وهو عنصر مكمل للحركة والحياة • ما من أحد ينكر أن الفن الكريتى هو وليد الخلق والابداع المطلق ولكنه فى نفس الوقت مرآة للطبيعة وانعكاس لعناصرها •• أنه برهان يثبت مدى عشق الانسان للطبيعة بروح يفرها المرح والبهجة والسرور، أساسه الانطلاق الحر الذى ليس فيه مكان للخوف أو القزع أو حتى القلق فمثلا نجد الفنان الكريتى على خلاف فناني الحضارات القديمة سواء فى مصر أو فى بلاد ما بين النهرين لا يعبر فكرة الموت أو تدويره أى اهتمام على الإطلاق •

لقد ظلت حضارة كريت مزدهرة وغنية وقوية على مدى ألف وخمسمائة عام وهى العمر الذى يقدره لها علماء الحضارة بعد أن عكفوا على دراسة كل كبيرة وصغيرة أخرجتها الحفائر الأثرية أو استخرجت من بين نصوص التراث الأدبى القديم • وكان علم دراسة الأواني الفخارية سواء من ناحية الصناعة أو أسلوب التصوير عليها من أهم العوامل التى ساعدت على وضوح ملامح الحضارة خاصة فى فترات الازدهار من الطفولة حتى النضوج أو من الأسلوب البدائى حتى الأسلوب الفنى الرفيع كما يجب ألا ننسى فضل أساتذة النقوش فى تقديم معلومات قيمة عن هذه الحضارة كذلك فإن نجاح علم الدراسات المصرى Egyptology كان له أكبر الأثر فى اكتمال الصورة عن حضارة

كرت لأن الحضارة المصرية بعصورها الكبرى الثلاث تكاد إن تناصر حضارة كريت كما أن الحفائر المصرية الناجمة التي قام بها الأثريون البريطانيون في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في المدن المصرية القديمة أخرجت مصنوعات كريتية أمكن إعطائها تقديرات تاريخية محددة (١) . وبالرغم من أننا لا نجزم بدقة التقديرات الرقمية في تاريخ الحضارة إلا أن الآراء تكاد أن تتفق على تحديد الحضارة الكريتية أو المينوية بفترات ثلاثة هي :

أولاً : مرحلة العصر المبكر من حوالي ٣٠٠٠ إلى ٢٦٠٠ ق م وهي الفترة التي شهدت التطور والانتقال من حضارة العصر الحجري المتأخر (neolithic) إلى الدخول في عصر استخدام النحاس والبرنز Bronze Age وهذه المرحلة في تاريخ كريت تقارب زمنًا عصر الأسرات أو عصر بناء الأهرام في مصر . ولقد حاول علماء الحضارات المقارنة إثبات علاقات مباشرة بين مصر وكريت منذ هذه المرحلة متدين على الآثار المتبادلة ولكن من المرجح أن الاتصال بين البلدين لم يكن مباشرًا في هذه الفترة بل كان يتم عن طريق طرف ثالث وهم التجار الفينيقيون وذلك لأن السفن التجارية كانت بدائية في هذا العصر ولا تستطيع أن تقطع رحلة طويلة مباشرة عبر قلب البحر المتوسط من كريت إلى مصر بل كان البحارة القدماء يفضلون السير بسحاذاة الشواطئ ضامنًا للامن وللتسوق في كل مرحلة من مراحل الرحلة وعلى ذلك فإن الرحلة كانت تبدأ من كريت إلى الساحل السوري ثم تسير السفن جنوبًا بسحاذاة هذا الساحل ثم تتجه غربًا بسحاذاة الشاطئ المصري وليس من المستبعد أن تمتد الرحلة حتى شواطئ ليبيا ثم تعود من ليبيا رأسًا إلى كريت لقرب المسافة بينهما . والذي لا شك فيه أن الاتصال المباشر بين مصر وكريت لم يتم إلا بعد أن أصبح

(١) انظر : قدماء المصريين والأفريق - بحث في العلاقات بين الشعبين من أقدم الأزمنة إلى نهاية الدولة الحديثة - تأليف جان فركوتيه وترجمة محمد علي كمال الدين ودكتور كمال الدسوقي ومراجعة دكتور محمد صقر خفاجة - الناشر دار النهضة العربية القاهرة (١٩٦٠) ص ٣٠ وما بعدها وكذلك ص ١٠٤ وما بعدها

الأسطول المصرى قويا ومسيطرأ على شرق البحر المتوسط. وذلك فى عصر الدولة الحديثة أو قبلها بقليل .

وأهم ما يميز هذه الفترة حضاريا هى أن كريت كانت تعتمد على الاستقبال أكثر من الإرسال الحضارى لأن كريت خلالها استقبلت الكثير من حضارة مصر والشرق القديم — خاصة معبد النحاس والبرونز — وطوره وبالتالي لم يكن للحضارة الكريتية شخصية مميزة ومستقلة . ولما كانت كريت تعتمد على الشرق القديم فى بناء حضارتها إبان هذه الفترة فإن مدنها الهامة قامت فى طرف الجزيرة الشرقى .

ثانيا : مرحلة العصر الوسيط : ويحدده العلماء تقريبا بالفترة ما بين ٢١٠٠ الى ١٥٥٠ ق.م . وهى فترة تكاد أن تعاصر حكم الدولة الوسطى لها بدأت الحضارة تنتقل رويدا رويدا الى الوسط حيث بدأت المدن الكبرى فى وسوس العاصمة وفايستوس Phaistos وتوليسوس Tyllisos وغيرها . كذلك ازدادت سطوة المينوس الحاكم من قصر التيه فى العاصمة والمعروف بقصر اللايراث . كذلك ساد المجتمع الكريتى موجه من الرخاء والترف نتيجة لظهور طبقة من التجار الأغنياء الذين بنوا لهم قصورا على نبط قصر التيه .

وفى حوالى عام ١٧٥٠ ق.م . لاحظ العلماء حدوث دمار جزئى فى بعض طبقات القصور التى أعيد بعد ذلك ترميمها وأعزى البعض ذلك الى حدوث سلسلة من الزلازل التى سادت المنطقة كلها وتسببت فى احداث هرج سكاني كما أعزى البعض هذا الدمار الى اضطرابات اجتماعية ضد الطبقة الحاكمة ولكننا نميل الى الرأى الاول .

ثالثا : مرحلة العصر المتأخر: ويحدده العلماء الى الفترة ما بين ١٥٥٠ — ١٤٠٠ ق.م . وهى تقارب فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة وبناء الامبراطورية المصرية وأهم ملامحها ازدياد الاتصال المباشر بين القرعنة

في مصر والمينوسيين (جمع مينوس) (١) في كريت ، ووصلت سفن التجار الكريتيين أو الكفتيو (٢) كما سماهم المصريون - الى الشواطئ المصرية بل ومن المرجح أن كانت لهم جالية مقيمة في مصر ، وبازدياد قوة الأسطول المصري وفرضه السيطرة المصرية على شرق البحر المتوسط ازدادت التجارة والتبادل الحضاري بين البلدين ووجد التجار الكريتيون في السلام المصري Pax Aegyptiana فرصة للعمل في ظلالة فباركوا هذا السلام واعترفوا بسيطرة مصر وباركوها وقدموا الهدايا للفرعون المصري رمزاً للسلام خفاً على تجارتهم سواء في مصر أو في مناطق النفوذ المصري . ولم يكن المينوس في كريت أقل سطوة من الفرعون في مصر فبسط نفوذه من قصره الكبير وسيطر أسطوله على بحر ايجيه وموانئ بلاد اليونان . لقد بلغت الحضارة الكريتية أوج عظمتها ابان هذه الفترة كما تشهد الآثار المستخرجة من القصور ومن المنازل والقبور وكان يمكن أن تذهب الحضارة والتقدم الى أبعد من ذلك لولا أن دماراً شاملاً ومفاجئاً حل بالجزيرة وأودى بمجدها السياسي . ويظهر هذا التدمير في شكل حرائق وتخريب متعمد مما يدل على تعرض الجزيرة لهجوم معاد من شعوب بحرية . كما أن الغزو لم يقتصر على كنوسوس وحدها بل تعداها الى كافة المدن الأخرى ، وقد أدى هذا التخريب الى انهيار الحضارة الكريتية الى الأبد . اذا لم تستعد كريت مجدها وسيطرتها التي كانت عليها في الأيام الخوالي حتى بعد تعمير مدنها المخربة .

ويرى بعض العلماء الحضارة والتاريخ أن الموكيين هم المسئولون عن هذا الدمار والتخريب الذي حل بكريت (٣) ، وكان الموكينيون قد تسلموا الى شواطئ كريت منذ قرن قبل حدوث الكارثة . ويفترض العلماء أن التنافس التجاري بين كريت ومدن بلاد اليونان مثل موكيناي

(١) وأحياناً سموهم حلونيبوت أى شعوب البحر ، كذلك فقب المصريون البحر الأبيض المتوسط باسم واج - ور (الأخضر الكبير) .

(٢) يتوارى ذكر الكفتيو في النقوش والآثار المصرية حوالي عام ١٢٥٠ ق.م ويظهر بعد ذلك بقرن ونصف اسم الأخابواشا Akatusha أى الأخيون حتى يودج المرجح السابق ص ٣٤ ملحوظة (١) .

وتيرنس وبيلموس Pylos والتي كانت في الأصل مناطق نفوذ مينية ،
قد ازداد في الفترة الأخيرة حتى وصل الى الاصطدام المسلح الدموى
والذى انتهى بهزيمة الخصم الأول وانفراد بلاد اليونان بالبحر المتوسط
والتجارة فيما وراء البحار . وبالرغم من وجاهة هذا الرأى الا أنه
لا يزال مجرد افتراض محض .

ولكن الذى لا شك فيه هو انتقال مركز القوة والسيادة من كريت
الى بلاد الب نان بعد عام ١٤٠٠ ق.م . تقريبا حيث ازدهرت في شبه
جزيرة البيل بونيسوس المدن الكبرى كوريشة للحضارة الكريتية خاصة مدينة
موكيناي ولذا آثر العلماء أن يطلقوا اسمها على العصر كله بل وعلى
حضارة أيضاً . ومما يؤكد وصول الحضارة المينية الى قمته ما بين
١٥٠٠ - ١٤٠٠ هو الثراء الوضح في الأساطير الاغريقية التى تتحدث
عن عظمة كريت وسطوتها ابان هذه الفترة كما أن علم الآثار يكشف
بوضوح انتشار المصالح الموكينية شرقا فيما بين ١٤٠٠ - ١٣٥٠ ق.م
تقريبا . قد شمل هذا الانتشار جزر رودس (Rhodes) وقبرص Cyprus
والمدن الكينية مثل أوغاريت (رأس شامرة) وبيلموس (بيت جبيل) ،
بل ووصل هذا الانتشار التجارى الى السواحل المصرية . وهذا يؤكد
الرأى السابق بأن الموكينيين هم المسئولون عن تدمير الحضارة المينية
وزوال مجد كريت بدافع التنافس التجارى .

وعلى أى حال فان السيطرة الموكينية لم تدم طويلا كما سنرى فيما
بعد ، لأنها انهارت هي الأخرى بعد قرنين ونصف قرن من سقوط كريت
نتيجة لغزو قبائل جاءت من شمال بلاد البلقان تعرف بالدوريين Dorians
ويتميز هؤلاء باستخدام أسلحة حديدية وبذلك وضعوا نهاية لحضارة
العصر البرونزى كله . ومن بلاد اليونان انتشر الدوريون الى أجزاء
مختلفة من بينها كريت . وما أن جاء القرن الثامن حتى كان الدوريون
يسيطرون على مدن الجزيرة وقراها سيطرة تامة . وبذلك بدأت كريت
عهدا جديدا استمر حتى احتلال الرومان لها في القرن الأول قبل الميلاد ولم
تعد كريت - منذ سقوط حضارتها - تلعب أى دور هام وفعال في
الأحداث التاريخية التى سادت أوروبا القديمة حتى العصر الحديث .

والآن لتسائل ماذا قدمت كريت للحضارة الهلينية (١) ؟ ان اعظم ما قدمت كريت لهذه الحضارة هو التراث الدينى والفنى الذى ظل حيا فى الحضارة الموكينية ثم فى تراث حضارة بلاد اليونان فيما قبل العصر الكلاسيكى وبعده . وهناك الكثير من الأساطير الاغريقية التى يمكن تتبع جذورها الى العصر المينوى فى كريت كأسطورة ثيسوس والمينوتور وارربادنا . ذات الصفات الطويلة ، وكأسطورة دايدالوس *Daidalos* مهندس قصر التيه . كذلك سجل لنا هوميروس ملاحظات عرضية ولكن هامة - تضمنتها ملحمتاه الغالدتان الألياذة ولأوديسا جمعها العلماء وأضافوها الى تراث المعرفة المتراكم عن حضارة كريت . وفى القرن الخامس قبل الميلاد عالجت كتابات هيرودوت وثوكوديديس من بعيد دور كريت فى الأحداث التى سادت العالم الاغريقى . ولكن اهتمام المؤرخين بكريت لم يكن بالقدر الذى أولاه الفلاسفة الاغريق لها . فقد وجدوا فيها منجبا غنيا للمعرفة العامة خاصة فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية والأسس التى تقوم عليها . خاصة أرسطو الذى راح فى كل مناسبة يتحدث عن مكائنها وأهميتها . وكذلك كان أفلاطون أستاذ أرسطو - قد فعل قبله .

لقد كانت كريت دائما وأبدا حقل التجارب الاجتماعية (٢) والسياسية والمنجم الفنى بالتراث الذى نهل منه فلاسفة الاغريق فى بحثهم عن المثل العليا وعن جذور الظواهر الاجتماعية وأسسها التى تقوم عليها فهم النموذج الأمثل الذى تقوم عليه فلسفة أرسطو من أن السلوك الاجتماعى (أو السياسى) سلوك انسانى قديم قدم الزمان . وكان لحسن الحظ أن وصلت إلينا ملاحظات أفلاطون وأرسطو عن كريت كاملة فى أعمالهم الفلسفية لأن القدر الهائل من كتابات المؤرخين الاغريق عن كريت ابان

(1) cf. Franz es Wilkins : Ancient Crete (A Young Historian Book) Weldenfield and Nicolson, 1966.

ومن فضل كريت على الفلسفة الاغريقية انظر :

Burnet : Early Greek Philosophy, p. 2.

(2) cf. E. F. Willets : Ancient Crete-A Social History From Early Times Until the Roman Occupation London 1966, p 40 f.

العصر الهلينيستي قد فقدت واندرت الا من قدر ضئيل من الشذرات التي تحوى معلومات متفرقة . حقيقة ، لقد تحدث المؤرخ العظيم بوليبيوس Polybios الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد - عن كريت ولكنه عندما كتب عنها كانت كريت في مركز سياسي منهار - ولم تكن تلمب سوى دورا صغيرا ومحدودا في الصراع بين روما الناشئة وبلاد اليونان المقاومة لاحتلالها وسيطرتها والذي هو بهدف المؤرخ الأول . أما استرابون الجغرافي والذي كتب في القرن الأول قبل الميلاد بعد أن زار كريت ، فقد ترك لنا معلومات قيمة عن كريت ولكنها كانت تدور في الدرجة الأولى حول دياتها القديمة .

كذلك لم تفلح كريت من كتابها وشعرائها الذين سجلوا تراثها القومي الخاص . فمثلا نسمع عن موسيقار كريت الشهير ثاليثاس Thaletas والذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد والذي قيل أنه قد سافر الى اسبرطة ليعرض على الناس آخر ما توصل اليه وهو علاج وباء الطاعون عن طريق الموسيقى حيث مكث في اسبرطة زمنا واستطاع أن يقوم بتطوير الموسيقى الاسبرطية . كذلك نسمع عن شاعر كريت الشهير أيبينيديس Epimionides الذي زار أثينا أبان حكم المشرع سولون . ولكن للأسف لم يتصل إلينا شيء من مؤلفات هذا الشاعر . ومن أشهر ما وصل إلينا من أدبيات أغاني هوبرياس Hybrias التي يرجع أصلها الى القرن السادس قبل الميلاد وفيها يتغنى مؤلفها على لسان شريف من أثينائها بالحياة الهائلة وهو خال البال هادئ النفس في وقت كانت فيه الأحداث تمصف بمدن بلاد اليونان وقراها ورياح الصراع الدموي توججها بين حكم الطغاة Tyrants وبين حكم الديمقراطية الوليدة (١) .

ولقد أضاف العلماء الى رصيد معلوماتنا عن كريت في العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر معلومات جديدة وغزيرة مصدرها الحفائر

(١) عن نهضة كريت خلال الفترة ٦٢٠ - ٥٨٠ ق.م انظر :

H. Hoffmann : Early Cretan Armour (with Collaboration of A. E. Raubitschek) Mainz p. Von Zabern, 1972.

الأثرية ومجموعات علماء النقوش اليونانية بالذات . فقد جمعت كل النقوش في كريت في أربع مجلدات كبيرة أشرفت على نشرها الطالبة الإيطالية مارجريتا جواردوكي *Margarita Guarducci* مظهرها يدور حول الدساتير الخاصة بمدن كريت المختلفة والتميزة بتراتها الخاص المستقل كل عن الأخرى ولكن من وجهة نظر الأشراف أو الارستقراطيين . وتمتد هذه المعلومات حتى القرن السابع قبل الميلاد . ولقد صنف العلماء طويلا عندما وصلت الى أيديهم نقوش مجموعة جورتيينا القانونية *Code of Gortyna* وجورتيينا ثاني مدن كريت بعد كنوسوس . وكانت هذه المدينة هامة لأن هوميروس ذكرها في ملحنيته وكانت من الأهمية أن جعلت الرومان يختارونها فيما بعد كعاصمة لاتحاد ولايتي كريت وقورينه بعد الفتح الروماني لهما عام ٦٧ ق م . كما كانت تقع على الطريق الاستراتيجي الهام الذي يربط فايتوس *Phaistos* بهيراكليوس *Herakleion* ولهذا السبب أولاهها الرومان نهاية خاصة . ان قصة العثور على نقوش هذه الموسوعة القانونية مثيرة للغاية . فقد عثر على جزء منها منقوشا على حجر مبني في جدار طاحونة عام ١٨٥٧ واشتراه مندوب متحف اللوفر ونقله الى باريس حيث أصبح محل دراسة العلماء والمتخصصين الذين وجدوا صعوبة بالغة في نقل نصوصه وترجمتها لتقديم الطريقة التي كتبت بها وأخيرا أدركوا أنها جزءا من قانون عام يدور حول حق الارث وحق التبني وأنه لا بد من العثور على الأجزاء الباقية من هذا النقش وسارع الأثريون الى التنقيب مكان هذه الطاحونة فقام العالم الأثري هالبر *Halbherr* بعمل حفرة عميقة داخل جدار الطاحونة وتمكن من اخراج أربعة أعمدة منقوشة ولكن آخرها غير مكتمل وهذا دليل على وجود بقية له . وحاول هالبرر تباع البقية الباقية منه ولكنه لم يحصل على ترخيص التنقيب فتوقف عن البحث وحمل ما عثر عليه وسافر الى هيراكليوس حيث قابل العالم ارنست فابريكيوس *Ernest Fabricius* مندوب المعهد الألماني لجميع الآثار في كريت وعرض عليه المشكلة وسرعان ما عباد فابريكيوس الى مكان الطاحون حيث تمكن من الحصول على اذن من صاحبها بمواصلة

التنقيب واستطاع في نهاية الحفر أن يخرج ثمان أعمدة بنقوشها الواضحة في حالة جيدة فأصبح مجموع الأعمدة الشاملة لهذه الموسوعة القانونية اثني عشر عموداً تكون نقشاً كاملاً على جدار واحد دائري الشكل يبلغ قطره حوالي مائة قدم . ويرجح العلماء أن هذا الجدار الدائري هو جزء من مسرح كبير قديم منذ القرن الأول قبل الميلاد وهذا المسرح كان بدوره جزءاً من مبنى محكمة قديمة ومجموع هذه الأعمدة ٦٠٠ سطر ويشمل كل عمود على متوسط ٥٣ الى ١٦ سطراً كتابياً .

لقد كان العثور على مثل هذه الموسوعة القانونية انطلاقة جديدة في حقل تراث كريت وحضارتها ، فهو مكتوب بطريقة قديمة متعرجة ٢٠١ من اليمين الى اليسار ثم من اليسار الى اليمين بطريقة أسماها علماء الإخطوط طريقة المجراب Boustrophedon . كما تشمل حروفها الأبجدية بعض الحروف اليونانية القديمة التي سقطت من الاستخدام بعد تطويرها مثل حروف الديجاما أو الواو وعلى أي حال تمكن العلماء من تحديد عمر النقش الى الفترة ما بين ٤٨٠ الى ٤٥٠ ق م وهو يسجل مواداً قانونية وتشريعية يرجع تاريخها الى قرون عديدة سابقة . وما أن اكتمل النقش حتى تسابق العلماء الايطاليون والالمان بالذات الى نشره وشرحه وتفسيره ، كل له وجهة نظره الخاصة ، ويحيى على رأس المتنافسين كمباريتي الايطالي Comparetti وفابريكيوس الالماني . فظهرت نسخة الالمانية عام ١٨٨٤ والايطالية عام ١٨٥٥ . وتلى ذلك مؤلفات عديدة لعلماء من كل الجنسيات تتفق في الأصول وتختلف في الشروح والتفسيرات وتحمل تعليقات مختلفة بل أنه لا يزال هناك نقاط لا تزال موضعاً للخلاف والجدل .

ان العثور على موسوعة قوانين جورتيانا من أهم الانتصارات العلمية التي حققتها العلماء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فهي أول مصادر التشريع الأوروبي القديم وأعظم مجموعة قوانين عرفت منذ حمورابي ، كما أنها معلومات واضحة وأصلية تكشف عن الحياة الاجتماعية وأسس السلوك الاجتماعي في أعظم وأكبر مدينة في كريت

إبان النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد ، بل بإضافتها الى
رصيد المعرفة ، تكتمل الصورة عن حضارة كريت •

وخلاصة القول أن دراسة الحضارة المينوية تشتمل على جانبين
هامين هما :

(١) أهية الفن في كريت وفضل الحضارة المينوية على الحضارة

الهلينية :

خاصة بعد أن كشفت حفائر سير آرثر إيفاتز عن تقدم كبير في
مجال العمارة والتصوير على الحواظ واتفال هذا الأسلوب العيوى
بألوانه المتعددة الزاهية الى الحضارة الموكينية ثم الى الحضارة الهلينية
ما قبل الكلاسيكية وما بعدها ، ومن مجال الفن يمكن الدارس أن
يخرج الى مجال التراث الدينى والأسطورى واللغوى والتشريعى وبه
يمكن ارجاع حضارة بلاد اليونان الى مصادرها الأولى (١) •

(ب) دراسة العلاقات المتبادلة والحضارة المقارنة بين مصر وكريت :

وهو موضوع شيق خاصة بالنسبة للمهتمين بتاريخ العلاقات
الكريتية المصرية ، أو المينوية - الفرعونية • اذ كشفت الحفائر في كل
من البلدين عن مواد أثرية متبادلة (٢) ، كما أن طريقة الكتابة الأولى في
كريت كانت تصويرية قريبة الشبه بالكتابة الهيروغليفية كل صورة فيها
تمثل حرفا كتابيا • ومن أمثلة هذه الحروف رأس الثور أو عين الانسان
أو بوابة المنزل هذا الى جانب طريقة الكتابة المتطعية المعروفة بالمجموعة
الخطية الأولى Linear A • كذلك صور الفن المصرى أهل كريت
الذين عرفوا بأهل كفتيو Keftiu وهم يقدمون الهدايا لفرعون مصر
بل أن الفن الكريتى الدقيق أثر في الفن الفرعونى وأكسبه رشاقة
وحركة •

(١) H. T. Bossert, The Art of Ancient Crete London (1937), p 1.1.

(٢) انظر جان فيركوبه : المرجع السابق ص ٣٠ - ١٢٠ .

٢ - الحضارة الموكينية :

منذ بداية تراكم المواد والمعلومات الأثرية عن الموكينيين وعلماء الآثار يعاولون الكشف عن عنصر هذا الشعب الذي صنع تلك الحضارة ومن الطبيعي أن تتجه أقطار العلماء في أول الأمر جنوباً إلى كريت التي ذكرتها الأساطير والتراث الشعبي إن كان لها علاقة وثيقة ببلاد اليونان أبان العصر البرونزي وكما أن سليمان تطلع ذات يوم للتفتيش عن آثار كريت لولا أن مشيئة القدر عاقته لكي تبقى هذه المهمة إلى آثار كريت أيفانوس . وهذا لاشك دافعه وجه التشابه الكبير بين حضارة كريت القديمة وحضارة الموكينيين في العصر البرونزي ووصل من شدة مراعاة هذا التشابه أن اعتقد أيفانوس أن كريت لا بد وأن تكون قد سيطرت على جزء من جنوب بلاد اليونان في وقت ما وأن موكناي لم تكن سوى ميناء كريت البحري في شبه القارة اليونانية . وسيظل علم التاريخ والحضارة مدينًا لأيفانوس بالكثير لأنه وضع الفرق ما بين ما هو « مينوى » وما هو « موكنى » بل وأثبت أن كريت هي الأصل . وعلى أي حال فقد أدى ذلك التشابه إلى إثارة نوع من الخلط بين الحضارتين وبدأ العلماء والمختصون في التساؤل من هم الموكينيون ؟ إن الأدلة الأثرية تشير إلى أن الموكينيين هم أجداد « الاغريق الأولين » ولكن بقيت المشكلة : إلى أي قدر من « الاغارقة » كان الموكينيون ؟ (١)

إن الأدلة القاطعة تشير إلى أن بلاد اليونان خلال العصر البرونزي كانت دائماً محط العديد من القبائل المتجولة والشعوب الغريبة التي كانت تهاجم سكانها الأول الذين كانوا ينحدرون من جنس البحر

(١) سيجد الراغب في المزيد من المعلومات كل المراجع الخاصة بالحضارة الموكينية في مقالتي «أصواء على الحضارة الموكينية» - مجلة كلية الآداب - المجلد التاسع والعشرون - ١٩٧٣ ص ٦١ إلى ص ١١٦ .

الأبيض المتوسط وعن طريق امتزاج هذه الشعوب المتجولة بالسكان الأصليين خرج العنصر الذي سمي في العصور التالية بالأفريق . أما من الناحية الحضارية فقد شهد معظم العلماء بأن هناك خط حضارى مستمر منذ العصر البرونزى حتى العصر الكلاسيكى . ولكن هذا الاستمرار الحضارى تعرض للتفجح حضاريا وجنسيا بناصر جديدة فشلا ما بين ١٩٠٠ و ١٨٠٠ قبل الميلاد أى في فترة الانتقال ما بين العصر البرونزى المبكر والعصر البرونزى الوسيط يظهر عنصر جديد . هذا العنصر الجديد يعلن عن نفسه بتعبير جديد في الحضارة أهمه هو نوع جديد من الأواني الفخارية أطلق عليه شليمان اسم مينائى Minyan (نسبة الى القبيلة التى كانت تسكن مدينة أورخومينوس التى منها انحدر الملك مينياس Minyas) هذا الفخار « المينائى » يكاد يميز نفسه عن باقى أنواع الفخار التى كانت مستعملة قبل ذلك بجودة خامته وصناعته ومن الواضح أن أشكال هذه الأواني كان محاولة لتقليد أواني معدنية مثل الفضة . كما كان يتميز بنعومته ولونه الرمادى . وقد أمكن تتبع وجود هذا النوع في سهل طرواده (على ساحل تركيا) كما أنه خرج بكثرة من الطبقة السادسة من طرواده ، وقد فسر العلماء وجود نوع وجود هذا النوع في سهل طرواده (على ساحل تركيا) كما أنه خرج لغزو من قبل عنصر سكاني واحد . وإلى جانب الأواني الفخارية قام العلماء بمقارنة أوجه كثيرة للحضارة مثل هندسة القبور والقصور والمنازل وغيرها من العناصر التى تكون الحضارة وخرجوا بنفس النتيجة التى خرجوا بها من دراسة الفخار المينائى ، كما أثبتت الدراسات اللغوية اليونانية دخلت مع هؤلاء الغزاة الذين جاءوا بهذا النوع من الفخار .

لقد سبق أن أشرت الى ملاحظة المهتمين بالدراسات اللغوية الى بقايا أسماء مناطق ومدن في بلاد اليونان في العصور الساحقة ممن تنتهى نهايات غربية مثل Zakynthos وبارناسوس Parnassos وهيميتوس Hymettos هذه الأسماء وغيرها اعتبرها علماء اللغة نوعا أوليا من

اللغة اليونانية وجدت على نطاق واسع في كريت وحوض البحر الايجى .
 اذا كانت كل هذه المنطقة ذات حضارة متقاربة ابان العصر البيرونى
 ولقد ثبت أن هذا النوع من اللغة اليونانية المبكرة كان موجودا أيضا في
 شمال غرب هضبة الأناضول حيث يعتقد العلماء الآن أنه مصدر ذلك
 الغزو وليس منطقة البلقان كما كانوا يظنون سابقا . وقد أيد ذلك
 التوصل الى أن اللهجة الأركادية القبرصية (Arcado-Cypriot) أحد
 اللهجات الكبرى الأربعة في اللغة اليونانية هي أكثر اللهجات اليونانية
 أصالة ، والمعروف أن منطقة اقليم أركاديا الجبلية الوعرة هو الاقليم
 الوحيد في ايليبونيز الذى لم يتعرض للغزو ، ومن ثم فقد تدفق عليه
 اللاجئون الموكينيون ومعهم لسانهم وحضارتهم . وما يؤكد ذلك وجه
 التشابه الكبير بين اللهجة الأركادية ولهجة أهل قبرص رغم البعد
 الشاسع بين الاقليمين والذى يفصل بينهما البحر الأبيض ولذا فقد أطلق
 علماء اللغة على اللهجتين اسما واحدا ومشاركا هو اللهجة « الأركادو -
 قبرصية » ، والمعروف أن قبرص قد وقعت لفترة طويلة تحت تأثير
 الحضارة الموكينية وقد ثبت ذلك من خلال الملامح الأثرية لقبرص . اذا
 أصبح من الواضح أنه منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد بدأت تتدفق
 على بلاد اليونان قبائل من أصل هندو - أوروبى وتحدث لغة هند
 أوروبية . ويبيل العلماء الى الاعتقاد بأن هذه القبائل جاءت من الشرق
 عبر هضبة الأناضول الى طرواده ، كما تعرف العلماء على نوع مشابه
 للفقار « المينائى » في شمال شرق ايران ، والى جانب ثقافات الفخار
 المينائى تعرف العلماء لأول مرة على عظام الجياد فى الطبقة السادسة من
 طروادة كما دفعهم تزايد أهمية الجياد فى الحضارة الموكينية الى الاعتقاد
 بأن الجواد قد دخل عن طريق هؤلاء الغزاة ، ولهذا يعتقد العلماء أن
 هؤلاء الغزاة قد جاءوا عن طريق البر عبر منطقة القوقاز وشمال البحر
 الأسود الى شمال بلاد اليونان ثم جنوبها وليس كما كان يعتقد آنفا
 بأنهم جاءوا عن طريق البحر نظراً لصعوبة نقل هذه الجياد عن طريق
 السفن . ولكن كل ذلك يبقى مجرد افتراض لأن ليس لدينا ما هو
 يقطع بكيفية دخول هؤلاء الاغريق الى بلاد اليونان ولكن آثار طريقهم

تظهر عن طريق تتبع شقافات الفخار المينائي من بلاد اليونان الى مقدونيا ومنطقة خالكيدىكى (Chalkidice) ولكن ينعدم وجود هذا الفخار في منطقة تراكيا Thracia مما قد يجعل الباحث اذا ما تخصص خريطة بلاد اليونان لا ينفي افتراض نقل الجياد بالبحر من ساحل طروادة على الجانب الشرقى للبحر الايجى الى منطقة خالكيدىكى بشعبها الثلاث ثم الى مقدونيا وجنوباً الى بلاد اليونان +

ويؤكد ذلك ما نسمعه عن وجود مثل هذا النوع من الفخار في بعض جزر بحر ايجيه ومن الواضح أن عملية دخول الاغريق الى بلاد اليونان تمت على شكل هجرات وموجات متوالية من الهجرات على فترات متباعدة قضوا خلالها على آثار العصر البرونزى المبكر وأقاموا فوقها حضارتهم الجديدة + وعلى امتداد قرنين من الزمان تفاعل الغزاة الجدد حضارياً وعنصرياً مع سكان المناطق الأصلية واستوعبوا حضارتهم وثقافتهم وأدخلوا اللسان الاغريقى عليهم ، وبالتدرج دعوا وجودهم وكان من نتيجة توفر الاستقرار السياسى ازدياد الرخاء الاقتصادى والامداد الحضارى ، وكان لعامل البحر من تجارة وقرصنة بحرية أثره الكبير في تشكل هذه الحضارة (وقد سبق أن أشرنا أنهم قد فاقوا الحضارة الكريتية سيطرة على البحار) التى تظهر معالمها منذ أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد قريبة الشبه من الحضارة المينوية مما أدى الى افتراض بعض العلماء أنها كانت تقع تحت سيطرة حضارة كريت وتأثيرها + ولكن سرعان ما تكشفت شخصيتها المستقلة مما دعى الى الاتفاق على تسميتها بالحضارة الموكينية +

• يبع الفضل الى الالياذة في معرفتنا للممالك الموكينية الكثيرة : منها مملكة يولكوس في اقليم تساليا Thessalia ومملكة طيبة Thebes وأورخومينوس Orchomenos في بويوتيا Boeotia ومملكة أثينا في اقليم اتيكا Attica ولكن مركز الثقل السياسى والحضارى كان يتركز في منطقة البيلوبونيز : حيث فرضت مدينة ييلوس Pylos نفسها على اقليم مسينيا Messenia وفرضت مدينة موكيناي Mycenae

سلطانها على منطقة أرجوليس Argolis بما فيها من مراكز ومدن صغيرة مثل تيرنس Tiryns غيرها ولا يزال البحث والتنقيب على قدم وساق في منطقة لاكونيا التي تطل على البحر وتقع في الطرف الجنوبي لاقليم البيلوبونيز Peloponnese والتي تفصل بين منطقة الأرجوليس في الشمال الشرقي ومسينيا في الجنوب الغربي من أجل الكشف عن حضارتها في العصر الموكيني وتحديد مكان عاصمتها . وكانت كل مملكة تحتل سهلا أو واديا أو هضبة يطل على واد يتوسطها المدينة الأم Metropolis وقلراً لصعوبة التضاريس الجغرافية في بلاد اليوقان حيث كانت تفصل بين السهول والوديان معوقات جغرافية مثل الجبال فقد عاشت كل مملكة في معزل عن الأخرى على الأقل من ناحية البروبقى البحر هو وسيلة الاتصال الوحيدة بينها . وبالرغم من أن الحضارة الموكينية تحمل الكثير من ملامح الحضارة المينية إلا أن الآثار تظهر الموكينيين في مظهر يختلف عن المينويين إذ يظهر الموكينيون على الرسومات المسجلة على الأواني الفخارية قوم طوال القامة صفر الشعر ، ذوي بشرة شقراء لهم لحى طويلة ويرتلون سراويل قصيرة وأقمصة ذات أكمام قصيرة ويتنطقون بأحزمة عريضة وأحياناً يلتفون بعباءة واسعة ، أما النساء فقد ظهرن بنفس طريقة اللباس الكريتى ومن الواضح أنهم جلبوا معهم أسرهم وما لديهم من متاع تماماً مثل الفوط والقرنجة .

ومن المظهر العام للحضارة الموكينية نستطيع القول بأن حضارتهم كانت أكثر بساطة وأقل بذخاً من الحضارة المينية وأشد ميلاً للنظام والنظافة . ففى قصورهم ومنازلهم كانوا يتخلصون أولاً بأول من القمامة وبقايا المستهلكات عن طريق مصارف مياه المطر وكان القصر الملكى هو مقر الدولة ، وعظمة الملك الجالس على العرش وبذخه رمزاً للبذخ والترف لهذه الحضارة ولكن بصورة أكثر تعقلاً ، وقد بنى الموكينيون مدنتهم فوق قمم التلال والهضبات وحصنوها كما فعل الحيثيون بالقللاع والحصون ومن المدينة المحصنة - كما نشاهد في

حالة مدينة موكيناي تتشعب شبكة من الطرق إلى المناطق الحضارية المختلفة داخل المملكة .

تنعكس عظمة الدولة الموكينية في عظمة قصر الملك الحاكم وسلطانه ومن دراسة القصور يتضح وجود نوع من المركزية البيروقراطية ربما تعلمها الموكينيون من النظم التي كانت سائدة في مصر وبابل . وكان الملك يلقب باسم « واناكس » Wanax ^(١) وهو لقب ديني مما يدل على أن الملك كان كاهنا أعظم وشخصيته مقدسة إلى جباب مركزه السياسى ، وولى الملك من ناحية السلطة قائد الشعب لا واجتياز Lawagetas وأغلب الظن أنه كان المختص بحماية شعب الدولة من خطر الغزاة . وكان له محرابا (Temenos) وحاشية وضياح تماما كالملك . وولى الملك وقائد الجيش أصحاب الضياح (Tereta) وكانوا يتبعون بحصانة دينية . وفي النهاية يأتي الأتباع bequetai وولى أكتافهم كان يقوم الجيش والدفاع والتوسع التجارى الخارجى .

أما عن ملكية الأراضى فقد كان بعضها خاصاً والآخر عاما . اذ كانت هناك أراضى موقوفة على الصالح العام أو لصالح المعابد والآلهة ، مثلا كشفت لنا الوثائق أن ضريبة كانت تجبى في مدينة ييلوس Pylos لصالح معبد الآلهة بوسيدون مرجف الأرض وجدير بالذكر أيضا أنه قد عثر على قوائم تسجل أسماء بعض العبيد والحيات التي جاؤا منها .

السجلات الكتابية ودورها في كشف النقاب عن الحضارة الموكينية :

استطاع العالم ايفانس أن يميز نوعين مختلفين من الكتابة أولهما بالمجموعة الخطية الأولى (Linear A) والثانية عرفت باسم نسوة الخطية الثانية (Linear B) وبالرغم من أن حفائر كريت قد كشفت عن كمية كبيرة من هذه الوثائق تفوق ما أخرج من أى مكان آخر في بلاد اليونان اذ بلغ ما أخرجه ايفانس من كنوسوس وحدها ما بين ٤٠٠٠ و ٣٠٠٠ وثيقة الا أن هذا النوع من الكتابة ارتبط ارتباطاً

(1) cf Lord William Taylor : The Mycenaean (Ancient peoples and places no: 39) Thames and Hudson London 1964, p 185 ff.

تكلية بحضارة بلاد اليونان وأصبح حل رموزه هو مفتاح للدخول الى متاهات الحضارة الموكينية بل اعتبر الدارسون أن العثور على مثل هذا العدد الكبير من السجلات المخطوطة للحضارة الموكينية ثروة ضخمة منت بها الظروف على علم الآثار لأن الحضارة لا تثبت شخصيتها الا بتوفر فن الكتابة وغيرها من وسائل التسجيل . وقد دعم ذلك وجود هذه الوثائق التي تسجل كتابات المجموعة الخطية الثانية بوفرة في القصور الموكينية في مدن بلاد اليونان المختلفة فأخرج من بيلوس Pylos ما يزيد عن ١٣٠٠ لوحة أو شذرات من لوحة وجدت في حجرة واحدة داخل بقايا القصر الملكي حتى أن علماء الآثار عرفوها باسم حجرة السجلات Archive Room ومن الطريف أن مدينة موكيناي أهم مدن بلاد اليونان في هذا العصر لم تخرج سوى سبعين وثيقة كتابية من هذا النوع مما أثار دهشة المعنيين بدراسة هذه الحضارة فافترضوا سببين : الأول أن ظروف البقاء Circumstances of preservation لم تساعد على حفظ الوثائق الكتابية وثانيهما هو جهل الأتريين الأول وعدم عنايتهم بهذه الوثائق . ولكن هذا السبب الأخير مستبعد اذا قرأنا تسجيلات شليمان الأثرية وحرصه الشديد وعنايته الفائقة بتسجيل كل قطعة أخرجت من الحفائر . ويميل العلماء الى قبول التفسير الأول وهو اندثار هذه الوثائق تحت تأثير عوامل الطبيعة . وهذه الوثائق عبارة عن لوحات طول كل منها ثلاث بوصات مختلفة الأشكال بعضها مستطيل وبعضها مربع والآخر مخروطي الشكل أشبه بشكل الخنجر ، ونظراً لدقة الكتابة عليها وغرابة أشكالها فإنه من الممكن أن تهمل هذه الوثائق ويلقى بها جانباً مع بقايا الشقافات المحطمة وتراب الحفائر كما أن كون الوثائق مصنوعة من الطين النقي Baked Clay الغير محروق عرضها للانحدار والتحلل بفعل تعرضها لتأثير الرطوبة . ويرجع الفضل في بقاء عدد من هذه اللوحات الى الدمار المفاجيء الذي حل بالقصور فحفظها تحت الأنقاض كما أن بعض هذه الألواح قد تحول بتأثير نيران الحرائق الى مادة صلبة أشبه بالصغار .

هكذا أمدتنا كريت وبغض بلاد اليونان - ويمكن أن نقول - وكذلك قبرص بهذه الوثائق التي تعتبر التسجيل الكتابي الوحيد لمحضارة بلاد اليونان في العصر البرونزي خلال الألف الثانية قبل الميلاد ، بل ربما كانت تلك الألواح الطينية هي للمادة الوحيدة التي نجت من دمار الزمان وربما كان هناك سجلات أخرى مدونة على الخشب والجمل والورق Parchment أو حتى أوراق البردى التي لم تساعد عوامل الطبيعة على البقاء فاندثرت .

وجدير بالعلم أن نضع بين يدي القارئ الظروف التي تمكن فيها العلماء من حل رموز المجموعة الخطية الثانية وكيف تم ذلك .

يرجع الفضل الى حل رموز المجموعة الخطية الثانية الى مهندس بريطاني اسمه ميخائيل جورج فنتريس Michael Georges Francis Ventris وشهرته مايكل فنتريس (١٩٢٣ - ١٩٥٦) الذي تمكن من حل رموز الكتابة الموكينية فنال شهرة واسعة قبل أن يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره . وكان أول بداية لفقت نظر مايكل فنتريس الى أهمية هذه الوثائق أثناء حضوره محاضر ألقاها سير ايانز وكان مايكل وقتئذ لا يزال طالبا في المدرسة الثانوية وألصقت الفتى وهو مرفف السمع الى حديث العلامة البريطاني عن هذه الألواح وكتابات الفرية والتي كان قد نقلها معه من كريت الى بريطانيا . واستهواه غموض هذه الكتابة وعكف يفكر ثم عبر رأيه فيها وهو لا يزال طالبا بالمدرسة في مقالة نشرتها له إحدى الصحف الأمريكية عام ١٩٤٠ توقع فيها أن تسفر الأبحاث عن وجود صلة قوية بين كتابة الاتروسكيين في ايطاليا وكتابة الخطية الثانية . ولما نشبت الحرب العالمية الثانية عمل ضابطا بالبحرية البريطانية ولم يمنعه هذا من متابعة دراسته في أوقات فراغه . وفي عام ١٩٥٢ وزع مايكل فنتريس على عشرة من كبار المتخصصين في هذه الدراسات قائمة تحمل عشرة أسئلة (Questionnaire) ثم علق على اجابتهم ونشرها في تقرير طبعه تحت عنوان Mid. Gentury Report ووزعه على ثقته الخاصة كما أخذ يصدر دورية مطبوعة

يعنوان Work Note تحمل آخر نتائج البحث وقد بلغ عدد هذه الدوريات (حتى الأول من يونيو عام ١٩٥٢ وهو اليوم الذي أعلن فيه عن توصله لحل رموز هذه الكتابة) عشرين عدداً يبلغ عدد صفحاتها جميعاً مائة وسبع وستين صفحة منسوخة على الآلة الكتابة . وكان العدد الذي صدر في الأول من يونيو عام ١٩٥٢ يحمل عنواناً يشير بتوصله الى سر هذه اللغة اذا كان يحمل عنواناً يقول « هل كانت ألواح كنوسوس و بيلوس مكتوبة باللغة اليونانية ؟ »

Are Knossos and Pylos tablets written in Greek ?

ولكن اعلانه الحقيقي عن توصله لحل رموز هذه اللغة كان عن طريق الاذاعة البريطانية في يوليو عام ١٩٥٢ ومنذ تلك اللحظة تهاافت عليه استفسارات العلماء وسرعان ما انضم اليه « جون شادويك » John Chadwick أحد المتخصصين في فقه اللغة اليونانية وقدما في مقالة نشرت في مجلة الدراسات الهلينية عام ١٩٥٣ نظريتهما في اطارها الأكاديمي . وهلل العلماء لهذه النظرية وبدأوا في تطبيقها وخاصة عندما طبقوها على وثيقة جديدة أخرجت من بيلوس Pylos أسفرت قرائتها عن لغة يونانية بدائية ، ثم طبقت بشكل واسع على مجموعات الوثائق التي عثر عليها في كنوسوس خلال عام ١٩٥٢ وعلى ستائة قطعة أخرى عثر عليها البروفيسور كارل إليجن Carl W. Blegen في أنقاض القصر الملكي في بيلوس . هكذا بدأت ظلال الغموض تتبدد وتظهر ملامح الحضارة الموكينية واضحة ومميزة بعد هذا الانتصار التاريخي للدراسات اللغوية اليونانية وللعلماء الآثار والتاريخ على السواء . لقد أضاف حل رموز هذه اللغة الى تاريخ اليونان سبعة قرون أخرى من الحضارة كانت مهمة وكذلك الى عمر اللغة اليونانية . وبمد تطبيقات هذا المنهج على كميات كبيرة من الوثائق أتم العالمان عملاً ضخماً باسم « وثائق باللغة الموكينية اليونانية » (١) .

، وبينما كان هذا العمل الضخم ماثلاً للطبع حملت أسلاك البرق نداء موت مايكل فنتريس عام ١٩٥٦ على أثر حادث أليم وهو لم يبلغ بعد

(1) Jhon Chadwick, the Decipherment of Linear B revised edition 1967

الخامسة والثلاثين ربما بعد أن قال شهرة وتقديراً عظيمين كتبتك التي
قالها شامبيليون بعد حله لرموز اللغة المصرية القديمة ، فقد منح وسام
الامبراطورية البريطانية : (Order of the British Empire) عام ١٩٥٥
كما منحه جامعة أوبسالا بالسويد درجة الدكتوراه الفخرية كما عينته
الكلية الجامعية بلندن University College, London باحثاً بها .

يترك المنهج الذي استخدمه مايكل فنتريس عند القارئ اطمئناناً
بأنه منهج احصائي رياضي يقوم على الاستطلاع عن طريق المقابلة
والملاحظة والمطابقة ، والعق يقال أن الفضل يرجع الى زميله جون
شدويك في تطبيق المعايير اللغوية وملئ الهيكل الاحصائي بالمادة
اللغوية وتحويل المعادلات الى مفهوم لغوي ومن ناحية المبدأ فانه يمكن
التوصل الى حل رموز أى لغة اذا ما توافرت أمام العقل الرياضى
الباحث الكثير من الوثائق الكتابية ولكن يمكن القول أيضاً بأن
الظروف التي تعرض لها فنتريس كانت أشق من تلك التي واجهت
العالم الفرنسى شامبيليون Champillon . عند حل رموز اللغة المصرية
المدونة على حجر رشيد وعن تلك التي واجهت جروتفند Grotetund
ورولنسون Rowlinson . عند حل رموز لغة الكتابة المسماة البابلية
Cuneiform اذ توفر بين يدي هؤلاء العلماء نصوص مكتوبة بلغتين
فى وقت واحد Bilingual documents مما يسر مهمتهم بينما لم يتوفر
ذلك بالنسبة لوثائق المجموعة الخطية الثانية ، أضف الى ذلك وجود
لغة مساعدة أو مشتقة بالنسبة للحالة الأولى - مثل القبطية والعبرية
أما بالنسبة للغة كتابة المجموعة الخطية الثانية فلم يعرف حتى الأصل
الذى يمكن ارجاعها اليه . وعلى أى حال فقد استفاد مايكل فنتريس
كثيراً من المجهودات التي بذلها العلماء قبله فى محاولة حل رموز لغة
المجموعة الخطية الثانية .

العوامل المادية والمعنوية للمجتمع الموكيني :

لا بد أن تبدأ بدراسة موجزة للدين لما كان له من مؤثرات معنوية في الثقافة الموكينية .

١ - الدين :

لقد سبق أن أشرنا الى أن معظم وثائق الكتابة الموكينية هي قوائم أسماء وسجلات أشياء ورقميات وحسابات ، وبمعنى آخر ليس هناك نصوص تروى لنا أيًا من مظاهر هذه الحضارة ولعل القارئ يشفق على الباحث لصعوبة معالجة ركن من أهم أركان الحضارة الموكينية - لامن خلال وثائق مباشرة ومتراطة بل عن طريق شذرات مادية أثرية متفرقة هنا وهناك كأماكن العبادة والقراين المقدمة للآلهة وأدوات الطقوس والشعائر والأختام التي تحمل صوراً أو رموزاً للآلهة وشذرات الفسيفساء Frescoes أو الفخار أو شواهد القبور Steles التي تروى جوانب من هذه الشعائر الدينية . ومهما بلغنا من دقة الوصف والتحليل فعلى القارئ أن يدرك أن مثل هذا الوصف والتحليل ليس الا انطباعات سطحية لا نستطيع أن نجزم بقطيعتها ما دمننا لا نملك الوثائق الناطقة .

وأول انطباعات يتركه تفحص الأدوات الدينية في نفس الباحث هو وجود ديانة مشتركة بين الحضارة المينية السائلة الذكر والحضارة الموكينية ، لذا يميل علماء الدين القديم الى اطلاق اسماً مشتركاً على هذه الديانة في الحضارتين وهو : (Minoan — Mycenaean Religion) . فمناظر الشعائر وأدوات العبادة تكاد أن تكون واحدة في كلتا الحضارتين . فالآله الأكبر في كليهما « أثي » ويجيء بعدها آله ذكر أقل منها مرتبة . وتكشف المناظر الدينية المصورة عن وجود علاقة دينية خفية وسرية وغامضة (Mystic) بين الخالق والمخلوق . كما تكشف بوضوح عن حاجة المتعبدين الشديدة الى الإخصاب (Fertility) الذي كانوا يحنون بخصوصه ربهم الكبرى دائماً Magna Mater في صورة القراين التي كانوا يقدمونها لها . كما يلحظ الدارس وجود نوع من عبادة الأشجار والتنسك للأعمدة وأغلب الظن أن ديانة مشتركة

مكثت تجمع بين موكتناى-وكتريت ودول شرق البحر الأبيض المتوسط عامة حيث كانت تربط بين هذه الأقطار جميعا صلات تجارية وثقافية وطيدة ، ولشدة تأثير الحضارة الموكتنية فيها وتأثيرها بها لكاد نطلق على هذه الحضارة صفة العالمية Internationalist وكما قلنا فان المينوين والموكتنيين عبدوا ربة أثى أسموها بالربة الأم (Dea Mater) كما عبدوا ربا ذكرا الى جوارها. حينما كان يذكر كشقيق لها وحينما كان يذكر كبعل لها . ولا تخلو هذه العبادة - كغيرها من العبادات القديمة من عنصر الدراما العاطفية عندما يموت بعل هذه الربة فى ريسان شبابيه مقدما نفسه قربانا من أجل رفاهية شعبه الذى من أجله جاء ، كما تعتوى هذه الديانة على أفكار تابعة من البيئة الزراعية كمفكرة القيام أو البعث أو بمعنى آخر « عودة الروح » عن طريق ميلاد جديد ، فهذا الرب - كأوزوريس المصرى وتموز السورى وذيونيسيوس الاغريقى يموت فى نهاية الدورة الزراعية ليولد مع بدايتها الجديدة فى « الربيع » حيث يحتفى بعيد ميلاده الذى يجرى مع فاتحة جنى الثمار وحيث تقدم له القرابين وتقام من أجله الشعائر طلبا للأخصاب والخير الوفير ، وغالبا ما تكون هذه الشعائر استعراضا لبعض مظاهر الحياة والطبيعة ، كما اعتاد المصريون أن يحتفلوا بيوم الزواج المقدس (Hieros Gamos) بين الرب حورس (Horus) والربة حتحور (Hathor) اعتاد المينويون والموكتنيون الاحتفال بالزواج المقدس بين هذا الاله بعد بعثه وبين الربة الكبرى (الأم) حيث يتم اللقاء ويجتمع الشمل (re-union) وكانت شعارا هذا الزواج التمثيلى من أهم ملامح الديانة المينوية الموكتنية (١) . وقد سبق أن عالجنا الربة الأم عند أهل كريت بما فيه الكفاية وقلنا أنها كانت ربة قادرة على كل شيء (Omnipotent) وجامعة لخصائص شتى ارتأى الموكتنيون توزيعها على آلهة أخرى كثيرة ، حقا ان الدين المينوى كان يعرف زيوس ولكن كان يراه الاله أقل قدرة وشألا اذا ما قورن

(١) هذه المفكرة وجدت فى الاصل عند السومريين فى تراوج الربين اينانا ودموزى وانتقلت الى السوريين فى زواج عشتار وتموز انظر :
فاضل عبد الواحد على : عشتار وماساة تموز - بغداد مطبعة
الجمهورية ١٩٧٣ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

بالربة الأم ، بل أنه اعتبر تابعاً لها ويقبع تحت امرتها ، أما في نظر الدين الموكيني فإن زيوس يبدو أكثر أهمية وشأناً ، اذ رددت وثائق المجموعة الخطية الثانية اسمه ، فذكر مرة وثائق ييلوس Pylos ومرات في وثائق كنوسوس . وإلى جانب زيوس أشارت الوثائق الى الضرائب المفروضة على الناس عيناً ومالاً لصالح آلهة أخرى منها الربة هيرا وأثينا وأرتميس وأبوللون (الذي ذكرته باسم باياون (Paiawon) وبوسيدون وكذلك أريس الذي ذكرته الوثائق باسم النواليس (Enualia) وبالرغم من أن هذه الوثائق لم تذكر شيئاً عن الصورة التي ظهروا بها في أعين الناس إلا أنه يكفي أن نقول أن الموكينيين عرفوا هذه الآلهة التي أصبحت دعائم الديانة الاغريقية فيما بعد . وجدير بالذكر أن الربة الأم عند الموكينيين كانت تجمع صفات وزعت على ثلاثة ربوات اغريقيات فيما بعد : هن ديميتير Demeter ربة الزرع والحرث وأرتميس ربة الصيد والحيوان وأثينا حامية الدار وربما ليس من قبيل الصدفة أن تراث تلك الربوات همى الموصفات التي كانت تظهر بها الربة الأم في كل وجه من وجوها المختلفة الثلاث . فمثلاً ديميتير ورثت عن الربة الموكينية قدسية ضاحية اليوسيس في أثينا وأرتميس ورثت عنها ظهورها في صحبة الحيوانات المفترسة وكربة البراري وأثينا ورثت عنها الثعبان واليمامة والدرع الذي كانت تحمى به القلعة والأبطال المغاوير .

لقد سبق أن أشرنا الى أهمية بوسيدون رب البحار في مدينة Pylos تلك الأهمية التي عبر عنها هوميروس بذكره كيف أن ناستور Nestor ملك المدينة وقائد حملتها في الحرب الطروادية قدم أضحى تسع مرات لهذا الاله وفي كل مرة كان ينحر له تسعثيران حتى لا يهز الأرض هزاً يجلب بعدها الدمار والخراب . كان بوسيدون عند الموكينيين يظهر في صورة جواد (hippos) والجواد كان رمزاً للاخضاب في مجتمعات القبائل المتنقلة الاغريقية nomads . وهناك من الأدلة ما يكفي أن نقول أن عبادة ديونيسيسوس بما احتوته من الانغماس في المعبدة والجنون الانفلاقي في العصر الاغريقي العتيق Archaic period نبع أساساً من الدين الموكيني حيث عرف هذا الرب الذي جاء أصلاً

من فريجيا Phrygia وليديا Lydia في آسيا الصغرى ، وحيث ارتبط اسمه وهو طفل ، (Dionysus infans) بالربة الأم كما ورث عنها الحية ، وتذكر أساطير اليونان فيما بعد بأنه مات ودفن في دلفي Delphi التي سكنها أبوللون فيما بعد والذي سمي بقاتل الحية (Argeiphontes) ويعتبر أبوللون أكثر الآلهة الذكور أهمية في الديانة الموكينية فهو الذكر المناظر للربة الأم ، وهو رب القوس ورسول الموت والشافي من السقم والأوبئة والأمراض .

أما عن أماكن العبادة فنجدير بالذكر أن الدين الموكيني مثل الدين المينوى لم يعرف المعابد الفخمة التي تحوى تماثيل العبادة الضخمة Cult-Statues مثلما كان الحال في العصور الكلاسيكية إذ لم يتعمد مكان العبادة أن يكون محراباً صغيراً تقدم فيه القرابين . ومن الجدير بالذكر أن علماء الآثار لاحظوا وجود آثار دينية من العصر الموكيني في نفس الأماكن التي أصبحت فيما بعد من أشهر مراكز العبادة مثل جزيرة ديلوس (Delos) مركز عبادة أبوللون وأولبيا (Olympia) حيث عبد زيوس وهيرا ، وهناك من يرى في العصور على بقايا قصر ملكي أسفل قاعة التلستريون (Telesterion) في ضاحية اليوسيس وحيث كانت تجري الشعائر الدينية الخاصة بديميتر وابنتها برسيفوني دليلاً دينياً لأن المحراب كما رأينا في الحضارة البشرية خرج من ردهات القصر الملكي في العصر الموكيني .

(٢) الزراعة والتجارة والصناعة :

أما من الناحية المادية للحضارة الموكينية فإن الزراعة تعتبر الدعامة الأولى لتلك الحضارة . إذ كان يعمل بها السواد الأعظم للشعب وتدل القوائم التي كانت تسجل مقدار المحصول ونوعه ونصيب القصور والآلهة منه على دقة التنظيم الزراعى ومن أهم الحاصلات التي رددت في الوثائق القمح والشعير - كما قامت بعض الصناعات التي ارتبطت بالزراعة مثل صناعة زيت الزيتون والمنسوجات الصوفية . وكانت صناعة المنسوجات الصوفية بالذات من أهم مصادر الثراء في

المجتمع الموكيني وكانت تستهلك نسبة منه داخليا ، أما الفائض فكان يصدر الى بلدان البحر الأبيض التي كانت لها علاقات تجارية مع مدن بلاد اليونان في ذلك العصر .

وبالرغم من أن « الثور » كان حيواناً مقدساً الا أنه كان « وحدة » التعامل الذي كان يقوم على المقايضة (barter) وليس من المستبعد أن استخدم الموكينيون سبائك النحاس كوحداث للتعامل بدلا من النقود اذ عثر على كمية كبيرة منها في القصر الصيفي في هاجيا تريادا بكريت ، كما أخرجت كمية أخرى منها حديثاً في عام ١٩٦٠ من بقايا سفينة موكينية غرقت جنوب غرب ساحل تركيا بالقرب من رأس جيليدونيا (Gelidonya) . وقد أقام الموكينيون مدنهم على قمم التلال وكانت هذه المدن على نمط مدن الامبراطورية الحيثية محاطة بالتحصينات الدفاعية القوية حتى أن كاسون (Casson) أرجح سيادة مدينة موكيني الى نجاحها في تنظيم عناصر القوة تنظيمًا سليماً *Mycenae dominates by virtue of the proper organisation of force* ومن المدن المحصنة كانت تخرج شبكة من الطرق لتربط بين المدن الكبرى وبين المراكز التجارية أو الثقافية التابعة لها . وقد كشفت الألواح المكتوبة عن عناية بالغة بإنشاء وبناء شبكات الطرق من أجل خدمة التجارة والجيوش حيث شقت الطرق وأقيمت الجسور ومن أشهر هذه الطرق الطريق الذي يبدأ من أكروبول موكيناي ويمتد جنوباً الى بلدة بروسيمنا Prosymna حيث يوجد معبد للربة هيرا Heraeum كما استطاع العلماء تتبع آثار طريق جبلي يربط بين موكيني وكورثسا وضامناً لسلامة القوافل التجارية والمسافرين أقام الموكينيون قلاعاً للحراسة على جانبي الطرق الرئيسية وليس يعمد أنهم فرضوا رسوماً على استخدام الطرق كما هو الحال في أوروبا اليوم . ومن أشهر قلاع الحراسة قلعة جبل الياس (Mount Elias) ^(١) الذي يطل على مدينة موكيناي نفسها . وعلى أي حال فإن علماء الحضارة الموكينية يرون في

(١) من هذا الجبل ذكر سوفوكليس أن البشير أعلن مقدم الملك أجاممنون من الحرب منتصراً وذلك لزوجته التي دبرت مقتله مع عشيقها انظر أجاممنون - لسوفوكليس - الافتتاحية .

خاتمة الموكيين بشبكات الطرق ذليلا على مظهرين يعتبران من أهم مظاهر الحضارة الموكينية على الصعيد الدولي ألا وهما التجارة والحرب .

٣ - الحرب :

أهم ما يميز الموكيين عن غيرهم من الشعوب هو أنهم كانوا شعبا يميل بطبيعته الى القتال وذلك واضح من أنواع الاسلحة المختلفة التي عثر عليها مدفونة في قبور الرجال وكما هو واضح من الرسومات سواء على حوائط القصور أو على أواني الشراب والتي كانت تسجل جوانبا من مفارك حامية الوطيس . وليس ذلك وحده دليلا على ارتفاع الروح العدوانية القتالية عند الموكيين فحسب ، بل تدعم الوثائق الكتابية أهمية الجيش في المجتمع الموكيني ، ولقد أشرنا سابقا الى طبقة « الاتباع » (baquetai) العسكرية وكما يتضح من الاسم فقد كانوا اتباعا للملك وأغلب الظن أنهم كانوا من طبقة الأشراف . وتخبرنا الوثائق أنه كان يتوفر لديهم العربات الحربية وأنهم كانوا أعضاء في هيئة عسكرية كان ينظمها القصر الملكي من أجل التنسيق بين وحدات الجيش المختلفة المكلفة بحماية المناطق الساحلية وصد أي عداون قد يقع عليها مثلما كان الحال في الامبراطورية الرومانية المقدسة (١) .

يجيء سلاح العربات على رأس وحدات الجيش الموكيني وكان لهذا السلاح من الأهمية ما توليها الجيوش الحديثة لسلاح « الفرسان » اذ كان دور « العربة الحربية » في المعركة حاسما وأساسيا وليس كما كان يظهر دورها في الإلياذة والذي لم يتعد حمل البطل الى ساحة المعركة . لقد كان اختراع العربة الحربية ثورة في التكتيك العسكري في العالم القديم فمن طريقها مثلا استطاع المصريون وهم شعب زراعي مسالم أن يقيموا امبراطورية شاسعة خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد وليس هناك من شك في أن « العربة الحربية » دخلت الى بلاد اليونان من الشرق الأوسط . إبان القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومن أهم الأسلحة التي كان يتسلح بها الجيش الموكيني الدرع الذي يعنى الصدر (shield)

(١) وهذا هو اصل نظام الاقطاع الأوربي في العصور الوسطى .

والدروع التى كانت تحمى الساقين (greaves) حتى أن الأخيين عرفوا
باسم « الذين يتوشعون جيدا بدرع الساق (Well-greaved Achaeans) »
ويستطيع الزائر لمتاحف بلاد اليونان وأوربا أن يشاهد مجموعات مختلفة
للخوذ الحديدية وعلى تشكيلات متنوعة للأسلحة الهجومية كالحراب
والسيوف والذال والسهام وناهيك عن الفخار المطعمة بالعاج والذهب .
ولما كان البحر ذا أهمية خاصة فى حياة الموكيين فمن الطبيعى أن
نعتقد بوجود قوة بحرية ضاربة . اذ تمدنا وثائق بيلوس (Pylos) بقائمة
تتضمن مجموعة من أسماء « مجدفين » فى الأسطون وأغلب الظن أن
السفن التجارية كانت نفس السفن التى استخدمت للأغراض العسكرية
أو للقرصنة فى أعالي البحار .

٤ - التجارة والملاقات الدولية :

من الطبيعى أن يتعمق الباحث حب الموكيين للبحر . فهو انسان يتميز
بمشتهه للمغامرة وركوب المخاطر والأهوال بل أن فقر الموارد الاقتصادية
لبلاده حثت عليه البحث عن مصادر أخرى فى البلاد التى يخفيها البحر
وراء أفقه البعيد فكانوا يذهبون بالفائض من صناعتهم ويعودون بما
تحتاج اليه بلادهم . ومن الواضح أنهم كانوا يصدرون الأوانى الفخارية
على نطاق واسع فإذا نظرنا غربا وجدنا شذارات الفخار الموكينى فى صقلية
وجزر ليبارى شمال هذه الجزيرة وحيث استخرجوا من صخورها البركانية
اللامعة الداكنة الحجر الذى يعرف بالآوبسيدي Obsidian والذى
كانوا يصنعون منه الأدوات الفنية والمنزلية . ويتضح من كثرة الأوانى
الفخارية الموكينية أن هذه الجزيرة كانت محطة تجارية للأسطول الموكينى
فى غرب البحر الأبيض ولما كانت الحضارة الموكينية تقوم جوهرها على
معدن البرونز فانه من الطبيعى أن يسعى الموكينيون بحرا وراء خامات
هذا المعدن وهى النحاس والقصدير وقد اشتهر سهل اتروريا Etruria
فى شمال إيطاليا بنتاجم النحاس الغنية وأغلب الظن أن السفن الموكينية
كانت تجيء بهذا المعدن من هذه المنطقة اذ لاحظ العلماء وجود شذرات
للأوانى الموكينية فى جزيرة اسكيا المواجهة لساحل اتروريا وليس من (١)
(١) انظر : كتابى تاريخ الرومان دار النهضة العربية القاهرة

المستبعد أن تكون السفن الموكينية قد وصلت إلى شواطئ شبه جزيرة
إيبيريا Iberia حيث مناجم القصدير والفضة حتى في غياب الدليل
الأثرى . كما أمكن التعرف على العديد من الآثار الموكينية الصغيرة في
شمال وجنوب فرنسا وبريطانيا ومنطقة وسط أوروبا .

العلاقة الحضارية مع الشرق الأوسط وحوض بحر إيجه :

رذذت وثائق المجموعة الخطية الثانية التي عثر عليها في كنوسوس
عدداً من أسماء الشعوب الشرقية التي عرفوها من خلال التعامل التجاري
فذكرت كلمة « مصري » Misirayo ومرادفها (Aikupitayo) كما
ذكرت كلمة « قبرص » (Arasiyo) وإرادى (Aradayo) وكذلك لفظ
« بيروتى » (Perita) و « صوري » (Turiyo) كما يتردد لفظ (Po-ni-ko)
« (Po-ni-ki-ya) وكلاهما له دلالة عن علاقة تجارية ببلاد الفينيقيين .
وكذلك فقد تعرف علماء اللغة اليونانية على عدد كبير من الأسماء ذات
الأصول السامية خاصة أسماء التوابل (١) .

وكانت الصادرات الموكينية توضع في جرار ذات حجم وشكل معين
وقد عثر على شذرات هذه الجرار في فينيقيا وفلسطين ومصر . ولتأمين
التجارة أقام الموكينيون عدداً من المحطات التجارية لتفريغ الصادرات
وشحن الواردات وقد أمكن التعرف على هذه المحطات في ميليتوس
(Miletus) ورودس (Rhodes) وقبرص (Cyprus) وأوغاريت (Ugarit)
(رأس شامرة) على الساحل السوري حيث تعكس صورة للرءاء
التجارى الذى شهدته بلاد اليونان ما بين ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق م بصورة
لم يسبق لها نظير .

كانت مصر من أهم أقطار البحر الأبيض المتوسط التى حرص

(١) cf. Edwin. M. Yamauchi, *Greece and Babylon : Early contacts between the Aegean and Near East*, (Michigan 1967) pp 33-34.
١ - إفريقيا

الموكنيون على اقامة علاقات طيبة معها والأواني المرمية (alabaster) المصرية كثيرة في القبور الموكنية كما أن رسومات الحوائط في طيبة المصرية والتي تعود الى الأسرة الثامنة عشر (حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد) تصور رجال كفتيو Kettiu (١) أى أهل كريت وهم يحصلون الجزية في شكل حلقات من الذهب والفضة والجواهر الغالية وأدوات الزينة وسبائك النحاس وكذلك المنسوجات الصوفية وغيرها من الأدوات ولا بد أن مصر - التى عرفت بكثرة صادراتها فى العالم القديم لم تكن أقل قدرة منهم على التصدير ولكن طبيعة الجو فى بلاد اليونان لم يساعد الكثير من المواد المصرية على البقاء . أما رمال مصر الدافئة فكانت على العكس من ذلك اذ حفظت لنا كميات كافية من هذه المواد بالرغم مما تعرضت له القبور من نهب واندثار ويستطيع القارىء أن يطلع على نتائج حفائر فلندرز بترى Flinders Petrie فى تل العمارنة (مركز ملوى محافظة المنيا) حيث بنى اخناتون عاصمته الجديدة أخيتاتون والتى هجرت واندثرت بعد عام ١٥٣٠ نتيجة للعودة الى ديانة آمون . لقد أخرجت قبور هذه المدينة ما يزيد على ألف وثلاثمائة وخمسين شذرة فخار بعضها جاء من قبرص ولكن الغالبية من بلاد اليونان . ولعل الباحث يتساءل عن هذا التحول فى حجم التجارة بين مصر وأوروبا لصالح اليونان بدلا من كريت التى أقامت علاقات تجارية مع مصر منذ وقت مبكر ، وربما يقبع الجواب فى تدهور سيطرة كريت البحرية وانتقال مركز الثقل تدريجيا الى بلاد اليونان ، ويلاحظ العلماء أن الموكنيين تحاشوا المرور بسفنتهم التجارية على كريت فسلكوا طريقا بحريا الى جزيرة رودس ثم بمحاذاة ساحل آسيا الصغرى مارين بأوغاريت وبيلوس (Byblus) وساحل فلسطين حتى ساحل أفريقيا الشمالى .

يشين اذن مدى أهمية جزيرة رودس كمحطة بحرية موكنية فى شرق البحر الأبيض المتوسط ثم يليها فى الأهمية ميليتوس وكلتاها كانتا فى

(١) عن مشكلة الكفتيو انظر ثركويه المرجع السابق ص ٣٠ وما بعدها كذلك انظر : عبد اللطيف احمد على - المرجع السابق ص

الأصل محطاً للتجار الكرّتين ولكن سرعان ما استوعبتها موكيناى بعد زوال سلطان كريت البحرى، ولما اتسع نطاق الحيز التجارى الموكينى امتدت يد السيطرة، والاستيطان فشلت جزيرة Cos والجزر الاثنى عشر *dodecadese* .. وجزيرة قبرص . وتوضح « وحدة نوع » المواد الأثرية مدى التصاق المستعمرات بالوطن الأم فى بلاد اليونان وبمرور الزمن انتشرت فى هذه المستعمرات ظلال الحضارة الموكينية اذ بدأت هذه المستعمرات فى تقليد الصناعات الموكينية خاصة فى رودس وقبرص ، ويستطيع عالم الآثار فى البداية أن يميز بسهولة بين ما هو « موكينى حقيقى » وما هو موكينى مقلد أو بسعى آخر بين ما هو « موكينى حقيقى » وما هو « موكينى محلى » . لكن كلما تدهورت سيطرة بلاد اليونان على مستعمراتها ازداد اعتماد هذه المستعمرات على الاتاج المحلى مما أدى الى زيادة فى الجودة والاتقان حتى أن الأثريين ليجدوا من الصعوبة بمكان أن يفرقوا بين النوعين .

وبخلاصة القول أن بلاد اليونان فى خلال السيادة الموكينية كانت تسوق حضاريا من الشرق الأوسط وتتاجر ماديا مع الغرب الايطالى حيث عبرت سفنهم كما تفعل اليوم البحر الادرياتيكي يساعدها على ذلك وجود بعض الجزر المواجهة للساحل الغربى لبلاد اليونان مثل كورفو أو كوركيرا (Korkyra) وحيث كان يتمون الأسطول ويتابع بعدها السير الى جنوب ايطاليا وجزيرة صقلية ، بل أن هناك من الدلائل ما يثبت وصول السفن الموكينية الى جزيرة سردينيا *Sardinia* ذات المناجم الغنية بالنحاس ، هكذا ساهم الموكينيون فى تمهيد الطرق لاستيطان الغرب الأغرريقى .

وقد يتساءل الباحث ماذا كانت تقدم موكيناى فى صادراتها غير الأواني المخارية ؟ وللإجابة على ذلك يجب أن نمود الى الجغرافيا حيث نعرف أن البلاد اليونان غنية بمناجم المعادن كمناجم النحاس فى قبرص ونيشيا *Nemee* . شمال موكيناى ومناجم الرصاص والقضة فى لاوريوم *Laurion* فى أثينا وربما أيضا مناجم الذهب لكثرة

استخدامه . ومن الطبيعي أن تصدر موكيناي صناعات هذه المحاذين .
كما سبق أن أشرنا الى احتمال تصدير الصوف والمنسوجات الصوفية .
وقد كشفت وثائق بيلوس Pylos عن فائض المنتجات والمصنوعات
النحاسية التي ربما كانت من أهم الصادرات المحلية الموكينية الى العالم
الخارجي . وقد ارتبطت البحرية دائماً في التاريخ القديم « بتجارة
الرقيق » والتي سبق الحديث عنها أيضاً ، كما تحدثت الوثائق عن
معالجة الدهون والمتحضرات الطيبة وربما قاموا باستيراد التوابل
واسطور من الشرق وتوزيعها على أسواق العالم الأوروبي كما تقل
أشكال بعض الأواني الموكينية في البلاد الأخرى و خاصة الشرق
الأوسط على أنها كانت تحمل النيذ وربما أيضاً زيت الزيتون والتي
كانت تصدرها مقابل استيراد التوابل والعاج من هذه المناطق .

وأخيراً نوجز فنقول أن ممالك الشرق الأوسط القديم كانت تستمتع
بالاكتفاء الذاتي اقتصادياً لدرجة جعلتها لا تأبه بالتجارة الدولية على
العكس من بلاد اليونان ، وذلك لقلة الموارد الاقتصادية في الأخيرة مما
حتم عليها أن تزيد من حجم تجارتها وأن تدخل في منافسة مع غيرها ،
ولعل أقرب الأمثلة التاريخية لموكيناي هي مدينة البندقية (Venezia)
التي قام مجدها السياسي والثقافي على التجارة الدولية التي رفعتها من
مدينة مخمورة الى مكان الصدارة والشهرة في العصور الوسطى وغربها
بالرخاء والبلذخ .

العروب الطروادية :

قبل أن نتطرق الى الحديث عن أشهر حرب خاضها الأخيون (١)
يجب أن نذكر القاري بما سبق أن قلناه من أن الموكينيين كانوا
« شعباً عدوانياً » مقاتلاً بغير رته وأن آثارهم تدل على أنهم حاصروا
أكثر مما حوصروا ، وكذلك يجب أن نذكر القاري بظروف بلاد
اليونان الاقتصادية التي حتمت عليها الدخول في منافسة مع الدول

(1) Andrew Lang, Tales of Troy and Greece (Faber, reprinted 1962).

التجارية الأخرى من أجل السيطرة على البحار والاقتراد بالأسواق التجارية الخارجية ، ولم تكن مدينة طروادة الواقعة على الجانب الآخر من حوض بحر ايجه أقل سطوة في البحر . فقد خصتها الطبيعة بموقع استراتيجي جعلها تتحكم في بحر مرمرة Propontis ، وليس من المستبعد أن تكون هذه المدينة قد فرضت اقاوة على السفن الرائحة والغادية في هذه المنطقة مثلما تعمل الدول الحديثة بمراتها المائية . ومن الطبيعي أن يؤدي التنافس التجاري الى وجود حالة من التوتر العدواني يتحفر فيها كل من الطرفين المتنازعين متحيناً الفرصة التي ينقض فيها على خصمه وليس من المستبعد أن تكون شرارة الحرب قد اندلعت نتيجة لحادث قرصنة بحرية أو بسبب حادثة اغتصاب وهو السبب الذي أعزته الايلاذة لقيام الحرب . ولكن يبقى السبب الفعلي للحرب وهو الاشتباك الذي لامر منه نتيجة «لصراع المصالح» (conflict of interests وعلى أى حال فإن مدينة طروادة لم تعتمد على التجارة اعتماداً أساسياً كما اعتمدت بلاد اليونان لاختلاف تركيبها الجغرافي اذ تقع مدينة طروادة في وسط سهل غني هو سهل « طروادة » Troad وهو خال من العوائق الجبلية التي تضيق المساحة المزروعة . كما أن طبيعة الأرض البركانية جعلت هذا السهل غنياً بإنتاجه الزراعي بمقادير تزيد عن حاجة السكان المحليين . ومن الطبيعي أن يصدر الفائض الزراعي الى خارج البلاد كما ذكرت الأشعار الهومرية في أكثر من موضع أن طروادة اشتهرت بتربية الجياد الأصيلة . كما أن الحفائر الأثرية التي أجريت في مكان طروادة ، كشفت عن كميات ضخمة من أدوات الفزل والنسيج وذلك يثبت بصورة لا تقبل التنبك أن المدينة القديمة كانت مركزاً هاماً لصناعة النسيج وربما نافست البلاد اللوكينية في تصدير المنسوجات وليس من المستبعد أن يكون الموكينيون قد اختاروا لحملتهم توقيتاً مناسباً اذ تظهر الدلائل الأثرية أن المدينة قد تعرضت حوالى عام ١٣٠٠ ق م لسلسلة من الزلازل ألحقت بها أضراراً جسيماً وتركها أقل بأساً وأوهى عظماً . عندئذ حشدت بلاد اليونان كل طاقاتها العسكرية في حملة - طبقاً للايلاذة - قادها أجاممنون العظيم « ملك

الرجال » وقد سبق أن ذكرنا أن الإلياذة استعرضت عضلات الحملة في الجزء المسمى « سفر السفن » . وقد روت الملحمة أن الحرب قد اندلعت لسبب أخلاقي ودفاعا عن شرف الملك مينالائوس (Menelaos) شقيق أجاممنون بعد أن خطف أمير طروادي اسمه باريس (Paris) زوجته الجملة هيلينا Helena وفر بها عائداً إلى طرواده متعدياً بفعلته هذه حدود الضيافة المقدسة . وإلى عهد قريب كان التاريخ التقليدي الذي حدده اراتوثينيس Eratosthenes لسقوط طروادة وهو عام ١١٨٤ ق م مقبولا ولكن الأبحاث الأثرية التي نقضت ما استنتجه شليمان من حفائر اعتبرت أن هذا التاريخ تاريخاً متأخراً إذ قدر بعضهم تاريخ سقوط طروادة الأولى (في العصر السابع VII A) حوالي عام ١١٣٠ ق م . ويؤكد الرأي أن يستقر على الفترة ما بين ١٢٦٠ - ١٢٥٠ ق م هي التاريخ التقريبي لسقوط هذه المدينة حيث ظهر الآثار أن الموكينيين هاجموا شرق البحر الأبيض المتوسط ، وقد سجلت الآثار المصرية أن « شعوب البحر » هاجمت مصر من الغرب ثم بعد ذلك من الشرق ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين (١) .

الغزو الدوري ونهاية العصر الموكيني :

اهتزت بلاد اليونان وحوض بحر إيجه خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد لحركة هرج سكاني شملت منطقة البحر الأبيض المتوسط كلها . ومن الواضح أن القبائل الغازية كان مصدرها قارة آسيا الصغرى حيث عزى العلامة شيفر Shaefer أسباب هذا الهرج والهجرة السكانية إلى سلسلة من الزلازل تعرضت لها تلك المنطقة أبان هذه الفترة . ومن الواضح أن امبراطورية الحيثيين قد سقطت تحت جحافل هؤلاء الغزاة كما أن مصر قد تعرضت على أيديهم لهجومين متتاليين أشير إليهما باسم غزوة الأخايواشا Akhaiwasha والسدانورأ (Danuna)

(١) عثر حديثاً على لوحة ضخمة أقامها الفرعون مرنبتاح (١٢٢٤ - ١٢٠٤ ق م) في معبدته بعلية وهي محفوظة الآن بالمتحف بالقاهرة يروي فيها ويتفنى بانتصاراته على أعداء مصر وشعوب البحر التي هاجمتها من الشرق ومن الغرب وجاء في النص أن إسرائيل إبيدت ولن تقوم لها بدرة ولهذا اعتقد البعض أن مرنبتاح هو فرعون موسى الشهير .

(الدورينين الاغريق) أما بالنسبة للقبائل التي غزت بلاد اليونان فمن الواضح أنها لم تجيء بحراً بل هبطت عليها من الشمال بدليل أن الحياة الموكينية في بعض جزر بحر ايجه استمرت فيما هي عليه ، بل أن جزيرة رودس بلغت قمة مجدها التجاري أبان هذا الغزو إذ امتدت مناطق نفوذها من تارتوم (Tartum) غرباً الى هضبة الأناضول شرقاً . ومن الواضح أن هذه القبائل المهاجمة هندو أوروبية من نفس المنصر الاغريقي ، وقد عرفهم التراث الاغريقي باسم الدورين Dorians وأنهم هبطوا من الشمال واحتلوا معظم اليلويونيسوس بعد جيلين من سقوط طروادة ، بل ولقبوا هجرتهم باسم عوة آل هيراكليس البطل الأسطوري الاغريقي The Return of the Herakleidae وتطابق بعض المعلومات المستقاة من الأساطير والتراث الشعبي الدلائل المادية التي كشفت عنها الحفائر الأثرية إذ تعرضت القصور الملكية الموكينية خاصة في ييلوس Pylos ويولكوس Iolkos للحرق والتدمير حوالي عام ١٢٠٠ ق م ، وفي نفس الوقت تعرضت المنازل المقامة خارج حوايط قلعة موكيناي لتدمير مماثل أي أن القلعة صمدت للحصار فترة من الزمان قبل سقوطها ، ويقرر العلماء هنا مدة هذا الصمود بنصف قرن . كما حاق الدمار بتيرنس (Tiryns) وأرجوس Argos واسبرطة الموكينية في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد . أما باقي المناطق الأخرى فقد استمرت الحضارة الموكينية في اضطرابها الحضاري إذ بقيت على حالها ، بل أن بعضها ازدهر ازدهاراً شديداً .

ولما كان الغزاة الدوريون لم يخلفوا وراءهم آثاراً مادية تعكس شخصيتهم (بخلاف لهجتهم التي نسبت اليهم) مثل الأواني الفخارية أو أدوات العلي والزينة والمباني والآثار المعنوية ، كتلك التي تختص بالعبادة وشعائر دفن الموتى فقد سبب ذلك صعوبة شاقة للباحثين ، فاعتبروا طريقة حياتهم صرورة باهتة من الحضارة الموكينية ، ولكن الحفائر الأثرية كشفت في بعض المناطق عن طبقة من التدمير والحرائق تفصل بين طبقة من حضارة البذخ والترف الموكينية البرونزية وطبقة

يظهر فيها معدن الحديد مما جعل العلماء يقررون أن الدورين أتوا بهذا المعدن معهم .

كما لاحظ العلماء ظهور العباءة الاغريقية الفضفاضة (Himation) (١) والتي أصبحت من أهم ملامح الرداء الاغريقي ظهرت مع مقدم الدورين . هكذا زالت حضارة البذخ والترف من الوجود المادى اتخذ في أشعار فانت بها نفوس الموكيين المهاجرين حسرة على حضارتهم المتناهية وعلى مجد ملوكهم الراحلين لتبعث بعد أربعة قرون من الزمان على يد هوميروس (Homerus) في شكل ملحمة هي الياذة (Iliad) وليس من الصحيح أن نقول أن الحضارة الموكينة قد زالت من بلاد اليونان كلها مع مقدم الدورين بل ان الصحيح هو أن نقول أن الحضارة الموكينية ببذخها وخيالها وانسائيتها غادرت البيلوبونيسوس متجهة الى أثينا وإلى ساحل آسيا الصغرى . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحضارة الاغريقية ذات واجهتين مختلفتين واجهة مادية واقعية قاسية سادت في غرب بلاد اليونان وخاصة البيلوبونيسوس وواجهة انسانية خيالية ذواقة للفنون والآداب سادت في أتيكا وعاصمتها أثينا ، وكذلك في أيونيا Ionia على ساحل آسيا الصغرى حيث هاجر الموكينيون بسبب الغزو الدورى .

دولة أثينا تراث التراث الموكينى :

يتفق التراث الشعبى مع الأدلة المادية على أن أتيكا وعاصمتها أثينا وقتت في وجه الغزاة الدورين وصدتهم ولم تدع لهم الفرصة لكى يدوسوا أرضها ويطردوا شعبها لذا فقد ظل الاثينيون يفخرون بكبرياء على مر العصور التالية بأنهم سكان أصليون (autochthonous) ، وتكشف طبقات الحفائر الأثرية عن حضارة مستمرة دون انقطاع أو تدمير منذ العصر الموكينى حتى العصر الكلاسيكى ، ولهذا أهميته في

(1) of V.R. d'A Desborough : Greek dark ages, Ernest Benn, London, 1972, (Revised in J.H.S., xciii, 1973 p. 252-253 by G. Huxley), also of A.M. Sondgrass, The Dark Age of Greece Edinburgh, 1971, xxx (Revised in AJA, 77, 1973 p. 238).

علما بأن اللفظ غير دقيق لأن العصر لم يكن مظلما حضاريا بل راكدا سياسيا بسبب الكارثة الاقتصادية cf. A.M. Sondgrass, op. cit. p. 365.

تتبع عملية التفاعل الحضارى المستمر أثر اكتشاف الجذور الموكينية
لحضارة العصر الكلاسيكى ، وغنى عن الذكر أن أسم أثينا قد تردد فى
التراث الموكينى وعلى الألواح المكتوبة وربما لعبت دورا فى الدين
الموكينى نفسه ، كما توالت الأدلة الأثرية على وجود آثار فوق تل
الأكربول لمعد قديم للاله اريخثيوس (Arechtheion) وغيرها من
الأدلة التى عززت مركز أثينا إبان الحرب الطروادية والعصر الموكينى
وردت على الادعاءات بأن الطاغية ييسستراتوس (Peisistratus) هو
الذى أمر بدمس للآليات التى تظهر أن أثينا قد لعبت دورا فى الحرب
الطروادية .

وأن المطلع على نتائج الحفريات الأثرية وخاصة تلك التى أجرتها
المدرسة الأمريكية فى منطقة السوق العامة القديمة (agora) لا يتردد
لحظة واحدة فى أن يعترف بأن أثينا لم تكن بالمدينة المغمورة وسط عالم
تألفت فيه المدن إبان العصر الموكينى . رآثر من هذا ذهب حفائر البعث
الاطالية . اذ أثبتت وجود آثار سكانية من العصر المعجى الحديث
(Neolithic) عند سفح المنحدر الجنوبي للأكربول ومن العجيب أن
المؤرخ الإغنى توكوديديس (Thucydides) قد أشار عرضا الى هؤلاء
السكان الأول . كما أننا لم نعد الآن فى حاجة الى أدلة لأثبات وجود علاقة
حضارية بين أثينا وكريت من ناحية ، والمدن الموكينية من ناحية أخرى .
والى جانب استمرار الحضارة فى أثينا منذ عصور ما قبل التاريخ تكشف
الآثار عن عناية المدينة بالتحصينات الدفاعية فوق الأكربول . ومن
الواضح أن جحافل الجيوش الدورية وقفت عاجزة أمام هذه التحصينات
لقد أوضح تقرير العلامة بروفير أن المدينة لم تتعرض لغزو واحد بل
لعدة غزوات كان سكان المدينة ينسحبون فى كل مرة ثم لا يلبثون أن
يعودوا لديارهم فى عناد وصمود حفاظا على العنصر وتمسكا بالأرض
وأن هذه الغزوات حدثت فى أزمنة متقاربة لحوادث التخريب والحرائق
التي تعرضت لها المدن الموكينية فى تيرنس (Tiryns) وويلوس (Pylos)
وموكيناي (Mycenae) .

كما اتضح أن آثار التدمير والتخريب قد حاصت بالمنطقة الواقعة خارج التحصينات بينما لم تتأثر المنطقة الواقعة داخل الأسوار .

أثينا تفتح أبوابها للمهاجرين الموكينيين وتستوعب حضارتهم :

وكان من الطبيعي أن تتدفق جموع المهاجرين أمام جحافل الغزو الدوري في اتجاه الشرق . وكانت أثينا وأثينا هي الملاذ الطبيعي . ولم يفت على ثوكوديدس أن يشير إلى استقبال أثينا للمهاجرين وإيوائها لهم كما أن باوسانياس Pausanias وضع ذلك بدقة فذكر أن الأخين الذين طردهم الدوريون حاولوا بدورهم غزو الأراضى التى يحتلها الأيونيون في شمال اليلوبونيسوس ، وكان من نتيجة ذلك حدوث هجرة أيونية انضمت إلى المهاجرين الأخين وسارث شرقا إلى « أثينا » وقد رحب الأثينيون بالمهاجرين من أجل تكوين جبهة دفاعية مشتركة تقف في وجه العدوان الدوري . ويذكر أرسطو ومن بعده بلوتارخوس أن الأثينيين كانوا كرماء مع المهاجرين فمنحوهم الجنسية الأثينية . كما ربط باوسانياس بين تقاليد حق منح اللجوء السياسى في أثينا لفير الأثينين والذي كان أحد العناصر الفكرية المقدسة الكبرى في التراجيديا الأثينية إبان القرن الخامس . ق . م وأكد أن هذه الفكرة كان مبعثها أساسا استقبال الأخين والأيونيين في المدينة والنى تركت تقليدا سياسيا دينيا يقدر هذه الفكرة . كما تحدث التراث الشعبى عن هجرة أهل ييلوس إلى أثينا وكيف أنهم التجأوا إلى أثينا وأقاموا فيها واختلطوا مع سكانها عرقيا وحضاريا مكونين عنصرا مزدوجا يطلق عليه العنصر اليلو أتيكى Pylian-attic وهو الطاقة الخلاقة الرئيسية في الحضارة الإغريقية خاصة في آسيا الصغرى . كما يروى التراث الشعبى بأن أحد ملوك أثينا وهو الملك كودروس (Kodros) كان ينحدر من أصل « يلى » وأنه سقط شهيدا وهو يدافع عن استقلال أثينا .

ومن الأدلة المادية القاطعة على هجرة الأخين الموكينيين إلى أثينا الازدياد الملحوظ المفاجيء في عدد سكانها لدرجة تجعلنا نستبعد ارجاع

ذلك الى عوامل أخرى مثل زيادة نسبة الارتفاع في معدل الولادة - أضف الى ذلك ان الدراسات والتحليلات الطبية التي أجريت على الهياكل العظمية والجوامع التي تكتظ بها القبور أثبتت اني أنها تنتمي الى نفس النوع الذي استخرج من القبور الموكينية ، أى أنها ترجع الى العنصر الآخى الذى ينتمى اليه الموكينيون ؛ كما ثبت أن هذه الهياكل العظمية والجوامع تختلف اختلافا واضحا عن تلك التي أخرجت من القبور الدورية . كما ثبت أيضا أن العنصر الاثنى السكاني يرجع الى امتزاج هذه العناصر بعضها ببعض وخاصة عنصر البحر الأبيض المتوسط والعنصر النوردى .

كما لفت الأثريون الأنظار الى استخدام أسلوب الحرق (Cremation) بدلا من الدفن (humation) (١) أثناء هذه الفترة ويشرح بعضهم أن أسلوب الحرق مبعثه تكديس السكان وضيق المكان وبهاضة تكاليف بناء القبور بينما لا يكلف « حرق الجثة » كثيرا ، كما أن الوعاء الذي تحفظ فيه رفات الميت لا يشغل حيزا كبيرا ، كما أنه مناسب عمليا بالنسبة للغرباء أو الذين لا يتركون من ورائهم من يحتمى بموتهم ويشرف على بناء القبر واقامة الشعائر الجنائزية اللازمة .

(1) of D. Kurts and J. Boardman, Greek burial Customs (Aspects of Greek & Roman life), Thames and Hudson, (1971), Reviewed by J. Pollard in J.H.S., XCIII (1973), p. 250-251.

في هذا المؤلف الشيق ينفي هنا الاثريان الافتكار القديمة عن عبادة الموتى عند الموكينيين والافريق ، بدليل استخدام الحرق والدفن حسب عادة العصر . وان شعائر الجنازة عند الافريق لم تكن سوى مساعدة الميت في رحلته الطويلة الى العالم الآخر مثل وضع قطعة من النقود في فمه أو يده لدفع اجرة خارون الذى ينقله في قاربه من شاطئ الدنيا الى شاطئ عالم الآخرة . ويخرج الدارسان أن الافريق دون غيرهم من شعوب الممالك القديم (ربما يقصدان المصريين) اهتموا بالحياة أكثر من الموت وأن المناظر الفنية الجنائزية تصور الحياة أكثر ما تصور الموت . لكن هذه الدراسة الشيقة بنقصها الدليل المكتوب ولأن كل ما يقال عن ذلك ليس الا مجرد آراء ويناقض هذه الدراسة كتاب :

Richard Lattimore : Themes in Greek and Latin Epitaphs, Urbana (1962).

الذى درس نقوش القبور وأكد عبادة الموتى وكذلك الاثرى تمة الذى درس شواهد القبور وأكد عبادة الموتى من الناحية الفنية .

Thimme, Antike Kunst, 1964, p. 16 ff

الرواج الحضارى بعم أثينا :

ومن ناحية ثالثة فإن الآثار تكشف بوضوح حركة رواج حضارية وثقافية لم تشهد لها أثينا مثيل من قبل وليست بأقل من حضارة البذخ والترف التي كانت تنود العصر الموكيشى ، فمثلا تزداد كمية التماثيل الصغيرة سواء من الطين المحروق (Terra Cottas) أو من البرونز (Bronze Statuettes) كما يزدهر فن الرسم على الأواني الفخارية (Vase-Painting) وأخذ يتخذ ملامحا وأسلوبا معينا عرف فيما بعد بالأسلوب البرتوجيومترى (Protogeometric) أو « الأسلوب الهندسى المبكر » وأصبح واضحا الآن بعد دراسة نتائج الحفائر الأثرية التي أجريت فوق الأكروبول (Acropolis) أو فى منطقة السوق العمامة (agora) أو فى جانة أثينا الشهيرة باسم Dipylon أو Kerameikos أن ما كان يسمى بعصر الظلام (Dark Ages) لم يكن كذلك بالنسبة لحوض البحر الايجى ، بل كان عصر تفاعل وتطور حضارى تمخضت عنها الملامح الكاملة للحضارة الهلينية ، كما تحقق لأثينا تفوذ سياسى وتجارى وسيطرة بحرية ليس داخل بلاد اليونان فحسب بل تعدتها الى آسيا الصغرى وجزر البحر الأبيض المتوسط ، كما غطت الصادرات الأثينية مساحة شاسعة وأسواق كثيرة شملت جزر الكوكلا ديس (Cyclades) وكوس (Cos) وليبوس (Lesbos) شرقا ، وكذلك مناطق كورنثا (Corinth) وراجوليس (Argolis) غربا وهذا مرجعه دون منازع الى نجاح أثينا فى استيعاب المهاجرين الموكيين وحضارتهم كما أن تدمير المدن الموكينية فى البيلوبونيز ترك أثينا بلا منافس أو منازع - سيدة « هيلاس » . وكان على الدوربين أنفسهم أن يقضوا قرونا من العمل الشاق قبل أن يستقروا ويتأصل وجودهم لكى يقفوا بالمرصاد للنفوذ الأثينى وبهذا تشكل طرفا الصراع الذى هو جوهر تاريخ الأغريق .

الهجرة الى ساحل آسيا الصغرى :

طبقا للتراث الشعبى الاغريقى ، فإن استعمار ساحل آسيا الصغرى يبدأ فى أعقاب سقوط طرواده ، ولكن الدلائل المادية تنفى بشدة مثل

هذا الادعاء فباستثناء جزيرة رودس التي استغمرها الاغريق منذ وقت سابق للحرب الطروادية يعتبر الآخيون وحلفائهم الأيوليون الذين جاءوا من سهل تساليا Thessalia أول من أقاموا مستوطنات على ساحل آسيا الصغرى . كما أنه لا يوجد أى دليل أثرى على استعمار ساحل آسيا يقرب بثلاث قرون أى أن ما بين ١١٠٠ - ٨٥٠ ق م لا يوجد دليل قاطع على وجود حركة استعمار فى آسيا الصغرى من قبل الاغريق ؛ لأن الحقائق الأثرية لم تظهر إبان هذه الفترة سوى معالم حضارة محلية متأثرة بالحضارة الموكينية كما أن التراث الاغريقى الخالص لم يظهر الا بعد منتصف القرن التاسع قبل الميلاد .

وربما كان التشابه فى التركيب الجغرافى بين ساحل آسيا الصغرى وبلاد اليونان من أحد العوامل التي جذبت المهاجرين الاغريق الى هذه المناطق ، فهي منطقة كثيرة الخلجان الطبيعية التي تناسب الشعوب العاملة بالبحر ، كما أن الجبال تتخلل سهولها وتقسّمها الى مناطق منعزلة مثلما الحال فى بلاد اليونان . وهذا أيضا مناسب لنمو دويلات المدن المستقلة (Poleis) ، كما أن مناخ هذه المنطقة لا يختلف كثيرا عن مناخ بلاد انيونان ذاتها فهي دفيئة وأمطارها كافية وأنهارها صالحة للملاحة ومشجعة على التجارة ، وأخيرا فإن رخاء الموارد الطبيعية فى هذه البلاد كان أيضا عاملا هاما حيث سبق أن أشرنا الى الفقر الاقتصادى الذي كادت تعانيه بلاد اليونان . وذكرنا كيف أن المهاجرين الأيونيين والآخيين تدفقوا على أتيكا فى غداة الفوز الدورى . وبالرغم من مزايا الامتزاج العنصرى والحضارى الذى تمتعت به أثينا الا أن ضيق المساحة وتكدس السكان لدرجة لا تتناسب مع المصادر الاقتصادية لبلاد اليونان أدى الى انفجار سكاني Explosion of population وقد وجد الاغريق دائما الحل فى الاستعمار الاستيطاني عبر البحار ، وكان أول مكان فكروا فيه هو ساحل آسيا الصغرى ويستقر الرأي الآن على أن الانفجار السكانى وصل الى أقصى مداه عام ٩٠٠ قبل الميلاد . ويرى التراث الشعبى الاغريقى أن

كوروس Kodro ابن نيلوس Neleus قاد بنفسه حملة استيطانية الى جزيرة ميليتوس وبصرف النظر عن حقيقة الأسطورة يكفى أن هذا الملك الذى وصل الى عرش مدينة أثينا ينحدر من أمرة أخيه هاجرت من البيلوبونيسوس ، كما أن قيادته لحملة استيطانية تعبير عن الدور الذى لعبه هؤلاء المهاجرون على مسرح الأحداث فى أتيكا .

كما تحدث التراث الشعبى عن الأيوليين الذين هاجروا من اقليم تساليا Thessalia وبؤوتيا Boeotia فى شمال بلاد اليونان حيث تسللوا تدريجيا واستوطنوا المنطقة الشمالية من ساحل آسيا الصغرى . فاحتلوا جزيرة لبوس (Lesbos) ومنطقة سهل طرواده المواجه لها (Troad) وأقاموا مستعمرات على ساحل آسيا الصغرى حول مدن محصنة مثل بيتانى Pitane . مورينا Myrina وكومى Cyme وآبجاي Aegae وسمرنة Smyrna . كما أقاموا مدينة مجنيزيا Magnesia فى العمق شرقا عند سفح جبل سيلوس Sipylus وبالرغم من أن العنصر الأيولى يغلب فى هذه المنطقة لدرجة أن أطلق عليها اسم Aeolis وحيث سادت فيه اللهجة الأيولية التى جاءوا بها من تساليا وبؤوتيا الا أنه من الصعب فصل هذا العنصر عن العنصر الأيوى والآخى الذى استوطن جنوبا) كما شملت المستوطنات الأيوية مستوطنين آخرين كما هو الحال Cyme التى اتخذت اسمها من جزيرة يوبويا Eubosa الايوية ، كما أن المستوطنات الأيوية شملت مستوطنين جاءوا من تساليا ، كما أنه من الصعب وضع حدود اقليمية فاصلة بين Aeolis وأيونيا ، فشلا مستوطنة فوكايا Phocaea التى كما يتضح من اسمها ترجع سكانيا وجغرافيا الى أيوليس Aeolis الا أنها اعتبرت داخل النفوذ الأيوى وكذلك مستوطنة جزيرة خيوس Chios التى سادت فيها اللهجة الأيوية اعتبرت جزءا من المنطقة الايوية . وعلى

حوض بحر ایجه
THE AEGEAN SEA



أي حال فقد غطى شتو الأيونيين على نفوذ الأبوليين تساء كما تغطي الولايات المتحدة حاليا على أسلوب الحياة الموجودة في كندا وقد تركزت المستوطنات الآخية الأثينية على المنطقة الساحلية الواقعة جنوب Aeolis وأسسوها Ionia ولما كانت هذه المنطقة متاخمة لدولة Lydia فمن الطبيعي أن يدغم الاغريق أهل البلاد الأصليين شرقا وإن اختلطوا بهم وثرأوجوا معهم أحيانا كما فعلوا مع أهل كاريا Caria

يحدثنا هيرودوت أن المستوطنين في أبونيا شملوا عناصر سكانية مختلفة من بينها الدورويون ولكنه أكد أن الغالبية جاءت من أتيكا وأشار الى تمسك سكان أبونيا بشعائر الأباتوريا Apaturia وهي شعائر دينية أثينية بحتة . وتمتد أبونيا من مستوطنة فوكايا Phocaea شمالا حتى ميليتوس Miletus جنوبا ومن أهم مستوطناتها Erythrae أريثراي (أي القرمزية) وفي الشرق منها تيجي مستوطنة كلازوميناى Clazomenae ثم تيجي تيوس Teos جنوبا ثم لبيدوس Lepidus وكولوفون على امتداد الساحل الشرقي ، وفي الجنوب وعند مصب نهر كايستر Cayster أقيمت أفيسسوس Ephesus مدينة الربة أرتيميس المفضلة (١) ثم مستوطنة ماجنيزيا Magnesia على نهر مياندر Meander كما يجب ألا تنسى جزيرة ساموس الشهيرة Samos والتي كانت مركزا لعبادة الربة هيرا Hera وعلى الشاطئ المواجه لهذه الجزيرة وفي السهل الممتد شمال جبل ميكالي Mycale العظيم كان الأيونيون يتجمعون كل عام في عيد ديني قومي حول معبد اله البحر « بوسيدون » Poseidon . وتيجي مستوطنة بريني Priene وميوس Myus جنوب جبل ميكالي وعلى ضفاف نهر المياندر العظيم وتعتبر Miletus أهم المدن الجنوبية التي شملتها أبونيا والتي احتلها الاغريق منذ وقت مبكر .

(١) كان يوجد بها معبد أرتيميس الشهير الذي اعتبر من بين اعاجيب العالم القديم السبع وهم : الهرم الأكبر وفنار الاسكندرية ، وحدائق سيراميس في بابل وتمثال ابو للون في رودس ، وتمثال زيوس في أولمبيا ، ومقبرة الملك موصولوس في هاليكارناسوس في آسيا الصغرى .

ومن الطبيعي أن ينقل المهاجرون معهم الحضارة الآتيكية -
اليونانية من أجل بناء هيللاس الجديدة في آسيا الصغرى . ويتضح من
الحفائر الأثرية التي أجريت في هذه المنطقة أنها لم تكن مزدهرة بأى
حال من الأحوال إبان القرنين العاشر والتاسع ق.م لأن المستوطنين الأول
شغلوا أنفسهم بالصراع مع سكان آسيا الصغرى الأصليين ودخلوا
معهم في حروب من أجل تثبيت أقدامهم في هذه المناطق واعتمدوا على
الاستيراد الكامل (أو في أحسن الأحوال تقليد السلع) من الوطن
الأم .

وقد ظلت الحضارة في أيونيا في حالة تكوين وتفاعل حتى حلول
القرن السادس قبل الميلاد . وقد دفعت النعرة القومية المستوطنين
اليونانيين إلى العمل نحو الوحدة خاصة بين مدن أيونيا الكبرى الاثنى
عشر وهى فوكايا وكلازوميناى وساموس وخيوس وأريثراى وتيوس
وليبدوس وكولوفون وأفيسوس وبرينى وميوس وميليتوس التى
كانت تلتزم بشعائر عيد البانيونيون Panionion عند سفح جبل
ميكالى ، وأقامت سوقاً اقتصادياً مما أدى إلى حركة من الرواج
والازدهار شجعها على إقامة مستوطنات جديدة خاصة حول البحر
الأسود Euxene وبالرغم من أن الأيوليين وقعوا فريسة لدول
شرقية مثل مملكة ليديا ثم الإمبراطورية الفارسية فى القرن السادس الا
أن ذلك لم يعق الازدهار الحضارى والثقافى بل على العكس إذ لم
يتدخل الفرس فى الشؤون الداخلية للمدن الاغريقية ومنحوها الاستقرار
ووقوها شر الصراعات الداخلية . وفى ظل السلام الفارسى استطاع
الفلاسفة الأيونيون أن يمارسوا حريتهم كاملة فى الجدل والتفكير فوضعوا
بذلك الأسس الأولى للفلسفة الاغريقية . كما ترعرع فى أيونيا شعور

الملاحم مثل الياذة هوميروس وأغانى سافو Sappho (١) والكاىوس
وآناكرىون (٢) والى جانب الفلسفة والشعر أخرجت أيونيا مؤرخين
نبغوا فى عصرهم مثل هيرودوت Herodotus أبو التاريخ والكثير من
علماء الطبيعة .

وقد وصلت الحضارة الاغريقية فى أيونيا الى درجة عالية من التقدم
والازدهار (٣) حيث ساعدها على ذلك انفتاحها على دول الشرق
الأوسط مهد الحضارات الأولى لللسان . وقد وجدت بلاد اليونان
فى أيونيا رصيذاً ضخماً لها استفادت منه كثيراً عند الحاجة ، وليس من
الغريب أن تهب أئينا دفاعاً عن الاغريق فى آسيا الصغرى لتحريرهم من
أيدي الفرس وما تبع ذلك من انتقام الفرس بالقيام بحملتين لاختداد
مركز الثورة القومية فى بلاد الاغريق وفى أئينا بالذات (٤) .

-
- (١) عن الشاعرة سافو انظر المحاولة الطريفة التى قام بها عبد الغفار
مكاوى - سافو - القاهرة ١٩٦٨ .
- (٢) من هذه الفترة من تاريخ الادب اليونانى انظر : محمد غلاب
تاريخ الادب الهللىنى - القاهرة ١٩٥٢ ، كذلك انظر محمد صقر خفاجه
تاريخ الادب اليونانى - القاهرة دار النهضة العربية ١٩٥٦ .
- (٣) أود أن أشير الى اقدم المؤلفات بالعربية عن تاريخ اليونان القديمة
وهو كتاب : جورج ديمنرى سربق تاريخ اليونان - بيروت ١٨٧٦ .
- (٤) عن تاريخ الحضارة الهللىنية انظر أيضاً : ارنولد توينبى - تاريخ
الحضارة الهللىنية - ترجمة رمزى عبده جرجس ومراجعة محمد صقر
خفاجه ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣ .

الفصل الثالث

حضارة عصر الإبطال أو العصر الهومري

(Homeric Age)

وأخيراً وسط الجمود الحضارى الذى خيم على بلاد اليونان بعد الغزو الدورى انبثق من أيونيا أول شعاع لشمس نهضة جديدة الا وهى الأشعار الهومرية . أو بمعنى آخر الملحمتان الرائعتان الألياذة والأودسا اللتان نسبنا الى الشاعر العظيم هوميروس واللذان أثرتا على حياة العصر كله لدرجة أن العلماء سموه باسم هذا الشاعر أو باسم أبطلاله العظام الذى روى سيرتهم فمعرف باسم عصر الإبطال أو العصر الهومري .

ويكاد العلماء يتفقون على أن الألياذة قد اتخذت شكلها الملحمي بعد منتصف القرن الثامن بقليل ، سواء على يد مجموعة من المنشدين أو على يد شاعر نابغة استطاع أن يبنى من الأهازيج الشعرية القديمة قالباً درامياً ملحمياً تروى حوادثها فعلاً وقائع أحداث وقعت منذ خمسة قرون مضت تقريباً ، ويلاحظ العلماء أنه بالرغم من أن الألياذة تتحدث عن وقائع حدثت أبان العصر الموكيني المنهار الا أن مظاهر الحياة فى الألياذة تطابق فى بعض الأحيان معالم الحياة أبان القرنين العاشر والتاسع ق.م . (١) ويحاولون مقارنة هوميروس بالشاعر الانجليزى وليم شكسبير عندما تمكن هذا الأخير من أن يصوغ مسرحياته من مصادر وأشعار وروايات ومؤلفات قديمة فى صورة جديدة ، والأدلة على أن الألياذة قد صيغت فى عصر غير العصر الذى تتحدث عنه كثيرة ،

(١) أحسن كتابين عن هوميروس باللغة العربية هما كتاب المرحوم الأستاذ الدكتور سقر خفاجه : هوميروس . (سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب ٢٧) - مكتبة نهضة مصر بالقاهرة - ١٩٥٦ وهو من وجهة نظر استاذ ادب ، اما الكتاب الآخر فهو من وجهة نظر مؤرخ وهو كتاب الأستاذ الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى : هوميروس تاريخ حياة - الإسكندرية ١٩٦٨ .

أبرزها أن الآخين في الألياذة يحرقون موتاهم بينما يكشف علم الآثار عن حقيقة هامة وهي أن الموكينيين الأصليين كانوا يدفنون موتاهم في قبور فخمة .

وعلى أية حال فإن سيرة هوميروس وشخصيته لا تزال يحيطها انغموض والتقارب حتى معنى الاسم في اللغة الاغريقية الذي يعنى « بالرهينة » أو الأسير لا يدل عن شيء واضح ، حتى موطنه غير محدد لأن عددا من المدن الاغريقية سواء في أيونيا أو بلاد اليونان تنازعت فيما بينها مدعية كل منها أنها موطنه ، ومن هذه المدن سمرا (أزمير) ورودس وكولوفون وسلاميس القبرصية وخيوس التي كان يعيش فيها قوم احترقوا التغنى بالأشعار الهومرية إبان القرن السادس عرفوا باسم آل هوميروس . (Homaridae) . وقد نسب التراث الاغريقى الى هوميروس تأليف الأودسا شلما نسبوا ايه الاياذة بالرغم من الفارق الزمنى الشاسع الذى يفصل بين تاريخ تأليف الملحمتين والذى ينعكس في الاختلاف في طبيعة المجتمع وفي الأسلوب اللغوى مما يلقي ظلالا من الشك على نسبة الأوديسا الى هوميروس .

ومما يمكن من أمر فقد قامت الأياذة بدور كبير في تنمية الرابطة المشتركة بين الاغريق اذ أنها ملحمة قومية ، خلقت كبرياء وطنيا بينهم في كل مكان وعلى فارق المصور عوض التشكك السياسى والصراع النوفانى بين المدن الاغريقية ، وقد ظلت الأياذة مثالا تدرس لأبناء الاغريق في قرى مصر حتى القرن الرابع الميلادى كما تبين أوراق البردى المكتشفة في الفيوم وأوكسيرينخوس (البهنسا) وغيرها من الحواضر الاغريقية في مصر (١) .

(1) The study of Homer in Graeco-Roman Egypt. Akten des VIII International Kongress Fur Papyrologie, Wien 1956.

من الشذرات الأدبية التى وجدت في مصر والتي نشرت حتى عام ١٩٤٩ تشمل الأياذة والأودسا نصف هذه الشذرات الأدبية تقريبا سواء نصوصها أو شروحاتها ومن الملاحظ أن الأياذة تتفوق على الأوديسا وبلى ذلك الخطيب ديموستينيس ويأتى المرحى يوربيديس في المرتبة الثالثة وبلى ذلك هسيودوس نافلاطون نارسطو أنظر : م. فنلى عالم أوديسيوس - ترجمة حلمى عبد الواحد خضرة ومراجع محمد سليم سالم سلسلة الألف كتاب (٦١٦) ص ١٥ .

والدليل على أن الإلياذة من فعل « عقل واحد » أنها تختص بفترة محددة وهي أحداث الواحد والخمسين يوما من السنة العاشرة لحصار الآخيين لطرودة (١) . وتدور أحداثها حول فكرة واحدة هي غضب البطل

(٢) أما عن الأحداث الروائية عن حرب طروادة التي كان يعرفها هوميروس ولم يعالجها في الإلياذة فهي على النحو التالي :

بدأ الأحداث بالحفل الكبير الذي أقيم بمناسبة زفاف بيليوس من البشر على ثيتس (Thetis) حورية الماء . وقد دعى إلى هذا الحفل كل آلهة الأغريق ما عدا ربة النزاع والخصام ايريس (Eris) التي أرادت الانتقام فصنعت تفاحة كبيرة من الذهب كتبت عليها إلى أجمل الحاضرات (To kallisto) ثم ألقت بها في الحفل فدب النزاع بين أجمل الحاضرات وهن هيرا زوجة زيوس والينا ربة الحكمة وأفروديت ربة الجمال واحتكمت الربات الثلاث إلى زيوس الذي أحالهن إلى باريس الأمير الطروادي ليحكم بينهن .

وكان باريس الابن الثاني لملك طروادة المعجوز برياموس وملكتها هيكوبا ، وكان منبوذا لأن أمه وهي حامل به رأت في نومها أن نارا خرجت من رحمها سرعان ما تحولت إلى أفعى ودمى أبوه بريام مفسري الأحلام إليه ونصحوه بقتل المولود لأنه سوف يكون شؤما على طروادة ، وبالفعل أعطى باريس دعو طفل رضيع لاحد الخدم ليقتله ولكن الخادم رق قلبه للرضيع فتركه عند جبل ايدا (Ida) ليموت أو تأكله الذئاب وأخبر برياموس أنه قد قتله ، ويقال أن ذئبة كبيرة عثرت على الرضيع وأرضعته حتى كبر ووجد أحد الرعاة باريس فاتخذ ولدا ورباه راعيا ولكن الطفل باريس أظهر مواهب فنية إذ راح يصنع من الطين أشكالا وصنع ثورا جيلا حمله الراعي إلى طروادة وجعله برياموس جائزة لمن يغوز في المباريات الرياضية ، ولكي يستعيد باريس تمثاله دخل طروادة ونازل الرياضيين جميعا حتى هزمهم وعاد بالجائزة وهنا تعرف عليه أبوه وضمه إليه راضخا للقدر وما يخطه للمملكة .

وإذا ظهرت الربات الثلاث للأمير باريس وهو يرعى غنمه عند الجبل حاولت كل منهن أن تغريه بوعودها ، ولكنه استجاب لوعد ربة الجمال أفروديتي وهو تمكنه من أجمل امرأة في العالم وغضبت الربتان الأخريتان وانقسمتا على تدمير طروادة ، بينما نفلت أفروديتي وعددها بأن أوحى إليه بالسفر إلى أسبرطة والنزول في ضيافة ملكها مينالاوس ، وهناك التقى بزوجته هيلينا خلصة وسوب أيروس ابن أفروديت سهاه إلى تلب الملكة فوقعت في غرام الزائر الطروادي وهربت معه بعد أن نهبت القصر وهناك روايتان رواية تقول أنها ذهبت معه إلى طروادة وهي الرواية التي قبلها هوميروس ورواية ثانية تقول أن ملك مصر الفاضل ويدعى بروتوس قبض على الماشقين عندما رسي قاربهما على الساحل المصري وطرد الأمير الخائن واحتفظ بالزوجة وبالمال إلى أن عاد مينالاوس من حرب طروادة وأخذها (Herodotus, II, 112) . أما الأغريق فقد قادوا حملة لمعاقبة الخائن وأبحر =

أخيليس وشجاره مع أجاممنون قائد الحملة وانسحابه من القتال هو ورفاقه من فرقة المورميديين . كما انقسمت الآلهة الاغريقية فيما بينها فريق انضم الى الطرواديين وفريق الى الآخيين ووصل الخلاف بين هذه الآلهة الى حد الاقتتال . وأدى غضب أبو للون بسبب انتهاك حرمة معبده وخطف ابنة كاهنة الى نشر الوباء واندحار الآخيين . وازاء هذه الهزائم أرسل أجاممنون الى أخيليس سفارة تدعوه الى العودة الى القتال ولكن البطل الغاضب رفض الانصياع لأوامر القائد المتفطرس وهدد بالعودة الى موطنه . وعندما حدد الطرواديون السفن الأخية وكادوا أن يحرقوها ذهب باتروكلوس الصديق الوفي لأخيليس يرجوه العودة للقتال ولكن الأخير اعتذر عن ذلك ولكنه أعار صديقه درعه وسلاحه وفرقة العسكرية . ونجح باتروكلوس في دحر الطرواديين ولكنه خر صريعا تحت ضربات بطل الطرواديين هكتور ابن الملك برياموس ملك طروادة وشقيق باريس الأمير الطروادى الذى تسبب فى هذه الحرب بخطفه هيلينا زوجة مينالائوس ملك اسبرطة . ولما سمع أخيليس بمقتل باتروكلوس انتابه الغضب الشديد وهنا تحدث نقطة التحول فى الأحداث اذ يعود الى القتال بعد أن صنع له هيفايستوس

= اسطولهم الذى تعطل عند مدينة اوليس (Aulis) حتى ضحى أجاممنون شقيق الملك وقائد الرحلة بابنته « افيجينيا » قربانا بعد ان خدعها بأنها سوف تتزوج أخيليس بطل فرقة المورميديين الاغريقية ووصل الاسطول الاغريقى الى طروادة وحاصرها عشرة سنوات وكان الحرب اشبه بالنزال والمبارزة بين الابطال المتناظرين ، ولم يتمكن أى الفريقين احراز النصر على الآخر بسبب اتقسام الآلهة على أنفسهم بالنسبة لهذه الحرب ، وأخيرا قدم أوديسيوس فكرة وهى صناعة حصان من الخشب المجوف يختبئ فيه الجنود ويترك عند بوابة طروادة بينما يتظاهر الجيش الاغريقى بالانسحاب وبالفعل وقع الطرواديون فى الشرك ولما حاول أحد حكامهم لأوكون أن يحذرهم من هدايا الاغريق أرسلت عليه اثينا حيتين التفتتا حوله وحول ولديه فقتلته ولم ينبج سوى ولد واحد . وفى الليل البهيم خرج الجنود من الحصان الخشبى وفتحوا أبواب طروادة فدخلها الاغريق وهائوا فيها حرقا وقتلا وسبيا . وبعد ذلك عاد ابطال الاغريق الى بلادهم ليعيشوا حياة هادئة .

إله العداة درعاً وسلاحاً جديداً • ويقسم بالنار من هكتور وبالفعل
بصرع أخيليس هكتور في مشهد مثير ويمثل بجثته شر تمثيل مما
أدى إلى ذهاب أبيه برياموس الشيخ ليحثوا على زكيتيه أمامه راجين
ارجاع الجثمان ولا يلقى للكلاب • ويستجيب أخيليس ويعيد
الجثمان إلى الملك حيث يلقى جنازة كبيرة في مدينته • وهكذا تنتهي
الأيادة بهذه النهاية التراجيدية المؤثرة •

والحق يقال أن الأيادة مليئة بمواقف عاطفية كثيرة تشد انتباه
القارئ وتثير العفقة والرثاء مثل فواح برياموس وزوجته هيكوبا على
فقد زهرة شباب أبنائهم أو منظر وداع هكتور لزوجته ولطفله وتبؤه
بموته قبل الذهاب للملاقاة أخيليس أو كمنظر هيليا فوق الأسوار تعرف
برياموس على زعماء قومها وهي تحس بمرارة الذنب وأنها السبب في كل
الكوارث بل أن الأيادة ذكرت الكثير من الأبطال مثل أجاكس وإنياس
وأوديسيوس ونستور وتلقى الضوء على عادات المجتمع وسلوك أفراد
وتوضح معالم ديالته •

أما الأوديسا ، فقد قسمت مثل الأيادة إلى أربعة وعشرين أشودة
أو كتاباً تتناول أربعة موضوعات مختلفة • ولكن من الواجب أن نقول
أن الأوديسا تلي الأيادة أهمية وزمناً ، فالأوديسا تتحدث عن عالم
يختلف تماماً عن عالم الأيادة إذ أنها تبدأ من حيث انتهت الأولى لتروي
نصه تجول أوديسيوس أحد أبطال الأيادة وتخطيه في البحار أثناء عودته
إلى مملكة إيثاكا باليلوبونيسوس • إذا فهي انعكاس صادر لعصر الكشوفات
الجغرافية والتقدم في العلوم البحرية وتمهيد لعالم جديد واسع الأفق
ونهضة كبرى للتجارة والتبادل الحضاري •

والموضوعات الأربعة التي يمكن تقسيم الأوديسا إليها تجيء على
النحو التالي : أولها مغامرات ابن أوديسيوس وهو الأمير تيليماكخوس
Telemachos من ينيلوبى بعد أن ضاق درعاً باستيلاء بعض الشباب

(١) انظر : فنلى - عالم أوديسيوس - ترجمة حلمى خضرة ومراجعة
محمد سليم سالم •

الارستقراطيين على قصر ابيه وأمواله ومحاولتهم اغراء أمه المخلصة بينيلوبي Penelope لتتسبب اياه وتختار زوجاً جديداً من بينهم . ولهذا بدأ الابن رحلة شاقة ساعدته فيها فيها الربة ائينا ليسأل الامراء العائدين من حرب طروادة من أمثال الشيخ الوقور وحكيم الاغريق نستور Nestor الذى زاره في مدينته ييلوس ، كما زار مينالاموس فى اسبرطة ويعطينا فكرة عن استقرار ابطال طروادة بعد الحرب فى ممالكهم وقد مضى على الحرب عشر سنوات .

أما للموضوع الثانى : يبدأ برحلة أودينيوس نفسه من جزيرة أوجوجيا حيث احتجزته ملكتها الربة كالبسو Calypso سبع سنوات أملا فى اغرائه بالإقامة معها والزواج منها وبعد تدخل زيوس أطلقت الملكة سراحه ليلقى به الموج عند جزيرة صغيرا Scheira حيث تشر عليه الأميرة ناوسيكيا Nausicaa ابنة ملك الجزيرة الملك الكينووس Alkinoos

والموضوع الثالث : موضوع الحفل الذى أقيم فى القصر لهذا الضيف المجهول الهوية وقيام الشعراء والمنشدين بالتغنى ببصير أبطال حرب طرواده قيثار الانشاد مشاعر أوديسيوس فيعلن عن نفسه ويبدأ فى رواية ما حدث له ومغامراته فى البحر مع الكيكيون وأكله اللوتس وصراعه مع العملاق ذى العين الواحدة بوليفيموس (Polyphemus) ورحلته الى العالم الآخر ليلتقى بالموتى ويتحدث مع أمه اتكليا وغيرها من الأحداث الرهيبة حتى وصوله الى جزيرة الملك الكينوس .

والموضوع الرابع : يتناول التكريم الذى لاقاه بعد الكشف عن هويته والهدايا ، والاعداد للعودة ووصوله الى ايتاكا متخفيا فى ثوب شحاذ واقامته فى كوخ راعيه المخلص يومايوس ثم يتعرف على ولده تليماخوس والاتفاق معه على الانتقام من العشاق ثم المذبحة الكبرى وتطهير القصر من الدماء .

وتنتهى الأوديسا بجمع الشملين أوديسيوس وزوجته الوفية بينيلوبي وأبيه المسن لا أرتس Laertes وابنه تليماخوس .

ونظر الاختلاف الكبير بين الألباذا والأودسا في اللغة والأفكار فإن العلماء اليوم يشكون كثيرا عما إذا كان المؤلف هو نفس مؤلف الألباذا بل لابد أن يكون قد جاء متأخرا كثيرا عنه .

وقد تلى الألباذا والأوديسا ظهور مجموعة من شعراء الملاحم والذين راحوا يضيفون بعض التفاصيل على الموضوعات التي لم تذكرها الألباذا والأودسا أو التي ذكرتها باختصار وقد عرف هؤلاء الشعراء بشعراء (١) الملاحم الطروادية أو الدوائر الملحمية Epic Cycles . ومن أشهر مؤلفات هؤلاء الشعراء « الألباذا الصغيرة » و « مغامرات السبعة ضد مدينة طيبة » و « معركة الآلهة المطردة » وغيرها من الموضوعات الأسطورية .

هكذا يظهر هذا التراث الأسطوري الشعبي وضع الأغريق أيديهم على منجم الهام غنى بالأساطير والخرافات التي حولوها إلى مادة غنية للشعر والفن والتراجيديات بل ولل فلسفة والموسيقى والنحت والرسم ، هي المنطلق الحقيقي لحضارتهم منذ بزوغها إلى أفولها وقد حق القول المنسوب إلى الشاعر أيسخولوس والذي فيه وصف مسرحياته بأنها « فئات وليمة هوميروس إلى العظيم » بل أن الرومان أنفسهم أقاموا خيالهم وأدبهم على أنقاضها ففسج فرجيل ملحمة الخالدة الألباذا على غرار الألباذا كما استعان بالأوديسا في وصف مغامرات بطلة اينياس في البعارة . وليس الرومان فحسب بل الشعوب الأوروبية ذاتها في عصر النهضة الكبير عندما عادوا إلى ينايع الأدب والفن الاغريقي الذي تبع الأسطورة وراءه ، بل أن روح الأشعار الهومرية لا تزال تتنفس من خلال آداب وفنون عالمنا الحديث والمعاصر .

(١) لا يفوتنا أن نشير إلى الشاعر الملحمي هسيودوس الذي ولد في اسكرا الواقعة عند سفح الهليكون في طيبة حيث سلب منه شقيقه ميراث أبيه عن طريق رشوة الحكام مما دفع هسيودوس إلى الكتابة عن الواقع الأخلاقي التعليمي في الملحمة وهبط من عالم الأساطير إلى دنيا الواقع المر ومن أهم مؤلفاته الأيام والأعمال وأصل الآلهة . ومن الصعب تحديد العصر الذي عاش فيه لكننا نعلم أنه دخل في مباريات شعرية مع هوميروس نفسه كما يقول هيرودوت ولكن الباحثين المعاصرين يضعونه في تاريخ متأخر عن هوميروس وهو حوالي عام ٨٠٠ ق.م نظرا للتطور الكبير في الفكر والفنون العامة بين شعره وشعر هوميروس .

على أى حال انتشرت الألياذة والأوديسا فى العالم الاغريقى انتشار النار فى الهشيم ، وذلك بفضل المنشدين المتجولين (thapsodoi) بين ايونيا وبلاد اليونان ، حتى لم يكذبجىء المهرجان الالمبى السادس عام ٧٥٣ ق م حتى كانت الألياذة والأوديسا ترائعا مام مشتركا بين كل الاغريق .

وكانت مدينة أثينا بالذات من أشد المدن الاغريقية حرصا على حفظ الألياذة وصورتها للبشرية وخوفا عليها من الاندثار أو التشويه بفعل الحذف والأقتراء من جانب الشعراء المتجولين . ولهذا فقد أمر طاغية أثينا الشهير بيسستراتوس (٥٣٥ ق م) بتكوين هيئة رسمية للإشراف على جمع أشعار الألياذة ونسخها فى شكل رسمى وثابت وقد كلف بذلك الشاعر الأثينى أونوماكريتوس Onomacritus وبالفعل ظلت النسخة الأثينية هى المقبولة والتداولة فى كل أنحاء بلاد اليونان ، حتى العصر الهلينستى الذى ساد بعد موت الاسكندر عندما برزت مدينة الإسكندرية كجامعة شهيرة وتكونت فيها مدرسة عالمية لدراسة فن النقد الأدبى (١) وفقه اللغة اليونانية وجعلت هذه المدرسة هوميروس موضع دراستها النقدية على فقهاء ذائعى الصيت من أمثال زينودوتوس Zenodotus من مدينة أفيسوس وتلميذه أرسطو فائس البيزنطى Aristophanes of Byzantium وخاصة الشاعر الناقد أرسطارخوس الذى سبب اليه تقسيم الألياذة الى أربع وعشرين أنشودة أو كتابا وذلك بأن القرن الثانى قبل الميلاد تحت حكم أسرة البطالمة لمصر .

ومهما يكن من أمر فإن الألياذة والأوديسا بالنسبة لنا كمؤرخين تعنى مصدرا هاما يعكس لنا ملامح الحياة والمجتمع ابان هذه الفترة التى ظهرت فيها الألياذة والتى يسميها المتخصصون عصر الأبطال أو عصر هوميروس والتى هى فى الحقيقة ليست الا فترة الانتقال من حضارة العصر البرونزى الى البعث الجديد بعد الغزو الدورى . وعلى أى حال فمن خلال دراستنا

(١) من الألياذة ونظام التعليم الاغريقى فى مصر انظر مقالة :

P. Collart, «A l'école avec les petits Grecs d'Egypte, Chronique d'Egypte, vol. II (1988) pp. 489—507.

للألياذة نستطيع أن نلخص الحالة التي كان عليها المجتمع الاغريقى حتى منتصف القرن التاسع ق م .

اولا : الحالة السياسية :

تصور الألياذة النظام الملكى كآمر طبيعى للحكم بالرغم من أن بعض المؤرخين يعتقدون أن كلمة ملك (Basileus) كلمة ليست أغريقية الأصل بل ربما جاءت من الشرق حيث الملكية التسلطة . ويدعم هؤلاء المؤرخون قولهم بأن هوميروس يستخدم لفظ ملك عندما يصف أجا ممنون قائد الحملة كما يستخدمها عندما يصف برياموس ملك طروادة دون تفریق .

تصور الألياذة أجا ممنون في صورة الملك المطلق الذى يتوجب على رعينة طاعته دون اعتراض كما يتضح من الاستهلاذ الافتتاحى فى الألياذة وفى الفصل الثانى يدعو الملك الجنود الى اجتماع عام كمجلس شعبى ولكنه لا يتقيد برأيه على الاطلاق . كما نلاحظ أن الملك يصر على وجوب طاعته حتى ولو كان على خطأ لأن ذلك من حقوقه الملكية .

والى جانب الملك تظهر الألياذة مجلسا لنشيوخ يحيط بالملك ويتكون من رؤساء العشائر كجهاز استشارى أو مجلسا لنشورى وسلطة الملك محددة بهذا المجلس بل كان عليه أن يستشير قبل الأقدام على أية خطوة . ولما كان الجنود هم سكان الدولة وسكان الدولة هم (١) جنودها فقد حتمت الضرورة أخذ رأى المواطنين قبل اعلان الحرب أو عقد السلام ومجلس الجنود العسكرى يعادل المجلس الشعبى فى الجهاز المدنى بالرغم أن لم يكن له أى سلطات . فكان المواطنین يجتمعون فى السوق العامة (agora) ليستمعوا الى القرارات التى يتخذها الملك بعد استشارة مجلس الشيوخ ليوافقوا عليها ولم يكن لهم حق الاعتراض . اذ تصور الألياذة الدولة على أنها القبيلة (Phyle) والملك هو زعيم القبيلة وهو الذى

(١) الدولة التى تحدث عنها هوميروس كانت دولة القبيلة

Stamm Staat لان فكرة دولة المدينة القائمة على المجتمع المندمج Stadtstaat

لم تكن قد ظهرت بعد انظر المقال الطريف :

Fr. Gschnitzer, Stadt und Stamm bei Homer, Chiron, I

(1971) pp. 1—17.

يقوم بهام الكاهن الأعظم أو القاضي الأكبر والقائد الأعلى للجيش ،
وفي الأوديسا ظهر الدولة في حالة فوضى سياسية واجتماعية في غياب
الملك فاوديسيوس يترك فراغا سياسيا كبيرا لم يستطع أحد ملؤه سواء
من الارستقراطيين أو العامة ولا ينصلح الحال الا بعودة الملك الى مملكته
ورضع الأمور في نصابها . فالملك جوهر الدولة وروحها وهو شيء حيوي
بالنسبة لها . ولكنه لا يستطيع أن يباشر عمله الا بحضور مجلس استشاري
من شيوخ العشائر واغنياؤها كما أن جهاز الحكم الملكي لا يصبح حكتملا
الا اذا دعى المجلس الشعبي للانعقاد بالرغم من أن هذا الأخير كان
صوريا ومسلوب السلطات .

كذلك تصور الأشعار الهومرية وجود نظام دولة المدينة المستقلة
الندى بدأ في الظهور بعد ركود الغزو الدوري وهو النظام الذي سوف
يشكل جوهر الحكم والعلاقات السياسية في كل بلاد اليونان وعلى طول
تاريخها . كما نلاحظ في نفس الوقت تطور النزعة الوطنية بين الاغريق
ووجود رابطة تجمعهم لأول مرة وتراث مشترك بينهم بالرغم من وجود
احساس قوى بحب الاستقلال الاقليمي ؛ رفض الاندماج السياسى في
شكل الدولة الواحدة . كما نجد بداية ظهور الخلافات والصراعات التي
تؤدي الى قيام حروب طاحنة عجز الملوك في كثير من الأحيان الاستمرار
فيها بسبب سوء الحالة الاقتصادية .

ثانيا - الحالة الاقتصادية :

تصور الأشعار الهومرية المجتمع بصورة أرستقراطية اقطاعية اذ لا
نسمع سوى اليسير عن عامة الشعب . كما تصور الحالة السيئة التي عانتها
بلاد اليونان من جراء المشاكل الاقتصادية بسبب ازدياد عدد السكان
بدرجة لا تتماشى مع موارد البلاد المحدودة . والأرض الزراعية لم تعد
تكفى الأعداد الفيرة من الناس ومما زاد الأمر سوءا أن الاغريق كان
يتبعون نظاما فريدا في التوريث وهو توريث الولد الأكبر (Primo-geniture)
وترك الأبناء الآخرين بدون ميراث وذلك حفاظا على مساحة الأرض
المملوكة مما أدى الى ازدياد عدد الذين لا يملكون الى جانب عجز الأراضي

عن انتاج الغذاء الكافي للسكان (١) خاصة أن التجارة وأعمال البحر لم

(١) للحزب عن وضع الاقتصاد الأفريقي منذ عصر هوميروس حتى
المصور المتأخرة انظر :

M. I. Finley, *The Ancient Economy*, 1974

كذلك كتاب :

M. Austin & P. Vidal-Nabert, *Economics et Sociétés en Grèce ancienne*, Paris
Colin 1972.

لكن احسن المؤلفات في المجتمع الهومري :

W. E. Glad, *Die Landwirtschaft in Historischer Zeit Alter*, *Archaeologica
Homerica II*, H. Göttingen, 1968.

ومن الدراسات الدقيقة والواقعية :

M. Mele, *Società et Lavoro nel Focni Omerico*, Naples, 1968 (R. H., cc XLIX,
1973, P. 164-167).

Università degli Studi di Napoli : Istituto di Storia e antichità greche e
romane, Napoli 1968.

والكتاب دراسة متصلة للمجتمع كما تصوره اشعار هوميروس ،
وقد فصل الباحث بين مجتمع الأيالة الإقطاعي العسكري ، وبين مجتمع
الأوديسا الذي يقوم على العمل الحر أو الإجراء . وقد بنى المؤلف البطل
حول منظور نزول أوديسيوس إلى عالم الموتى (Nekia) والذي جاء ذكره
في الأوديسا (Odyssey, XI, 482 ff) وفي هذا المنظر يثور حوار بين
أوديسيوس وظيف أخيليس البطل الذي قد مات ويطلب أوديسيوس
من أخيليس أن يتخمد العالم الفتيوي يرفاه ولكن أخيليس يجيبه متحسرا
ومتحميا العودة إلى الحياة الدنيا حتى ولو عمل أجرا (ektemia) عند
ملك من الدرجة الثانية أي من الذين لم يقطعوا أظفارهم (ektomoi)
وهم عادة الثرياء الذين يمتلكون أرفا حول أطراف المدينة (Ektemoi)
من المراتى أو الثقات ويعتبرهم المجتمع القديم هامشين على عكس
الإقطاعيين (Polytemoi) ويرد أخيليس أن هذا أفضل من أن يظل ملكا
ميتا ! وهنا يثور الجدل حول التحسن في وضع الإجراء الأحرار من
المواطنين (Ektemoi) ويرددهم من ضياع المجتمع الموكيني القديم كطبقة
محددة العالم تتم بقوانين العدالة (dikē) ويحقوق الضيافة (xenia)
ولا ترتبط بأي التزام سوى عند العمل مع صاحب العمل (Oiktemoi) وهذا
ما يكون هذا العمل موسمي مثل الحصاد أو بلر الحبوب ومما يميز تقدم
تطور مجتمع العمال الأحرار من المواطنين في الأوديسا عنه في الأيالة حيث
ساد الاستعباد الطبقي ، لشخصية الراعى يومايوس الرؤيئة والتي
استمع لها أوديسيوس وعمل بنصائحها قبل الفتح بالاقطاعيين الذين

تكن في أيدي الاغريق بعد ، بل كان يسيطر عليها الفينيقيون وسكان دولة فريجيا *Phrygia* الآسيوية . كما أدى ازدياد العبيد نتيجة للحروب المتتالية الى تضيق الخناق على العمال الاغريق وأصبحوا عاطلين . ومن ثم فقد دفعهم هذا الى الاستدانة من الأغنياء بالربا الفاحش ثم تجددهم يعجزون عن تسديد ديونهم وبالتالي يفقدون حريتهم ويصبحون عبيدا لدائنيهم طبقا للعرف المتبع ويحق للدائن ان يتصرف في المدين كما يشاء سواء بالبيع كرقيق أو بالقتل . ونلاحظ أن ذلك يحدث في الوقت الذي كانت فيه بعض الجزر والمناطق في بلاد اليونان تشهد رواجاً تجارياً واقتصادياً خرافياً ومن هذه المناطق بعض جزر بحر ايجه مثل رودس وسفوس وثاسوس وغيرها .

ثالثاً : الحالة الاجتماعية والفكرية :-

تصور الألياذة والأوديسا كيف عانت هذه الفترة اضطراباً كبيراً في مجال المعرفة والتعليم بعد سقوط الحضارة الموكينية واختفاء معالمها . وانتقال مركز الثقل الى شعوب أخرى استفادت من سقوط الحضارة الموكينية مثل الفينيقيين الذين كانوا في قمة شأطهم ومثل بعض الدويلات :

الآسيوية الأخرى مثل أهل ليديا *Lydia* وفريجيا *Phrygia*

= استولوا على قصره وراحوا يتقدمون للزواج من زوجته . ان معنى أخيليس أن يعود للدنيا ولو أجبراً وقوة شخصية الغامل الرامي يومايوس للليل . على تطور الثورة الاجتماعية في الأوديسا عنها في الألياذة . ولم يكن كل الاجراء معدمين بل أن بعضهم كان يمتلك أرضاً ولكنه يعمل لكي يزيد من دخله وبعضهم كان يعمل أجيراً مع عبيده التي كان يمتلكها (*Phily, op. cit. p. 10*) وكان الأخير يختلف عن العبد في امتلاك الحرية (*Eleutheria*) التي يتمتع بها كفرد له حقوق العدالة (*dike*) والضيافة (*Xenia*) وبعد المقارنة ينتهي هذا المؤلف الدقيق بخلاصة الاستنتاج وذلك في الفصل العاشر وهي أن الألياذة اسبق من الأوديسا لأنها تصور مجتمعاً لم ينتج سياسياً بعد (*Propolitic*) . يجمع بين الاقطاع المطلق الموكيني والحكم الارستقراطي الهومري . بينما يتطور الوضع في الأوديسا بظهور طبقة الاجراء الاحرار الذين لابد وأن يكونوا في حال ميسور جعل أخيليس يفضل ان يعمل كواحد منهم على أن يظل ملكاً ميتاً في العالم الأسفل . بالرغم من أن مجتمع الأوديسا يظل يجمع بين الرق (*douloi*) وبين الاجراء الاحرار (*Thetes*) لكن الخط بين العبودية والحرية واضح فيها .

ولكن بالرغم من هذا فإن الأشعار الهومرية تعكس لنا صورة لا بأس بها لمجتمع ليس بدائيا فهناك تقاليد وعلاقات انسانية ثابتة كالزواج والتعبد ومن موروث كادارة القصور وهندسة المنازل وروح اجتماعية في الحياة الأسرية ومعرفة بفن الحرب وأنواع الأسلحة المختلفة لا تقل عن المعرفة بفن الزراعة وفلاحة الأرض ومعرفة أخرى بالبحر والأبحار ورصد هبوب الرياح (١) . وقد أيدت الحفائر في طراوده دقة وصدق الأشعار الهومرية (٢) .

وجدير بالذكر أنه بالرغم من نزعة الارستقراطية في كل شيء الا أننا نشم رائحة الحرية الفردية فلم يكن هناك استبداد مطلق سواء سياسيا أو كهنوتيا . فالنساء يعشن في مساواة مع الرجال ويشغلن مكانة جليلة الشأن في الأسر . كما كان هناك نوع من المساواة البدائية بين الرجال، بل بين الآلهة والبشر حيث يتحدث كل طرف الى الآخر كما يتحدث الرجال الى الرجال ، بل لا يتردد البشر في الشجار مع الآلهة والقتال معها .

(1) Cf. Mele Op. cit. chapter, VI, Passim, also cf.
M. I. Finley, «Studies in the

(٢) عن المجتمع الافريقى ابان القرن الثالث عشر وحتى القرن الثامن ق.م على ضوء الأشعار الهومرية انظر :
J. Bouzek, «Homerisches Griechenland [Acta Universitatis Carolinae Philosophica et historia, Monograph XXIX] Prague 1969, also M. I. Finley, «The Early Greece : The bronze and Archaic period, Cambridge 1970 [= Revue historique CXXI, VI (1971) P. 101] : Ancient Economy. Cambridge, 1974.

الفصل الرابع

قيام جمهوريات المدن الحرة وتوثيق روابط التراث الحضارى المشترك

ابان ركود العصر الحديدى لم تكن بلاد اليونان سوى مجموعة من القرى الفقيرة المنتشرة التى تعاني من النقص المادى والركود الحضارى ، وكان يحكم تلك القرى ملوك هم فى الحقيقة رؤساء القبائل - يساعدهم مجلس من النبلاء أو الشيوخ وكان عدد سكان تلك القرى محدوداً لدرجة أنه يمكن جمع المواطنين فى سوق القرية العام أو ساحتها الشعبية (agora) لابلأغهم بقرارات الملك التى يتخذها بعد استشارة مجلس النبلاء (١) .

ووسط هذا الركود بدأت الحضارة تبعث من جديد خاصة حول المناطق التى كان لها تاريخ ابان الحضارة المينوية أو الموكينية . سواء فى كريت نفسها أو فى بلاد اليونان ومن أشهر هذه المدن مدينة موكيناي التى بدأت تنفض الركود والصمت عن نفسها وبدأ الناس فى الهجرة إليها وتعميرها . وكان من الطبيعى أن تبعث مدن كريت وموكيناي لأنها مدن عرفت الحياة الحديثة المتحضرة طويلاً وقد ساعدها على ذلك مابقى لها من تراث وحضارة أستطاع أن يحيا رغم ظروف الركود . كذلك شهدت هذه الفترة انبعاث مدن أخرى قديمة فى ثوب جديد مثل مدينة أورخومينوس فى بؤتيا والتى كانت ذات حضارة متقدمة فى العصر الموكينى وكانت أول التجمعات السكانية التى كونت أول تنظيم سكانى وسياسى فى تاريخ

(١) انظر : الأغريق - تأليف كتو ترجمة عبد الرازق يسرى ،
القاهرة دار الفكر العربى ١٩٦٢ ص ٦ .

بلاد اليونان ، ومن المدن الأخرى التى بدأت فى الظهور مدينة كورنثا الواقعة على البرزخ المعروف باسمها والتى أعيد بناؤها واحتلالها بعد الغزو الدورى أبان الألف الأولى ق.م. •

كانت كلمة « مدينة » (Polis) تشمل عدة قبائل (Phylai) مختلفة وعندما تكبر المدينة وتتوسع كانت تضم اليها القرى الزراعية التى تقع من حولها وتدمجها فيها وتعطى سكانها حق المواطنة وقد أطلق الأغريق على هذه المرحلة مرحلة الإدماج السكاني (Synoekismos) وفى بعض الأحيان لم يكن هذا الإدماج يتمدى الناحية السياسية أى أنه لم يكن شمولياً بل سياسياً فقط لأنه يترك القرى على حالتها التى كانت عليها قبل الإدماج فى المدينة الجديدة وبذلك أصبحت القرى الريف الزراعية للمدينة وأصبحت المدينة العاصمة الإقليسية للمناطق المختلفة • فمثلا تمكنت مدينة أثينا من تكوين إطار زراعى حولها فى إقليم أتيكا ببلغ مساحته ألف ميل مربع وأدمجته فيها منذ البداية ما جعلها تولد أكبر مدينة فى بلاد اليونان •

ومن أشهر القرى التى كبرت وتوسعت لتصبح « أم القرى » ثم مدينة كبيرة أرجوس (Argos) الواقعة شرق البيلوبونيسوس واتى استطاعت أن تجذب اليها المهاجرين من مركيناي وفرضت نفسها على هذا العصر حيث أصبحت من أهم المراكز الحيرية فى شبه جزيرة البيلوبونيسوس إلى أن انتزع منها هذا المجد قرية صغيرة تطورت بدورها تدريجيا حتى كبرت وأصبحت مدينة كبيرة • هذه القرية تقع فى الجنوب من البيلوبونيسوس ونسبى أسبرطة وقلرا لأهمية الدور الذى لعبته أرجوس لابد من التوقف قليلا عندها لئلا نجها بشئ من التفصيل • —

دولة المدينة ومفهومها عند الاغريق (Polis)

ما أن اقترب القرن الثامن قبل الميلاد حتى بدأ الاغريق ينظمون أنفسهم على امتداد بلادهم وفيما عدا بعض القبائل المتخلفة التى تقطن فى الجزر والاطراف الجبلية النائية — فى نظام سياسى هو دولة المدينة أصبح هو الطابع السياسى السائد لهم • واختفت الممالك التى كنا نسمع عنها فى الإسماع الهومرية حيث كان الملوك هم فيها كل شئ وبدأت سلطات الملوك

تتحرر قليلا قليلا أمام مد حكم الأرستقراطيين النبلاء كما صاحب ذلك تقدم فن التشريع والنظم الدستورية التي بدأت تقنن القيم والحقوق والواجبات والالتزامات. وسرعان ما انتشر نظام دويلات المدن مع انتشار الحضارة الى أراضي ومناطق مترامية الأطراف سكانها ليسوا من عنصر الأغريق العرقى بل شعوب قبلت طريقة الحياة الأغريقية واللغة اليونانية ولم يمد جوهر الحضارة الأغريقية الجواهر الجغرافى أو القومى العنصرى بل هو طريقة الحياة المميزة بجوانبها الاجتماعية والثقافية الذى يميزها عن سائر الشعوب الأخرى وهو دولة المدينة (Polis) وفيه أصبحت كل مدينة جمهورية مستقلة تستمتع بالاستقلال السياسى التام وتلتزم مواطنيها بنوع معين من الارتباطات والروابط السياسية والاجتماعية منذ مولدهم ونشأتهم وتربيتهم حتى مشاركتهم فى مسئولية الحكم. هذا الالتزام بسن الحياة وطريقتها من أجل التقدم والذى هو نتاج التربية الفكرية والنفسية داخل دولة المدينة هو الحضارة الهلينية بعينها. لابد أن ندرك أن الاغريق لم يتحدوا اطلاقا فى دولة سياسية واحدة مثل المصريين أو الرومان . وأن الوثاق القومى بين الأغريق كان وثاق السلالة واللغة والتراث المشترك ولم يكن أبدا وثاق الاتحاد السياسى ويجب أن ندرك أن تاريخ الأغريق هو تاريخ مئات من دويلات المدن المستقلة التى تناثرت فى أرجاء وجزر بحر إيجه والبحر المتوسط وشواطئه .

ومن الجدير بالذكر أن فكرة دولة المدينة (Polis) أو جمهورية المدينة لم يكن فى الأصل ابتكارا اغريقيا بالرغم من أن اللفظ (Polis) من صنع الاغريق الذين أورثوه للغات العالم الحديث ، وانما وجد هذا النظام أول ما وجد عند السومريين الذين تظهر حضارتهم منذ عام ٣٠٠٠ ق.م فى الحوض الأدنى لنهرى دجلة والفرات وذلك قبل مولد الوجود الاغريقى بحوالى ألفى سنة وقبل مولد دويلات المدن الاغريقية بما يقرب من اثنا عشرة قرنا أو يزيد ومن بلاد سومر انتشر هذا النظام الى بلاد كنعان (الشام وفلسطين) والى فيثيقيا المطله على ساحل الشام . ونسمع فى الشرق الأوسط عن دويلات مدن سومرية مثل بابل (باب الرب) وأور ، وبورسيا ، وكيش ونيبور ، ولجش . وأوروك (أو الورقاء) كما

نسمع عن دويلات مدن فينيقية مثل صور وصيدون (صيدا) وبيروت وأرادوس كما نسمع عن قادش وقرطاج في شمال إفريقيا وهي مستوطنات فينيقية . لكن يجب أن نضع في الاعتبار أن مفهوم الأغريق لهذا النظام دويلات المدن (Poleis) كان ذا طريقة مميزة وخاصة تعكس العقلية الأغريقية العملية التي تؤمن بالإنسان إيماناً مطلقاً وكما يقول بروتاغوراس فيلسوف مدينة أبديرا (Abdera) في القرن الخامس ق.م «الإنسان مقياس كل شيء» ، فطبقت صورة الإنسان وسلوكه حتى على الآلهة وعلى عناصر الطبيعة وهو ما يعرفه البعض بفرض الصفات الانسانية (Anthropomorphism) ومن ثم كانت الحضارة الأغريقية هي حضارة الإنسان (١) .

كانت كل دويلة مدينة تملك رقعة محدودة من الأرض الزراعية أكبرها رقعة دويلة أثينا التي بلغت ألف ميل مربع وهي مساحة لا تزيد عن مساحة مقاطعة انجليزية متواضعة ، وفي عصر بيريكليس قبل ازدهار أثينا وسيطرتها كان عدد المواطنين الذين يمكن تجنيدهم يبلغ ٣٠٠٠٠ مواطنًا يثلون ٢٥٠٠٠٠ من تعداد المدينة بما فيهم النساء والأطفال ويضاف إلى ذلك عدد كبير من الرقيق والحرفيين الأجانب والغرباء المستوطنين . وعلى غرار الجمهوريات الإيطالية في المصور الوسطى (٢) كان هذه المدن شديدة الحرص على استقلالها وسيادتها (Autonomia) وقلما تظننى قوة احداها فتخضع ما حولها من المدن الأخرى لسيادتها وتنشأ الامبراطوريات مثل الامبراطورية الآثينية والامبراطورية الأسبرطية وامبراطورية طيبة ، وسرعان ما تقاوم المدن هذا التدخل والتعدي الفاشم على استقلالها وتقاوم ثم تحدث الحروب وتنهار الامبراطوريات بعد أن تكون قد أثارت الجفاء بين مواطني المدن الأخرى .

إذا كان الوجود الحضارى الأغريقى هو بمثابة الوجود السياسى التى يترجم عادة بالدول المتحدة سياسيا وكان الأغريق يحسون بهذا

(١) انظر عبد اللطيف احمد على - المرجع السابق ص ١١١ - ١١٢ ؛

also cf. Fowler, The Polis

(٢) و . ج . دى بورج - تراث العالم القديم - ترجمة زكى سوس ومراجعة يحيى الخشاب ومحمد صقر خفاجه ؛ سلسلة الالف كتاب رقم ٥٥٧ دار الكرنتك - القاهرة ١٩٦٥ . ص ١١٢ وما بعدها .

التراث المشترك وأواصر القرابة الحضارية بينهم رغم تشبثهم سياسيا لأنها هي التي تميزهم عن غيرهم من الأجانب (Barbaroi) (١) . ومن أهم مظاهر هذا التراث المشترك الملاحم الهومرية ودورات الألعاب الرياضية والديانة الاغريقية خاصة ، دلتى الى جانب عشق الفن والفلسفة والجبال (٢) ولقد لعبت عبادة الرب ابو للون بالذات خاصة فى دلتى حيث معبده ومكان اعطاء نبوءته دورا هاما عندهما راح الاغريق ينتشرون فى عصر التوسع التجارى وتحولت دلتى كما سئرى الى جامعة اغريقية دينية قومية لكل الاغريق فى كل مكان .

تتضح اذا أن طبيعة العلاقة بين الفرد ودولة المدينة من خاق العفلية الاغريقية أملتأ ظروف بلادهم الجغرافية واملتأ أيضا ظروف انتشت والأتشار . ولأن هذا النظام هو جوهر مدينتهم وحياتهم وتاريخهم ، والبؤرة التى عكست مشاكلهم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية وحددت علاقة الفرد الاغريقى بدويلته كعضو عامل متواضع فيها بل وراح فلاسنتهم يدعون هذا النظام ببحثه وباضافة ما استقوه من تجارب الشعوب الأخرى اليه : فضلا عن أنهم راحوا من مناطق قبول قسام دويلة المدينة يعالجون مشاكلهم الاجتماعية داخل هذا الإطار التنظيمى الذى ظل قائما منذ قيامه حتى تدهورد ومقولة حتى وعندما اكتسحت مقدونيا بلاد اليونان وضمتها اليها بالقوة ابان القرن الرابع قبل الميلاد فقد ظلت المدن الاغريقية فى صقلية وجنوب ايطاليا تنعم باستقلالها وحريتها حتى قضت روما عليها وشملتأ فى دولتها . ولا يمكن أن تفهم نظرية الاغريق فى التفكير السياسى الا من منطلق دويلة المدينة . لأن كل أبحاثهم فى هذا

(١) من الخطأ أن نترجم هذه الكلمة بالبرابرة لأن معناها الاصلى الإماجم الذين لا يتحدثون اللغة اليونانية : انظر كيو - الاغريق - ترجمة عبد الرازق يسرى ص ٥ وما بعدها .

(٢) يرى جلبرت مورى أن الاغريق الايونيين فى ايونيا هم اول من اعدكوا قيمة الوعى الحضارى نظرا لتواجدهم مع الاجانب الشرقيين وأن لفظ هيلينى معناه شبيه بالهيلينيين وليس من سلالة الهيلينيين انظر :

Gilbert Murry. Five Stages of Greek Religion, London 1940.

انظر دى بورج المرجع السابق ص ١١٢ ملحوظة (١) .

المجال لم تكن سوى تأملات في أصل هذا النظام والبحث عن تدعيمه ومعالجتيه ولا نجد مفكرا واحدا باستثناء إسكندر الذي يتحدث عن الوحدة السياسية لكل الإغريق . ولقد حققت دولة المدينة لمواطنيها الطابع الحضارى والفكرى جنباً الى جنب مع الحياة السياسية وهذا غير موجود في الممالك والمدن الشرقية .

لقد كان الفكر الإغريقى يجمع بين العملية والواقعية وبين التأمل المثالى وقد تحقق ذلك في مجتمع دولة المدينة حيث وجدوا الحلول لمسألة الجمع بين الثقافة والحرية السياسية ، وذلك عن طريق المساواة والأخاء بين كل المواطنين في المدينة لا فرق بين الفنى أو العقيم أو الحاكم أو المحكوم . ففي الأودسا (الكتاب السادس ١ - ١٠٩) نجد الأميرة لاوسيكابنة الملك تغسل ملابسها مع خدمها ، بل ويحدثنا هيرودوت كيف ان طاغية مدينة ساموس الشهير بوليكراتيس ينادى على أحد صائدى الأسماك ليجلس ويشاركه غداءه (١) .

وقد يكون أصل المدينة هو القلعة انتهى يمكن أن يأوى اليها السكان بقطعانهم من عدوان الغيرين ، لأننا نجد لكل مدينة أكروبول Acropolis أى ربوة مرتفعة هو قلب المدينة الإغريقية القديمة (٢) . ومن داخل القلعة نشأ المعبد التى يجمع الناس حول محراب مقدس للدفاع عن النفس وممارسة شعائر واحدة . ثم عندما تحقق السلام وثقت الدولة في نفسها أصبح المعبد يتوسط السوق العامة (Agora) مركز النشاط التجارى والاجتماعى ولكن على ربوة عالية (٣) .

بدأ الإغريق كثيرهم من الشعوب القديمة تفكيرهم الاجتماعى بالإيمان بوجود قرابة تربط بين الآلهة والبشر وفي عصر التوسع والهجرة تطور

(١) هيرودوت الكتاب الثالث فقرة ٤٢ .

(٢) الألياذة الكتاب الاول . ٣٦٦ .

(٣) بقيت هذه السمة الى وقت متأخر وحملها الإغريق معهم الى كل مكان حتى في مصر . فمثلا في معبد سوخوس في كرانيس (كوم اوشيم بالفيوم) صنعوا ربوة (أكروبول) من الاحجار بنوا عليها المعبد في قلب السوق العامة لهذه المدينة البطلمية .

هذا الالتزام للكلمة الى الوثائق الجماعى الذى يقوم بين عدد من الأفراد لذاتهم ولصالحهم ، ومن ثم بدأت أواصر القبيلة (Phyle) وأصبحت القبيلة هى أصل دويلة المدينة وبالتالي أصبحت أحياء المدينة هى فروع القبيلة مثل البطون Phratrīae والعشيرة (Genos) ونشأت العشيرة من مجموعة من الناس اعتقدوا أنهم ينحدرون من جد واحد ويشتركون فى عبادة واحدة وكان لهذه العبادة مقر هو مقر زعيم العشيرة . وكان كل فرد يرتبط بالولاء لعشيرته وأصبحت دويلة المدينة هى رمز هذا الولاء ويحس الفرد بهذا الارتباط وهو فى الحقل أو فى السوق العامة أو فى المعبد . هكذا كان فى مجتمع دويلة المدينة الصغير المحدود يجتمع المواطنون فى اسرات وعشائر يربط بين افرادها والأحاساس بقرابة الدم والمساواة المطلقة فى الحقوق والواجبات ومن أجل الصالح المشترك (To Koinon)

وبعكس ما كان موجودا فى المجتمعات الشرقية الطبقية ، عاش الاغريق حرا فى الحلاء يتمتع بالشمس المشرقة ويتجول فى السوق العامة (Agora) أو يتفرج على الرياضيين وهم يتمرنون فى ساحة الألعاب الرياضية Palaestra يثرثر بحرية مع الآخرين دون أن يعابا بانوقت ، بل كان الاغريق يزهو بجسارته فى الحديث (Parrhesia) وهو منحرر من كل تحفظ أو خجل وكان وقت الفراغ (Scholē) ^(١) بالنسبة لهم هو وقت التعلم والبحث وراء المعرفة ^(٢) وفرصة لاستعراض العقل والموهبة ويقول افلاطون فى الجهورية أن الجسارة فى الحديث دليل على الديموقراطية فى أرقى وأسمى معانيها ^(٣) . ولعل المناخ الصحو وانعمل بالزراعة فى الهواء الطلق وممارسة الرياضة أو التسكع فى السوق العامة جعل الاغريق

(١) انظر : الفريد تزميرن : الحياة العامة اليونانية - السياسة والاقتصاد فى أثينا فى القرن الخامس ، ترجمة عبد المحسن الخشاب مراجعة الأستاذ امين مرسى قنديل سلسلة الالف كتاب (٤٦) لجنة البيان العربى - القاهرة ١٩٥٨ ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٧ تعريف البطالة أو الفراغ فى اليونانية هو Scholē والعمل عندهم هو عدم الفراغ Ascholia ومن الجدير بالذكر ان من Scholē اشتقت كلمة مدرسة School .

(٣) الجمهورية ٨ فقرة ٥٥٧ .

يقضون معظم وقتهم خارج المنازل مما خلق حياة اجتماعية قوية بعكس المدن الصناعية في مجتمعاتنا الحديثة .

لكن بالرغم من هذا فقد كان الاغريقى رجل عمل عملى ، فالفضيلة (Arete) عنده هي الموهبة العقلية والنجاح والكفاءة فى العمل قبل السمو الخلقي وصورة الرجل القوي الناجح هو النموذج الذى يستهويه . ولهذا قام التنافس العقلى والبدنى بين المواطنين خلقا بذلك المعافاة والقلق من أجل التفوز والانتصار والنجاح . وكما يقول بيريكليس كان المواطن يخدم «كما لو كان بدنه ملكا للدولة» ، لأن الاغريقى اعتقد أنه يعيش من أجل خدمة الوطن . وكانت الأسرة الاغريقية أقل تماسكا بكثير من الاسرة الرومانية فالزوجة الاثينية حبيسة البيت كالمرأة الشرقية ولا وزن لها ولا تتمتع حتى بالجنسية ، والأبناء كانوا متحررين من سلطة آبائهم وشركون البيت عندما يصلون الى سن الرشد .

كانت دويلة المدينة هي دولة السوق العامة (Agora) ، تلك الساحة التى كانت بمثابة قلب الحياة الاجتماعية والتجارية وتحيط بها أروقة Stoa (١) ذات بواكى وأعمدة مسقوفة تظل الناس من حرارة الشمس ، هي عالم وحياة المواطن الاغريقى العزيز الى نفسه مما ساعد على خلقى قانون خلقي جماعى (Ethos) بين الرجال يدعو الفرد للقيام بدور ذى قيمة فى حياة مجتمع دويلة المدينة انذى كان يحدد واجبات الفرد الخلقية والدينية دون أن يعيق ذلك وازالتقدم العقلى عنده . وكانت حرية التخاطب والنقد صفة ذاتية للمواطن ليس لها أى علاقة بالنظم السياسية ولهذا قيل أن الديمقراطية الاثينية كانت نتيجة لهذا النقاش الحر وليس سببا له . ولهذا احتقر الرومان - الذين يفضلون العمل فى صمت - الاغريق ووصفوههم بالثعب الثرثار . لقد كان الاغريقى يثرثر فى أى شىء سواء كان أمرا تافها صيانيا ام أمرا فى غاية الخطورة مثل القانون والحق والحرية ومشكلة الحكم ، والواجب الخلقي

(١) كثيرا ما استخدمت هذه الأروقة بواسطة الفلاسفة والخطباء واصحاب النظريات لممارسة رسالتهم حتى أن إحدى المدارس الفلسفية فى اثينا اطلقت على نفسها اسم الرواقية نسبة الى الرواق .

إلى الفضيلة وفي طبيعة الأشياء وفي الفن والشعر والأدب بعمق وجدية ،
ولهذا استوعبوا جيدا عالم الطبيعة .

كانت دولة المدينة بالنسبة للإغريق هي المثل الأعلى الذي يجب أن
تكون عليها حياة الشعب المتحضر . وكان مفهوم السعادة والصلاح
والتقوى (Eudaimonia) عند المفكرين جيعا هو التنافس في أداء الواجب
من أجل المدينة وقد عبر هيرودوت عن ذلك صراحة في روايته عن كريسوس
كما عبر عنه كذلك شعراء المأساة الآثينيين إبان القرن الخامس ق.م. ولم
يتزعزع إيمان الفلاسفة الإغريق أبدا بقيمة دولة المدينة وبأن الحياة فيها
هي الحياة التي تستحق العيش . ويرى لنا أفلاطون في محادثة كريتون
(Krito) كيف رفض سقراط الهرب من السجن قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه
بشدة موضحا أن الهرب من قانون دولة المدينة حتى وإن كان جائرا جرم
أخلاقي لا يغفر شبة بتعدى الابن الشاب على أبيه الهرم ، وبالرغم من أن
أفلاطون قد أقر واعترف بفساد نظم دويلات المدن فسادا لا يمكن تقويمه
إلا أنه جعل تصوره للمجتمع الفاضل يقوم في مدينة فاضلة (Polis) (١)
أما أرسطو فيعترف في كتابه السياسة أن دولة المدينة وحدها هي التي
تحقق العيش الطيب وأن الإنسان حيوان اجتماعي بطبيعته (٢) . وأن
وظيفة المشرع الحق هي وضع أسس الصلاح الخلقي للمواطن وتعليمه
من أجل النهوض بواجباته تجاه دولة مدينته (٣) .

لقد كانت دولة المدينة هي المصباح الذي يشع كل عناصر المعرفة (٤)
الإغريقية من فن ومعمار وأناشيد ومسرحيات مأسوية أو كوميديا وابعاح
علمية وفلسفية ، وفنون وصناعات مهنية ، وعواطف دينية وأخلاقية ،

(١) أفلاطون الجمهورية ٥ : ٤٧٠ .

(٢) أرسطو السياسة ١٢٨٠ ب ، ١٢٥٢ ب .

(٣) السياسة ١٢٥٣ أ .

cf. E. Barker. Greek Political Thought, London Paperbacks 1960, P. 12 ff.

كذلك الناصري : المرجع السابق ص ٣٤ .

(٤) وقد طور الروائيون فيما بعد فكرة دولة المدينة إلى الجمهورية
العالية وطورها كتاب المسيحية إلى مدينة الله

وهي الملهم للدساتير والقوانين ومن أجلها خاضوا الحروب وصنعوا السلام .

ومن ناحية أخرى قد يأخذ البعض على الحرية اللامحدودة للمواطن أنها أعطت فرصة للطغوح الشخصي والانتهازية السياسية والأناية الذاتية مما خلق عوامل التفكك والحزبية وقد ذكر لنا هيرودوت ملحوظة ساخرة قالها أحد ملوك الفرس عن الاغريق « هؤلاء الذين يتقابلون في السوق العامة يراوغ بعضهم البعض بالوعود الجوفاء والغاوية » (١) . وقد أدت الحزبية الى الصراع الداخلي المرير والنوضى الداخلية (Stasis) التي جعلت الحروب ظاهرة عادية بين المدن على طول تاريخ الاغريق ، وبالطبع دفعت الحضارة الاغريقية ثمن هذه الحروب باهظا كما أن نظام دويلات المدن وقف عائقا مانعا دون وحدة بلاد الاغريق . ولما أدرك الاغريق أن قدرات دويلات المدن محدودة بعد أن فات الوقت لجأوا الى الأحلاف الدينية مثل الحلف الأمفكتيوني في القرن السابع ق.م أو أحلاف سياسية مثل الأحلاف الآخية أو الأبتونية في القرنين الرابع والثالث ق.م ولكن حتى هذه الأحلاف فشلت ودفع الاغريق الثمن عندما وجدوا أنفسهم يقيمون في حوزة الامبراطورية الرومانية . نعم لقد استيقظوا ولكن كان الوقت متأخرا .

أرجوس ودورها المبكر والفولها السريع :

تقع أرجوس تقريبا وسط جنوب السهل الذي يعرف باسمها والمعروف بالسهل الأرجوسي (Argolis) والذي يشمل المنطقة الشمالية الشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيسوس . حيث كانت هذه القرية الصغيرة تقع على مسافة ثلاثة أميال من خليجها وعلى سفح جبل لاريسا (Larissa) الخالد والذي ذاع صيته منذ أيام الحضارة الموكينية بل وابان العصور الكلاسيكية كما ضمت هذه القرية داخل أسوارها مرتعا آخر هو تل أسبيس (Aspis) وفوق هذين المرتفعين اللذان يكونان المدينة أمكن تسبع حضارة قديمة منذ

(١) انظر كتابي : الحرب والمجتمع القديم - سلسلة المكتبة الثقافية

العصر الموكيني ، كما تذكر الألياذة اسم مدينة أرجوس كمملكة للبطل ديوميديس (Diomedes) أحد قادة الآخيين في الحرب ضد طروادة . وقد لعبت أرجوس دوراً كبيراً في هذه الحرب مما يدل على أنها كانت في ذلك الوقت مدينة كبيرة وقوية وغنية .

ولما هبط على شبه جزيرة البيلوبونيسوس جحافل الدورين سقطت أرجوس مثل غيرها من مدن الحضارة الموكينية . وتروى الأساطير أن تيمينوس (Temenos) أكبر أحفاد هيراكليس جعلها مقراً له . واتخذ الدوريون من أرجوس قلعة متقدمة أمامها شمال شرق البيلوبونيسوس وتدمير المدن الموكينية فيها ، وبعد دمار المدن الأخرى بقيت أرجوس أكبر القرى في هذه المنطقة وتطورت حتى أصبحت مدينة وظلت كذلك حتى نهاية القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق . م عندما بدأت أسبرطة في الظهور والتطور ثم انتزعت منها السيطرة والنفوذ في البيلوبونيسوس وربما كان هذا سر المداوة بين المدينتين . ومهما يكن من أمر فإن أرجوس شهدت أعظم أيامها بعد عام ٩٧٥ ق . م عندما تولى حكمها ملك قوى اسمه فيدون (Pheidon) استطاع أن يعيد لأرجوس مجدها وقوتها بل استطاع أن يحق أسبرطة وانتزع منها ممتلكاتها وما سلبته من أرجوس ونجاها عن زعامة البيلوبونيسوس . وذلك بعد معركة هوسياي (Hysiai) في عام ٦٦٩ (١) .

ويقال أن الملك فيدون هو الذي نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أرجوس فهو الذي وضع أساساً للمعايير والموازين التي ظل معمولاً بها في المدينة حتى القرن الرابع ق . م كما يروى أن الملك فيدون هو أول من سك عملة من فضة حسب النظام الذي كان سائداً في جزيرة ايجينا (٢) .

(١) ولكن بعض المؤرخين يشكون في حقيقة هذه المعركة انظر: -

Theodore Kelly, «Did The Argives defeat the Spartans at Hysiai in 669 B.C. ?» American Journal of Philology, Xci (1970), p. 31-42.

of Huxley in Bulletin des Correspondence Hellenique, (1958), p. P. 568 ff. (٢)

من الواضح أن الملك فيدون قد نجح في تنحية أسبرطة عن زعامة
البيلوبونيسوس فعلا وهزمها هزيمة ساحقة بعد عام ٦٦٩ ق.م لأنه سار بعد
ذلك بجيشه مختفيا البيلوبونيسوس غربا حتى مدينة أولبيا المقدسة حيث
استولى عليها بعد أن انتزعها من مدينة ايليس Elis وترأس الألعاب الأولمبية
في ذلك العام . وفسر بعض المؤرخين هذه التفرة الجديدة لمدينة
أرجوس بأنها جاءت نتيجة تطويرها لنظام الجيش وتكتيكها العسكري
ويقولون أن الملك فيدون هو أول من أوجد نظام الجنود المشاة المسلحين
بالدروع والحرب أو ما يعرف بالهوبليتيس (hoplites) بدلا من نظام
الفرسان الذي كان يسيطر عليه النبلاء ويقولون أن فيدون هو أول دكتاتور
ظهر في بلاد اليونان (١) وأسقط حكم الارستقراطيين وأحيى الدولة
وجعل لها ديناميكية هي التي حققت لها هذا التوسع السريع وأن أرجوس
قد ضربت المثل الذي اتبعته مدن اليونان فيما بعد . ويدعم هؤلاء
المؤرخون رأيهم هذا بأن نهضة أرجوس جاءت سريعة كما أن مجدها
قد مات بموت ملكها فيدون ، حيث ورثت أسبرطة عنها كل الخبرة
العسكرية وفنها القتالي الذي جعل من الأخيرة الأسطورة الخالدة والمدينة
التي لا تقهر ردحا من الزمن .

كذلك فإن ظهور مدينة كورنثا في الشمال حد من قوة أرجوس بل
فت في عضدها وعلى أي حال اكتنف الفوضى والعزلة أرجوس بعد أن
أصبحت مدينة محدودة مقلمة الأطراف ، تعزى نفسها بالاشراف على
الأماكن المقدسة ذات المجد الموكيني مثل موكيناي وناوبليا (Nauplia)
وتيرنز (Tiryns) وغيرها من القلاع والحصون المنتشرة في السهل
الأرجوسي .

ومن الجدير بالملاحظة أن أهل أرجوس لم ينسوا أبدا هزيمتهم على
يد أسبرطة ولهذا ظلوا يكرهونها في قلوبهم ويتعاطفون مع أثينا عدوة
أسبرطة التقليدية فيما بعد ومن أجل ذلك قلدوا أثينا في نظامها السياسي
المعروف باسم الديمقراطية الأثينية بل تحالفوا معها ووقفوا الى جانبها

(1) cf. A. Andrews . The Greek Tyrants, Hutchinson (University Library,
Reprinted 1966,) p. 39 ff.

في عدة مناسبات ضد أسبرطه • ولما وصلت جحافل الملك فيليب المقدوني الى اليلوبونيسوس خرجت أرجوس لتستقبله وترحب لقدمه ، أملا في سحق اسبرطة التي وقفت موقف العداء من الملك المقدوني •

لقد قامت أرجوس بدور سريع ولكنه حيوى في تطور تاريخ وحضارة بلاد اليرتان فقد كانت المدينة معروفة بأنها مركز عبادة الربة هيرا زوجة رب الأرباب زيوس • ومن ثم أقام أهلها معبدا كبيرا عرف بمعبد هيرا (Heraeum) على بعد ستة أميال شمالا من المدينة •

تلك فان فناني أرجوس قد ساهموا بدور كبير في وضع اللبنة الأولى للفن الاغريقى خاصة في النحت في عصره المبكر في أوائل القرن السابع ق • م ولكن تدهورت هذه المدرسة الفنية عقب الانهيار السياسى الذى حاق بها بعد موت فيدون • ولكن بالرغم من هذا نسمع في القرن الرابع ق • م أن أرجوس كانت الموطن الذى أخرج أكبر فحاشى الفنون الاغريقية من أمثال بوليكليتوس (Polyclitus) .

حركة الإدماج السياسى وقيام المدن :

وفي نفس الوقت التى كانت أرجوس تزدهر فيه كان يسود بلاد اليونان حركة الإدماج السياسى Synookismos • فقد كان يتم في ذلك الوقت ادماج بعض القرى ادماجا كاملا من أجل تكوين مدينة جديدة أو نجد قرية صغيرة تصبح أما للقرى التى حولها حيث تقدم الحماية لفلاحيها ساعة الخطر للهرب والاحتماء داخل أسوارها • وفي حالات أخرى نجد سكان عدد من القرى الصغيرة يهجرون قراهم ويخرجون معا في وقت واحد أو متلاحق ليؤسسوا مدينة واحدة ومشتركة • كما نسمع عن حالات أقام فيها سكان بعض القرى سورا كبيرا حولهم ، وأعلنوا عن قيام مدينة جديدة وتأسيس هذه المدن (Polis) خربت بلاد اليونان حياة جديدة • حياة المدن ومجتمعاتها • وأصبحت المدينة (Polis) النواة الأساسية والاجتماعية والاقتصادية للحياة في بلاد اليونان التى خبرت حياة المدن ومجتمعاتها والتغيرات التى طرأت على الحياة نتيجة لقيام دولة ومجتمع المدينة (Polis) • أن هناك من يرى أن التاريخ التعللى للحضارة لم يبدأ الا بعد قيام المدن وما تلا ذلك من ثورات

اجتماعية متتالية ومتراطة وأن تلك الثورات بدأت بالتحول التدريجي للقرية كوحدة سكنية ومجتمع صغير الى مدينة ذات نظم اجتماعي أكثر تعقيدا من مجتمع القرية البسيط ثم قيام المدن بدور منارات الثقافة والحضارة ونشرها في أجزاء متفرقة من العالم .

أن فكرة انشاء المدن فكرة ضاربة في القدم ترجع الى أواخر الألف الرابع ق . م . وإبان الألف الثالث ق . م . بعد أن تغلب الانسان على مشكلة الغذاء وتحول من مستهلك الى منتج له . بل أصبح يعرف كيف يحصل على معدن البرونز بخلط النحاس بنسبة معينة من القصدير لتصلبه أكثر صلابة . وقد بدأت هذه الثورة الانسانية في الشرق الأوسط في بابل وأشور ومصر وسوريا وليس هناك من يشك في أن فكرة المدينة جاءت الى بلاد اليونان من الشرق الأوسط .

ويعرف تشايلد ثورة المدينة بأنها النجاح في أرغام الفلاحين والعاملين بالزراعة على انتاج كميات تفيض عن الحاجة الاستهلاكية الريفية فظهرت بالتالي مشكلة العرض والطلب والبيع والشراء وتلى ذلك ظهور مدن المهنيين والإداريين وغير ذلك من التصنيف التلقائي للمجتمع (١) .

كان من أهم النتائج التي أحدثها قيام مجتمع المدينة هو التحام الناس بعضهم ببعض وقد أدى الالتحام الى التعامل والتصاهر والتفاعل وقيام المعاملات . وقد أدى ذلك الى رواج التجارة ومن ثم أصبح هناك حاجة ملحة لايجاد نوع من الكتابة خدمة للتجارة ولا يغيب عن أذهاننا أن أقدم الوثائق الكتابية الموكينية كانت سجلات حسابة ومعاملات وهكذا فتح تأسيس المدن الباب أمام الحضارة والخلق والابداع .

على أي تميزت فترة البحث الجديد في بلاد اليونان بظاهرة قيام المدن وانتشارها عبر الوديان والجبال وأصبحت بلاد اليونان مجموعة من المدن المستقلة . وقد أدى وعورة التضاريس الى صعوبة الاتصال بين هذه المدن مما أدى الى انعزالها واعتمادها على نفسها . بل أن الانعزال أدى الى التنافس والتقاتل . لقد اعتبرت كل مدينة نفسها دولة مستقلة ذات سيادة



مستقلة وتعتمد على اقتصادها اعتمادا ذاتيا لأنها لا تريد التعامل مع جيرانها . كما أن تجمع المواطنين أدى الى قيام الوعي السياسى وأصبح هذا المجتمع ينقد سلوك الملك ، كذلك أدت زيادة كثافة السكان ونشاط التجارة الى تشجيع المواطنين على الهجرة والبحث عن أرض جديدة . أن قيام المدن المستقلة بعد بحث بلاد اليونان في عصرها الجديد كان ثورة كبرى .

بروز مدينة دلفى كمركز روحى لكل الاغريق :

تقول الأساطير الاغريقية ، أنه بعد مولد الآله أبوللون في جزيرة ديلوس سافر هذا الآله الى بلاد اليونان ليبحث عن بقعة مقدسة يقيم عليها معبده الكبير ، وراح الآله يتجول الى أن وصل الى سفح جبل برناسوس وهناك صاح الآله قائلا « هنا سيرفع معبدى وستزده مهارة الفن من كل جانب وستملؤه بالجمال ، وسيصبح مركزا لاعطاء العرافة وسوف يأتى الناس الى دلفى طلبا للمشورة الربانية من كافة بلاد اليونان ومن الجزر التى تغسلها أمواج البحر وتنتشر فيه » .

كذلك تروى الأساطير أنه كان يعيش في هذا الوادى تين ضخمة اسمها ييثوثا Python كان يسكن أحد كهوف الجبل المظلمة . وتقول ان هذا التين لم يكن إلا ابن الأرض ، ولما كان قاسيا وشريرا فقد رماه أبوللون بوابل من سهامه الذهبية وبذلك طهر الأرض من خطره ، ولكي يعمر أبوللون هذا الوادى تشكل في هيئة درفيل (dolphin) (١) وقاد سفينة قادمة من كنوسوس في كريت في طريقها الى يسوس في البيلوبونيسوس وجعل السفينة تسير في أثره وتدور حول شبه الجزيرة ثم عبر خليج كورنثا لتستقر في دلفى في شمال هذا الخليج ويصبح ركابها أول كهنة لمعبده . وربما تدل هذه الأسطورة الشعبية على أن عادة أبوللون جاءت من كريت ابان العصر الموكيني ودخلت بلاد اليونان بعد أن طردت عبادة بدائية كانت موجودة هناك .

(١) ومن الدرفيل delphina أخذت المدينة اسمها « دلفى » .

cf. John Pollard, Seers, Shrines and Sirens - The Greek Religious Revolution in the Sixth Century B.C., Unwin University books, London 1965, pp. 22-28.

وقام معبد أبوللون الجديد فوق عين كبريتية ساخنة . وسرعان ما أصبح للمعبد عرافة أخذت اسمها من اسم التين وسميت يثيا Pythia . ومهما كان مصدر الأسطورة فإنه ما كادت بلاد اليونان تستيقظ من ركود العصر الذي سادها بعد الغزو الدوري حتى أصبحت دلفى مقصد الزوار والحجاج من طالبي المشورة الآلهية من كافة أنحاء العالم الاغريقي . وفي العصور الأولى كان يسيئر على المدينة شعب مدينة كريسا (Krisa) الذين كانوا يعيشون في ذلك السهل الغني الواقع بين دلفى والبحر . وقد جنى من هذا السهل أموالا طائلة لدرجة جعلت المدن الاغريقية الأخرى تحقد عليهم وتزعمت أسبرطه حلفا دينيا هاجم أهل كريسا ودمر مدينتهم وقرر أن يصادر أراضي سهلهم للاله أبوللون ويصبح هذا السهل بورا حرام زراعته . وبعد عام ٥٩٠ ق . م اكتسبت دلفى مركزا دينيا مستقلا وحظيت باحترام مقدس عند كل الاغريق . وامتازت المدينة بالمسابد المقدسة والتائيل وخزائن النذور والكنوز ويتوسطها جميعا معبد أبوللون العظيم الذي لم يتبق منه سوى بضع أعمدة . وأعلى المعبد لاتزال أطلال المسرح الكبير تطل على الوادي ويملؤه ماسب السباق (Stadium) . كانت العرافة بينيا عادة امرأت في الخمسينيات من عمرها ، ثلاث باردية غريبة وتجلس فوق قائم ذي ثلاثة أرجل (Tripod) ، وعندما يتقدم طالب المشورة يقدم الأضاحى والقرايين وتتلو الصلوات للرب ثم يتوده الكهنة الى حجرة الانتظار . وفي الوقت المناسب يدعى للمشول أمام كاهنة أبوللون التي لا تكاد تبدو من أبخرة مياه العين الساخنة ، ويضع طالب المشورة سؤاله أو أسئلته أمامها وتهذى الكاهنة وهي تنضغ أوراق الغاز وتبول من غاز غريب بتصاعد من شقوق في الصخر وتهشى المياه الكبريتية وتتمم بكلمات غريبة يترجها أحد الكهنة الى أبيات من الشعر السداسي الموزون ويعطيها للسائل . وكانت الاجابات عادة غامضة بحيث يمكن تفسيرها تحت أي ظروف بحيث تبدو الكاهنة صادقة في كل ما تقول . وكانت المشورات تتنوع من أسئلة شخصية الى أسئلة سياسية وعسكرية خاصة بالدول مثل اقامة المستوطنات أو اعلان الحروب .

ولقد كسبت دلفى مكانة عالية بين الاغريق وتمتع كهنتها بتبجيل ووقار وأحس الكهنة بمدى مسئوليتهم ولهذا كانوا غاية في الدبلوماسية عند اعطاء أى مشورة ربانية تتعلق بأمور سياسية . وكان لدلفى عيد يحج اليه الاغريق من كافة أنحاء العالم لأن دلفى كانت في نظرهم مركز العالم . وقيل أن زيوس كان يطلق نسرين من كل جانب من أطراف الأرض ليلتقيا فوق دلفى وعند « صرة » العالم (Omphalos).

كان مهرجان دلفى يضم كل أربعة سنوات ويبدأ بموكب ديني كبير يسير عبر الطريق المقدس ليصعد حتى معبد أبوللون . وينشد في هذا الموكب الترانيم المقدسة التى تبتهل الى أبوللون بالرجاء والثناء . كما كان يؤدى خلاله بعض المشاهد الدرامية لصراع أبوللون مع التين . ولما كان أبوللون رب الموسيقى والانشاد والرقص تؤدى عادة في المسرح الكبير . وبعد عام ٥٨٥ ق.م . بدأت دلفى تنافس أولمبيا في مجال الرياضة البدنية خاصة بعد بناء الاستاد الكبير .

وبازدياد أهميتها أصبحت دلفى مكتظة بالتمائيل المقامة لأبوللون ولغيره من آلهة الاغريق تعبيرا عن التقوى من جانب الأفراد والدويلات ويقال أن في سنة ٦٧ ميلادية نقل الامبراطور الرومانى نيرون خمسمائة من أجمل التماثيل من دلفى الى روما ، وبالرغم من هذا يحدثنا الأديب بلينيوس الذى زار دلفى بعد بضع سنوات من نهب نيرون للمدينة بأنه شاهد مالا يقل عن ثلاثة آلاف تمثال مقامة في دلفى .

لقد تدهورت أهمية دلفى عندما وقعت بلاد اليونان فريسة في براثن الاستعمار الرومانى ولم يعد يتردد عليها سوى عدد قليل من الناس هم من بقوا على عقيدتهم القديمة . ولما حاول الامبراطور الرومانى يوليافوس عام ٣٦٠ ميلادية إعادة العقيدة الوثنية بالرغم من انتشار المسيحية في بلاد اليونان وايطاليا أرسل رسالة الى دلفى يطلب شعبها بأحياء عبادة أبوللون وحات نبوة الوداع التى ترجمها لنا أندرو لانج والتى تقول في عبارات مؤثرة « قولوا للملك أن المعبد الجميل قد شطر الى نصفين ولم يعد

لابوللون لاسقف يظل معبده ولا قدس أقداس يأويه لقد تكسرت
أشجار النار المقدسة وضاعت وأصبحت هشيما وضاع جمال الماء الذى
كان يكاد أن ينطق عندما يتفجر من ينبوع دلفى « (١) » .

هكذا اختفت دلفى بعد أن لعبت دورا حيويا فى نهضة جديدة لليونان
بفعل التجمع الكبير الذى كان يفد الى المدينة المقدسة كل عيد فتصبح
ملتقى الاغريق من كل حطب وصوب ، وكأنهم يعقدون مؤتمرا عالميا
لدورتهم حيث تحدث العلاقات والصفقات وتتناقل الخبرة والمعرفة وهم
يحسون بأنهم أمة واحدة بالرغم من الاندثار والتفكك السياسى الذى
فرضه عليهم نظام دويلات المدن المستقلة . كما يجب ألا ننسى الدور الذى
لعبه كهنة معبد الآله أبوللون عندما كان يبعث اليهم بالمشورة قبل ارسال
جماعة لاستيطان مكان معين أو اقامة مدينة فيه . وكان يتوجب موافقة
الكهنة ومباركة المكان . كما لعبت دلفى دورا سياسيا سوف يأتى
الحديث عنه فى حينه .

الالعاب الأولمبية واثرها على نمو روح القومية الهلينية :

يجد الدارسون للتاريخ والحضارة الاغريقية (الهلينية) فى ظاهرة
المهرجانات الرياضية الأولمبية بما تشمله من مهرجانات ثقافية ومؤتمرات
سياسية ظاهرة بديله لفشل وجود عنصر الدولة المتحدة التى تربط بين
كل الاغريق وذلك لأن هذه المهرجانات التى كانت مفتوحة أمام كل
الاغريق كانت تربط بين مواطنهم وأفكارهم وعلاقاتهم الفردية والجماعية،
خاصة أن الدافع الأول لهذه المهرجانات كان دينيا فى المقام الأول والاشتراك
فى مبارياتها كان كظاهرة الحج تماما ولهذا كان للدورات الرياضية
قدسية ملزمة . اذ كانت تفرض على الاغريق المتحاربين وقف القتال
ونسيان الخلاف احتراماً لهذه المهرجانات حتى وان كانت الأطراف
المتقاتلة فى أحلك وأعنف مراحل العداوة والبغضاء .

كان للأغريق أربع مهرجانات كبرى أطلق عليها نظرا لروعتها وشمولها واستيعابها لأرقى المستويات الرياضية (Pan-Hellenic) أى « لكل الأغريق وهذه المهرجانات هى :

١ - الدورة الأولمبية (Olympian games) نسبة الى مدينة أولمبيا المقدسة .

٢ - الدورة الإثمية نسبة الى خليج كورنثا (Isthmos).

٣ - الدورة البيثية Pythian games فى مدينة دلفى المقدسة .

٤ - الدورة النيمية Nemean games نسبة الى مدينة نيميا المقدسة .

وكان يفصل ما بين كل دورة ودورة أربعة أعوام بحيث يكون فى كل عام مهرجان يذهب اليه الناس ولتتناول كل مهرجان على حدة .

أولا (١) الدورة الأولمبية :

كانت تقوم أساسا احتفاء وتكريما لرب الأرباب زيوس Zeus فى قرية أولمبيا Olympia الواقعة فى أقصى الجانب الغربى من شبه جزيرة اليلوبونيسوس . وكانت أولمبيا جزءا من الإقليم الذى تسيطر عليه مدينة بيسا (Pisa). وكان المهرجان يقام فى بقعة مقدسة عند ملتقى نهري كلاديوس Cladeus والفايوس (Alpheus) . وكان ينازع مدينة بيسا على أحقية الاشراف على المهرجان الأولمبى مدينة صغيرة أخرى هى مدينة ايليس (Elis) بل أن الأخيرة تمكنت فى بعض الأحيان اتزاع هذا الحق من المدينة الأولى مما أشعل حربا مقدسة بين الأغريق .

لما كانت هذه الألعاب تستمد قداستها من عبادة زيوس فقد اتفق الاغريق على اعتبار فترة بدء المهرجان أياما حرما (eccheira) أى لايجوز فيها القتال أو الحروب وكانت الرسل تخرج من القرية الأولمبية لتعلن بداية الهدنة المقدسة . وذلك لتمكين الرياضين ووفود الحجاج من السفر

يرا وبحرا دون أن يتعرض لهم أحد أو يمسهم بسوء ويتلو الاعلان عن بدء المهرجان تدفق جموع الرياضيين والحجاج والخطباء والشعراء وغيرهم من طالبي الشهرة الواسعة أو المصلحة السياسية وسرعان ما تحول هذه القرية المقدسة الى مدينة تفيض بالزوار وتكتظ بالأكواخ والخيام وتسمع في أزقتها الضيقة كافة لهجات اللغة الأغريقية ولكنهاها . وقد ظل هذا المهرجان عوض الأغريق عن فشل الوحدة السياسية بينهم ابان مجديبلادهم حتى بعد تدهورها وسقوطها بين برائن الاستعمار الرومانى والى أن ظهرت المسيحية كديانة رافضة لكل مظاهر الوثنية فأعلن الامبراطور ثيودسيوس Theodosius تحريمها عام ٣٩٤ ميلادية .

كان المهرجان الأولي عادة يقام كل أربع سنوات في القمر الثاني أو الثالث من فصل الصيف أى ما بين شهرى يوليو وأغسطس ، ويوليو هو بداية السنة الاغريقية وأغسطس هو نهايتها . وقد قبل المؤرخون الاغريق فيما بعد التاريخ الذى وضعه تيمايوس Timaeus وهو ٧٧٦ ق. م كتاريخ لأول دورة أولمبية . ولقد استخدم المؤرخون الاغريق هذا التاريخ لتأريخ أعمالهم فيقولون وقع هذا الحدث في المهرجان رقم كذا . وبذلك أمكن وضع نظام دقيق لتاريخ حوادثهم .

كان المهرجان الأولي يستغرق عادة خمسة أيام وبدأت ابان العصر الكلاسيكى الى سبعة . تجرى فيها الألعاب الرياضية فى الملاعب المقامة حول المنطقة الحرام . وكان المهرجان ينقسم الى جزئين رئيسيين هما :

(١) الطقوس والشعائر الدينية :

وفيها يقيم المشتركون فى المباريات وذويهم وممثلو الوفود صلوات الشكر وتقديم الأضاحى باسمهم وباسم الدولة المضيغة . كما كانوا يؤدون قسما أمام محراب الآله زيوس « حامى اليهود » وفوقه خنزير مذبح وكان القسم يحتوى على صيغة يتعهد فيها المشترك بأنه قضى فترة كافية للتدريب لاقتل عن عشرة أشهر وأنه لم يرتكب أى فعل أو سلوك مناف لقواعد الرياضة والشرف والأخلاق أما القاصرون فكان

أولياء أمورهم يقسمون نيابة عنهم . كما كان يقام في مدينة ايليس معسكر اعداد لتدريب الذين يشتركون لأول مرة في هذه المباريات ولتعويدهم على السلوك والروح الرياضية .

(ب) المباريات :

بعد أداء القسم ينفخ في الأبواق ويصيح المنادون ببدء الألعاب ثم يجرى استعراض شامل لكافة المتسابقين في الاستاد العام (Stadion) حيث ينادى على اسم كل مشترك والمدينة التي يمثلها وكان أصل المباريات هو سباق الجرى ولكن في عام ٧٠٨ ق. م أدخلت مباريات الألعاب الخمسة (Pentathlon) وهي تشمل الوثب العالي ورمى القرص ورمى الرمح والمصارعة ثم الملاكمة وفي عام ٦٨٠ ق. م أدخل سباق العربات التي تجرها الخيول وصمم المهندسون الاغريق لهذه اللعبة ملعب سباق الخيل hippodrome الذي ما زال قائما في المعمار الحديث حتى الآن . كما أدخلت مباريات سباق الخيول . وفي عام ٥٢٠ ق. م أدخلت المصارعة كلعبة مناسبة .

وكان يشترط لدخول المباريات أن يكون الرياضى رجلا بالغاً ولم يسمح باشتراك الصبيان ما دون الرجال الا بعد عام ٦٣٢ ق. م بشرط أن يتعهد أولياء أمورهم بأنهم اغريق احرار ذوى سيرة حسنة وسلوك قظيف . وأنهم ينتمون الى مدينة اغريقية . وقد حرمت اللوائح اشتراك الأجانب فيها . ويذكر لنا هيرودوت حادثة طريفة وهي أن أهل مدينة ايليس المشرفة على الألعاب الأولمبية أرسلوا وفدا الى مصر ابان عصر الملك بسامتيخوس لسماع وجهة نظر المصريين في تعديل الألعاب الأولمبية فطالب المصريون باشتراكهم في هذه الألعاب ولكن أهل ايليس ردوا على ذلك باعلان أحقية كل الاغريق في الاشتراك في هذه المباريات لأنها تتعلق بالديانة الهلينية وردوا على اقتراح المصريين بأنه ليس من العدل أن تحرم هذه الألعاب على بعض الاغريق بينما يسمح للمصريين بالاشتراك فيها (١) كذلك فقد حرمت اللوائح اشتراك المبيد في هذه المباريات ولكن

سمحت لهم بحضورها بقصد التفرج عليها بعد استئذان السلطات •
أما النساء فقد جرمت اللوائح الدينية عليهن دخول المحراب المقدس
وبالتالى حضور ومشاهدة المباريات ولم يستثن من النساء سوى كاهنة
معبد الربة ديبتر •

وكان يقوم بالتحكيم لجنة مختارة من القضاة بلغ عددهم اثنا عشرة
وكان أعضاء لجنة التحكيم يتميزون ببغاءاتهم الأرجوانية وبالكليل
أغصان الزيتون التى تتوج هاماتهم كما كان يخصص لهم مقاعد أمامية
تطل على الاستاد مباشرة • وكان مهمة لجنة التحكيم الأساسية هى
الإشراف على المهرجان وتطبيق القانون والنظام ومنع أى أعمال قديردى
إلى قيام الفوضى والاضطرابات وقبل هذا وذاك التحكيم بين المتبارين
دون تحيز •

وإذا ثبت لدى قضاة التحكيم أن لاعبا قد فاز بوسائل الغش أو
الخداع أو خالف القوانين واللوائح فانه يعتبر خاسرا ويحرم من الاشتراك
مدى الحياة فى المباريات الأولمبية بالإضافة الى غرامة مالية كبيرة يدفعها
للمشرفين الماليين لمعبد الاله زيوس •

كانت المباريات تجرى على أنغام المزامير تشجيعا للمتنافسين حتى يتم
تصفيات المشتركين لتنتهى المباراة بالفائز الأول ويحوز الفوز بالتحاب
المتبارين ثم يعلن عن الفائز النهائى وعن اسم المدينة التى جاء منها وسط
التهليل والموسيقى • هكذا كان الحال طوال الأيام الخمسة وفى اليوم
الأخير يتم توزيع الجوائز فى حفل كبير يشهده جموع النظارة والوفود
إلتى يستقبلون الفائزين بالهتاف والتصفيق ويلقبونهم بأبطال المباريات
الأولمبية (Olympianikoi) ثم ينادى على كل فائز فيتقدم لتسلم جائزته
وهى أكليل متواضع من شجرة الزيتون المقدسة • ثم يجتم المهرجان
بحفل كبير يقدم فيه الفائزون للأضاحى والقرابين فوق مذبح زيوس وقد
وضعوا فوق رؤسهم الأكاليل ثم يتلو ذلك وليمة كبرى تقام على شرفهم
فى قصر الرئاسة (Prytaneum).

وعندما يعود الفائز الى مدينته يخرج الناس عن بكرة أبيهم لاستقباله لأنه رفع رأسهم وكرامتهم بين باقى المدن ، وكان البطل يدخل المدينة وهو ملثف بعبأته الأرجوانية تحيط به جموع الناس وهم يرقصون وينشدون الأناشيد التى كان كبار الشعراء من أمثال بندار ينظمونها خصيصا لهذه المناسبة .

ثم يتوجه الركب بعد ذلك الى معبد المدينة الكبير حيث يخلع البطل أكليل الزيتون من فوق رأسه ويقدمه قربانا لهذا الاله ثم يذهب بعد ذلك لتسلم جائزته من سلطات المدينة وكانت عادة مبلغا ماليا كبيرا الى جانب عدة امتيازات شرفية أخرى كالجلوس فى المقاعد الأمامية فى المسارح والمباريات وفى مدينة أسبرطة كان يسمح للبطل الأولبى بشرف القتال بجوار الملك فى الحرب .

ثانيا : الدورة البيئية فى دلفى Pythian games (١) :

وهى تلى الألعاب الأولمبية فى الأهمية وكانت تقام فى مدينة دلفى Delphi موطن الاله أبوللون رب الشباب والرياضة والموسيقى والشعر والعرافة . ويقال أنها بدأت بعد عام ٥٨٦ ق. م بعد الحروب الدينية الطاحنة وقد نشأ هذا المهرجان أساسا من الاحتفالات الدينية التى كانت تقام لأبوللون حيث يتبارى الشعراء والمثشدون فى مديح الاله على أنغام القيثارة . وبعد انشاء المجمع الامفكتيونى المقدس عدل هذا المهرجان فأصبح يشمل مباريات رياضية مثل المباريات الأولمبية تماما الى جانب مباريات الموسيقى والغناء والشعر . وقد أخذ المهرجان اسمه من أسطورة تتحدث عن الصراع بين أبوللون والتين المسمى بيثون Python رمز الشر وهو يعادل الاله ست عند المصريين القدماء . واتصار أبوللون على رمز الشر وقتله بوابل من سهامه . وكان هذا المهرجان يقام كل أربعة سنوات فى شهر بوكاتئوس Bucatius (شهر أغسطس تقريبا) . من

(١) ربما سميت بذلك الاسم نسبة الى لفظ بيثون Python وهو اسم قديم لمعبد أبوللون لأن أبوللون صرع تينا ضخما كان يسكن تلك المنطقة يسمى بيثون واصبحت كاهنته تعرف باسم بيثيا « أى البيئية » .

السنة الاغريقية . وكان يتبع نفس الاجراءات الذى كان تتبع فى المهرجان الأولمبى الذى سبق الحديث عنه . الا أن لجنة التحكيم كانت تنتخب من أعضاء المجمع الأمفكتيونى المقدس . وكانت الجائزة اكليل بسيط من شجرة الفار وهى الشجرة المقدسة عند أهـ للون يؤتى بها من وادى نمبى الشهير فى أقصى اقليم تساليا ، وكان يشارك فى هذا المهرجان جموع غفيرة من الاغريق تذهب بقصد انتهاز الفرصة ومطلب العرافة من كاهنته الشهيرة يثيا Pythia ويمتقد العلماء أن هذا المهرجان قد توقف بعد عام ٣٦٤ ميلادية .

ثالثا : المهرجانات الاسمية (Isthmian games) :

وكان يقوم على شرف اله البحر بوسيدون Poseidon فى ساحته الشهيرة عند خليج كورثا (isthmus) . وكانت مدينة كورثا تشرف على هذا المهرجان ولكنها كانت تعطى مدينة أثينا منزلة خاصة فى ادارته . أما مواعده فكان نهاية فصل الربيع (بين أبريل ومايو) كل أربعة أعوام وقد اتبع فى اجرائه نفس الخطوات فى المهرجانات السابقة الذكر . ويرى لنا المؤرخ الاغريقى توكوديديس أن الحروب البيلوبونيزية اضطرت للتوقف عام ٤١٣ احتراماً لهذا المهرجان المقدس بالرغم من أن الحرب كانت فى أشد مراحلها وكان ترتيب المهرجانات الاسمية يلى الدورة الأولمبية مباشرة من ناحية الترتيب الزمنى . وكانت الجائزة التى توزع على الفائزين هو اكليل من شجرة البلوط .

رابعا : المهرجانات النيمية :

وكانت تقام فى سهل نيميا الذى يشرف عليه مدينة كليوناى إحدى مدن اقليم أرجوس حيث يوجد غابة مقدسة يتوسطها معبد صغير لزيوس . وكان هذا المهرجان فى الأصل ألبا جنازية Funeral games . كان تقام على شرف صبي روت الأساطير أنه قتل ابان حملة السبعة ضد طيبة . ثم طورت بعد عام ٥٥٥ ق . م . لتصبح على نمط المهرجان

الأولمبي • وكان الفائز يسطى اكليلا من شجرة الصنصاف التى تكثر فى
هذه المنطقة وكان لها قداستها عند زيوس •

تطبيق على اهمية المهرجانات الرياضية فى تطور الحضارة والعلاقات
بين المدن الاغريقية :

هكذا يتضح أنه لا يمر عام حتى كان الاغريق (١) يحتفلون بمهرجان
رياضى وكان رياضيو الدويلات الاغريقية يتعطشون للفوز فيها طمعا فى
التكريم الممنوع والمادى والذي قد يصل الى مرتبة القداسة فى بعض
الأحيان حيث تقام للفائز التماثيل وتنظم فى سيرته للأشعار • مثل الرياضى
الأسطورى ثياجنيس بطل جزيرة ثاموس Thasos والذي نسبت بنوته
الى الآله أبوللون نفسه •

لقد ساعدت ظاهرة التجمع سنويا عملية الاتصال والتعامل الحضارى
بل أن هذه المهرجانات أخذت شكلا وأهمية خاصة كوسيلة من وسائل
الاعلام والاتصال بل ونشر الدعاية وتعريف الناس بموضوعات معينة
ولهذا حرص الأدباء والشعراء الناشئون على حضورها أملا فى الحصول
على الشهرة بين كل الدويلات الاغريقية • كما أن جموع النظارة كانت
تتحمل مشقة السفر لا من أجل مشاهدة أبطالهم الرياضيين فحسب ، بل
لمشاهدة مشاهير رجالات الفكر والفن والسياسة والأدب • فمثلا نسمع
أن الخطيبين الشهيرين لوسياس وايسوقراط استعرضا بلاغتهما الخطابية
فى هذه المهرجانات • كما أن هناك أدلة واضحة على أن بعض مشاهير
الرجال الاغريق من أمثال الجنرال ثمستوكليس والفيلسوف أفلاطون
قد زارا القرية الأولمبية ويقول لوكيان أن هيرودوت قرأ على الناس باكورة
مؤلفاته فى التاريخ أبان المهرجان الأولمبي • كما يروى الكاتب الرحالة
بوسانياس أنه شاهد فى القرية الأولمبية تمثالا بروثيا للفيلسوف
السوقطائى جورجياس (وموطنه الأصلى مدينة ليوتينى (Leontini)
فى صقلية أقيم تكريما له لا متاعا للناس أبان المهرجان ببلاغته ومقدرته
على الجدل •

(١) انظر : د . سيد احمد على الناصرى : الالعاب الأولمبية القديمة
مجلة الجمعية التاريخية - المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤ ص ٣٠
وما بعدها .

كانت تجميعات الاغريق من كل حذب وصوب ولايام عديدة كثيرا ما تؤدي الى المصاحرات والمعاملات والتآلف بعد أن يتناسوا الخلافات الفتاكة بين مدنيهم . ولقد كانت هذه الجماهير المتحابّة المتآلفة تجسّما للقومية الهلينية بكل صورها وقد نشر الخطيب ايسوقراط - نبي الوحدة الاغريقية - خطبة سياسية بمناسبة العيد المئوي للإلغاب الأوليّة وضح فيه أهمية هذه المهرجانات يقول فيها « يتوجب علينا أن تثني على هؤلاء الذين أوجدوا لنا هذه المهرجانات (أو أعياد التناء كما سماها (Paneg' ric) وخلفوا لنا هذا التراث فيفضلهم أصبحنا نجتبع في

مكان واحد بعد أن نعلن هدفه ونتوقف عن القتال وتتلوا الصلوات وتقدم الأضاحي للآلهة ونحن نحس في قوسنا أننا من أصل واحد . هناك يحسن كل منا معاملة الآخر من أجل المستقبل ولعيد ممارسة عاداتنا المضيافة القديمة بل وتكون علاقات جديدة . وليست هذه اللقاءات مضية للوقت لا لجماهير النظارة ولا لشخص الرياضي ذاته ، فهذا الأخير يستعرض أمام الاغريق المجتمعين مواهبه الطبيعية أما الجمهور فيجد لذة وسورا في مشاهدة هذه المواهب وليس هناك ما يهدد بأن أحد المتسابقين سوف يضيق ذرعا بمنافسة لأن كل فريق سوف يجد ما يرضى كبرياؤه (الرياضية) عندما يشاهده الجمهور وهو يبذل أقصى طاقته لادخال السرور عليه وعندما يدرك الرياضيون أن كل هذه الجموع المهيمة قد جاءت لمشاهدته والتعبير عن إعجابها له (١) .

حقا لقد كانت جوائز المتسابقين بسيطة ولكنها كانت حلم كل رياضي أن يتوج منتصرا كالآلهة أمام جماهير غفيرة ممثلة لكل بلاد اليونان وفي مجراب رب الأرباب وبحضور كبار رجال السياسة والفن والأدب . لقد كانت لكل أسرة اغريقية تهتخر بانتصارات أبنائها في المباريات الرياضية ويحدثنا الأديب والسياسي الروماني الشهير شيشرون (Cicero) بأن رياضيا من جزيرة رودس اسمه دياجوراس Diagoras قد اشتهر بفوزه في كل مباريات الملاكمة لدرجة أن الشاعر بندار نظم له شعرا

يتبني باتصاراته ابان الدورة الاولى ، ويستطرد شيشيرون فيروي أن هذا الملاكم طال به العمر حتى سمع بفوز أحد أحفاده في مباريات الملاكمة في أولبيا . وذات يوم دخل عليه رجل من منطقة لا كونيا ليهنئه على فوز حفيديه قائلا « تستطيع الآن أن تموت ياديا جوراس وأنت مرتاح البال لأنك لن تبتهج بهجة ربالية أخرى مثل هذه البهجة » (١) .

والواضح أن شيشيرون أراد أن يعنى أن هذا الرجل (الذى هو من منطقة لاكونيا الشهيرة بحب رجالها في التعبير بما قل ودل) أراد أن يحذر الشيخ الرياضي من حقد الآلهة وغيرها منه اذا ما عاش فترة أطول ليشاهد انتصارات أخرى يحرزها أبنائه وأحفاده في المهرجانات الأولمبية .

قيام وسقوط الحكم الارستقراطى (من منتصف اسو
منتصف القرن السابع ق.م) :

في عهد ملوكهم تمكن الاغريق من غزو شواطئ آسيا ا - -
والجزر المتاخمة له وتمكنوا من اقامة نظام دويلات المدن (Polis) الفريد في نوعه . فقد أوجد هذا النظام - رغم عيوبه - نوعا من الوعي السياسى واشراف الجماعة على مصالح المدينة . ومن ثم وجد ملك المدينة (Basileus) نفسه تحت رقابة شعبية . بل وأصبح لا يخلو موقعه من النقد والحساب ولم يعد الملك كما لقبه هوميروس « راعى شعبه » بل أصبح تحت رحمة رضاء شعبه وبالذات الأغنياء الارستقراطيين منهم . وشهد القرن الثامن ق.م تدهور نظام الملكيات المستبدة وقيام الجمهوريات التى يحكمها الارستقراطيون وانتشرت هذه الثورة الصامتة في كل أنحاء بلاد اليونان لقد حددت سلطات الملوك وقلت أظافرهم وتحول « الملك » الى « موظف كبير » ليس في يده كل السلطات مثلما كان الحال في أسبرطة . فمثلا ترك للملك السلطة الدينية ومنصب كبير القضاة دون أن يحتكر لا القضاء ولا الشؤون الدينية لنفسه .

وعلى أى حال نسمع بعد سقوط الملوك عن أسماء أسر استقراطية

حكمت بعض المدن الاغريقية مثل أسرة آل باخياس Bacciads في كورثا وبالتالي فان هذا الحكم الجديد لم يكن جمهوريا بمعنى الكلمة بن كان أوليجارخيا » فقد كان الأرستقراطيون في هذه الفترة عضد الدولة وعصبها فهم كانوا يولدون ليحكموا بطروف المولد والتعليم والاعداد والحق يقال كان حكم الأرستقراطية الأوليجارخية أكثر كفاءة وقدرة في ادارة شئون الدولة من النظام الملكي . ولهذا فقد كان عهدهم عهد ازدهار في العمران والفنون والتجارة والصناعة . فهم الذين أنشأوا المدن والمستوطنات فيما وراء البحار ثرا لسلطان دويلاتهم السياسى . ولهذا فهم الطاقة الديناميكية وراء حركة الاستيطان والانتشار الكبرى . الى جانب ذلك فان الأرستقراطيين هم الذين وضعوا أسس الدولة وشروط الوظائف ومدة صلاحيتها وتوزيع السلطة وتحديداتها حسب كل وظيفة . لقد وضع الأرستقراطيون أساس التشريع والقانون الثابت عن طريق تقنين العرف والتقاليد ولم يعد مصير الانسان رهنا بزاج الحاكم أو القاضي . بل أصبح القاضي والحاكم مقيدين بقواعد شرعية يحكمان على أساسها . ومن ثم أدى حكم الأرستقراطيين الى ظهور طبقة من المشرعين والقانونيين الذين مهد لهم الارستقراطيون الطريق .

لقد كان الانتقال من الحكم الملكى الافرادى الى حكم الصفوة الارستقراطية تدريجيا ، فقد سلبت سلطات الملك العسكرية والادارية والقضائية حتى أصبح موظفا كبيرا محسود السلطة ولمدة معينة ، وأصبحت السلطة الفعلية في يد الارستقراطيين . وعلى أى حال لم يكن حكم الأرستقراطيين حكما اقطاعيا احتكاريا لمصادر الدولة بل كان في الالتزام الأول يقوم على احتكار الحكم والسياسة لهذه الطبقة المميزة والمستتيرة بحكم النسب والمولد . والتي كان أفرادها يشغلون مكانه متميزة في البناء الاجتماعى والدينى في المدن الاغريقية بل ومنهم خرج المشرعون وواضعو النظم والقوانين .

واذا كنا لا نعرف على وجه الدقة كيف كان هؤلاء الارستقراطيون يسيرون دقة الأمور في مدنها الا أن لدينا دلائل واضحة في الأدب الاغريقى عن فشل هذا النظام . فشلا سجل لنا الشاعر الملحمى التعليمى

هسيودوس (في أوائل القرن الثامن ق. م) شكواه وسخطه لظلم
الأرستقراطيين في تنيير شئون العدالة في بلدته اسكرا Ascra الواقعة
على سفح جبل الهليكون Hellicon في اقليم بوءتبا عندما كتب
ملحمته الخالدة الأيام والأعمال (Erga kai hemeral).

ولقد شهدت الفترة ما بين أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع
قبل الميلاد ثورة وتغير في الفكر والحضارة الاغريقية وبدأت ملامح
حضارة المرحلة اعتيقة (Archaic period) والتي وصلت
قممتها في حوالي عام ٦٥٠ ق. م . لقد أصبحت أشعار هوميروس المنزلة
عن دنيا الواقع شيئاً قديماً وتراثاً من الماضي يروى البطولة ومعجزات
مشاهير الرجال والالهة . وظهر نوع جديد من الشعر يتغنى بنعمة ذاتية
جديدة ومبتكرة ويعبر عن مشاعر الناس ويركز اهتمامه في الحاضر
ويتخصص في الحياة بحلولها ومرها هذا الشعر الذي سماه المتخصصون
بالشعر الغنائي (Lyrics) لاختلافه عن الشعر الملحمي في صيغة
الموضوعات بل في الأوزان والقوافي ، ويحوى قصائد حب وغزل وحزن
ورثاء وأغاني حرب وهجاء وأغاني الزفاف ونواح الجناز ، كان بمثابة
كسر للعزلة القديمة .

لقد جاء هذا التغير في الذوق الأدبي ضمن تغير شامل في الفكر
والحضارة وكنتيجة للثورة في صناعة السفن والتوسع في الكشوفات
الجغرافية التي شملت فترة من ٧٥٠ ق. م - ٦٥٠ ق. م حيث اكتشف
الاغريق أو اعادوا اكتشاف الاتصال بالفرق الأوسط ومصر وآسيا
الصفرى ووصلت تجارتهم الى البحر الأسود وجنوب ايطاليا وصقلية .
وكان الافتتاح على الشرق مهبط الحضارة بداية تغير شامل في الفن
والفكر الاغريقي سماها الأثريون باسم عصر التشرق Orientalizing Period
خاصة في فن الرسم ومن الجدير بالذكر أن كورثا المدينة البحرية الأولى
كان رائدة هذه الثورة الفكرية .

ومن أعلام شعراء هذه الفترة الشاعرة سافو Sappho شاعرة

جزيرة لسبوس الأولى وزميلها الكايوس (Alcaeus) ، وثيوجنيس Theogénis اللذان استكرا سلوك الحكم الارستقراطي في بلادهم ابان القرن السابع ؛ وكان هذا نذير بتدهور الحكم الارستقراطي وتجمع سحب الصراع منبهة بتغير ثورى وعنيف .

الفينيقيون ودورهم في تنمية الحضارة الهلينية :

سبق أن ذكرنا كيف أن أهل كريت والموكيين كانوا قوة بحرية عظيمة في شرق البحر المتوسط . وقد مكنتهم هذا الاتصال بحضارات الشرق الأوسط ومصر ونقل بذخها وفنونها الى بلاد اليونان خاصة في قصور الملوك والأمراء .

ولما سقطت الحضارة الموكينية تحت وطأة غزو الدورين فقدت بلاد اليونان السيطرة على شرق البحر المتوسط وورث الفينيقيون السيطرة البحرية وملأوا الفراغ الذي تركه الموكينيون ابان القرنين العاشر والتاسع .

كان الفينيقيون يعيشون على امتداد الساحل السورى وهو ساحل ضيق تحده الجبال من الشرق ولما كان الفينيقيون محصورين بين الجبل والبحر فقد اضطروا الى استغلال الظروف وأصبحوا دولة بحرية وتجارية من الطراز الأول .

وينتمى الفينيقيون الى العنصر السامى (١) الذى يشمل العرب والبرانيين والأشوريين والآراميين والكنعانيين) ويتحدثون لغة ليست بعيدة كل البعد عن اللغة العبرية والعربية القديمة والآرامية) . وكان الاغريق أول من سموا سكان الساحل السورى بالفنيين (Phoenikes) واللفظ يعنى فى اللغة اليونانية بالاراجوانيين أى الشديدى الحمرة ويقال أن هذا اللفظ اشتق من طبيعة بلادهم التى اشتهرت بالاصباغ خاصة الحمراء منها . وقد صورهم الآثار المصرية كقوم ذوى أنوف معقوفة (أو أرمينية) .

ومن أشهر المدن الفينيقية التي قادت الحركة البحرية والتجارية بين شرق البحر المتوسط وغربه مدينتا صور (Tyre) وصيدا (Sidon) . لقد أقامت هاتان المدينتان محطات تجارية لهما في جزيرة قبرص ورودوس وكوس وغيرها من جزر بحر إيجه كما يقال أن الفينيقيين وصلوا الى مناجم الذهب في جزيرة سيفنوس Siphnos وثاسوس Thasos ومناجم القضة في شمال أتيكا . كذلك من المرجح أن يكون التجار الفينيقيون قد كونوا لهم جاليات في المدن البحرية الهامة مثل كورنثا وأثينا وطيه . ومن الغريب أن الاغريق تسالوا مع الفينيقيين لحاجتهم اليهم فكانت السفن الفينيقية تغزو وتروح من وإلى بحر إيجه حاملة البضائع المختلفة وعلى مدى قرنين من الزمان نقل الفينيقيون أشياء أخرى غير المواد التجارية مثل الأفكار الحضارية والدين . وقد سبق أن أشرنا الى مدى القرابة بين الربة عشتار السورية الفينيقية والربة أفروديت ربه الجمال مثلا . وظل الفينيقيون مسيطرين على البحار وحدهم حتى بدأ الاغريق يستردون عرش أجدادهم الموكينيين في السيطرة على البحار وذلك منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد . بل بدأوا في انشاء محطة تجارية لهم على الساحل السوري في أوغاريت أو رأس شمارة ومحطة أخرى عند مصب نهر العاص تعرف الآن بآلينا وربما كانت قديما تعرف باسم بوسيدونيا Poseidonia

هكذا أصبح الساحل السوري نقطة حياة وحركة منذ منتصف الألف الثاني حتى أوائل الألف الأول ق.م . وحيث ازدهرت مدته مثل ييلوس (بيت جيبيل) وأرادوس وأوغاريت (١) وقد كشفت الحفائر الأثرية عن مواد كثيرة أعطت صورة حية للمدى الذي وصلت اليه الحضارة ولكن يبدو أن حضارة الفينيقيين لاقت صعوبات قصرت من عمرها بسبب وقوعهم في شرك الصراع بين مصر والحيثيين ، كذلك بين الكنعانيين (الفلسطينيين القدماء) وبين الغزاة العبرانيين . كما لاقت الحضارة

(١) انظر أنيس فريجه (مترجم) ، لبنان في التاريخ منذ أقدم المصور التاريخية الى عصرنا الحاضر - تأليف فيليب حتى ، بيروت وزارة الثقافة ١٩٥٩ .

الفينيقية دماراً من جراء البراكين والزلازل التي عصفت بآسيا انصرى وهضبة أرمينيا إبان نهاية الألف الثاني ق. م.

لقد عرف الفينيقيون الحضارة الكريتية والموكينية وتشربوا بها بل وساعدوا على تلقيحها بالحضارات الشرقية كما أنهم أقاموا مستعمرات هامة لعبت فيما بعد دوراً سياسياً هاماً في علاقات البحر المتوسط . ومن هذه المستعمرات الشهيرة أوتيكا في تونس ثم في حوالي عام ٨٢٤ ق. م. أسيموا مستوطنة أخرى مجاورة للأولى سموها بقرطاجنة (Carthago) (١) . قدّر لها أن تلعب دوراً هاماً خاصة بعد تدهور المدن الفينيقية الأم وسقوطها في حوزة الإمبراطورية الآشورية ثم الفارسية .

إن نقطة الضعف في الحضارة الفينيقية هي انعدام عامل الوحدة السياسية الذي هو جوهر الدولة . فكانت فينيقيا تبدو كما لو كانت دولة يجمعها اتحاد مدن تجارية فلم يكوّنوا مثل المصريين الذين جمعهم وحدة سياسية وحكومة مركزية منذ عام ٣١٨٠ ق. م. ولما حاول الملك حيرام ملك صور توحيد المدن المتناثرة مع الولايات المجاورة له والتي كانت لها علاقات تجارية ببلاده وذلك إبان القرن العاشر ق. م. وقف الأراميون (السوريون) بالرصاص ضد هذه الوحدة . فشلت كما فشلت الوحدة التي أقامها الفينيقيون من قبل مع الدويلات السورية وتحطمت على يد حمتمس الثالث بعد معركة ماجيدو الشهيرة في القرن الخامس عشر ق. م.

الفينيقيون والأبجدية اليونانية :

إن أئمن مساهم به الفينيقيون في الحضارة الانسانية هو ابتكار أبجدية مبسطة لتسجيل الصوتيات التي ينطقون بها الكلمات . ومن المعروف أن الفينيقين أخذوا فكرة الأبجدية عن السومريين والذين كانت طريقتهم تعرف باسم الكتابة المسارية (Cuneiform) وجعلوا من مقاطع المسارية حروفاً ويفترض العلماء أن هذا التطور حدث في أوغاريت

(١) هذا هو التاريخ التقليدي أما الآليون فيقدرون تاريخ تأسيس قرطاجه ما بين ٦٧٣ - ٦٦٣ ق. م.

ابان. القرن الرابع عشر ق . م . بعد ذلك قامت مدينة بيلوس باختصار هذه الأبجدية الجديدة لتصبح اثنين وعشرين حرفا بدلا من ثلاثين وهي الحروف. الأساسية التي تقوم عليها الأبجدية الفينيقية . وهناك من يزعم الفضل أساسا الى المصريين القدماء باعتبارهم أول من اخترع فن الكتابة ويجادلون بأن هناك تأثير واضح من جانب اللغة المصرية على الحروف الفينيقية ولكن هذا لا يزال محل جدال .

لقد أحدث ابتكار أبجدية محددة ثورة في الحضارة . لأن ذلك أدى الى تبسيط القراءة والكتابة ونشرها بين الناس وازدياد عدد المتعلمين مما خلق نشاطا ثقافيا دفع الحضارة دفعا الى الامام .

ولم يكن هذا التأثير وقفا على الفينيقين وحدهم بل تعداهم الى غيرهم وخاصة الاغريق، حيث يذكر هيرودوت ذلك صراحة (Herodot, V. 56) ومن العدل أن نشير الى حقيقة هامة وهي أن كانت هناك أمم الاغريق عدة كتابات شرقية قديمة مثل الهيروغليفية والمسمارية بل وطريقة الكتابة المقطعية التي ورثوها عن أجدادهم الموكيين : ولكن هذه الكتابات كانت معقدة وصعبة وأشبه بالطلاسم وفضلوا عليها جميعا الطريقة الفينيقية ذات الاثنين والعشرين حرفا ليسجل بها كل الصوتيات التي ينطق بها كلمات اللغة اليونانية وكما يحدث عادة في تاريخ الحضارة فقد نقل الاغريق في أول الأمر الأبجدية الفينيقية بكاملها ثم راح يعدل فيها لجعلها تتناسب وحجرتها . بل وعقليته . فمثلا أسقط فيما بعد الحروف التي لا تستطيع حنجرتهم نطقها مثل الصاد والواو وأضاف الى الأبجدية الفينيقية التي تتكون أساسا من حروف ساكنة (Consonants) عددا من الحروف المتحركة (Vowels) ولكن يكون أمينا ظل يسمى هذه الأبجدية بعد تطويرها بالفينيقية Ta Phoinicia أو بالأبجدية الفينيقية Phoinicia grammata

وتقترح الأستاذ ل (١) • هـ جيفرى (L.H. Jeffery) في رسالة الدكتوراه التي خصصتها لبحث تاريخ الأبجدية اليونانية في مراحل الاقتباس والتكوين أنه لا يستبعد أن يكون الاقتباس من فعل عالم اغريقى مجهول كان يلم باللغة الفينيقية وأبجديتها واقترحت الباحثة عدة أماكن لنشأة هذه الاقتباس منها كريت أو رودس أو جزيرة يوبويا حيث كانت هناك علاقات مباشرة بين الاغريق والفينيقيين • ولكنها عادت فأثرت أن يكون هذا المكان هو مستوطنة بوسيدونيا Poseidonia التي أقامها الاغريق عند مصب نهر العاصى في الأراضى السورية والتي تعرف الآن باسم المينا (Al Mina) وترجح أن يكون ذلك قد تم بعد منتصف القرن الثامن ق.م • (٢) •

ومن الطريف أن الكتابات والنقوش الاغريقية المبكرة قلدت الكتابة الفينيقية في اتجاه الخط فكانت تكتب من اليمين الى اليسار (retrograde) ثم تطورت لتأخذ شكلا جديداً وهو الاتجاه المتعرج مثل خطوط المحراث Boustrophedon (أى من اليمين الى اليسار ثم يبدأ السطر الثانى من اليسار الى اليمين وهلم جرا) • وأخيراً وصلوا الى المرحلة العادية

(١) cf. L.H. Jeffery : The local Scripts of Archaic Greece :
A study of the Origin of the Greek Alphabet and its development from the Eighth to the Fifth Centuries B.C. Oxford, The Clarendon Press. 1961, pp. 11-12; p 16 and p. 21.

(٢)
R.M. Cook and A.G. Woodhead, «The diffusion of Greek Alphabet, A.J.A, 63 (1959) p. 173-178 ; J.S. Einarson,» Notes on the Development of Greek Alphabet, CP, 62 (1967).

أما جوزيف نافيه المتخصص في النقوش السامية فيعرض رأيا جديداً وغريباً في تطور الحروف الأبجدية الاغريقية من الأصل الفينيقى ويقترح أن العملية استغرقت وقتاً طويلاً بدأ منذ أواخر القرن الثانى عشر أو فى مطلع القرن الحادى عشر ق.م • وأن ذلك تم فى أرض على معرفة بالكتابة السامية واللغة الاغريقية وأن النتائج لم تظهر قبل نهاية القرن التاسع ق.م • ويقترح أن الاغريق تعلموا فكرة الكتابة من التجار الكنعانيين الذين كانوا يترددون على جزر بحر ايجة مثل كريت أو ثيرا ومنها انتشرت الى باقى أجزاء بلاد اليونان وبدأوا فى تطويرها فمثلاً « الواو » الفينيقية تحولت الى البويسيلون • والكاف الى الكابا انظر :

Joseph Naveh : Some Semitic Epigraphical Considerations on the Antiquity of Greek Alphabet, AJA, 77 (1973) p 1-8.

وهي من اليسار الى اليمين ، ومن حسن الحظ أن عثر في مضر على أقدم نقش يسجل توصل الاغريق الى الكتابة من اليسار الى اليمين وذلك في خمسة سطور تجري من اليسار الى اليمين سجلها كاتبان أغريقيان من الجنود المرتزة في بداية القرن السادس ق.م. يتعدان لهجة دورية . وربما من مواليد مصر وكانا ضمن فرقة اصطحبها الملك المصري بساماتيخوس الثاني Psammaticus (٥٩٤ - ٥٨٩ ق.م) في حملته ضد أثيوبيا (بلاد النوبة) والتي يتحدث عنها هيرودوت (الكتاب الثاني - ١٦٢) والتي سارت من جزيرة لثايتين جنوب أسوان حتى الشلال الثاني . وقد سجل الكاتبان عبارات مقتضبة عن الرحلة جنوب الشلال ذيلاها بتوقيعاتهم وزملائهم في شكل حفر بسيط (Graffiti) سجلوه على قدم أحد تماثيل رمسيس الثاني التي تقف عند واجهة معبد أبو سنبل العظيم (١) وليس هذا النقش هاما في تحديد تاريخ ظهور الكتابة المستقرة في بلاد اليونان بل يلقي الضوء على الجاليات الاغريقية في مصر ابان عصر الأسرة الصاوية مايزيد على قرنين ونصف قبل غزو الاسكندر لهذا البلد الأمين .

هكذا أدى التوسع والافتتاح المشترك بين الاغريق من ناحية وبين غيرهم من شعوب الشرق الأوسط الى تكوين الملامح المحددة للعقلية والتفكير الاغريقي والذي أصبح ملازما لهم منذ بداية ازدهار حضارتهم حتى أقولها . لقد بدأ الخيال الاغريقي يتقمص الحقائق والفكر العلمي المنطقي كما تتقمص الروح الجسد . وأصبح الاغريقي ينشد الجمال والحكمة معا . وما الفن في مفهومه سوى أحد أشكال الحكمة . كما كان يمتلك المفكر والفنان الاغريقي احساس شديد بالحق المطلق مما جعلهم يفرقون بدقة بين ماهو مثالي وبين ماهو واقعي وأن يعطوا لكل حقه . ان نظرة فاحصة مثلا للعمارة الاغريقية بما تحتويه من توازن هندسي و « سيمتريه » رياضية تحدد وظيفة كل جزء بدقة تبين مدى الصدق

cf. L.H. Jeffery, op. cit pp. 354-355, also p. 358
Plate 69 no. 48.

(١)

والصراحة اللذان يتسم بهما العقل الاغريقي ، فهو ميروس عندما يتحدث عن هيلينا فهو يعنى هيلينا بينما يختلف هذا الوضع عندما يتحدث فرجيل الرومانى فى انيادس عن بطلة أنياس فقد يعنى الامبراطور أغسطس سيده ومولاه ، أو عندما يتحدث فرجيل فى الانيادس عن الملكة الشريرة ديدو فقد يعنى الملكة المصرية كليوباترا همزاً ولزاً (١) .

ان هناك صفات مشتركة تميز كل جوانب الفكر الاغريقى سواء فى التاريخ أو السياسة أو أدب الشعر والمسرح أو حتى الفكر العلمى المنطقى . وقد يحدد ذلك ملاحظات الفلاسفة الأيونيين التى ترى أن لاشئ يستقر على حال بل لابد من التنوع . لأن التغير دائم وأبدى . وهو يسير على هدى قانون منطقى . وأن هذا التوالد المنطقى للأشياء هو الذى يخلق الحضارة ان الاغريق يبصرتهم الصافية وتظهرهم الثاقب وعقليتهم الواضحة المحددة هم الذين رسموا لنا بكل دقة وحرص تعريفات العلوم المختلفة وحقائق المعرفة التى عليها يقوم العلم والفكر الحديث .

(١) انظر تراث العالم القديم - الجزء الاول - تأليف و . ج دى بوردج
ترجمة زكى سوس ومراجعة د . صقر خفاجه سلسلة الالف كتاب - رقم
٥٥٧ . ١٤٥ - ١٤٦ .

الفصل الخامس

عصر الانتشار والاستيطان

لقد رأينا كيف أن حركة البعث والاحياء ثم قيام دويلات المدن المستقلة في شبه الجزيرة اليونانية وفي جزر بحر ايجه وعلى ساحل آسيا الصغرى ادى الى تحقيق الوعي القومى للأغريق كأمه واحدة مميزة عن غيرها من شعوب الشرق الأوسط الأجانب (Barbaroi) أمة لها تراث فكرى ودينى وأخلاقى وسلوكى مشترك قام بفضل الإلياذة الاودمسا وبفضل اشعار هسيودوس التعليمية الأخلاقية . ولقد دعم هذا التراث الحضارى الاغريقى بمرور الزمن وأصبح وجودا يفرض نفسه على عوامل الاتصال الجغرافى والبحرى وعلى اللهجات المحلية للغة اليونانية بل وعلى العبادات المحلية والاقليمية وقد رأينا كيف لعبت مدينة دلفى المقدسة دوراً أساسيا في وحدة هذا التراث كما جعلت الدورات والمهرجانات الرياضية هذا التراث حقيقة يمارسها الأغريق في لقاءاتهم السنوية والذي لا شك فيه لعبت الاسر الارستقراطية الدور الاكبر في هذا الدعم بين دويلات المدن لما كان بينها من مصاهرات ومعاملات حققت اللقاء والترابط.

وبفضل ذلك أصبحت الحضارة الاغريقية قوة طاردة وديناميكية وراحت تبحث عن مناطق للانتشار في ربوع العالم المسكون (Oikoumene) وجدير بالذكر أن الانتشار والاستيطان كانا صفة أساسية للحضارة الاغريقية لان ذلك هو الذى اعطاها الروح العالية وميزها عن الحضارة المصرية القديمة أو حضارات الشرق القديم التى فضلت أن تبقى داخل مواطنها ومن أجل مواطنيها . ولهذا فحركة الانتشار والاستيطان ترجع منذ أيام الحضارة الموكينية وظلت قائمة حتى العصر الهلينستى والرومانى

لكن المؤرخين يرون أن فترة الاستيطان المبكرة لساحل أيونيا كانت ذات صفة خاصة وذلك لان نظام المدينة الدولية (Polis) صاحبة فلسفة الاستيطان الذي ساد في الفترة من بين منتصف القرن الثامن وحتى منتصف القرن الخامس ق.م لم يكن قد ظهر واكتمل ، كما أن استيطان أيونيا كان ارغاما وليس خيارا (١) أمام الغزو الدوري لأنه كان عفويا وتلقائيا ويختلف عن الاستيطان المنظم . أما الاستيطان الذي حدث ابان العصر الهلينيستي فقد وضعه المؤرخون جانبا لانه برغم الثراء في المصادر نتيجة لتكدس النقوش والوثائق في العصر الهلينيستي الا أن العلاقة بين دوله المدينة Polis وبين المستوطنة (Oikieia) كان قد تغير نتيجة للتغير الذي طرأ على «البوليس» ذاتها بعد عصر الاسكندر وهذا التغير يخرج مثل هذا الاستيطان من المفهوم السياسي والكلاسيكي والفكري للحركة (٢) . وعلى هذا فقد استقر رأى المتخصصين على تخصيص الفترة ما بين ٧٥٠ - ٥٥٠ ق.م للعصر الذي نسميه بحركة الانتشار والاستيطان .

اسباب ودوافع هذه الحركة :

يرجح البعض أن هذه الحركة جاءت كنتيجة حتمية لتدهور امبراطوريات الشرق القديم وبالذات تدهور السيطرة الفينيقية على

(١) يرى . ج . م كوك ان الحضارة الافريقية ولدت في أيونيا اى بفضل هذه المستوطنات حيث خلقت الغربة والشتات الاحساس بالحاجة الى القومية حفاظا على الوجود الحضارى في مواجهة الشرقيين انظر :

J. M. Cook ; «The Greeks in Ionia and the East, London 1962.

كما قام بوردمان بدراسة الانتشار الافريقى على ضوء الوثائق الاثرية

انظر :

J. Boardman, « The Greeks Overseas, Penguin edition 1964.

A.J. Graham, Colony and Mother-City in Ancient Greece, Manchester, (٢) University Press, 1964, p. 2 p. 25 ff., also cf..

V. Ehrenberg ; From Solon to Socrates - Greek History and Civilization during the Sixth and Fifth Centuries B.C., Methuen and Company, London 1967 p. 13 ff.

مياه شرق البحر المتوسط والتي كانت تعد من نشاط الاغريق وكانت
الامبراطورية الاثورية خاصة ابان الفترة التي يشار اليها بالأسرة
الرابعة (٩٣٤ - ٧٤٥ ق م) قد قضت على القوة السياسية للشعوب
الآرامية في سوريا وفلسطين وفينيقيا وباسقاط هذه القوة أصبح هناك
فراغ كبير في المنطقة ولم يجد ينافس الاغريق كقوة بحرية أحد سوى
قرطاج تلك المستوطنة التي أنشأها صور (Tyre) على ساحل أفريقيا .
حتى مصر التي كانت قوة كبيرة لها كيائها في المنطقة أصبحت في ذلك
الوقت تعاني انهياراً مستمراً أفقدها هيبتها وقيادتها . أما في آسيا
الصفرى فلم يكن هناك سوى دولتا فريجيا وليديا ، وقد دمرت القبائل
الكبيرة القادمة من مناطق الأستبس فريجيا . وبقيت ليديا وهي دولة
شرقية ولكن أقامت جسوراً من الصداقة والتعاون مع الاغريق . أما
الفرس فلم يكونوا قد نهضوا كقوة ذات نفوذ في مياه البحر المتوسط .
وخلاصة القول وضعت الظروف السياسية أمام الاغريق فرصة نادرة
للاتسار ، فالبحر المتوسط مفتوح أمامهم بلا عوائق ولا معارض
وعندما زحخت الامبراطورية الفارسية نحو البحر الأبيض ابان القرن
السادس ق م . كان الاستيطان الاغريقي قد ثبت أقدامه وأصبحت
المستوطنات الاغريقية قوة واقعة وحقيقية وقادرة على الدفاع عن نفسها
وعلى استعداد لاثارة الغرب الاغريقي للدفاع عنها .

لقد أدى تكديس دويلات المدن في المساحات الضيقة وتمسك كل منها
باستقلالها كقوة مستقلة ذات سيادة الى الاحتكاك وقيام المنازعات
بسبب الحدود أو المصالح والتنافس على السيطرة التجارية فيما بينها
من أجل فرض نفوذها على أكبر رقعة من العالم المسكون . وقد ساعد
على ذلك تزايد عدد السكان بدرجة لا تتناسب مع المساحة الزراعية
ومن ثم دفعت مشكلة « البحث عن الغذاء » (١) السكان الى الهجرة

(١) راجع مقاله :

J. Gwynn, Journal of Hellenic Studies, 38 (1918) :

Graham op. at p. 25.

بينما يرى جراهام ان الدوافع كانت تجارية ولكن العلماء يردون بأن
المستوطنات كانت مستقلة اقتصادياً عن المدن الأم .

ومن ثم كان الانتشار تنفيذا حتميا للضائقة الاقتصادية والمذاقية للسكان. وقد ساعد البحر وقيام الأساطيل الصغيرة للمدن على هذا الانتشار. ولما كان وضع المواطن الاغريقي السياسى والاجتماعى مرتبطا بما يملك من أرض زراعية ابان تلك الفترة فقد أدى ذلك الى انتشار السخط من السكان الفقراء وكثيرا ما أدى اليأس السياسى للطبقات المعدمة الى ترك الوطن والبحث عن وطن جديد يحققون فيه ذاتهم ، بل ان الصراع الاجتماعى دفع الطبقات المندحرة الى الهجرة ولهذا نجد أن بعض المستوطنات دخلت فى صراع سياسى واجتماعى مع المدينة الأم التى أنشأها كما حدث بين كورتا ومستوطنتها كوركيرا حيث جسر هذا الصراع مدن الاغريق كلها فى حرب شاملة هى الحروب البيلوبونيسية . كما وجد المواطنون المثقلون بالديون فى الهجرة منفذا للهرب تخلصا من أعبائهم المالية وبداية لمرحلة جديدة من الحرية بدلا من البقاء تحت نير « عبودية الدين » اذ لم يكن هناك تشريع ينظم العلاقة بين الدائن والمدين فى تلك المرحلة وكان من الممكن أن يتحول العاجز عن سداد دينه الى « عبد » يتصرف فيه الدائن كما يشاء سواء بالبيع أو الحبس بل تعدى ذلك الى أولاد المدين وأسرته .

غير أن حركة الانتشار والاستيطان لم تكن وفقا على الباحثين عن الطمام من المدمين أو أولئك الهاربين من الديون وفقد حريتهم بل شملت بعضا من النبلاء الذين حرّموا بحق قانون الارث الاغريقى الذى يورث الضياع الى أكبر الأبناء فقط (Primogeniture) حفاظا على حجم الملكية . ومن ثم وجد الأبناء الآخرون أنفسهم مضطرين للبحث عن ضياع جديدة فى أرض جديدة .

أيضا يجب الا ننفل عشق الاغريقى للمغامرات وركوب المخاطر والجري وراء الثروة لارضاء الطموح والغرور خاصة الشباب منهم كعامل له وزله فى تشجيع الهجرة الى بلاد غريبة وبعيدة كما أن غريزة حب الاستطلاع والقضولية كاتتا عاملا مؤثرا للهجرة .

وبالرغم من هذا كله يبقى العامل الأساسي وهو الثورة البحرية والتجارية الكبرى نتيجة للتطور في فن صناعة السفن ذات الطوابق المتعددة من المجدفين خاصة السفن ذات الثلاثة طوابق من المجدفين (triremes) أو ذوات الخمسين مجدافا (Pentakosia) وبذلك لم يمد الإبحار مرهونا بهبوب رياح معينة في مواسم معينة مثلما كان الحال أيام الشاعر هسيودوس بل أن سرعة السفن تضاغت ، كما ساعدت الكشوفات الجغرافية لأسرار البحر المتوسط والتي نرى بدايتها في مغامرات أوديسيوس إبان عودته الى وطنه في جزيرة إيثاكا - على ركوب البحر حيث أصبح الانتقال سهلا وميسرا وبالتالي فتحت مناطق جديدة للتجارة وكان القمح عاملا أساسيا لأن كثير من الدوليات الاغريقية كانت تعتمد عليه في غذائها الأساسي فقد كانت التجارة حتمية اقتصادية للدوليات الاغريقية بعكس دول الشرق الأوسط التي كانت مكتفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية (Self sufficient) ومن ثم لم تبتأ بالتجارة بل كانت مصدرة أكثر منها مستوردة وكانت تجارتها تقتصر على الرغائيات وليس الضروريات بعكس الاغريق تماما .

شعائر واجراءات المستوطنة :

كان لانشاء المستوطنة خطوات معروفة ومدروسة وتقاليد معينة وشعائر دينية . تبدأ باختيار مؤسس أو قائد (oikistes) وهو مواطن من المدينة الأم (Metropolis) يقود عددا من مواطنيها أو ممن يريدون الانضمام اليه من المدن الأخرى . ومن الملاحظ أن قيادة المستوطنات كانت عادة في أيدي الارستقراطيين بينما جمهور المستوطنين كانوا من كافة طبقات المجتمع . وكانت المستوطنة تختار المكان لشروط خاصة مثل ثراء المنطقة وغناها كوقوعها في سهل غني أو عند منفذ تجاري أو على رأس ميناء هام وكثيرا ما كانت المستوطنات تجمع بين الميزتين : السهل والميناء . إذ من الملاحظ أن جميع المستوطنات الاغريقية تحتل المنافذ البحرية الهامة المطلة على البحار أو عند التقاء نهر داخلي بصب عند بحر - ارجى للاتان بالتجارة من الداخل وتصديرها الى الخارج . ويقول

هيرودوت (١) أنه كان يتحتم استشارة كهنة الإله أبوللون في ذلعي قبل اختيار المكان وليس من المستبعد أن كهنة دلفي كانوا على علم دقيق بالمناطق الاستراتيجية ذات الأهمية التجارية والتي لم تكن قد استوطنت بعد (٢) ولهذا كان أبوللون أكثر الآلهة ارتباطاً بالمستوطنات الاغريقية وكثيراً ما اتخذته المستوطنات كمؤسس (oikist) اسطوري لها . وبالتالي كان قادة الاستيطان يصبحون زعماء في المستوطنات الجديدة وبعد موتهم يتحولون الى أبطال يعبدون فيها ويدفنون في أضرحة للعبادة في قلب السوق العامة . وإذا حدث خلاف بين المستوطنات كان كهنة دلفي يقومون بدور المحكمين والقضاة . ويقول ثوكوديديس اذ حاولت مستوطنة انشاء مستوطنة فرعية منها كان يستوجب عليها استدعاء قائد مستوطنة من المدينة الأم (٣) .

وفي العادة كان المهاجرون يلتقون قبل الهجرة ويؤدون قسماً يؤكد التزامهم بعهود الوفاء للمدينة الأم وإذا حاد أحدهم عنها تنزل عليه اللعنة وقد عثرنا على القسم الذي أخذه أهل ثيرا على أنفسهم عندما أسسوا مستوطنة قوريني Cyrene في ليبيا (٤) ثم يتفق المهاجرون على صيغ الدساتير والقوانين التي سوف يختارونها لمدينتهم الجديدة وكثيراً ما كانت تؤخذ من دساتير المدينة الأم وعادة كان زعيم المستوطنة ينتخب زعيماً سياسياً وقبل الهجرة كان يشترط أن يشعل المهاجرون شعلة من موقد المدينة الأم لحملها معهم يشعلون بها موقد مدينتهم الجديدة كرمز للارتباط النفسى والروحى بين المستوطنة (oikeia) والمدينة الأم (Metropolis). • وجدير بالذكر في عصر الطغاة الاغريق انتشر انشاء المستوطنات رغبة من هؤلاء الطغاة في التوسع والسيطرة ونشر نفوذهم

Herodatus, XI, 42, 2.

(١)

J. Park and Wormell, «A. History of the Delphic oracle, I, p. 71 (٢)

Graham op. cit. p. 25.

Thucydides I, 24, 2.

(٣)

(٤) يرجع هذا النقش الى القرن الرابع ولكنه كان صورة طبق الأصل

للقسم القديم انظر : -

S.E.G., IX, 3.

وكثيرا ما قاد أبناء الطغاة أنفسهم المستوطنين ، حيث تظل المستوطنة جزءا من ممتلكات الطاغى حتى سقوطه أو موته . وفى الغالب كانت المستوطنة تابعة عنصريا للمدينة الأم المؤسسة ، فالدوريون يؤسسون مستوطنات دورية والأيونيون يؤسسون مستوطنات أيونية الخ . بالرغم من أن المستوطنة كانت تعتبر دويلة ذات سيادة ومستقلة عن المدن الأم (١) .

لقد كان فكرة انشاء المدن ظاهرة عامة فى تاريخ الاغريق نشأت فى أيونيا وانتقلت الى بلاد اليونان . وقد رأينا كيف كانت المدينة دويلة مستقلة ذات سيادة يرغم ضيق مساحتها التى كانت لا تزيد فى أكثر الأحيان عن ٤٠٠ ميل مربع ولم يزد عن هذه المساحة سوى أثينا واسبرطة وذلك لظروف خاصة . وكالمدينة الأم كان السوق العامة (agora) هو أهم ملامح المستوطنة ثم تكس الشوارع والأحياء حول موقد هestia المقدس فى قلب المدينة ثم بضرب سور حول المدينة . وخارج هذا السور يقع الاطار الرضى الذى يمد المدينة بحاجتها من الغذاء الزراعى والحيوانى وقد وصف أرسطو رف المدينة الزراعى بأنه « الجومر الخيوى للمدينة » (٢) وبداخل المدينة تقوم المرافق الأساسية اننى تؤكد شخصيتها (٣) كان مجتمع المواطنين (Polity) هو دولة المواطنين والدليل على ذلك أن أسماء المدن كان ينسب الى المواطنين وليس العكس فاثينا تسمى مدينة الاثينين وبلاتيا تسمى مدينة البلاتيين وهلم جرا .

وقد سارت المستوطنات على هذا النظام . وكان شعب المدينة يلتقى دينيا تحت عبادة رب أو ربة معينة ويحرص على التمسك بفكرة الحرية - العدالة (eunomia) المستمدة من صفات هذا الاله . وكان هذا المجتمع الصغير يفرض على أعضائه سلوكا معيناً وأفكارا معينة يتعلمها أفراد من تلقاء أنفسهم . وكانت العلاقات الاجتماعية والاحتفالات فى

J. Siebert, Metropolis und Apoikie (wuerzburg) 1963, p. 15 ff.

(١)

(٢) كتاب السياسة ١٢٦٠ (ب) .

(٣) عن المرافق الأساسية للمدينة الدولة انظر :

R. E. Wycherley, «How The Greeks built Cities, 2nd edition Mac Millan and Company, London 1962.

المناسبات العامة صفة أمامية للمدينة . وفي البداية كانت حقوق المواطنة مقصورة على النبلاء ثم توسعت دائرتها لتشمل المواطنين الأحرار ولكن بقيت النساء والأجانب والعبيد خارج المجتمع . وجدير بالذكر أن الاغريق عاملوا العبيد بنظرة أكثر انسانية من الرومان ولم يكن ملكية العبد دليل على العنصرية بل ظاهرة نفسية ، اذ أحيانا كان مالك العبد يجعل نفسه مع عبيده في الحقول (١) وفي كثير من الأحيان برز العبيد الى انصفوف الأمامية في الدولة وتمتعوا بحقوق قانونية .

أما بالنسبة لعلاقة المستوطنين الاغريق بسكان المناطق الأصلية . فقد دفعوا بهم الى الداخل بينما احتلوا هم الشواطئ وفي البداية استخدموا معهم القوة ولكن بمرور الزمن حققوا تعايشا سلميا معهم لأن الاغريق المهاجرين كانوا يحرصون على انعاش السكان الأصليين اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا واشراكهم في الرخاء المشترك ، بل حدث تزاوج بينهم ، ويكفي أن نشير الى أن هيرودت جاء نتيجة لزواج امرأة أسيوية من كارييا رجل اغريقي في هاليكارناسوس . والأذن وبعد أن تعرضنا لظاهرة الاستيطان وظروفه لنحاول رصد المناطق التي نشأت فيها هذه المستوطنات .

أولا : آسيا الصغرى :

لما كان الشرق الأوسط تحت سيطرة دولة قوية هي آشور فقد ابتعد الاغريق عنه ولم يؤسسوا فيه سوى مستوطنة واحدة هي بوسيدونيا (١) Poseidonia على نهر العاصي ومكانها الآن مدينة المينا (Almina) في شمال سوريا والتي منها يعتقد العلماء أن فكرة الكتابة انتقلت من الفينيقيين الى الاغريق . ويقترح العلماء أن هذه المستوطنة انشأت حوالي عام ٨٠٠ ق م وعلى يد مستوطنين من جزيرة يوبويا Euboea وساهم فيها اغريق جزيرة قبرص .

cf. Finley : The Ancient Economy, London 1974.

(١)

(٢) لا يزال الخلاف قائما حول اسم المستوطنة التي كانت قائمة

مكان « المينا » انظر :

Wolff, J.H.S., (1938), also Boardman; op. cit,

لكن يكاد أن يكون الاتفاق الآن قائما على تسميتها ببوسيدونيا .

ثانيا : صقلية وجنوب إيطاليا :

ساعد عدم وجود عوائق جبلية في جنوب إيطاليا وصقلية الاغريق على الأبحار اليها منذ زمن قديم ، فقد عثر الأثريون على أواني فخارية في كل من صقلية وسهل اتروريا ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد (١) . ولما كانت منطقة جنوب إيطاليا وصقلية تواجه بلاد الاغريق فقد كانت منطقة هامة للتنفيث عن التكديس السكاني في الوطن الأم . وقد تزعم سكان مدينة خالكيس Chalkis الواقعة في جزيرة يوبويا Euboea في شرق ساحل أتيكا - حركة الهجرة والاستيطان في جنوب إيطاليا وذلك عندما أسسوا مستوطنة كوماي Cumae على مسافة بضعة مئات من جنوب روما وسهل اتروريا . ويقال أن الفضل يرجع الى هذه المستوطنة في توصيل طريقة الكتابة بالحروف الفينيقية بعد أن اقتبسها الاغريق الى كل من الاتروسكين والرومان . وقد توسعت كوماي ، وازدهرت لدرجة أنها قامت بإنشاء مستوطنة لها هي نابوليس (neapolis) والتي تعرف الآن باسم نابولي والواقعة على الخليج الذي يعرف باسمها كذلك أنشأت خالكيس عدد من المستوطنات في صقلية أهمها مستوطنة كاتانا Catana قرب منتصف الساحل الشرقي لصقلية .

سيراكوزة :

أما كورثا فقد قدر لها أن تؤسس سيراكوزة Syracuse في الجزء الأدنى من ساحل صقلية الشرقي وهي أكبر المستوطنات في جنوب صقلية والتي أصبحت في القرن الرابع ق.م. عاصمة للمدن الاغريقية المتحدة في صقلية . ويقول ثوكوديديس أنها أسست حوالي عام ٧٣٤ ق.م. (٢) . وسرعان ما أصبحت من أكثر مدن جنوب إيطاليا ازدهارا لكثرة خيراتها الزراعية وصادراتها التجارية فقامت بإنشاء مستوطنة متفرعة عنها هي كامارينا Camarina على الساحل الجنوبي الغربي لصقلية .

(1) cf. Dumbabin : The Western Greeks, Oxford 1948 ; AG. Wood head. The Greeks in the West, London 1962.

(2) Thucydides, 6, 3.

وقد حكم سيراكوزة عند بداية تأسيسها حكومة أوليجارخية أرستقراطية من ملاك الأراضي عرفوا باسم (gamoroi) اتزعوا الأراضي من سكان صقلية الأصليين وحوارهم الى طبقة من المستعبدين (Kyllyrioi) مما شجع على قيام الثورة الاجتماعية حوالى عام ٤٨٥ حيث اتخذ فقراء الاغريق وسكان صقلية الأصليون معا وطرّدوا الطبقة الأرستقراطية الحاكمة .

وقد استعان هؤلاء الثوار بزعيم هو جيلون Gelon ساعدهم على طرد هؤلاء الاقطاعيين ولصب نفسه طاغية على سيراكوزة حوالى عام ٤٩١ ق.م. بعد أن تنازل عن حكم مدينته الأصلية جيلا Gela لشقيقه هيرون Hieron . وفى عهد جيلون بلغت سيراكوزة أوج عظمتها وازدهارها وأصبحت تملك أكبر أسطول بحرى بين الاغريق جميعا . ولما زحف كسيركسيس على بلاد اليونان فى حملته المشهورة اضطرت أثينا واسبرطة أن يطلبوا من جيلون المعونة الحربية ولكنه اشترط أن يعين قائدا عاما للأسطول كل الاغريق فى الحرب ضد الفرس ولما لم يجاب الى طلبه انسحب بأسطوله عائدا الى صقلية حيث وجد خطرا جديدا يماثل الخطر الذى كان يهدد بلاد اليونان ذاتها اذ فتح القرطاجيون جبهة جديدة عندما غزى الملك هاميلكار صقلية بجيش كبير ولكن جيلون وحليفه ثيرون Theron طاغية مدينة اكراجاس Acragas تمكنوا من هزيمته قرب هيميرا Himera وذلك فى عام ٤٨٠ ق.م وأنقذت صقلية كلها من خطر القرطاجيين وأصبح جيلون بطلا قوميا وقائدا على كل المدن الاغريقية فى صقلية . بل وكسب شهرة كحاكم شعبى محبوب ومثالى حتى موته عام ٤٧٨ ق.م . ويرجع الفضل فى توسيع رقعة سيراكوزا الى جيلون اذ أنه شجع سكان المدن الاغريقية الأخرى الى الهجرة الى سيراكوزا حيث أقام أحياء جديدة لتستوعب السكان الجدد . وأصبحت سيراكوزة أكبر مدينة فى غرب البحر المتوسط ، ولا ينافسها فى ذلك سوى قرطاجة .

وبعد موت جيلون حكم هيرون الأول Hieron الذى مد نفوذه الى جنوب ايطاليا وجعل من صقلية عاصمة للثقافة والفنون الاغريقية تنافس أثينا نفسها . وأصبحت لسيراكوزة امبراطورية . ولكن هذه الامبراطورية لم تستمر طويلا اذ أنها تدهورت بعد موت هيرون عام ٤٦٧ ق. م . ودخلت الديمقراطية كنظام جديد وأصبح للمدينة مجلس شيوخ (Boule) ومجلس شعبى ومجلس تنفيذى (مجلس الجنرالات) وثقيب للعامه . ورغم المصاعب التى واجهتها سيراكوزة خلال أيام الديمقراطية الأولى الا أنها نجحت فى صد عدوان جيرانها ضد مدينة أكراجاس Acragas . وقد حاولت أثينا مرتين التدخل فى شئون سيراكوزة (٤٢٧ - ٤٢٤ ، ٤١٥ - ٤١٣ ق. م) ولكن سيراكوزة نجحت فى صد الآثينيين واعادتهم فاشلين . كما حاولت سيراكوزة بدورها التدخل فى شئون بلاد الاغريق مما أدى الى طرد حاكم صقلية هيرموكراتيس Hermocrates والقضاء مجلس الجنرالات والعودة الى النظام العتيق وهو نظام انتخاب أراخنة عن طريق القرعة .

ونظرا لتهديد القرطاجيين لسيراكوزة ابطلت طريقة الاقتراع وعادت البلاد الى نظام حكم الطغاة . ولصوب ديونيسيوس Dionysius الأول طاغية أو قائدا منفردا بعد عام ٤٠٦ ق. م ولكنه هزم على يد القرطاجيين وفقد تأييد الطبقات الغنية له بل وحاولت اسقاطه مما جعله يسرع بعقد هدنة مهينة مع القرطاجيين ليبدأ فى صراع مرير مع الأغنياء حيث أمم أراضيههم ووزعها على العبيد والمعدمين . وقام بمدة حملات ضد المدن الاغريقية فى صقلية لاختضاعها له . وراح يستعد لطرد القرطاجيين ببناء الأسطول والتحصينات والقلاع حتى أصبح أقوى حاكم فى صقلية بعد تعيين نفسه أرخونا عاما عليها . بل تطلع الى السيطرة على جنوب ايطاليا وأقام عددا من المستوطنات على ساحل الادرياتيک وساعد أسبرطة ضد أثينا وطيبة كما أقام علاقات مع مدينة روما الناشئة وقد عرف ديونيسيوس بأنه أديب ومؤلف وشاعر مسرحى وعرضت مسرحياته فى أثينا وأولبيا وصقلية وكسب عنها جوائز فى المهرجانات الأدبية .

ولما مات ديونيسيوس الأب تولى ابنه ديونيسيوس الابن الحكم في عام ٣٦٧ ق.م وهو في الثلاثين من عمره . وكان أول عمل قام به هو وقف الحرب مع القرطاجيين . وكان ديونيسيوس الثاني ضعيفا ، ولكنه كان شغوفا بالأدب والفكر والثقافة الاغريقية ، فقد كان شاعرا وفيلسوبا وأديبا . وكان دائما يدعو مشاهير الفلاسفة الى سيراكوزة وقد أعجب بأفلاطون بالذات فدعاه ليقم مدينته الفاضلة في سيراكوزة ويحاول أن يجعل منه الحاكم الأمثل الذي يتحدث عنه أفلاطون ولكن التجربة فشلت واضطر الى طرد أفلاطون ووزيره المؤرخ فيليستوس Philistus عام ٣٦٦ ق.م . ولكنه عاد ودعاه مرة أخرى في عام ٣٦١ ق.م وللمرة الثانية فنزل أفلاطون واضطر للهرب عائدا الى أثينا عام ٣٦١ ق.م . في عام ٣٥٧ ق.م وقع انقلاب قادة ديون وكالليوس Callippus وذهب ديونيسيوس الى المنفى وظل فيه حتى عام ٣٤٧ ق.م . وفي هذه الأثناء حاول تيموليون Timoleon أن ينقذ سيراكوزة من التدهور فجلب مستوطنين جدد الى صقلية ووضع أساس دستور ديموقراطي جديد وأكمل هذه الثورة الديموقراطية أجاثوكليس Agathocles وأصبح ارخوفا منفردا عام ٣١٧ ق.م ثم تحول الى ملك ٣٠٤ ق.م وعند موته عام ٢٨٩ ق.م أسدل الستار على أعظم أيام سيراكوزة . لأن الحاكم الذي تولى من بعده وهو هيكتاس (٢٨٨ - ٢٧٨ ق.م) كان ضعيفا فهزمه القرطاجيون وحاصروا سيراكوزة لولا طلبه النجدة من أبيروس حيث حضر الملك بيرهوس Pyrrhus من بلاد بلاد اليونان لنجدة سيراكوزة وانقاذها من القرطاجيين ونجح بيرهوس في فك الحصار . ولكنه فشل في إعادة سيراكوزة الى أيام مجدها الذي شهدته في عصر ديونيسيوس وأجاثوكليس . أما هيرون الثاني فقد أصبح عميلا للرومان ولما حاول خليفته هيروليموس Hieronymus (٢١٥ - ٢١٤ ق.م) الخروج على هذه السياسة نشب صراع داخلي بين أنصار الرومان وأنصار القرطاجيين أدى الى تدخل الرومان وحصارهم لسيراكوزة . وقد حاول أهل سيراكوزة مقاومة الحصار الروماني وقد ساهم في هذه المقاومة العالم الرياضي ارثيميديس

Archimedes ولكن القائد الروماني ماركيلوس Marcellus دخلها عنوة بعد استسلامها في عام ٢١١ ق م وأصبحت سيراكوزة مقر الحاكم الروماني لولاية صقلية. وفي عام ٢١ ق م أرسل الإمبراطور أغسطس مستوطنين من الرومان إليها حيث أنشأ فيها مستعمرة رومانية . وظلت سيراكوزة تتضائل بسبب الاستغلال الروماني لصقلية حتى هاجمتها قبائل الفرنجة (Franks) عام ٢٨٠ ميلادية ونهبتها ودمرتها ، عندئذ بدأت المسيحية في الانتشار فيها . هذا هو تاريخ المستوطنة من القيام حتى التدهور .

ومن المستوطنات الأخرى الهامة مستوطنة ميجارا هوبلايا Megara التي أنشأتها مدينة ميجارا على الساحل الشرقي للجزيرة وذلك إبان نهاية القرن الثامن ق م ، كما قامت خالكيس بإنشاء مستوطنة زالكلي (ميسانا) Zancle في الركن الشمالي الشرقي من الجزيرة . وعند طرف كعب الحذاء الإيطالي وفي مواجهة هذه المدينة أقامت خالكيس بإنشاء مستوطنة ريجيوم Rhegium على الأرض الإيطالية وبذلك سيطرت على المضيق المائي الذي يفصل بين مياه إيطاليا وصقلية ويعرف بمضيق ميسانا .

ومن المستوطنات الاغريقية الهامة في صقلية مستوطنة هيميرا Himera على الساحل الشمالي لصقلية . كما أنشأ المهاجرون من كريت مستوطنة جيلا Gela على الساحل الجنوبي للجزيرة وقامت جيلا بدورها بإنشاء مستوطنة أكراغاس Acragas كما قامت مستوطنة ميجارا هوبلايا بإنشاء مستوطنة سيلينوس في غرب صقلية .

هكذا انتشرت المستوطنات الاغريقية في شتى أنحاء الجزيرة دون أي خطة محددة أو سياسة معينة ولكن حيثما اتفق . ولكن يجب أن نقول أن غرب صقلية بقي في أيدي الفينيقيين بينما الصقليون الأصليون محصورين في وسط الجزيرة . وانتشر الاغريق في جنوب وشمال وشرق الجزيرة .

ولقد كانت المستوطنات الاغريقية في جنوب إيطاليا وشمال صقلية مستوطنات مزدهرة وغنية لوقوعها في مناطق سهول بركانية ولسيطرتها

على المنافذ التجارية حتى أضحت منافساً كبيراً للقرطاجين والفينيقيين .
ولكن هذه المستوطنات نقلت معها الخلاف والشقاق من بلاد اليونان .

ولقد كان جنوب إيطاليا بالذات بسهولة الشاسعة مطعماً للمستوطنين
الاغريق خاصة من سكان شمال السيلوبونيسوس الذين أقاموا فيها عدداً من
المستوطنات منها سيباريس Sybaris (١) وكروتون Croton
وميتابونتوم Metapontum . كما قامت اسبرطة بانشاء تاراس Taras
(أو تارتوم Tarentum) وقامت لوكريس بانشاء مستوطنة لوكرنى
Locri . كما أقامت سيباريس بانشاء مستوطنة بوسيدونيا (بايستوم) ،
وبمرور الزمن ازدهرت المستوطنات المختلفة وأصبح جنوب إيطاليا
يعج بالمدن الاغريقية لدرجة أن الرومان أطلقوا عليها اسم اليونان
العظمى Magna Graecia . ومن الطريف أن الرومان اتصلوا
بالاغريق وأطلقوا عليهم الاسم الذي عرفوا به وهو الاغريق Graeci

ثالثاً : جنوب أوروبا :

وبازدياد النشاط الاستيطاني بدأ الاغريق في استكشاف أوروبا خاصة
أشبانيا ذات السهول الخصبة والمناجم الغنية بالنفضة والقصدير فقام
تجار فوكايا Phocaen بانشاء ماسيليا Massilia (ماسيليا الحالية)
عند مصب نهر الرون وذلك حوالي عام ٦٠٠ ق م والتي أصبحت
قاعدة للنفوذ التجاري والحضارى للاغريق في شمال أوروبا ومنها
خرجت مستوطنات الى شبه جزيرة ايبيريا .

هكذا انتشرت المستوطنات الاغريقية في غرب أوروبا بسرعة
وبسهولة وذلك لخلو هذه المنطقة من الشعوب ذات الحضارة القوية
والنفوذ السياسى القادر على مقاومة الاستيطان الاغريقى بعكس الحال
في الشرق الأوسط ولهذا السبب أيضا انتشرت الحضارة الاغريقية في
هذه المناطق بسرعة مذهلة وبدرجة تفوق الخيال وسرعان ما علم الاغريق
شعوب أوروبا الغربية من أمثال الغالين والرومان والأترومكيين .

(١) وقد ضرب المثل بثناء سيباريس ولا يزال التعبير الانجليزى
Sybarite Wealth يعنى الثراء الذى لا حد له .

وهذا أكبر قدر من المساهمة شارك فيه الاغريق من أجل تقدم شعوب
القارة الأوروبية (١) .

وابعا : شمال افريقيا ووادي النيل :

وابان القرن السابع اقرب اغريق ساحل أيونيا الى مناطق النفوذ
في شمال افريقيا . وقام مواطنوا جزيرة ثيرا Thera بإنشاء مستوطنة
قوريني Cyrene لتكون حصنا للحضارة الاغريقية في شمال افريقيا
وكرأس جسر للنفوذ الاغريقي بين مصر وقرطاج . كما قامت ميليتوس
بدعم المحطة التجارية الاغريقية المقامة على الفرع الكانوبى للنيل
 والمعروفة باسم تقراطيس Naucratis حيث تحولت الى مدينة أيونية بعد
أن ازدهرت الأحياء الاغريقية حول الهيلينيون Hellenion الاغريق
وهو مجمع كل آلهة الاغريق . ولما كانت مدينتا قوريني وقراطيس ذات
تأثير خاص في تاريخ الحضارة الهلينية في شمال افريقيا ومصر فمن
الواجب علينا أن نعالج كلا منهما بشيء من التفصيل .

قورينه أو قوريني (شحات الحالية بمقاطعة بركة) ، هي تلك
المستوطنة الجميلة التى وصفها الشاعر بنى دار بأنها « حدائق الربة
افروديت » . وقد أسس هذه المستوطنة مجموعة من مهاجرى جزيرة
ثيرا (وهى الآن جزيرة سانتورين الحالية) بناءً على نصيحة من كهنة
الآله أبوللون بأن يبحثوا لهم عن مستوطنة على ساحل أفريقيا الشمالى
فى الغرب من حدود مصر . وذلك ابان القرن السابع ق.م . وبعد أن
ذهبوا يسوا من الإقامة فيها فعادوا من حيث أتو بل وتجولوا فى البحر
سنتين عدداً ثم اضطروا للعودة الى قوريني مرة أخرى وذلك فى عام
٦٣١ ق.م حسبما تروى الأساطير .

(1) «In the west, the Greeks had nothing to learn but much to teach»
Boardman, op. cit, p. 203.

كانت قوريني هي المستوطنة الأولى للاغريق في شمال أفريقيا (١) ، محصورة بين ساحل البحر المتوسط وحافة الصحراء الليبية . وتروى الأساطير اسم قوريني مشتق من اسم ينبوع ماء هناك اسمه كورى Cyre ، وتقول أسطورة أخرى أن قوريني كانت في الأصل حورية من حوريات البراري والأدغال وصديقة لربة الصيد ارتيميس Artemis ، وكانت تعيش في أدغال جبل بليون المقدس Pelion وذات يوم رآها أبوللون تقاتل أسداً فأعجب بها وهام بها حباً ثم حملها الى ليبيا حيث تزوج بها وجعلها أميرة على المنطقة بل وأنجب منها ابناً اسمه أرستايوس Aristaeus أصبح ربا للمزارع والمراعى . وقالت أسطورة ثالثة أن أحد ملوك ليبيا القدماء قطع على نفسه عهداً بأن يهب مملكته لمن يقتل أحد الأسود التي كانت تزعج السكان وتفتك بالماشية فلما فعلت قوريني ربة الأدغال ذلك وهب لها عرشه . على أى حال أقام المستوطنسون الدوريون من قوريني ربةً حامية على البلاد جنبا الى جنب مع أبوللون رب الاستيطان الذي ارتقلت عبادته مع المهاجرين من اسبرطة وثيرا حيث عبد تحت اسم أبوللون كارنايوس (Apollon Karnaieos) (٢) .

من الواضح أن المستوطنين الاغريق اختاروا مكانهم لموقعه الاستراتيجي ولتضاريسه ولثراء تربته وجمال جباله التي تطلها الينابيع وتنمو فيها المراعى الخصبة . وأقاموا أساس مدينتهم في مكان يبعد عشرة أميال من البحر على ربوة تتدرج من الجنوب صوب الشمال ثم تنحدر بانكسار شديد صوب البحر لتصبح « أكروبولاً » مناسبة للمدينة يرعى البحر تحت قدميها . وتتكون المدينة من هضبتين يجرى بينهما طريق يربط بين قلب المدينة وشاطئ البحر . وكانت الهضبة الأولى تقع في الجنوب الغربي والثانية في الشمال الشرقي وتطل على البحر ، وبينما كانت الهضبة الأخيرة جرداء قاحلة كانت الهضبة

(١) أخطأ اميل البستاني في دائرة معارفه عندما ظن أن قوريني هي القيروان الإسلامية والتي أنشأها العرب في تونس بالقرب من قرطاج وكان القفطى في كتابه « أخبار الحكماء » أكثر صواباً إذ سماها بقورينا وسمى أهلها بالقورينائيين .

(2) cf. R. Goodchild : Cyrene and Apollonia, London. 1954, p. 8 ff.

الجنوبية الغربية خضراء وارفة تكسوها الشجيرات والأعشاب ويرونها ينبوع قورى (Cyre) الشهير المقدس عند أبوللون ولذا بنى لهذا الرب الأخير معبدا فيه كذلك للمؤسس الأسطوري للمستوطنة وهو رجل يدعى أرسطوطاليس . وقد عرف هذا التل الجنوبي الغربى « بجبل الرياح » (١) . وأصبح مركز الحياة الحقيقية للمدينة ولما توسع العمران فيها امتدت المباني الى الجبل الشمالى الشرقى حيث بنوا فوقه معبدا للربة أرتميس Artemis شقيقة أبوللون وصديقة كورى وكذلك بنوا عليه معبدا للربة المصرية إيزيس التى دخلت عبادتها الى ليبيا تحت تأثير الحضارة المصرية .

ومن المحتمل أن يكون هذا المكان مرموا للاغريق من أماكن متفرقة منذ وقت ضارب فى القدم (٢) ويقال أن بعضهم جاء من آسيا الصغرى ومن تساليا ومن البيلوبونيسوس منذ أيام الحضارة الموكينية أو بعد الغزوالدورى . وإلى جانب هؤلاء الوافدين الاغريق عاشت القبائل الليبية التى كانت تنتمى الى البربر وكما حدث فى كثير من المناطق التى ذهب اليها الاغريق حدث تزاوج بين القوميتين .

أطلقت الأساطير على زعيم المستوطنة اسم أرسطوطاليس ولقب باسم باتوس Battus التى يرى البعض أنها تعنى لقب الملك بلهجة السكان الأصليين بينما يقول آخرون إنها تعنى « المتلثم » لأن أرسطوطاليس كان يعانى من مرض يجعله ينطق الحروف بصعوبة ونصحه كهنة أبوللون بالذهاب الى أفريقيا وهناك شاهد الأسد الرهيب فصرخ مرموبا وحلت العقدة من لسانه . فبقى فى المكان وأسس المستوطنة .

(١) S. Stucchi : Dieci Anni di Missione Tripoli (1967) p 51 ff.

(٢) مصطفى كمال عبد'العليم دراسات فى تاريخ ليبيا القديم - منشورات الجامعة الليبية - بنغازى ١٩٦٦ .

وقد استمر حكم أسرة باتوس حوالى قرنين من الزمان والى أن سقطت الملكيات فى المدن الاغريقية وبدأ قيام الحكومات الأرستقراطية الأوليغارخية لتحل محلها . عندئذ سقط حكم هذه الأسرة أيضا مثلما الحال فى باقى بلاد اليونان وذلك ابان منتصف القرن السادس ق م . وقد عبد باتوس كبطل قومى وأقيم له ضريح فى السوق العامة للمدينة بينما دفن باقى ملوك الأسرة فى جبانة ملكية مجاورة للقصر . وخلفه على العرش ابنه أركيسيلاس Arcesilas ومن بعد هذا الأخير تولى باتوس الثانى الملقب بالسعيد والذي فى عهده تدفق الاغريق على المستوطنة ذرافات ووحدانا لدرجة أزجعت القبائل الليبية . فطلب ملكهم النجدة من الملك المصرى ابريس Apries فأرسل الملك المصرى جيشه الذى كان يتكون من المرتزقة الاغريق الذين رفضوا أن يقاتلوا أشقائهم الاغريق وانهمزم المصريون أمام اغريق قوربناية . وقد أدت هذه الهزيمة الى عزل الملك المصرى ابريس وتعيين أماسيس (أحموسى الثانى) قائد الحملة المصرية ملكا على مصر . وكان مجيء أماسيس فى صالح الاغريق لأنه كان مولما بالثقافة الاغريقية بل أنه أقام دعائم حكمه على الاغريق الأيونيين ولهذا منحهم فى مصر حق تأسيس مدينة هى مدينة نقرامليس والتي سوف تتعرض لها بعد قليل . بل ويقال أن هذا الفرعون تزوج من اغريقية من قورينى اسمها لاديكى وعامل القورينائيين معاملة خاصة وأغدق عليهم بالهدايا من بينها تمثال من الذهب للربة أثينا وآخر لأماسيس نفسه كما أرسلت لاديكى تمثالا لأفروديت صنع فى مصر وبقي فى قورينى حتى وقت زبارة هيرودوت لهذه المدينة بعد قرن من هذا التاريخ .

وقد توطلدت العلاقة بين فراعنة الأسرة الصاوية وملوك قورينى والثى بدأها أماسيس (أحموسى الثانى) وباتوس الثانى الذى مات عام ٥٦٠ وتولى من بعدها ابنه أركيسيلاس القاسى وسرعان ما دب الشجار بين هذا الملك وبين شقيقه الأصغر اضطر هذا الأخير الى الهجرة من المدينة وتأسيس مستوطنة مستقلة هى برقه (Barca) ، ثم سقط

أركيسيلاس الثاني صربا واثقمت أرملة اريكسو (Eryxo) من القتلة وساعدت ابنها باتوس الثالث في الجلوس على العرش وكان ضعيفا وأعرجا ولذا لقب بالأعرج وسرعان ما ثار شعب المدينة ضده وطلبوا النجدة من أغريق شبه جزيرة اليلوبوتيسوس فأرسلوا لهم مشرعا اسمه ديموناكس Demonax لوضع دستور جديد لهم ويقال أن ديموناكس قسم شعب المدينة الاغريقى الى قبائل (Phylai) على غرار ما فعله سولون وكليستينيس Cleisthenes مؤسسا الديموقراطية الاثينية . وكان من بين القبائل قبيلة لأهل ثيرا وأخرى لأهل كريت وقبيلة لليبيين . وبعد هذا التشريع الجديد لم يبق للملك سوى سلطات اسمية مثل السلطة الدينية وبعض الضياع . وبعد وفاة باتوس الثالث تولى اركيسيلاس الثالث الذى حاول بمساعدة أمه فيريتيي Pheretima أن يستعيد سلطات الملك مرة أخرى وأن يطل التمديلات الدستورية وذلك عن طريق جيش خاص جند من اغريق ساموس وقبرص .

ولما دخل قمبيز مصر فى عام ٥٢٥ ق.م بايعت قورينه ومستوطناتها برقه الملك الفارسى وقدمت الهدايا اعترافا بخضوعها للإمبراطورية الفارسية ، ويقال أن الملك الفارسى أدمجها فى ولاية مصر تسهيلا لادارتها . واستمر الصراع الاجتماعى يعصف بقورينى وبرقه خلال حكم الملوك الفرس قمبيز ودارا وكسيركسيس وقام النزاع بين قورينى وبرقه وسقط فى الصراع الملك اركيسيلاس الثالث وتولى باتوس الرابع الذى كسب لقب العادل ومن بعده حكم الملك اركيسيلاس الرابع آخر ملوك الأسرة الثمانية ويقول هيرودوت أنه بذلك تحققت نبوءة دلفى بأن يتولى عرش قورينى ثمانية ملوك أربعة يحملون اسم باتوس وأربعة يحملون اسم اركيسيلاس (١) .

(١) لمناقشة ذلك انظر ابراهيم نصحي : تأسيس قورينى وشقيقاتها - مطبوعات الجامعة الليبية بيروت ١٩٧٠ .

A. Rowe, A history of Ancient Cyrenaica, Cairo 1948.

كانت قورينة مستوطنة غنية ومركزا للتجارة بين افريقيا السوداء وبين بلاد الاغريق (١) ، وقد تغنى بنداز بثرائها وبوفرة محاصيلها خاصة القمح وأسهب هيرودوت في وصف خيرانها خاصة بساين الفاكهة فيها وأشجار الزيتون وأشجار السرو ونبات السلفيوم الذى كان يكسو روايبها . ونبات السلفيوم كان من أهم منتجاتها وهو نبات طبي من أسرة الاسافيتيدا (asafoetida) قريب الشبه من الأعشاب الهندية الطبية . وكان هذا النبات بعد عصره يخرج سائلا لزجا يستخدم فى صناعة العقاقير . وكان يدر على المدينة دخلا كبيرا كما كان نبات البردى يدر على مصر . ولهذا احتكرت الدولة زراعته وتصديره . ولأهمية هذا النبات صور على عملة المدينة بل وأصبح شعارا لها . لكن هذا النبات انقرض ابان عصر الامبراطورية الرومانية لشدة الطلب عليه ولعدم العناية بزراعته ونتيجة للفوضى الاقتصادية التى حاقت بالمدينة فى العصر الرومانى كما اشتهرت المدينة بعمل النحل وبالزهور ونبات الزعفران حتى تخيلها الاغريق بأنها حديقة افريقيا . وتصوروا أن حدائق الهيسبيريدس Hesberides الأسطورية موجودة فيها . كما اشتهرت المدينة بالمرعى الشاسعة التى تربي عليها قطعان الماشية والأغنام خاصة الخيول الأصيلة ولهذا اشتهر ملوكها بحجم لسباق العربات فى المباريات الرياضية الأولمبية التى كانت تقام بين الاغريق حيث تغنى بنداز باقتصاراتهم .

وبالرغم من ثرائها ورخاء الحال فيها الا أن قورينه كانت من أكثر المستوطنات الاغريقية تعرضا للصراع الاجتماعى والسياسى . لقد بقيت قورينة ردحا من الزمن بعيدة عن تيارات التغيرات السياسية التى عصفت بأثينا وتوابعها فى شرق بلاد اليونان ابتداءً من صراع النبلاء ضد الملك فقيام الانقلابات التى أسقطت الحكم الأوليجارخى وآتت

(١) رجب عبد الحميد الاثرم « حالة قوريناثة (برقه) منذ القرن السابع ق.م وحتى عام ١٦ ق.م رسالة ماجستير غير منشورة (١٩٧٥) ص ٥٨ » .

بالطغاة ثم سقوط الطغاة وظهور نوع جديد من الحكم سماه الآثينيون بحكم الشعب أو الديموكراسيا .

بدأ تسلسل الصراع السياسى الى المجتمع القورينى فى المرحلة التى راحت أثينا فيها تبشر بنظامها الجديد وتعمل على نشره فى أيونيا لاسقاط الطغاة الذين عينهم الفرس هناك واحلال الأحزاب الديمقراطية الموالية لأثينا محلها وقد أدى ذلك الى حدوث الصراع المباشر بين الفرس من ناحية وبين الآثينيين وأنصارهم من الاغريق من ناحية أخرى . وخرجت أثينا منتصرة ثم قامت بتأسيس حلف ديلوس الدفاعى واطلقت فى طريق الديمقراطية والأمبراطورية . وفى ملحصة صراع أثينا مع الفرس وجئت الأولى قسما تسارع لدعم حركة تمرد قامت فى مصر عام ٤٥٤ ق م بزعامة ايناروس ضد الحكم الفارسى وأرسلت أثينا أسطولا من مائتين من السفن لدعم الثوار ولكن الفرس دمروه تماما مثلما فعل نلسون مع الأسطول الفرسى فى أبو قير بعد ذلك باثنين وعشرين قرنا واثنين وخمسين عاما . دمر قائد الأسطول الفارسى السفن الآثينية عن آخرها فى كارثة قومية كبرى وثبتت الحملة الآثينية وذعر الجند هائمين على رعوسهم حتى وصل بعضهم الى قورينيه . وهنا بدأ عصر الصراع الاجتماعى لأن هؤلاء الجند العائدين من القتال هو جنود الديمقراطية الآثينية ومن ثم بدأوا فى العمل على اثاره أهل قورينيه من أجل اسقاط النظام الملكى واقامة نظام حكم ديمقراطى على غرار نظام الحكم الآثينى (١) .

لكن علاقة قورينيه كانت تميل ناحية اسبرطه وذلك لأن نسبة كبيرة من سكان قورينيه تنحدر من أصل دورى ثم أن شبه جزيرة البيلوبونيسوس يواجه قورينيه ، وقد ظهر تماطف قورينيه مع اسبرطه عندما اندلعت الحروب البيلوبونيزية بين أثينا واسبرطه عام ٤٣١ ق م . بل أن قورينيه ساهمت فى مساعدة سيراكوزه الصقلية لصد الحملة الآثينية عليها ،

(1) F. Chamoux : Cyrene Sous la monarchie des Battinades, Paris 1953.

وكان يمكن لقورينة أن تتورط أكثر في هذه الحروب لولا ازدياد حدة الصراع الاجتماعى فيها (١) . وقد التجزأ بركان هذا الصراع عام ٤٠١ ق.م حيث فُتِكَ الفقراء بألف وخمسمائة من الأغنياء ووجهاء المدينة وهرب كثيرون وتولى الحزب الديموقراطى وراح يدعم سياسته واصلاحاته مقتفيا أثر كليثينيس . فالتفت القبائل القديمة وأقيمت قبائل جديدة تقوم على السلالات القومية ، ووضعوا قوائم جديدة للأعياد من أجل مزج المستوطنين في جهة واحدة ذات نظم واحدة في الادارة والقضاء وأصبحت المدينة بذلك أمم قبلية يجمعها اطار دولة واحدة ويمثلها حكومة شعبية وديموقراطية .

ولما اجتاحت بلاد اليونان مجاعة وقطعت بسبب انتشار وباء الملاريا ساهمت قوريني ببيع ما يقرب من ٨٠٥ ميدنى (مكيال اغريقى) من القمح الى ما لا يقل عن أربعين مدينة اغريقية (٢) .

وفيما عدا ذلك لا نسمع عن المدينة شيئا حتى فتح الاسكندر لمصر عام ٣٣٢ ق.م واعلان قورينة ولاءها للقاهر المقدونى . ثم ارتبطت بمصيرها بعد موته بحكم البطالمة في مصر .

كشفت أعمال التنقيب عن الآثار عن مدينة مزدهرة متسعة لها ميناء كبير على البحر الأبيض المتوسط هو ميناء أبوللونا Apollonia بل وخرجت من المدينة عدة حملات استيطانية على ساحل افريقيا الشمالى، فالى جانب برقه Barca التى سبق ذكرها أسست مدينة هسبيرس Hysperis فى عهد الملك اركيسيلاس Arcesilas الرابع وقد ارتبطت اسم هذه المستوطنة بأسطورة الجنة ذات الحدائق وأشجار التفاح ، ولكن اسم المدينة عدل الى اسم برنيكى Berenike زوجة بطليموس الثالث (ومكانها الآن بنى غازى) ومن المستوطنات الجديدة توخيرا Tauchira

cf. A. Laronde «Sur quelques grandes familles de Cyrene au IV^{eme} Siecle, Actes du Colloque d. Histoire Sociale, 1970, Annales lit. de l'Université de Beaucan, Paris les Belles lettres, 1972, pp. 63-74.

(2) cf. Marcus Tod ; «A Selection of Greek Historical inscriptions, vol II, no 196. OXford 1962, p 23 7 ff.

(مكانها الآن توكرة) والتي أعيد تسميتها الى أرسينوى (Arsinoe) كما أسست برقة بدورها مستوطنة فرعية هي بطلمية Ptolemais (مكانها الآن طلمينة) وذلك في الشمال الشرقى منها وقد زادت بطلمية في الأهمية حتى غطت على برقة ذاتها . وأخيرا حدث اتحاد بين كورنى وفروعها ميناء أبولينا ، وبرقة وبتلمية وتوخيرا وبرنيكى عرف باتحاد المدن الخمسة (Pentapolis) وبقيت كورنى رغم كل المضاعب السياسية والاجتماعية التى عصفت بها المدينة الرئيسية لهذا الاتحاد .

لقد كانت الحياة الاجتماعية في كورنى مبهجة ومرحة فالأرض ثرية والمناخ جميل والرخاء متوفر وجب المتعة والحياة سائدة بين الناس وهو صنفه من صفات الشعوب الاغريقية . وقد لعبت المرأة القورنناية دوراً بارزاً في المجتمع تماما مثل المرأة الاسبرطية ، وأسست المعابد الضخمة ، وعلى طول الطريق الصاعد الى أبولونيا وحول الجبل الشمالى الشرقى برزت مقابر المدينة منحوتة في الصخر كخلايا التحل ولها بوابات من الأعمدة ذات الطراز الدورى شبيهة بمقابر مدينة الاسكندرية في العصر البطلمى . ويرى البعض أن في بناء القبور على التل بحيث تظل على الأحياء كأن شيئا مقصودا به أن يتعلم الأحياء من الأموات أن على الانسان أن يستمتع بعمره القصير قبل أن ينتهى . هكذا وعظ فيلسوف كورنى الأول ارستيبوس Aristippus ، وبعد موت الاسكندر حاول ثيرون Thibron غزو المدينة من كريت مستغلا أموال الاسكندر التى سرقها وزير ماليته هاربالوس Harpalus وقاوم سكان المدينة حتى انتصروا ولكن سرعان ما دب انصراف بين الديمقراطيين والأوليغارخيين انتهى بطرد الأوليغارخيين واستجادهم ببطليموس الأول الذى أرسل لهم أوفيللاس Ophellias الذى سحق بقايا ثيرون وضم برقة لمملكة مصر البطلمية ولكن المدينة ثارت ضد هذا الاجراء واضطر بطليموس الأول الى ارسال حملة أخرى بقيادة أجيس أخضعتها تماما لمصر عام ٣١٣ ق م .

وابان هذا الصراع الأخير ولد شاعر قوريني الأول وهو كاليماخوس ابن باتوس القوريني ولهذا ادعى هذا الشاعر أنه من نسل باتوس المؤسس الأول للمدينة . وقد تلقى كاليماخوس تعليمه في أثينا ثم عاد الى الاسكندرية ليعمل مدرسا في إحدى مدارسها بضاحية اليوسيس ولما ذاعت شهرته رجب به بطليموس الثاني فيلادلفوس فعينه مسئولا عن مكتبة الاسكندرية الخالدة . وقد ترك هذا الشاعر من ورائه مالا يقل عن ثمانين مؤلفا شعرا ونثرا وهذا جعله من أشهر علماء عصره وأرقاهم فكرا وأقواهم أسلوبا وبلاغة . وكان كاليماخوس يفضل الأشعار القصيرة وهو القائل : « أن الكتاب الكبير هم ثقيل » وفضل الأشعار القصيرة عن الملاحم والقصائد الطويلة بالرغم من أنه كتب قصيدة طويلة في مديح أبوللون . ومن تلاميذ كاليماخوس عالم الرياضيات ايراتوستينس . Eratosthenes وصاحب الأبحاث الشهيرة في الفلك وفي الجغرافيا ، ومن تلاميذه أيضا أبولونيوس السكندري الشهير بأبولونيوس الرودوسي Apollonios of Rhodes والذي خالف أستاذه في الرأي وكتب ملاحم طويلة . أشهرها ملحمة رحلة بحاره النينة أرجو (Argonauts) والتي قادها البطل ياسون الاسطوري (١) .

لم يشغل الثراء ورغد العيش أهل قوريني عن البحث في العلم والمعرفة فقامت بها مدرسة للطب والعقاقير منذ القرن السادس ق.م كسبت شهرة كبيرة واعتبرها الاغريق في المرتبة الثانية بعد مدرسة بيتاجوراس (فيثاغورس ؟) التي كانت موجودة في مدينة كروتون في صقلية . أما في مجال الفلسفة فقد نبغ في قوريني الفيلسوف أرسطيوس Aristuppos أحد تلامذة سقراط الحكيم الذي غادر أثينا بعد موت معلمه ليعود الى قوريني حيث أسس مدرسة متميزة في الفلسفة هي مدرسة اللذة (hedonism) وهي مدرسة تناقض المدرسة الكلية التي تدعو الى الكشف وكبح جماح الرغبات ، بينما تدعو

(1) H. Kraeling : The Ptolemaic City of the Libyan Pentapolis, Chicago 1962-1 p. 1

وعن كاليماخوس أنظر : عبد الله المسلمي : كاليماخوس القوريني - منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٧٣ .

مدرسة اللذة الى العكس من ذلك تماما . لأنها ترى أن اللذة والمتعة هي الغاية الوحيدة للصحة في الحياة وأن الألم وتعذيب الذات ليس من رسالة الانسان وليس العاقل من يمت شهوته بل من يطلق لها العنان فينفث عما هو مكبوت منها بشرط الا يتبع ذلك ألم أو ندم على هذا الفعل ومن مدرسة اللذة والألم خرجت المدرسة الأبيقورية فيما بعد . وفي القرن الثاني ق.م ظهر في قورننى مدرسة فلسفية ثانية على يد الفيلسوف كارنياديس Carneades الذى نادى بمذهب الشك المطلق قبل المعرفة Sceptisim وهو مذهب يناقض الرواقية التى تتادى بالمعرفة والتصديق والتفضية والايان . وكا كارنياديس فيلسوفا مفوها بهر الرومان ببلاغته ومنطقه في الجدل وذلك عندما زار وفد من رجال السناتو مدينة أثينا عام ١٥٥ ق.م حيث كان يترأس الأكاديمية الثالثة في العاصمة الاغريقية آنذاك . وطالب كارنياديس الرومان بالتغير وتغير فكرتهم عن جوهر العدالة وأنها ليست «الفضيلة» (arete) بل الضرورة (anankoe) وبلغ تأثير هذا الفيلسوف درجة جعلت كاتو الرقيب يقطع المهمة ويطلب بالعودة الى روما قبل أن يؤثر هذا الفيلسوف فيبلبل أفكار الوفد ويشككهم في مبادئهم الرومانية وقبل أن ينهى الحديث عن قورننى نود أن نشير الى الأميرة التوريناثة برنيكى Berenike زوجة بطليموس الثالث الشهير بالرحيم Euergete لقد خلدت هذه الأميرة ذكرها بتقديم إحدى ضفائر شعرها قربانا لمعبد أفروديت بمدينة الاسكندرية كنذر عليها بعد عودة زوجها من حروبه في سوريا ، وقد خلد كاليماخوس هذا الوفاء بقصيدة لم يتبق لنا منها سوى بعض أبيات نقلها لنا الشاعر الرومانى كاتلوس Catullus وقد ادعى النجمون أن هذه الخصلة طارت في السماء لتصبح برجاً من الأبراج السماوية هو برج برنيكى Coma Berenikes.

لقد ساءت أحوال قورنى فى أواخر عصر البطالة بسبب الصراع على العرش حتى كتب بطليموس أليون (وهو أحد أبناء بطليموس الثامن الشهير بالترهل أو فيسكون Physkon من إحدى محظياته) وصيته التى بمقتضاها ألت قورنى وأراضيها الى الرومان عام ٩٦ ق م ولكن عادت الاضطرابات الى المدينة مما دعى سوللا الدكتاتور الرومانى الى ارسال حملة لقمع الثورة فيها عام ٨٦ ق م بقيادة لوكلوس Lucullus أحد كبار ضباطه (١) ولم يمضى على ذلك كثير حتى تحولت قورنى الى ولاية رومانية ضمت الى جزيرة كريت وهكذا ينتهى تاريخ هذه المدينة العاقل بالأحداث لتصبح جزءا فى الامبراطورية الرومانية .

وكما كان الحال فى مصر كانت بداية الحكم الرومانى طيبة ولكن سرعان ما تدهور الحال بسبب الصراع بين اليهود والاغريق وبين الاغريق والليبيين الوطنيين ، ثم نشبت الأوبئة وأحدثت الزلازل كوارث مميته بها ودمر بدو الصحراء الكثير من معالمها وتحولت قورنى الى قرية صغيرة منسية تعيش على ذكراها . وعندما زارها الكاتب الرومانى أميانوس ماركلوس فى القرن الرابع وجدها قرية شبه مهجورة . ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية لم يعد للمدينة ذكر اذ طفت عليها رمال الصحراء ونهبها بدو الصحراء ولما غزاها كسرى ملك الفرس فى مطلع القرن السابع الميلادى لم يجد أحدا يسكنها .

وبقيت قورنى أطلالا غارقة فى الرمال تندب الحاضر وتبكي على الماضى الى أن لفت القنصل الفرنسى فى طرابلس واسمه ليمير Lemaire

(١) عن قوريناثة فى العصر الرومانى : انظر : عبد الكريم الميار : قوريناثة فى العهد الرومانى رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

نظر سلطات بلاده في أوائل القرن الثامن عشر ونشر كتابا عنها وعن آثارها ، ومنذ ذلك التاريخ توالى الدارسون والعلماء خلال النصف الثامن من القرن التاسع عشر يرسمون ويسجلون ويجمعون ما يقدرون عليه من آثارها . بل أجرى العالمان سميث Smith وبوشر (١) حفائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولكن الحكومة العثمانية التي آلت إليها مصر وبلاد المغرب العربي كانت تعارض عمليات التنقيب خوفا من النهب والسلب الأوروبي لآثار ولاياتها . ولم تبدأ عمليات التنقيب والنهب الأوروبي بشكل واضح الا بعد عام ١٩١١ م عندما انتزع الايطاليون ليبيا من بين برائن العثمانيين ونقلوا ما استطاعوا أن ينقلوه الى متاحف ايطاليا وفرنسا وانجلترا لكن الكثير لا يزال تحت التراب في انتظار معاول الأثريين .

٢ - نقراطيس :

على خلاف المستوطنات الاغريقية الأخرى قامت نقراطيس على ضفاف الفرع الغربي من النيل وبالقرب من سايس (Sais) صالحجر عاصمة الأسرة الصاوية . ولم تعرف المدينة مؤسسا ولا أقيم لها طقوس ولا أشعل لها موقد أخذت ناره من موقد في مدينة أم ولا تدخل كهنة أبوللون في اختيار (٢) مكانها ، انما يرجع الفضل في تأسيسها الى ملوك الأسرة الصاوية أنفسهم وهو رغبتهم في تجميع الجنود والتجار الاغريق في مدينة قريبة من عاصمتهم حتى يكونوا تحت بصرهم واحتراما لمشاعر المصريين الذين آثارهم اعتماد هذه الأسرة على الأجانب خاصة في الجيش . وكان القرعون بسماتيك (٦٦٣ - ٦١٠ ق م) هو الذي فكر جديا في تنفيذ ذلك ولكن أماسيس (أحموسى الثانى) الذى اشتهر بصداقته للاغريق (٥٦٩ - ٢٨ ق م) هو الذى وضع قرار بسماتيك موضع التنفيذ وسمح للاغريق المقيمين أو العابرين أرضا ليسيوا عليها معابدهم ومجاريهم ومساحاتهم المقدسة . ويرى البعض أن السبب الدافع لذلك ليس حب

(1) cf. Smith p. Porcher : Discoveries at Cyrene 1861-2.

(2) A.J. Graham, op. cit, p. 25 ff.

الاغريق بقدر ما هو الخوف (١) والرعب من تزايد خطر الامبراطورية الفارسية واتجاهها نحو مصر ، تلك المنطقة الحيوية بالنسبة لمصالح الاغريق التجارية خاصة القمح (٢) الذي كانوا يجمعونه بالفضة أو بالعملات الفضية من قرى الدلتا ثم يصدرونه عبر الفرع الغربي للنيل الى الجزر الاغريقية في بحر ايجة وإلى مدن أيونيا وأثينا وكورثا أيضا ولهذا يرتبط تأسيس قراطيس بتزايد النفوذ (٣) الفضية للمدن الاغريقية المختلفة . لكن الرعب من خطر الفرس هو الذي دفع بسمانيك الى الاعتماد على الجنود الاغريق (٤) وتوطيد علاقته بالمدن الاغريقية في أيونيا والتي باتت هي الأخرى مهددة من قبل الفرس . كما لوحظ أن خبراء في بناء الأساطيل من كورثا استدعوا الى مصر لينوا سفنًا حربية (triremes) للملك هذه الاسرة من أجل تحقيق أحياء المجد المصري المنهار (٥) . وهكذا عندما جاء الفرعون أماسيس الى العرش وجد تجارة مصر الخارجية في أيدي الاغريق وهو خطر لا بد من احتوائه خاصة أنه جاء الى العرش بعد ثورة وطنية قادها الجيش المصري ضد سلفه أبريس لاعتماده هو الآخر على الجنود المرتزقة الاغريق الذين رفضوا القتال ضد اغريق قورينة بنى جلدتهم مما أدى الى هزيمة الجيش المصري هناك ، ومن ناحية أخرى رأى أن أحلام الأسرة في استعادة نفوذ مصر في الشرق الأوسط قد أصبحت عسيرة بل ان استقلال مصر ذاته بات مهددا بسبب التوسع الفارسي وكان عليه أن يتذود بالجيوش المرتزقة لخبرتهم بالقتال وللخوف من ثورة المصريين ضدهم ولهذا رأى أن الحل السليم هو جمع الاغريق في مكان واحد قريب من العاصمة ومن ثم

(1) cf. K. Roebuck, «The Organisation of Naukratis», *Classical Philology*, 46 (1946) pp. 212., also cf R.M. Cook, «Amasis and the Greeks in Egypt, *J.H.S.*, LVII (1937) 236 ff.

(2) Karl Roebuck, «The Grain Trade between Greece & Egypt», *Classical Philology*, XLV (1950), p. 241 ff. also. Milne, *J.E.A.*, XXV (1939) p. 64 ff.

(3) K. Roebuck, loc. cit, p. 236 note 5.

(4) Parker *Greek Mercenary* , p 126.

(5) cf. Alan. B. Lloyd, «*Triremes and The Saite Navy* » *J.A.E.*, 58 (1972) pp. 268-279 ; cf. also. Austin, *Greece and Egypt in the Archais period*, (1970) p. 55.

تستطيع أن نقول أن تأسيس قناتيس يبدأ بعهد إسماتيك الأول وهو ما يؤكد الظواهر الأثرية (١) حيث بدأ الإغريق في إقامة المحارب والمعابد والأسواق (emporion) وبدأوا يشرفون على إدارة الميناء ويكونون مجتمعاً مختلطاً وممثلاً لكل الإغريق وخاصة تسع مدن مؤسسة جمعها ساحة مقدسة كبرى هي الهيلينيون Hellenion وهي خيوس وتيوس وفوكايا وكلازوميناي (وكلها مدن أيونية في آسيا الصغرى) بالإضافة إلى رودس وهاليكارناسوس وكنيدوس وفاسيليس (وهي مدن دورية أسيوية) ثم مدينة واحدة أيولية هي موتيليني (في جزيرة لسبوس) ، وقد عنت كل مدينة من هذه المدن مختاراً أو مندوباً (Prostates) عنها لتشيهم في الهيلينيون وخارج الهيلينيون أقامت جزيرة إيجينا محراباً خاصاً لتيوس وأقامت جزيرة ساموس محراباً لهيرا . أما ميليتوس فقد أقامت محراباً لأبوللون .

لكن النصوص التاريخية — خاصة كتابات هيرودوت واسترابون تذكر أن تجار ميليتوس هم أول من أسسوا قناتيس (٢) وقد يكون صحيحاً أن التجار الأول جاءوا من ميليتوس حيث تخلف تقويمها الذي ظل مستخدماً في المدينة حتى القرن الثاني الميلادي رغم اختفائه في ميليتوس نفسها، ولكن يبدو أن ميليتوس شطت نفسها بعد ذلك في استيطان الغرب الإيطالي ومنطقة البحر الأسود فتدهورت مصالحها في قناتيس وحلت محلها خيوس وتابعتها جزيرة تيوس لأنها كانت في أشد الحاجة إلى القمح المصري ثم دخلت رودس كمنافس لها حيث عنت مثلاً تجارياً وسياسياً لها Proxenos في قناتيس وحذت أثينا حذوها في القرن الرابع ق.م إلى أن نهضت كورثا واتجهت للتجارة مع مصر وأخيراً ترك المجال بأكمله لمدينة أثينا . ومن ثم يتضح أن قناتيس كانت مستوطنة جماعية أيونية

(1) Prinz, Funde Aus Naukratis, Klio, VII (1903) pp. 115-116.

(2) Herodotus, II, 173 ; Strabo. XVII, 18 (301)

وفي البدء كانت كل مدينة اغريقية تدير سوقها emporion وتستقل بمعبدها أو ساحتها المقدسة Temenos وكان يدير ذلك ممثل Prostates للجالية تعينه المدينة الأصلية التي جاء منها أفراد الجالية . ولأن التجارة الاغريقية كانت عادة في أيدي الاجانب وليس في أيدي المواطنين فقد جاء قرار أماسيس بوضع ادارة المدينة في أيدي المواطنين الاغريق المقيمين في نقراطيس والذين لم يكن لهم أسواق ومن ثم فإن ادارة الأسواق كانت مستقلة عن ادارة المدينة تماما مثلما كانت ادارة ميناء بيرية في أيدي المواطنين الآثينيين بينما كانت الأسواق في الميناء في أيدي التجار الغرباء .

لكن ظروف الاغريق في بلد بعيد ، له شخصية قوية وحضارة عريقة ووسط محيط من المواطنين المعادين لهم ، دفعهم الى التماسك والارتفاع عن الخلافات الفكرية التي كانت سائدة في مدنهم التي جاءوا منها وانصهروا في مجتمع متحد لكل الاغريق وجعلوا ربّتهم « أفروديتي لكل الناس Aphrodite Pandemos » هي الربة الجامعة وجعلوا الهيلينيون هو سوقهم العامة (agora) والمركز الاجتماعي والهيئة المديرة للمدينة بمثابة الجنازيوم ابان عصر البطالمة والرومان ، فمثلا داخل الهيلينيون تلك الساحة ذات الحجرات المتعددة حرصت مدينة كنيديوس على نصب قرار تعيين مندوب لها (proxenos) في المدينة . وبسرور الزمن حدث الادماج بين الطوائف والجاليات واكتسبت شخصية المواضع النقراطيسى الاغريقى وأصبحت المدينة جديرة بلقب « البوليس » (Polis) مثل أى مدينة اغريقية أخرى ، بل على العكس كسبت سمعه عالية وعالية في العالم الاغريقى كمركز للهو والتمتع مشهور بالخيلات الجميلات (hetairai) ، وتردد ذكرها في الكتب والروايات الاغريقية . وعندما حرق معبد أبولون في دلفى كانت نقراتليس على قائمة الذين

التي سارعت بالتبرع لاعادة بناء هذا المركز الدينى الهام . ولما فتح الاسكندر مصر اختار نائبه لحكم مصر من بين أبنائها ، وفى عصر البطالمة احتفظت بمكاتها بل وسكت عملتها الخاصة فى مطلع حكم هذه الأسرة كإصرار على الاستقلال بمدينتهم رغم اتجاه ملوك العصر الهيلينستى لبناء الممالك وليس لدويلات المدن .

أيضا تميزت نقرطيس بالقوانين الاغريقية الصارمة والمحافظة التي حظرت على مواطنيها الزواج من غير الاغريقيات (epigameia) حفاظا على العنصر الخالص ، والجدير بالذكر أن الامبراطور هادريانوس عندما أسس مدينته فى مصر الوسطى وهى أتينوبوليس (الشيخ عبادة) لم يجد دستورا اغريقيا خالصا وتقياً سوى دستور نقرطيس لينسج على منواله دستور حضرته مع تغيير بسيط وهو الغاضى عن فكرة تحريم الزواج من المصريين لأن أغلب الاغريق فى ذلك الوقت كانوا قد امتزجوا بالمصريين بالزواج أو المولد . ومن الملاحظ أيضا أن دستور نقرطيس لم يتأثر بالتطورات السياسية والتنظيمية التى خبرتها المدن الاغريقية على يد سولون وكليثينس وبيريكليس فشلا لم تعرف نقرطيس نظام تقسيم المدينة الى قبائل (phylai) أو احياء (demes) الذى أصبح طابع المدن الاغريقية فيما بعد وشروطا من الشروط الأساسية للحصول على حق المواطنة فى المدينة الاغريقية . ويبدو أن سكان نقرطيس فضلوا البقاء محايدين ازاء الصراع التكرى والسياسى بين أثينا واسبرطة لأن وضعهم فى مصر يقتضى التماسك كما أن الفرس لم يسحوا بادخال الديموقراطية الاثينية فيها خوفا من انتقال عدواها الى المصريين مما يؤدى الى الثورة والمطالبة بالتححر : ومن المعروف أن مصر سقطت فى براثن الفرس عام ٥٢٥ ق.م. وظلت هكذا - باستثناء فترات قصيرة من الاستقلال - حتى دخل الاسكندر مصر عام ٣٣٢ ق.م. وبالرغم من أن سكان نقرطيس بذلوا كل ما فى وسعهم لمنع الاخلال بالمصريين والتسبب بحضارتهم الاغريقية الا أن هذا الحرص لم يمنع من تأثير مصر الحضارى على الاغريق فى نقرطيس ، فشلا لاحظ

الأثريون تأثير الهندسة المصرية وفن الرسم الفرعوني في مقابر المدينة الاغريقية ، بل أن بعض الاغريق في قناتيس رسموا « الباب الوهمي » (الذى كان القراغة يحرسون على وجوده في مقابرهم حتى تردد الروح على الجسد) وهم لا يدرون معناه . وحديثا تمكن علماء النقوش من رصد بعض أسماء يلدل أصحابها على أنهم اغريق متمصرين .

ويتضح من الآثار أن قناتيس مرت بحسرة رواج وازدهار ابان العصر البطلمي خاصة ابان عصر فيلادلفوس (١) وأصبحت مركزا تجاريا دوليا وذلك واضح من كثرة المواد والآثار المستوردة من كافة أنحاء العالم الهلينستي كما أخرجت المدينة فريقا من رجال الفكر والفن والعلم من أمثال فيليستون Philistus وعالم وأبولونيوس Apollonius الاجتماع بوليخارموس Polycharmos وخارون Charon وليكياس Lykeas في العصر الروماني كما أخرجت المدينة خايريون Chairemon والكاتب الشهير أثيناوس Athenaeus والمؤرخ يوليوس براسكس Julius Pollux

ولكن كثيرا من مدن مصر بدأ التدهور يلحق بقناتيس في نهاية القرن الثاني الميلادى عندما حاق التدهور بالامبراطورية الرومانية ، فتدمر المعبد الكبير وهجرت منازلها المتجاورة والمتلاصقة والتي كانت مقامة فوق روابى المدينة واختفت مرافقها ومدرستها . حتى اضطر بروكلوس Proklos آخر أساقفتها الى الهجرة الى أثينا حوالى عام ١٩٠ ميلادية ، كما أن ثورة فلاحي الدلتا والمعروفة بثورة الرعاة (Bucolic) استهدفت المدينة وألحقت بها أضرارا بالغة في عام ١٧٥ ميلادية . ونستطيع أن نقول أن المدينة تضاءل ما بين ١٥٠ - ٢٥٠ ميلادية لكن أغلب الظن أنها لقيت ضربة قاضية ابان ثورة رعاة الدلتا الوطنيين . وبقيت بعد منتصف القرن الثالث الميلادى ذكرى لأن استيفان البيزنطى أشار

(1) Flinders Petrie Nauticis I, London 1898, p 11.

الى وجودها في نهاية القرن الخامس الميلادى . ويدل على ذلك وجود الموازين البيزنطية ثم وجود بقايا كنيسة (١) وبعض الرسوم المسيحية الأخرى . ولكنها ظلت تتضاءل حتى اختفت ابان القرن الثامن الميلادى ثم زحف الاصلاح الزراعى فى العصر الحديث عليها حتى بقيت أطلالا تطل على الحاضر فى حرة الى أن بدأ سير فلندرز بترى وارنست هوجارث فى التنقيب فى تلالها خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر حيث نشر ابحاثها فى مجلدين كبيرين احتوى على ما عثرا عليه من كيات كثيرة من الاواني الاغريقية المصورة والتي تعتبر مصدرا أساسيا لتاريخ الفن الاغريقى وهى موزعة الآن على متاحف العالم خاصة المتحف الاشمولى بأكسفورد وفيتزويليام فى كامبردج والمتحف البريطانى بلندن ويوجد قليل منها فى متحف القاهرة .

هكذا تدهورت قراطيس الى عدة قرى صغير تغطى الآن قرى كيماز كوم جيف ولبيرة وتل قرش التابعة لمركز بسيون غربية .

خامسا : منطقة البحر الاسود :

كانت منطقة البحر الاسود منطقة حيوية للاغريق كمصدر غذائى خاصة بالنسبة لانتاج القمح الذى اشتهرت به حقول هذه المنطقة الخصبة ولهذا شجع الارخون سولون استيراد القمح من هذه المنطقة . وفى عصر الطاغية بيستراتوس شجع على ارسال حملات استيطانية فى هذه المنطقة خاصة وأن الشرق الاوسط أصبح مهددا من قبل الفرس وأصبح الاعتماد على قمح النيل أمرا غير مضمون ولما سقطت مصر فى حوزة الفرس أصبحت منطقة البحر الاسود وجنوب روسيا هى المنطقة البديلة لجلب القمح الى بلاد اليونان ولذا ارتبط ضمها الى أثينا بقيام الامبراطورية الآثينية سواء الأولى أو الثانية .

كانت ميليتوس هى رائدة المدن الاغريقية فى حركة الانتشار والاستيطان فى البحر الأسود منذ منتصف القرن السابع ق.م تقريبا وبدأ بحارتها فى استكشاف مجاهل البحر الاسود الذى كانوا يمترونه بحرا

(1) Cf. Von Bissing, Naukratis, R. S.A. al., 1951) p. 33ff.

بحرا مضيافا لأنهم عرفوا مجاهله (axeinos) حتى عرفوا مجاهله وأصبح
بحرا مضيافا لأنهم عرفوا مجاهله (Euxeinos) وهو ما اشتهر به اسم هذا
البحر حتى مطلع العصر الحديث .

ومن الجدير بالذكر أن الحاجة الى الغذاء والتجارة هي التي شجعت
على انشاء المستوطنات في هذه المنطقة التي لم تتدخل فيها كهنة أبوللون
لا بالنصح أو الايحاء . ففى شمال البحر الأسود أسست مستوطنة أولبيا
olbia (أوديسا الحالية) وفاسيس Phasis في شرق البحر الاسود
وتراپيزوس Trapezus في الجنوب . وسرعان ما دخلت مدينة ميجارا
Kernas في انشاء المستوطنات في هذه المنطقة فأنشأت هيراكليا Heraklea
في الخرسونيس chersonese (القرم) وراحت هيراكليا تقيم بدورها
العديد من المستوطنات الصغرى في هذه المنطقة . كذلك أقامت عددا
من المستوطنات على جانبي مضيق الهيليسبونت المؤدية الى البحر الاسود
وعلى شواطئ بحر مرمرة (Propontis) . وعند مدخل البحر الاسود
أقامت ميجارا أيضا مستوطنتان للتحكم في هذا المضيق وهما خالكيدون
Chalcedon وبيزنطيوم Byzantion من أجل احكام القبضة على
البحر الأسود ونظرا لأهمية بيزنطة حيث قدر لهذه المستوطنة الصغيرة
أن تصبح عاصمة لامبراطورية ووريثة للحضارة الاغريقية والرومانية في
الشرق يتوجب علينا معالجتها بشئ من التفصيل .

بيزنطة :

قدر لهذه المستوطنة الصغيرة التي أقامها أهل ميجارا على الجانب
الأوروبى من مضيق البسفور أن تصبح وريثة لثراث الحضارة الاغريقية
بل وللإمبراطورية الرومانية بعد زوالها في الغرب مكونة حضارة متميزة
سياسة ودينا وفنا عرفت بالحضارة البيزنطية .

أقام المستوطنون الاغريق مستوطنتهم فوق المرتفع الشرقي من مرتفعات
المدينة السبع التي تحتويها الآن مدينة اسطنبول ، وكان البحر يحيط بها
من ضلعها ولها ميناء طويل مقوس في الشمال الغربى عرف باسم القرن
الذهبي وفي الجنوب الغربى من المستوطنة يقع بحر مرمرة وبين بحر مرمرة

والقرن الذهبي يقع بوغاز البسفور • وبمرور الزمن اتسعت المستوطنة غربا وضمت لها مرتفعين آخرين من تلال المدينة ثم أحاطت نفسها بأسوار ضخمة ومنيعة ومبنية من كتل ضخمة من الحجر أكسبها شهرة بأنها مدينة لن تسقط أبدا ولا يزال بقايا هذا السور العظيم شاهدا على ضخامة البناء الذي كان يحيط بالمدينة كالهلال من ناحية البحر ويتخلله سبعة أبراج دفاعية بنيت بطريقة هندسية تكبر الصوت حتى يمكن للحراس التخاطب وهم على مسافات بعيدة ، وكان للمدينة ميناءان محصنان يمكن اغلاقهما بسلاسل حديدية ضخمة وتعطيل الملاحة • أما مناخها فهو معتدل فليس هو بالشديد الحرارة صيفا ولا شديد البرودة شتاء •

جاء المستوطنون الأول الى هذا المكان الحصين في منتصف القرن السابع ق • م • وكان مستوطنو خالكيدون المواجهة لها على الجانب الآسيوي الشرقي قد سبقوهم بقليل (١) والذين جاءوا أيضا من ميجارا • ومن مفارقات التاريخ أننا لا نعرف على وجه الدقة هوية المستوطنين الأول الذين أسسوا بيزنطة لكن نسبة كبيرة منهم جاءت من ميجارا والباقي خليط من جاليات تحدثت الاغريقية بلهجة دورية كذلك لا نعرف الكثير عن تاريخ المستوطنة المبكر لأن مستوطنوها انشغلوا في مقاومة القبائل التراكية المعادية وفي تحصينها برا وبحرا • ومن الغريب أن بيزنطة أيدت الفرس أثناء حملتهم ضد بلاد الاغريق وقدمت للسلك القساري بعض السفن ولكنها عادت وتمردت على الفرس فاستولى عليها القائد الفارسي أوتانيس Otanes. وادخلها في حوزة الامبراطورية الفارسية •

كان موقع بيزنطة مسيبا للكثير من المشاكل لها • اذ تنازع عليها المدن الايونية من ناحية والفرس من ناحية أخرى وتسابو الطرفان احتلالها مما ألحق الأذى الكثير بسكانها • وبعد هزيمة الفرس بقيادة كسيركسيس عام ٤٨٧ حرر الملك الأسبرطي باوسيناس بيزنطة من

(١) فيما بعد سخر الاغريق من غباء المستوطنين الميجاريين لعدم ادراكهم أهمية بيزنطة وآثروا الهروب من خطر القبائل التراكية والنزول على الجانب الآسيوي الشرقي حيث أسسوا خالكيدون التي سماها الاغريق سخرية « بمدينة العميان » لأن موقع بيزنطة كان على مرمى البصر منهم ولم يدركوا أهميته •

قبضة الفرس ثم حكموها بقبضة حديدية لا تقل عن تسلط الفرس حتى حررها الأثينيون مرة أخرى من الأسبرطيين عام ٤٧٠ ق.م. ومنذ ذلك التاريخ ارتبط مصيرها بمصير أثينا وأصبحت عضوا بارزا في حلف ديلوس ومن أكبر توابع أثينا عندما تحول هذا الحلف الى امبراطورية . وفي أثناء الحرب البيلوبونيسية ظلت بيزنطة وفيه لأثينا حتى هزيمة أثينا في صقلية حيث تأكد أهل صقلية من عدم جدوى تأييد أثينا فحدث انقلاب أطاح بالحزب الديمقراطي المتعاطف مع أثينا وحل محله الحزب الموالي لأسبرطه وهو الحزب الأوليجارخي وذلك في عام ٤١١ ق.م. وانفصلت عن الامبراطورية الأثينية. ولم تكن أثينا لترضى بذلك وهى التى تعتمد اعتماداً حيوياً عليها فى الغذاء والتجارة ، فقام الكياديس بحملة ضدها اسقط فيها الحزب الأوليجارخي وأعاد الحلف الديموقراطى الى الحكم وأعيدت بيزنطة الى حوزة الامبراطورية . ولكنها وقعت فى حوزة الاسبرطيين بعد هزيمة أثينا النهائية عام ٤٠٤ ق.م. وأقام الاسبرطيون فيها حامية . هكذا كان تاريخ أسبرطه محل صراع عليها بين الفرس والاعريق من ناحية وبين الأثينيين والاسبرطيين من ناحية أخرى .

كان ميناء بيزنطة مركزاً تجارياً هاماً وحيوياً سواء للقمح أو الأسماك المملحة أو عسل النحل البرى كله يتجه الى أثينا مركز الاستهلاك وكانت أثينا تصدر لها زيت الزيتون والمنسوجات الصوفية والتب يد ينسأ كانت بيزنطة تقوم بتوزيع هذه المنتجات على بقية المستوطنات فى البحر الأسود وبذلك أصبحت تبني أرباحاً طائلة من وراء ذلك ومن المكوس التى كانت تفرضها على السفن التى تمر عبر البحر الأسود الذى سيطرت على مداخله تماماً .

ولما كانت المدينة مقامة على تربة صخرية جافة قليلة المياه ، فقد اعتمدت فى رى حقولها فى السهول المحيطة بها على تخزين مياه المطر وبفضل هذه الخزانات الجوفية زرعت المدينة السهول بالقمح الجيد وبالكروم الممتاز ولذا صورت على عملتها ديميتير ربة القمح وديونيسوس رب الكروم والخمور . بالإضافة الى ذلك اشتهرت المدينة بأشجار

التين ، فضلا على شهرتها بأسمائها المصنعة والتي كانت تشكل دخلا كبيرا للمدينة من تصديرها . كما اشتهرت بيزنطة بأنها مدينة العقاقير والسحرة والعرافين . ولقد ألهم الرخاء مواطنيها عن الصراعات والحزازيات السياسية فوضعت قوانين عادلة ساوت بين كل المواطنين فلا تفرقة في الفقر أو الثراء أو الوضع الاجتماعي ، وكان معظم سكانها يتمتعون بحقوق المواطنة في المدينة .

وفي أبان الامبراطورية الاثينية الثانية أعيدت بيزنطة الى أثينا على يد ثراسيولوس Thrasybulus بالرغم من أن العلاقة مع أثينا لم تعد قوية كما كانت . ولما حاول فيليب المقدوني احتلالها بالقوة قاومت بيزنطة وحصنت نفسها بقيادة ليون أحد تلامذة أفلاطون وسارعت أثينا لنجدها بكل ما تملك حتى أن ديموستينيس جهز سفينة من أمواله الخاصة لمساعدتها ، وازاء المقاومة العنيفة انسحب فيليب وهلت بيزنطة لهذا النصر ووجهت الشكر لأثينا وأمرت بإنشاء نصب تذكاري اعترافا بهذا الفضل ومنحت الأثينيين حقوقا شرفية أعلنتها خلال الألعاب الأولمبية وفي دلفي ونيسيا وكورنثا . ولما سقطت بلاد اليونان الوسطى في حوزة مقدونيا أثرت بيزنطة الانزواء والاهتمام بالربح والتجارة حتى بعد موت الاسكندر وقيام الصراع بين ورثته من القادة بقيت بعيدة عن هذا الصراع ولم تتعرض للخطر الا في عام ٢٧٨ ق م عندما هاجمها الغاليون واستولوا على أراضيها وبقوا فيها حتى نزحوا الى آسيا الصغرى . كما دخلت بيزنطة في حرب مع رودس بسبب السفن المارة عبر البسفور وانتهت هذه الحرب بتنازل بيزنطة عن هذا الحق .

وفي ابان القرن الثاني ق م بدأت علاقة بيزنطة بروما حيث عقدت بينها معاهدة صداقة وتعاون وأصبحت بيزنطة قاعدة روما العسكرية في آسيا الصغرى ونعمت المدينة بالسلام والرخاء الروماني ابان القرن الثاني الميلادي الا أن أصبحت مدارا للقتال بين الجنرالين نيجر ومنافسه سبتيميوس سيفيروس عام ١٩٣ ق م بسبب التصارع على العرش، ولما كانت المدينة من مؤيدي القائد الأول فقد فتك سبتيميوس سيفيروس بها حتى بعد

امتسلامها عام ١٩٦٦ بقسوة أذهلت العالم المتحضر حيث سلبها امتيازاتها وحولها الى قرية تابعة لمدينة بيرنثوس (Perinthous) المجاورة لها . وبالرغم من أن سيقيروس حاول بعد ذلك اصلاحها وتعميرها بكافة وسائل الترفيه من مسارح وحمامات ومعابد .

وفي القرن الثالث تعرضت لخطر القوط المهاجرين الذين لم يستطع الرومان صددهم . ولما قرر دقلديانوس إعادة تقسيم الامبراطورية اختار بيزنطه لتكون عاصمة الجزء الشرقى وبعد انتصار قنسططينوس على خصمه ليكيونيوس وطارده شرقا حتى بيزنطه أعجب بالمدينة وقرر أن يجعل منها روما الجديدة ، وذلك فى عام ٣٢٣ م ، وبذلك بدأ العهد البيزنطى والذي أصبحت المدينة مركزه وعاصمته .

ومن أعظم المبقريات التى أخرجتها المدينة فى مجال العلوم والفنون والثقافة والأدب الناقد الأدبى أرسطوفانيس البيزنطى والمتخصص فى دراساته الأدبية للألياذة والذي جاء الى الاسكندرية أبان عصر بطليموس الثانى أو الثالث . وخرج من هذه المدينة أبطال فى الألعاب الرياضية كسبوا جوائز فى المهرجانات الرياضية . ومن أشهر الآلهة الاسرفية التى عبدت فيها أفروديت ربة الجواى ودبيتر وابنتها برسينفوني ربتا القمح وهيرا زوجة زيوس وبوسيدون رب البحار وبنوا لها المعابد فوق اكروبول المدينة ولم تعرض للتيارات الدينية الآسيوية باستثناء سيرابيس وكويلى . وقد عرف عن أهل بيزنطه حبهم للخرافات والأساطير وأعمال الشعوذة وغرامهم بالجدل والنقاش العقيم وأصبح ذلك فيهم غريزة وصفة من صفاتهم وقد ظهرت قدرتهم ولعلمهم بالنقاش أثناء الجدل الذى قام بين الكنيستين الشرقية والغربية وبذلك عرفت بأنها مدينة البرطقة والتحدى .

وجدير بالذكر بالرغم من أن المدينة كونت حضارتها المتميزة بها الا أنها ظلت مرتبطة بأمتنا روحانيا وثقافيا . وكان البيزنطيون يذهبون للدراسة فى جامعات هيللاس لكن المدينة عانت من النقص فى مجال المدارس الفلسفية مما شجع على ازدهار الدجالين والمشعوذين والسحرة

أشهرهم أبولونيوس التيالى (Apollonius of Tyana) صاحب الكرامات والمعجزات السحرية ، ومن العجيب أن حكومة بيزنطة كانت تقوم بفرض ضرائب على المشعوذين والسحرة منذ القرن الثالث ق.م .

ولا نعرف بالضبط تاريخ وصول المسيحية الى بيزنطة التى قدر لها أن تصبح مقرا للكنيسة الشرقية ويقال أن قسطنطين عندما وصل الى بيزنطة علم أن كنيستها شهدت اثنين وعشرين أسقفا من قبل .

تلك هى المستوطنة الصغيرة التى قدر لها أن تشهد حضارتين مختلفتين وقدر لاسمها أن يرتبط لألف عام بحضارة عظيمة حافظت على كل التراث القديم ، وبقيت صامدة فى وجه الغزاة والطامعين ولكن الذى لا شك فيه أن الفضل يرجع فى الأصل الى مجسوعة المستوطنين الاغريق الذين أسسوها .

سانسا : - منطقة نراكيا وشمال غرب حوض بحر ايجيه :

فى مطلع حركة الاستيطان أقامت بعض المدن الاغريقية التجارية بعض محطات لها على شاطئ تراقيا لتقلل الدائرة الاستيطانية الاغريقية حول حوض بحر ايجيه، حيث بدأوا فى استغلال خبرات منطقة غنية بمناجمها الفضية والذهبية وبغاباتها ومراعياها . وكان كورثا من أولى المستوطنات التى زرعت قهوها فى هذه المنطقة بانشاء بواتيدايا (Potidaea) فى خليج خالكيدىكى .

سابعا : انساخلى الغربى تبزذ اليونان والبحر الأديرياتيكي :

كذلك أحكمت كورثا قبضتها على الطريق المتجه غربا الى ايطاليا وصقلية فانشأت مستوطنات فى جزيرة كوركيرا (كورفو الحالية) وأخرى على طول الساحل الأديرياتيكي منها اييدامنوس Epidamnus التى أقامتها بالاشتراك مع سكان كوركيرا ذاتها كمحطة نهائية فى اقاصم عالم النفوذ الاغريقى ومن الجدير بالذكر أن نزاعا قام بين كورثا وكوركيرا حول اييدامنوس أدى الى حرب مريعة جرت اليها العالم الاغريقى كله وهو ما يعرف بالحروب البيلوبونيسية .

نتائج عصر الانتشار والاستيطان :-

لقد أحدث هذا الاستيطان والتحكم في منافذ العالم المسكون تجاريا واقتصاديا رواجاً تجارياً أغرق الكثير من المدن الاغريقية بالثراء الخرافى وتكدست الثروة عند بعض الطبقات مما زاد الهوة بين الأغنياء والفقراء من ناحية ، وبين الأغنياء الجدد والنبلاء الارستقراطيين من ناحية أخرى وراح هؤلاء الأثرياء الجدد يطالبون بحقوق مساوية مثل النبلاء مما أدى الى عملية التحول من الحكم الارستقراطى الى الحكم الأوليجارخى أى حكم الصفوة الغنية بصرف النظر عن عراقة الأصول . ومن ثم نستطيع أن نقول أن الاستيطان أدى الى ازدياد لهيب الصراع الاجتماعى والطبقى وبدأت المدن الاغريقية على وشك من حافة بركان ثورى رهيب حطم النظام الاجتماعى والطبقى القديم .

لكن يجب ألا ننسى أنه بفضل هذا الانتشار أوصل الاغريق حضارتهم الى كل ركن من أرجاء المعمورة وانتشرت هذه الحضارة بين كثير من الشعوب الغير اغريقية وبهذا حققت حضارتهم الروح العالية التى هى صفة أساسية من صفات هذه الحضارة . ولم تعد حضارة الاغريق وقفا على العنصر الاغريقى وحده ، وفى نفس الوقت تفاعلت هذه الحضارة مع حضارات العالم الأخرى فاستفادت منها وأخذت وأعطت وكان لهذا أثره فى ازدياد جيويتها وتطورها . كذلك فإن وجود الاغريق فى بلاد بعيدة عن بلادهم وبين شعوب غريبة الوجه واليد واللسان الى تساك الاغريق معنويا من أجل البقاء حضاريا ومن ثم تبلورت فكرة الهلينية لتصبح عاملا هاما فى تاريخ الاغريق .

الفصل السادس

الدولة الاسبرطية

عندما هبطت جحافل الدورين على شبه جزيرة البيلوبونيسوس في القرن الحادى عشر قبل الميلاد ووضعوا نهاية مفاجئة للحضارة الموكينية، حاولوا التوغل الى قلب سهل لاكونيا فاستولوا على معظم أجزائه ولكن قرية آخية محصنة هي أموكلاى (Amyclae) ردت المعتدين الدورين ومن ثم قرروا أن يبنوا مدينة على مقربة منها سموها اسبرطه وربما كان هناك قرية ترجع الى ما قبل الغزو الدورى في هذا المكان وربما أيضا أن هذه القرية كانت تسمى لاكيدايمون Lacedaemon وهو اسم تردد في الألياذة ، وكان يطلق أيضا على سهل لاكونيا بأكمله لقد أسس الدوريون مدينة أسبرطة الجديدة بعد ادماج أربعة قرى صغيرة كانت قائمة على ضفاف نهر يوريتاس ثم سرعان ما أضافوا اليها أموكلاى بعد استسلامها لتقوم المدينة الجديدة . وسرعان ما تمكنت المدينة من أن يضم اليها مساحة كبيرة من البيلوبونيسوس بل وفرض على الجزء الباقي تهوذا كاملا وتدخله في حلف تابع لها وتصبح مركز الزعامة الاغريقية المنافسة لأثينا في غرب بلاد اليونان .

لم تكن مدينة أسبرطة مدينة ذات طراز معمارى معين — كما يقول ثوكودديدس في مطلع مؤلفه — ولا يزينها المعابد الفخمة والمنشآت العامة — بل كانت مدينة لا تزيد عن قرى صغيرة مقامة على النسق الاغريقى العتيق مما يجعل من الصعب على الانسان أن يربط بين حالتها وشهرتها التاريخية . ولهذا لم يتبق من أثارها سوى جدران حتى معظمه يرجع الى منشآت وتوميمات قام بها الرومان . ولم يشر الاثريون على شئ من معابدها سوى بقايا معبد أرتميس الربة المفضلة في اسبرطه .

وبالرغم من هذا فقد كانت اسبرطة أولى المدن الدورية التى نهضت من ظلام الركود لتبعث الحياة والحركة فى شبه جزيرة البيلوبونيسوس ولتضع نوايس غربية على العادات الهيلينية الأصلية ومجاهدة للطبيعة ذاتها وتكرس نفسها للحرب وللعسكرية مما جعل منها أسطورة تروى عبر التاريخ ولتضع نظاما جماعيا تتحكم فيه السلطة المركزية فى جميع حياة المواطنين الذين كان عليهم أن يدينوا للدولة - جهاز الحرب - بالطاعة العمياء ويلتزموا بالنظام الصارم . ما جعلها نموذجاً لنظم الحكم « الجماعى » وللعسكرية الصارمة .

إذا فالاسبرطيون هم سلالة الدورين الغزاة الذين أخضعوا لسلطانهم الآخين الذين كانوا موجودين قبل غزوهم - وحولهم الى رعايا تابعين (Perioeki) والكلمة الاغريقية تعنى الرعايا الذين يقيمون على هامش المدينة . أى بمعنى آخر مواطنين من الدرجة الثانية . وكان هؤلاء الرعايا التابعين يقومون بالأعمال غير العسكرية والذى يعافها البسادة الاسبرطيون ويعرضون عنها مثل التجارة والصناعة . كما كان لهم شرف الخدمة العسكرية فى ساحة الحرب حيث يخدمون فى فرق المشاة الثقيلة السلاح (Hoplites) . وبالطبع لم يعتبرهم القانون الاسبرى مواطنين لأنهم كانوا محرومين من حق الترشيح للنصب العامة أو الأدلاء بصوتهم فى الانتخابات العامة .

أما السكان الأول الذين ينخرطون من جنس البحر الأبيض المتوسط والذين كان الأخيون قد أخضعوهم لسلطانهم وحولهم الى رعايا لهم فقد حولهم الدوريون الى طبقة من المستعبدين (Iktota) أو المسخرين وكانوا فقراء معدمين غرباء فى بلادهم لا عمل لهم سواء فلاحه الأرض التى كانت موزعة على السادة الاسبرطين بالتساوى وكانوا يفلحونها نظير جزء صغير من المحصول أما الباقى فكان يذهب الى السادة الاسبرطين . وكان الهيلوت أيضا يخدمون فى الجيش كجنود مشاة ثقيلى السلاح وكحمله الأسلحة الخفيفة Pelastes وكانوا يلقون معاملة قاسية اذ كانوا أشبه بالشعب المتهور الذى يتلىء قلبه بالسخط والحقد وكانوا دائماً مستعدين للتمرد والثورة كلما مسحت لهم الشروف

بذلك . وكثيرا ماثاروا ضد الأسبرطين الأسياد الذين كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة للغالبية المقهورة . ومن ثم كان على السادة الأسبرطين وضع نظام حكم صارم وعنيف للسيطرة على هذه الغالبية الساخطة بقوة السلاح ومن ثم أملت ظروف مواجهة حركات التردد والثورة على المواطنين نظاما معيناً في الترتية العسكرية سوف تعرض له فيما بعد كما أجبرت الظروف الأسبرطين على انشاء نظام سرى للتجسس على الرعايا والهيلوت يعرف باسم الجهاز السرى (Krypteia) لاكتشاف حركات التمرد والثورة والقضاء عليها قبل اندلاعها وأحيانا كان هذا الجهاز يختلف ظروف الثورة كلما أحس بأن العيـد أو الاتباع في وضع أقوى .

أما المواطنون الأسبرطيون (Spartiates) فكانوا يتمتعون بكامل الحقوق والدولة ملك لهم بالتساو دون تمييز بين شخص وآخر^(١) وكان لهم وحدهم حق الترشيح في الانتخابات والتقدم لشغل الوظائف العامة في الدولة ، وهم جميعا أعضاء في الجمعية العامة اذا ما بلغ الفرد منهم سن الثلاثين وكانوا لا يقومون بأى عمل سوى العسكرية^(٢) وشغل وظائف الدولة . وكانوا ينقسمون الى ثلاثة قبائل دورية هي :

(أ) قبيلة الهيليين Hyleis

(ب) قبيلة البامفولين Pamphyleis

(ج) قبيلة الدونامينيين Dynamenes

ومن هذه القبائل الثلاث يتكون طبقة المواطنين والجنود والموظفين

(١) ذكر شنرون مثلاً اسبراطيا مترجماً عن الاغريقية وهو
Spartam nauctus ea, hanc exorna !
Spartan elaches, tautan kosmei

هو ومعناه انت تملك اسبرطة فزينها بنفسك

Sparta is your Country, make the most of it (cicero Attic, 4, 6, 2).

(٢) كان لدى اسبرطة بالرغم من هذا حوالي ٨٠٠٠ مواطن قادر على حمل السلاح ابان الحروب الفارسية ثم حط هذا العدد الى ما بين ١٢٠٠ - ١٥٠٠ قبيل معركة ليوكترا عام ٣٧١ وفي ايام ارسطو هبط هذا العدد الى اقل من ١٠٠٠ مواطن وهذا يبين مدى احسار طبعة المواطنين وانقراضها مما ادى الى المطالبة في اعادة النظر في تضيق حدود المواطنة .

وكانوا يعمرون بسلسلة طويلة من التريية العسكرية من سن السابعة حتى سن الستين .

دستور اسبرطة :

يتكون الدستور الاسبرطى من أربعة هيئات تنظيمية رئيسية :

(١) الملكية المزدوجة .

(ب) مجلس الشيوخ أو الجيروسيا Gerousia

(ج) الجمعية العامة أو الايللا Apella

(د) نقباء الشعب أو الايفورات Ephors

ولتناول هذه الهيئات الأربعة بالتفصيل :

(١) الملكان : يعنى على رأس الحكومة الملكان وكانا ينحدرا من

أسرتين نبيلتين « أحدهما من آل آجيس Agis والأخرى من آل يوروبونتيس Eurypontids وكان الملكان يقومان بصفة القيادة العليا في الجيوش وكان لهم حق الجلوس في أماكن الشرف المنصعة لهم في الحفلات العامة والمهرجانات الرياضية والدينية وعند موتهما كانا يلتزمان من الدولة جائزة رسمية ومراسيم خاصة . وكان الملكان ينتخبان من الأسرتين السابقتين بحيث ينتخب ملك واحد من كل منهما . وكان الملكان عضوين في مجلس الشيوخ أو الجيروسيا بحكم منصبيهما . وكان لوجود ملكين لا ملك واحد ميزة الرقابة حيث كان كل ملك يراقب الآخر في عمله .

(ب) مجلس الشيوخ أو الجيروسيا Gerousia : كان مجلس

الشيوخ يتكون من ثمان وعشرين عضوا يمثلون أنبل الأسر وكان يشترط ألا يقل عمر العضو عن ستين عاما : وكان الملكان بحكم منصبيهما عضوين في هذا المجلس وكانت تنحصر مهمة المجلس في اعداد المشروعات الدستورية والقرارات العامة لكى تعرض على الجمعية العامة وكان المجلس يتحول الى محكمة جنائية للنظر في القضايا التى يروح ضحيتها

مواطنون أسبرطيون كما كان لهم حق الإشراف الإداري على أجهزة الدولة المختلفة .

(ج) الجمعية العامة Apella : وكانت عضويتها مفتوحة لكل المواطنين الأسبرطيين الذين تزيد أعمارهم عن ثلاثين عاما ويمثلون مجلس المحاربين وكانت الجمعية تعقد جلساتها مرة كل ثلاثين يوما وكان نقباء الشعب يترأسون جلساتها وكانت سلطة الجمعية العامة محدودة فلم يكن من حقها اقتراح القرارات أو مناقشتها بل للموافقة عليها أما بالإجماع قبولاً أو رفضاً وبالرغم من أن الجمعية العامة كانت تمثل الشعب إلا أنها كانت مسلوبة السلطات لأن السلطة الفعلية كانت في أيدي الشيوخ والايفورات (نقباء الشعب) .

(د) الایفورات Ephors : وهم نقباء الشعب وكان عددهم خمسة وينتخبهم الشعب ومدة شغلهم للوظيفة عام واحد . . كان الایفورات يمثلون الشعب ويشرفون على الشعب ويستمدون سائر أشبه « بترابنة العامة » عند الرومان . وكانوا الـ المشرفون على الأخلاق والآداب والسلوك العام للمواطنين وهم المسئولون عن حفظ النظام العام . وهم الذين يراقبون سلوك المواطنين بما في ذلك الملكين . وعندما يذهب الملك الى ميدان الحرب يصطحب معه اثنين من الایفورات ليراقبا سلوكه في الميدان وليتأكدوا من شجاعته وإقدامه دون أن يتدخلوا في سير المعارك أو القرارات العسكرية وكان الایفورات يشرفون على شئون الدولة الخارجية فكانوا يمقدون المعاهدات ويقابلون ممثلي الدول المختلفة والسفارات الأجنبية وكانوا يسافرون للتفاوض باسم الدولة مع المدن الأخرى كما كانوا يتمتعون بسلطات قضائية واسعة وخاصة ما يخص المشاكل المدنية والإدارية . كما كان الضباط مسئولين عن السيطرة على الهيلوت ومنعهم من التمرد على الدولة .

قوانين لوكرجوس والتربية الأسبرطية :

كانت الدولة جهاز حرب وحياة المواطنين العامة كحياة الجنود في الثكنات والجيش هو الشعب والقوانين صارمة ، وعن طريق التفوق

المسكرى نجحت اسبرطة في فرض سيادتها على البيلوبونيسوس كله وادجت فيها أراضيها . ولكن اهتمام اسبرطة بالجيش والادارة العسكرية جاء على حساب تراثها الحضارى والفكرى اذ لم تساهم سوى بالقليل في مجالها . فهناك شذرات لأوانى فخارية مصورة صنعت في اسبرطة وبقيت أشعار الكمان Alcman شاعر اسبرطة الكبير الذى كتب أشعارا رفيقة تغنى فيها بالحب وبالطبيعة لكن لما دارت رحى الحروب لم تخرج اسبرطة شعراء بل على العكس حرم الاسبرطيون قراءة الألياذة على المواطنين ربما لأنها قد تشجع الرعايا التابعين على الثورة لأنها تسجد أيامهم قبل الغزو الدورى . وفى أثناء الحروب الميسينية لجأت اسبرطة الى الارسال فى طلب شاعر من أثينا فجاءهم تورتيوس Tyrtaeus ذلك الشاعر الأعرج الذى ألف للأسبرطيين أناشيد حاسية تحضهم على القتال لأنه لم يكن للأسبرطيين وقت للعب أو الغزل كما كانوا يرفضون الميوعة فى التبحر أو الشعر . كما لم يكن هناك مسرح أو روايات مثل التى كانت تعرض فى أثينا ولا أعسال النحت والفنون ولم يكن أمام مواطنيها أى تلية سوى حلبة الرياضة وملعب السباق ومشاهدة الشباب وهم يتدربون أو يتسابقون فى مبارياتهم فى تحمل الألم والمذاب .

وتروى الأساطير أن النظام الذى خلقتة اسبرطة لنفسها وجعل منها أسطورة الاغريق فى العسكرية من صنع مشرع اسمه ليكرجوس Lucyrus الذى جاب بلدان العالم المتحضر قبل أن يكتب قوانين اسبرطة التى سارت عليها وتثبت بها حتى النهاية . ويعتقد البعض أن ليكرجوس شخصية أسطورية ولكن آخرين يعتقدون أنه ظهر فعلا عام ٧٥٠ ق م وأنه لم يضع قوانين من صنعه وإنما قن ما كان قائما وأعطى له الصيغة القانونية وحول السلوك الى قوانين لها صفة الالزام والدوام .

وجوهر القانون الأسبرى هو أن الدولة ملك لجميع المواطنين دون تمييز وبما أنها جهاز حرب فإن مهمة الدولة هى اخراج وتربية الجنود الأقوياء والأصحاء وتربية البنات بحيث يصبحن أنبات لأبطال

ولهذا وضعوا أسسا لنظام التربية العسكرية (Agoge) ، ومن ثم فقد كانت الدولة تهتم باختيار الزوجات للازواج من أجل تربيخ نسل قوى وسلالة أفضل .

فعندما يولد الطفل يفضل بالنيذ . ثم يفحص الأطباء الوليد فإذا وجدوه هزيبا أو مشوها تخلصوا منه بتركه في المراء عند سفح جبل تاوجيتوس Taugetos أما الأصحاء فكانوا يتركون في كنف والديهم حتى سن السابعة ، ثم ينتزع الولد من أسرته ليتلقى تعليمه العسكري التربوي تحت رعاية معلمين ومدرسين ، وكان أساس التربية هو تحمل المشاق والصبر واطاعة الأوامر طاعة عمياء والالتزام بالنظام الحازم ، وتناسي الذات لأن الدولة ملك لجميع رجالها الأبطال . وكان الصبيان يقسمون الى مجموعات يرأس كل مجموعة نقيب وهو أكثر المجموعة شجاعة والتزاما بالقوانين وتحسلا للمشاق . وكان على الجماعة طاعته طاعة عمياء ويتحصلون أى عقاب ينزله بهم .

وعندما يصل الفتى الى سن الثانية عشرة يمنح جلبابا واحدا كل عام يقيه برد الشتاء وقيظ الصيف ، وكان لا يسمح لهم بالاستحمام الا نادرا وكان يحرم عليهم تدليك أجسامهم بالزيوت حتى تبقى أجسادهم خشنة . أما الأسرة التي كانوا ينامون عليها فلم تكن تبعد عن الاعشاب التي يجمعونها من شواطئ نهر يوروتاس Eurotas . وكان رئيس كل جماعة يكلف الصبية بجمع الحطب والثار والخصراوات من أجل الطعام وكان يسمح بالسرقة ولكن بشرط ألا يكتشف أمره فإذا ضبط متلبسا فإنه يعجلد بلا رحمة بالسياط ليس بسبب السرقة ولكن لأنه لم يكن ذكيا حتى أن أمره قد كشف . ويقول بلوتارخوس كان الأطفال الاسبرطيون يأخذون السرقة مأخذ الجد حتى أن صبيا سرق تعبلا صغيرا وأخفاه تحت جلبابه ولكن الشعب راح ينهش أحشاءه بأنياه وأذافره والطفل يتحمل في صبر العذاب حتى سقط ميتا مفضلا ذلك على أن يكتشف أمره (١) .

كان القتيان يربون على تعلم النظام الصارم العازم وإذا خرجوا عنه لأقل درجة جلدوا بالسياط ، وإذا ظهر عليهم الارهاق أثناء التمرينات أو في ملاعب الرياضة جلدوا أيضا بالسياط ، ومن أشهر الألعاب الترفيهية المتبعة التي كانت تقام في معبد الربة أرتميس على ضفاف نهر يوروتاس بين الشباب وهي أن يضرب كل منهم الآخر بالسوط دون أن ينطق أحدهم بمنت شفة فإذا صرخ أحدهم من الألم نال عقابا صارما وكان بعضهم يسقط ميتا في صمت ويروى لنا بلوتارخوس أنه شاهد هذه المباراة عندما زار أسبرطة في نهاية القرن الأول بعد الميلاد أي بعد سقوطها في حوزة الرومان .

كان القتيان أيضا يدرّبون على فن الإيجاز في القول وعند الإجابة حتى أن كلمة لاكوني (Laconic) أصبحت تعني في اللغات الحديثة « الإيجاز في القول » ، وكان منوعا على السادة الأسبرطيين العمل في غير الجيش أما العمل في التجارة والصناعة فكان من اختصاص الرعايا المجاورين Perioeci ، أما زراعة الأرض فهو من عمل الهيلوت (عبيد الأرض) .

واعتقد الأسبرطيون أنه مادامت الملكية الفردية ممنوعة والالتزام بالقوانين ملزم فليس هناك حاجة إلى المحاكم والمحايمين ويقول المثل : « الرجال الذين لا يتحدثون إلا قليلا لا يحتاجون إلا لقوانين قليلة » .

وفي سن الواحد والعشرين يبدأ الأسبرطي خدمته العسكرية الكاملة ، وكان يسمح له بالزواج حيث يختار واحدة من رفيقاته الفتيات اللاتي يظهرن معه في ساحة الألعاب الرياضية وفي ملعب سباق الجري وهن عرايا كالرجال تماما لأن التريبة الأسبرطية كانت تزهل الفتاة في السيطرة الكاملة على غرائزها على النحو الذي كالت الفتاة اليابانية تفعله حتى وقت قريب . وبعد اختيار « الزوجة » تحجب عن خطيبها حتى يبلغ سن الثلاثين وهو سن الرجولة الكاملة والتي عندها يسمح بالزواج . وفي هذه السن يعتبر الأسبرطي مواطنا كاملا الحقوق ولكنه يظل « تحت الطلب » ويخضع للنظم العسكرية والنظامية حتى سن الستين .

وكان على المواطن الاسبرطى أن ينضم الى أسرة عسكرية يجتمع بأقرانه فيها ويتناول معهم الغداء وتسمى هذه الأسر بأسماء مختلفة منها مجتمع الرجولة *Andreia* أو باسم الميز (وهو نفس الاسم الذى لا يزال يطلق على المكان الذى يتناول فيه الجنود الطعام حتى يومنا هذا) أو باسم السوسيتيا *Syssitia* أو الفيتيديا *Phitidia* (أى المآدب الجماعية) . وكانت كل مجموعة تتكون من خمس عشرة عضو يتناولون غداءهم البسيط معا يوميا . وكان المجتمع الاسبرطى يطبق مبدأ المساواة بين جميع الأسبرطيين فكان استخدام المعادن الثمينة والنقود محرما وكانت الدولة توزع الأراضى الصالحة للزراعة على المواطنين بالتساو حيث يقوم الهيلوت بفلاحتها نظير نصيب قليل أما الباقى فيحمل الى بيت السيد الاسبرطى ليعيش هو وأسرته منه وبذلك يكرس كل طاقاته لخدمة الدولة للمعسكرية والدفاع عن الدولة والتفنن فى ممارسة أصول الحرب . وكان الاسبرطيون يلقبون أنفسهم بالرفاق (*hetairoi*) أو الأقران ، وكانت قوانين ليكرجوس تحرم على المواطنين حياة البذخ والترف ولم يكن هناك أى استثناءات ، وكانت الفتيات يتلقين نفس التمرينات الرياضية التى يتلقاها الفتيان ويظهرون مثلهم عرايا فى الملاعب دون أى خجل من الفتيات أو فضول من الفتيان لأن قتل الشهوة كان جزءا من تربية الفتاة التى كانت تعد تربويا ومعنويا لتكون اما قادرة على انجاب الأبطال وعندما كانت الأم الأسبرطية تودع ابنها الى ميدان القتال كانت تقول له « عد الى حاملا درعك أو محمولا عليه ا » .

لم يعرف الاسبرطيون « الديمقراطية » وحرية الكلام (*Isogoria*) أو الثروة التى لا حد لها (*Parrhesia*) كما كان شائعا فى أثينا ، ولأن نظامهم مقدس ووسط بين الدكتاتورية والديموقراطية الشعبية نظرا لخطورة المستقبل اذ ما دب أى نزاع داخلى خوفا من اندلاع ثورات المجاورين أو الهيلوت فلم تتعرض اسبرطة لأى تطورات سياسية كما حدث فى سائر مدن اليونان القديمة . بل على العكس قاوم الاسبرطيون الديمقراطية الأثينية خوفا من اثارها للهيلوت والميسد تحت اسم

الحرية في « التمييز » أو « المساواة أمام القانون » بالرغم من أن النظام الأثيني كان لا يختلف في جوهره عن النظام الاسبرطي خاصة في « ديموقراطية الأقلية » ولهذا نجد الأسبرطيين يساندون النظم الأوليجارخية المحافظة ويمادون الأحزاب الديموقراطية وهذا سبب العداء بين أثينا واسبرطة بل يفسر ذلك سبب التعاطف الخفى بين الفرس والأسبرطيين لأن الفرس أيضا كانوا يؤيدون النظم الأوليجارخية وحكم الصفوة الموالية لهم .

ويقول لوكرجوس « لقد كانت اسبرطة مدينة محصنة بالرجال وليس بأسوار من الأحجار » وبالفعل بقيت أسبرطة بغير أسوار حتى عام ٢٠٠ ق م . بالرغم من عدم مناعتها الطبيعية لأى هجوم برى .

وقد يتساءل البعض لماذا اتبع الأسبرطيون مثل هذا السلوك العسكرى القاسى وحرموا أنفسهم من مزايا عديدة والرد على ذلك يجيء من المؤرخ الكبير ارنولد توينبى في كتابه « دراسة في التاريخ » عندما يقول : « كان على الاسبرطيين أن يواجهوا تحديا عاما وقف في وجه كل الاغريق خلال القرن التاسع قبل الميلاد . عندما كان عدد السكان في ازدياد مضطرد الى أن بلغ عدد السكان قدرا لا يساير طاقة البلاد المادية والذي أدى الى ما يعرف « بالانفجار السكاني » وقد وجد الاغريق عامة حلا لمشكلة الانفجار السكاني في حركة الاستعمار عن طريق اكتشاف أراضي جديدة فيما وراء البحار ثم انتزاع هذه الأراضي من السكان الأصليين الذين كانوا « برابرة » في نظر الاغريق ولم يجد الاغريق صعوبة في تحقيق ذلك لأنهم وجدوا أصحاب البلاد الأصلية ضعفاء مفكرين . هذا بالنسبة للاغريق الذين تطل بلادهم على البحر أما بالنسبة للاسبرطيين فإن الأمر يختلف لأن بلادهم تقع بعيدا عن البحر ولم يكن أمامهم سوى التوسع أرضا في البيلوبونيسوس على حساب الشعوب المجاورة لهم وخاصة في منطقة مسينيا Messenia لأنها كانت منطقة خصبة وطبقا للتراث الشعبى الاسبرطى فإن اسبرطة قد خاضت حربا من أعنف الحروب مع سكان منطقة مسينيا ويقال أن الحرب الأولى (٧٣٦ - ٧٢٠ ق م تقريبا) والتي ذكر التراث الشعبى بعض أبطالها مثل أريستوديموس وأريستومينيس

— لم تكن سوى نزاع بسيط بالنسبة للحرب الثانية (٦٥٠ — ٦٢٥ ق م تقريباً) والتي أشعل حماتها تروايوس ذلك الشاعر الأعرج الذي جاء من أثينا لكي يساعد الاسبرطيين على الانتصار والذي يرجع الفضل في انتصار الاسبرطيين الى أفائيده الحماسية التي حفظت أوراق البردي لنا بعضها .

وبعد أن أخضع الاسبرطيون أهل مسينيا حولهم الى مستعبدين « هيلوت Helots » ولكن بالرغم من هزيمة المسينيين الا أنهم ظلوا على استعداد للثورة والتمرد اذا ما سحبتهم الظروف بذلك بل وقاوموا السيطرة الاسبرطية ووجد الاسبرطيون أنفسهم سجناء لحرب المقاومة المسينية ولأن الأسبرطيين كانوا أقلية بالنسبة لغالبية السكان المستعبدين والمجاورين فقد كان عليهم عمل شاق وهو أن يكرسوا أنفسهم للمسكينة القاسية والتضحية من أجل كبح جراح الشعوب المقهورة (١) . ولم يستطع المجتمع الاسبرطى أن يهدأ أو يستقر بل ظل متوتراً ومتيقظاً خائفاً من حركات التمرد والثورة .

ولهذا كرست الدولة الاسبرطية كل طاقاتها من أجل غرض واحد فقط هو السيطرة والاحتفاظ بمتلكات الدولة . ويقول ارنولد توينبى « لقد أصبح الاسبرطيون بعد غزوهم « لمسينيا » سجناء حرب تسانا كما أصبح أهل الاسكيمو بعد غزوهم للقطب الشمالى سجناء لظروف مناخية كان عليهم أن يتعودوا عليها (٢) » وظلت اسبرطة على هذا النظام القامى (حتى بعد فقدانها ممتلكاتها بعد هزيمتها في معركة ليونترا على أيدي أهل طيبة عام ٣٧١ ق م بل وحتى عام ١٨٨/١٨٩ ق م عندما خضعت بلاد اليونان لروما وأصبح سكان البيلوپونيسوس متساوين تحت سلطة الحاكم الرومانى لا فرق بين اسبرطى وغير اسبرطى .

(1) P. Oliva, «Sparta and her Social problems, Prague's Akademii, 1971. p. 205 ff.

(2) Cf. Arnold, J. Toynbee : A Study of History. (Abridged by D.C. Somervell) Oxford University Press (1960) pp. 178—182.

ومن الجدير بالذكر أن توينبى ذكر اسبرطة كمثال لنظريته في

التحدى والاستجابة (Challenge and response)

على أى حال قدمت أسبرطة نموذجا بديلا فى غرب بلاد اليونان للدولة التى قامت فى الشرق وهى أثينا وتوابسها ، وفى رأى البعض أن أسبرطة كانت ثكنة للجيش لادولة أو بمعنى آخر أنها كانت آلة حرب كبيرة المواطنون تروس فيها ، وكانت تحترق التجارة لأنها كانت ترهب التعامل مع غير الاسبرطيين خوفا من تدخلهم فى شئوننا . وتمسكت بنظامها القديم رافضة أى تجديد أو تطوير ومن ثم فلم تضيف الا القليل فى بناء صرح الحضارة الاغريقية لكنها احتفظت بوجودها بسبب شجاعة جنودها وعزلتها ، ومن الملاحظ أن مواطنيها البارزين كانوا مثالا للانضباط فى بلادهم فاذا ما خرجوا عنها يصبحون فريسة سهلة للفساد والعبث والرشوة نتيجة للكبت التربوى القاسى والحرمان المادى الشديد .

لكن تمسك الاسبرطيين بنظمهم قال اعجاب أفلاطون عندما يش من مساوىء الديموقراطية الأثينية بالرغم من ادراكه لتعسف الحكم الاسبرطى وضيق أفقه ووصف هذا النظام بأنه أقل أنواع الحكم لسادا (١) .

(١) أفلاطون الجمهورية الكتاب الثامن ٥٤٧ - ٨ وكذلك انظر القوانين ، اما ارسطو فقد نقد النظام الاسبرطى نقدا لازما فى كتابه السياسة الكتاب الثانى ٩ ، والسابع ١٤ - ١٥ اما المؤرخ العالمى بوليبيوس (٦ - ٤٨ ، ٥٠) فقد وصف النظام الاسبرطى بأنه لا يوجد له مثل فى الاحتفاظ بالوجود وبالاكتفاء الذاتى لكن هذا النظام غير مؤهل للنجاح فى إقامة علاقات خارجية وفى بناء الامبراطورية . انظر : دى . بورج المرجع السابق ص ١٥٢ هامش (١) .

الفصل السابع

الدولة الأثينية

نجحت مدينة أثينا في فرض زعامتها على اقليم أتيكا تدريجيا وذلك منذ العصر الموكيني . وأصبحت أتيكا ذلك الاقليم الذى يقع فى الركن الجنوبي الشرقى من وسط بلاد اليونان ويكاد أن يكون هضبة مثثة وحدة سياسية متباعدة ومتحدة (١) تبلغ مساحتها حوالى ألف ميل مربع مما جعلها أكبر دولة فى بلاد اليونان جميعا وهذا أكسبها وضعا خاصا (٢) .

كان اقليم أتيكا يشبه المثلث قاعدته الكبرى فى الشمال والشمال الغربى حيث يفصله جبل كيتاريون Cithareon عن اقليم بوءتيا ويفصله مرتفعات ميجارا عن خليج كورنثا . أما طرفه فهو فى الجنوب فكان عند رأس سونيون (Sunion) حيث توجد جبال لاوريوم الفنية بمناجم الفضة وقد حبت الطبيعة بموقع استراتيجى ممتاز ، فمن الشرق تطل على خليج الماراثون Marathon وبحر يوبويا، ومن الغرب على ساحل فاليريون (Phaleron) حيث يوجد الخليج السارونيكى الدائرى (Sinus Saronicus) والذى تتوسطه جزيرة ايغينا Aegina فى مواجهة جزيرة سلاميس Salamis المواجهة لميناء أثينا الهام ، بيرايوس (Piraeus) وعن طريق ساحلها

(١) R.A. Padung, Eleusis and the Union of Attika, G.R.B.S., XIII, 1972, p. 185-180.

(٢) نستطيع ان نعرف مدى هذه المساحة لو قارناها بمساحة مدن جزيرة كوس الصغيرة والتي لم تكن مساحتها تزيد عن ٦٥ ميلا مربعا ومقسمة الى ثلاث مدن مستقلة لكل منها سيادتها .

الطويل المتعرج في الشرق والجنوب أصبحت أثينا منفحة بحريا وتجاريا على جزر بحر ايجه وأهمها أندروس (Andros) وتينوس (Tenos) وكوس (Kos) وكنثوس (Kynthos) وسوروس (Syros) وسيرفوس (Seriphos) وسيفنوس (Siphnos) وباروس (Paros) وميلوس (Melos) وناكسوس (Naxos) وغير ذلك من الجزر الصغيرة وقد اعتمدت أثينا في ضم هذه الجزر اليها عندما أقامت ابراطوريتها عقب انتصارها على الفرس . كما جعل هذا الموقع الاستراتيجي أثينا على مقربة من الأحداث في أيونيا والجزر المتاخمة لشاطئها خاصة أن المهاجرين الى هذه المنطقة كانوا من نفس العنصر الأيوني الذي كان تنتمي اليه أثينا بل وتزعمه .

ولم تكن أثينا منفصلة تماما عن اقليم بوءتيا الذي يجاورها في الشمال . بل كان هناك عدد من الممرات الجبلية الضيقة التي تخترق الجبال منها ممر فولي (Phyle) وممر بلاتيا Platea الذي يبدأ من بلدية عاصمة بوءتيا ويسير صوب الغرب مخترقا جبال كيثاريون حتى يصل الى سهل اليوسيس Eleusis في غرب أتيكا ؛ ثم ممر ديكيليا (Decelea) الذي يبدأ من أوروبوس (Oropus) المطل على بحر يوبويا في الشرق ويخترق جبال بارنيس Parnes حتى يصل الى أثينا ولهذا تمسكت أثينا بمدينة أوروبوس بالرغم من أنها كانت تنتمي جغرافيا وسكانيا الى اقليم بوءتيا الذي يجاورها في الشمال .

كان اقليم أتيكا في مجموعة اقليميا جبليا تتخلله شعاب جبلية تقسمه الى أربعة سهول محصورة بين الجبال هي سهل اليوسيس Eleusis (ثريا) في الغرب ويواجه جزيرة سلاميس Salamis ؛ ثم سهل كيفيسوس Kephisos الذي تقع فيه مدينة أثينا ذاتها حيث يرويه نهران هما نهر كيفيسوس ونهر اليلسوس Illyasos وهو أكبر السهول الأربعة مساحة ؛ ثم سهل ميسوجيا Mesogaea ومعناه الأراضي المتوسطة

لأنها تقع بين جبلى هيميثوس وبتليكوس ، ثم يأتى أخيراً سهل الماراثون الذى يقع فى الشرق بهذا الشمال ويطل على بحر يوبويا وهو أصغر السهول مساحة .

هكذا قسمت الطبيعة تضاريس أتيكا الى جبال وسهول وسواحل . وبفضل الظروف الاقتصادية لكل منطقة فقد نشأ ثلاثة أحزاب سياسية واقتصادية أثرت تأثيراً كبيراً على مجرى الصراع الاجتماعى فى الدولة الأثينية وهى حزب السهل (Pediakoi) ويتكون من أصحاب الضياع الشاسعة وكبار ملاك الأراضى وهم الذين احتكروا الحكم والسلطة وكانوا نواة التجمع الارستقراطى فى الدولة ، والحزب الثانى هو حزب الشاطئ أو الساحل Paraliot ويقوم على اكتاف التجار وأصحاب السفن وذوى المصالح والنفوذ الاقتصادى ولم يكن هؤلاء نبلاء بحق المولد مثل حزب السهل ولكن كانوا طبقات مكافحة عصابة ولهذا اتخذت موقفاً وسطاً بين الارستقراطيين وبين أصحاب الحزب الثالث وهو حزب الجبل Diakrioi والذى كان يتكون من سكان المناطق الداخلية الفقيرة ولا يقومون بعمل سوى الرعى ولما كانوا لا يملكون شيئاً يخافون عليه فكانوا أقرب الى الثورة والتمرد على الأوضاع وعلى النقيض من أصحاب حزب السهل الذى كان يمثل وجهه نظر الارستقراطية المحافظة .

وجدير بالذكر أيضاً أنه بقدر ما تمسكت أثينا بمدينة أوروبوس بالرغم من أنها كانت تنتمى سكانياً وجغرافياً الى بوءتيا ، تمسكت كورثا الدورية بمدينة ميجارا الأيونية (ذات العنصر الأثينى) ، وكانت ميجارا تسيطر على السهل الضيق الذى يقع بين سهل اليوسيم وخليج كورثا والخليج السارونى لأنها المنطقة المانعة لنفوذ أو تسرب النفوذ الأثينى فى خليج كورثا واليلوبونيسوس - خاصة أن المنافسة البحرية والتجارية كانت قائمة على أشدها بين كورثا وأثينا وأن سياسة كورثا كانت ازالة أثينا من الوجود حتى تنفرد هى وحدها بعالم البحر والتجارة . وانتهى الأمر بضم ميجارا (رغم قرابة عنصرها مع العنصر الأثينى) الى حلف اليلوبونيسوس ، لكن حياة ميجارا ظلت تعتمد على الموانئ الأثينية وقد

سمحت أثينا لميجارا باستخدام موائها بعد حل النزاع بينهما حول جزيرة
سلاميس التى تمكن المشرع سولون من ضمها الى أثينا .

ومن أسباب تمسك كورثا بمدينة ميجارا هو أن الأخيرة كانت
تتحكم فى مبرات جبال كيرانيا التى تفصل بين أتيكا وكورثا ومن ثم
حرصت كورثا على تأمين خطوطها الأولى لمنع أثينا من التسرب الى
البيلوبونيسوس . هكذا كادت منطقة أتيكا أن تنفصل انفصالا تاما عن
البيلوبونيسوس وقد ساعد ذلك على أن تنقسم بلاد اليونان الى جبهتين
متناقستين ومتصارعتين ومختلفتين ثقافيا وعنصريا الأولى الجبهة
الشمالية . وهى جبهة أيونية وترعنها أثينا والجبهة الثانية فى الجنوب
وترعنها أسبرطة وتنتمى الى الدوريين وهما القوتان اللتان حددت
علاقتهما مسار تاريخ الاغريق .

ولو تركنا أثر الموقع على تحديد علاقة أثينا بسائر الاغريق واتجهنا
الى أثر البيئة والمناخ والمصادر الطبيعية على تكوين الدولة الأثينية
ذاتها ، لوجدنا أن مناخ أثينا كان من أكثر مناطق بلاد اليونان جفافا ،
فهى قليلة المطر معظم أيام السنة وعموما كانت منطقة جبلية وسهولها
المنحصرة بين الجبال ضيقة وتربتها فقيرة نسبيا ولا يناسب مناخها زراعة
القمح بوفرة وبمساحات تكفى غذاء سائر السكان ولما كان الاغريق
كسائر شعوب البحر الأبيض المتوسط يعتمدون فى غذائهم على الخبز
حتى أن علماء السكان لقبوهم بفئة آكلة الخبز (artophagi) فقد
كان النقص فى إنتاج القمح هو المشكلة الأساسية بالنسبة الى الأثينيين ،
وهذه المشكلة هى العامل المحرك للسياسة الأثينية ولعلاقتها بالاغريق
الآخرين وبسائر دول العالم . ولهذا لجأت أثينا الى اقامة علاقات تجارية
مع مصر أشهر صومعة للغلال فى العالم القديم وشراء القمح المصرى عن
طريق القضة التى كانت ممدنا نادرا فى مصر بينما توجد بوفرة فى مناجم
اللاوريون Laurion ، ولما سقطت مصر فى حوزة الفرس وأصبح
الاعتماد على قمحها ضربا من ضروب المقامرة لجأت أثينا الى توسيع
مستوطناتها فى منطقة البحر الأسود أغنى مناطق العالم بإنتاج القمح

وأصبحت هذه المنطقة جوهرة الامبراطورية الاثينية وعلى استعداد لأن تقاوم من أجلها حتى الموت ، كما لجأت أثينا الى تحسين علاقاتها بمستوطنة قورينة بالرغم من أنها كانت منطقة نفوذ دورى تابع للأسبرطة .

لكن الطبيعة عوضت أثينا عن ضعف انتاج القمح بوفرة أشجار الزيتون والكروم ، وكانت شجرة الزيتون هي حياة الاغريق حيث استخدم زيتها بل وجعلها رمزا للحضارة والسلام فصور على واجهة معبد البارثينون الغربية الربة أثينا وهي تقتصر على بوسيدون لأنها ضربت الأرض بحربتها فأخرجت شجرة الزيتون ، بينما أخرج رب البحر عين ماء مالحة ١١ أما الكروم الذى كان ينبت بكثرة فقد صنع منه الاثينيون النبيذ الذى كانوا يحتفلون بعيدين له عيد فى الربيع وعيد فى الخريف حيث كانت تقام المهرجانات الثقافية والتي فيها ظهرت الدراما والتراجيديا احتفاء برب النبيذ ديونيسوس Dionysos ، بل كان الاثينيون يصدرون النبيذ وزيت الزيتون فى أواني فخارية جيدة الصنع ومضقولة وذات رسوم متنوعة من أساطيرهم ومن حياتهم اليومية وقد وجدت هذا الأواني منتشرة فى مساحة كبيرة من حوض البحر المتوسط ومنطقة البحر الأسود وجنوب إيطاليا وبذلك عرفنا مدى انتشار النشاط التجارى وعن طريق تحديد عصور صناعة هذه الأواني المتنوع أمكننا تحديد هذا النشاط زمنيا ، بل اتنا أيضا عرفنا الكثير عن الأساطير الاغريقية ومظاهر الحياة اليومية من المناظر المصورة على هذه الأواني الجميلة والتي تنتشر فى متاحف العالم كله . وإلى جانب الكروم وزيت الزيتون كانت أتيكا تشتهر بتربية النحل التى تخرج العسل الجيد وبالأسماك التى كانت تصنع وتملح فضلا عن وجود مساحات كبرى من المراعى التى عاشت عليها قطعان كبيرة من الماشية والاغنام ، مما زود البلاد بثروة حيوانية كبيرة استفادت منها وصدرت أصوافها .

الى جانب ذلك فقد كان يوجد فى أتيكا العديد من المحاجر التى ساعدت الاثينيين على البناء والعمران ، ومناجم الرخام الجميل التى شجعت فنانيها على نحتها وتشكيلها الى تماثيل حية تكاد أن تنطق بالحياة بل كانت أثينا تصدر الرخام الى البلاد التى لا يوجد بها رخام كمصر ،

وشمال أفريقيا وحوض البحر الأسود ، كما اشتهرت شواطئ أنيكيا بالطين الجيد الذى شجع الأثينيين على صناعة الفخار منه وصناعة الخزف والتماثيل الصغيرة بعد حرقها عند درجة حرارة معينة فى أفران خاصة وتصدير ذلك الى خارج البلاد . أما مناجم الفضة فى لأوريون فقد كانت عاملا من عوامل الثراء التى ساعدت أثينا على سك عملة من الفضة الخالصة فرضت احترامها فى عالم التجارة والتعامل . كما كان يوجد فى اتيكيا مناجم الرصاص والنحاس والحديد وقد استغلها الاثينيون فى صناعة المطروقات والأسلحة التى صدروها أيضا الى مناطق مختلفة من العالم وكانت مصدرا كبيرا من مصادر الدخل . لكننا لا نستطيع أن نعتبر الحضارة الاغريقية فى أثينا حضارة صناعية أبدا لأن الزراعة بقيت هى الجوهر الأول فيها .

غير أن البحر الذى يحيط بأتيكا ذات التواطئ المترجة الطويلة هيا لها خلجانا وموانئ طبيعية جعلها تطل على جهات متعددة على بحر ايجه وعلى أيونيا وعلى البحر المتوسط جنوبا وشمالا على بحر مرمرة ، فضلا عن وجود الجبال التى فصلها عن بوءتيا وعن البيلوبونيس جعل أثيكيا تتجه الى البحر لحل مشاكلها الغذائية والبحث عن حضارات الشعوب وخبراتها ولهذا كان الأثينيون بشهادة ثوكوديديس مجددون يعكس الاسبرطيين الذين كانوا محافظين متحجرين .

وكانت أثينا - عاصمة إقليم أتيكا - تتوسط سهل كيفيسوس أغنى سهول أتيكا ذات تاريخ حضارى قديم وقد أمكن العثور على آثار ترجع الى العصر الحجري الحديث فيها . وقد ذكرت الأساطير قصة ثيسوس ابن ملك أثينا الذى نجح فى ذبح المينوتور الكرىتى وتخليص عبودية الأثينيين للملك مينوس ملك كريت ويعتقد بعض العلماء أن هذه الأسطورة ترمز الى وجود نوع من العلاقة مع كريت منذ الألف الثالث ق . م ، كما أن الحفائر الأثرية كشفت عن وجود نوع من التحصينات حول الاكروبول شبيهة بتحصينات الموكينيين خاصة فى مدينة تيرس ، وكان قلب أثينا هو الاكربول (Acropolis) تلك الصخرة البياضوية

الشكل التي يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٠٠ قدما وعرضها من الشرق الى الغرب حوالي ١٠٠٠ قدم ومن الشمال الى الجنوب حوالي ٤٨٠ قدم ولا يمكن الوصول اليها الا من ناحية الغرب حيث تنحدر الصخرة تدريجيا وقد أحيطت بأقي الجهات بالحوائط الضخمة المحصنة مما جعلها مركز الحماية لسكان النهل من المدوان ومركز الحكومة والمكان المقدس للمعابد والتجمع في المناسبات العامة أو للعروض والمهرجانات . هكذا أصبح الاكروبول هو مركز ادارة المدينة وقلمتها ، وقلب الدولة المتحدة .

هكذا نستطيع أن نقول أن الطبيعة وهبت أثينا ظروفها جعلتها تتحكم في اقليم أتيكا وتدمجه فيها وتلعب بالنسبة له دور العاصمة ومركز القيادة الدفاعية والفكرية والروحية كما أن اقليم أتيكا أمدها بالمصادر الطبيعية مما جعلها قادرة على صناعة الحضارة وأن تقوم بدور كبير في حياة وقدر الاغريق .

لكن جدير بالذكر أيضا أن نقول أن أثينا لم تكن مشهورة أيام الحروب الطروادية التي دارت رحاها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد لأن دورها كان صغيرا وربما كانت قرية صغيرة يحكمها ملك على طريقة الملوك الموكيئين ويساعده مجلس من الشيوخ ورؤساء العشائر ، بينما كان يلعب مجلس المحاربين أو العامة دورا رمزيا . لكن بعد تدمير الدوريين لمدن الحضارة الموكينية في اليلوبونيسوس وهجرة هؤلاء السكان الى أتيكا التي فتحت أبوابها لهم وامتزجت بهم خاصة سكان مدينة بيلوس Pylos ونشأ العصر الاتيكي اليلي Pylo-Attic الذي ورث الحضارة والثقافة الموكينية وحماها من الدمار الدوري وأصبحت بذلك محط آمال الاغريق الايونيين .

وجدير بالذكر أيضا أن العصر الجديد الذي أثرى سكان أتيكا بالتراث والتاريخ والخبرة والثقافة هو الذي سبب تضخم عدد السكان في أتيكا كنتيجة للغزو الدوري لدرجة أصبح عندها يهدد باقتجار سكانى نادرة أن مصادر الاقليم كانت لا تسمح باطعام عدد كبير من السكان

ومن ثم فقد قام العنصر الاثيني - الموكيني بتشجيع الهجرة الى ساحل آسيا الصغرى الغربى حيث قامت مدن أيونيا التى انتقلت اليها الحضارة الاغريقية لتمتزج بحضارات الشرق القديم وتزود من خبراتها وتجارب شعوبها ، ولهذا من أيونيا برغت شمس الحضارة الاغريقية الجديدة ممثلة فى الاشعار الهومرية وفى الفلسفة الايونية الطبيعية العلمية ، لتنتقل بعد ذلك الى أتيكا ولتجعل منها مركزا للحضارة الاغريقية .

غير أن القتاح أثينا على الشرق وعلى تجارب الشعوب فيه سبب صراعا اجتماعيا جعل السكان يمرون بسلسلة طويلة من الصراع الطبقي والاجتماعى بحثا عن نظام حكم عادل يرضى جميع الطبقات والذي انتهى بنظام الحكم الاثيني الذى يعرف بالديموقراطية .

• بنور الديمقراطية الاثينية :

أهم ما خلفته أثينا للحضارة الانسانية كلمة «الديمقراطية» وهى تعنى حكم الشعب مجتمعا حتى وإن اختلف مفهومها فى عصرنا الحاضر .

كانت الديمقراطية الاثينية مرحلة منطقية بعد الانتقال من الملكية الارستقراطية (١) لقد كان ظهور هذا النظام الجديد نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية كثيرة أهمها اختراع النقود . وأغلب الظن أن فكرة النقود جاءت الى بلاد الاغريق من آسيا الصغرى وعلى وجه الدقة من سلطنة ليديا بعد عام ٧٠٠ ق . م بقليل وسرعان ما تلقت المدن الاغريقية هذه الفكرة وتبارت فى صك نقودها واضعة عليها شعارها فيما عدا اسبرطة التى التزمت بالنظام الجماعى الذى حرم الملكية الخاصة ولم تستخدم النقود كباقي مدن بلاد اليونان بل لجأت الى استخدام القضبان الحديدية لتحديد القيمة المالية اذا لزم الامر . ومما لاشك فيه فإن صك النقود ساعد على الثورة التجارية الكبرى وقد يكون احدى نتائجها وقد عرفنا أن الثورة التجارية الكبرى وتطور صناعة السفن من القوارب

(1) Donlan, «A note on «aristot» as a Class term, Philologus, CXIII, 1969, p. 268.

الشرعية الى السفن ذات الثلاث طوبق من المجدفين **Triremes** أدى في النهاية الى حركة الاستيطان الكبرى والتي سبق لحدث عنها .

وإذا كان صك النقود قد ساعد على انعاش التجارة والهجرة الاستيطانية فقد كان بداية لثورة اجتماعية كبرى عصفت بالنظام الاثيني طويلا - والنقود سهلة الجمع والتخزين أكثر من مواد الملكية الزراعية والحيوانية والطبيعية الأخرى . ومعنى ذلك أن بعض الناس أثروا اثرأ فاحشاً بتخزين هذه النقود وبمرور الزمن ازداد الغنى غنا والفقير فقرا . وأصبح هناك هوة كبيرة تفصل بين الأغنياء والفقراء . ووجد الفقير نفسه يلجأ الى الاستدانة من المرايين الأغنياء وعندما يعجزون عن تسديد الديون ذات الفوائد الباهظة كانوا يصبحون عبيدا لدائنيهم ، يعملون في مزارعهم ويبيعون في أسواق النخاسة ولم يستطع الفقراء أن يحركوا ساكنا لأن السلطة كانت مركزة في أيدي الارستقراطيين بالرغم من أن الملك كان موجودا الا أنه كان يملك ولا يحكم ومجرد موظف كبير بعد أن سلبت سلطاته فمثلا سلبت منه السلطة العسكرية عندما أنشأت وظيفة قائد الجيش **Polemarch** ثم انتزعت منه السلطة الادارية بانشاء وظيفة للأرخون **Archon** وهكذا وضحت خطوط الحكم في أثينا في أيدي ثلاث يتكون من الملك **Basileus** وقائد الجيش والأرخون ، وفي بادىء الأمر كان شغل هذه الوظائف الثلاث مدى الحياة ثم عدلت الى عشر سنوات في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ثم الى سنة واحدة وكان ذلك في أوائل القرن السابع (٦٨٠ ق م) وبعد مرور فترة من الزمن أضيف الى هذا الثلاث مجلس العدالة **Thesmothetao** وهو يتكون من ست من الفقهاء مهمتهم التشريع وتسجيل ومراقبة تطبيق القوانين . وهكذا صبحت شئون الدولة الاثينية تدار عن طريق مجلس التسعة والذي يتكون من الثلاث الأول بالإضافة الى المجلس السادس الثاني .

والى جانب مجلس التسعة كانت توجد محكمة الأريوباجوس

Areopagus وكان أعضاؤها من الموظفين السابقين والذين أقاموا من أنفسهم حماة وأوصياء على القوانين وعلى إجراء الانتخابات للمجلس السابق فهي هيئة دائمة عضويتها مدى الحياة وكانت تجتمع فوق صخرة عالية على مقربة من الاكروبول حيث يلقون بالذين يحكمون عليهم بالاعدام .

أما من ناحية التركيب القبلى للدولة الاثينية في أتيكا فنجده السكان ينقسمون الى أربعة قبائل تتخذ كل منها اسما مميزا قد يمتد عبر الحدود ويشارك مع أسماء القبائل الأيولية الأخرى . بينما انقسم السكان الى طبقات اجتماعية هي :

(١) النبلاء **Eupatridas** وعملهم تولى الوظائف العليا في الدولة وفي الجيش .

(ب) المزارعون **Georgoi**

(ج) الحرفيون وأصحاب الأعمال الحرة **Demiurgi** وكانوا يحتكرون التجارة والبيع والشراء .

وفي نهاية هذا الهرم الاجتماعي يجيء طبقة معدمة لا تملك أرضا تزرعها أو مالا تجر فيه رجالها يعيشون من العمل في مزارع الملاك نظير جزء صغير من المحصول ولذا أطلق عليهم اسم أصحاب السدس . وعلى أى حال ظلت طبقة النبلاء تحتكر الوظائف الكبرى السابقة وكانت عضوية محكمة الأريوباجوس وقفا عليهم وكانوا يمتلكون اقطاعيات زراعية يقوم المخدمون والرقى بزراعتها .

محاولة كولون Kylon الفاشلة لاقامة دكتاتورية :

حقيقة ظلت دويلة مدينة أثينا تقوم على حكم الارستقراطية حتى أوائل القرن السابع، ولكن منذ حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد حدث تطوير في نظام الجيش وفي التكتيك الحربى كانت له نتائج خطيرة على المفهوم الاجتماعي السابق فقد كان نظام الدفاع في عصر الجمهورية الاثينية الارستقراطية يقوم أساساً على الأشرف الذين يقودون أتباعهم الى الحرب .

وكان هؤلاء الأشراف يكونون سلاح الفرسان مسيحين ولكن منذ القرن السابع نجد ثورة في التنظيم والتكتيك العسكري تنسب أحيانا الى الملك فيدون ملك أرجوس وهو قيام نظام المشاة المسلحين تسليحا ثقيلا ويعرفون باسم Hoplites وبذلك كسر احتكار الارستقراطيين للجيش الذي أصبح يتطلب أعدادا غفيرة من الطبقات المتوسطة والتي سارعت بالانضمام اليه ، ولما أحس جنود الجيش بأهميتهم في الحروب والمعارك طالبوا بامتيازات جديدة لأن الظروف العسكرية غيرت الأحوال الاجتماعية وساعد على ذلك ظهور النقود التي خلقت طبقات جديدة ثرية وقوية النفوذ وكانت أول دولة سكنت النقود هي جزيرة أيجينا الصغيرة Aegina القرية من ساحل أتيكا ثم تبارت المدن الاغريقية في سك عملتها الخاصة ، وبلغ من تفاقم الأمة الاجتماعية في أتيكا أن حاول أحد النبلاء الأثينيين وهو كولون Kylon الاستيلاء على مقر الحكم فوق الأكروبول بالقوة وذلك حوالي عام ٦٣٠ ق م ولكن هذه المؤامرة اكتشفت والتجأ أعوان كولون وأنصاره الى إحدى المعابد الاغريقية معتمنين بالحماية الآلهية المقدسة asyium ولكن أرخون هذا العام وكان اسمه ميجاكليس Megacles طلب منهم مغادرة ملجئهم مقابل العفو التام عنهم وما أن غادروه حتى ألقي القبض عليهم وهذ فيهم حكم الاعدام مما آثار امتعاض الناس ضده وضد أسرته الحاكمة من آل الكمايون Alcameonidae لأنهم تعدوا قوانين الآلهة ضد اللاجئين بأرامة دمائهم باردا مما أدى الى تهى أسرة آل الكمايون كلها من أتيكا . ولكن أفراد هذه الأسرة بقوا يتآمرون ويملقون كهنة دثمي لكي يعودوا الى الحكم في أتيكا .

قوانين دراكون : Draconic laws

أحس الارستقراطيون بأنهم نجحوا في كشف مؤامرة كانت تهدف الى القضاء عليهم وعلى نظام حكمهم ولكنهم شعروا أنه لا بد من وضع تعديل في القانون ليمنع من مثل هذه المؤامرات مستقبلا . فعينوا أرخونا اسمه دراكون عام ٦٢١ وأعطوه سلطات استثنائية لمراجعة القوانين والدستور . فوضع قوانينا اشتهرت بقسوتها وصرامتها حتى أن كلمة

دراكونى أصبحت مضرب الأمثال للقسوة واليأس وكما ذكر أحد الخطباء أن قوانين دراكون لم تكتب بالجبر بل بالدم. ويبدو أن دراكون جعل الأعدام عقوبة لأقل خطأ يرتكب وقد اعتبر دراكون جريمة القتل من كبريات الجرائم Homicide (١) وهو الشيء الذى بقى حيا فى قوانيننا المعاصرة لكننا لا نعرف الى أى مدى حاول دراكون اصلاح الدستور الاثينى ، ولكن المصادر المتأخرة وصفته بأنه هو الذى منح الجنسية لكل مواطن يقدر على تسليح نفسه للحرب . وربما استمد المشرع سولون الكثير من اصلاحات دراكون وأصبحت تنتسب اليه . ومهما يقال عن قسوة قوانين دراكون الا أنها أعطت الطبقات الدنيا حقوقا أمام انقانون بدلا من الحرمان والتجاهل فى العهود السابقة . وهذه خطوة نحو الاعتراف بهم .

سولون الارخون المشرع : Solon

لم تخفف اصلاحات دراكون من خطورة الموقف على الإطلاق اذ أخذت أعداد المعدمين تزداد وبدأوا يفقدون حريتهم ويصبحون عبيدا لدائنيهم وبدأت أثينا وكأنها مقبلة على ثورة اجتماعية كبرى لولا أن ظهر فى الأفق ارستقراطى معتدل ووطنى متطرف اسمه سولون ، وقد أصبح هذا الارستقراطى أرخونا عاما ٥٩٤ ق.م وسمى بالارخون الموفق لأنه استطاع عن طريق ارضاء كل الأطراف المتنازعة وعن طريق اللجوء الى أنصاف الحلول من تهدئة الموقف وتمييع قضية الطبقات المحرومة .

كان سولون ينحدر من أسرة أثينية وقد قيل أن أباه كان مسرفا أضاع الكثير من ثروته فأرسل ابنه ليعمل بالتجارة فى البلاد البعيدة لكي يستعير ثروته . ولكن سولون انتهز هذه الفرصة وتعلم من البلاد التى زارها كما درس تشريعات دراكون وتفهّمها وصمم على أن يوفق بين طرفي النزاع فى المجتمع ، وهم الذين يملكون The haves والذين لا يملكون The have-nots قبل أن يوجه البلاد الى طريق الديمقراطية المعتدلة ويحقق التوافق بين الطبقات .

(١) هل جاءت قوانين دراكون القائمة على الثار من القائل نتيجة لإامرة كولون وقتل المشتركين فيها هذا ما يناقشه :

تحدث الأقايسص عن سولون الشاعر والوطني الفيور والجندي الشجاع فتروى للأقايسص أن تراعا شب بين مدينة أثينا ومدينة ميجارا القريبة منها حول امتلاك جزيرة سلاميس وحدث أن أعلن أهل أثينا تنازلهم عن حقهم في المطالبة بجزيرة سلاميس ، ولكن سولون رفض أن يقبل ذلك وانطلق الى سوق المدينة العامة Agora وألقى قصيدة من الشعر الحماسي وضح فيها أهمية موت هذه الجزيرة لأمن أثينا وهتف الناس به قائدا واستطاع أن يعيد سلاميس لأثينا وأصبحت منذ ذلك الوقت جزءا لا يتجزأ منها . وقد ثبت أهمية هذه الجزيرة عندما هاجم الأسطول والجيش الفارسي بلاد اليونان حيث حقق الإثينيون نصرا حاسما في موقعة بحرية في المضيق البحري بين الجزيرة وشاطئ بلاد اليونان . أدرك سولون خطورة الديون وخطر الدائنين على المدينين وأن الخطر يتحتم عليه اتخاذ خطوة حاسمة وجريئة . وساعد على ذلك أن كافة الطوائف وثقت به فانتخبته أرخونا عام ٥٩٤ ق م وبدأ على الفور في تعديل الاحوال الاجتماعية عن طريق برنامج اصلاحي شمل النقاط الآتية :

(ا) إلغاء الديون و رهن الحرية :

بدأ سولون اصلاحه بإلغاء الديون Seisachtheta (وهي كلمة يونانية تعني هز ما يثقل ظهور الناس) كما حرم رهن الانسان العسر لنفسه لقاء دين حتى لا يصبح المدين عبدا لدائنه .

(ب) الحد من البذخ والاسراف :

راع سولون أن الأغنياء ينفقون بشرف في مناسباتهم مثل الشعائر الجنائزية وفي حفلات الزواج وغيرها من المناسبات وحدد مبلغا معيناً كحد أقصى ينفق على هذه المظاهر الاجتماعية حتى لا يثير بذخ الأغنياء حقد الفقراء الذي قد يدفعهم الى الثورة .

(ج) تعدير تصدير القمح :

أدرك سولون أن انتاج اقليم أتيكا من القمح لا يكاد يكفي سكانه وبالرغم من ذلك فقد كان التجار الأثينيون يتاجرون فيه ويصدرونه للمدن المجاورة الأخرى وغيرها من البلدان ثم يستوردونه مرة أخرى الى أثينا

ليباع بأسعار باهظة وهكذا وجدوا في ذلك موردا للكسب السريع وعلى ذلك حرم سولون تصدير القمح خارج أتيكا وجعل التصدير وقفا على زيت الزيتون والمصنعات حتى يهبط ثمنه ويضمن الفقراء خبزهم .

(د) تشجيع الصناعة وتصديرها :

شجع سولون الصناع وألزم كل والد أن يعلم ابنه حرفة أو تجارة حتى لا يشب عاطلا كما شجع الحرفيين الأجانب على العيش في أتيينا بالرغم أنه لم يعتبرهم مواطنين بل عرف وضعهم الاجتماعي «بأصحاب المهن» Metikoi . وكان هدف سولون هو أن يشجع الصناعة الأثينية لأن الأواني والصناعات الكورثية كانت تحتكر الأسواق وقتئذ وبالفعل بدأت صناعة الأواني الأثينية تأخذ طريقها الى الأسواق الخارجية . وكانت هذه بداية لصناعة اشتهرت بها أتيينا فيما بعد . ومن الرسوم التي كانت تزينها تستقي مصادرها عن الحياة الاجتماعية واليومية بل والدينية أيضا . كما غير سولون النظام النقدي فاستخدم للمعاملة المالية وحدة جزيرة يوبويا النقدية Euboea لأنها كانت أكثر شيوعا من وحدة جزيرة ايجينا المالية Aegina والتي كانت مستخدمة في أتيينا قبل مجيء سولون كما نسب اليه إعادة تنظيم الموازين والمكاييل والمقاييس (١) .

(هـ) إلغاء قوانين دراكون الارهابية :

أدرك سولون أيضا أن قوانين دراكون قاسية أكثر مما ينبغي فألغاها كلية الا فيما يختص بجرائم قتل المواطنين homicide لانهاقه معه في شناعة هذا الجرم . وبالتالي فرض عقوبة الاعدام على من يرتكب هذه الجريمة .

(1) E. Levy ; La reforme Solonienne des mesures, poids et monnaies. A propos d'une Controverse, recente, Gazette Numismatique Suisse, XXIII, 1973, Cahier 89, p 1-6; (R H CCXLVI, 1971, p 109).

حيث يؤكد ما ذكره كراي من قبل من ارتباط إعادة تنظيم النقد بإعادة تنظيم المقاييس والموازين والمعايير لكن آخرين يفصلون بين اصلاح النقد وبرون لا علاقة له بالموازين انظر :

M.H. Crawford : «Solon's alleged reform of weights of measures, Eirena, X, 1972, p. 5-8.

(و) إعادة تنظيم الوضع الاجتماعى :

وبعد أن وضع سولون أساس الصناعة الأثينية أرتأى إعادة تحديد الامتيازات الطبقية لأرضاء كافة الطبقات • فمثلا منح بروليتاريا المجتمع الأتيكى الحق فى أن يصبحوا أعضاء فى تنظيم شعبى هو الجمعية العامة Ecclesia كما منحهم حق العمل كمحلفين فى القضايا العامة • ولذا أعاد تقسيم طبقات المجتمع حسب ما تملكه كل طبقة من أموال أو حسب النظام التيموقراطى (Timocracy) (١) وعلى ذلك قسم الأثينيين الى الطبقات الاجتماعية التالية :

الأغنياء : وعرفهم بالذين لا تقل ملكيتهم عن خمسمائة مكيال من الحبوب Pentacosiomedimni وجعلهم يتربعسون على رأس الهرم الاجتماعى ويتمتعون دون غيرهم بشغل الوظائف الكبرى مثل منصب الأرخون ومناصب الجيش والادارة •

الفرسان : Hippeis وهم الطبقة المتوسطة ومنحهم حق شغل الوظائف الصفرى التى تلى الوظائف الكبرى فى الأهمية •

الحرفيون : Zeugitao وتستوعوا بالعمل بالتجارة وزراعة الارض ويبيض المناصب الصفرى والحرف •

المعدمون : أو الذين « لا يملكون » Thetes وهم يشملون بروليتاريا المجتمع الأثينى وحرم عليهم الوظائف الرسمية تماما مقابل عضوية الجمعية العامة والعمل كمحلفين فى المحاكم بلا أجر وقد أعطى سولون لهذا المجلس سلطات هامة مثل السلطة القانونية ومراقبة سير العمل وحق استدعاء الموظفين والاستماع الى تقاريرهم فى نهاية مدد وظائفهم وعلى ذلك يمكن القول بأن سولون وضع بين يدى الطبقات الدنيا سلطات كبرى وجعلهم هم المسيطرون على الدولة وهذا بداية الطريق الفعلى الى الديموقراطية •

(د) توزيع الوظائف حسب القبائل :

وحتى لا يعطى سولون الفرصة لفئة معينة لكي تحتكر وتسيطر على الدولة ابتدع نظام ترشيح الموظفين حسب قبائلهم . فكانت كل قبيلة ترشح عشرة من أبنائها للشغل وظيفه الأرخون ثم تجرى القرعة بين المرشحين لاختيار العدد المطلوب .

(ح) انشاء مجلس الاربعماية :

وعن طريق النظام القبلي السابق ذكره كون سولون مجلسا تشريعيا من الطبقات الثلاث الأولى للإشراف على ادارة شئون الدولة واجراء الانتخابات وجعله هيئة تنظيمية لها وزنها في ادارة شئون البلاد . وكان هذا المجلس هو نواة مجلس الشيوخ الذى عرف بمجلس « البولي » فيما بعد .

(ط) تعزيز سلطة المحكمة الدستورية : Areopagus

وأخيرا عزز سولون من مركز محكمة الاريوباجوس والتي كان مركزها قد تزعزع نتيجة للصراع الطبقي الاجتماعى وجعلها حامية للقوانين وللدستور وأعلى سلطة دستورية والرقب العام على الأخلاق والسلوك العام . وكانت هذه المحكمة تمثل نفوذ الارستقراطيين .

ان نظرة عامة على اصلاحات سولون تجعلنا نحس بأنه لم يقم بثورة اجتماعية هدمت النظام القديم وقضت على الظلم الاجتماعى تماما (١) وعلى الارستقراطيين مصدر هذه القلاقل لأنه كان أرستقراطيا نفسه ، وان كان قد حد من نفوذ الطبقة الارستقراطية الا أنه تركها قوية كما كانت، ونستنتج من هذا أن سولون بنى نظامه الجديد على الملكية أو ما يعرف بالنظام التيموقراطى هيئة فقد خطى سولون خطوة كبيرة بالمجتمع الاثينى نحو الديمقراطية Timocracia حيث ترتبط فيه الامتيازات السياسية بالوضع الاجتماعى

(١) من الجدير بالذكر ان الشاعر والسياسى ثيوچنيس الميجارى Theognis of Megara قلد في نهاية القرن السادس أعمال سولون منعا لحدوث ثورة ضد أسرته الارستقراطية وبمعتبر من الشعراء القلائل الذين خلدوا آراءهم الايديولوجية في قصائد الشعر أنظر :

Al, Dovatur Theognis von Megara und sein soziales Ideal, Klio, LIV, 1972 p. 77 ff.
وعن تأثير اصلاحات سولون في التشريع الرومانى أنظر المقال التالى :
J. H. Oliver " The Solonian Constitution and a Roman Consul of 149 A.D., G.R.B.S., XIII, 1972. pp. 99-101.

المعين ونظرا لوجود أغنياء باهظي الثراء في المجتمع الاثيني ، فقد وضع ذلك الكثير من الامتيازات السياسية في أيدي الذين يملكون الكثير . ولكن باعطائه سلطات للذين لا يملكون وهى سلطات كما رأينا ليست هيئة فقد خطى سولون خطوة كبيرة بالمجتمع الاثيني نحو الديمقراطية حتى أن الاثينيين لم ينسوا له ذلك عندما حققوا نظامهم الذين عرفوه باسم الديمقراطية وذلك ابان القرن الخامس قبل الميلاد فوصفوه بأنه أبو الديمقراطية ومؤسسها الاول .

تقول الروايات أن سولون بعد أن وضع تشريعه غادر أثينا ليتجول في بلاد عديدة لمدة عشرة سنوات حتى يعطى لنظامه الفرصة في أن يختبر نفسه وهو بعيد عنه، وزار سولون ابان رحلته هذه مصر وقبرص ومملكة ليديا Lydia في آسيا الصغرى . وقد ابتكرت الروايات قصة لقائه مع كرويسوس Croesus ملك ليديا الذى اشتهر بثرائه الاسطوري الفاحش وكيف أن كرويسوس تجول في صحبته ليريه خزائن ذاهبة ثم سأله عرضا عما اذا كان (سولون) يعرف من هو أسعد منه حظا . فروى له سولون حياة مواطن أثيني متوسط الحال ورب لأسرة مات وهو يقاتل من أجل وطنه ثم كرر كرويسوس السؤال عليه مرة أخرى فروى له سولون قصة شاين مانا من الارهاق بعد أن جرا عربة أمهما العجوز الى مهرجان ديني أقيم في دلفي (١) عندئذ غضب كرويسوس لأنه لا يجد لنفسه مكانا في قوائم السعداء عند الاغريق ثم شرح له سولون أن الاغريق لا يهتفون الانسان على نجاح أو في مناسبة سعيدة لأنهم يعلمون أن القدر يخبىء له ما هو سعيد أيضا وأنهم لا يعترفون بالانسان السعيد الا اذا مات سعيدا وأن الحياة في نظر الاغريق صراع لم ينته بعد فكيف يهتفون الانسان علن الفوز في جولة بينما لم تنته المباراة بعد (٢) ؟

وتستطرد الرواية فتروى أن الأحداث خبأت لكرويسوس ما تنبأ به

(١) هذان الفتيان هما كليوبيس Kleobis وبيتون Biton اللذان خلدا في تماثيل ضخمة Colossal ابان القرن السابع قبل الميلاد فيما يعرف بالكوروى (koroi)

(٢) هيرودوت الكتاب الاول . فقرة ٣٠ وما بعدها .

سولون فقد زحف ملك الفرس قورش واستولى على مملكة ليديا وقبض على كرويسوس وأوثقه ووضع فوق كومة من الأخشاب أشعل فيها النار ولما أحس كرويسوس بأن النار قد أوشكت أن تلتحق به تذكر سولون الحكيم وقوله له : « نحن نتظر حتى نهاية الصراع » فهتف باسمه ثلاث مرات وسمعه قورش وأمر بحل وثاقه ليسأله عن سولون هذا ولما روى له القصة أمر بالمفو عنه واتخذ صديقا له .

تلك هي الاقصومة التي رواها لنا هيرودوت بالرغم من أن هناك فارقا زمنيا بين سولون وبين حكم كرويسوس يبلغ أربعة وثلاثين عاما الا أنها تلفت النظر الى تقايم خطر الفرس في آسيا الصغرى واحتلالهم مملكة ليديا وتهديدهم للمدن الاغريقية الموجودة على ساحل آسيا الصغرى .

وعاد سولون من رحلته التي امتدت الى عشر سنين ولدهشته وجد أن اصلاحاته لم تقض على الخطر بل أخرت في انهجارد . لأنه ترك المتطرفين من كلا الأطراف المتنازعة يعملون لمنازلة كبرى من أجل الاستيلاء على الحكم ووجد المجتمع الاثيني منقسما على نفسه الى ثلاثة أحزاب متقاتلة هي حزب الجبل وحزب السهل وحزب الشاطئ حيث كان يتزعم كل منهم زعيم . كما وجد أن أحد أقربائه ويدعى بيستراتوس Peisistratus يتزعم حزب الجبل ويكون عصاة تحتل الاكروبول ثم ينصب نفسه حاكما مطلقا أو طاغيا على البلاد وهو نظام حكم جديد لم تعرفه البلاد من قبل .

(١) عن صراع الاحزاب الثلاثة بعد سولون انظر :

(1) E. Klume, "Bemerkungen zu den Diskussionen über der drei «Parteien» in Attika zur Zeit der Machtergreifung des Peisistratos», *Klio* LIV, 1972, p. 101-124.

الفصل الثامن عصر الطغاة الاغريق أو قيام دكتاتورية الفرد الواحد (Greek Tyrants)

أطلق الاغريق على كل من ينتزع الحكم بالقوة ليقيم من نفسه حاكما على أشلاء الدستور لفظ «الطاغي» Tyrannos ولقد مرت بلاد اليونان

يرى البعض ان فكرة حكم الطغاة جاءت الى بلاد اليونان من آسيا الصغرى وعلى وجه التحديد من ليديا حيث قلدوا حكم ملكها جوجيس Gyges أنظر :

J. Labarbe, " L' apparition de la notion de tyrannie dans la Grece antique, Acta Classica, XL (1972), p. 471-504.

ويرى بعض آخر ان ظاهرة قيام حكم الطغاة تطور طبيعي لظهور فئة من العسكريين الطموحين استخدموا الجنود المشاة الثقيلي hoplites والمحترفين لقلب نظم الحكم الارستقراطية وتنصيب انفسهم بقوة السلاح حكاما منفردين مقلدين ملوك الشرق من أمثال جوجيس ملك ليديا وفراعنة الاسرة الصاوية خاصة بسماطيك أنظر :

R. Drews : The first Tyrants of Greece. Historia XXI, 1972, p. 129-144.

وهذه هي الآراء الحديثة بدلا من الآراء القديمة والتي يمثلها أور Ure الذي يربط هذه الظاهرة بالتطور الاجتماعي مثل ظهور الطبقة البرجوازية الجديدة ويشبه الموقف بأسرد المديتشي في فلورنسا ابان عصر النهضة حيث كانوا طغاة لانهم كانوا اغنياء قادرين على الاتفاق على الانقلابات العسكرية أنظر :

P.N. Ure, The Origins of Tyranny (1922).

وقد انتقد اندروز هذا الراى بأنه يتقم مفهومات سياسية معاصرة على هذه الظاهرة

Cf. A. Andrews, The Greek Tyants, Hutchinson University Library, 1966, p. 154.

كذلك راى نيلسون الذى يرجع ظاهرة الطغاة الى ظهور طبقة رجال الصناعة وازدهارها أنظر :

M.P. Nilsson, The Age of Early Greek Tyrants (Dill Memorial Lecture Belfast 1936).

بهذا النوع الجديد من الحكم ابان القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ولذا يطلق عليه بعصر الطفأة وهو نظام نشأ عندما انتزعت طائفة معينة من الشعب - عادة الطبقة الوسطى - الحكم عن طريق السلاح من الارستقراطيين الذين كان حكمهم يترشح في هذه الآونة . والحق يقال كان هذا الحكم أكفأ بكثير من حكم الارستقراطيين الذين فشلوا في معالجة المشاكل الاجتماعية بالسياسة والكياسة بل لجأوا الى القوة والعنف مثلما فعلت أسرة آل الكيمايون في أثينا ، بعد محاولة كولون الفاشلة .

لقد كان الطاغى الاغريقى يقيم من نفسه وصيا على الفقراء والموزين لكى يكسبهم الى جواره وكثيراً ما كان الطفأة عقلاء ومستبشرين بالرغم من أن بعضهم كان دمويًا وعنيفًا وارتكب أفعالاً تقشعر لها الأبدان حتى أصبحت الكلمة تعنى طاغية بمعنىومنا الحديث .

لقد ارتبط ظهور الطفأة بتدهور الأحوال الاجتماعية القديمة نتيجة للثورة التجارية الكبرى وما تلا ذلك من تقدم صناعى و طبقات غنية جديدة فافست طبقة النبلاء وطالبتها بالمزيد من الحقوق بل احتكت عليها لاحتكارها السلطة والحكم وحدها . كما أن التطور فى نظام الجيش الذى أصبح يعتمد على جنود الطبقة المتوسطة أثر تأثيراً كبيراً اذ أدركت هذه الطبقة التى ملأت صفوف الجيش أن ييدها وحدها يتحقق سلام الأمة حتى أنها أصبحت تلقب نفسها بالشعب Demos ويبرز من بين صفوفها زعماء ، خاصة عندما اندلعت الصراعات عند الأزمات (١) الداخلية الناتجة من الصراع والتخلخل الاجتماعى أو من وجود خطر خارجى ، وكان قائد الجيش بعد عودته من ميدان المعركة ظاهراً حيث تستقبله الجماهير بالهتاف والتصفيق يجد الطريق مفتوحاً أمامه لانتزاع السلطة بقوة السلاح مخالفاً الدساتير والعرف والقوانين ليجعل من

(١) من تطور معنى كلمة Demos الى مفهوم اجتماعى وسياسى انظر :

W. Donlon, «Changes and Shifts in the meaning of «Demos», in the Archaic Period, Pars. del Pass CXXXV, 1970. p. 381-395.

نفسه حاكما منفردا غير شرعى وهذا ما تعنيه كلمة تورانوس Tyrannos (التى ترجمت خطأ الى « طاغية » (١) فى اللغة العربية) والمثل على ذلك واضح فى حالة جيلون طاغية سيراكوزة Gelon Tyrant of Syracuse الذى بعد انتصاره على أهل قرطاجنة الذين غزوا جزيرة صقلية عام ٤٨٠ ق.م نصب نفسه طاغية عليها . وفى بعض الأحيان كان قائد الجيش يقوم بانقلابه بحجة أنه ذاهب للدفاع عن الوطن فى وجه خطر خارجى والمثل فى ذلك واضح من حالة الطاغية ديونيسيوس Dionysius الأول الذى قام بانقلابه قبل ذهابه لانتقاذ الأمة من الخطر الخارجى الذى كان يحيق بها وفى بعض الأحيان نجد « الطغاة » ينحدرون من أسر أرستقراطية ناقمة على الحكم الارستقراطى نفسه . كما أن بعض الطغاة كانوا من أسرة قادرة (٢) على تمويل الانقلاب أو أسر جمعت لنفسها رأس مال من التجارة وأثرت أن تترغم التبعات الدنيا واستخدامها وتجنيد عواطفها للوصول الى الحكم . بالإضافة الى ذلك كان هناك طبقة من الطغاة العملاء كالذين أقامهم الفرس على مدن ساحل آسيا الصغرى فى ظلال حمايات عسكرية ليحكموا باسمهم فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد .

وبالرغم من أن الطغاة الاغريق وجدوا فى كافة المدن الاغريقية على كافة عصورها (منذ القرن السابع قبل الميلاد عندما بدأ حكم الارستقراطيين يترنح حتى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد قبيل سقوط بلاد اليونان فى « حوزة » روما) إلا أن العرف جرى على جعل عصر الطغاة فى بلاد اليونان يبدأ من عام ٦٥٠ ق.م (عندما استطاع كوبسيلوس Cypselus فى كورثا من أن يسقط حكم أسرة آل باخيس Baucides ويقيم من نفسه طاغيا على المدينة) وينتهى فى عام ٥١٠ ق.م (عندما تمكن الأثينيون من طرد هيبياس Hippias ابن الطاغية

(١) اشتق اللفظ العربى من الفعل طغى بطنى أى جار وزاد على الحد أو بمعنى يثور ويجور ، لكن المعنى فى اللغة العربية مثل اللغات الأوروبية الحديثة يتضمن الشر والأذى فى السلوك ، لكن الكلمة الاغريقية لا تنظر الى ذلك الجانب بتاتا وإنما تعنى الوصول الى الانفرد بالحكم بدون القانون ورغما عن القانون . بصرف النظر عما إذا كان « الطاغى » خيرا أو شريرا .

يستراتوس من أثينا وإعلان الحكم الديمقراطي (ومن أشهر الطغاة في هذا العصر طغاة مدينة كورثا مثل كوسيلوس وابنه برياندر Periander وبسماثيخوس Psammaticus وكذلك طغاة مدينة سيكيون من آل أورثاجوراس Orthagoras ^(١) وعلى رأسهم كليستينيس Cleisthenes وأيضاً طغاة مدينة ميغارا Megara وعلى رأسهم ثياجينيس Theagenes وبالنسبة لنا فان آل كوسيلوس في كورثا وآل بيستراتوس Peisistratus في أثينا يعتبرون من أهم الطغاة الذين أثروا في تاريخ الاغريق . وفي بعض الأحيان كان الطغاة يساندون بعضهم البعض ويقيمون بينهم أواصر الصداقة والقرابة والمصاهرة . وكانوا حلفاء لبعضهم البعض . هكذا على امتداد المائة والأربعين عاما خبرت المدن الاغريقية هذا النوع من الحكم الجديد والغريب أنه هو الذي وضع حد النهاية للاستبداد الارستقراطي ورعوته وعدم قدرته على مسايرة التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع ، كما أن نظام الطغاة نفسه كان مقدمة للنظام الديمقراطي الذي تلاه، اذ يمكن أن نقول باختصار أن عصر الطغاة كان فترة انتقال بين الحكم الارستقراطي القديم والحكم الديمقراطي الجديد .

كورثا تقيم نظام حكم الطغاة والمدن اليونانية تحذو حذوها :

قبل أن نتحدث عن ثورة كورثا ضد الارستقراطيين وأثر هذه الثورة على باقى المدن الاغريقية لابد لنا من أن نتحدث عن كورثا ومكاتها بين مدن اليونان .

(١) عن دراسة أسرة آل أورثاجوراس وتفسير انقلاب كليستينيس على انه صراع بين اسرتين أحدهما دورية الاصل والثانية ترجع الى سكان المدينة ما قبل وصول الدوريين مما أدى الى قيام الأخيرة بالانقلاب ضد الاولى انظر :

كانت كورثا تحتل المركز الثالث بعد أثينا واسبرطة من الناحية السياسية والحضارية ، وهى تدين بنزعتها الى موقعها الجغرافى الهام ، اذ تقع على البرزخ ^{بمستند} المعروف باسمها وعلى الخليج الواقع شمال البيلوبونيسوس كما أنها سيطرت على الطريق البرى الشمالى الذى يبدأ من هذا البرزخ سواء المتجه منه الى الشرق - أعنى الى بحر ايجه عبر المضيق أو الى الغرب على الساحل الشمالى لاقليم البيلوبونيسوس ، وهكذا حتم الموقع الجغرافى على هذه المدينة أن تكون مركزا بحريا وتجاريا وميناء بلاد اليونان الأول ترسو فيه السفن القادمة من أعالي البحار محملة بالواردات ، والمواد الأولية وتخرج منه السفن المحملة بالمصنعات الكورثية . ولذا نهضت الصناعة الكورثية فى أعقاب ازدهار التجارة لتسد حاجتها ، وكان من الطبيعى أن تنظر قوانين المدينة الى الصانع نظرة احترام وتقدير تفوق نظرتها الى الجندى بعكس الحال فى اسبرطة ولهذا لم تنجب مثل أثينا فحول الشعراء والأدباء والفلاسفة بل كانت كورثا ترسانة الصناعات ومحط أهل الفنون العملية الذين كانت تشجعهم على النزوح اليها وفرضهم بالوضع الاجتماعى اللائق والفريد من بين سائر صناع بلاد اليونان . وسرعان ما ازدهرت المدينة وكبر حجمها حتى بلغ مكانها ما بين ٤٠ ألفا الى خمسين ألفا وهو عدد يفوق سكان أثينا التى كانت تهاخر بأنها المدينة الأولى لبلاد اليونان . كذلك كانت كورثا تستوعب عددا كبيرا من القوى العاملة والعمال خاصة من الرقيق حيث راجت تجارتهم فى أسواقها بسبب السفن القادمة من آسيا الصغرى .

وكان من الطبيعى اذا أن ينشأ التنافس والعداء المرير بين أثينا عندما ازدهرت وقوى أسطولها وبين كورثا لأن الأخيرة رأت فى ازدهار الأولى خطرا يهدد مصالحها التجارية والبحرية ولذا كانت سياسة كورثا دائما هى تدمير أثينا وإزالتها من الوجود فكانت تؤلب عليها اسبرطة وسائر أعضاء حلف البيلوبونيسوس ولكن آمال كورثا لم تتحقق، بل من سخرية القدر أن منافسا سياسيا وبحريا جديدا برز من الجانب الآخر .

للبحر الإديباتيكي ليدمر كورنثا عن آخرها لأنه وجد فيها خطراً عليه سياسياً وتجارياً ، هذا للنافس الجديد هو روما (١) .

إن الزائر لكورنثا الحديثة ليدعش عندما يجد أطلال المدينة القديمة تقع على بعد ثلاثة أميال ونصف الميل فقط من البحر . ومن أهم أطلال كورنثا سوقها العامة agora وبعض مباني قديمة من عصور مختلفة وقد كشفت البعثات الأثرية الأجنبية عن بقايا معبد أبوللون الشهير والذي بناء طأغيتها برياندر Periander وهو عبارة عن سبع أعمدة من الطراز الدوري Doric Style كل منها منحوت من قطعة واحدة من الحجر Monolithic ومغطاة بالجبص الأحمر يرجع تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد .

وعلى مسافة قليلة من المعبد جنوباً يقف تل المدينة الشهير بالأكرو كورنث Acrocorinth والذي ترمي المدينة بل اقليم البيلوبونيسوس كله تحت سفوحه اذ يستطيع الواقف على قمته أن يشاهد أشهر وأجمل بقاع البيلوبونيسوس مثل جبال أركاديا وقممها التي تغطيها الثلوج البيضاء وقمة جبل بارناسوس المقدس Parnassos والهليكون Helicon بل ان المشاهد يستطيع أن يلمح أكروبول أثينا وأطلال البارثينون اذا ما كان الجو صافياً والسماء خالية من الغيوم . ومن أجل هذا الموقع الهام للأكروكورنث Acrocorinth فقد دارت معارك عديدة من أجل الاحتفاظ به ورد الطامعين في احتلاله .

إن نظرة موجزة عن تاريخ المدينة المبكر تجعلنا ندرك أنها لم تختلف عن أى مدينة أخرى في بلاد اليونان فتاريخها يبدأ بالأساطير الخرافية التي تفسر الفترات الغامضة من تاريخها والدارس لا يجد مهزباً من أن يتعرض لهذه الأساطير وتحليلها وذلك لغياب الدليل المادى .

ويقول أهل كورنثا أن اسم مدينتهم راجع الى اسم « أحد أبناء زيوس — رب الأرباب وكان اسمه Corinthus ولكن الاغريق سخفوا من هذا الادعاء واعتبروا اقتراء من جانب الكورنثيين » .

(١) وكان ذلك في عام ١٤٦ ق.م. في نفس العام الذي دمرت فيه روما قرطاجة وأزالتهما من الوجود انظر كتابى : تاريخ الرومان — القاهرة ١٩٧٦ ص ١٨٢ .

كذلك تتحدث أساطير المدينة عن أسرات حكمت ، أولها أسرة قديمة ساعدها هليوس Helios رب الشمس على الجلوس فوق العرش ولما مات آخر ملوكها دون أن ينجب وريثاً فقد أرسل أهل المدينة شاباً مغامراً اسمه يامون Jason ليستكشف منطقة البحر الأسود وليأتى منها بملك وبعد رحلة أسطورية بحرية شاقة عاد البطل ياسون ومعه أميرة اسمها ميديا Medea من أهل هذه المنطقة وأجلست على العرش وتزوجت من ياسون الذى أصبح يحكم المدينة باسمها ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما بسبب رغبة ياسون فى الزواج من أخرى فهجر ياسون زوجته الشرقية فاضطرت الى تسليم العرش لحاكم وطنى جديد هو سيفيوس وبهذا بدأت أسرة جديدة من الأسرات التى حكمت المدينة ، وجدير بالذكر أن وجهة نظر الكورثيين تختلف عن رواية الاثينيين لهذه الاسطورة . فمثلا روى الشاعر يوريديس فى مسرحيته المعروفة باسم « ميديا » أن هذه الأميرة كانت شرقية بربرية ذات سلوك متوحش وتمارس السحر الأسود ضد من لا يعجبونها ولهذا هجرها زوجها فحنقت عليه لدرجة أنها ذبحت يديها ولديها منه ثم تقتل عروس زوجها الجديدة وتعود الى بلادها . كذلك روى أهل مدينة كورثا أن ولدى ميديا من ياسون رجلاً حتى الموت لأنها حملت السم الى زوجة أيهما كذلك يروى لنا الكتاب الاغريق أن قبرى هذين الولدين كانا من أهم الأماكن السياحية التى يذهب الزوار لمشاهدتها حتى القرن الثانى الميلادى .

وخلاصة القول أنه بينما نظر الاغريق - وخاصة أهل أثينا - الى ميديا نظرة تحقير اعتبرها أهل كورثا ملكة عظيمة حكمت المدينة ومن الواضح أن العداء السياسى بين البلدين كان وراء هذا الاختلاف ونحن لا نملك أن نؤيد احدى الروايات على الأخرى نظراً لنسب الدليل المادى .

أما الحاكم الجديد سيسيفوس Sisyphos فيبدو أنه كان شخصية تاريخية بالفعل ولقد أصبح اسم هذا الملك فيما بعد مصرب الأمثال

للمكر والغداع وانعكاساً لشخصية الكورثى التاجر ولكن نجد
الخلاف يظهر بين الروايات الاثينية والروايات الكورثية بخصوصه
فبينما يصوره هوميروس في الأوديسا وهو يقضى عقوبة شاقة في الجحيم
عند هاديس Hades يصوره الكورثيون كبطل من أشجع الأبطال
وملك لا يقل عن الآلهة قوة وعظمة .

وأيضاً من أشهر الأساطير التى سادت بين الكورثيين قبل حرب
طروادة أسطورة البطل الكورثى بلروفون Bellerophon حفيد
ميسيفوس - والذي استطاع أن يأسر الجواد الأسطوري المجنح
بيجاسوس Pegasus وهو يشرب من ينبوع ماء فوق الاكروكورث
وكان ذلك بمساعدة الربة أثينا التى أعطت بلروفون لجاماً وشكياً من
ذهب ليأسر بها هذا الحصان الأسطوري ويستخدمه في مغامراته البعيدة
وربما يفسر ذلك تسمية معبد الربة أثينا بالمدينة باسم « معبد الربة أثينا
صاحبة اللجام » .

ولما حدثت حرب طروادة تحدثت الأساطير عن عجز كورثا في ارسال
حملة مثلما فعلت موكيناي وييلوس لمساعدة الأخيين وتحدثت عن
ارسال المدينة لفرقة واحدة عملت تحت قيادة أجامنون ملك موكيناي .
ومن المواقف الطريفة التى روتها الأسطورة أن أحد أحفاد بلروفون كان
يحارب مع الطرواديين وبينما كان يتبارز مع ديوميديس Diomedes
أجد أبطال الاغريق وفي أثناء الحوار الذى دار بينهما تبين لهما أنهما
أهل وأقارب ومن ثم تصافحا . وأعجب بلروفون بدرع ديوميديس
النحاسى فتبادله بدرعه الذى كان من الذهب الخالص وسخر الاغريق
فيما بعد لهذه الصفقة واعتبروا الحفيد الطروادى غشياً غيباً حتى أن
هوميروس يعقب على هذه الصفقة بأن « زيوس ذهب بذكائه » فأقدم
على المبادلة .

وعندما تلى حرب طروادة الفوز الدورى الذى غير من وجه بلاد
اليونان سياسة وثقافة وتاريخاً وهاجر المطرودون من بلادهم الى آسيا
الصغرى حيث أسسوا أيونيا لا نسمع شيئاً عن مهاجرين من كورثا

ولكن نسمع أن كورثا بعثت من جديد كمدينة دورية لحما ودما بصورة غير التي كانت عليها قبل الفزو الدوري . ونسمع عن قلام جديد لحكم المدينة عن طريق طبقة أوليجارخية من النبلاء من أسرة آل باخياس . Bacciadae والتي طردت الأسرة النبيلة السابقة ودفعت بهم الى الهجرة خارج البلاد فهاجروا حيث أسسوا مستوطنتين أحدهما كوركيرا (جزيرة كورفو المواجهة للساحل الغربى لبلاد اليونان والأخرى مستوطنة ايدامنوس Epidamnus دوراتو الحالية على ساحل البحر الادرياتيكي) كما هاجر بعضهم الى صقلية وأسسوا مستوطنة قدر لها أن تكون سيدة المستوطنات الاغريقية جميعها في هذه الجزيرة وهى مدينة سيراكوزة Syracusae.

أسرة باخياس تضع اساس نهضة كورثا :

يروى لنا التراث القديم أن أسرة آل باخياس Bacciades حكمت مدينة كورثا قرابة مائة وأربعين سنة من ٧٥٠ الى ٦١٠ ق.م واستطاعت خلالها هذه الأسرة أن تضع نواة أسطول المدينة العظيم الذى أصبح فيما بعد سر قوتها وسلطانها فيما وراء البحار لأنهم بنوا الترسانات البحرية ويقال أن الكورثيين أول من ابتكروا السفن ذات الثلاث طوابق Triremes وأن أول معركة بحرية في تاريخ الاغريق هى تلك التى حدثت عام ٦٤٠ ق.م ما بين مدينة كورثا ومستوطنتها المتمردة عليها كوركيرا Korkyra . وهكذا دفع حكام أسرة آل باخياس قوة الدولة الى الأمام فنشروا سلطان كورثا فيما وراء البحار وعلى الطرق والممرات المائية الحيوية كما طهروا البحار من خطر قراصنة البحر وفرضوا مقابل ذلك اتاوة على السفن فضمنوا لهم بذلك دخلا زاد من ثرائهم واقتصادهم . وفى ظلال ازدهار التجارة ازدهرت الصناعة وتعلم الكورثيون الكثير من خبرة شعوب الشرق الأوسط فكانوا أول من

اقتبس من فنون الشرق (١) خاصة فن الرسم الطبيعي المتحسرك والحي والنماذج المليئة بصور النباتات والحيوانات ذاب الألوان الزاهية مما يعرفه علماء الآثار بأسلوب الاستشراق Orientalizing Style خاصة في معالجة الرسم على الاواني Vase Painting كما أن كثرة الأسلوب الاستشراقي على (٢) الاواني الكورنثية التي انتشرت انتشارا كبيرا يدل على صناعة ناجحة ظلت تكتسح الاسواق حتى ملورت أثينا صناعتها وقليلًا قليلًا انتزعت من كورثا هذا النجاح ولا نسمع بعد ذلك الا عن الصناعة الاثينية ومدارس الرسم الاثينية فوق الاواني المتعددة حتى العصر الهلينيستي .

ولكن من الواضح أن المدينة لم تسلم من الصراع الاجتماعي نتيجة الظهور طبقات ثرية جديدة ونتيجة لضعف الأسرة الارستقراطية الحاكمة وعدم قدرتها على مواجهة التحديات والظروف الجديدة حتى تمكن أحد أنصاف النبلاء الساخطين واسمه كوبسيلوس Cypselus عام ٦١٠ ق.م من أن يستخدم القوة ويجسد القوانين ويحكم منفردا ويبش بأعدائه وهو ما يعرف عند الاغريق بحكم الطاغية Tyrannos.

عصر الطفافة في كورنثا :

إذا كانت عظمة كورنثة تدين لأسرة باخياس فانها تدين بدرجة أكبر لنشاط وديناميكية الطفافة . حقيقة أننا لا نعرف الكثير عن الطاغى الأول

(١) من المعروف ان اول معبد افريقى بنى على الطراز الدورى الذى هو صورة مطورة من المعبد المصرى (خاصة معبد زوسر فى سقارة الذى بنى حوالى عام ٢٦٠٠ ق.م) هو معبد الربة ديميتير فى جزيرة كوركيرو والذى بنى حوالى عام ٦٠٠ ق.م . وعن علاقة الافريق بمصر فى هذه الفترة انظر :

M.M. Austin, Greece and Egypt in the Archaic Age, (Proceedings of the Cambridge Philological Society, Supplement no. 2). 1970. p. 15 ff.

(٢) اندريه ايمارد وجانين أو بوايه : تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة - ترجمة فريد واعز وفؤاد أبو يرخان بيروت - منشورات توبينات ١٩٦٤ .

كوبسيلوس لأن المعلومات التي وصلت إلينا متناقضة فقد وصفه بعض الكتاب بأنه كان قاسيا ، غنيفا ومتسلطا ، كبح حرية الناس بالقمع وطرد النبلاء بالقوة ومصادر أموالهم ودفنهم للهجرة خارج البلاد حيث أسسوا المستوطنات (وهذا يفسر العداء السافر بين المدينة ومستوطناتها والذي وصل الى حد الحرب بل وجر بلاد اليونان كلها الى ساحة الحرب معها) ويرى آخرون أنه كان حاكما عادلا أحبه الناس ووثقوا فيه ووثق هو بدوره فيهم ، فكان يسير في الطرقات والأسواق دون حراس حوله وأنه كان مسالما لا يميل الى الحرب (وبالفعل لم تشغل كورثا أى حرب أثناء حكمه لها) بل كرس همه في اقامة المستوطنات جنوب ايطاليا وصقلية وأقام علاقات طيبة مع سلطات العبادة الكهنية في دلفي حيث معبد أبوللون الشهير بأن بنى هناك دارا لخزن الثغائن التي ترسل كقرايين لهذا الآله Treasury وأغدق على كهنة دلفي بالهدايا كذلك أقام كوبسيلوس علاقات طيبة مع دول غير هيلينية مثل مملكة ليديا في غرب آسيا الصغرى .

ولما مات كوبسيلوس حكم من بعده ابنه برياندر Periander الذي فاق أباه نجاحا في الوصول بكورثا الى قمة العظمة والازدهار ولكن التراث القديم لا يترك لنا صورة واضحة عن شخصيته بل يظهره متناقضا بين الخير والشر ولكن أغلب الظن أنه بدأ حياته معتدلا ومحسوبا ولكن مالبت أن تغير فتسلط على الناس وارتكب جرائم بشعة من أجل تأمين العرش لنفسه وذكر أرسطو أنه كان أول من ابتدع قطف الرؤس اذا نمت أكثر من اللازم ، وروى التراث الاغريقي فيما بعد أنه حرم على الناس العلم وأغلق النوادي والمجتمعات حتى لا تشجع الناس على التمرد والثورة وكانت سياسته الابقاء على الشعب جاهلا ومعدما حتى لا يكون له حول ولا قوة كما بث بين الناس العيون والجواسيس ومنع التجمهر والاجتماعات وعلى العكس من أيه قام بعدد من الحروب ففزي مستوطنة كوركيلا المتمردة كذلك دخل في صراع مع مدينة ميليتوس Miletus

كذلك أقام برياندر علاقات قوية مع فراعنة مصر حتى أن ابن شسقية أعطى اسم بسماطيخوس Psammaticus (١) تيمنا باسم الفرعون سماتيك أحد فراعنة الأسرة الصاوية . وعموما تمتع برياندر باحترام كبير على مستوى العالم الهليني كله لدرجة أنه كان يدعى للتحكيم في المنازعات بين المدن المتصارعة ، ومن أهم المستوطنات التي أسسها برياندر مستوطنة بوتيديا في الشمال الغربي من حوض بحر ايجيه وكانت هذه المستعمرة الدورية شوكة في حلق المصالح الآثينية والتي كانت تسيطر تماما على هذه المنطقة (كان مهاجرة أثينا لهذه المدينة أحد أسباب قيام الحرب البيلوبونيسية التي اشتعلت رحاها بين أثينا وأسبرطة فيما بعد .

كذلك روى التراث القديم أن برياندر كان أول من أوجد المهرجان الرياضي لخليج كورثة المعروف باسم المباريات الآشمية Isthmian games والتي كانت تقام كل عامين تكريما لرب البحار بوسيدون Poseidon . إكاد هذا المهرجان من أنجح المهرجانات الرياضية لكثرة زواره وجماهيره وقد جنت كورثا دخلا كبيرا منه ولذا بقيت إدارة هذا المهرجان في يدها حتى النهاية . كذلك شمل نشاط برياندر الديانة إذ أعجب برب الخمر ديونيسوس وسحره الرمز الذي يتضمنه موته ثم بعثه في الربيع عندما ينضج النبيذ الجديد ولهذا أنشأ برياندر جوقة لانشاد ترانيم مقدسة لهذا الاله عرفت باسم الديثورامب Dithyramb والذي منه تبلورت المسرحية الاغريقية فيما بعد .

كذلك كان عصر برياندر عصر بناء وتعمير إذ بنى معبد أبوللون الكبير والذي سبق ذكره ويقال أن المهندسين الكورثيين هم أول من أوجدوا قواعد البناء المعماري مثل بناء الواجهة المثلثة pediment التي توجد في المعابد والمباني الكبرى وهم أول من ابتدعوا تزيينها بالرخام المنحوت

(١) من المعروف أن ملوك الأسرة الصاوية ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م في محاولتهم لحياء الامبراطورية المصرية المنهارة حاولوا بناء أسطول مصري حربي من السفن الاغريقية ذات الثلاثة طوابق من المجدفين triremes والتي تعرف في الهيردوتية باسم Kbnr وليس من المستبعد ان يكونوا قد جندوا خبراء من كورثا لهذا الغرض انظر المقالة الطريفة :

Alan. B. Lloyd. «Trieremes and The Saite Navy», Journal of Egyptian Archaeology, 58 (1972). p. 268. 279.

وقد لمحت أسماء مهندسين كورثيين أثناء هذه النهضة المصارية ولكن للأسف لم يصل إلينا كثير من هذه المباني حتى معبد أبوللون فقد دمره حريق كبير عام ٥٤٨ ق. م كما أن عجز كورثا على أن تكون خلاقة في مجال الشعر والأدب جعلها تموض ذلك بدعوة مشاهير الشعراء والأدباء خاصة من أثينا واغرائهم بالاقامة وحسن الاستقبال ولهذا مدحها الكثيرون في أشعارهم ومؤلفاتهم .

نهاية حكم الطفلة في كورثا :

حكم برياندر أربعين عاما حتى دهمته الشيخوخة وبدأ الصراع حول العرش . واختار برياندر ابن شقيقه بسماطيخوس . ولكن هذا الأخير كان ضعيفا ولم يستطع حماية الحكم من ثورة النبلاء الذين عادوا من المنفى ومعهم قوات من أسبرطة . واستولوا على كورثا وقتلوه . ومنذ ذلك الوقت انضمت كورثا الى حلف البيلوبونيسوس وأصبحت من أبرز أعضائه . كذلك أقام الارستقراطيون حكما أوليجارخيا على نمط النظام الذي شجعت أسبرطة في مذن البيلوبونيسوس .

ومهما يكن من أمر فإن فضل الطفلة في بناء كورثا عظيم لأنهم هم الذين جعلوها تتزع السيادة على البيلوبونيسوس من مدينة أرجوس المجاورة وهم أصحاب التوسع الاستيطاني^(١) والانتشار التجاري وبناء القوة البحرية وهم أول من أوجدوا نواة لحياة ثقافية واجتماعية من أجل الترفيه على قلوب الشعب العامل الكادح . وقد بلغ اقتصاد كورثا في عهدهم درجة عالية من القوة فهم أول من سکوا عملة فضية باسم مدينتهم بدلا من التعامل بعملة أرجوس . وكانت العملة الجديدة تحمل على إحدى وجهيها صورة للجواد الاسطوري بيجاسوس وعلى الوجه الآخر شعار الصليب المعقوف Swastika^(٢) ولقد عثرت البعثات الأثرية على كميات كبيرة من هذه العملة في صقلية وإيطاليا مما يدل على النفوذ والرخاء ، وليس من الغريب أن نعث على بعضها في مصر وربما في منفيس أو

(١) وهو نفس الشعار الذي اتخذته ألمانيا النازية في النصف الأول

من القرن العشرين .

(١) cf. Carl Roebuck, "Some Aspects of the urbanization of Corinth, Hesperia XPI (1972), p. 96-127.

(٢) وهو نفس الشعار الذي اتخذته ألمانيا الهتلرية شعارا لها .

تقراطيس أو سائر الأماكن التي وفد إليها التجار الاغريق قبل فتح الاسكندر لمصر وعموما فإن منطقة صقلية وجنوب ايطاليا كانت منطقة حيوية للمصالح الكورثية كما كانت منطقة البحر الأسود بالنسبة لأثينا

هكذا بسقوط حكم الطغاة سقطت الامبراطورية الكورثية واعتكفت كورثا على التجارة فقط وحاولت أن تكون على علاقة طيبة مع كثير من الدول من أجل مصالحها . أما من ناحية نظام الحكم الداخلي فقد اقتبس الأوليجارخيون نظام أرجوس القديم وأقاموا مجلسا تشريعا عدد أعضائه ثمانين عضوا يختارون على أساس عشرة أعضاء من كل قبيلة ووزعت الاختصاصات الادارية عليهم . حقيقة أن الأوليجارخية خنقت كورثا وحرمتها من التطور والانطلاق التي تمتعت به أثينا ، وقيدت يداها وربطتها بالحلف البلوبونيزي ولكن بالرغم من هذا كله فقد كانت كورثا مثلا يحتذى به سائر المدن الاغريقية في الادارة والنظام وتطبيق القوانين . كما أنها لعبت دورها التاريخي في الحروب ضد الفرس وأكبر من هذا وذاك فهي التي حرّضت حلف اليبلوبونيموس على أثينا لأن الحرب على أثينا منافستها ومطالب مندوبوها بتدميرها ومحوها من الوجود . واختارها فيليب المقدوني في عام ٣٣٨ ق م مقرا للحلف الدفاعي الجديد ضد الفرس بل ان الاسكندر الأكبر زارها فيما بعد وأقام فيها حامية مقدونية كموقع استراتيجي بحجة حراسة اليونان ، كما لعبت دورها في حروب ورثة الاسكندر وظلت تابعة لمقدونيا حتى هزيمة فيليب الخامس عام ١٩٧ ق م على يد القنصل الروماني فلامينيوس Flaminius والذي أعلن حرية كورثا باسم روما ولكن الكورثيين شكوا في نواياه فانضموا للحلف الآخى لمقاومة التوسع الروماني وحاول الرومان ابعاد كورثا عن نشاط هذا الحلف ولكن الكورثيين رفضوا ذلك بشدة لدرجة أنهم ألقوا بالطين في وجه السفراء الرومان عند مرورهم في المدينة ، عندئذ أدركت روما أن سياسة القوة واجبة فأرسلت القنصل لوكيوس موميوس Murrinus حيث سحق قوات الحلف الآخى ودخل كورثا وهرب الآخى . بتدمير المدينة وحرقتها وضم أراضيها لمدينة سيكيون المجاورة وذلك في عام ١٤٦ ق م .

وظلت كورثا أطلالا مهجورة حتى جاء يوليوس قيصر وأصدر قراره بإعادة بناء كورثا وإقامة مستوطنة رومانية فيها مثلما فعل مع قرطاجنة ويبدو أن قرار قيصر لم ينفذ إلا بعد اغتياله عام ٤٤ ق م .
بيستراتوس Peisistratos طاغية أثينا :

كان بيستراتوس زعيم حزب الجبل وأحد أقرباء المشرع سولون لأن اسمه تردد أثناء عمليتين حرييتين قام بها سولون وهما احتلال نيسايا Nisaea ميناء مدينة ميجارا واستعادة جزيرة سلاميس Salamis ، استطاع بيستراتوس أن يستغل سخط الفقراء الاجتماعى وأن يتمظ من أمر كيلون ويحتاط بتجنيد حراس حوله واستطاع عن طريقهم احتلال الاكربول ويمكن أن نصف طريقة حكم بيستراتوس بأنها كانت أكثر عدلا و إنسانية من حكم الأرستقراطيين ولقد وضع بيستراتوس المشرع سولون موضع الاحترام وأزاله منزلة التكريم ولم يحتج سولون على الطاغى لأنه كان وقتئذ فى الثمانين من عمره ولأنه لم يعيش طويلا اذ مات عام ٥٥٩ ق م ان قضية الطغاة دائما هى كيف يستولون على الحكم، وكذلك كانت مشكلة بيستراتوس لأنه قام بثلاث انقلابات قبل أن ينجح فى أن يصبح طاغية وذلك عندما قام بحيلة ظريفة اذا قدم لمجلس الشعب وقد تمزقت ملابسه وتزلف جراحه مدعيا أن أعداءه السياسيين تعرضوا له بالاعتداء . عندئذ تعمس له قطاع كبير من المجلس واتخذوا قرارا يسمح له بأن يتسلح بعدد من الحراس لحمايته . وسرعان ما هاجم الاكربول بهؤلاء الحراس واحتله . ولكن أعداءه استطاعوا طرده فاضطر للهرب . فلجأ الى حيلة أخرى وهى أنه دخل المدينة وهو يركب عربة وبجواره امرأة فارعة القوام ارتدت زيا شبيها بالزى الذى كانت تصور به الربة أثينا وادعى أن الربة جاءت معه لتنصره على أعدائه وبالفعل استطاع بيستراتوس عن طريق هذه الخدعة أن يكسب تأييد الطبقات الساذجة والأمية وأقام نفسه طاغية لفترة وجيزة ثم طرد مرة أخرى وظل فى النفى المدة عشر سنوات حتى عاد عام ٥٤٦ ق م بقوة من الرجال وتمكن من إقامة حكمه بالقوة والذى استمر حتى عام ٥٢٧ ق م .

حكم بيستراتوس ببهارة فائقة . اذ حاول كسب العطف العام

الشعبى بتنظيم المهرجانات الدينية مثل مهرجان الاله ديونيسوس Dionysus ابان الربيع حيث كانت تقام العروض المسرحية من تراجيديا وكوميديا وكان بداية لقيام مدرسة من شعراء المسرح الاثينى ذاع صيتها فيما بعد . كما كرم الربة أثينا الحامية للمدينة فنظم عيدها الشهير بالباناتينيا Panatheneia والذي فيه كانت تلقى مقطوعات الشعر وتجرى المباريات الرياضية بين كل الاغريق كلهم وليس بين الاثينيين وحدهم لأن ييستراتوس كان يهدف من وراء ذلك الى فرض مركز أثينا على كافة مدن اليونان . ودعم ذلك بالاهتمام بتزيين العاصمة حتى تبدو بجمالها وروعتهما وكأنها عاصمة لبلاد اليونان اذا ما توحدت . وعلى ذلك فقد شجع الفنانين من مهندسى العمارة والنحاتين للقيام بعدد من المشروعات العمرانية . وكان ذلك بداية سياسة سار حكام أثينا عليها حتى نهاية القرن الخامس ق م (١) .

لقد بدأ ييستراتوس العمل نحو بناء الامبراطورية الاثينية فشجع المغامرين من الشباب والباحثين عن الذهب على انشاء المستعمرات الاستيطانية في اقليم تراكا Thracia شمال اليونان حيث توجد مناجم النضة وحول منطقة البسفور والدردنيل Hellespont حتى يفسن سلامة مرور السفن الاثينية المحملة بالقمح من منطقة البحر الأسود واقليم أوكرانيا الشهير بقمحه لأن الدولة الاثينية كانت تعتمد على القمح المستورد أكثر من اعتمادها على القمح المنتج من أرضها كما عمل ييستراتوس على تنظيم الزراعة المحلية بتوزيع الاقطاعات الزراعية المصادرة والتي تركها النبلاء الهاربون ووزعها على الفلاحين المعدمين وأمدهم بالمال اللازم لزراعتها كما شجع زراعة أشجار الزيتون لوفرة انتاجها ورخص تكاليفها ولأنها كانت عباد الغذاء والصناعة والزراعة في البلاد . كما حرص هذا الطاغية على تشجيع التجارة الخارجية وجعل سياسته الخارجية تقوم على هذا الأساس . فاستولى على ميناء سيجيوم Sigeum على ساحل آسيا الصغرى وأرسل الجنرال الاثينى الماهر مليتياديس Miltiades ليؤمن له منطقة شبه جزيرة القرم والشاطئ التراكى المقابل لها كما تبنى

(1) J.S. Boersma, Athenian building Policy from 561-405 B.C., Gronigen, 1970.

بيستراتوس الشعراء الفنانين وجباهم بعطفه وبماله وقام بتعيين لجنة منهم لتنقيح الالياذة والأوديسا بعد تسجيل أثمارها . هكذا كان بيستراتوس طاغية مستترا واستمرت هذه السياسة حتى بعد موته عام ٥٢٨ ق م عندما حكم ولداه هيباس Hippias وهيارخوس Hipparchos حكما ثنائيا أظهر فيه كل منهما حبه لأخيه .

اغتيال هيبارخوس :

حدث أن كان الأخوان هيباس وهيارخوس على صداقة بشاين من النبلاء هما هارموديوس Harmodius وأرستوجيتون Aristogelton وحدث أن اختلف هذان النبلان معهما فقرررا اغتيالهما فانتهزا عيد الباناثينيا الكبير عام ٥١٤ ق م حيث كان يسمح فيه بحمل السلاح دون تشكك أو خطر لأن الحياة في أثينا في عصر أسرة بيستراتوس كانت مؤمنة وهادئة ولم يتمكن هذان النبلان الا من قتل هيبارخوس الأخ الأصغر وقد قتل الحراس هارموديوس عقب اغتياله لهيارخوس أما زميله أرستوجيتون فقد قبض عليه ومات من التعذيب . كانت تلك نقطة التحول من الحكم الفردي المستترا الى الحكم الفردي الدموي والذي يتمثل فيه بحق الطغيان لأن هيباس اتقم من مقتل أخيه بقسوة وعمل الخوف عمله في تشدده وشكوكه وبطشه . فكان حكمه عنيفا وكابئا للحريات الشخصية . أما النبلان هارموروس وأرستوجيتون فقد اعتبرا بطلين مخلصين وقتله الطغاة Tyrannophonoi كرما فيا بعد فاقم تمثالان لهما فوق الاكروبول . ولقد حاول هيباس خطب ود أسبرطة لتأييده في البقاء فوق مقعد الحكم واستغل الارستقراطيون المنفيون (١) استياء الناس من حكم هيباس فقاموا بعرض قضيتهم على كهنة الآله أبوللون في دلفي وكسبوا عن طريق الرشاوى والوعود تأييدهم ومن ثم أراد الامبرطيون اظهار حسن نواياهم في تحرير أثينا فقام ملكهم

(١) خاصة أسرة الكمايون التي شنت بيستراتوس شملها انظر :

P.J. Bicknell, The Exile of the Alkmeonidae during the Peisistratids tyranny, Historia, XIX, 1970, p. 129-131.

كليومينس Cleomenes بقيادة جيش سار الى أثينا وطرده الطاغية في عام ٥١٠ ق.م . ففر الى مستعمرة سيجيوم Sigeum ثم التجأ الى قصر ملك الفرس دارا Darius أملا في حثه على اعادته الى الحكم مرة أخرى .

والآن نجد سؤالا يفرض نفسه ما الذي كان يهم الاسبرطيون من تحرير أثينا من حكم الطغاة مع أنهم كانوا على خلاف مع أثينا ؟ لقد فعل الاسبرطيون ذلك خوفا من نظام الطغاة لأن الطغاة كانوا يحملون أبناء امبراطوريات توسعية على حساب الآخرين وبهمهم وجود حكم ضعيف وليس قويا ولذا عملوا على اسقاط الدكتاتورية الاثينية . أيضا أدرك الاسبرطيون أن حكم الطغاة يعتمد على الذين لا يملكون وعلى الطبقات الكادحة والفقيرة مما قد يدفع المستعبدين في بلادهم الى الثورة مقلدين فقراء أثينا وفي ذلك خطر عليهم لأن مياسة أسبرطه كانت دائما تتركز في اقامة حكومات اوليجارخية رجعية وبينية بالمفهوم المعاصر .

ولكن ظن أسبرطه خاب اذ لم تستطيع الارستقراطية ارجاع ساعة التقدم الى الوراء الى أكثر من مائة سنة ليعودوا بأثينا الى أيام سولون . ومن باب سخرية التاريخ أن الذين وضعوا أساس التفسير الاثيني للديمقراطية هم الارستقراطيون فقد وضع كليثينيس Cleisthenes حلولا أولية لمشكلة الحكم أذهلت العالم فيما بعد . اذ أوجد حكم الشعب للشعب democracy . بينما أطلقت أبواق الدعاية الاثينية مسرودة التضحية الكبرى التي قدمها هارموديوس Harmodius وأرستوجيتون Aristogiton للبلاد وللحرية ومن ثم أصبحت أسطورة وجدت مكانها بين أساطيرهم الفنية بالخيال .

(١) ومن سقوط هيبياس وعلاقة ذلك بحملة الفرس على ثراكيا عام ٥١٣ انظر :

Castritius." Die okkupation Tharkiens durch die Perser und der Sturz der athenische Tyrannen Hipplias Chiron, II, 1972, p. 1-15.

وبعد ان سقط هيبياس انسحبت قوات الفرس من ثراكيا التي لم تضم نهائيا لحوزة الامبراطورية الفارسية الا في عام ٤٩٢ ق.م . ومن ثم يربط المؤلف بين غزو الفرس السريع لثراكيا وسقوط الطاغية هيبياس ولكن ذلك مجرد رأى .

محاولات كلينثيس لايجاد نظام ديموقراطي :

يستطيع الدارس أن يشعر بمدى ادراك الاثينيين لأهمية نظامهم الجديد في غيرتهم عليه أبان حروبهم ضد الفرس ثم ضد الاسبرطيين (١)، وكما يتضح من خطبة التابين التي ألقاها أحد ساستهم الكبار وهو بيركليس Pericles والتي سجلها لنا المؤرخ الاثيني ثوكوديدس Thucydides اذ تحدث بيركليس عن مدى دفاع الاثينيين عن نظامهم السياسي في هذه الحروب لأنهم كانوا يدركون الاسبرطيين جاءوا ليسلبوهم اياه فماذا يا ترى كان هذا النظام ؟

كان كلينثيس أحد المحركين لفكرة مرد هيبياس واستقاط نظامه وكان الأول من أسرة الكمايون التي طردت منذ وقت طويل الى خارج البلاد وبعد قدوم الجيش الاسبرطي وانهاؤه مهمته دخل كلينثيس في منافسة مع نبيل آخر اسمه ايساجوراس Isagoras كان الملك الاسبرطي كليومينيس يحاييه . وهب الاثينيون في وجه الملك الاسبرطي فانسحب تاركاً كلينثيس يكسب الجولة . وبدأ هذا الزعيم في تحقيق نظامه الجديد الذي فوجزه على النحو التالي :

١ - ألغى كلينثيس نظام تقسيم الاثينيين الى أربعة قبائل تقوم على المولد والأصل وأحل محله تقسيمهم الى عشرة قبائل تقوم على محل الإقامة وحسب التقسيمات الاقليمية، كما قسم أثينا اقليمياً الى ثلاث أقسام : المدينة والشاطئ، والمناطق الداخلية وقسم كل جزء الى عشرة مراكز محلية Trittyes وبالتالي قسم كل مركز الى عدد من الأحياء السكنية demes ، واختار من كل اقليم مركزاً ، أى من كل ثلاثة مراكز مختلفة تتكون القبيلة الجديدة . وبذلك قضى على النعرة الاقليمية لنظام الحكم القبلي وأبعد الخطر عن ثورات القبائل . لأن القبيلة بذلك أصبحت موزعة على عدد من المراكز الجغرافية المتباعدة .

٢ - وعلى ضوء هذا التقسيم العثري الجديد للقبائل اختار كلينيس مجلساً وطنياً تمده خمسمائة عضو أى اختار من كل قبيلة خمسين عضواً وقد أعطى هذا المجلس أهمية خاصة كمهيئة دستورية وتشريعية وقضائية تنفذ القوانين وترعى الأمن والنظام (١) .

٣ - وامعانا في الديمقراطية جعل كلينيس الأراخنة ينتخبون بالاقتراع بواسطة أعضاء هذا المجلس . وبالإضافة الى ذلك أوجد مجلساً من الجنرالات strategoi عدده عشرة أعضاء يختار واحد من كل قبيلة ويرأسه قائد الجيش Polemarch ومن الجدير بالذكر أن هذا المجلس تطور فيما بعد ليصبح أعضاؤه بمثابة الوزراء وزئيه بمثابة رئيس الوزراء تماماً كما كان بيركليين الشهير .

(١) وقد تطور هذا المجلس فيما بعد ليصبح مجلس الشيوخ أو الشورى (Boule) حيث أصبح من حق أى مواطن مقيد فى حقى (deme) وفى قبيلة أن يرشح نفسه لعضوية المجلس بشرط أن يزيد سنة على الثلاثين . وكان الاختيار يتم عن طريق القرعة وبشغل العضوية لمدة سنة ويجوز إعادة الترشيح بشرط مرور فترة فاصلة وكانت مهمة « البولى » إدارة الدولة بالاشتراك مع كبار الموظفين وأعداد القضايا للجمعية العامة الاكليسيا Ecclesia . ومقابلة الوفود الأجانب والعناية بالأسطول وإدارة أموال الدولة ورعاية المعابد والعبادات وبمرور الزمن أصبح لهذا المجلس سلطات قانونية دون التدخل فى سبر المحاكم أو التعرض لحقوق الاكليسيا ، خاصة فى قضايا الخيانة العظمى وبالرغم من أهمية البولى إلا أن القوة الفعلية بقيت فى يد الاكليسيا . وقد قدم الأستاذ رودس دراسة جديدة للبولى الاثينية على ضوء النقوش التى عثر عليها حديثاً فى الأجورا الاثينية . وبين كيف قويت شوكته مع ازدهار الديمقراطية خاصة أبان القرنين الخامس والرابع ق.م وتدهور مركزها مع تدهور سلطة المدينة (polis) فى العصر الهلنستى حيث اختفى مجلس الاكليسيا وترك أمر القرارات الصغرى للبولى وخلاصة القول كان للبولى يد فى كل شىء فى إدارة الدولة انظر :
« The house had its Finger in every Pie ! ».

انظر :

P.J. Rhodes, The Athenian Boule, Oxford Clarendon Press 1972 (= R.E. Wycherley, JHS, XCIII (1973) pp. 255-256).

٤ - كما أوجد كليثينيس نظام النفي عن طريق الاستثناء ostracism (والكلمة الاغريقية مشتقة من اللفظ ostraka أى شقافة) (١) حيث كان من حق الجمعية العامة - أى سكان المدينة أن يقرعوا عن طريق كتابة اسم شخص معين على قطع الشقافات - بأغلبية لا تقل عن ١٠٠ صوت وأن يطلبوا منه مغادرة البلاد لمدة عشر سنوات دون التعرض لمصادرة ممتلكاته والغرض من ذلك تجنب الخطر الناتج عن سوء سلوك شخص معين حتى لا تحدث الصراعات ولكي لا تعطى فرصة لقيام طاغ جديد على البلاد .

٥ - وأخيرا أعطى كليثينيس سلطات قوية للمواطن العادى الذى أصبح من حقه أن يكون محلنا dikastes فى المحاكم ولكن بدون أجر وأعطاه الحق فى المطالبة بمحاكمة الأراخنة أمام المجلس عند نهاية السنة الوظيفية كما حول كليثينيس قوة الأمن الى قوة تخدم المواطن وتحمى ممتلكاته .

ان اصلاحات كليثينيس والتى تقوم فى جوهرها على الهندسة الطبقة وعلى التوازن بين طبقات المجتمع وعلى وضع حدود لآمال كل طبقة لم تكن فى الحقيقة سوى تطوير للأفكار التى وضع أساسها سولون ، فشلا مجلس الـ ٤٠٠ لم يكن سوى مجلس الـ ٥٠٠ الذى أنشأه سولون، أما عن فكرة تقسيم المواطنين الى أحياء demes وقبائل Phylai فهى تطوير لفكرة العشيرة genos والبطون Phratrises

وجدير بالذكر أن هذه الامتيازات التى أوجدها كليثينيس لم تكن متاحة لكل سكان أتيكا بل كانت وفقا على من سماهم «بالمواطنين الأثينيين

(١) ومن الكلمة اشتق الفعل بشقف Ostraw أى ينفى وعن نظام الحى فى اصلاحات كليثينيس أنظر :

(2) Cf. W.E. Thompson, The deme in Kleisthenes' reforms, Symbolae Osloenses, XXVI, 1971, p. 72-79, also cf. W.E. Thompson : Notes on Attic demes, Hesperia, XXXIX, 1970, p. 64-67.

وعن نظام « التشقيف » او النفي انظر الأبحاث الآتية :

J.J. Kaeny, " The texts of Androtion F6 and the origin of Ostracism, Historia, XIX, 1970 p. 1-11 ; G.R. Stanton, " The Introduction of Ostracism and Alcmaeonid Propaganda, J.H.S., XC, 1970, p. 180-183 ; D.W. Knight, " Some Studies in Athenian Politics in the 5th Century B.C. p. 22-23 (Hist. Einzelschr. 13., 1970) ; Kf. Meister : zur zeitpunkt der Einführung des ostrakismos, Chiron, I, 1971, p. 85-88.

فقط « وأصبح هناك فرقا في الامتيازات بين مواطن وقاطن أى كان هناك من بين سكان أتيكا وأثينا أغلبية لم يعترف بها كمواطنين وبالتالي حرمت من الامتيازات الديمقراطية الجديدة . فمثلا لم يعترف الدستور الاثيني بأن النساء مواطنات Politai بل وصفهن بأنهن astai أى قاطنات في المدينة . وكذلك العبيد douloi والصناع والحرفيين ذوى الأصول الأجنبية حتى ولو كان هؤلاء من أصل أغريقي metikoi هكذا فإن الديمقراطية الاثينية كانت ديمقراطية الأقلية وديمقراطية مغلقة غير عادلة حيث لم يكن هناك نظام تمثيلي انتخابي برلماني مثلما تعنى الكلمة الحديثة للديمقراطية بالرغم من الادعاء بالمساواة التامة بين المواطنين أمام القانون (١) Isonomia » .

لقد أبدى الاثينيون لنظامهم تحمسا شديدا واعتبروه انتصارا لحقوق المواطن وتجسيما لاسمى الحلول لمشكلة الحكم بالرغم من أنه لم يكن نظاما ديمقراطيا ينتخب فيه الشعب ممثليه بطريقة مباشرة بل كان يقوم على فكرة منح أى أثيني يتمتع بحقوق المواطنة الحق في عضوية المجلس الشعبى الذى كان يتكون من كافة سكان المدينة وإطارها الريفي حيث كان يتمتع المواطن فيه بحرية الكلمة (Isogoria) (٢) وكان لهذا المجلس سيادته القانونية والادارية كجهاز لمراقبة ومحاسبة الموظفين ولكننا نجد المواطنين الاثينيين يتخاذلون في حضور جلسات المجلس حتى أدخل بيركليس نظام الأجر على حضور هذه الجلسات ضمن برنامج لتدعيم النظام الديمقراطى في

(١) لا يزال المؤرخون يختلفون في تفسير معنى الايسونوميا Isonomia هل هى المساواة أمام القانون أم تساوى الطبقات بفعل القانون ، أم هى نظام حكم يعنى مشاركة جميع الطبقات في الحكم وعلى أساس الحدود المسموحة لكل طبقة بحيث لا تتجاوز غيرها وهى نفس الفكرة التى دعى اليها كلينثيس عام ٥٠٩ ق م مع التوسع في مفهومها انظر :

H.W. Pleket, Isonomia and Cleisthenes : a note *Talanta*, IV, 1972, p. 63-81.

وهناك من يرى أن فكرة المساواة المطلقة بين الطبقات غير واردة في قوانين كلينثيس ومن ثم فإن الايسونوميا ليست سوى نظام حكم ويمت مبدأ دستوري انظر :

B. Borczyk, "Die Politische Isonomie, *Erzsa*, IX, 1971, p. 5-24.

(٢) اما عن حرية الكلام أو الايسيجوريا انظر :

A. Momigliano, "La liberta di parola nel mondo antico, *Revista della Societa grollana*, LXXXIII, 1971 p. 515-516 (... R.H. CCKLVI, 1971, p. 111-112) ; also J.D. Lewis, "Isogoria at Athens : When did it begin ? , *Historia*, XX, 1972, p. 129-140.

الرابع الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد عندئذ حرص عدد كبير من المواطنين على حضور هذه الجلسات من أجل هذه المنحة .
والحق يقال أن النظام الأثيني للحكم لم يختلف كثيرا عن النظام الأسبرطي . بالرغم من الدعاية السياسية الواسعة لهذا النظام ويذهب بعض الدارسين إلى أن الأثينيين أنفسهم اشتقوا نظامهم من فلسفة الحكم الأسبرطي ذاته ففى كلا النظامين نجد أقلية من السكان تتمتع برتبة المواطنة . فى أثينا نجد طبقة المواطنين الأحرار Athenaioi politai وفى أسبرطة نجد طبقة السادة الأسبرطيين Lacedaemonaioi (Spartiates)
لقد غالطت الدعاية الأثينية الحقيقة عندما أدعت بأنها رمز للعدالة الاجتماعية ستمتمة أسبرطة ونظامها بالرجعية والحكم الظالم لأنها حرمت الهيلوت Helots أصحاب البلاد الأصليين من كافة الحقوق . لأن الديمقراطية الأثينية فعلت نفس الشيء مع النساء والعبيد والصناع وهم غالبية سكان اقليم اتيكيا . وبقيت الامتيازات وقفا على الأقلية التى سيطرت على مجلس الشورى Boule وعلى الجمعية الشعبية ecclesia . وعلى أى حال كان هؤلاء المواطنون للأحرار ، هم جسد الدولة الأثينية فهم الذين كانت قلوبهم تستلجبالغيرة والقومية والوطنية ويوحجون بالموت دفاعا عن دويلتهم وهم الذين دفعوا الثمن غالبا .

وقد انتقد بعض المؤرخين الديمقراطية الأثينية بأنها تقوم على جمهرة فوغائية تجعل من الصعب السيطرة عليها وتبرير القرارات الصالحة على أعضائها مما جعل السياسى الصالح يأس منها . كما أورد أفلاطون الديمقراطية الأثينية فى نهاية قائمته عن نظم الحكم لكنه أشار إلى خطورة الانحراف فيها خاصة إذا أسئء استخدامها لأنه من السهل جدا إثارة الفوضى بالخطب النارية الرنانة والحمامية المليئة بالدراما الوطنية والعاطفية كالتى تشاهدها فى التراجيديات المسرحية . وبالرغم من وجود مجلس الشورى الذى كان يناقش الأمور قبل عرضها على الجمعية العامة إلا أن القوة الفعلية ظلت متمركزة فى المجلس الشعبى لكثرة عدد أعضائه إذ اعتبر هو الشعب يحكم الشعب democracy ويقرر مصيره . وخلاصة القول أن جوهر التفسير الأثينى للديمقراطية كان يقوم على التجدر ، وفى التجمهر

منطلق للعواطف المجنونة ، مما أدى الى ظهور الفوغائية أو الديماجوجية ومن ثم دفعت أثينا ضمن هذا الجنون الجماهيري الذي كان يتمثل في قرارات عمياء اتخذت في لحظة انفعال هستيري وطني ثم دفعت الأمة ثمنها خالياً فضلاً عن الضحايا والأحقاد الشخصية بين السياسيين حيث أدى نظام « ألفنى بعد الاقتراع » الى تدمير كفاءات كانت أثينا في أشد الحاجة إليها .

وعلى أى حال فقد أحب الأثينيون نظامهم ومن الصعب علينا أن نغرق بين الحماس والولاء للدولة والولاء لنظام الحكم فيها . فقد كان هذا النظام جديراً بالقتال والدفاع عنه وحمايته لأنه مكاسب خاصة بالأثينيين الذين ركبتهم نعمة الاستملاء ليس على باقى الشعوب الأجنبية فحسب بل حتى على المدن الاغريقية الأخرى .

النظام الديمقراطي يثبت نفسه :

هكذا نجحت اصلاحات كليثينس في القضاء على الانقسامات والتعصبات (١) التى سادت أتيكا ردحا من الزمن وخلقت دولة لأول مرة على أساس الجوهر الدستوري وليس القبلى ، ولقد شاعت الظروف لهذا النظام الجديد أن يثبت صلاته ونجاحه في مواجهة الخطر عندما أزعج أسبرطة قيام مثل هذا النظام في أثينا فكلفت ملكها وهو كليومينيس بالقضاء عليه فسار بحملة عسكرية مشتركة من أعضاء الحلف البيلوبونيزى الذى كانت أسبرطة تسيطر عليه ومعه جيش من بؤتيا Boeotia (في شمال أتيكا) ومن مدينة خالكيس في جزيرة يوبويا ولكن حدث خلاف بين الحلفاء البيلوبونيزيين بسبب اعتراض مدينة كورثا على شرعية هذا العمل العسكرى . فاتهزت أثينا هذا الطرف وهاجمت أعداءها في الشمال وهزمت أهل بؤوتيا وأهل خالكيس ولأول مرة أجبرت أثينا أعداءها على قبول مستوطنين منها (Cleruchoi) عندما أجبرت مدينة خالكيس على قبول ٤٠٠٠ مستوطناً في أراضيها .

(١) من التعاون بين بقايا أنصار القبلية والنظام الديمقراطي الجديد بعد انتهاء التلاحم الذى ساد قبل عصر كليثينيس انظر :

Davario-Rocchi, "Politica di famiglia et politica di tribù nella polis ateniese (Vaiécio), Actes, XXIV, 1971, p. 13-44.

وينسا كان هذا يحدث في شمال بلاد اليونان كانت أسبرطة مشغولة في عملية التوسع على حساب جيرانها وأعدائها مثل مدن تييجا Tigea وأرجوس Argos إبان النصف الأخير من القرن السادس قبل الميلاد، حتى إذا ما انتهى هذا القرن نجد أسبرطة وقوتها العسكرية تنجح في فرض سيطرتها على شبه جزيرة المورة وتقيم حكومات أوليجارخية يمنية وتحارب النظم الديمقراطية الإثينية للقضاء عليها لأنها رأت أن في ذلك خطرا على حلفائها وعلى امبراطوريتها . ومن هنا نشب العداء بين المدينتين الذي أدى الى حرب ضروس فيما بعد . وعلى أى حال نجحت أسبرطة في جمع مدن شبه جزيرة المورة في تحالف عسكري وضعت في خدمتها ويعرف هذا بالتحالف البيلوبونيزي .

هكذا نجحت أثينا في بناء نظام شعبي حقه العدالة أمام القانون .

لكل مواطنيها (nomia)

مجتمعا (Isagoria) ،

للدولة ، بل وأخضع هذا النظام العداله و

حيث وصل علم الاختصاص القضائي الى مستوى من الكمال لا يضارعا فيه أحد لا في العالم الغير اغريقي ، بل في كافة أنحاء العالم الهليني وبحقيق رقابة الشعب على السلطة التنفيذية ، استطاعت أثينا أن تواجه الأزمات الخارجية وتدخل مرحلة الصراع الدولي وهي مليئة بالثقة والأمل والتفاؤل ، وذلك بمكائنها الجديدة بين المدن الاغريقية ، بل كان هذا النظام هو سر قوتها وقدرتها على التقدم السياسي وقبول التحدي الخارجي ، والنبوغ الفكرى والفنى والانطلاق الحضارى مقدمة بذلك نموذجا سياسيا مغايرا ومنافسا للنظام الأسبرطى .

الفصل التاسع

الصراع بين الفرس والاغريق

لو أردنا أن نرصد حركة التاريخ القديم في منطقة الشرق الأوسط والبلدان الواقعة على البحر المتوسط ، لقلنا أن جوهره هو الصراع حول غرض النفوذ البحرى في ذلك البحر الذى أضحي كالبخيرة لكثرة الحضارات التى قامت على سواحله ولشدة الروابط والاتصالات بين شعوبه وأن حركة تاريخ دويلاته تتجه دائما الى ازدياد نفوذ أحداها فتملا فراغ القوة فيه ثم تفرض نوعا من السلام يحيا في ظلاله جميع الدويلات ، واذ انهارت هذه القوة العظمى أو مسحت لقوة أخرى غيرها لتكبر وتنافسها فان هذا التنافس ينتهى عادة بحرب ضروس مثل قتال الديكة حتى تنتصر واحدة على الأخرى لتفرض نفوذها فيه وبناء السلام الذى ترتبه . فمثلا ساد السلام المصرى ابان الامبراطورية المصرية وعاش في كنفه كل من كريت وفينيقييا ، ولما انهارت الامبراطورية المصرية في الالف الاخير * الميلاد حاول الفينيقيون بما لهم من خبرة في الملاحة وبناء السفن ملا ذلك الفراغ ولكن ظهور آشور كدولة قوية حرم الفينيقيين من تحقيق حلمهم في وراثة السيادة المصرية على البحر المتوسط ومن الجدير بالذكر أن السيادة المصرية تعرضت للتحدى من قبل هجوم الأخايواشا والدانونا من شعوب البحر على السواحل المصرية والتى صدها الفرعون المصرى مرنبتاح وكذلك رمسيس الثالث ، وقد ذكرنا أن الأخايواشا والدانونا هم الأخيون الذين سيطروا على شبه جزيرة البيلوبونيسوس بعد تدمير القوة الكريتية ، وهو

العصر الذى درسناه تحت اسم الحضارة الموكينية ، بل أن الاخيين أنفسهم خاضوا حربا ضد طروادة احدى الدويلات التى كانت تسيطر على احدى المنافذ المؤدية الى البحر المتوسط وهو البسفور والدرديل وتعرف هذه الحرب بالحروب الطروادية ، وذلك بعد فشلهم فى السيطرة على الساحل المصرى والى ابان القرن الثالث عشر ق . م .

كانت فينيقيا لا تعدو أن تكون اتحادا بين مدن تجارية وليس لها الشخصية السياسية والعسكرية التى تتطلبها الدولة ، ولهذا بزغ نجم الفرس كقوة بحرية ، ووجد الفينيقيون أنهم يستطيعون الاستفادة من هذه القوة بالعيش فى كنفها والاستفادة من حمايتها لهم خاصة أنه كان ينافس الفينيقيين فى تلك الفترة عدد كبير من الدويلات الاغريقية التى نشرت مستوطناتها فى صقلية وجنوب ايطاليا وشمال أفريقيا ، ومن ثم دخل الفرس حلبة الصراع على السيادة البحرية فى البحر المتوسط .

قيام الامبراطورية الفارسية :

منذ عصور ضاربة فى القدم تحركت بعض القبائل الهندو أوروبية من مواطنها الأصلية فى سهول شمال شرق بحر قزوين ميسمة وجوها غربا صوب جنوب غرب آسيا بحثا عن الكلا والمرعى . ومن بين هذه القبائل فصيلة أطلقت على نفسها اسم الايرانين نسبة الى أصلهم الآرى استوطنت هضبة ايران والمرتفعات التى تشرف على الخليج العربى من ناحية الشمال الشرقى . ثم راحوا يتسللون الى سهول ما بين النهرين وممالكها حتى أصبح نفوذهم يمتد من بحر قزوين الى بحر العرب ، بينما سكنت القبائل الآرية الأخرى مناطق مختلفة ، فسكن الميديون جنوب بحر قزوين والبارثيون فى خراسان والبكتريون فى هضاب الهندوكوش الشمالية ، ونظرا للتوسع والانقسام فقد قسمت هذه المنطقة الشاسعة الى أقاليم كبرى مثل اقليم ميديا وبارثوماش

وفارسا ثم قسمت هذه الأقاليم الكبرى الى مقاطعات صفرى • وقد حدث هذا الاستقرار حوالى عام ٢٠٠٠ ق م •

ولقد كان من نتائج استقرار الفرس تطور كبير فى الأوضاع فى الشرق الأوسط ، فلقد دخلت الخيول التى لم يعرفها البابليون أيام حمورابى وسرعان ما انتشرت حتى أصبح الجيش الأشورى يعتمد عليها ، كذلك أحضر الفرس معهم ديناً جديداً مخالفاً لفكرة الأديان السامية الوثنية ، لأن لا يقوم على الوحدانية بل يقوم على الثنائية التى تتحكم فى العالم ، أحداها قوة إيجابية وهى الخير والحق والنور والحياة وقد رومزوا لها بالرب « أهورا مزدا » ، أما الأخرى فهى الشر والظلم والظلام والموت وقد جسدوها فى الرب « أهرمين » وجعلوا الصراع أبدياً بين أهورا مازدا و « أهرمين » تماماً مثل الصراع بين أوزيريس وست عند المصريين •

أما الإنسان فيقف وسطاً بين القوتين وله مطلق الاختيار فى أن ينساق الى أحداها ، ورغم هذا فقد كانت الديانة الفارسية تدعو الإنسان الى الحق والتزام آداب السلوك والأخلاق • لأن فكرة « خلاص النفس » عند الفرس هى خلاص فردى وليس خلاصاً قومياً • كما كان الفرس يتسامحون مع الديانات الأخرى ما دامت لا تناصبهم العداء وقد توسعت الديانة الفارسية وانتشرت مع انتشار الامبراطورية • خاصة بعد أن ظهر لديهم الأول « زرادشت » حوالى عام ٦٥٠ ق م • ووضع أساس عقيدة تكاد أن تكون توحيدية وهى عبادة النار لأنها أبقى مظهر يظهر فيه رب النور والخير « أهورا مزدا » وكان يسكن لهذا المذهب أن يلقى انتشاراً كبيراً لولا أن طبقة من الكهنة احتكرت أسرار العقيدة الزرداشتية وهم طبقة « المجوس » (Magi) وعزلتها عن الناس وحولتها الى طلاسمة وأسرار ، وتركت الناس تعيش فى أفكار الديانة الفارسية ما قبل الزرداشتية •

كان يتحكم فى الفرس عقدة الاستعلاء العنصرى بأنهم ولدوا

ليحكموا غيرهم من الشعوب ، وكانوا يتيهون حسا بحياة الابطسة
والعظمة والغرور ، ويمشقون الصيد واقامة الولائم الصاخبة لكنهم
كانوا متسامحين مع أعدائهم في الحروب ويفتحون قلوبهم لأى أفكار
أجنبية وعلى استعداد لاستحواذ هذه الأفكار . ولهذا لم يظهروا في
الفن أو العمارة الكثير من الابتكار ، بل نقلوا عن البابليين والآشوريين .
وكان الفرس يعملون بالصلاحة والجندية ويعلمون أولادهم التقانى في
الحق والواجب ، أما التجارة فقد احتقروها لأنها في نظرهم غير خليقة
بالرجل الحر ولأنها سرقة بالاكراه ، وكان الرجل الفارسى يذوب في
الدولة ولقد لاحظ هيرودوت ذلك عندما ذكر أن « الرجل الفارسى كان
يصلى من أجل الملك وجميع الفرس الآخرين ولم يكن يصلى لنفسه
أبدأ » (١) .

وكان الميديون أسبق من الفرس إدراكا لفكرة الدولة أو المجتمع
السياسى ، فأقاموا نظام الدويلات أو الامارات والمشيخيات الصغيرة
وذلك منذ الألف الأول ق م ، لكن دولة آشور لم تسمح لهذه
الامارات لكي تزدهر لأنها استوعبتها خلال فترة سيادتها ما بين
عام ٧٠٥ - ٦٢٦ ق م ، لكن الحق يقال خلال عصر التوسع
الآشورى برزت ميديا كملكة قوية متماسكة تحالفت مع البابليين ومع
أهل ليديا والمصريين ليهزموا الأمبراطورية الآشورية ويدمروا نينوى
عاصمتها وذلك في عام ٦١٢ ق م .

بعد ذلك انسحب الميديون الى مرتفعاتهم محاولين توحيد القبائل
الهندو أوروبية في دولة واحدة ، كما قاموا بتأسيس عاصمة واحدة
لهم هي إكباتانا Ecbatana (٢) وخلال الفترة ما بين ٥٩٣ وحتى عام
٥٥٠ ق م نجح الفرس في توحيد رقعتهم ثم آل عرش البلاد الى أمير

(1) Herodotus I, 136. ; I, 132.

(٢) وهى همدان الحالية في شمال اقليم ميديا على الهضبة الإيرانية
ويقول هيرودوت (I, 98) أن مؤسسها هو ديوقيس Deloies وسرعان
ما أصبحت مقر الحكم الصيفى لحكم الأسرة الأكمنية التى أسسها قورش
الأكبر.

cf. Strabo, II, 522-4 ; Xenophon, Cyr., 8-6-32.

فارسي قسوى اسمه قورش Cyrus أول ملوك الأسرة الأكمينية (الهخامنشية) والذي قاد عدة حملات توسعية أخضع بها ليديا واستولى على عاصمتها سارديس Sardis وذلك في عام ٥٥٦ ق.م ورغم مساعدة ملوك الأسرة الصاوية المصرية ومدن الاغريق وملوك الكلدانيين لكرويو سوس ملك ليديا الا أن هجوم قورش كان مباغتاً وحاسماً ، بله استدار قورش واستولى على بابل عام ٥٣٨ ق.م . ولم يتوقف قورش عن الفتح والتوسع الا عند سقوطه في ميدان القتال في شمال ايران وذلك في عام ٥٢٩ ق.م .

يعتبر قورش الأكبر بحق مؤسس الإمبراطورية * الفارسية وأحد بناء الإمبراطوريات القلائل في تاريخ الشرق القديم اذ سد حدود امبراطوريته حتى أصبحت تمتد من بحر ايجه في الغرب الى جبال الهندوكوش في الشرق ومن بحر قزوين في الشمال حتى صحراء العرب في الجنوب. وكان قورش جندياً محبوباً بين جنوده يقتل وسطهم ولا يركب العربات الحربية وكان يحف به حرسه الخاص الذي يعرف باسم « الخالدين » وقد خلع على نفسه لقب « الشاهنشاه » أي ملك الملوك ، وهذا يدل على آماله في خلق الإمبراطورية عالمية فدرالية متحدة تحت قيادته .

وبعد موت قورش تولى ابنه قبيز Cambyses (٥٢٩ — ٥٢١ ق.م) وقد حقق قبيز انتصارات كبيرة في آسيا وسار الى أفريقيا بهدف تأمين سيطرة القرص على مركز الصراع في العالم القديم وهو حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأدرك قبيز أن أكبر وأخطر المنافسين للإمبراطورية في امتلاك السيطرة على البحر المتوسط هو المدن الاغريقية التي كانت قد انتشرت في حركة استيطان واسعة حول منافذ وسواحل هذا البحر العظيم ، فقرر أن يأخذ المبادرة الأولى بالمسارعة باحتلال مصر وقورينة ، وذلك لحرمان المدن الاغريقية من خيرات مصر

(1) Cf Percy Sykes, A. History of Persia, Poutledge and Kegan Paul London (1969), p. 160-165.

(*) وقد اتحد الإيرانيون حديثاً تاريخ تأسيس قورش للإمبراطورية الأكمينية عام ٥٥٨ ق. م بداية للتقويم الإيراني الاعتباري .

وليبيا ، فقد كانت مصر صومعة القمح التى تظم الأغريق ، كما كان لهم فيها مصالح هامة وتجارة وعمل وكانت لهم رموس أموال كبيرة مستثمرة فى مشروعات تجارية فى سوقهم الدولية فى قراطين التى كانت بمثابة سوق مصر الحرة فى العصر القديم The Ancient Free Zone of Egypt . كما كان الاغريق يجنون ثروات كبيرة من خيرات قورينة خاصة من نبات السلفيوم الطبي والحياد الأصلية . ومن ثم فإن حملة قمبيز على مصر وقورينة ليست سوى الخطوة الأولى فى المعركة الكبرى ضد المدن الاغريقية من أجل السيطرة على البحر المتوسط .

وبعد موت قمبيز تولى ابنه دارا (٥٢١ - ٤٨٦ ق م) الذى يعتبر بحق النموذج الأمثل للحاكم الشرقى المتعقل والذى نجح فى ادارة امبراطورية مترامية الأطراف تضم شعوبا وأجناسا وقوميات متعددة لا يجتمع بينها لا وحدة العنصر أو اللغة أو العقيدة ومن ثم قسمها الى عشرين ستراية جعل على رأس كل منها ستراب بدرجة وكيل الملك يساعده مجلس من أعيان وشيوخ الاقليم ، وفى كل ستراية كان يضع زمام السلطات الادارية والعسكرية والمالية فى أيد متعددة ومتنافسة حتى لا يفكر أى ستراب فى الاستقلال ، بالإضافة الى ذلك أقام « جهاز عملاء الملك » الذين انتشروا فى كافة أنحاء الولايات لمراقبة الحكام والشعوب على السواء وإبلاغ رئيسهم « عين الملك » والذى بدوره يقوم بإطلاع الملك على أحوال الولايات ، كما ساعد على ربط الامبراطورية شبكة الطرق الكبرى التى ربطت بين أطراف الامبراطورية؛ فثلا كان هناك لأول مرة فى التاريخ طريق يمتد من سوسا عاصمة الامبراطورية حتى سارديس عاصمة ليديا فى آسيا الصغرى ، ويقول المؤرخون أنه لولا هذا الطريق ما أمكن للاسكندر غزو فارس والوصول الى عاصمتها فيسا بعد ، كما كان هناك طريق آخر يمتد من بابل الى اقليم البلخ (١) فى جنوب العراق ثم يتجه الى فينقيا وسوريا ويتجه جنوبا الى سيناء ثم عبر ممراتها يتجه الى مصر . وكان لهذا الطريق أهمية

(١) هو نفسه اقليم بكتريا فى الجنوب الشرقى من ايران .

حيوية في التجارة الدولية اذ أصبحت القوافل تسير من الخليج الفارسي الى مصر أى ربط بين تجارة الشرق والغرب ، كما أوجد الفرس نظام البريد المتنقل عن طريق محطات بريدية تمر بها الجياد لنقل المراسلات وبذلك أصبح الملك يعرف أنباء الامبراطورية في أيام بدلاً من شهر ، ولكي يوحد الامبراطورية اقتصاديا سك عملة رسمية من الذهب سماها الداريكوس Dareikos فبسة اليه وفي نفس الوقت سمح للستراتات بسك عملة فضية محلية في البلاد التي يحكمونها (١) ثم ربط بين العملات بنسبة ثابتة بين الذهب والفضة هي نسبة ١ الى ١٣ ، هكذا أعطى دارا ولايات الامبراطورية استقلالاً ذاتياً شبه كامل لأنه لم يكن يريد منها سوى الاعتراف والاذعان لسلطته ودفع الجزية ومساعدته في الحروب التي يقوم بها من أجل الصالح العام للامبراطورية . ولم يتدخل في عقائد شعوب الامبراطورية أو عاداتها أو تقاليدها بل ألقي لها الحبل على الغارب ، بل أنه لجأ الى احترام وتلقى ديانة هذه الشعوب بتقديم القرابين والأضحيات والتذوق وقد استخدم هذه السياسة حتى مع الشعوب التي لم تكن تابعة للامبراطورية مثل مع كهنة دلفي مهبط وحي وعبادة أبوللون لدرجة أن كهنة دلفي أيدت دارا في مشروع غزوه لبلاد اليونان في أول الأمر .

ولقد ترك لنا دارا نقشا تاريخياً هو سجل لأعماله نقش بستانون Behistun الشهير ، وكان في الأصل قوس نصر سجل عليه دارا أعماله وفتوحاته واصلاحاته وكشف فيه عن نفسه كقاهر وقاتح وبناء عظيم ، عامل الشعوب التي فتحها بالرحمة والعفو والانسانية واحترم عقائدها وتقاليدها ما دامت لا تتعارض مع سلامة الامبراطورية (٢) . وبذلك كسب حب رعايا الامبراطورية ، وشهدت البلاد في عهده استقراراً ورخاءاً لم تشهده من قبل ، لقد حاول دارا أن يستفيد من تجارب وخبرات شعوب الشرق الأوسط خاصة بلاد الرافدين ووادي النيل ،

(1) cf. Charles Seltman, "Greek Coins. A History of Metallic Currency, and Coinage down to the Fall of the Hellenistic Kingdoms, Methuen and Company, London, Second Edition 1955, p. 63.

(2) Pierris L'évéque ; The Greeks, (L'translated by M. Kochan) Weidenfeld and Nicolson, 1968, p. 241.

فمثلاً أعاد تنظيم التقويم الرسمى للإمبراطورية على أساس التقويم المصرى القديم ويقال أنه أمر بنك أسر أحد الكهنة المصريين وأعادته الى مصر مكرماً معززاً بعد أن علم بأنه عالم فى الطب يريد فتح مدرسة للطب والتشريح فى بلده .

ولهذا كله أصبح النظام الذى أوجده دارا هو النموذج الأمثل لطرز الحكم الشرقى الذى حاول الغرب تقليده ، فقد حاول الاسكندر بناء امبراطوريته على غرار الامبراطورية الفارسية ، بل أن روما نفسها فى عصر يوليوس قيصر وأعسطس استمدت من تجارب هذه الامبراطورية فى وضع سياسة السلام الرومانى .

لكن بالرغم من هذا لم تتوقف أثينا عن بث الدعاية ضد نظام الحكم الشرقى وعن وصف الفرس بأنهم برابرة لا يعرفون الحرية الاغريقية ويخضعون للتسلط الملكى وكان يقوم بهذه الدعاية أنصار الحزب الديموقراطى ، أما أنصار الحزب الأوليجارخى فلم يكن يحقدون على نظام الفرس بنفس القدر بل كانوا يكونون اعجاباً خفياً لتبسات النظام الفارسى وقوة شخصيته وكتبوا عن قورش المؤسس واعجبوا بشخصيته ولهذا كان الأوليجارخيون يتربون الى فارس ، بل أن بعض أعضاء الحزب الديموقراطى نفسه كانوا يلجأون الى ملك الفرس عندما يختلفون مع زملائهم . فضلاً على أن شطراً كبيراً من الجنود المرتزقة الاغريق كانت تحارب فى صفوف الجيش الفارسى ففى بعض المعارك التى قامت بين الفرس والاغريق وجد الاغريق أنهم يحاربون أشقائهم الاغريق ، بل أن الاسكندر الأكبر أصدر قراراً دعى فيه المرتزقة الاغريق فى الجيش الفارسى بالعودة لأنهم هم الذين حاربوه وقاوموه بعنف دفاعاً عن الامبراطورية الفارسية ثم عاد وأصدر حكم النفى والأشغال الأبدية فى المزارع لمن يتبض عليه منهم . ولم يكن الأوليجارخيون الاثينيون هم الذين وحدهم يعجبون بالحكم الفارسى . بل كان يشاركهم فى ذلك الأسبرطيون ولهذا فقد كان هناك نوع من الاعجاب الخفى المتبادل بين الأوليجارخين الاثينيين والأسبرطيين من ناحية ، وبين الفرس من ناحية أخرى . وقد سبق أن ذكرت أن كهنة دلفى ايدت فى أول الأمر دارا فى

مشروع غزو أثينا لأنه كان ينوى إسقاط النظام الديموقراطى الذى أحدث صراعاً فى مدن بلاد اليونان وإحلال نظام أوليجارخى هادىء محله ، وربما لهذا السبب وحده امتنع الاسبرطيون عن مساعدة الأثينيين عندما غزى دارا بلاد اليونان فى حملته الأولى ، وقد استغل الحزب الديموقراطى إعجاب الاسبرطيين بالفرس لإظهارهم بظهر الخونة لقضية وحرية الاغريق خاصة فى أيونيا التى ضمها الفرس الى امبراطوريتهم .

إذا لم يكن الاختلاف فى نظام الحكم هو السبب فى المداء الذى استعر بين الفرس والاغريق ، بل كان السبب هو الصراع حول السيطرة على مياه البحر المتوسط وإتلاك السيادة البحرية فيه لأن فكرة الامبراطورية العالمية فى العصور القديمة ارتبطت دائماً بالسيادة البحرية Thalassocracy على البحر المتوسط . وكان الفرس قد أدركوا ذلك مؤخراً مثلما أدرك الآشوريون والبابليون من قبل فاندفع قبيز من عاصمته البعيدة فى وسط آسيا صوب البحر ليظهر بظهر المطالب بعرش السيادة البحرية فى البحر المتوسط ، ومنافسة المدن الاغريقية فى ذلك سواء فرادى أم متحدين . ونظراً لأن دولة فارس كانت تسعى لربط تجارة الخليج الذى كانت تسيطر عليه بالبحر المتوسط ، فقد تحالفوا مع الفينيقيين الذين كانت لهم خبرة واسعة بالتجارة وبناء الأساطيل وقدم الفينيقيون سواحلهم لتكون قواعد للأسطول الفارسى فى شرق البحر المتوسط ووجد الفينيقيون فى الامبراطورية الفارسية قوة شرقية يمكن أن تحقق لهم مظلة دفاعية حتى يتفرغوا للتجارة والانتشار ومنافسة المدن الاغريقية فى نشر المستوطنات التجارية خاصة فى صقلية وشمال أفريقيا^(١) وكان الفينيقيون يعتقدون أنهم يستطيعون ردع الاغريق عن طريق الأسطول الفارسى الذى بنوه ودعموه وقدموا له سواحلهم لكى يحصيههم حتى أصبح الأسطول الوحيد القادر على منازلة أساطيل المدن الاغريقية ، بل كان الفينيقيون يحرضون الفرس ضد الاغريق ؛

(١) عن هذا التنافس فى المستوطنات بين الاغريق والقرطاجيين فى صقلية انظر : محمد كامل عباد - تاريخ اليونان - الطبعة الاولى دمشق ١٩٦٩ ص ٢٤٦ مع مراعاة عدم دقة المؤلف فى نقل الاسماء الاغريقية الى العربية .

وربما كانوا هم الذين أوعزوا الى الملوك القرس بغزو الشام ومصر لطرد النفوذ الاغريقى ومنع انتشار المستوطنات الاغريقية فى هذه المناطق ، فقد كانوا يملكون مدى الخسارة التى ستزول بالاغريق اذا فقدوا مصر ومصالحتهم فيها ، وأنهم سوف يحرمون من المصدر الأول للقبح الجيد والرخيص ، كما أن فقدان الاغريق لقورينة سوف يحرمهم من الجياد الأصلية ومن دخل نبات السلقيوم ، خاصة أن قورينة كانت منافساً عنيدا لمستوطنة قرطاجة الفينيقية .

حقيقة لقد أدرك قبيز أهمية وجوب السيطرة على القوة البحرية فى حوض البحر المتوسط ، لكن دارا كان أكثر ادراكا واقتناعاً بآراء الفينيقيين ، فزاد من استعداده البحرى ولهذا خسر قتالاً ربطت بين النيل والبحر الأخير « حتى تبهر السفن من مصر الى فارس حسب رغبتى » كما يقول فى سجل أعماله المنقوش على بوابة « بهستون » (١) ، وربما اقتنع دارا بتحريض الفينيقيين فى وجوب تدمير المدن التجارية المنافسة لهم .

وفى نفس الوقت بدأت الجمهورية الأثينية الوليدة بعد طرد الطاغى هيبياس وعلان النظام الديموقراطى أن تزعم حركة تدعو المدن الاغريقية فى أيونيا الى الثورة ضد الطغاة الذين يحكمونهم باسم الملك الفارسى ، وقبول النموذج الأثينى للديموقراطية ، مستغلين الكراهية الطبيعية التى كان يشعر بها الاغريق لزاء نظام دكتاتورية الطغاة لتنافيها مع الاحساس الطبيعى للاغريق لمعنى « الحرية » واحترام القوانين والالتزام بها حكماً ومحكومين ، استغل الأثينيون ذلك لطرد النفوذ الفارسى من أيونيا ومدن البحر الأسود واحلاله بالأحزاب الديموقراطية التى تقام على غرار الحزب الديموقراطى الأثينى الذى يصح الحزب الأم ومن ثم يكون ذلك الخطوة الأولى نحو قيام قوة بحرية متحدة من كافة المدن الاغريقية للسيطرة على السيادة البحرية فى البحر المتوسط

(١) ومكانها الآن مدينة بستيون بأقليم كرمنشاه وتقع على طريق القوافل من بغداد الى طهران وعن النقش وتفسيره انظر :
A.T. Oimstad. «Darius and his Behistun Inscription», *AJSO*, vol. 55,
1936, pp. 392-416.

وطرد النفوذ الفارسي والفينيقي منه ، وبالتالي يمكن بناء الامبراطورية الاثينية ، ومن ثم عمل الاثينيون على اذكاء نار الثورة في ايونيا ضد الفرس بل وفي مصر أيضا وقد كانت الثورة الايونية هي الشرارة التي أشعلت الصراع بين الفرس والاغريق للسيطرة على البحر المتوسط ، وكان الفينيقيون بلا شك هم المحرضون عليها .

ثورة المدن الايونية ضد الفرس ٤٩٩ ق م :

كانت أثينا تمر برحلة تطور سياسى نتيجة لتعصبها لنظامها الديموقراطى ورغبتها في نشره بين كافة المدن الاغريقية وخاصة تلك التى كان الطغاة لا يزالون يحكمونها وثار الايونيون ضد طغاتهم المواليين للفرس وارسلت أثينا قوات لمساعدتهم حيث أحرقت مدينة سارديس تماما مما أدى الى اشتعال النيران فى قلب الملك دارا الذى لم ينس ذلك وقد قيل أنه أوصى أحد عبيده لكى يهبس فى أذنيه كل مساء « مولاي لا تنسى الاثينيين ! » (١) .

لقد عاش الايونيون مع الفرس فى سلام لمدة طويلة وتقدمت حضارتهم المادية والمعنوية فقدموا للحضارة الاغريقية عباقة مثل الفيلسوف طاليس Thales أحد مواطنى مدينة ميليتوس (٦٤٠ — ٥٤٦ ق م) والذى سجل مواعيد خسوف الشمس ووضع أسس علم الأجرام السماوية للاغريق ، ومثل السلالة فيثاغورس Pythagoras مواطن جزيرة ساموس (Samos) وكان أحد كبار علماء الرياضيات .

كان طاليس عالما وسياسيا فنادى بقيام اتحاد بين مدن ايونيا واقترح أن ترسل كل مدينة ممثلها لمجلس يتكون من كافة المدن ويقرر شئونها بينما تبقى كل مدينة مستقلة تماما ولكن هذا المشروع فشل ومقطت المدن الايونية فى حوزة الامبراطوريات الآسيوية لمملكة ليديا ثم للفرس . وأدرك الايونيون أن دارا قد شدد قبضته فقد أعاد هذا الملك الذى حكم بلاد الفرس حتى عام ٤٨٥ تقسيم الامبراطورية الى عشرين سترابية (أى مقاطعة) يحكم كل منها ستراب Satrap وأقام نظام المراسلات البريدية بينها ليلم بأخبارها يوما بعد يوم .

(1) Herodotus. IV, I.

وبذلك أصبح درا يعرف أخبار سارديس مثلاً بعد أسبوع بدلاً من ثلاثة شهور وهي المدة التي تستغرقها الرحلة من عاصمة بلاد الفرس موسا (Susa) إلى سارديس عاصمة ليديا كما ساد الأيونيين الذعر من ظلم إقامة الطغاة الاغريق الموالين للفرس ومن الضرائب التي كانوا يدفعونها مما دعاهم إلى الثورة (١) بتحريض وبمساعدة أثينا وتكلف الفرس كثيراً في إحباطها والقضاء عليها في عام ٤٩٤ ق. م. عندما دمروا مدينة ميليتوس وتلدعت للمدن النائرة بعد ذلك. ولم ينس دارا ذلك فحاول معاقبة الاثينيين عام ٤٩٢ ق. م. عن طريق إرسال حملة بقيادة ماردونيوس (٢) ولكن هياج البحر وقيام العواصف أعاقت استمرار الحملة فعادت من حيث أتت ولكن في عام ٤٩٠ ق. م. فجع أثينا من قواده في ائزال الجنود في سهل الماراثون الذي يبعد ست وعشرين ميلاً عن أثينا وكان من بين القادمين مع الفرس هيبياس العجوز.

موقعة سهل الماراثون :-

هكذا نزلت القوات الفارسية بسهل الماراثون عام ٤٩٠ بقيادة الجنرالين داتيس Datis وارتافرنيس Artaphernes وكانت هذه الحملة قد أبحرت من جزيرة ساموس بعد أن دمرت جزيرتي ناكسوس واريتريا في طريقها. وصمم الاثينيون والاسبرطيون على تناسي خلافاتهم والدفاع عن بلاد اليونان. فلما ذهب رسول ملك الفرس إلى أثينا مطالباً أن يسلم الاثينيون أرضهم ومياهم للفرس ألقى به الاثينيون من فوق صخرة الأريوباجوس حيث كانوا يلقي بالمجرمين قائلين «هذه هي الأرض» ولما ذهب رسول آخر إلى أسبرطة يحمل نفس المطالب التي به الاسبرطيون في بتر عقيقة قائلين «هذه هي المياه». وكان التعدي على الرسل تعد على قداسة التقاليد التي تحميم ولو كان الاثينيون والاسبرطيون قد هزموا في المعارك التي تلت ذلك لنسبوا هزيمتهم لغضب الآلهة نظير قتلهم الرسل، لأنه تعد على حدود الآلهة.

ولما سمع الاثينيون بوصول الفرس أعدوا جيشاً سريعاً بلغ تعداده

(1) G.A.H. Chapman, «Herodotus and Histiaeus, rôle in the Ionian revolt, Historia XXI, 1972, F. 346-368.

(2) J.M. Balcer, «The date of Herodotus, IV, 1, Darius Scythian expedition, Harv. Stud. Class. Phil. LXXVI, 1972, p. 99.

طال بين تسعة آلاف وعشرة آلاف مقاتل بقيادة القائد كاليباجوس
Callimachus يساعده جنرال اسمه مليتياديس *Milltiades* والذي كان
يقود فرقة تتكون من ألف متطوع جاءوا من أثينا . كما أرسل الاثينيون
عداء اسمه فيديبيدس *Phidippides* ليقطع رحلة طولها مائة وأربعين
ميلا عبر مناطق وعرة وهي المسافة بين أثينا واسبرطة . وتقول الروايات
الشعبية أن هذا العداء قطع الرحلة في يومين أي سبعين ميلا في اليوم
للوحد ولكنه عاد يخفى حين لأن الاسبرطيين كانوا يحتفلون بأعياد
دينية تحرم القتال وتسير الجيوش . وقبل الاثينيون التحدي والمغامرة
بمواجهة الجيوش الفارسية وحدهم معتمدين على أنفسهم وبنفس حلفائهم
وقاتلوا بشراسة منقطعة النظير وأزلقوا بالقرس خسائر فادحة بلغت ٦٤٠٠
قتيل بينما خسروا هم ١٩٢ قتيل فقط حسب ادعائهم لقد كان اتصال
للإثينيين فاتحا من ارتفاع روحهم المعنوية إذ أنهم كانوا يخوضون حربا
دفاعية عن نساءهم وأولادهم وبيوتهم وبالقرب من موطنهم (١) . كما
كانوا يحاربون وهم يدافعون عن نظامهم « الديمقراطي » الذين التهبوا
حوله لحمايته لأنهم أدركوا أن القرس إذا ما انتصروا سوف يقيمون
هييلاس طاغية عليهم وبذلك يفقدون حريتهم ونظامهم الديمقراطي .

وبالرغم من هزيمة القرس في البر إلا أن أسطولهم كان لا يزال متأهيا
بالقرب من الشواطئ الاثينية وكان هيبلاس على ظهر إحدى سفنه
يُنظر إشارة للنزول وجاءت إشارة من أحد عملاء هيبلاس إلى الأسطول
الفارسي أن « اهجموا على أثينا فوراً ! » وأبحر الأسطول الفارسي ولكن
الاثينيين كانوا في انتظاره وأدرك القرس أن القوات الاثينية قد انتقلت
بسرعة من سهل الماراتون إلى العاصمة وحصنتها . فتردد القرس في النزول
واستدار أسطولهم عائدا وهكذا ضاعت أحلام هيبلاس في العودة إلى
الحكم مرة أخرى وأعلن الاثينيون « النصر » وحتفوا يبطل الممارك

(١) بقيت معركة ماراتون ذكرى لا تنسى في وجدان الشعب الاثيني
إلى زمن طويل حتى أن ديموستينيس في القرن الرابع ذكر مواطنيه بشجاعة
أسلافهم الذين سقطوا في سهل الماراتون أنظر ديموستينيس خطبه التاج
فقرة ٢٠٨ .

مليتياديس ولكن هذا البطل تهور وأسرع في حملة ضد جزيرة باروس^(١) فشلت تماما وعند عودته حوكم بسبب ذلك ولكنه لم يمت طويلا بعد محاكمته وهكذا فقدت أثينا أحد أبطالها العظام .

الصراع والمنافسة بين أرستيديس : Themistocles
Aristides Dikaos وبين

كان الأثينيون قد تركوا قوة في جزيرة سالاميس بقيادة ضابط اسمه أرستيديس الذي عرف بنزاهته وعدله حتى أنه لقب بالعدل dikaos . وكان هذا الضابط يطمح في أن يقود الحكم في أثينا في نفس الطريق الذي بدأه كليشيس . وخاصة أن أرستيديس كان معجبا بكليشيس ويتمنى أن يكون مثله ولكن الأثينيين حقدوا عليه وقرروا أن مواطن أثينا أميا لا يعرف أرستيديس طلب منه أثناء عملية الاقتراع على قيده أن يكتب له اسم أرستيديس على قطعة الشقانة الخاصة به فسأله أرستيديس متعجبا « هل الحق بك أرستيديس أدى في شيء » . فأجاب « لا ولكني سئمت من تلقيه بالعدل ! » فتجب أرستيديس وكتب على الشقانة اسمه مطبعا . وكان في استطاعته أن يكتب اسم غيره ولكنه أبى وهكذا نفى أرستيديس عام ٤٨٢ ق م .

كان ثيمستوكليس زعيما مغرورا متباهيا وقد روى عنه أنه قال للناس « عفوا أننى لا أعرف كيف أعزف أى آلة موسيقية ولكنى أعرف كيف أجول مدينة صغيرة الى مدينة عظيمة » . ولما غنمه أحد سكان جزر بحر ايجه مذكرا الأثينيين أن ثيمستوكليس اكتسب شهرته من شهرة أثينا أجابه قائلا « نعم أن ذلك حقيقى ولو أننى أعيش في جزيرتك لما اشتبرت تماما كحالتك لو أظفك عشت في أثينا ! »^(٢) .

وقد عرف عن ثيمستوكليس مرحه وميله للدعابة والسخرية فقد قيل عنه أنه لقب ابنه « بأقوى أبناء اليونان » وشرح ذلك قائلا « لأن أثينا يا ولدى تتحكم في مدن بلاد اليونان وأنا أقوى أبناء أثينا وأملك تتحكم في وأنت تتحكم في أمك ! » ولكنه اكتسب شعبية كبيرة بين الأثينيين لأنه

(1) cf. cf. p. Bicknell «The date of Miltiades Parian expedition, A.C., XLI, 1972, p. 225-227.

(2) Plutarchus, Themistocles.

كان يعرف كيف يتتلق من يتحدث اليهم بعكس أرستيديس العادل الذي كان صريحا وجافا ، كما كان ثستوكليس سياسيا بعيد النظر لأنه بعد تقي منافسه وجد فائضا من الفضة في خزانة المدينة وطلب الأثينيون أن توزع عليهم . ولكنه أقنعهم بأن يدخروها لبناء عشرين سفينة حربية ذات ثلاث طوابق triremes لأن الفرس سوف يعاودون الهجوم على اليونان وقد ثبت حذره فيما بعد .

الحرب ضد ايجينا Aegina وبناء الاسطول والقلاع :

كأنت سياسة ثستوكليس هي انشاء أسطول بحرى قوى في أثينا وتحصين ميناءها ، ومن ثم دخلت أثينا حربا سريعة ضد جزيرة ايجينا والتي كانت منافسا بحاريا وتجاريا خطيرا لها وخرج ثستوكليس من هذه الحرب وهو يدعو لانشاء قوة بحرية وأن أثينا خلقت لتكون أمة بحرية . وكان ثستوكليس قد أشرف على برنامج تحصين العاصمة وميناءها بعد معركة الماراثون واهتم بالذات بميناء بيرايوس Piraeus (١) وربما كان سبب تقي منافسه أرستيديس هو معارضة الأخير لسياسة البحرية . هكذا ما أن قدم عام ٤٨٠ ق.م حتى كان لدى أثينا بفضل ثستوكليس أسطولا يتكون من ٢٠٠ سفينة على الأقل ومحصنة تماما .

الحملة الفارسية الثانية ضد بلاد اليونان :

مات دارا الأول عام ٤٨٦ وهو لم يشف غله من الأثينيين بعد وكان قبل موته قد بدأ الاعداد لحملة حربية ثانية تفوق الأولى عدداً وعدة وبعد موته أشرف ابنه كسيركسيس Xerxes والذي يعرف بالفارسية باسم خشيارشاي — على هذه الحملة التي شملت جيشا وأسطولا جميع من كافة الأجزاء التي تتكون منها الامبراطورية الفارسية بما (٢) في ذلك

(1) Thucydides, I, 93, 3.

وجدنير بالذكر انه عندما أوكل اليه ذلك لم يكن أرخونا بل تفرغ للشئون الفنية الدفاعية والعسكرية : انظر :

C.H. W. Fouara, "Themistocles' Archonship, Historia, XX, 1971, p. 534-540.

(2) Herodotus, VII, 61-46.

وربما كان هدف الملك الفارسي تقليد ما حدث عام ٦١٢ ق.م عندما تعاونت شعوب الشرق الاوسط ومصر لتدمير السطوة الاشورية وهدم نينوى عاصمتهم .

قوات من اغريق أيونيا الموالين للفرس . كما شملت أثيوبيين في زعيم الوطنى الذى يتكون من جلد الفهود وهنود من أقصى حدود الامبراطورية بزيهم القطنى الأبيض الخفيف ومن الشمال جاء أهل سكيثيا بجواربهم الطويلة وخوذاتهم المدية وبألهم الشهيرة وسار كسيركسيس في المقدمة منتظيا عربة حربية تحيط به كوكبة من الفرسان المروغين باسم « الخالدين » ، وكان كسيركسيس واقفا من نفسه فقد أعد لكل شيء عدته حتى المؤن والعتاد فقد أمن وصولها لقواته وأقام جسرا من السفن عبر مضيق الدردنيل ولكن العواصف دمرته أثار غضب الملك الفارسى فلم يستطيع السيطرة على عواطفه الشرقية فأمر بجلد البحر ثلاثمائة جلدة وأن تصب عليه لعنات كهنة الفرس . أما الذين أشرقوا على بنائه فقد أمر الملك بقطع رقابهم جزاء فشلهم (١) .

وأخيراً في ربيع عام ٤٨٠ تمكن الجيش الفارسى من عبور البسفور والدردنيل واخترق اقليم تراقيا وعند وصوله الى ثرما Therna في مقدونيا انضم اليه الأسطول وكانت ذلك في أوائل شهر أغسطس من العام نفسه .

تبالغ الروايات والأقاصيص الاغريقية في تعداد الجيش الفارسى وتحدث عن الملايين التى تكون منها ولكن المؤرخين المعاصرين يعتقدون أن هذا الجيش لم يزد عن ٣٠٠ر٠٠٠ مقاتل وأن أسطوله لم يزد بأى حال من الأحوال عن ٨٠٠ قطعة حربية .

وعندما أدرك الاغريق أن الخطر محقق بهم جميعا . عقدوا اجتماعا عاما قرب خليج كورثا عام ٤٨١ ق.م تصالحوا فيه ، وسبحت أثينا بعودة المنفيين السياسيين وعلى رأسهم أريستيديس المادل وانتخبت أمبرطة لما لها من قوة عسكرية رئيسا للحلف الدفاعى الجديد وحاولوا ادخال اغريق صقلية في هذا الحلف أيضا ولكن جيلون طاغية سيراكوزة أصر على أن يكون هو على رأس هذا الحلف الدفاعى وهذا لم يعجب لا الاثينيين ولا الامبرطين ، وعلى أى حال يبدو أن جيلون فتح جبهة

جديدة ضد الفرس في صقلية بإعلانه الحرب ضد الفينيقيين والقرطاجيين في صقلية ، وكان الفينيقيون حلفاء مخلصين للفرس ويمتثلون بصفة قرابة وثيقة للقرطاجيين^(١) ، وقد أقام الفينيقيون مستوطناتهم في صقلية منذ وقت سابق على المستوطنات الاغريقية في هذه الجزيرة ، ومن الغريب أننا لا نسمع عن مبادرة من جانب اغريق أيونيا لمساعدة وطنهم الأم بل نسمع عن مساعداتهم للجيش الفارسي الغازي لبلاد اليونان .

أدرك الاغريق أن المضائق والممرات الجبلية التي تمتلأ بها بلادهم سلاح دفاعي فعال إذا ما استخدم جيداً فبدأوا في تحصينها . فحصنوا ممر تمبي Tempe الشهير الذي يربط بين تساليا ومقدونيا ، وعند مضيق ثرموبيلاي Thermopylae الذي ينحصر بين الجبل والبحر عسكر الملك الاسبرطي ليونيداس Leonidas ومعه قوة مكونة من ٧٠٠٠ رجل منهم ٤٠٠٠ من اليلوبوليسوس في انتظار الفرس بينما وقف الأسطول الاغريقي الذي كان يتكون من ٣٠٠ قطعة حربية متاهبا عند رأس ارتيميسيوم Artemisium في شمال جزيرة يوبويا Euboea لحراسة الممر المائي بين القارة والجزيرة .

معركة مضيق الثرموبيلاي :

حاول الاغريق منع الفرس من اختراق المضائق الجبلية التي تربط بين تساليا شمالا وبلاد اليونان جنوباً . وبدأ الالتحام بمعارك بحرية بين الطرفين لم يعرف نتائجها ولكن العواصف فتكت بجزء كبير من أسطول الفرس عند خليج مجنيزيا .

ثم حاول الفرس احتلال مضيق ثرموبيلاي الجبلي بالتسلل عن طريق ممر آخر حيث فاجأوا القوة الأسبرطية هناك التي قاومت حتى آخر رجل فيها ومن الواضح أن الخيانة لعبت دوراً كبيراً في هذه الهزيمة لأن الفرس استعانوا بعدد كبير من المرشدين الاغريق هكذا

(1) cf. Kl. Meister, "Das Persisch-Karthagische Buednis von 481-v chr. Historia, 1970, p. 607-612.

سقط هذا المر الحصين في أيدي الفرس ومجّدت الروايات فيما بعد بطولية الملك الأسبرطى ليونيداس وتضحيته بنفسه وبرجاله من أجل الواجب (١) . وبعد سقوط هذا المر أصبح وسط بلاد اليونان تحت رحمة الفرس وتقدم كسيركسيس وجحافل جنوبا ، وقرر الأثينيون إخلاء عاصمتهم ونقلوا النساء والشيوخ والأطفال إلى الجزر المجاورة مثل سلاميس وإيجينا حتى لا يسيبهم الفرس . وتقدم الفرس جنوبا محاولين احتلال دلفى ونهب خزانة معبد الإله أبوللون ، ولكن كهنة هذه المنطقة المقدسة نظموا مقاومة عنيفة ساعدهم عليها هبوب عواصف شديدة مما جعل الفرس يولون الأديار . أما أهل منطقة بيوتيا فقد سلموا عاصمتهم طيبة للفرس دون مقاومة بينما هجر الأثينيون عاصمتهم وانتظروا ماذا سيفعل بهم تيمستوكليس وأسطوله الذى وضعوا فيه كل آمالهم .

معركة سلاميس :

وبينما كان أسطول الفرس راسيا عند رأس فاليروم Phalerum قرب أثينا كان الأسطول الاغريقى المتحد يراقب المضيق المائى بين جزيرة سلاميس وشواطئ أتيكا .

وتقدمت جحافل الفرس واستولت على إقليم أتيكا ودخلت أثينا وأحرقتها بينما كان تمستوكليس يحاول عبثا اقناع قائد الأسطول الأسبرطى بالهجوم على أسطول الفرس ولكن الحلفاء الاسبرطيين كانوا مهتمين بالدفاع عن اليبلوبونيسوس بالرغم من أن أثينا ساهمت بمائة وثمانين سفينة من مجموع الأسطول المتحد البالغ عدده ٣٧٨ سفينة ، وكان على تمستوكليس أن يفعل شيئا (٢) ، فأرسل رسولا إلى ملك الفرس ليبلغه أن أسطول الاغريق واقع في مصيدة وأنه سوف يفلت منها بالهروب وأسرع ملك الفرس وأرسل قوة من فرقة مصرية كانت مع

(1) cf. R. Hopp Simpson, Leonidas' decision, Phoenix, XXVI, 1972, p. 1-11.

(٢) عرض بيتر جرين في دراسة حديثة قضية الحرب الفارسية اليونانية وسياسة تمستوكليس في الاعتماد على الأسطول وما لى ذلك من انتصار أثينا وتراجع الفرس ثم حل نتائج النصر وأسبابه أنظر :

Peter Green : The Year of Salamis-480-479, B.C. Weiden Field and Nicholson, London 1970.



منوچهر بن کسری

جيئه لتسد المضيق بين سلاميس وسواحل أتيكا لكي لا يخرج منها أحد ودخل الجيش الفارسي المصيدة وهو لا يدري ، فبالرغم من كثرة عدده الا أن ضيق المكان وخفة حركة السفن التجارية حقق للاغريق نصرا كاملا في سبتمبر عام ٤٨٠ ق.م . لقد كان انتصار الاغريق في سلاميس عظيما ، واندفع المنفيون عائدلين وعلى رأسهم أرسشيديس العادل وتفننى الشاعر ايسخولوس Aeschylus بهذا الانتصار في رواية سماها « القرص » تحدث فيها عن عناية زيوس رب الارباب وانتصاره على الفرس ولم يذكر شيئا عن ثيستوكليس على الاطلاق .

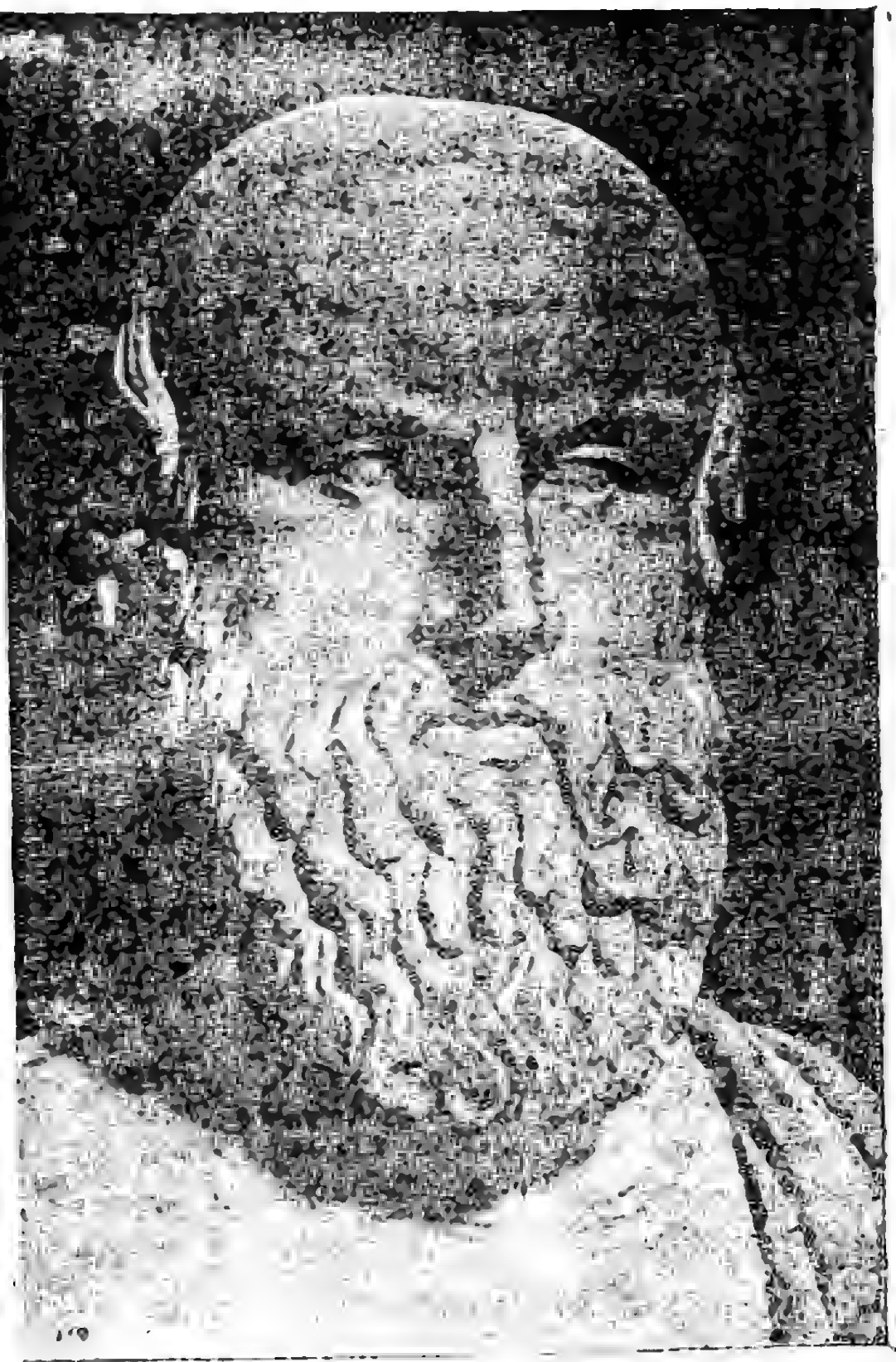
وكان كسيركسيس يرقب المعركة من ربوة عالية ولما عرف نتائجها قرر العودة فوراً الى بلاد القرص تاركاً نائبه ماردونيوس ليشرف على الحملة نيابة عنه . وفي نفس الوقت نجح الاغريق في صقلية في الانتصار على القرطاجيين في معركة هيرا Himera فكان انتصاراً للاغريق على جبهتين (١) .

معركة بلاتيا Plataea البرية وموكالى البحرية :

انسحب ماردونيوس شمالا الى طيبة عاصمة بيوتيا ولاحقته القوات الاغريقية المتحالفة وقرب مدينة بلاتيا تمكنت القوات الأسبرطية بالذات من الحاق هزيمة ساحقة بالفرس عام ٤٧٩ قتل فيها ماردونيوس وانسحب الجيش والحاميات الفارسية من بلاد اليونان كلها وكانت المرة الثانية والأخيرة التي حاول فيها الفرس وإن شئت فقل بلاد الشرق المتحد غزو أوروبا .

وتقول الروايات التاريخية أن الاغريق حاربوا معركة بحرية ضارية في عام ٤٧٨ ق.م عندما انقض الأسطول الاغريقى على الأسطول الفارسي في موكالى Mykaie بالقرب من ميليتوس بآسيا الصغرى وفتك به وتحرر غربى أيونيا نتيجة لذلك وكانت هذه المعركة بقيادة ادمسiral أسبرطى اسمه توخيلاس . ثم انسحب الأسبرطيون عائدلين الى بلادهم بينما أكمل

(1) Y. Garçon, Etudes d'histoire militaire, VIII : à Propos du Parallèle Hérode-Salamine, B.C.H., XCIV, 1970, p. 630-635.



ابن حنبل

الأتينيون والأيونيون المارك شمالا عند مضيق البسفور والدرديل حيث استولوا على مدينة سستوس المحصنة Sestus بقيادة كساتبوس Xanthippus ، وتهاخر الأتينيون بأنهم قادوا أشرف المارك دفاعا عن حرية هيللاس الغالية ووضعوا أقدامهم على الطريق الموصل الى الامبراطورية الكبرى في الوقت الذي انسحب فيه الأسبرطيون الى معقلهم في اليلوبونيسوس، اذ لم تكن لديهم نية في التوسع أو فرض سياسة القوة (Machtpolitik) وانما كان كل هدفهم هو دعم حلفهم ومن أجل ذلك غزلوا الملك الأسبرطي باوساياس الذي يمثل القوة الدافعة التوسعية (١) .

الشاعر الماسوي ايسخولوس :

لا يمكن ذكر انتصار الاغريق على الفرس دون الاشارة الى الشاعر التقى الورع ايسخولوس ، كان يستراتوس قد وضع اللبنة الاولى لحركة تطور المسرح الاغريقي بإيجاده الأعياد الثقافية والدينية مثل عيد الديونيسيا الذي كان يقام احتفاء برب الخمر ديونيسوس وعيد الباناثينا الخاص بآثينا ، وكان يقام في هذه الأعياد عرض غنائي أشبه بفصول الأوبرا الدينية تقام في الهواء الطلق ومتاحة لكل المتفرجين . وكانت الجوقة أو الكورس Chorus هي نواة المسرح الاغريقي وكانت تتكون عادة من خمسين رجلا يغنون ويرقصون بطريقة دينية مبجلة وبين الفينة والفينة كان يقطع غنائهم واتشادهم راويا يحاورهم ويحاورونه . وهكذا كان حال المسرحية الاغريقية قبل مجيء الشاعر ايسخولوس الذي أضاف ممثلا آخر الى الراوى وجعله يدخل في حوار معه ويدخل المثلان بدورهما في حوار مع الجوقة أو مع قائدها ينشأ يرتدى الجميع أروبا واسعة وأقنعة وأحذية طويلة تضفي عليهم قداسة الشخصيات المؤلفة أو الأبطال التي كانوا يحاكونها (٢) .

(1) cf. D. Lotze, Selbsthe wusstsein und Macht Politik. Bemerkungen zur Machtpolitischen Interpretation Spartanischen Verhaltens in der Jahren 479-477., V. Chr. Klio, LII, 1970, p. 255-257.

(2) T.A. Sinclair, A. History of Classical Greek literature, from Homer to Aristotle, P. 224 ff.

وكانت الأعياد الدينية تشتمل على أكثر من عرض مسرحى ومأسوى يستمر طوال اليوم وقد أضيف الى الممثلين شخصية ثالثة بينما حدد عدد الجوقة فأصبح خمس عشرة وكان الرجال يقومون بدور النساء بواسطة الأقنعة والثياب . وأغلب الظن أن العرض المسرحى كان يتم على أنغام الزامير تماما كما كان الحال فى المباريات الرياضية .

وبالنسبة لتاريخ الأدب الأغريقى يعتبر إيسخولوس أول أئنيى يفرض نفسه على عالم الشعر . لأن كل من سبقوه من أعلام الأدب كانوا من جنسيات غير أئنية فهوميروس ناظم الألياذة والأوديسا كان أيونيا وكان هسيودوس ناظم ملحمة الأيام والأعمال من إقليم بيوتيا تماما مثل الشاعر الفنائى بندار الذى تخصص فى أغاني انتصارات الأبطال الرياضيين ، كما كانت سافو الشاعرة الفنائية العاطفية الاباحية من جزيرة لسبوس الأيونية قرب ساحل آسيا الصغرى . كما كان سيمونيدس Semonides من جزيرة كيوس . وغير ذلك كثيرون ممن أتوا من جزر بحر ايجه ولم نسمع عن شاعر أئنيى مشهور قبل إيسخولوس .

ومن أشهر مؤلفات إيسخولوس التراجيدية المأساة المعروفة باسم « الفرس » Persae التى سجل فيها حقبة من الأحداث التى عاصرها واشترك فيها خاصة هزيمة الفرس فى معركة بلاتيا وهذا تقليد جديد لم يعرف مثله (١) من قبل أو من بعد لأن معظم موضوعات المأسى الاغريقية كانت أسطورية أو مأخوذة من الماضى البعيد بينما أراد إيسخولوس أن يضرب مثلا من التاريخ على غرور البشر وتعاليمهم وصلفهم ثم عقاب الآلهة لهؤلاء الناس ووجد فى سيرة كسبركيس وحملته ضالته المشبودة لموضوع هذه المأساة ، ولكن هذا النوع من التجديد لم يعجب الأئنيين ولهذا فضلوا عليه شاعرا جديدا أكثر منه تحمرا واسمه سوفوكليس Sophocles وكان ذلك إبان أعياد الديونيسيا فى شهر

(1) cf. George Thompson, "Aeschylus and Athens-Astudy in the Social origins of Drama., London 1950.

وقد ترجم هذا الكتاب الدكتور صالح جواد القاسم - تحت عنوان « إسخيلوس وأئينا » - بغداد - المطبعة الجمهورية ١٩٧٥ .

مارس عام ٤٦٨ ق.م وكان سوفوكليس أصغر بنا من ايسخولوس لأنه وقت هجوم الفرس كان عمره خمس عشرة عاما ، وغادر ايسخولوس أثينا الى صقلية ولكن لم يكن في ذلك نهايته لأن أعظم أعماله وهي مسرحية « أجاممنون » كتبت بعد ذلك التاريخ .

تحصين أثينا :

أثارت دعاية أثينا وتفاخرها بحقد أسبرطة الدفين فاتمى الوثام والتحالف بينهما وبدأ فصل جديد من العداء والصراع انتهى بحرب طاحنة بينهما . وخاصة ان الاسبرطيين راحو ينظرون بعين الشك الى مشروعات أثينا الدفاعية الخاصة ببناء أسوار تربط ميناء بيرايوس Piraeus بالمدينة وكان الفرس قد دمروا هذه التحصينات أثناء احتلالهم لأثينا ويرجع الفضل في اقامة هذه التحصينات الى ثيستوكليس وكذلك اليه يرجع فضل انشاء قوة بحرية فرضت زعامة أثينا على مدن هيللاس كما يينا من قبل (١) .

تأمر الملك الاسبرطى باوسانياس Pausanias مع الفرس ضد

أثينا :

في عام ٤٧٨ ق.م سار أسطول الحلفاء الاغريق بزعامة أريستيديس الاثيني والملك باوسانياس الاسبرطى ليحرر جزيرة قبرص من نير الاستعمار الفارسي وبعد أن تم لهما ذلك أبحرا شمالا وحررا مدينة بيزنطة . ولكن حقد الملك الاسبرطى على الاثينيين وتشككه في نواياهم (٢) جعله يتآمر مع الفرس ضدهم ولما اكتشف الاثينيون وحلفاؤهم ذلك فضحوا أمره واعتبروا ذلك خيانة لقضية الاغريق مما أثار سخط باقى المدن الاغريقية على أسبرطة وازاء ذلك اضطر الاسبرطيون الى استدعاء ملكهم وتقديمه للمحاكمة وتركت أسبرطة مضطرة ميدان الصراع لأثينا المنتصرة التى ألقت

(1) F.J. Frost, Themistocles and Mnesiphilus, Hist. XX, 1971, p. 20-25. ;

(2) cf. A. Blaimaire, "Pausanias and Persia, G.R.B.S., XI, 1970. P. 295-305.

جولها الإغريق جميعا وانقضوا من حول أسبرطة التي أثبتت أن تبتترك
البحر كله وما فيه لأثينا وأن تعود أدرأجها الى اليلوبونيسوس حيث
مكانها الأساسى (١) .

وهكذا خرجت أثينا من معارك القرس منتصرة وأصبحت سيدة على
مياه بحر ايجه بلا منازع وجنت ثمار الصراع الطويل وحدها دون
أسبرطة التي كلفها خيانة وغباء ملكها دماء رجالها بل واحترامها بين
سائر الدولات الاغريقية وسلطت الأضواء على أثينا كزعيمة لحرية بلاد
الاغريق ضد الاستعباد الشرقى الفارسى (٢) . كما أن تحصين المدينة
ومينائها جعلها تنافس أسبرطة فى القوة البرية ، فى نفس الوقت الذى
راحت فيه أساطيلها تحرس بحر ايجه وتحترك التجارة فيه .

ولقد دفع هذا النصر الاثينيين الى التفكير فى الجمع بين الدفاع عن
حرية الاغريق والمصلحة الخاصة لأثينا بعد أن جنت ثمار النصر
تمثلا فى العظمة السياسية وفى التوسع التجارى وفى تحقيق السيطرة
البحرية جزئيا على حوض البحر المتوسط ، بل وفى حركة الانطلاق
الحضارى والفكرى الراقى الذى جعلها بحق مدرسة هيللاس ، كما كان
لزما على مواطنيها أن يعيشوا حياة تليق بالعهد الجديد ، فضلا على أن
حلم توحيد كل المدن والجزر الاغريقية فى دولة واحدة بزعامة أثينا بدأ
يداعب خيال السياسيين الاثينيين لأول مرة .

(1) M. Amit, Athens and the Sea, Coll. Latomus 74, Brussels 1965 (Reviewed in Phoenix, 19 (1965) p. 251-2 ; Athenaeum 43 1965 p. H 65-6.

(2) W.C. West, Saviours of Greece, G.R.B.S., XI, 1970, p. 271-282.

الفصل العاشر

قيام الامبراطورية الاثينية

نمرة الاستعلاء والغرور تظهر في السياسة الاثينية ؟

عندما لمع نجم الشاعر الماسوى سوفوكليس ابن السابعة والعشرين ربيعا وفاز على منافسه ايسخولوس في اعياد الديونيسيا في مارس عام ٤٦٨ ق م (وكان ايسخولوس وقتئذ يقترب من الستين من عمره) حدث حادث هام . اذ فاجأ كيمون Cimon وهو ادميرال وسياسى اثينى ينحدر من سلالة ارستقراطية الناس في المسرح ومعه تسعة من فباطه ومباغديه وكانوا قد عادوا لتوهم من حملة بحرية ضد جزيرة سكورس Scyros التى اعتقد الاثينيون ان ثيسيوس البطل الاثينى مدفون بأرضها . وقدم كيمون للناس عظاما فخرة وقال أنه عاد بنظام ثيسوس استجابة لنبوءة الكهنة وأصبح كيمون بطل الساعة وتردد اسمه على كل لسان . ويبدو أن مثل هذا الادعاء كان مقصودا به اشعار الاثينيين بأنهم منقذون للأمة الاغريقية من أخطار الفرس تماما كما أنقذ بظلمهم فيان اليونان وقتياتهم من شر المينوتور وحش كريت الأسطورى . كذلك أرادت اثينا أن تبلغ هذه الرسالة الى كافة المدن والجزر الاغريقية بدورها التاريخى بينهم . وباختصار كان ذلك بداية سياسة الغرور والطمع اللذان حققا الامبراطورية الاثينية بسرعة وقضيا عليها بسرعة (١) .

(1) cf. R. Meiggs : " The Athenian Empire, Oxford The Clarendon Press, Press., (1972) p. 14 f.

قيام حلف ديلوس الدفاعى :

بذل الاسبرطيون جهدا كبيرا فى رد القرس عن بلاد الاغريق وكان فى استطاعتهم أن يجنوا ثمار ذلك ويطالبوا بزعامتهم لليولان ولكنهم لم يفكروا فى ذلك على الإطلاق لأن عقولهم وقلوبهم فى ميدان الممارك كانت أولا وقبل كل شئ مع المشاكل التى تهدد بلادهم وهى خطر الثورات الداخلية التى كان يقوم بها الهيلوت Helots كلما تاحت لهم الفرصة وخشى الاسبرطيون أن يستغل الهيلوت غياب الجيش الاسبرطى بعيدا عن البلاد فيهبون فى ثورة قد يفتكون فيها بطبقة الاسبرطيين وهم أقلية بالنسبة لهم كما نعرف *

وأدرك الاثينيون ذلك فانتهزوا هذه الفرصة وراحوا يدعون الى اثناء حلف دفاعى تحت زعامتهم لكى يكمل الحرب ضد بلاد القرس وبالفعل تكون حلف من المدن الأيولية والأيولية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى وانضم اليهم عدد كبير من مدن بحر مرمرة Propontis واقليم تراقيا Thracia وجزيرة لسبوس Lesbos وخيوس Chios وساموس Samos ومظم جزر بحر ايجه * كما انضم اليهم مدن جزيرة يوبويا Euboea الواقعة شرق الشاطئ الاثينى باستثناء مدينة كاربيستوس Carystus الواقعة فى أقصى طرف الجزيرة الجنوبى التى آثرت الحياد *

وثق الجميع بأريستيديس العادل — بالرغم من تقدم السن به وقتئذ لكى يقرر نوعية المشاركة من قبل الأعضاء * فاتفق أن نساهم كبريات الجزر الاغريقية بعدد من السفن بينما يدفع باقى المدن والجزر الصغرى اقاوة Phoros (١) قدرها أريستيديس حسب امكانية كل منها على أن تكون فى مجموعها ٤٦٠ تالنت (حوالى أحد عشر ألفا وخمسمائة جنيه

(1) cf. A. French, «The Tribute of the allies Hist. XXI, 1972, p. 1-20 = Meiggs, op. cit., p. 63. also cf. R. Sealey, «Votes on tribute quota lists in the Athenian Empire, Phoenix, XXIV, 1970, p. 13-25.

استرليني) وتقرر أن يحفظ هذا المبلغ في جرار توضع داخل محراب الآله أبوللون في دلفي Delphi حيث يجتمع الأعضاء المشتركون دورياً تحت رئاسة مندوب الدولة الاثينية . كما احتفظت أثينا بحق جمع هذه الأتاوات عن طريق موظفين أثينيين عرفوا باسم مندوبي الاغريق Hellenotamiae وكان هذا دليلاً على سيطرة أثينا على الحلف منذ نشأته وبالرغم من أنها كانت تملن دائماً أنها شريك ولكن كبير ، لكن لا يوجد أى دليل على أنها كانت تحكم حكماً عادلاً .

نفي ثمستوكليس وتولى الحزب المحافظ بزمامة كيمون :

وبينما كانت أثينا تمشي قدماً الى الأمام في تأكيد سيادتها وشخصيتها على سائر المدن والجزر الاغريقية مضت أسبرطة في فرض سيطرتها على جيرانها في البيلوبونيسوس فحققت انتصارات على أرجوس Argos وتيجيا Tegea وعلى أركاديا ، واستدعت ملكها باوسانياس للمرة الثانية لتأمره مع الفرس وسجنته في المعبد الذي التجأ اليه حتى مات جوعاً وعطشاً . وفي أثينا واجه ثمستوكليس تهماً مماثلة وجهها اليه الحزب المحافظ الذي كان يتزعمه أريستيديس العادل كيمون ابن ميلتياديس، فهرب ثمستوكليس من أثينا الى جزيرة كوركورا Corcyra ومنها الى آسيا الصغرى حيث أحسن ملك الفرس استقباله عام ٤٦٥ ق.م وكان هدف القائد الاثيني أن يقنع الفرس بإعادته الى منصبه ، وعينه الفرس طاغية على ماجنيسيا Magnesia ولكنه مات بعد عام من حكمه ميتة غير مشرفة لبطل سلاميس وبطل الاثينيين ضد الفرس . وتولى أريستيديس الحكم ولكنه هو الآخر مات بعد أربعة سنوات فقط من طرد ثمستوكليس البطل الخائن (١) .

(1) G.L. Cawkwell, "The Fall of Themistocles, Auckland Classical, Essays Presented, to E.M. Blaclock Auckland (date ?) p. 39-58.

ومن آراء توكودديدس فيه وفي باوسانياس أنظر :

P.J. Rhodes, "Thucydides on Pausanias and Themistocles, Historia XIX, 1970, p. 387-400.

زعامة كيمون :

كان كيمون زعيما للحزب المحافظ وكان صديقا للأسبرطيين . وكان ثريا وكريما اذ فتح بيته وحدائقه للناس وحاول كسب سمعة حسنة بافهام أمواله في أعمال الخير . وكانت سياسة كيمون وحزبه هو إقامة علاقات طيبة مع أسبرطة وملاحقة الفرس . وكان قبل توليه زعامة الحزب المحافظ قائدا للأسطول الأيوني ولعب دورا هاما في تحرير بيزنطة وسستوس ، وملاحقة باوسانياس ملك الأسبرطيين الخائن عام ٤٧٦ ق م وفي عام ٤٧٥ استولى على أيون Eion في قلب آسيا الصغرى وفي ٤٧٣ استولى على جزيرة سكوروس Scyros وأتى بعظام ثيسيوس البطل الأسطوري ، وفي عام ٤٦٨ حقق انتصارين على الفرس في آسيا الصغرى عند نهر يوريميدون Eurymedon في بامفوليا Pamphylia في آسيا الصغرى وقد كان لهذا النصر أثره العظيم اذ جلب أعضاء جدد للحلف الدفاعي الجديد الذي تزعمته أثينا ضد الفرس بهدف الانتقام منهم على ما فعلوه بالاغريق وانتزاع السيطرة على البحر المتوسط منهم .

حلف ديلوس Delian League يتحول الى امبراطورية لاثينا :

وبعد أن أثبت كيمون للاغريق أن حلف ديلوس قادر على تنفيذ هدفه وهو الانتقام من الفرس ، بدأ الحلف يتحول من سياسة اغراء المدن والجزر الاغريقية للانضمام اليه الى سياسة الارغام بالقوة لقبول ذلك وقد سلك الحلف - وأعني أثينا - سلكا قاسيا تجاه المدن الأعضاء التي كانت تحاول الانسحاب من عضويته فشلا أرغمت أثينا مدينة كارستوس في أقصى جنوب جزيرة يوبويا على دخول الحلف بالقوة وكانت هذه المدينة قد آثرت البقاء بعيدا عنه ولما حاولت جزيرتا فاكسوس وثاسوس Naxos and Thasos الانفصال عن الحلف وتمردتا عليه في أعوام ٤٦٩ و ٤٦٣ ق م حوصرتا حتى الاستسلام ثم حرمتا من حق الاستقلال وأصبحتا مستعمرتين تابعتين رأسا لأثينا . وكان هذا بداية اعلان أثينا لرغبتها في تحويل الحلف الى امبراطورية تابعة لها . وخاصة عندما بدأت تطالب الحلفاء بدفع أموال بدلا من المساهمة بعدد من السفن وبدأت تدس أنفها وتفرض نفوذها في الشؤون الداخلية للمدن الحليفة حتى في

حق التشريع والتحكيم داخل المدن وبين المدن والمدن خاصة فيما يتعلق بالقضايا الجنائية وأصبح المتهمون يرسلون الى أثينا ليلقوا محاكمتهم فيها أمام محاكمها وهذا تدخل سافر آثار امتعاض وشكوك المتعالفين .

وحدث في عام ٤٥٤ ق . م أن فقدت أثينا مائتين سفينة كانت قد أرسلتها للعمل في عدة جهات خارجية كانت مصر (١) أحداها . وادعت أثينا أن هذه الكارثة البحرية سوف تترك جزيرة ديلوس - حيث توجد خزائن الحلف معرضة لعدوان السفن الفينيقية والفارسية وعلى ذلك قررت نقل خزائن الحلف الى العاصمة . وأخيرا أعلنت أثينا شروطا جديدة في وجه الحلفاء الراغبين في الحصول على حق المواطنة فيها وهو أن يكون الثمرد من أبوين مولودين في أثينا كان ذلك بمثابة اعلان الامبراطورية الاثينية حيث سادت سلطة أثينا (Arche) قولا وعملا ، برا وبحرا . ونمت المدينة في الثراء والسكان كنتيجة طبيعية لهذه المزايا بينما راح شعور من الكراهية ينتشر نحوها بين رعاياها .

كيمون يهب لمساعدة الأسبرطيين ضد الهيلوت :

كان أهل جزيرة ثاسوس Thasos أثناء تمردهم على الحلف الديلي قد طلبوا النجدة من أسبرطة ولكنها كانت غارقة في قمع حركة التمرد الكبرى التي قام بها الهيلوت في مسينيا Messenia حول معقلهم في جبل قلعة أيثومي Ithome وقد هددت هذه الثورة الوجود الأسبرطي ذاته . لأنها حدثت في أعقاب الزلزال العنيف الذي حدث في أسبرطة والحق بها خرابا ودمارا كبيرا . عندئذ طلب الأسبرطيون النجدة من أثينا مثلما طلبت الأخيرة النجدة منهم عندما هاجمها الفرس . ووجد كيمون الفرصة مواتية لتطبيق سياسة الصداقة مع أسبرطة فمار على رأس حملة قوامها ٤٠٠٠ جندي من جنود المشاة المسلحين hoplites ولكن القوة الاثينية وجدت نفسها عاجزة أمام متاهات جبل أيثومي العالي حيث لم يسبق لهم خوض أي حرب في الجبال من قبل . ولما أدرك

(١) وذلك لمساعدة الثائر ايناروس احد ملوك مصر ضد الفرس وقد هزم الاثينيون في منفيس واحرق اسطولهم وتفرقت جنودهم . وساروا مشيا على الاقدام حتى وصلوا الى قورينة .

الاسبرطيون ذلك رأوا أنه لا داع من وجود كيمن وقواته فرجوههم أن يمدوا من حيث أتوا واعتبر الأثينيون ذلك اهانة لهم أما الاسبرطيون فقد أكملوا بعد ذلك القتال وحدهم حتى سقط معقل الثوار عام ٤٥٠ ق م ولكن الأثينيين بعد ذلك ارتكبوا حماقة كبرى عندما قبلوا الفارين من ميسينيا ووطنهم في ناوباكتوس Naupactus على خليج كورثا كرد عملى على هذه الاهانة مما ضايق الاسبرطيين كثيرا .

نفى كيمن وظهور ايفيالتيس :

التهم أعداء كيمن من الحزب الديمقراطي فشل الحملة الاثينية في أسبرطة والاهانة التي حاقت بهم وهاجموا كيمن وسياسته - وقاد الهجوم محام شاب عنيف وغيور اسمه ايشيالتيس وكان يساعده زميل له اسمه بيريكليس Pericles وكان الاثنان قد بدأ الهجوم على كيمن وعقب عودته من الحملة ضد ثاسوس وتكن الزعيمان الناشئان من ازكاء نار العداء ضد أسبرطة بالخطب السياسية النارية ، ونتيجة لذلك صوت الأثينيون بنفى كيمن عام ٤٦١ ق م ونادوا بعقد معاهدة صداقة مع أرجوس Argos العدو التقليدية لأسبرطة وكان ذلك ردا آخر على اهانة أسبرطة لشرف الجنود الأثينيين . ولكن ايفيالتيس أفتيل ابان حوادث الشعب التي تلت نفى كيمن وتولى رفيقه بيريكليس الذى قاد البلاد لفترة تقرب من ثلاثين عاما .

بيريكليس يدفع ببرنامج اصلاحى ديموقراطى :

أكمل بيريكليس رسالة رفيقه الراحل وقدم برنامجا يعطى المزيد من الديمقراطية للأثينيين يشتمل على النقاط التالية :

١ - تحديد سلطات محكمة الأريوباجوس المحافظة وزيادة سلطات مجلس الخمسةائة الشعبى واقامة المحاكم الشعبية وأصبحت سلطات محكمة الأريوباجوس قلصرة على القضايا الجنائية التى يذهب ضحيتها مواطنون أثينيون ، وكذلك على التخفصات القانونية والتشريعية الرفيعة (١) .

(١) R.V. Heilbrunn, "The Law of Athens, Vol I, Property and Family 1963, Vol II, Procedure, Oxford 1971.

وهم بهم المتخصص فى القانون اكبر من المتخصص فى التاريخ .

٢ - في عام ٤٥٧ ق. م أدخل بيريكليس نظام الأجور لكل الوظائف التي تشغل بالانتخاب وكانت الحكمة من ذلك هو اعطاء صفة الجدية للعمل في هذه المناصب والقاء المسؤولية على كل من يشغل منصبا والحد من الابتزاز والارتزاق من الوظائف وبذلك شجع الفقراء وغيرهم من الطبقات الدنيا فسعوا لترشيح أنفسهم لوظائف الأراخنة لأنها لم تعد شرفية يتهاوت عليها الأغنياء . ونتيجة لذلك فتح باب الترشيح لهذه الوظائف لكل المواطنين دون النظر الى وضعهم الاجتماعي مادام هناك أجر يدفع لشاغريها .

٣ - ألغى بيريكليس نظام الترشيح بالاختيار ثم القرعة لوظائف الأراخنة ومجلس الخمسمائة وأصبح الترشيح يتم عن طريق القرعة مباشرة من بين المتقدمين ومن بين من تتوفر فيهم شروط الوظيفة . وكان قبل ذلك يطلب من كل قبيلة ترشيح عدد من أبنائها ثم يجرى الاقتراع بينهم .

٤ - ذهب بيريكليس أبعد من سولون وكليشيس في دفع البرنامج الديموقراطي الذي خطط له ايفيالتيس وأدخل نظام الأجور لمن يحضرون جلسات المحاكم ويعملون كمحلفين dicastes ووجد الفقراء في ذلك عملا يتقاضون عليه أجرا وبذلك أصبحت الطبقة الفقيرة في وضع تسيطر فيه على مقاعد الجمعية العامة وعلى جلسات المحاكم . وأصبحوا يسيطرون فعلا على الجهاز التشريعي والإداري .

بينما جاء بيريكليس بهذه الامتيازات لمواطنيه ضيق الحزام على أعضاء حلف ديلوس وأصبح سلوك أثينا تجاه حلفائها يرواقراطيا وكانت سياسته تجسيدا لسياسة الأثينية وتحقيق الرخاء والحرية للأثينيين على حساب المدن الاغريقية الأخرى . فمثلا أرسل حملة عسكرية للاستيطان في منطقة البحر الأسود لتأمين وصول القمح الجيد والرخيص لمواطني أثينا . وأصبحت الجنسية الأثينية تعني الكثير لحاملها مثلما كانت الجنسية الانجليزية يوما ما .

كانت سلطة الدولة التنفيذية متمركزة في يد مجلس الجنرالات العشرة Strategoi الذي أصبح بمثابة مجلس الوزراء وكان هذا المجلس يفرض سيطرته على الأراخنة وكان الجنرالات أو الوزراء يتخبون من قبل الشعب مباشرة وكان رئيسهم بمثابة رئيس الوزراء . وجدير بالذكر أن بيريكليس حكم بصفته رئيسا لهذا المجلس . وتكرر انتخابه لهذا المنصب كل عام حتى موته في خريف عام ٤٢٩ ق. م .

ويرى بعض الدارسين أن نظام الحكم الذي أوجده بيريكليس كان ديمقراطيا شكلا ولكنه كان من الناحية الفعلية حكم رئيس مسيطر أو بلغة الرومان السياسية حكم مواطن أول (Princeps) (١) .

بداية التحرش والناورات بين أثينا واسبرطة وحلفائهما :

بالرغم من أن الأثينيين والأسبرطيين حاربوا جنبا إلى جنب لطرد الفرس من بلاد اليونان ، وامتزجت دماء شهدائهم في ساحات القتال وفي مضائق الممرات الجبلية ، إلا أن قلوبهم لم تكن صافية ، لقد كان خوف كل منهم على مصيره هو الذي دفعهم الى تناسي خلافاتهم والقتال ضد الفرس تحت راية واحدة . وما أن فرغوا من طرد الفرس حتى بدأت غلواهر العداء القديم تظهر وبدأ كل من المدينتين ترقب الأخرى بعين الشك وترصد حركاتها وتصرفاتها ، فمثلا عندما بدأ الجنرال ثيستوكليس في تحصين ميناء بيرايوس (بيريه) وربطه بالعاصمة عن طريق حوائط ضخمة طولها أربعة أميال عام ٤٧٨ ق. م اعترضت أسبرطة على ذلك ولكن ثيستوكليس زاوغها عن طريق مفاوضات طويلة الأمد حتى أتم بناء الحوائط . ثم ترك الأسبرطيون المعركة قبل نهايتها فبدلا من أن تقود أسبرطة حركة تحرير المدن الأيونية من يبر الفرس تأمر ملكها باوسالياس منع الأعداء ولما فضح أمره انسحبت أسبرطة من المعارك وأكمل الاثينيون تحرير المدن الأيونية تحت قيادة كيمون وبذلك جنت أثينا ثمار

(1) Paul Cloche, La démocratie athénienne, Paris 1951. P. 26 ff.

انظر : لطفى عبد الوهاب يحيى : مقدمة تاريخية للتفكير السياسى عند الاثينيين ، مطبعة مصر ١٩٥٨ .

الحروب الفارسية وحدها ، وثبت منها امبراطورية كبرى . ولم يقابل ذلك أيضا بالارتياح من جانب الاسبرطيين .

ولما هب هيلوت أسبرطة في حركة تمرد عنيفة عام ٤٦٤ ق . م على أثر حدوث مأساة الزلازل بأسبرطة كان الحزب المحافظ وعلى رأسه كيمنون - الذي عرف ببيله لأسبرطة - في الحكم . وبالفعل ذهب على رأس قوة لانتقاذ أسبرطة من هذا الخطر وسواء ردت هذه القوة مكرمة أو غير مكرمة فإن الاثينيين بعد ذلك أضاعوا ما فعلوه . وكما عرفنا فإن كيمنون قفى بسبب سياسته المسالمة تجاه أسبرطة . وتولى الحكم الحزب الديموقراطي يزعامة ايفياتيس ولكن اختفاه مبكرا من مسرح الأحداث ترك بيريكليس وحيدا لا ينافس .

وتمشيا مع المزاج العام للمواطنين فقد هجرت أثينا سياسة مضادة الاسبرطيين وبدأت في مصادفة أعداء الاسبرطيين وتحالفت مع أرجوس وثساليا Thessalia وكان هذا التحالف بداية التحرش الفعلى بين الدولتين أو على وجه الدقة بين أثينا وحلفاء أسبرطة خاصة مدينة كورثا وجزيرة اييجينا . فعندما احتلت أثينا مدينة ناوباكتوس Naupactus على خليج كورثا استناعت كورثا من ذلك وشاركتها في ذلك كافة أعضاء حلف اليبلوبونيسوس ولكن الأمور تفاقت عندما انسحبت مدينة ميجارا من حلف اليبلوبونيسوس وطلبت الانضمام الى حلف ديلوس وكان هذا أكثر مما تتحمله كورثا التي أوغرت صدرها لطيفتها جزيرة اييجينا فاندلعت المعارك عام ٤٥٩ ق . م وتمكن الأسطول الاثيني القوى من هزيمة أساطيل اييجينا وكورثا مجتمعين ونزل جنود الأسطول الاثيني وحاصروا جزيرة اييجينا . وحاولت كورثا فتح جبهة أخرى لتخفيف الحصار على اييجينا فهاجمت مدينة ميجارا نفسها ولكن القائد الاثيني ميرونيديس

Myronides: رد هذا الهجوم عام ٤٠٨ ق. م وفي أثناء ذلك كانت أسبرطة تستعرض قوتها شمالا في بيوتيا عند مدينة فوكيس وعندما تعرضت لهم قوة أثينية عند تاناغرا Tanagra عام ٤٥٧ ألقوا بها خسائر فادحة ولكن الأسبرطيين انسحبوا بعد ذلك . أما الأثينيين فواصلوا تقدمهم شمالا وهزموا أهل إقليم بيوتيا قرب مدينة أينوفوتا Oenophyta عام ٤٥٧ ق. م بعد أن اخضعوا معظم هذا الإقليم وتلى ذلك استسلام جزيرة ايجينا عام ٤٥٦ ق. م .

بيريكليس يزيد من تحصين العاصمة :

أدرك بيريكليس أن الحرب ضد أسبرطة وحليفتها كوثا آتية لا محالة ولذا استمر هذا القائد في تحصين العاصمة وربط بينها وبين موانئها بيرايوس وفاليروم Phalerum وذلك ببناء أسوار على جانبي الطريق المؤدى إليها وتبلغ المساحة بين كل حائط ٤٠٠ ياردة على طول مسافة قدرها أربعة أميال وإلى جانب ذلك زاد بيريكليس من دعم الأسطول الأثيني لأنه كان ثروة اقتصادية وسلاحا دفاعيا وكلما قوى الأسطول الأثيني قوى مركز أثينا الاقتصادية والسياسية والعسكرية مما أدى إلى زيادة حقد المدن البحرية عليها وخاصة كورثا التي أدركت أن أثينا قد سلبتها سر قوتها وهو التوسع التجاري والبحري والصناعي . وكانت كورثا تتمنى لو تهزم أثينا وتزال من الوجود حتى تنفرد بالسيادة على بحر ايجيه وغرب البحر المتوسط .

بيريكليس يتوسع شرقا في بلاد اليونان :

عمل بيريكليس بطاقة ديناميكية وسياسية شديدة Machtpolitik من أجل تحقيق امبراطورية برية تتماشى مع الامبراطورية البحرية ولكن الأثينيين أدركوا أنهم قد توسعوا برا أكثر من اللازم على حساب قوتهم البحرية وذلك بعد تجربة حملتهم لتحرير مصر من الفرس كعمل عسكري ضد

لإمبراطورية الفارسية ومن أجل استعادة مصالحهم التجارية القديمة (١) مع المصريين ، وكان بداية تدخلهم في مصر عندما ثار أحد ملوك مصر الليبيين واسمه إيناروس Inarus . على الحكم الفارسي في مصر وطلب النوع العسكري من الأثينيين وبالفعل أرسل الأثينيون قوة بحرية نجحت في بداية الأمر ولكنها انتهت بالفشل بعد تحطيم سفنها بل وقضى عليها تماما (٢) . عام ٤٥٤ ق. م . وعلى أثر ذلك توقفت أثينا عن سياسة التوسع شرقا في بلاد اليونان وعملت على استعادة مركزها في شرق البحر الأبيض المتوسط . وتعبيرا عن رغبتها في المسألة مع أسبرطة أعاد الأثينيون كييون من المنفى حيث عقد معاهدة سلام لمدة خمس سنوات مع الأسبرطيين وتلى ذلك معاهدة سلام بين أسبرطة وأرجوس لمدة ثلاثين عاما . ولكن كييون لم يمش طويلا إذ أرسل على رأس قوة بحرية طويلة لفرود الفرس من قبرص عام ٤٥٠ ق. م . وتمكنت القوة من تحقيق انتصارات بمساعدة الثوار من أهل قبرص . ولكن كييون سقط قتلا أثناء حصار مدينة كيتيوم Citium . وتحت تهديد الأسطول الأثيني وخطر الاضطرابات الداخلية اضطر ملك الفرس هو الآخر الى عقد معاهدة مع الأثينيين عام ٤٤٩/٤٤٨ ق. م . وبمقتضاها أعلن الفرس اعترافهم بسيطرة أثينا على بحر ايجه ووعدوا بعدم التدخل في هذه المنطقة مقابل أن تتوقف أثينا عن مضايقة الفرس أو التحرش (٣) بهم أو ممتلكاتهم ، وانسحبت القوات الأثينية من قبرص وشرق البحر الأبيض المتوسط ، ويعرف هذا السلام بسلام كالياس Calias (٤) .

(١) خاصة تجارة القمح الذي كانت تنتجه مصر بوفرة وتصدره الى أثينا مباشرة أو عن طريق المدن التجارية الايونية نظير معدن الفضة الذي كان نادر الوجود في مصر .

(٢) عن تفاصيل هذه الحملة وخسائرها الفادحة انظر :

J.B. Bury : *History of Greece*, pp. 354-358. also cf. E. Lippino : *Inter ventio ateniese in Egitto nelle tragedie eschilee Aegyptus*, XLVII, 1967 (1969) p. 197-212. also cf. J.M. Libourel, "The Athenians' disaster in Egypt, *A.J. Phil* X CII (1971).

(3) Samuel. K. Eddy, "The Cold war between Athens and Persia CA 448-412 BC., *Classical Philology*, LXIII, 4 (1973), p. 241-258.

(4) cf. S.K. Eddy, "On the Peace of Calias, *Class philology* LXV 1970, p. 8-14. also cf. C.L. Maurison, "The Peace of Calias : its historical Contexts *Phoenix*, XXV, 1971, p. 12-31.

أثينا تقبل سلاما لمدة ثلاثين عاما مع أسبرطة :

أحسن الأثينيون صنعا بعقدهم السلام مع الفرس لأن الخطر بدأ يهدد وجودهم ولأن ممتلكاتهم التي حصلوا عليها بسرعة بدأت تنفصل عنها نتيجة لحركات التمرد ونتيجة لنشاط أسبرطة المعادي فمثلا في عام ٤٤٧ حدثت حركة تمرد في يويوتيا هزم على أثرها الأثينيون واستعادت مدينة طيبة سيطرتها على اقليمها ، وفي نفس الوقت ثارت جزيرة يوبويا وكذلك مدينة ميغارا وأعلنت استقلالهما . وحاق الخطر عندما توغل جيش بيلوبونيزي شرقا في أراضي أتيكا تحت قيادة الملك بليستوناكس Pleistonax ووصل الى أسوار مدينة أثينا ويقال أن بيريكليس اشترى ذمة هذا الملك بدفع رشوة كبيرة له مقابل عقد معاهدة سلام صورية معه حتى يتفرغ لتأديب جزيرة يوبويا الشائرة ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية الاثينية . وتضمنت هذه المعاهدة تنازلات من جانب أثينا فاعترفت بالوجود وبالسيادة الاسبرطية وكذلك سيادة حلفائها (١) بعد أن تنازلت أثينا عن كافة ممتلكاتها خارج أراضيها فيما عدا جزيرة ايجينا وناوياكتوس وقبلت أثينا وأسبرطة وحلفائهم السلام لمدة ثلاثين عاما ابتداء من عام ٤٤٥ ق م .

من الواضح أن هذه المعاهدة لم تكن سلاما بل كانت هدنة لكي يستجمع كل طرف قواه ولم يكن من المعقول أن ترضخ أثينا بهذه السهولة وهي في أوج عظمتها وفي قمة مجدها ومواطنوها مدركون للدور العظيم الذي يجب أن تلعبه بلادهم في لحظه غرور (Selbsbewusstsein) . لقد كانت أثينا وأسبرطة تستعدان لحرب طويلة وشاملة اندلعت عام ٤٣١ وظلت حتى عام ٤٠٤ هزمت فيها أثينا وأنهازت بعدها امبراطوريتها . وقبل أن تسترسل في تفاصيل هذه الحرب البيلوبونيزية لتتوقف ولنلق نظرة شاملة على الحياة والثقافة في أثينا في القرن الخامس أو ما يعرف بالحضارة الكلاسيكية في عصر بيريكليس .

(١) ومن توسع أثينا في شرق بلاد اليونان انظر :

(1) R.J. Buck, " The Athenian domination of Boeotia Class. Phil. LXV (1970). p. 217-227.

الفصل الحادى عشر

أثينا في عصر بيريكليس

برز بيريكليس كرجل الدولة الأثينية الأول خاصة في الفترة التي ساد فيها السلام ما بين ٤٤٥ - ٤٣١ ق. م ، وكان بيريكليس ينحدر من أسرة ثرية توارث أعضاؤها العمل بالسياسة ، فأبوه كساتبوس الرجل الذى تسبب في قى ملىاديس ، وكانت أمه ابنة شقيق كليستينيس Cleisthenes واضع أساس الحكم الديموقراطى ، والذى كان ينحدر من أسرة آل الكمايون النبلاء . وكان بيريكليس قد تلقى تعليمه لدى يصبح فيلسوفا ولكنه أجاد فن الخطابة حتى أصبح من أشهر خطباء عصره في الالتقاء والبلاغة إذ كان حلو الحديث قوى التأثير . كانت سياسة بيريكليس سياسة استعمارية مكشوفة تهدف الى جعل أثينا صاحبة السيادة على كافة أجزاء امبراطوريتها هذا من الناحية السياسية أما من الناحية الحضارية فقد بذل بيريكليس جل جهده لجعلها « جامعة بلاد اليونان » ومنارا للثقافة والفنون الاغريقية (١) .

وأصبح عصره هو قمة الحضارة الاغريقية في العصر الكلاسيكى (Hochklassik) ، وعلى أفكاره قامت فكرة الديموقراطية بمفهوم حسى جديد وهو تحويل مجتمع المواطنين الى مجتمع راق ثقافيا وسياسيا (Elite-Volk) وكما يرى بعض المؤرخين الألمان فان هذا التفكير الراديكالى الراقى Elite radikale Gedanke هو الذى حقق على يديه

(1) Fitz Schachermeyer, ; Perikles, Stuttgart, Kohlhammer 1969 (= R.H. 505 1973, p. 175-181 by Edouard Will).



ذلك الازدهار الحضارى فى أئينا ، ويجب ألا نغفل فضل معلمه السياسى
إيفيالتيس Ephialtes والذى خطط لهذه السياسة ولكنه لم يعش
لكى ينفذها فننفذها بيريكليس العظيم ، حيناً بروح التسامح المتساهل
وحيث بروح الوطنية الغيورة المتطرفة (Staatfanatismus)

لكن يجب أن ندرك أن سياسة رفع مستوى الشعب الأئينى فى
الحضارة والسياسة والاقتصاد كان يقابلها تحويل حلفاء أئينا الى ضعاف
متخلفين حتى يظهرون أقل مرتبة من الأئنيين وبالتالى يتحولون الى خدم
لهذا الشعب الراقى (٢) . ومن أجل القضاء على الفقر فى أئينا اتزع
أراضى الحلفاء وهجر إليها الفقراء الأئنيين ووزع الأراضى الزراعية عليهم .

ولما أدرك بيريكليس أنه لا يمكن فرض القوة السياسية لأئينا فى
نفس الوقت الذى يرفع فيه الثقافة والرعى ويحارب فيه الفقر وأن الحرب
على جبهتين لا يمكن أن تحقق خلق المجتمع الراقى بدأ يتجه الى سياسة
السلام والمسالمة خاصة أنه كان يدرك أنه يمكن تحقيق السيادة الأئينية
ليس عن طريق السلاح ولكن عن طريق النهوض بالآداب والفنون
والعظمة المنوية أو ما يعرفه الألمان بسياسة النفوذ الحضارى
Kulturpolitik كبديل عن سياسة التوسع العسكرى (٣) .

لقد تأثر بيريكليس بروح الفلاسفة الطسمين والفيزيائيين الذين
عاشوا أبان القرن السادس والخامس - أمثال بروتا جوراس
وأناكساجوراس من أجل القيام بحركته التى تغير مفهوم سيادة دولة
المدينة السياسى الى مفهوم جمالى وفكرى يحقق الاحساس بالوجود
والتفوق لدى المواطن تجاه الدولة Staatsgesittung أو كما يقول ادوارد
فيسل (٤)

(transfiguration spirituelle et esthetique de la puissance de la polis).

لكن فئة قليلة من المثقفين الأئنيين هى التى فهمت رسالة هذا
الزعيم عن اقتناع أما الغالبية العظمى من الشعب الأئينى فقد وافقت

(1) R.H. loc. cit., p. 176.

(2) op. cit. p. 47.

(3) op. cit. 142.

(4) R.H., 505, 1973, p. 176.

بسبب قوة شخصيته وانزلوا عن التجارب معه من أجل الهدف الاسي سياسته وشغلوا أنفسهم بأحلام الثراء والاستملاء فتحولوا الى مواطنين ضيقى الأفق قصيرى النظرة (Spiesburger) وعلى أيدي هؤلاء برزت المعارضة لهذا القائد عندما تقدم به السن عندما اتهموا صديقه فيدياس بتبديد أموال الشعب في مشروع معبد البارثينون وبأنه تجرأ ورسم نفسه على درع تمثال أثينا في هذا المعبد ولما أدرك بيريكليس فشل سياسته الحضارية عاد الى سياسة الحرب بهدف انقاذ الروح الوطنية من التسيب ، وعلى ذلك يدافع البعض عن حروبه بأنها حرب من أجل الأحياء القومي *guerre regeneratrice* . وبناء شخصية المواطن وليس حرباً بهدف شغل الجبهة الداخلية عن مشاكلها . ولكن هذا الرأي يتعارض مع رأى ثوكوديديس في مسئولية بيريكليس كصاحب فكرة التوسع الاستعماري والتي دعى الى التمسك بها لأنها مصدر القوة أما الفكرة الحديثة فهي ليست سوى وجهة نظر شخصية^(١) . كما أن بيريكليس لم يهمل سياسة التفوق الاقتصادي لأثينا أبداً ومن أجل ذلك دخل في تنافس تجارى مع كورنثا (Konkurenskampf) .

نعم لقد كان بيريكليس قائداً نابهاً ولكنه لم يسبق عصره بل كان تاج ظروف ازدهار فكرى وثقافى *Geistige Umwelt* ومن ثم لم يكن الرجل النادر أو رجل العناية الإلهية وهبة السماء *homme providentiel* بل لا يمكن فصله عن الواقع الذى برز منه الذى تأثر به وأثر فيه ومنه خلق ايديولوجيته من أجل بداية الطريق نحو الدولة الجديدة . *der weg zum neuen staat* . أن دراسة شخصية بيريكليس لا يمكن فهمها بدون المناخ الفكرى العام فى أثينا إبان القرن الخامس ، كما أنه من الصعب تذوق هذا الفكرة دون تفهم شخصية هذا القائد والزعيم وباختصار يمكن أن نقول أن عظمة أثينا مرتبطة بمقلية مواطنيها ، ومرتبطة بأفكار وايديولوجية بيريكليس ، وبسياسة فرض النفوذ البحرى والتجارى والتفوق الحضارى ، وبحركة التعبير والبناء فى المعابد ونبروغ الفن على أيدي ميرون وفيدياس وبوليكلتوس وفى

تراجيدات سوفوكليس وبروريديس وفي كتابات هيرودوت وثوكوديديس
وفي تفكير الفلاسفة العلميين من أمثال بروتاغوراس وأناكساغوراس ،
وفي عقلانية الفكر السوفسطائي ، وفي الاحساس بالتقوى ببناء الآلهة
والاتجاه نحو تفسير نبوءاتها حسب مصلحة الدولة السياسية . ومن ثم
كان لزاما علينا أن نتوقف لنلقى نظرة شاملة على المناسخ الحضارى
والفكرى في أثينا إبان القرن الخامس ق.م .

أولا : الادارة والحكم الداخلى :

لقد وصلت الديمقراطية الى أقصى درجة وصلت اليها في اليونان
إبان عصر هذا الزعيم وخاصة في النصف الأخير من القرن الخامس ق.م
لأنه زاد من سلطات الجمعية الشعبية ecclesia وحدد من قوود قدماء
السياسيين والحكام السابقين وأصبحت الجمعية الشعبية هي التى
تشرف وتناقش وتصوت على كل ما يخص الدفاع والنظم المالية
والسياسة الخارجية والتموين والفلال والدين والشعائر الخاصة به
واعلان الحرب وتحقيق السلم . وأصبحت الجمعية الشعبية تجتمع
أربعين مرة في العام (أى مرة كل تسعة أيام) وهو جوهر النظام
الديموقراطى الأثينى لأنه عضويتها كانت من حق أى مواطن بالغ .
وأصبح هو الجهاز الذى يرسم السياسة الخارجية للدولة ويشرف على
ماليتها ويعين حكامها ويحاسبهم عند انتهاء خدمتهم . أما مجلس
الشورى Boule فكان يختص بتحضير اللوائح التشريعية للجمعية
العامة ، ويجتمع عشر أعضائه شهرا في كل سنة كمجلس دائم وذلك في مقر
الرئاسة (prytaneia) لادارة أعمال الدولة .

لقد دعم بيريكليس حرية القضاء وحق المواطن في الاستئناف
ونقض الأحكام الصادرة ضده بشرط أن يعاقب اذا ثبت بطلان نقضه .
وهكذا لعب مجلس الخمماية دورا أكثر ايجابية مما كان عليه في
عهد كليستينيس وأصبحت وظيفه الأراخنة مجردة من السلطة التي

تجملت في مجلس القادة Strategoi (١) والذي كانت القبائل تنتخب أعضائه كل عام (٢) .

أما عن القضاء والمحاكم فقد أدخل نظام الأجور لكل مواطن يعمل محلفاً في الجلسات وتظهر حرية الدفاع من المناقشات والشتائم والاتهامات التي كانت تبادل أثناء المحاكمات والتي صورها لنا شاعر المسرح الكوميدي الأول أرسطوفانيس Aristophanes في روايته الزنابير Waspe . وغيرها من روايات المسرح السياسي الذي تعرض لحياة السياسيين بالنقد والتفريع (٣) .

ونستطيع أن نقول أن نظام الحكم الذي كان سائداً في أثينا كان ديموقراطياً إلى درجة كبيرة إذا ما قارناه بنظام الحكم الأخرى والتي كانت سائدة في بلاد اليونان وفي خارج بلاد اليونان وبالرغم من أن ما يقرب من نصف المواطنين كانوا محرومين من حقوق المواطنة وبالتالي من حق الاقتراع ويشمل ذلك النساء والعبيد والصناع الأجانب (٤) . أما البقية فقد أحست بأنها تمتلك الدولة وتسير أمورها .

(١) من مجلس الجنرالات العشرة انظر :

Ch. Fornara, "The Athenian board of generals from 501-404" [Hist. Einzelschr. 16] Wiesbaden 1971.

الذي يرى أنه أسس عام ٥١٠ ق. م ليحل محل مجلس رؤساء القبائل (Phylarchoi) الذي كانت عضويته بالوراثة وليس بالانتخاب . أما عن تطوره إلى مجلس الجنرالات فربما تبلور في شكل مجلس القادة الذين واجهوا غزوة الفرس انظر :

P. Bicknell, "The Command Structure and the generals of Marathon's Campaign, Acta Classica, XXXIX, 1970, p. 427-442 ; also cf. B. Jordan, "A note on the Athenian Strategia, T.A.P.A., CL, 1970.

(٢) عن نظام انتخاب هذا المجلس . انظر :

B. D. Meritt, "The election of the Athenian generals, Klio, LIII (1970) p. 277-282.

cf. V. Ehrenberg, "The Peoples of Aristophanes, New York 1962. (٣)

وقد وصف شاعر ماير. تهمك أرسطوفانيس على الوضع السياسي بأنه صادر من أوليجارخي ضيق الأفق .

engstirniger Oligarchia cf. Schacher meyer, op. cit p. 182.

(٤) عن نظام الاقتراع انظر :

J.D. Mosley, "Voting procedure and the elections of Athenian envoys, Wiener Studien N.F. VI, 1972, p. 140-144 ; also E.S. Staveley, "Greek and Roman Voting and elections, London 1972.

لبنيا : الحالة الاقتصادية :

كانت أثينا في حالة رواج منقطع النظير ورخاء لم تشهده البلاد من قبل (١) . وكان من أهم مصادر الدخل ضريبة الحلف الديلى والتي حددت أصلا بـ ٤٦٠ ألفا (حوالى أحد عشر ألفا وربعمئة جنيه استرلى) ثم زيدت بعد اضافة خلفاء جدد الى ٦٠٠ ألف (حوالى ١٤٤ ألف جنيه استرلى) وكان هذا الدخل يعادل ثلاث أخماس الدخل العام للدولة الأثينية الذى يبلغ ألف ألف (حوالى ٣٤٠ ألف جنيه استرلى) وفى عصر بيريكليس اتفق هذا المبلغ الضخم على تجميل العاصمة وتزينها لكي تبدو جديدة بمكان الصدارة وكعاصمة فعلية لامبراطورية توحيد شمل الاغريق .

أما الخمسان الآخرون من الدخل العام فكانا يجبيان من الضرائب المفروضة على الصادرات والواردات ومن ربح أراضي الدولة ومن ضريبة العمل المفروضة على الصناع والحرفيين *metikoi* . وكذلك من دخل المحاكم العامة نظير البت فى الدعاوى ومن الغرامات والالزامات التى كانت تفرضها الدولة على الأغنياء *Liturgies* وفى حالات الخطر والحروب كانت الدولة تفرض ضريبة اضافية على كل المواطنين .

ومن مظاهر مجتمع الترف الأثينى أن الدولة كانت تستورد أكثر مما تصدر ، من أهم الواردات القمح ومن أهم صادراتها زيت الزيتون والأوانى الفخارية المزينة بالرسوم والرخام والأسلحة وبعض المصنوعات المعدنية .

ويمكن أن نقول أن حضارة أثينا كانت الى حد كبير زراعية لأن فلاحه الأرضي كانت من أهم الحرف بالرغم من أن الدولة شهدت نهضة فى الصناعات اليدوية الفنية على أيدي الحرفيين الأجانب وعلى

(١) انظر عبد المحسن الخشاب (مترجم) : الحياة العامة اليونانية السياسة والاقتصاد فى أثينا فى القرن الخامس ، لجنة البيان العربى — الألف كتاب (٤٦) القاهرة ١٩٥٨ ص ٤٦١ وما بعدها .

أبدى المييد المهرة لأن المواطن الأثيني كان يرفض أن يعمل لحساب شخص آخر بل كان يعمل لنفسه أو لحساب الدولة فقط (١) .

وبفضل قوة الأسطول الأثيني الذي اتجه الى التجارة أيام السلام ازدهرت التجارة الخارجية كما أمن الطرق المائية وأعلى البحار وجعلها مفتوحة ومؤمنة للسفن الاغريقية التي راحت تجوب البحار محملة بالبضائع من شرق البحر الأبيض المتوسط حتى سردينيا غرباً . يازدهار التجارة وثبات الحكم وازدياد النفوذ الأثيني تمتعت العملة الأثينية باحترام كبير وقبلت كوحدة للتعامل الدولي (٢) . ونتيجة لذلك فقد نشأت طبقة رجال المال والأعمال وذوى رؤوس الأموال والذين أصبحت مصالحهم عاملاً حيوياً في الاقتصاد داخل أثينا وفي المدن الاغريقية الأخرى الموالية لها وهذه الطبقة هي التي حثت الدولة على التوسع وفرض الانضمام الى الامبراطورية الاثينية بالقوة على المدن والجزر الاغريقية (٣) .

ثالثاً : مظاهر الحياة الاجتماعية :

يتضح من الدراسات والامتنعاجات التاريخية أن تعداد أثينا العام في عصر الامبراطورية بلغ ما يقرب من ٣٠٠.٠٠٠ نسمة منهم ٥٠ ٪ مواطنون ، ١٥ ٪ صناع أجانب (metikoi) و ٣٥ ٪ كانوا عبيداً . وجدير

(1) S.C. Humphreys : Economy and Society in Classical Athens, Annali della Scuola Normale Superiore di Pisa Ser 2 XXXIX, 1970, p. 1-26.

وفيه يقارن بين الأيديولوجية الديمقراطية والواقع الاقتصادي لتحديد الوضع للمواطن الأثيني وأن العوائق الاقتصادية خلقت فجوة بين النظريات المثالية والواقع إذ تمتعت الطبقات الدنيا بالديموقراطية لكن بقيت معدمة ، وبقي الأثنياء يتحكمون لأنهم كانوا يملكون .

(٢) عشر على بعض من هذه العملة في مدن مصر مثل ممفيس وقرطاج وتانيس وتل دفنه وسابس وهي المناطق التي تدفق اليها الافريق قبل الفتح المقدوني لمصر .

Cf. J.G. Milne : Trade between Greece and Egypt before the time of Alexander, J.E.A., XXV, (1939) pp. 177-183.

(3) J.K., Davies : Athenian Propertied Families 600-300 B.C., Oxford The Clarendon Press, 1971, p. 20 ff.

بالذكر أن معظم الحرفيين الأجانب كانوا يسكنون أثينا وخاصة حي كيراميكوس Kerameikos بالقرب من بوابتها الشرقية ويكاد أن نقول أن ٣٣٪ من التعداد العام لسكان أتيكا كانوا من الحرفيين الأجانب . أما المييد فقد كانوا عنصرًا هامًا في الحياة الأثينية أشبه بالآلة في المجتمعات الحديثة ولكن يمكن أن نقول أن تعداد المييد في أثينا كانوا أقل بكثير من تعدادهم في المدن الأثينية الأخرى .

أما عن مستوى الحياة في العاصمة فإن الآثار تظهره بسيطًا ومتواضعًا لأن الناس كانوا متواضعين وبسطاء في ثيابهم وفي طعامهم وفي أثاث منازلهم التي كانت تبني من الطوب اللبن . حتى الأغنياء كانوا أيضًا ببساطاء في حياتهم وفي سلوكهم ولكن بالرغم من هذا أحب هذا الشعب المناسبات العامة والأعياد حيث يجد فيها التسلية والرياضة ومباريات الشعر والأدب وبلاغة الخطباء ولذا فإن الأعياد والمهرجانات الدينية كانت كثيرة أهمها الديونيسيا (أعياد رب الخمر) والباناتينيا (أعياد تغيير ثياب الربة أثينا) إلى جانب المهرجانات الأولية الأربعة والتي كان يشترك فيها الإغريق في أوليمبيا ودلفي ونيبيا وإسثيا (Isthmian) ولهذه الأعياد يرجع الفضل في تطور ونضوج الحضارة والفكر الإغريقي ولم تدخر الدولة وسعًا ولا مالًا في الاتفاق ببذخ على هذه المهرجانات واحتضان الشعراء والخطباء والفنانين والرياضيين نجوم هذه المناسبات العامة .

وكان المجتمع الأثيني مجتمع الرجل لأن المرأة الأثينية - بعكس زميلتها الأسبرطية - عاشت وراء الجدران مثل نساء المجتمعات الشرقية وكن - في نظر القانون الأثيني - غير مواطنات بل قاطنات astai . بالرغم من هذا فقد لمعت أسماء بعض السيدات في التاريخ الأثيني مثل أسباسيا Aspasia عشيقة بيريكليس العظيم ومصدر الهامه وتفكيره . كان الإثينيون يقدسون العلم والمعرفة ويرسلون أولادهم فيما بين السادسة وحتى الرابعة عشرة ليتلقون تعليمهم عند معلم محترف لأن الدولة لم تكن تنفق على التعليم . وفي دور « التعليم الخاصة » كان

الصية يتعلمون القراءة والكتابة وأصول الحساب والموسيقى وقرض الشعر وبحوره • وكانت الرياضة البدنية من أساس التعليم حيث يدرّب الأطفال رياضي محترف أيضاً • ويشمل التعليم أيضاً التمرن على أصول المعاملة والبيع والشراء لمن يرغبون في اتخاذ التجارة حرفة لهم (١) •

أما أغنياء الاثينيين فكانوا يرسلون أبناءهم ليتعلموا عند الأساتذة السوفسطائيين (Sophists) (٢) الذين كونوا طبقة ذاع سيطها ابان حكم بيريكليس وقدموا من جميع أصقاع العالم الهليني وكما يتضح من اللفظ اللغوي فقد كانوا فلاسفة عمليين ومعلمين لها لأنهم أجادوا فن التعليم بل هم طلائع التربية والتعليم على أسس علمية فكانوا يحاضرون في علم الفلك astronomy وعلم الأخلاق ethics وعلم قياس الأرض geometry والقانون والسياسة والبلاغة rhetorie وفن الشعر وكان الأساتذة السوفسطائيون يتجولون من مدينة لأخرى وهم يلقون دروسهم بهدف تعليم الانسان كيف ينجح في شق طريقه في الحياة ويحقق السعادة والراحة لنفسه وكانوا يتخصصون في تدريب الشباب على فن السياسة (Politike Techne) ليصبحوا من الطبقة الراقية (agathoi) بصرف النظر عن أصولهم الاجتماعية (٣) ومن أشهر السوفسطائيين: بروتاجوراس Protagoras الذي أعلن أنه يعلم الفضيلة وهو الذي وضع أسس النظريات السياسية والاجتماعية وكذلك جورجياس

(١) عن علاقة الآباء بالأبناء انظر :

(1) S.C. Humphreys : Economy and Society in Classical Athens, Annali della l'epoque Classique, A.C., X^e, 1971, p. 589-606.

(٢) انظر : فتحة سليمان : التربية في المجتمعين اليوناني والروماني كلية البنات جامعة عين شمس ١٩٥٨ ، ص ٤٨ والكلمة معناها معلموا الحكمة .

(٣) ونهَذَا يرى الأستاذ أدكنز أنهم ساعدوا على تعميق الممارسة الديمقراطية وإذابة الفوارق الطبقية بين الفقراء (Kakoi) وأبناء الطبقة الراقية (Kaloi Kaga:hoi) برفع مستوى الطبقة الأولى ثقافياً إلى مستوى الطبقة الأخيرة انظر :

A.H.W. Adkins : Democracy and The Sophists, London 1972 (Reviewed in JHS, rae XCIII (1973) p. 3-12.

Georgias الذى عكف على تعليم البلاغة والخطابة وقوة التأثير في الجماهير وهي الأسس الأولى والسلاح الأول لكل من يريد العمل في السياسة . وكان من بين الدارسين فريق من كانوا يريدون تدريجاً أرقى وارفع لكي يزيدوا من قدراتهم ، فشلا عرف عن السوفسطائي هيباس Hippias أنه كان يحاضر في كيفية تحقيق القدرة على التذكر (mnemonics) ووصف نفسه بأن أستاذ كل فن كما حاضر في الرياضة والفلك وفي التقويم وعلم الأصوات ودراسة الايقاع وفي النحت والتصوير والموسيقى والحرف وقد روى أن ظهر في الألعاب الأولمبية يرتدى ملابس كلها من صنعه .

هكذا لم ينادى السوفسطائيون بفلسفة معينة ولم يتقيدوا بنظرية محددة بل كانوا عمليين متنوعين محترفين والنواة الأولى للجامعات ولكنهم كانوا سطحيين ويمكن القول بأن جوهر التعليم السوفسطائي كان تحقيق القدرة على الجدل عن طريق الاقتناع ولو كان ذلك على حساب الحقيقة . وأساس جدلهم هو الشك في كل شيء موجود ، كبداية للتفكير السليم ولكنهم في نفس الوقت سلموا بتقاليد المجتمعات المعنوية أو الأخلاقية ولم يحاولوا التشكيك فيها . وبالرغم من هذا هاجمهم أفلاطون ووصفهم بأنهم تجار لبضائع ليست من صنعم لكن الذى لا شك فيه كان بعضهم موهوباً وأحدثوا ثورة في التعليم القديم (١) .

الفنون والآداب والفلسفة والعلوم :

(١) الفنون والمعمار :

بدأ الإينيون بعد طرد الفرس في إعادة بناء مدينتهم التي دمر الفرس معظم معالمها . وفي عصر بيريكليس اشتد هذا الاتجاه بل ودعى هذا القائد أشهر مهندسى المعمار وهو هيبوداموس Hippodamus من موطنه ميليتوس Miletus ليشرف على تخطيط المدينة من جديد . وقد خطط هذا المهندس شوارع المدينة الواسعة وميادينها المربعة ومسرحها وموانئها وقد استخدم القائد الإيني ميزانية الحلف الديلى لهذا الغرض .

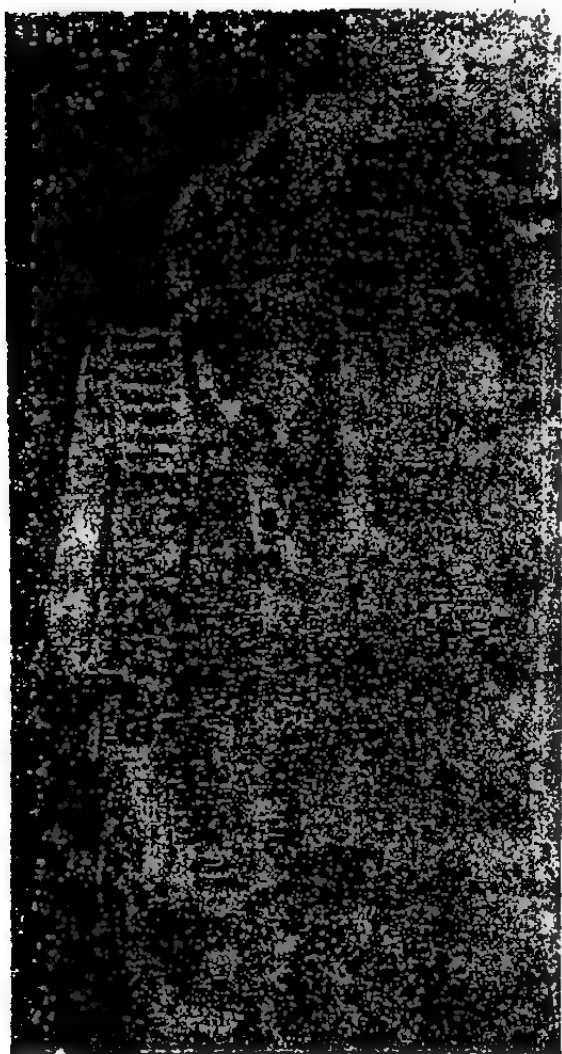
(١) من الكتب الجيدة عن السوفسطائيين ، انظر :

M. Untersteiner The Sophists (translated by K. Freeman) Oxford 1954, K. R. Popper, The Open Society and its Enemies, London 1945.
E.A. Havelock, The liberal Temper in Greek Politics, London 1957.

كان تل الاكروبول - قلب أثينا - الدينى والتاريخى والسياسى محط عناية خاصة من بيريكليس خاصة لأن الفرس كانوا قد دمروا المعابد والتماثيل التى كانت مقامه فوقه . والاكروبول عبارة عن صخرة يضاوية الشكل يبلغ قطرها ٢٧٥ مترا طولا وعرضها ١٥٥ مترا وتترفع عن سطح السهل الذى يبلغ فيه المدينة بحوالى ٣٠٠ قدما .

والصخرة ذات سفوح وعرة أو منحدره انحدارا شديدا مما يجعل الصعود اليها صعبا الا من الناحية الغربية حيث يبدو السفح شبه متدرج فى الانحدار وعلى مقربة من الاكروبول تقف صخرة مرتفعة تعرف بـ ثل آرس حيث كانت تجتمع محكمة الأريوباجوس ويلقى منها بالذين يحكم عليهم بالموت وعلى مقربة من صخرة الأريوباجوس تقف صخرة الحوريات Nymphs Musae وصخرة ربات الشعر والأدب والموسيقى والفنون - التسع

وكما رأينا أن الأثينيين وجدوا فوق الاكروبول ملامح حضارية وأبنية واستحكامات دفاعية شبيهة بتلك التى عثر عليها فى مدن الحضارة الموكينية وخاصة الاسوار الضخمة التى أطلق عليها أسوار الككلوبس Cyclopean Walls والتى كانت تحيط به فتجمله قلعة محصنة كقلع موكيناي ويلوس وتيرنس . وقد قام بيريكليس ببناء حائط فى أقصى المنحدر الجنوبى لتلك الصخرة ثم قام بردها لى يوسع من المساحة المسطحة فى أعلى الاكروبول ثم أحاطه بالأسوار فيما عدا الجانب الغربى . وفى الفجوة المطللة على هذا الجانب ألقى ببقايا الابنية القديمة وبخطام التماثيل التى حطمها الفرس عند احتلالهم لأثينا ثم غطيت بالتراب تلك هى الفجوة المعروفة باسم The debris of the Acropolis وقد توصل علماء الآثار الى هذا المكان وأزاحوا التراب عن آثاره وخرجت مجموعات التماثيل الرخامية لسيدات أطلق عليهن علماء الآثار اسم Korai أى «السيدات» . ويدهش المشاهد لهن لقدرة الفنان فى العناية بأناقتهن كما يرتسم على شفاه بعضهن ابتسامة شاحبة حتى أن أحد العلماء الفرنسيين نه يتمالك نفسه وهو يتفحص تلك التماثيل الموجودة الآن فى متحف الاكروبول وصاح مداعبا « أنها مثل خالتي » (Ha ! C'est ma tante !)



منظر لالکری پور و معابدہ

ومن أهم المنشآت من ناحية النحت والعمارة معبد « البارثينون » (١) أو معبد « الرب اله العذراء » أى أثينا ، لقد أقيم هذا المعبد مكان المعبد الخشبي القديم والذي كان مقاما أيضا للربة أثينا حامية العاصمة (٢) . وبالرغم مما لاقاه هذا البناء العظيم - ذرة الحضارة والعمارة الاغريقية - الا أن ما تبقى منه وما نقله الانجليز الى المتحف البريطاني بلندن قادر على أن يعطينا صورة لما كان عليه، والبارثينون عبارة عن قاعدة مستطيلة (Cella) مقسمة الى حجرتين واحدة كبرى تشغل حوالى ثلثي مساحة المستطيل والأخرى تحتل الثلث الباقي منه، وجعل الأثينيون الحجرة الكبرى لقدس الأقداس Shrine حيث كان يوجد فيها تمثال أثينا العظيم والذي صنعه فيدياس خصيصا واستجابة لرغبة من صديقه بريكليس - من الذهب والعاج Chryselephantine ووضع في المعبد عام ٤٢٧ ق م أى بعد عشر سنوات من بدء العمل في بناء المعابد وقد فقد هذا التمثال أيام الضيق الاقتصادي نتيجة للحروب المتعاقبة ابان القرن الرابع ق م .

أما الحجرة الصغرى فقد جعلت خزانة Treasury وجعل لها بوابتان من صفائح النحاس المطروق . وحول الحجرات « أقيم رواق من أعمدة مزدوجة سبع عشر في كل جانب طولى وثمان في كل واجهة عرضية ويبلغ جميعها خمس وأربعين عمودا طول كل واحد منها أربع وثلاثين قدما . وفي أعلى الأعمدة الداخلية يجرى أفريز من الرخام يصور الاستعراض الرسمي لمهرجان الباثينيا Panathenaea والذي كان يقام ليلا وعلى ضوء المشاعل ويبدأ من المدينة الى أعلى الاكروبول من أجل تغيير كسوة تمثال قديم للربة مصنوع من الخشب . وفي الركن الشرقي من الأفريز يظهر مجلس آلهة الأولمب مجتمعاً يراقب هذه المسيرة كما يقف قضاة المدينة وسياسيوها لاستقبالها. وقد نقل هذا الأفريز بأكمله الى المتحف البريطاني وقد أعيد وضعه في حجرة خاصة بنفس الترتيب الذي كانت عليه في المعبد . أما عن الواجهة الخارجية فكانت مصممة على الطراز الدورى أى أن الأفريز كان مقسما الى مربعات منحوتة Metopes ويفصل ما بين

(1) B. Ashmole : Architect and Sculptor in Classical, Greece Phaidon 1972
(2) I.T. Hill, The Ancient City of Athens, London 1953, Chapter XIV,



احد اعمدة مسجد القرويين في مراكش

كل مربع ثلاث فواصل طولية triglyphs ويبلغ عدد المربعات اثنتين وتسعين مربعا مساحة كل منها أربعة أقدام مربعة ولا يزال بعضها قائما في مكانه ولكن معظمها نقل أيضا الى المتحف البريطاني (١). وتصور هذه المربعات قصة الصراع بين أهل لابث Lapiths والقنطرة Kentaurs والقنطرة مخلوقات أسطورية نصفها الأعلى بشرى ونصفها الأسفل في شكل جواد . وتروي الأساطير الاغريقية أن الملك بيرثوس Perithous ملك اللايبيين دعى القنطرة الى حفل زفافه ولكنهم أكثروا من الشراب وحاولوا خيلف العروس بالقوة عندئذ هب الملك وقومه واشتبكوا في صراع عنيف وحشي وانقسم الآله أبوللون مع أهل لابث حتى طردوا القنطرة . هذه الرواية الطريفة ترمز الى حقيقة الصراع بين الحضارة والبربرية وربما رمزت الى الصراع بين أثينا ولقرس الذين كانوا يعتبرون في نظر الاغريق برابرة . وفي أعلى البوابتين يوجد الواجهة المثلثة المعروفة باسم الترتونة Pediment ويبلغ مساحة كل واجهة ما يقرب من تسعين قدما طولا وأحد عشر قدما عرضا وثلاث أقدام عمقا . وكانت هذه المساحة مملوءة بتماثيل منحوتة ومثبتة في كل واجهة نقلت كلها الى المتحف البريطاني . ويصور تماثيل الواجهة الشرقية قصة مولد أثينا من رأس آية زيوس بقدر أن الهال هيفايستوس اله الحدادة على رأسه يقاسه . أما الواجهة الغربية فتصورحادثة بناء المدينة عندما دخلت الربة أثينا في صراع مع بوسيدون رب البحار وأتى بوسيدون بمحجرة اذ أنه ضرب الأرض فتعجر ماء البحر المالح ومعه أول حصان عرفه الاغريق . أما أثينا فقد ضربت الأرض بخربتها المشهورة فخرجت أول شجرة زيتون ونظرا لاهية هذا النبات في الحضارة والحياة اليومية الاغريقية فقد نصبت أثينا ربة على العاصمة .

ومن أهم ردهات المتحف البريطاني قاعة لورد الجن Lord Elgin's Room حيث توجد آثار البارثينون . وكان لورد الجن سفيرا لبريطانيا

(١) ويوجد واحد فقط منها معروض في متحف اللوفر بباريس وآخر في متحف اوليمبيا في اليونان .



تمثال ميرون رامي القرص

في اليونان ابان حكم الأتراك لها واستطاع أن يشتري من الحكومة التركية آثار (١) البارثون ما بين أعوام ١٨٠٢ - ١٨٠٤ ونقلها الى أثينا ولا يزال اليونانيون يطالبون بعودة آثارهم اليهم لأن الذي لا يملك باع لمن لا يستحق آثارا غالية عليهم .

ويجىء على رأس النحاتين الذين قادوا هذا العمل الكبير الفنان فيدياس Phidias (٥٠٠ - ٤٣٠ ق. م) والذي خلد اسمه عملان عظيمان أولهما تمثال أثينا العذراء Athena Parthenon وتشان زيوس الأولمبي Zeus Olympius وكلاهما مصنوعان من الذهب والعاج ويعتبر الأخير من عجائب الدنيا السبع . ومن بين فناني عصر بيريكليس أيضا ميرون Myron الذي صنع تمثال رامي القرص Discobolos والذي تزين صورته حتى الآن الشعارات الأولمبية والرياضية في كثير من بلدان العالم كما عرف عصر بيريكليس الفنان بوليكليتوس Polycleitus والذي خلد له لنا تمثاله الشهير حامل الحرية Doryphoros والذي كان تجسيدا كاملا لجسم الرياضي لأن هذا الفنان تخصص في وضع الصورة الكاملة لسكمال أجسام الرياضيين .

ولم يكن فن التصوير أقل كمالا من فن النحت في هذا العصر إذ شهد أعظم الرسامين وهو بوليغنوتوس Polygnotos الذي ينسب اليه الصورة الكبرى التي كانت تزين بوابة أثينا Propylaea وأعمدتها والتي كانت تمثل قصة سقوط طروادة وعودة أبطال الاغريق . ولحسن الحظ أن الرحالة الاغريقي الشهير باوسانياس Pausanias شاهد بنفسه هذه الصورة وسجلها لنا عندما زار بلاد اليونان عام ١٦٠ ميلادية ومن الطبيعي أن تعصف الظروف الطبيعية والبشرية بهذه اللوحة الخالدة ولكن نستطيع أن نرى انعكاسات من التصوير على الأواني الفخارية ، والتي كانت تطلق باللون الأحمر ثم يرسم عليه باللون الأسود black-figure

(١) وفي سنة ١٦٨٧ م بينما كان جيش امارة البندقية يحاصر الأتراك في البارثينون الذي كان قد تحول على أيديهم الى مسجد وأقيمت له منارة حدث يوم ٢٦ سبتمبر من ذلك العام أن أصابت قذيفة مخزن البارود في البارثينون فانهجر ولا يزال منذ ذلك الوقت مهدها .



نموذج لأحدى الأواني المسورة

أو يطلى الاناء باللون الأسود ثم يرسم عليه باللون الأحمر (Red-figure) وبالرغم من أن ألوانا أخرى قد استخدمت مثل الأبيض والأصفر والأرجواني ولكن الأسود والأحمر بقيا من أهم الألوان المستخدمة في الرسم على الاواني الفخارية .

(ب) الآداب :

عاش في هذه الفترة أيضا عدد كبير من الشعراء الغنائيين Lyricists فقدت أعمالهم ولم يتبق لنا منها سوى الترجمة اللاتينية التي خلفها لنا الرومان أو بعض شذرات باليونانية . ويحىء على رأس هؤلاء الشعراء الغنائيين بنداروس Pindar (٥٣٢ — ٤٤٣ ق . م) وهو من أهل طيبة وقلم شعرا غنته الجوقات وخاصة في مديح الأبطال المائدين من الألعاب الرياضية والأولىبية .

أما معظم الشعراء فقد اتجهوا نحو المسرح (١) لأن المسرحية تبلورت في هذه الآونة من مجرد حوار بين جوقة ومنشد ورئيس الجوقة ، الى حوار بين شخصيات وصل عددها الى أربعة وأصبح هناك حقدة درامية وبداية وقعة ونهاية يظهر فيها الاله المنقذ *deux ex machina* هابطا من سقف المسرح ليضع نهاية ويحل العقدة وكانت المسرحيات تتجه عموما نحو التراجييديا اعتقادا بأنها تحقق الاشفاق والرهبة عند المواطن وهو ما عرفه أرسطو بأنها عملية التطهير *Catharsis* لأنها تظهر تقيسية المواطن من كل الانفعالات المكبوتة وينصرف ويغمره السلام والعزاء وسكينة القلب كما اعتادوا أن يعرضوا أكثر من رواية مأسوبة في يوم واحد كلها تدور حول موضوع واحد أو فكرة متشابهة .

(١) انظر : عبد المحسن الخشاب : التياترو القديم - القاهرة ١٩٧١ وهو كتاب طريف يحاول مؤلفه تتبع جذور المسرح الاثيني وعلاقة ذلك بالمرحبة المصرية القديمة ولكن الجزء الايجابي من كتابه هو الدراسة الانثريه للمسرح القديم . كذلك انظر الكتاب القيم

والمعروف أيضا أن فن « الفاجعة » أو المأساة وطد نفسه في المسرح الاغريقى منذ ما قبل هجوم الفرس على بلاد الاغريق لكن النشاط في الحياة العامة ، والازدهار الثقافى الكبير وارتهاع مستوى الفرد الفكرى هو الذى أوجد الحافز الحقيقى لتقدم هذا الفن . وقد وهب المسرح الأيئنى بثلاثة من الشعراء العظام كل واحد منهم يمثل مرحلة مختلفة ويعكس مرحلة من مراحل الفكر الأيئنى وهؤلاء الشعراء العظام هم :

١ - ايسخولوس (Aeschylus ٥٢٤ - ٤٥٦ :

كان ايسخولوس أول الثلاثة ظهورا فى أثينا . وحارب فى ماراثون ضد الفرس كما أشرفا اليه خلال حديثنا عن هذه الحرب وكان محافظا شديد التدين وشديد التمسك بالتقاليد ، محبا للالفاظ القديمة والعتيقة فى اللغة . وكان ينسب كل حدث الى ارادة الاله التى شاعت للايئنيين أن يهزموا الفرس وقال المعتدون جزاءهم لأن عين زيوس لا تنام . وبعد حياة حافلة بالمناصب الشرفية فى أثينا وقضاء وقت فى قصر هيرون Hiero طاغية صقلية عاد لينافس عبقرية جديدة هى سوفوكليس وفى عام ٤٤٥ق.م اعتزل ايسخولوس وهاجر الى سيراكوزة محتجا على تورط الديموقراطية الفروغائية التى باتت تهدد التراث والنظم القديمة ومات فى مستوطنة جيلا بجزيرة صقلية فى حادث غامض حيث أقام أهل المدينة له ضريبا هناك . وقد نسب لايسخولوس تسعون رواية ولكن لا نعرف سوى أسماء اثنين وثمانين منها . أما ما وصل إلينا كاملا فسبعة فقط أهمها «الفرس» والتى عرضت عام ٤٧٣ ق.م ويلعب الكورس الدور الاول فيها وتدور حول هزيمة كسيركيس فى موقعة سلاميس . أما الثانية فهى « ثلاثية سبعة ضد طيبة » تتحدث عن أسطورة أوديب فى ثلاثة مسرحيات ، أما الثالثة فهى المستجيرات وتدور حول هروب ملك مصر وبناته الخمسين الى أرجوس رفضا للزواج وهى جزء أخير من ثلاثية من إحدى مؤلفاته المبكرة ، أما الرابعة فهى بروميشيوس فى الأغلال وهى أيضا ثلاثية تروى شهيد الإنسانية الذى تمكن من خداع الاله وسرقة النار لتوصيلها الى البشر فعرفوا أول طاقة من طاقات الطبيعة من أجل صنع الحضارة . وقال البطل جزاءه عندما ربطته الاله فى صخرة وجعلت نسرا ينهش أحشاءه وكلما

نهش جزءا لما أخر عقابا له على تحديه و انتصاره في الذكاء على الاله
وتنتهي الرواية بقدوم هيراكليس في النهاية ليقتل النسر وينك وثاق
بروميثيوس من الأغلال ولسكى يوفق بين التقوى ازاء الاله ، وحب
الانسانية جعل ايسخولوس بروميثيوس ابنا لربة العدالة وأنه سرق النار
من براكين هيفايستوس رب الحدادة ليعين البشر المساكين في الحياة
والتحدى و ليرقى بهم الى مرتبة أعلى في التقدم والمعرفة . ثم أعلن عن
أصله بعد أن أنقذه هيراكليس البطل وعاد الى جبل الأولمب ليصبح عرافا
في مجمع الالهة .

أما الرواية السادسة فهي « حاملات القراين » وهي تروى الأسيرات
الطرواديات وهن يقدمن القراين على روح أجاممنون ثم ينتقم أورستيس
ابنه من أمه كلوتنسترا وعشيقتها ، وأخيرا مسرحية Euméindés
الى تروى محاكمة أورستيس القاتل أمام محكمة الأريوباجوس حيث
تساعده ربات الانتقام على اقتناع المحكمة ببراءته . وهذه الرواية الأخيرة
التي ألقت حوالي عام ٤٥٨ تعتبر أكثر الأعمال الفنية تفضجا سواء في فن
بناء الرواية أو الأسلوب (١) .

٢ - سوفوكليس Sophocles ٤٩٦ - ٤٠٦ ق.م :

يعتبر سوفوكليس تجسيدا للكمال والمثالية التي اكتسبت في عصر
بيريكليس (٢) وهو شاعر محافظ لكنه أكثر اعتدالا من ايسخولوس . ولد
حوالي ٤٩٦ من أسرة ثرية تعمل في صناعة الأسلحة والدروع باحدى
ضواحي مدينة أثينا وتلقى تعليما راقيا وفي سن الخامسة عشرة قاد كورال
الأطفال ليغنى أناشيد الانتصار في سلايمس . ولهذا لعبت الموسيقى دورا
كبيرا في مسرحياته مثلا قدم رواية عن الموسيقىار الأعمى تاموريس

(١) للمزيد من الماسة اليونانية ودورها انظر : د . محمد صقر
خفاجه : تاريخ الادب اليوناني مكتبة دار النهضة العربية ١٩٥٦ ، نفس
المؤلف مع د . عبد المعطى شعراوي : الماسة اليونانية ١٩٥٨ وأخيرا انظر
الدراسة المبسطة : د . ابراهيم سكر - الدراما الاغريقية - المكتبة
الثقافية ١٩٦٩ .

(2) V. Ehrenberg ; Sophocles and Pericles. Oxford 1954. Passim.



سومو لیس

حيث قام هو بالدور الأول وعزف فيه بمهارة على القيثارة ، كما لعب دور البطلة تاوسيكاً في مسرحية حملت نفس الاسم . وفي عام ٤٦٨ ق.م وفي السابعة والعشرين من عمره نجح في الفوز على منافسه ايسخولوس الذى كان يكبره بثلاثين سنة وهزمه وتربع على عرش المسرح التراجيذى ويتميز سوفوكليس عن سابقه ، وعن خلفه يوريديس أنه رفض دعوات الملوك الآخرين لزيارتهم والاقامة عندهم للكتابة عن بلادهم وأنسابهم لأنه كان أثينا غيورا لمب دورة في السياسة ففى عام ٤٤٠ ق.م كان أحد القادة العشرة الذين ساعدوا بيريكليس في غزو ساموس (١) . كما كان أحد كبار الضباط في أثناء الحروب البيلوبونيزية وكان زميلا لنكياس . كما تولى عام ٤٣٥ وظيفة الرقيب المالى *Héllénotamias* للامبراطورية الاثينية . وعندما أثير عام ٤١٣ مسألة تولى الأوليجارخين الحكم كان سوفوكليس أحد أعضاء اللجنة التى أوكل لها تقصى الحقيقة (١) وكان عضواً في مجلس الأربعماية فيما بعد . كان سوفوكليس محبوباً له أصدقاء كثيرون منهم هيرودوت المؤرخ وكان يعتبر نفسه معظوظاً عند الآلهة لأن إسكليبيوس عد أعطاه عمراً مديداً وعقلاً شاباً عبقرياً . ويقال أنه مات من شدة الفرح بعد نجاحه في القاء دوره في مسرحيته أتيجونى وذلك في عام ٤٠٦ ق.م كما نسب اليه تأليف مايقرب من ١٣٠ رواية لايعرف أساء سوى مائة منها ، أما ما يصل إلينا كاملاً منها سبعة فقط أهمها أتيجونى - إحدى بطلات الاغريق وتعالج أزمة الصراع بين ولاء البطل للوطن وولائه لصديقه المخلص خاصة اذا تعارضت مصلحة كل منهما مع الآخر ثم راوغ الشاعر في تقديم اجابة لهذه القضية عندما أعلن أن ولاء الجندى يجب أن يكون لشيء واحد فقط هو الأوامر الصادرة اليه من قائده . ومن مسرحياته الشهيرة أوديب ملكا *Oedipus rex* وأوديب في كولون ، والبطل أجاكس *Ajax* و « واليكترا » شقيقة أورستيس ومسرحيته التراخينيات *Trachiniaié* وهى تعالج موت هيراكليس ، ثم فيلوكتيتيس *Philoctélés* التى مثلت عام

(١) L. Woolfury, *Sophocles among the generals*, Phoenix, XXIV, 1970, p. 200-224.

(2) M.H. Janes, "Sophocles and the Four Hundreds, *Historia*, XXI, 1971, p. 541-568.

٤١٠ وكانت آخر مسرحية ، مثلت على المسرح هي مسرحية أوديب في كولون والتي ظهرت على المسرح عام ٤٠١ ق م .
كما طرق سوفوكليس باب الشعر الغنائي والابجراما ولهذا يعتبر المثل الواضح للنضوج الدرامي المقبول . وإذا كان ايسخولوس هو الذى وضع أساس التراجيديات الاغريقية فان سوفوكليس هو الذى أكملها .
ولقب « بتلميذ هوميروس » . ويعزى الى سوفوكليس بأنه طور وظيفة الكورس وزاد عدد جوقته من اثنا عشر الى خمسة عشر وادخل الممثل الثالث بل وأضاف الرابع ، فضلا عن تطويره للملابس والمناظر المسرحية .
أما لغته فكانت ساحرة امتدحها النقاد القدماء كثيرا لأنها لم تكن عتيقة مثل لغة ايسخولوس ولا متهورة مثل لغة يوريبيديس بل سهلة ولكن متمعة وممتعة .

٣ - يوريبيديس Euripides (٤٥٤ - ٤٠٦ ق م) :

كان على النقيض من سابقه ، ثائرا ومجددا ، واقفيا وملحدا ، حيث عبر عن القلق الفكرى الذى بسط رواقه فى أثينا بسبب الحروب ، عرفه الأثينيون كشاعر مسرح عام ٤٤١ ق م عند ما فازت إحدى مسرحياته .
وقد كان يوريبيديس محل النقد والتقريع من جانب كتاب الكوميديا لآرائه التقدمية وخاصة من جانب زعيم المسرح الكوميدى أرسطوفانيس ، ويبدو أن الأثينيين لم يتقبلوا آرائه الجديدة بصدور رحب بالرغم من أنهم وضموه فى منزلة رفيعة بعد موته ويقال أنه ترك الماصصة عام ٤٠٨ (أو ٤٠٧) تحت تأثير الهجوم الشديد عليه وانهى به المقام بيلاط ملك مقدونيا حيث كتب مسرحية مجد فيها ملكها أرخيلائوس Archelaus
كما كتب هناك أشهر مسرحياته وهى « الباخيات » Bacchae وأغلب الظن أنه مات هناك ، ويقال أن يوريبيديس كتب روايات كثيرة تقرب من التسعين رواية لقيت رواجا من الجمهور بعد موت الشاعر بالرغم (١٩ - الاطريق)

من انصرافهم عنها إبان حياته ونظراً لذلك فقد وصل إلى أيدينا تسع عشرة رواية من أعماله يختلف كل منها حسب أهميتها الأدبية . ويلاحظ أن يوريبيديس هذا جذو السلف في رجوعه إلى مناجم الفكر الأسطوري وأولى ظهوره للطريقة التقليدية في استخدام أسلوب قديم سقيم ومتقعر كما أنزل بطلاته من علية الماضي وجعلهن يتحدثن ويسلكن سلوك النساء العاديات ، كما بلغ من حبه للواقعية أن أظهر على المسرح نماذج من الحياة اليومية كالشحاذين ورجال البروليتاريا الأثينية (١) . وقد اتخذ أرسطوفائيس من ذلك مادة للسخرية ، ومن أحب رواياته إلى قلوب متذوقي الأدب الأغريقي رواية إفيجينيا في أوليس Iphigénéia in Aulis وتروى كيف قدم أجاممنون ابنته كقربان للربة أرتميس بعد أن أرسل إليها ليأتي بها خادعا إياها أنها سوف تزف إلى أخيليس بطل الإغريق ولكنه بدلا من الذهاب بها إلى مكان الحفل اقتيدت إلى مذبح المعبد عندئذ يعلن الشاعر استنكاره على لسان الجوقة التي ترثع عقيرتها بالغناء الحزين على قدر العذراء التي تذبح لكي تدخل الرضا والسرور على قلب ربه ، وتقول لها الجوقة « أن دماءك سوف تخلدك كقاهرة لطروادة » . كما كان يوريبيديس أول من بدأ الطريق لنوع جديد لروايات الحب والدراما والرومانسية الطريفة والتي حولت إلى كوميديا من نوع جديد في الأدب الأغريقي . وهذا النوع من الروايات ملئ بالفارقات ومظاهر الاكتشاف للحقيقة . لكن شعر يوريبيديس هو تعبير عن التلق العقلي والنفسى الذى خيم على الناس إبان الحروب البيلوبونيسية .

الكوميديا الإتيكية :

كانت الكوميديا تجمع بين الحياة العامة في مدينة أثينا وبين فن التراجيديا . ونظ كوميديا لفظ مركب من كلمتين إغريقيتين هما (كومي) (Komé) و « أودى » Ode أى أغاني الريف بما فيها من

(١) انظر : جليوت مورى : يوريبيديس وعصره ترجمة عبد المعطى شمرأوى - القاهرة ١٩٥٦ ، كذلك انظر :

G. Zuntz ; The Political Plays of Euripides, Manchester, 1955.

وهي محاولة لطابقة المسرحيات بتاريخ الأحداث السياسية .

عريضة وصخب ونكات متبادلة بين الجوق والجمهور ، ومن مظاهر الكوميديا القديمة التي أتاحَت فرصة للتكميم والنقد ما يعرف بـ الباراباسيس parabasis وفيها تخلّت أغاني الريف القديمة الصاخبة والتي كانت فيها الجوقة تظهر وسط الرواية لتخاطب النظارة بأزجال تسخر من شخصيات بارزة أو من موضوعات الأحداث التي تهم الناس . والذي لا شك فيه كان المناخ الأمن الذي عاش فيه الأيوني في ظلّال الديمقراطية أكبر الأثر في نجاح هذا النوع من المسرحيات ، إذ كان لكل مواطن الحق في أن يقول ما يريد في أى انسان أو موضوع Parrhesia والفضل يرجع لبيريكليس الذي لدهشتنا لم يجعله أرسطوفانيس محل سخريته كغيره من السياسيين ، ولما هزمت أثينا في الحروب انيلوبونيزية وسقطت الديمقراطية وتغيرت النظرة الى فكرة المدينة الدولة المستقلة واتجهت نحو التحالفات ، اختفى هذا النوع من الكوميديا الذي لقب بالكوميديا الأتيكية القديمة (Old Attic) وبدأ ظهور نوع جديد يضحك ولا يسخر من أحد أو يعتمد على كوميديا المواقف ، وتصور نماذج من الناس وتظهر التناقض بين سلوكهم . مثل السيد الحر الغبي وعبد الذكي الخيـث ، كما تبين الكوميديا الجديدة انهيار الأخلاق العامة وغياب شمس العظمة البيريكلية . لكن الكوميديا الجديدة يمكن فهمها في أى مكان وفي أى زمان لأنها تعتمد في اضحاكها على أنماط من النفس البشرية نحسها ونلمسها في أنفسنا وفي غيرنا ، أما الملهاة القديمة فهي كوميديا نقد اجتماعي وسياسي لمهد معين عاشه الشاعر ولا يمكن لنا أن نفهمه ما لم نعرف كل كبيرة وصغيرة عن ذلك العهد ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يضحك على مسرحيات أرسطوفانيس الا اذا كان ملماً بكل شئ عن الأغريق والشخصيات البارزة والشعراء والفنون الخ (١) .

ويعتبر أرسطوفانيس (٤٤٨ - ٣٨٥ ق م) عملاق ذلك الفن من الكوميديا . إذ تخصص في التشهير والسخرية من السياسيين وصقور

(١) C.H. Whitman, Aristophanes and the Comic hero, Cambridge, Mass 1964, p. 61.

اخرى والتحررين سواء من الفلاسفة أو الشعراء ، ولقد وصف أحد المؤرخين الألمان أرسطوفانيس بأنه كان أوليغارخيا متطرفا قصير النظر^(١) *engstirniger Oligarch* لأنه كان مثل غيره من الديمقراطيين المحافظين غير نواق لأى تجديد . وكان محافظا غيورا كما كان أرسطوفانيس أيضا عندما بكل شئون الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية^(٢) .

ومن أعمال أرسطوفانيس أحد عشرة مسرحية أهمها « السحب » (٤٢٥ ق م) سخر فيها من سقراط وأتباعه واتهمه فيها بالشعوذة وتضليل الناس بتعليمهم كيف يقبلون الحق الى باطل والباطل الى حق بالافتناع الجدلى الشيطاني واتهمه بأن فسطائى ملتوى المنطق ، أما الفساد (٤٠٦ ق م) فهي مسرحية نقدية أدبية تهكم فيها من اتجاهات يوربيديس المصرية فى فن المأساة الحديثة ، وفى مسرحية « الدباير » (٤٢٢ ق م) سخر من سلوك الدهماء الجاهلة التى سمحت لها الديمقراطية بالجلوس فى مقاعد المحلفين فى المحاكم وبينت كيف يتبادل المتهمون والقضاة الشتائم والاتهامات فى حرية كاملة . وفى مسرحية الفرسان (٤٢٤ ق م) تناول شخصية الزعيم الديمقراطى الديماجوجى كليون دباغ الجلود بالنقد والتفريع كما أظهر جنرالات أثينا الكبار على المسرح وأضحك الناس عليهم وعلى جهلهم وأنهم سوف يقودون الأمة الى كارثة بديمقراطيتهم الفوغائية ، وفى مسرحية الطيور (٤١٤ ق م) سخر من أحلام المتطرفين الديمقراطيين لبناء الامبراطورية تلك الأحلام الجامحة التى تعكس جنون العظمة واللامبالاة الفوغائية فقادت البلاد الى كارثة فى النهاية . وفى مسرحية لوسستراتا *Lysistata* حيث تقرر نساء أثينا واسبرطة القيام بانقلاب لوقف الحرب وعقد السلام لأن هذه الحرب تآكل الرجال وبالفعل ينجس فى ذلك وفى مسرحية برلمان النساء *Ecclesiazousai* سخر من النساء ومن مطالبهن فى المشاركة فى الحياة العامة وهى نفس الآراء التى نادى بها أنصار انسوفسطائين والكليبيين وأتباع سقراط وما جاء فى تعاليم أفلاطون فى

(1) Fr. Schacherneyer, *Perikles*, p. 182.

(2) cf. V. Ehrenberg, "People of Aristophanes, Paperback New York 1962.

الجزء الخامس من الجمهورية • ومن مسرحياته الطريفة رواية «الشموفوريات» أى المحتفيات بأعياد النساء اللاتى كن يجتمعن فى معبد خاص دون الرجال • ويدور موضوع الكوميديا عن رغبة الشاعر يوريبديدس فى التجسس على النساء لمعرفة ماذا يقلن عنه ولماذا يناصبنه العداء ، فطلب من صهره أن يرتدى زى النساء مثله ويقومان بالاندساس بين المحتفيات ليكتشف أن النساء يكرهنه لأنه يعرفهن جيدا وفضحهن فى رواياته وهذا دليل على اعتراف أرسطوفانيس بواقعية يوريبديدس ونجاحه فى تحليل شخصياته •

والى جانب النقد اللاذع الساخر كان لأغاني أرسطوفانيس فى مسرحياته جمالها الساحر الذى يأخذ بالباب الناس • لقد كان أرسطوفانيس قطعة لا تتجزأ من العظمة والرقى السياسى والأدبى فى القرن الخامس وتناج الفكر الحر الديمقراطى الذى وضعه بيريكليس •

الفلسفة والعلوم :

تقدمت العلوم (١) تقدما كبيرا فى هذه الفترة وخاصة « الطب » فقد عرف الاغريق فى هذه الفترة أن المخ هو مركز الحس والتذوق وهو المتحكم فى الأعضاء كما عرفوا تدفق الدم فى الشرايين بفعل ضربات القلب • ومن أشهر أطباء هذه الفترة هيبوقراطيس Hippocrates الذى ترجم الى العربية خطأ أبو قراط والذى لا يزال الأطباء يرددون قسمه قبل ممارسة المهنة (Hippocratic Oath) ولذا اعتبر أبو الطب ومن أشهر اكتشافاته أن المرض يتسبب من عوامل طبيعية وأن خير علاج يكمن فى الوجبة الخاصة diet والراحة والهواء الطلق •

(١) انظر : بنيامين قارتن - العلم الاغريقى ترجمة أحمد شكرى سالم مراجعة حسين كامل أبو الليف - الجزء الاول - سلسلة الألف كتاب رقم ١٦٠ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ ص ٤٠ وما بعدها .

(2) L. Edelstein, "The Hippocratic Oath Baltimore, 1943, p. 5 ff.

أما الفلسفة فهي المرتج الطبيعي الذي نشأ في بلاد اليونان ومن قادة الفلسفة : (١)

(١) أناكساجوراس Anaxagoras (٥٠٠ - ٤٢٨ ق.م) :

هو معلم بيريكليس الذي توصل الى فكرة العقل الأكبر الذي يحكم الأمور الدنيوية كلها ، وهو الذي توصل الى فكرة خلود المادة وأن كل شيء يتكون من المادة والمادة تتكون من مزيج من « ذرات » صغيرة من صنع العقل الأكبر .

كما ذكر أناكساجوراس أن الشمس مصدر الطاقة والقوة وهي جرم سماوي كبير من المعادن الملتببة . ونظراً لآرائه الفلسفية بالاضافة الى صداقته بالسياسي بيريكليس فقد طرد من أثينا عام ٤٥٠ ق.م .

(ب) امبيدوكليس Empedocles (٤٥٥ - ٤٣٠ ق.م) :

وهو مواطن من مدينة أكراجاس Agragas إحدى المستوطنات الاغريقية في صقلية وكان فيلسوفاً وشاعراً وزعيماً للحزب الديموقراطي . وهو أول من عرف الوجود بعناصر أربعة هي النار والهواء والماء والتراب وأن المادة مزيج من هذه العناصر . والمادة لا تتغير ولكن التغير في تركيباتها يؤدي الى التغير في الظروف والأحوال . وأن دراسة ظروف النبات والحيوان والانسان تؤكد نظرية التطور وتبجته لآرائه الفلسفية والسياسية فقد طرد من بلده الى المنفى .

(ج) ديموكريتوس (٤٧٠ - ٣٨٠ ق.م) :

وهو مواطن من مدينة أبديرا في إقليم تراقيا بشمال اليونان واليه يرجع الفضل في تطوير نظرية « البذور » أو « الذرات » atoma . اذ قال ان المادة تتكون من ذرات صغيرة لا ترى وهي دائمة الدوران حول نفسها . وكان ديموكريتوس مادي التفكير والنظرية ولذا فقد دعا الناس الى نبذ الأساطير الدينية القديمة .

(١) من أحسن الكتب عن تاريخ الفلسفة الاغريقية :

W.K.C. Guthrie, History of Greek philosophy, 2 vols, Cambridge 1963, 1965.

(د) پيثاجوراس Pythagoras (٥٧٦ - ٤٩٧ ق م) :

وهو مواطن من جزيرة ساموس Samos وأول من نادى بأن الأرض كروية الشكل وحاول حساب ذلك بالأرقام وكيف تدور حول نفسها كما آمن بخلود « الروح » وذلك بأن الروح تنتقل من جسد لآخر وتختلف في اختيار الجسد حسب حسن سيرة صاحبها في حياته فالأشرار تحل أرواحهم في أجساد الحيوانات ولذا حرم على أتباعه أكل اللحوم . وهناك من يشكون عما إذا كان پيثاجوراس هو واضع نظرية فيثاغورس في الهندسة . وعلى أى حال انتشرت فلسفته في جنوب إيطاليا (١) وأثرت في الفكر السياسي هناك .

سقراط الحكيم (٤٦٨ - ٣٩٩ ق م) :

كان سقراط بلا شك أعظم معلم ظهر بين البشر ، وهو رمز للبقرية وانبوغ الذى حققته أثينا أبان قمة ازدهارها في القرن الخامس ق م . ولد عام ٤٦٨ ق م من أم قيل عنها أنها كانت تعمل « قابلة » للنساء ومن ثم وصف نفسه بمولد الأفكار الصادقة في نفوس الناس (٢) ، وكان أبوه يعمل في البناء والنحت وبالتالي ليس من المستبعد أن يكون سقراط نفسه قد بدأ حياته العملية بناء خاصة أن الاغريق نسبوا اليه نحت مجموعة من التماثيل وضعت فوق الاكروبول . لكن سقراط سرعان ما هجر هذه الحرفة ليعمل بالفلسفة وراح يظ الناس ويعلمهم في كل مكان دون أن يتقاضى على ذلك أجرا لأنه كان يعتبر ذلك رسالة الهية كلفت بها السماء و « الضرورة » معا وهنا لا يمكن أن يكون مثل باقى السوفسطائيين الذين كانوا يتقاضون أجورا باهظة من الناس نظير تعليمهم .

كان سقراط قصير القامة قبيح الخلقة ، بدين الجسم ، أصلع الرأس ذا أنف مفلطح وعينين جاحظتين ، يسير في طرقات أثينا في ثياب رثة وهو حافى القدمين لكنه كان يسير في خلاء وكبرياء وقد سخر منه الشاعر

(1) K. Von Fritz, Pythagorean Politics in South Italy New York 1940 passim.

(2) Apologia 30-31., cf. also A.D. Winspear and T. Silverberg, Who was Socrates ? ; Gordon and Company, U.S.A, 1939. P. 55. ff. ; O. Gigon Sokrates, Berne, 1947.



سورة لوزح وحه سغراط

الكوميدي أرسطوفانيس لذلك ووصفه بأنه « ابن الماء » (١) وذلك في روايته السحب . وكان يفاجئ الناس في السوق العامة أو في ملعب الرياضة *gymnasium* أو في الولاثم والتجمعات فيحدث فيهم دهشة وضجة وقبل أن ينطق فاه بكلمة كان يمتريه غيوبة وصمت يتم خلالها هبوط الروح الربانية فيه (٢) ، ثم يبدأ جدله بتوجيه أسئلة في شكل ثروة جدلية يهدف بها الكشف عن ماهية مجادلة واستكشاف ما يعرفونه ومالا يعرفونه (٣) ثم يعلمهم عند طريق الجدل البناء الذي يبدأ من العدم الفكري لأنه كان يرفض قبول أمر دون إثبات عقلاني أو دليل واضح . وبهذا دعى الآثينيين الى البحث عن الحقيقة دون الخوف من أحد . وكان يرى أن التفضيلة هي العلم والمعرفة والرذيلة هي الجهل وأن روح الانسان لن نستطيع رؤية الحق الكامل الا بعد كفاح ذهني مرير . وكان سقراط يؤكد لجمهوره وتلاميذه بأن رخاء الانسان اذا تحقق دون معرفته بذاته يصبح مصدر تعاسة وشورر وأن الانسان اذ قنع عند حد معين بالمعرفة يكون كمن قبر روحه . وهكذا قضى سقراط حياته في فقر مدقع لكنه دخل خلالها في جدل مع كافة طبقات الشعب الاثيني : مع الإغنياء ومع الفقراء ، ومع رجال السياسة ورجال الحرب ، مع الفلاسفة ومع الشعراء ، مع العلماء ومع الحرفيين كالاسكافية والحصاليين ، وكان جدله يبدأ ساخرا يثير الضحك ثم يتحول الى جدية تسحر الناس وتجعلهم يعصرون أذهانهم للرد على أسئلته . وكان يقول : اتى أعشق المعرفة ورجال المدينة هم الذين يعلمونني أما الريف أو الأشجار فلا تعلمني شيئا (٤) .

كان سقراط مواطنا صالحا شجاعا حمل السلاح دفاعا عن بلده في الحروب البيلوبونيزية وقبل أنه قاتل بشجاعة وأتقذ من الموت شابا ارستقراطيا جميلا اسمه الكبياديس *Alkibiades* صار تلميذه فيما بعد

(١) *Clouds*, 150.

(٢) *Plato : Symposium*, 215, 22.

(٣) انظر : اميرة حلمي مطر : الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ١٩٧٤ (الطبعة الثانية ص ١٣٥ - ١٦٠) .

(٤) محاوراة فايدروس ٣٢٠ .



قراطة الحكيم
التحفة البريطانية (بلندن)

وأصبح زعيما سياسيا بعد موت الزعيم بيريكليس . لكن سقراط كان
ساخطا على النظام الاثيني في الديمقراطية لأن رأيه هو أن السياسة
يجب أن تقوم على آكتاف العارفين بالعلم وليس على آكتاف محترفي هذه
المهنة . ولهذا قدم للمحاكمة بتهمة تحريض الشباب على التمرد على سنة
الآباء وتقاليد المدينة كما اتهم بالكفر والالحاد إزاء الآلهة . ولكنه كان
بريئا من التهمة الثانية لسبب بسيط هو أنه كان يعتبر نفسه صاحب
رسالة ربانية وأنه أشبه بوحى يهبط ليلسح جوادا هو الشعب الاثيني
فيوقفه من خموله ليسرع الخطى نحو اليقظة الفكرية . ولما سمع بنبوءة
كهنة دلفي بأنه « أحكم الناس » وكان عمره وقتذاك بين الثلاثين والاربعين
تساءل مستنكرا كيف يمكن أن يكون حكيما وهذا صفة موقوفة على
الآلهة وأنه اذا قورن بها فهو لا يعلم من الحكمة شيئا بل كان دائم القول
« انى أعرف شيئا واحدا وهو أئننى لا أعرف شيئا ! »

اذا فالتهمة التى وجهت اليه كان دافعها سياسيا . والذى لاشك
فيه أن أنصار الحزب الديمقراطى هم الذين دبروها انتقاما لموقفه العدائى
من الحزب وانتقاما من اثنين من تلاميذه هما من ألد أعداء الديمقراطيين
الأول هو كيتياس الذى اشترك فى الانقلاب الذى دبره الاسبرطيون
لاقصاء الحزب الديمقراطى عن الحكم واقامة دكتاتورية أوليجارخية
وبالفعل تم ذلك وأصبح كريتياس من أبرز زعماء هذه الحكومة التى
فتكت بالديموقراطية وشتت شملهم وبعد كفاح مرير نجح الديمقراطيون
فى هدم الدكتاتورية واعادة الديمقراطية الى الحكم ومن ثم أرادوا
الانتقام من كريتياس فى شخص سقراط .

أما الثانى فهو الفتى الكياديس الذى تسبب فى نكبات كثيرة وهرب
من جيش الحملة الأثينية ضد صقلية الى أسبرطة ليكشف لهم عن أسرار
عسكرية هامة أدت الى هزيمة أثينا فى صقلية بل وهزيمتها الكبرى على
يد أسبرطة .

اذا فالتهمة التى حكم بسببها على سقراط بالموت عام ٣٩٩ ق . م
كانت سياسية وانتقامية لأن أثينا أصبحت كالهرة تاكل عجافها ولم تكن التهمة

دينية لأن سقراط اعتبر نفسه مفكرا عقلانيا وصوفيا روحانيا في نفس الوقت . وجاء الحكم عليه بالموت قاسيا ، ومن ناحية أخرى أصدر القضاة حكمهم عليه بالموت وهم على مضض بل كان يمكن لسقراط أن يبرأ نفسه لو لم يبرر في دفاعه رسالته الربانية العلمانية بطريقة لا تقبل الجدل ، متحديا قضائه بأنه يدرك مدى العداوة التي يجنيها بسبب رسالته ولكن الضرورة وكلمة السماء يجب أن تكون فوق كل اعتبار^(١) كذلك كان يمكن له أن يبقى حيا لو قبل النفي بمحض الإرادة . ولكنه رد بطريقة لا تقبل المساومة بأن السماء أقامت أمينا وحارسا على رسالة ومن ثم فلن يخون الأمانة ويهجر الرسالة وبالتالي رفض أن يرجع عما نادى به ولو دفع حياته ثمنا .

ولما رشا حواريوه الحراس وتصحوه بالعرب رفض قائلا بأنه من العبث أن يخرج على قوانين المدينة التي رعت طوأل حياته وولد وعاش في كنفها كما ولد وعاش والداته من أجل أن يظفر بالحياة ، وآثر أن يموت شهيدا لرسالة الحق والعقل بل قيل أنه استقبل الموت ليحرر روحه من الألم والمعاناة ، ومن ثم تجرع حتى الثمالة كأسا من السم جاء بها الحراس أصلا الى سجين آخر ثم راح يودع الحاضرين من مريديه ، وارتمى يحتضر متمتا عبارة خاطب بها صديقه كريتيو هي « يا كريتيو ان على ديننا وهو « ديك » لاسكلييوس فلا تنسى أن ترد غنى هذا الدين » ويقول البعض أن أسكلييوس المقصود هنبأ هو رب الشفاء (المعادل لأمحتب عند المصريين) وبالتالي فان مقصد سقراط هو أن يقدم قربانا لرب الشفاء . لأنه شفاء بالموت من آلام الحياة .

مات سقراط الحكيم دون أن يترك من ورائه مؤلفات تسجل فلسفته ولكنه ترك عددا كبيرا من تلاميذه الذين نبغ بعضهم في ميدان الفلسفة مثل أفلاطون الذي سجل كل فلسفة أستاذة في شكل محاورات (dialogues) ولكن بصورة راقية ومثالية ، ومن تلاميذ سقراط الذين خلدوا حياته أيضا الأديب المؤرخ والعسكري كسينوفون Xénophon الذي ترك لنا فصلا عن سيرة أستاذة في كتابه المذكرات (Memorabilia) ،

(1) Apologia, 21, Y.

أما أرسطوفانيس الشاعر الكوميدي فقد ترك لنا مسرحية كاملة تنهكم على سقراط واتباعه هي مسرحية « السحب » يمكن أيضا أن يستخرج منها ما نعرفه ومالا نعرفه عن هذا المعلم العظيم .

علم التاريخ :

ظل التاريخ مادة لكتاب المقالات (١) من أهل أبونيا Logographers الذين مزجوا الأساطير بالروايات وبالحقائق ثم أعطوها تاريخا قريبا . ومهما تبدو أعمالهم ساذجة ومضحكة إلا أنها عكست أشياء ذات قيمة بالنسبة للمؤرخ وأشهر المؤرخين الذين عاصروا الإمبراطورية الإثينية اثنان هما هيرودوتوس Hérodoteus وثوكوديدس Thucydides

هيرودوت أبو التاريخ (٤٨٥ - ٤٢٥ ق م) :

ولد هيرودوت في هاليكارناسوس Halicarnassus إحدى المستوطنات الدورية القليلة على ساحل آسيا الصغرى ولكن هيرودوت كتب بلهجة أيونية وليس دورية وكانت أمه من إقليم كاريا (وهم أهل البلاد الأصليين) وقد اعتاد هيرودوت أن يسافر إلى أثينا ويلتقي بقادتها وزعمائها وشراء مسارحها وكان متعصبا ومتحيزا لأثينا وسياستها حتى أنه قبل أن يكون عضوا في إحدى المستوطنات التي أقامت أثينا في إيطاليا وهي مستوطنة Thuri بقي فيها حتى مات .

اعتمد هيرودوتيس في كتابه للتاريخ على الرحلات والزيارات أو السياحة الأدبية وحول مشاهداته وتسجيلاته إلى مادة لكتابة تاريخه . وقد أتم تسع مؤلفات تاريخية أعطى لكل منها اسم إحدى ربوات الفنون والآداب التسع Musae . وتلدور كتبه الخمس الأولى حول نشأة

(١) من علم التاريخ منذ الإغريق انظر المراجع الآتية :

(1) Usher, " The historians of Greece of Rome, " London 1970 ; M. Grant, " The Ancient historians, " London 1970 ; A. Momigliano, " The Development of Greek biography [4. Lectures] Cambridge Mass., Harvard University Press, 1971.

كذلك انظر :

الفكر التاريخي ، عند الإغريق تأليف أرنولد توينبي وترجمة لمي الطيبي ومراجعة محمد صقر خفاجه - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة . ١٩٦٦ .

الامبراطورية الفارسية تحت حكم قورش. ووصف بعض الولايات مثل مصر وتراكيا في ظلال الحكم الفارسي ثم روى في الكتب الثلاث الأخرى قصة الصراع بين الفرس والاعريق « أو قصة الحروب الفارسية حتى تحرير سستوس Sestus عام ٤٧٨ ق. م ، وجدير بالذكر أن كتابه الثاني (١) كرس لوصف مصر وعاداتها وديانها وتاريخها وهو الذي قال فيه عبارته الخالدة « مصر هبة النيل » .

أهم ما يؤخذ على هيرودوت جهله بلغات الشعوب التي كتب عنها وتحدث عن تاريخها وقيامه بعمل واسع غير محدود . كما مال الى ارجاع الحوادث التاريخية الى مصادير مباشرة فقط أو الى دوافع فردية ولذا يعتبر مؤرخا سطحيا وغير منهجيا . اذ أنه أغرق نفسه في عالم الخرافات الاسطورية والغمييات الدينية التي تكشف عن معدنه ونشأته وتربيته الدينية . وبالرغم من هذه التحفظات فهو طريف ومحبب الى قلوب قرائه وهو أمير المؤرخين القدامى بلا منازع ولذا اسماه الرومان *Pater historiae* أي أبو التاريخ لأنه بالرغم من أخائه فهو أول من (٢) جمع المادة ثم نقحها بقدر ما يستطيع ثم صاغ منها مادته التاريخية في شكل متعدد مترابط وهادف . لقد قال هيرودوت في أكثر من موضع « ان واجبي هو أن أسجل كل ما يقال ولكنني لست مقيدا بتصديق كل ما يقال » . وهذه العبارة أيضا تكشف كيف أنه جمع قدرا كبيرا من مادته من أفواه الناس وروايات الكهنة المصريين ومن الأدب الشعبي فمزج الحقيقة بالخيال وهذا ما يأخذه عليه المؤرخون القدامى والمحدثون . ويعتبر بعض الناقدين أن هيرودوت هو أبو علم الاثروبولوجيا الاجتماعية وليس أبو التاريخ ليله الى الحقل الثقافي والاجتماعي والديني أكثر من الحقل السياسي .

(١) ترجم هذا الكتاب الى العربية الاستاذان الدكتور محمد صقر خفاجة والدكتور أحمد بدوي تحت عنوان هيرودوت في مصر . دار القلم ١٩٦٦ القاهرة . ويرجع أهمية هذه الترجمة ليس الى دقتها فحسب بل الى قيمة التعليق عليها .

[2] A Fahling, "Die Quellengaben bei Herodot, Studien zur Erzählungskunst, Berlin ; ١٩٧١, also cf. Ch. W. Fonara, " Herodotus : an interpretative essay, Oxford ١٩٧١ (= Revue Philologique XLVI (١٩٧٢) p. ١١٧-١١٨.

هيرودوت في مصر :

عندما زار هيرودوت مصر - أبان الحكم الفارسي - وجدها مليئة بالمعجائب وبكل ما هو غريب وأنها تحوى آثار الأولين بكميات تهوق أى بلد آخر في العالم القديم ، كما أدرك هيرودوت سحر شخصية مصر وعبقريّة مكائنها وقوة تأثيرها النابع من ثراء ماضيها العتيّد كما سجل طريقة حياة المصريين التى وجدها مخالفة لسائر الشعوب الأخرى لا في بلاد الاغريق فحسب ، بل حتى في بلاد شرقية مثل آشور وبابل وبلاد القرس .

وكان النيل بالطبع أول شيء ميز مصر في نظره ، فهو نهر عظيم جبار غامض المنبع ملئ بالتماسيح التى تروح بحرية فيه وتلقى من الناس كل احترام وتبجيل . كما دهش من حرص المصريين على جثث موتاهم وتعيطها لتبقى تقاوم التحلل آلاف السنين .

لقد دفعت بديهية هيرودوت أن يصف حياة وسلوك المصريين بأنه على النقيض التام لسلوك شعوب العالم ، فهم يكتبون من اليمين الى اليسار بينما يكتب الاغريق من اليسار الى اليمين وهم يسجنون العجين بأقدامهم أما الطين فبأيديهم وبها أيضا يجمعون روث البهائم ، وبينما يمسك رجالهم في المنازل ليقوموا بالنزل ، تذهب النساء الى السوق للبيع والشراء حتى طريقة غزل الصوف مخالفة ، فبينما ينزل الناس جميعا دافعين للحمّة من أسفل الى أعلى فان المصريين يدفعونها من أعلى الى أسفل » ، وبينما يقضى المصريون حاجاتهم سرا داخل المنازل وجدهم هيرودوت يأكلون في العلانية وعلى قارعة الطريق معتقدين أن الضراوات القيحة هى وحدها التى يجب أن تؤتى في الخفاء . ويقول هيرودوت أن النساء المصريات يتبولن وهن وقوف بينما يفعل الرجال ذلك وهم يجلسون القرفصاء ، وبينما يحمل الرجال الأثقال على رؤوسهم تحمل النساء الأحمال على أكتافهن ، وبينما يسكن سائر الناس في عزلة عن الحيوانات ، يمشى لصريون جنبا الى جانب معها . وبينما تعيش الناس على القمح والشعير يعيش المصريون على الذرة ، حتى القطة في مصر

وجدنا هيرودوت غريبة عن غيرها ووجد الناس يعاملونها برقة وتبجيل
يشير دهشة الاغريق .

ان ملاحظات هيرودوت تجعلنا نعتقد أن زيارته لمصر لم تكن سياحة
عابرة بل كانت رحلة استطلاع ودراسة ومسح اجتماعي وجغرافي شامل
مما يجعلنا نعتقد أن بقاءه في مصر لا يقل عن عامين بعد رحلة طويلة في
عالم كانت وسائل الانتقال فيه بدائية علما بأنه تفقد مصر حتى أسوان
جنوبا كما زار الفيوم . ومن المحتمل أنه دخل مصر من البوابة الشرقية
من ييلوزيوم لأنه جاء الى مصر عن طريق آسيا الصغرى .

ومهما يكن من أمر فقد بقيت المعلومات التي جمعها هيرودوت عن
مصر هي الجواهر والمصدر الأول لعلم الدراسات المصرية القديمة حتى
مطلع القرن التاسع عشر وقبل حل رموز الكتابة الهيروغليفية على يد
فرانسواز شامليون . أما المصدر الثاني فكان مؤلف مانيتون Manetho
ذلك الكاهن السنودي الذي كلفه بطالمة مصر بكتابة تاريخ مصر باللغة
الاغريقية فأنجز ذلك حوالي عام ٢٥٠ ق . م ولكن لم يصل إلينا
شيء منه سوى اشارات منقولة عن طريق بعض الكتاب الاغريق
والرومان على رأسهم جوزيفوس الكاتب اليهودي السكندري . ويقول
أودري دي سلنكور Audrey de Selincourt (١) ، حتى ولو
قدر لمؤلف مانيتون أن يصل إلينا كاملا فانه لن يكون بالجودة والفائدة
التاريخية التي تنافس كتابة هيرودوت لأن مانيتون كتب التاريخ تحت
دافع معين وهو تبرير أن مصر كانت أقدم من سوريا لأن البطالمة كانوا
في صراع مع أسرة آل سليوكوس وكانت كلتا الأستين تتباهى بأنها
أعرق حضارة من الأخرى ومن ثم شجع البطالمة مصريا وطنيا تلقى تعليمها
اغريقيا لكي يكتب تاريخ مصر بالاغريقية لأنها اللغة التي كانت سائدة
آنذاك في كل من مصر وسوريا وسائر العالم الهلينستي .

أما هيرودوت فكان حرا لا يدفعه الى الكتابة سوى الرغبة في
تسجيل الحوادث ودراسة الامبراطورية الفارسية وأسباب الحرب بينها

(1) Audrey de Selincourt, The World of Herodotus, Secker and Warburg
(1962), p. 217-218.

وبين بلاد اليونان ، ولكنه كان ييلور النظريات لو وجد هناك ظاهرة جديدة بالتسجيل . كان هيرودوت يكتب التاريخ بعينه لأنها كانت لسانه في بلد لا يعرف لغته ، ثم يحاول أن يسأل ويستفسر من الكهنة عن الظواهر التي تلفت انتباهه . وهذا منهج استقراي سليم طبقه في كتابه الثاني الذي سماه باسم ربه الفن يوتربي (Euterpe) فجاء أقرب الى العمل التاريخي الناضج .

لقد التقدنا هيرودوت ولكن يجب أن نقول أن الجزء الذي اعتمد فيه على المشاهدة والتسجيل القوي والتنقل والحركة يجعله يبدو مؤرخا موثوقا فيه ، أما الجزء الذي اعتمد فيه على نقل ما يسمعه دون نقد أو تمحيض يجعله يكتب تاريخا غامضا ، بل ومشكوكا فيه ، لأنه اعتمد على روايات الآخرين ومعظمهم من أنصاف المتعلمين والذين يلبون بقدر ضئيل من الاغريقية ، وربما أحدث ذلك سوء فهم بين هيرودوت وبينهم . كما اعتمد هيرودوت على روايات وشروح التراجم (dragomen) المصريين الذين يحترفون اصطحاب السواح الأجانب حول آثارهم ويمطرونهم بمعلومات من أجل تسليتهم وامتاعهم على حساب الحقيقة التاريخية . ولهذا جاء مؤلف هيرودوت مزيجا متوعا من الحوادث الشعبية والاساطير القومية المحلية ومن الطرائف والطرائف من حكاية لص مقابر الفراعنة الذكي الذي حير ملوك عصره . وربما قصد هيرودوت من جمع هذه الطرائف أن يجعل من نفسه محبوبا وممتعا لدى قرائه الاغريق .

يجب ألا يفوت عن أذهاننا أن مصر التي رآها هيرودوت لم تكن مصر الفراعنة العظام ، لأن مجد مصر كان قد انهار ودفن في المقابر وغطتها الرمال الا الأهرامات وأبى الهول وبعض المعابد التي وقفت تحدى الزمن ، لقد سقطت مصر فريسة لضف ورعونة ملوكها المتأخرين منذ الأسرة العشرين ، ولعدوان شعوب طامعة في احتلالها وفي نهب خيراتها . ولقد ألحق هذا العدوان الكثير بمصر وشعبها وحضارتها اثر على العلاقة التجارية بينها وبين بلاد الاغريق والتي كانت قائمة منذ . اارة كريت .

لقد كان للاغريق بمصر مصالح حيوية وكانت لهم جاليات وثبت وجود أحياء لهم في منف ومقابر لهم في سقارة . وكان من الطبيعي أن يحرص الاغريق على بسط نفوذهم على مصر ، فمثلا منذ بداية حكم الأسرة الصاوية في منتصف القرن السابع نجد الجنود المرتزة الاغريق يتدفقون على مصر للعمل في جيئشها ، بل واعتمد ملوك الأسرة الصاوية على خبرة الكورثيين في بناء السفن الكبيرة عابرة البحار سواء من أجل الهدف التجاري أو العسكري لأن هذه الفترة تعرف بعصر اليقظة المصرية المتأخرة ، ان النقش الذي عثرنا عليه على قدم احدى تماثيل معبد أبو سنبل العملاقة حوالي عام (٥٨٠ ق م) وكتبه الجنود المرتزة التي قادها الملك المصري أحموسى الثانى المعروف عند الاغريق باسم أماسيس (Amasis) في حملته ضد جنوب الشمال الثانى لدليل على ذلك . والى جانب نفوذ الاغريق فى الجيش المصرى زاد نفوذهم فى التجارة وأصبحت لهم مدينة خاصة بهم هى قراطيس (سيدة البحار) وقد أدى اختلاط المصالح الى تعمق الاغريق فى الشؤون المصرية والاقتراب من سر حضارتها المعلق .

كانت الديانة المصرية قد ماتت أيضا مع تدهور العظمة وغياب الملوك العظام وتحول الكهنوت المصرى الى شعوذة شعبية وديانة ساذجة يلعب السحر دورا كبيرا فيها ولهذا اعترف هيروودوت بأن المصريين كانوا أكثر شعوب العالم تمسكا بالقيم ادينية وبالتراث الروحى خاصة بشعائر « الطهارة » والسحر من أجل الوقاية من الجسد ومن الأذى .

لقد سجل هيروودوت أيضا صوت الشعب المصرى الموصود بالأغلال من ظلم الحكام . وبالرغم من موت طغاتهم منذ آلاف السنين الا أن التراجمة رووا لهيروودوت فظائع الملك خوفو مثلا ورووا له عن الثلاثين عام من العبودية والسخرة من أجل بناء مقبرته الضخمة والتي

هى الهرم الأكبر (١) . ولكن الحياة فى مصر وقت زيارة هيرودوت لم تكن بهذه الصورة المقبضة بسبب العبودية واليد القولاذية الحاكمة وبسبب الجمود التقليدى (traditionalism) فى طريقة الحياة لأن معاول الأثريين صحت هذه الصورة المقبضة التى صررتها التوراة وكتاب هيرودوت ، لأن الناس تعودوا على هذه الحياة القاسية وأصبحت واقعا نفسيا لا يمنع من المرح والرفة والابتهاج والانسياب .

ويقول سيريل الديرى فى كتابه الموجز والثيق عن المصريين ، والذى استقى مصادره من الخفائر الأثرية - أن بلدا كمصر يقوم رخاؤه على الزراعة أساسا لابد وأن يسود مجتمعه الفكرة الريفى حيث يلعب الفلاحون الدور الأول فيه ، وفى حضارته . ويقول أيضا أن المصريين اختلفوا عن سائر الشعوب الأوروبية القديمة فى تحررهم من « عقدة الذئب » التى سيطرت على فكرة شعوب كثيرة شرقية وغربية ، فالمصريون فى نظره بسطاء ، سليمى الطوية لا يؤمنون بعقد الآلهة وحنقها وتحفزها فى الانتقام مثلما آمن الاغريق وانما آمنت الديانة المصرية القديمة بأن غضب الآلهة ينجر فى لحظة واحدة ويذهب مع الريح . ولهذا لم يشغل المصرى نفسه كالاغريقى والرومانى فى تهدئة الآلهة وعقد سلام معها خوفا من انتقامها بل شغل باله بالبحث عن سر الكون الذى ترعاه « ماعت » ربه العدل الآلهى وتحديد مكان الانسان فيه وقبول الكون على الحالة التى خلقت به الآلهة ولهذا جاء الفكر المصرى القديم خاليا من القلق النفسى الذى اتاب شعوب كثيرة ويقول هيرودوت فى كتابه الثانى فقرة ٧٨ « وفى اجتماعاتهم عند الأثرياء منهم بعد أن يتنوا من الطعام - يطوف بهم رجل يحمل فى تابوت جثة من الخشب تشبه تماما بما عليها

(١) روى هيرودوت (الكتاب الخامس ، ١٢٦ ، ٦) أن أحد المرشدين روى له أن تكاليف البصل والثوم والفجل التى استهلكها العمال طوال فترة بناء الهرم كانت مسجلة على هرم خفرع .

Herodotus V, 125, 6.

See. W. Spiegelberg. (translated by Blackman) The Credibility of Herodotus' account of Egypt, (Oxford 1927). p. 15-16.

من نقش وتصوير ويرى الرجل لكل فرد من الحاضرين وهو يقول « أنظر الى هذه ثم اشرب وتمتع ، ذلك لأنك سوف تصير ثلها بعد الموت » ، ذلك يفعلونه في الولايم (١) .

لقد نمت ظروف مصر المناخية في شخصية المصري الاحساس بالهدوء والاستكانة وادراك أن كل شيء يسير في نظام دقيق « فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل يسبق للنهار » ، والفيضانات موقوت ، ولا يوجد عواصف ولا زلازل ولا براكين ولا صواعق وغير ذلك من مسببات الكوارث الطبيعية ، حتى النيل يسير وديعا في مجراه مسالما حتى في فيضانه . ولهذا يقال أن مصر كانت من أسعد بلاد العالم لأن الأشياء فيها تبقى سنيها على حالتها وهذا ولد في الفكر المصري الاحساس « بالخلود » الذي لم يقدره هيرودوت عندما فشل في أن يفهم معنى أن يستعبد ملك شعبه لمدة ثلاثين عاما من السخرة لكي يبنوا له مقبرة على شكل هرم ، لقد تبدوا الأهرامات للغريين مقابر للطغاة العتاة الذين استغبدوا شعوبهم وسخروهم لكي يبنوها ارضاء لنزعة الكبرياء والسيطرة عندهم ولكن الأهرامات عند المصريين كانت مقابر للآله التي تموت لتحيا من جديد ولم يفهم هيرودوت ألوهية الانسان وحلول الرب في صورته ولكنه أعجب بالهندسة المعمارية الخارقة في رفع هذه الكتل الحجرية الضخمة (يبلغ عدد أحجار الهرم حوالي مليونين و ٣٠٠ ألف كتلة تتراوح وزن كل منها ما بين طنين وثلاثة أطنان ونصف الطن) الى مثل هذا الارتفاع الشاهق (كان ارتفاع الهرم لا يقل عن ١٤٦ مترا) وتعجب هيرودوت كيف حملوا هذه الكتل الضخمة من محاجرهم في أقصى جنوب مصر عن طريق النيل .

لقد استغل هيرودوت روح المصريين الساخرة الضاحكة لكي يكتب تاريخا ممتعا وثيقا وجذابا ، ان تكات المصريين عند هيرودوت مبعثا الاحساس بالاستعلاء التاريخي على الاغريق وضلالة هذا الشعب اذا

(١) انظر محمد صقر خفاجه واحمد بدوى العمل السابق ص ١٨٥ .

حاول أن يقارن نفسه بالمصريين ، نعم لقبه كان المصريون في القرن الخامس قبل الميلاد منهارين حضاريا ويزحون في أغبال الاستعمار الفارسي لكنهم لم ينسوا ما حققه أجدادهم القدامى في مجالات متعددة من العلوم مثل الرياضة والقتل وعلم قياس الأرض من أجل تحديد الضرائب على الأراضي المزروعة كل عام ، وعلى حد قول هيرودوت لقد كان المصريون هم أول من اكتشف السنة الشمسية وقسموها الى اثني عشرة شهرا والشهر الى ثلاثين يوما . وقد أعجب هيرودوت بتقوى المصري نحو آلهته ولهذا أبدى احترامه وتقديره لمصر وحضارتها العتيقة حتى ولو في وقت متأخر .

ومن المفارقات الطريفة بين المصريين والاعريق ما سجله هيرودوت من دهشة المصريين عندما علموا أنه لا يوجد عند الاعريق نهر مثل نهر النيل يرتوون منه وأنهم يمشون على المطر وتساءل المصريون ماذا لو انزلت الآلهة بهم الجفاف وقل المطر ؟

ثم يدخل هيرودوت بعد ذلك في دراسة جيولوجية عن وادي النيل نقلها عن أحد كهنة ممفيس وكيف أن مصر كانت مستنقعا كبيرا الا المنطقة الواقعة حول طيبة وكيف أن الأرض الواقعة حول بحيرة موريس (بركة قارون) كانت مغطاة بالمياه تماما . ويقول هيرودوت أن الزائر يستطيع أن يدرك أن مصر هبة النيل لأنها أرض كونها الطمي القادم مع مياه الفيضان ، وكيف أن وادي النيل نفسه لم يكن سوى ذراع للبحر (الأبيض) تماما مثل البحر الأحمر ، ثم يتحدث عن ظاهرة فيضان النيل وأسبابه وينفى القول بأن الفيضان سببه ذوبان بعض الثلوج التي تغطي قمم الجبال العالية ويقدم رأيا بديلا وهو أن الفيضان سببه انفجارات تحدث في الشمس من فعل العواصف ، ثم يتقصى منابع النيل ويتحدث عن جزيرة القاتين (أنس الوجود) والتي يقول أنه قد زارها ثم يتحدث عن مجرى النيل منها الى النوبة وإلى المناطق الاستوائية التي لا يسكنها أحد من شدة الحرارة .

وبعد ذلك يتحدث هيرودوت عن مستوطنة قورني (شحات من

أعمال برقة في ليبيا) ويروى ما سمعه من بعض الحجاج القادمين من واحة سيوه بعد زيارة معبد آمون ، عن كيف روى لهم ملك الواحة اتيارخوس أن مجموعة من شباب الواحات ضلت طريقها نحو الغرب ، وبعد مسيرة أيام من القبط والعطش والجوع وصلوا الى غابات لها أشجار ذات ثمار وبينما هم مشغولون في قطفها هاجبهم مجموعة من الأقزام الزنوج يتحدثون لغة غير مفهومة وخطفوهم الى مدينتهم التي يشقها نهر النيل (ربما يقصد نهر النيجر) المليء بالتماسيح ، ثم بعد ذلك أطلقوا سراحهم . هكذا جاء وصف هيودوت لجغرافية مصر وجيرانها مدهشاً لو قدرنا مشقة السفر وغياب الخرائط .

ثم ينتقل هيودوت بعد ذلك ليصف بعين الخبير الحيوانات التي تعيش في مصر ويعدددها ويذكر من بينها وصف طائر العنقاء الخرافي الذي رأى رسمه فقط في هليوبوليس ثم يذكر لنا حكاياته كما سمعها من أقوام المصريين ، ثم يتحدث عن عادات المصريين وطبائعهم وملابسهم وطعامهم ولا تفوته حتى طريقة تعييتهم لبعضهم البعض وهو هنا باحث اجتماعي يرصد بعين المراقب الدقيق والتقدير . ثم يتحول لتدعيث عن الطب والتطبيب ويذكر تخصصات الطب المختلفة ويقول « وبلادهم كلها خاصة بالأطباء ، بعضهم متخصص في العيون وبعضهم في الرأس وبعضهم في الأسنان وبعضهم في الأمراض الخفية » (١) . وكيف أن نظامهم شبيه بنظام الطب الذي كان موجودا في بابل . ويتعرض هيودوت لأثر الطقس على الصحة العامة ويعالج عملية التحنيط بدقة واهتمام (٢) ، ثم يتعرض لحب المصريين الفطري للطيور والحيوانات ويصف هذه الطيور والحيوانات من واقع الطبيعة مثل الطائر المتخصص في تنظيف أسنان التمساح ولكننا تشكك في وصفه لفرس النهر « الذي له عرف كالفرس وأذنان مثله » (٣) .

(١) الكتاب الثاني فقرة ٨٤ ، انظر محمد صقر خفاجه واحمد بدوي

المرجع السابق ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٢) فقرة ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ من الباب الثاني .

(٣) فقرة ٧١ .

بعد ذلك يبدأ هيرودوت في الحديث عن ملوك مصر منذ حكم الملك مينا موحد القطرين وهنا نجد يعتمد على التاريخ الشعبي الذي رواه له التراجمة والكهنة ولذا جاء بعضه يحفل طابعا رومانسيا مدسوسا ، وهيرودوت يقبل الحوادث الشعبية لأنه يوجد لدى المصريين غريزة فطرية لتسجيل كل شيء ولهذا فهم أحسن من يكتب التاريخ في العالم . ويستشهد هيرودوت على ذلك عندما استفسر عن صدق حرب طروادة من أحد الكهنة المصريين فأجابوه بأن لهم مصادر مباشرة عن مينالاوس زوج هيلينا نفسه (١) ، بأنها لم تذهب الى طروادة بل بقيت في مصر في قصر الملك بروتيوس (٢) لأنها لو كانت في طروادة لردت الى الاغريق وكدهم شر القتال ويقول هيرودوت أن هوميروس نفسه شاعر ملحمة الألياذة كان يعلم بهذه الحقيقة التاريخية ولكنه اختار ما يناسب البناء الدرامي لمحتته . ويذكر أن ارادة الآلهة كانت أن يرفض الاغريق تصديق الطرواديين بأن هيلينا ليست موجودة في طروادة ، تبريرا للحرب التكفيرية عقابا ربايا للأخطاء التي ارتكبتها أهل طروادة (٣) . هكذا وضع هيرودوت فلسفة النقد الأدبي عند الاغريق ، فنقدم لشرائعهم لا يقوم على أساس القيمة الجمالية بل على الموقف الأخلاقي والواقعي فمثلا التمثال الجليل لم يكن يعنيهم أن يكون جميلا أو غير جليل إنما الذي كان يعنيهم ما مدى قرابته من الصورة الحقيقية للرب الذي يمثله وكلما كان أقرب الى الصورة الحققة كان أقرب الى الكمال والجمال .

يرسم لنا هيرودوت شجرة الأسر التي حكمت مصر منذ عصر مينا نقلا عن كهنة هليوبوليس ، ويقول أنه حكم بعد مينا ثلاثمائة وثلاثين ملكا على طول فترة تبلى عشرة آلاف عام ثم يركز على سيزوستريس

(١) فقرة ١١٨ .

(٢) والغريب أن يوربيديس ردد هذا الاعتقاد في مسرحيته هيلينا .

(٣) فقرة ١٢٠ .

(سنوسرت الثالث حوالي ١٩٥٠ ق م) أعظم ملوك الدولة الوسطى وقتوخته العسكرة بخارج مصر ومحاولة كشف المحيط الهندي ويتحدث عن قصة العنق النامض الذي أصاب الفرعون فيروس (ربما كان يعنى مفتاح وأن القصة من تشنيع اليهود (١)) وقصة الفرعون بروتوس (ربما ست نخت أول ملوك الأسرة العشرين (٢)) والفرعون رامبسينتوس (ربما رمسيس الثاني (٣)) وقصته مع لص المقابر ويتحدث عن خوفو الطافى وقصة بناء الهرم الأكبر وابنه خفرع وعن منكاورع أيضا . ثم يتحدث عن الفرعون موكرينوس Mycerinus وحكمه العادل ، ثم الملك سيثوس (ربما الحاكم النوبى شباتاكا) (٤) وحكاية هزيمة الملك الأشورى سنحريب على يد جيوش من الفيران التى قرضت أوتار نباله وهو نائم ولذا لم يتمكن من غزو مصر (٥) .

وهنا يترك هيرودوت الاعتماد على المصادر المصرية المباشرة من كهنة هليوبوليس ويعود الى الاعتماد على المصادر الاغريقية ربما على كتابات المؤرخ الاغريقى هيكاتايوس الذى يكاد يعاصر تلك الفترة وهى حكم الملك بسمايتك الأول (حوالي منتصف القرن السابع ق م) ذلك الفرعون الذى أقام حكمه على الجنود من الاغريق المرتقة بأسلحتهم المصنوعة من البرونز ، وهكذا يبرز تاريخ مصر من الغموض الأسطورى عندما أنشأ الاغريق مستوطنهم نقراطيس وأصبح يراقبون المصريين عن قرب بل وارتبط تاريخ مصر بتاريخ بلاد اليونان وانتهت فترة العزلة بين الشعبين منذ غزو الدوريين لبلاد اليونان وغزو الأشوريين لمصر . وبعد مائة عام يحكم الملك أماسيس (أحموس الثانى) صديق الاغريق وحليف بوليكراتيس (Polykrates) طاغية ساموس . ويذكر هيرودوت بدهشة كيف أن هذا الملك أدهش النبلاء وعليه القوم باغراق نفسه فى المجون والمرح بعد الانتهاء من العمل اليومي الشاق « لأن أصحاب الأقواس بشدونها عندما

(١) أنظر صقر خفاجه وأحمد بدوى ص ٢٢٨ ملحوظة (١) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٠ ملحوظة (١) .

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٩ ملحوظة (١) .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٠ ملحوظة (١) .

(٥) هيرودوت فقرة ١٤١ .

يحتاجون الى استعمالها وبعد استعمالها يرخونها ، لأنها اذا بقيت على الدوام مشدودة انقطعت ولا يمكن لهم أن يستخدمونها عند الحاجة وذلك أيضا طبيعة الإنسان أيضا اذا ابتغى الجهد دائما ولم يسمح لنفسه باللهو ساعة فانه - من غير أن يدرك - يصير مختلا أو معتوها (١) .

ثم ينتقل هيرودوت للحديث عن فن البناء والمعمار ويصف بعض المباني الهامة مثل قصر اللايراث (وهو معبد امشحات الثالث ١٨٤٣ - ١٧٩٧ ق م الجنائزى الذى أقامه قرب هواره عند مدخل الفيوم) ويصف أروقته وحجراته البالغ عددها ثلاثة آلاف حجرة ، ثم يتحدث عن القناة التى حفرها الملك نيخو والتى كانت تربط النيل بالبحر الأحمر والتى أكملها الملك دارا الفارسى ، ويتحدث عن شروع الفرعون نيخو للدوران حول القارة الافريقية وكيف أنه بالفعل دار حول طريق رأس الرجاء الصالح ودخل البحر الأبيض عن طريق مضيق جبل طارق لترسو السفن عند الشاطئ بعد ثلاث سنوات من الإبحار المتواصل (٢) .

وقرب نهاية حكم أماسيس الذى بلغ أربع وأربعين عاما كان قسيز بن قورش يستعد لاحتلال مصر ضمن خطته للسيطرة على العالم ولكن هيرودوت يفتش لنا عن سبب شخصى لهذه الحملة وهو أنه أرسل الى فرعون مصر يطلب طبيبا كبيرا متخصصا فى علاج العيون ويرغم هذا الملك طبيبا كبيرا على ترك زوجته وأولاده ليسافر الى بلاط قميز وهناك ينتقم الطبيب بأن يسأ رأس الملك الفارسى بأن علاج عينه يكمن فى زواجه من ابنة فرعون مصر (٣) . وكان الطبيب يعلم أن هذا الزواج لن يرضى الأسرة الفارسية ، كما أن فرعون مصر سيرفض أن تذهب ابنته كمنيفة فى بلاط قميز . ويتحائل فرعون مصر بإرسال جارية جميلة على أنها ابنته ولما اكتشف قميز ذلك يقرر غزو مصر انتقاما للخديعة وعقابا لذلك الفرعون .

(١) هيرودوت فقرة ١٧٣ ، المرجع السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) هيرودوت ١٥٨ .

(٣) وهنا يبدأ الكتاب الثالث الذى سماه هيرودوت باسم ثاليا Thalia ولكن الموضوع يستمر ولهذا نهمل الحدود القديمة للكتاب الثانى ونعبر الى الكتاب الثالث من أجل الفكرة الواضحة ، الكتاب الثالث فقرة ١ .

كل هذه القصص والحكايات الطريفة ليست سوى تبرير لفكرة تاريخية ونفسية في عقل هيرودوت وهي أن هناك قوى مجهولة تسير بإلحسان إلى قدره وتحركه نحو مصيره وهو لا يعرف . ثم يتحدث عن هرب أحد كبار الضباط الاغريق المرتزقة العاملين في الجيش المصرى وكشف أسرار الجيش المصرى للفرس وعن أحسن طريقة لاحتلال مصر . ثم يموت أماسيس ويتولى ابنه وتدور المعركة قرب ييلوزيوم (الفرما ٢٧ كيلومتر شمال شرق بور سعيد في صحراء سيناء) ويهزم المصريون وتسقط مصر في حوزة الفرس . ومن العجيب أن هيرودوت يروى أنه زار ميدان المعركة وذلك بعد مرور حوالى مائة عام وشاهد جماجم القتلى مبشرة في صحراء سيناء وادعى هيرودوت أنه تمكن من تمييز جماجم المصريين من جماجم الفرس ، لأن الأخيرة عثة تكسر بسهولة بينما جماجم المصريين صلبة لأنهم تمردوا على حلق شعرهم منذ الطفولة وبالتالي فقد جعلت الشمس جماجمهم صلبة (١) لا تكسر .

نلاحظ أن هيرودوت حرص على أن يصف غزو قمبيز لمصر بأنه اجرامى ملئ بالأفعال الدنيئة التى تقشعر لها الأبدان مما يجعلنا نشك في أن يكون هيرودوت قد رجع الى الكهنة المصريين في هذا الموضوع لأنه من المعروف أن الكهنة المصريين كرهوا قمبيز لاحتقاره ديانتهم . وربما بالغ هيرودوت في بشاعة الجرائم التى ارتكبها قمبيز ليمهد لنظرية الانتقام الربانى من الفرس عندما هزموا على يد الاغريق مرة عندما كن يقود الفرس دارا. ومرة عندما كان يقودهم كسيركيس . وهذا يتفق وفكر هيرودوت التاريخى . ومن الواضح أيضا أن هيرودوت اعتمد على مصادر مصرية معادية للفرس ومتحيزة خاصة عند معالجته لحملة قمبيز ضد بلاد النوبة وفشل الحملة بسبب سوء التخطيط حتى أن الجنود الفرس أكل بعضهم البعض من الجوع .

ويتحدث هيرودوت عن الأثيوبيين (أهل النوبة (١)) ويصف حياتهم

(٢) الكتاب الثالث فقرة ١٢ .

(١) الكتاب الثالث - فترة ١٧ - ٢٠ .

السيدة ، فهم معمرين ولهم قانات مشوقة ووجوه بهية الطلعة وسيمة ،
وهم يقيدون المسجونين بأغلال من ذهب . ويمر بعضهم ليصل الى مائة
وعشرين عاما ويشربون من ينبوع له رحيق البنفسج ويستخدمون نبالا
لا يقدر على ثنيها أحد سواهم . ثم يتحدث هيرودوت عن نكبة القرس
في واحة سيوة (واحة آمون) الواقعة على بعد ٤٠٠ ميل غربا من مدينة
القاهرة ، ويروي كيف ابتلعت العواصف وبحور الرمال ربع مليون جندي
هو تعداد الجيش الفارسي المهاجم . ويركز هيرودوت على جرائم قمبيز
وجنوده لأنه سخر (١) من عجل آيس وأنه فعل ذلك لأنه استطاب أن
يسخر من كل شيء يقده المصريون . ثم يعطى لنا درساً أخلاقيا عندما
يروي كيف أن الملك قمبيز طلب من الاغريق ماذا يأخذون مقابل أكل
موتاهم فقالوا « الذهب » ، ثم سأل قبيلة هندية كانت تنارس عادة أكل
الموتى ماذا يأخذون لو طلب منهم حرق موتاهم فكان جوابهم صراخ
مرعوب ولم يقدروا حتى على الجواب من هولاء وهو يعنى أنه لكل شعب
عقائده التي يشب عليها ، ومن ثم فمن الجنون أن نسخر من عقائد الناس
لأنها غريبة علينا .

وفي النهاية كالمأساة يروي لنا هيرودوت موت قمبيز على أثر جرح
أصابه في فخذه من أثر سقوطه من فوق صهوة جواده (٢) ، ثم يروي لنا
المؤمرة على العرش وكيف أن قمبيز يعترف وهو يلنظ أنفاسه الأخيرة
بالحقيقة ويحزن الفرس وينتهي حديث هيرودوت عن مصر كما تنتهى
الإلياذة بنظر حزين ولكنه عبره من عبر التاريخ والانتقام الربانى التي
التي لا تفعل عن الظلم ولا تترك الظالم .

(١) الكتاب الثالث ٢٧ - ٢٩ .

(٢) الكتاب الثالث ٦٤ - ٦٦ اعتقد أن الحديث عن مصر ينتهى من

ناحية الواقع التاريخي في الكتاب الثالث عند آخر الفقرة ٦٦ .

٢٤٦ : ثوكوديديس Thucydides صاحب المنهج العلمى (٤٧٠ - ٣٩٦) :
 يتجسّص ثوكوديديس فى دراسة وتاريخ الحروب اليلوبونيزية
 للكبرى بين أثينا ولسبرطة (انظر الفصل التالى) . والتى اندلعت عام
 ٤٣١ ق م وسلّطت على قعره فى الحروب وقضيتها أنه كان أحد القادة
 العسكريين الأثنين الذين اشتركوا فيها ولكنه ارتكب خطأ طرد بعدم
 من الجيش فكرس نفسه لدراستها وتحليلها وكان قد جاوز الأربعين
 وقتئذ . فأضى عشرين عاما متتلا بين مسارح المارك المختلفة ليدرستها
 وبسجلها (١) . ولم يرجع الى أثينا الا بعد سقوطها واعلان الأمن العام
 لجميع المنفيين عام ٤٠٣ لذا فهو شاهد عيان وخير ناقد (٢) . ويبدو أنه
 لم يعش طويلا بعد عودته إذ أنه مات عام ٣٩٦ ق م فى اقليم تراقيا .
 وغطى عمله عن الحروب اليلوبونيزية ثمان مؤلفات سجل آخرها الانتصار
 الخاطف للأسطول الاثينى عام ٤١١ ق م ونظرا لارتباط هذا المؤرخ القذ
 بالحروب اليلوبونيزية فسوف نعالجه بأسهاب أثناء معالجة هذه الحرب
 التى تعد من أخطر الحروب التى خاضتها بلاد اليونان .

هذه هم فترة شاملة عن الازدهار الثقافى والحضارى للجمهورية
 الاثينية فى عصر بيريكليس الذى يمثل قمة الازدهار الديموقراطى
 والديناميكية السياسية الخلاقة والتموق المادى والفكرى بفضل القيادة
 الرشيدة القائمة على ارادة الجماهير دون الانصياع لها كلية .

(١) انظر : « تأملات فى طبيعة الفكر التاريخى عند الاغريق » للدكتور
 سيد احمد على الناصرى - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية -
 الموسم الثقافى عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ من ص ٨٣ - ٩٨ .
 (٢) انظر : ابراهيم نصحي : ثوكوديديس : مبروت منشورات
 الجامعة الليبية - كلية الاداب ١٩٧٠ .

الفصل الثالث عشر الحروب البيلوبونيسية الكبرى

لا يمكن لدارسى التاريخ الانسانى عامة والحضارة الاغريقية خاصة الا أن يتوقف طويلا عند الحديث عن هذه الحرب الضروس التى شملت العالم الهللىنى كله زهاء سبع وعشرين عاما (٤٣١ - ٤٠٤) أنها تراجيدا التاريخ الاغريقى كله اذ أن أثينا دفعت كل رأس مالها السياسى عبر قرون عديدة من العرق والعمل والدم من أجل بناء امبراطورية قوية وقادرة على فرض سلطانها برا وبحرا على كل مدن هيللاس ، ومن أجل الحفاظ على هيبة المنصر الاثينى وجعله على قمة الهرم الهللىنى سياسيا وحضاريا . لقد قامت أثينا فى هذه الحرب بكل ما تملك على قوس خاسر ودفعت الثمن غالبا وعزيزا .

ان موضوع الحرب أمر معروف وحدث متوقع لأنه ثمره سياسة الاستعلاء والصلافة التى اتبعتها أثينا وهى فى قمة سلطانها . فهى لم تتورع عن التحرش بأسبرطة وحلفائها - خاصة كورثا - بغرض الارهاب والاذلال . لقد كان الصراع بين أثينا وحلفائها أو بمعنى أدق - وتواجهها - وبين أسبرطة وحلفائها (أعضاء الحلف البيلوبونيزى) أشبه بصراع الديكة (١) . وقد إنتهى الصراع كما قلت آنفا عام ٤٠٤ ق.م. بفقدان

(١) من أعظم المؤلفات من جذور الحروب البيلوبونيسية كتاب :

G.E.M. de Sainte Croix, The origins of the Peloponnesian war, London, Duck Worth 1972.

وقد قام المؤلف بمسح شامل لأوضاع بلاد اليونان قبل أن ينشطر الى موضوع الحرب ، وركز على أسبرطة ومجتمعها وحكمها ومشاكلها الاجتماعية لكى يبين مسؤوليتها فى اندلاع الحرب فليست أثينا وحدها المسؤولة ، كما تطرق المؤلف الى القرن الرابع وأحواله ، وهو فى مؤلفه يقلد ثوكوديديسى عندما يعطى العمق أهمية على حساب الحدث ذاته .

الثقة الاثنية السياسية الى الأبد حيث أصبحت هذه الدولة من الدرجة الثانية رغم أنها استمرت - باعتراف الاغريق جميعا - جامعة هيللاس الأولى للثقافة والحضارة بل جامعة العالم المسكون بأسره

ان هذه الفترة الحالكة من تاريخ بلاد اليونان تكاد أن تغلو من أى بريق سوى كتابات المؤرخ العظيم ثوكوديديس (١) الذى استطاع بتحليله للأحداث أن يرفعها الى درجة انسانية خالدة وأن يتبع أطراف الصراع الى جذوره الأصلية وأن يتعمق بتحليلاته الى أعماق النفس البشرية فيحول الوقائع اليومية الى مواد تاريخية كما استطاع بمبقرته الفذة أن يكشف النقاب عن القوى الحقيقية التى كانت تحرك الأحداث .

يمثل ثوكوديديس شخصية المواطن الذى عاش فى أثينا الامبراطورية تحت زعامة بيريكليس اذ يتضح ذلك من قوة أسلوبه وعشق فكره وصرامته الناقطة فى حكمه . كما كان رجل عدل وحركة بقدر ما كان رجل أدب وتأمل . فهو أحد « جنرالات » أثينا الكبار الذين خططوا للحرب واشتركوا فيها فعلا . فالأحداث التى يصفها رآها بعينه والظروف التى يتحدث عنها عاشها بنفسه . لقد أحس هذا المؤرخ أن تلك الحرب لن تكون كالأى حرب أخرى لأنها صراع حتى النهاية . ولذا بدأ يجمع المواد ويسجل الوقائع وقد قيل أنه طرد من الجيش ونفى من العاصمة لأسباب تتعلق بالحرب ذاتها . عندئذ كرس نفسه لدراساته الميدانية فزار المناطق التى تلاحت فيها القوات المتحاربة وتفحص مواقع العمليات العسكرية الكبرى فهو عندما يصف الحقيقة يصفها بعين عسكرى قدير ، يحس بكل حركة ويتفهم كل عملية صادرة من الجيوش المتقاتلة . وأروع ما فيه أنه استطاع أن يطابق الدراسة النظرية بالدراسة الميدانية ، ولذا فإن تاريخه أقرب الى الكمال (٢) .

وبالرغم من أن ثوكوديديس أحب أثينا جدا كما أحب أنائها المخلصين إلا أنه لم يتردد فى أن يفكر بصوت عال منتقدا سلوك الدولة الاثنية معترضا على سياستها . لقد هام ثوكوديديس جدا بالعظمة واستعرض

(1) Cf. Luschat in Pauly-Wissowa, Supplement II, (1970) Coll. 1085, Sub. Thukydides der Historiker.

(2) A. Kirchhoff, Thukydides und sein Urkundenmaterial (Berlin 1895).

المضلات تماما مثل بيريكليس فهو يتبنى فكرة « الاستعمار العارى » اذ أنه يرى من الطبيعى للدول أن تتوسع ما دامت تمتلك من عناصر القوة ما يحقق لها ذلك وأن الحرب ليست الا تعبير عن هذه القوة . كما اهتم ثوكوديديس بالمسببات التاريخية للأحداث فهو يرى أن القوى التى تصنع التاريخ مصدرها السياسيون أولا لأنهم يتصرفون بدوافع ذات نتائج ثم أعضاء المجلس الشعبى بما فيه غوغاء تحركها عواطف مشبوبة ومحسوبة فحينما نتصرف بجنون وحينما بتعقل ولهذا وزنه فى القرارات التى اتخذت والتى كان تمسك بمصائر الأمور من قريب أو بعيد . ويكاد تاريخه ينطق أن الدولة الفاضلة هى تلك التى يسودها نظام حكم معتدل مثل النظام الاثينى وخاصة لو كان على رأس الحكومة قائد حكيم وكفء وعظيم مثل بيريكليس ولكنه يعترف فى النهاية أن القوة وحدها لا تضمن النصر لأن للحظ أو القدر (أو ما يمكن تسميته بعناية الله) دور فى الحروب والاقتضارات .

ما من قارئ للآداب الاغريقية يستطيع أن ينكر أن مؤلفات ثوكوديديس عن الحروب البيلوبونيسية قطعة عزيزة من روائع الأدب الراقى القديم ، غراء فى جيبد الزمان . لقد تأثر ثوكوديديس بروح شعراء المسرح الاثينى فنسج تاريخه بطريقة مسرحية محبوبة فهو يفسح مجالا للشخصيات لكى تجيء وتذهب بعد أن يلتقى كل منها دوره فى خطبة غراء ويتخيل المواقف التراجيدية ويحاول بقدر الامكان أن يثير فى نفس القارئ « الخوف والرتاء » وهما العنصران اللذان اشتراطهما أرسطو لاكتمال التراجيديا . كما تأثر ثوكوديديس بجدل المدرسة انوفسطائية فهو يكثر من الجدل ولا سيما المناظرات بين ذوى الآراء المختلفة ، كما تلعب الخطابة العاطفية المؤثرة دورها فى تاريخه اذ يسجل لنا الآراء فى شكل خطب مؤيدة ومعارضة أشبه بما يدور فى « البرلمانات » المعاصرة وليس من شك فى أن الخطب من أسلوب ثوكوديديس نفسه صاغها من أفكار شخصياته وباختصار هضم ثوكوديديس قضية الحرب ثم صاغ تاريخها بأسلوب جذاب وجبكها بطريقة مسرحية تراجيدية ثم أخرجها للناس بطريقة متمعة وشيقة .

لا يكاد المؤرخ الحديث يعرف مؤرخا آخر يفوق ثوكوديديس في الطريقة التي كتب بها فقد تتبع بصبر وأناة هدفه الذي يعرفه جيدا دون أن يستهويه موضوعات جانبية تجعله ينسى هدفه الأول . كما كان أول من استفاد من التحليل النفساني لشخصياته من أفراد وقادة حتى الجماعات السياسية بل والدول بكاملها حللها نفسيا بدقة علمية بالغة النظر . أيضا أفسح ثوكوديديس الطريق لأعداء أثينا لكي يقولوا رأيهم أمام التاريخ دون أن يتعصب ضدهم أو يشوه حقائقهم . هكذا كان ثوكوديديس ذكيا ذكاء فطريا عميقا في تحليلاته مجتهدا ذا بديهة حاضرة وعبقرية نادرة . كما كان متواضعا فلم يظهر نفسه ويؤكد « أناته » إلا عندما كتب متفاخرا بأعماله في المقدمة تحدث فيها عن نفسه قائلا « ان كتاباتي التاريخية كتبت لتبقى خالدة لأنها ليست عملا كتب بفرض نيل جائزة سرعان ما ينسى بعد الاستماع اليه .

تنقسم مؤلفات ثوكوديديس عن الحرب الى خمس أجزاء (١) :

(١) المقدمة (وهي تغطي الكتاب الأول) .

(ب) أحداث العشر سنوات الأولى من الحرب (الكتاب الثاني) .

(ج) محاولات نيكياس لعقد السلام (الكتاب الخامس) .

(د) حملة أثينا ضد صقلية (الكتاب السادس والسابع) .

(هـ) شذرات عن هجوم اسبرطة بعد هرب الكياديس اليها واحتلالها لمنطقة دكليا في شمال أثينا .

هذا من ناحية الشكل ، أما من ناحية الفعل فاز تفاصيل الحرب سجلها في الجزء الأول (١) والرابع (د) .

(1) R.Warner (translators Thucydides History of the Peloponnesian War with introduction and notes by M.E. Finley, Penguin books, Harmonds Worth 1972 ; A.=. Gomme, A. Andrews and J.K., Dover," A. Historical Commentary on Thucydides, Vol. IV Book Oxford 1970.

اسباب اندلاع الحروب البيلوبونيسية :

لم يقبل ثوكوديديس الأسباب المباشرة بل تحدث بأسباب عن الأسباب العميقة التي أدت الى قيام هذه الحرب الكبرى فهو يقول : « اننى أعتقد أن السبب الحقيقى والذي لم يعلن عنه هو ازدياد قوة أثينا لدرجة أن أفزع أهل اسبرطة ودفعتهم الى الدخول فى حرب معها (١) ، ثم يعرض ثوكوديديس الأسباب التى من بينها مساهمة اسبرطة المحدودة فى التاريخ وذكر أنه لا يوجد من القرائن التاريخية ما يؤيد الاتهام العام بأنها المسئولة عن اندلاع هذه الحرب الكبرى . وتحدث ثوكوديديس عن حقيقة هامة وهى أن مدينة أثينا مدينة « مجددة » و « خلاقة » اذ فتحت الأبواب على مصراعيها لكل جديد مما سبب ازعاجا لسياسى اسبرطة المحافظين وقد وضع ثوكوديديس هذه الفكرة على لسان ممثل مدينة كورثا فى اسبرطة حين يقول : أن الأثينيين مجددون سريعو الادراك والتفكير لا يمشرون جديدا بينما أنتم — أيها الاسبرطيون — محافظون تفضون كل همكم فى الاحتفاظ بما معكم » ويكمل ثوكوديديس الصورة برد مندوب أثينا الذى قال « لقد وضعت الظروف بين أيدينا امبراطورية أيدهشكم سلوكنا — الذى هو سلوك كل البشر دائما وأبدا — فى أن تقبلها وأن نرفض التفریط فيها . لقد دفعنا الى ذلك ثلاثة عوامل شديدة الازمام هى الطموح والخوف والمصلحة الذاتية ... لنا أول من تطلع الى التوسع . بها سنة الخلق دائما أن يخضع القوى الضعيف وهؤلاء وقف العدل وما فى طريق انسان يريد أن ينتزع بالقوة ما يستطيع ؟ »

ولذا يعتقد كثير من المؤرخين أن الحروب البيلوبونيسية ^{تبدأ} قبل ذلك ويطلقون على الفترة ما بين ٤٥٩ — ٤٤٦ — المرحلة الأولى من الحرب ، والمعروف أن أثينا فى تلك الفترة كانت منهكة فى تحويل حلف ديلوس بالقوة الى امبراطورية ، اذا يمكن أن نقول أن سياسة بيريكليس الاستعمارية التوسعية واجباره الدويلات الاغريقية على الخضوع لسلطانه هو السبب الأساسى لاندلاع هذه الحروب . كما كان من الصعب على

(١) Thucydides, Book I : 23.

الدويلات الاغريقية التى استمات فى الدفاع عن حريتها *eleutheria* وسيادتها *autonomia* وتكاملها الاقتصادى *autarkia* أن تخضع بسهولة ، كما أن هذه السياسة لم تعجب اسبرطة المحافظة واعتبرت هذا السلوك الاثينى تهديدا مباشرا لها ولياستها التى وضعت أسسها وحافظت عليها عبر العديد من القرون .

تدخل أثينا فى الحروب الاهلية فى جزيرة كوركيра (كورفو) :

من أهم الأسباب المباشرة التى قربت موعد الحرب وفجرت الجوى المشحون بالكراهية والشكوك بين أثينا واسبرطة هو تدخل أثينا فى خلاف قام بين مدينة كورثا - احدى كبريات أعضاء حلف البيلوبونيسوس وبين مستعمرة استيطانية هامة لها هى جزيرة كوركيرا (كورفو الحالية والمتاخمة للشاطئ الغربى لبلاد اليونان والمواجهة لاطاليا) وكان سبب الخلاف بين المدينة الأم ومستعمرتها مستعمرة جديدة فى منطقة الليريا *Illyria* فى شمال البلقان هى مستعمرة ابيدامنوس . وكانت كورثا ومستعمرتها كوركيرا قد تعاوتتا فى اقامة هذه المستوطنة الجديدة . ولكن قامت حرب اهلية اجتماعية *(stasis)* فى هذه المستوطنة أيدت أثينا أحد أطرافها ثم أيدت كورثا الطرف الآخر ولما تطور الأمر طلبت كوركيرا من أثينا التدخل وسرعان ما عقدت أثينا ائتفاقية معها وزودتها بالسفن البحرية وكان من نتيجة ذلك هزيمة كورثا المهينة البحرية فى معركة سيوتا *Syota* عام ٤٣٣ ق.م على يد كوركيرا .

كورثا ترد بالتدخل لمساعدة بوتيدايا *Potidaea* ضد أثينا :

كانت بوتيدايا فى الأصل احدى مستعمرات كورثا فى خليج بالينى *Pallene* ولكنها وقعت فى حظيرة أثينا وأجبرت على أن تكون احدى توابعها بينما كانت المدينة تتعاطف مع كورثا . وبتشجيع من الأخيرة رفضت بوتيدايا أن تعلن ولاءها وتبايع أثينا علنا تنفيذا لأوامر كورثا . ولما تأزمت الأمور ثارت ضد أثينا وطلبت الحماية من الحلف البيلوبونيزى المجاور لها . وأسرت كورثا فأرسلت ألفى متطوع لمساعدة الثوار

ولكن أثينا قطعت عليها خط الرجعة بمسارعتها محاصرة المدينة التائرة في خريف عام ٤٣٢ و اجارها على الاستسلام .

القرار التأديبي ضد ميجارا Megarian decree

حتى هذه اللحظة لم تنفعل اسبرطة بل آثرت أن تنتظر على مضض منها بالرغم من الالاحاح المتزايد من جانب حلفائها بمسارعة التدخل ويبدو أن بيريكليس . كان يعلم بأن الحرب قادمة لا محالة فأثر أن يقرب موعدها فسارع واتخذ قرارا عدوانيا ضد مدينة ميجارا احدى توابع الحلف الاسبرطى وينص هذا القرار على تحريم الموانئ التابعة للإمبراطورية الاثينية على السفن الميجارية واغلاق الأسواق في وجه التجار من هذه المدينة التي كانت حياتها تقوم أساساً على التجارة أى أن هذا القرار كان بمثابة حكم الاعدام على أهل هذه المدينة من الناحية الاقتصادية .

مجلس حلف البيلوبونيسوس يعلن الحرب على أثينا :

كان القرار التأديبي باغلاق الموانئ والأسواق في وجه السفن والتجار الميجارين هو بمثابة « القشة التي قصمت ظهر البعير » إذ أحست اسبرطة وحلفائها أن « الوعاء قد فاض بما فيه » فاجتمع مجلس الحلف في اسبرطة وألقيت الخطب النارية من ممثلى الوفود كلها تقطر حقدا وكرهية ضد أثينا وتحت اسبرطة على الحرب . وفى خريف عام ٤٣٢ ق.م اجتمع أعضاء الحلف وقرروا رسميا اعلان الحرب ضد أثينا . ولكى تكسب اسبرطة الوقت قامت بعدة مشاورات بينها وبين وفود حلفائها ثم أقرت مطالب ثلاثة على أثينا تنفيذها والا قامت الحرب والمطالب الثلاثة هي :

(أ) أن تنهى أثينا حصار مدينة بوتيدايا .

(ب) أن تعلن أثينا تحرير جزيرة أيجينا .

(ج) أن تلتفى أثينا الحظر الذى أقامته ضد ميجارا .

ولما رفضت أثينا هذه المطالب الثلاثة بشدة أرسلت اسبرطة انذارا شديد اللهجة تعرض فيه على الثورة ضد أثينا واطهارها بمظهر المعتدى . وخلاصة القرار « أن اسبرطة ترغب في السلام بشرط أن تدع أثينا المدن

الإغريقية وشأنها » . وكان هذا يعنى حل الأمبراضورية الأينية . وأرسلت أثينا ردها المشهور « ان أثينا تقبل التحكيم وهى لا ترغب فى أن تكون البادئة بالحرب ولكنها سوف تدافع عن نفسها بشدة اذا ما هوجمت » .

كان بيريكليس وقتئذ فى الستين من عمره وكان متحمسا للحرب بل تمنى لو قامت قبل ذلك بسنين قبل أن تدهمه الشيخوخة حينما كان هو وأثينا فى عنفوان شبابهما . وعلى أى حال فقد رفض بيريكليس الفيور أى محاولة لمنع نشوب الحرب على حساب تنازل أثينا ولو عن قليل من سيادتها على أجزاء امبراطوريتها ارضاء للحلف اليلوبونيزى من ناحية وحلف مدينة طيبة من ناحية أخرى (١) .

(١) لا يزال هناك جدل يدور بين العلماء حول مسئولية بيريكليس عن القرار التاديبى ضد ميجارا الذى أشعل شرارة الحرب «سانت كروا» يرى نية بيريكليس فى العدوان بينما يلقى «فلفى» اللوم كله على بيريكليس وعلى نظريته فى سياسة فرض النفوذ ولو عن طريق الضربة القاضية ، وان هذه الفكرة هى التى جعلت بيريكليس يؤمن أن الحرب مع اسبرطة حتمية ومقدرة انظر :

K.W. Welwei Das Problem des Praevent Krieges in Politischen Denken des Perikles und des Alkibiades, Gymnasium, LXXX, 1972, p. 289—305.

لجنايات فينهم سياسة بيريكليس بأنها فسيرة النظر وغير منطقية لانه لم يدرك تكاليف المعارك التى هى فوق طاقة أثينا ولم يقدر قوة اسبرطة العسكرية . لكننا نتساءل هل كان بيريكليس يقرأ الغيب ويتوقع وباء كالتاعون الذى كان سببا من اسباب الهزيمة ؟ ام ظهور قائد ذاهية فى اسبرطة مثل براسيداس ؟ ان رأى ثوكوديديس فى الهزيمة واضح وهى أن السبب ليس استراتيجية بيريكليس بل مسلك الكبياديس ومحاولته ضرب اسبرطة بأى ثمن : انظر :

D.W. Knight, "Thucydides and the War Strategy of Pericles, Mnemosyne, Series 4, XXXIII, 1970, p. 150 ff.

ورغم هذا يلقى سانت كروا مسئولية الحرب على صفور الحرب فى اسبرطة وفى كورنثا وتفشى روح الحرب فيها . اذا فالمسألة ليست مسألة أثينا وحدها .

الحرب الكبرى :

أصبح معروفا لدى الاغريقية أن الحرب على وشك من الاندلاع وبدأت المدن والجزر تعلن عن تأييدها للطرف انذى تناصره ودخلت في ذلك الخلافات الاجتماعية والأحقاد السياسية .

ولكنى تفهم حجم الحرب لابد وأن نعرف مدى قوة الأطراف المتحاربة .

اسبطة :

كان يساندها كافة مدن البيلوبونيسوس (شبه جزيرة المورة) فيما عدا أرجوس واقليم آخيا في الشمال . وعن طريق كورثا وميجارا كانت اسبطة تسيطر على خليج كورثا كما تعاطقت ظلية عاصمة اقليم بيوتيا Boeotia (في شمال شرق أتيكا) مع اسبطة وأيدتها وكذلك اقليمى لوكريس Locris وفوكيس Phocis الواقعتين في شمال شرق منطقة بؤتيا . وبذلك قطعت اسبطة الطريق على أثينا من ناحية الشرق ، وكذلك فعلت من ناحية الغرب اذ أيد اسبطة من الساحل الغربى جزيرة ليوكاس Leucas ومدينة أناكتوريوم Anactorium على خليج أمبراكيا على الساحل الغربى لبلاد اليونان .

أثينا :

اعتسدت أثينا أساسا على ولاء حلفائها كما وجدت بعضا من المؤيدين لها خارج أراضيها مثل مدينة بلاتيا Platea (جنوب طية) راقاجم أكروانيا Acarnania المثل على الساحل الغربى لبلاد اليونان (جنوب خليج أمبراكيا) وكذلك جزيرة كوركيرا وجزيرة زاكينثوس Zacynthus التى تقف في مواجهة شبه جزيرة المورة .

كانت أثينا سيدة البحار بلا منازع تكمن قوتها في أسطولها الحربى أما من ناحية القوات الأرضية فلم يكن لها من الرجال سوى ما يقوم بالدفاع وحماية القلاع وخلاصة القول أن كان لأثينا قوتان : قوة هجومية هي الأسطول والقوات البحرية وقوة دفاعية أرضية . أما اسبطة فكانت تملك من القوات البرية المدربة تدريبا عاليا ما جعل أثينا تتفادى الدخول

في معركة برية معها ولكن لم يكن لاسبطة من الأساطيل ما يجعلها قادرة على مواجهة أثينا كما كانت دولة تعتمد على المال والابتكار وهما وقودا للحرب .

كانت خطة الحلف الييلوبونيزي تتلخص في غزو أثينا برها وتخريب الحقول ونهب المدن والقري وفرض القتال على الأثينيين ، أما سياسة بيريكليس فكانت تتلخص في « الدفاع السلبي » وهي الانسحاب والتحصن داخل أسوار العاصمة وتجنب الدخول في معركة فاصلة مع قوات الحلف الييلوبونيزي حتى ولو ضحت في سبيل ذلك بإقليم أثينا كله بينما تتمسك بسيادتها على البحار ، وكان الأسطول يقوم بجلب المواد الغذائية الى جانب الدفاع عن الامبراطورية في أعالي البحار كما تجنب بيريكليس سياسة التوسع أثناء الحرب .

الشرادة الاولى طيبة تهاجم بلاتيا :

كانت بلاتيا مدينة ذات وضع شاذ فهي تؤيد أثينا بينما هي تقع في منطقة معادية لها وقد ساء مدينة طيبة التي تقع في شمال هذه المدينة أن تتركها دون عقاب فدبرت مع بعض الخوثة الموالين لها مؤامرة للاستيلاء على المدينة ليلا ويروى لنا ثوكوديديس كيف أن أهل المدينة هبوا عن بكرة أبيهم للدفاع عن استقلالهم وطردوا المهاجمين واستعدوا لمواجهة حصار يضرب عليهم وكان ذلك في مارس عام ٤٣٩ بينما بدأ القتال الفعلي بين أثينا وأسبطة في شهر مايو من العام نفسه .

وفي مواجهة هذه التحديات طلب بيريكليس من سكان المناطق الاثينية أن يهجروا ديارهم ويتركوا حقولهم وينسحبوا بأمعتهم الى داخل أسوار المدينة . ويبدو أن بيريكليس توقع أن القوات المهاجمة لن تصبر على البقاء طويلا فقد كان على علم بأن معظم جنود اسبطة من صغار المزارعين الذين سوف يشعرون آجلا أو عاجلا بحنين للعودة وممارسة حياة الزراعة ولم يكن هناك ما يدعو الأثينيين للقلق فقد كانوا محصنين داخل أسوار مدينتهم يقومون بحراسة الحوايط التي كانت تربط بين العاصمة وميناء بيرايوس كما قام الأسطول الأثيني بإمداد

السكان بكافة ما يحتاجونه من المواد الاستهلاكية والغذائية . وبين الفينة والفينة كانت قوات الأسطول الأثيني تقوم بهجمات على شواطئ اليلوبونيسوس وتوقع بها أقصى ما يمكن من الخسائر المادية . وخلاصة القول كانت سياسة بيريكليس في مواجهة أعدائه هي الصمود والاستنزاف السلبى والديجايى . فمثلا طرد أهل أيجينا من جزيرتهم وهاجم الأسطول الأثيني ميجارا وشاطئ اليلوبونيسوس .

قوات اليلوبونيسوس تفز أتيكا :

وصلت قوات اليلوبونيسوس الى أتيكا فى ربيع عام ٤٣١ تحت زعامة إرخيدامرس ملك اسبرطة وراحت تقتلع أشجار الكروم وتخرّب الحقول . تحرق القرى ينسا تذرّع الأثينيون بالصبر كابعين بقوة عواطفهم الوطنية . وقد صور لنا ثوكوديدبس هذا الموقف بدقة ، فوصف جماهير الأثينيين وهم تتحرك الى الاندفاع عبر الحواط وملاقاة الأعداء ووصف كيف كانوا يقتنون فى مجموعات فى شوارع المدينة المحاصرة يثرثرون ويتجادلون فى أمر سياسة بيريكليس وينتقدونه علنا متهمين إياه بالتخاذل أمام العدو .

هكذا مضى العام الأول من الحرب كئيبا فقد أثرت الحرب خسائر مادية ومعنوية فادحة اذ تدهورت الروابط الاجتماعية وهككت الأسرة . وبصور لنا الشاعر الكوميدي أرسطوفانيس ما خلفته الحرب من مشاكل اجتماعية ، إذ تركت الأسرة حطاما وانتشر الانحلال الخلقي نتيجة للنقص فى عدد الرجال فقد التهمت الحرب عددا كبيرا منهم وأصبحت أسرهم دون عائل يحميها ويرعاها ومن ثم فقد تزايد عدد النساء وتناقص عدد الشباب مما تسبب عنه هذا التدهور الأخلاقي الذى كان شبيها بذلك الذى مرضت له روما أثناء حربها مع هانيبال .

بيريكليس يكرم الشهداء :

بالرغم من حالة التذمر والاحساس بالضيق التى سادت الأثينيين وبالرغم من هجومهم الشديد على سياسة بيريكليس الباردة ، الا أن هذا التائب الحكيم استطاع أن يمتص غضب الجماهير ويستوعب تقدمهم ويبث فيهم الأمل بالنصر وكانت أخبار الأسطول الأثيني ترفع من روح

الأتينيين المعنوية بين الحين والحين • ولا شك أن دعاية بيريكليس كانت تلعب دورا في المبالغة في حجم الانتصارات •

وقد اتهم بيريكليس فرصة لشرح سياسته وبيان وجهة نظره ، فأعلن تكريم الشهداء الذين سقطوا في معارك الصيف وقامت الدولة بأعداد جنازة شعبية ورسمية لتشييع القتلى الى مثواهم الأخير في مقبرة كيراميكوس Caramikos • أما هؤلاء الشهداء الذين لم يعثر على جثثهم فقد رمز لهم بسرير خال • وأقيمت المراسيم الجنائزية وسط بكاء الشعب ونحيبه •

وأمام مقبرة الشهداء الجميلة في كيراميكوس وقف كسانثوس ابن بيريكليس على ربوة عالية ليؤنن الشهداء ويقرأ خطبة أيه • لقد سجل ثوكوديديس (١) على لسان هذا السياسي العظيم قطعة غراء من البلاغة الاغريقية ووثيقة لها دلالتها ومفهومها في التاريخ والحضارة •

لقد جاءت هذه الخطبة بمثابة دفاع عن بيريكليس نفسه وعن سياسته وصورة جياشة للعواطف الوطنية والشوفانية المطلقة بحب أئينا والاصرار على حمايتها والدفاع عنها لآخر قطرة دم • كما تعتبر خطبة التأين هذه (Funerary Oration) صورة مجسمة لآراء هذا السياسي العظيم في لحظة صفاء ذهني كامل وان شئت قل — النظام الأثيني الديمقراطي يتحدث عن نفسه « لأن الأتينييين كانوا يدافعون عن نظامهم السياسي بقدر ما كانوا يدافعون عن ترابهم • فهي تبين مزايا حكم « الشعب للشعب » وأن حرية الكلمة وعلنية النقاش جديران بالدفاع عنهما حتى في أحلك ساعات الحرب فمثلا بينما كانت الصدور تعجش بكراهية اسبرطة وبينما كانت هستيريا الحرب تسيطر على الأتينييين جميعا شعبا وحكومة نجد أرسطوفانيس يتبنى « قضية السلام » ويسخر من السياسيين الأتينييين ويرميهم واحدا تلو الآخر بالنكات الساخرة • هذا مثال واضح لاحترام حرية الرأي حتى في الأوقات العصيبة • ان القارئ لنص الخطبة — كما جاء في تاريخ ثوكوديديس عن الحرب — ليدرك مدى ايمان بيريكليس

واقناعه بأن الحق سوف ينتصر على الباطل وبأن الخير سوف يذهب الشر وأن أئينا سوف تعود رغم كل المعوقات ، واكتمالا لهذا الموضوع نعرض فقرات مترجمة من نص هذه الخطبة .

يقول بيريكليس في هذه الخطبة « أن دستورنا يعرف بالديموقراطية لأن الإدارة فيه لا تقع في أيدي الأقلية ، وبالرغم من أن القوانين تنهين المساواة بين كل المواطنين إزاء مشاكلهم الخاصة ، إلا أننا أيضاً نعترف بحق النبوغ أيضاً ، فإذا ما أظهر المواطن نبوغاً في أى شكل كان فإنه يلقى تفضيلاً في الوظائف العامة ليس كنوع من التمييز بل كمكافأة له على النبوغ ... ليس الفقراء عائقاً لأن المواطن يستطيع أن يفيد وطنه مهما شغل المنصب شخصه . أننا في حياتنا العامة لا تقتصر على فئة معينة كما أننا في علاقاتنا الخاصة نأبى أن نشك في بعضنا البعض ولا نفضب من جار لنا إذا فعل ما يريد ، ولا نلقاه حتى بنظرة جاثقة لأنها - وإن كانت عديمة الأذى - غير مستحبة » نحن أحرار في تصرفاتنا الشخصية إلا أن احساساً بالاجلال يسود تصرفاتنا العامة ، فنحن نأف ارتكاب الخطأ من أجل احترام النظام ومن أجل احترام القوانين خاصة تلك التي وضعت من أجل حماية الضعيف وقوانين العرف (الغير مكتوبة) التي تجلب على المعتدى عليها استنكار الشعوب العام .

« رغم كل هذا لم نسي أن نعطي قوسنا المزهقة قسطاً من الراحة والترريح من شق العمل ، فعلى مر العام نحتفل بألعاب دورية وقدم الأضاحي وقد هذبنا طريقة حياتنا الأسرية ، أن السرور الذي نحسن به كل يوم مبعثه هذه الأشياء وهو الذي يساعدنا في التغلب على حالة الكتابة ، ولأن مدينتنا عظيمة فإن خيارات العالم كله تتدفق علينا لدرجة أننا نستمتع بخيرات البلاد الأخرى كما لو كانت خيرات بلادنا » .

« أننا نعشق الجمال ولكن تذوق البسيط (منه) ونهذب العقل دون أن نهقد الرجولة ونستثمر الرخاء لا جبا في الكلام والتفاخر بل لأن الحاجة تقتضى استثماره ليس من العيب أن نعترف بال فقر ولكن العيب - كل العيب - ألا تفعل شيئاً من أجل تقاديه . أن الأثيني لا يعمل

شئون الدولة من أجل اهتمامه بأمور أسرته ، وحتى هؤلاء الذين يعملون بالتجارة بيننا على ينة بقدر وافر من السياسة . اننا دون غيرنا - نعتبر الرجل الذي لا يساهم في المصلحة العامة - لا عديم الأذى فحسب ، بل عديم الفائدة . حقيقة - قليل منا خلاقون ولكننا جميعنا قضاة حكماء لأمورنا السياسية . وفي رأينا أن المصائب الأكبر للعمل ليس هو الجدل . بل النقص في المعرفة المكتسبة عن طريق الجدل ذلك الشرط الأساسي قبل التنفيذ اذ لدينا طاقة خارقة في التفكير قبل التنفيذ وكذلك عند التنفيذ بيننا نجد الشعوب الأخرى بالرغم من شجاعتها النابعة من جهلها - تردد في التفكير في أنهم شجعان - ولا شك في ذلك لأنهم بالرغم من ادراكهم لآلام الحياة وملذاتها لا يتربصون من المخاطر كذلك نختلف عن الآخرين في فعل الخير اذ نكون أصدقاءنا عن طريق تبادل الرأي وليس عن طريق المجاملة وخلاصة القول فأننى أؤكد أن أئينا هي جامعة هيللاس وأن الفرد الأئيني يستطيع بغريزته الفردية أن يتحكم في تكييف نفسه تحت وطأة ظروف العمل المتغيرة بقدرة عالية ومرونة وكياسة » .

« لقد أدت الواجب المطلوب مطيما للقانون مستفيداً من علاقتنا المترابطة كما فعلت . ان ضريبة العمل لم تدفع كاملة بعد ، فقد وورى التراب شهداء لنا مكرمون منا وبقي علينا الآن أن ننفق على أولادهم من الخزانة العامة حتى يلبثوا رشدهم . هذه هي الهدية القلمية التي تزين أئينا بها أبناءها سواء الأحياء منهم أو الذين سقطوا في معارك خاضوها (وكأنها معاركهم الشخصية) - وكأنها تزين صدورهم بأكاليل الغار . وبالرغم من أن الشجاعة هي خير جزاء الا أن أببل المواطنين هم الذين يعملون في سلك وظائف الدولة . والآن فلتصرفوا بعد أن يندب كل منكم موتاه بالقدر الواجب » .

وباء الطاعون يجتاح أئينا :

وفي مطلع العام الثانى من الحرب غزت قوات اليلوبونيسوس أراضى أئينا وردت أئينا بهجوم بحرى يائس على شواطئ اليلوبونيسوس تماما مثلما حدث في العام الأول . ولكن لم يكد يشتهى العام الثانى حتى دهم

أثينا وباء الطاعون الذي جاء إليها من الشرق عن طريق القادمين إلى ميناء بيرايوس وقد وصف ثوكوديديس وصف خبير مقتدر أعراض المرض لدرجة أن القارئ يكاد أن يحس به ويتخيله . ويصف كيف أن المرضى كانوا يلقون بأنفسهم في الآبار ومستودعات المياه من شدة حرارة أجسامهم وبسبب تدفق الناس من الريف وتكدسهم في الأكواخ مما ساعد على انتشار هذا الوباء لدرجة أن الأحياء لم يعد يهتمون بدفن الأموات بل كان كل منهم هو التخلص من جثثهم بأي وسيلة ممكنة . ويصف لنا انهيار الروح المعنوية للآثينيين وانتشار اللامبالاة والاستهتار بالآلهة والقوانين لأن الناس - على حد تعبير ثوكوديديس رأوا بأعينهم الموت وهو يلحق بالورعين والملحدون دون تمييز . كذلك تحدث ثوكوديديس عن انتشار الجرائم « إذ لم يكن هناك من يخاف العقاب نتيجة التعدي على القانون لأن أحدا لم يكن يضمن ليعيش حتى يتم استدعاؤه التحقيق » كذلك تحدث ثوكوديديس عن انتشار البوهية والاتجاه نحو الانبساط في الملذات « لأن كل فرد كان يدرك أن حكما بالمت قد صدر عليه وهذا الحكم معلق فوق رأسه . فلماذا لا ينغمس قليلا في المتعة قبل أن ينفذ الحكم » .

بيريكليس يسقط ضحية لهذا الوباء :

لقد بلغ من شدة هذا الوباء أن أتى على ما يقرب من ثلث سكان أثينا ، وفي خريف عام ٤٣٩ ق م سقط بيريكليس ضحية للطاعون (١)

(١) يروي أحد الأطباء المتخصصين في تاريخ الأوبئة أنه من المحتمل أن يكون بيريكليس قد مات بسبب وباء الملاريا وليس الطاعون . فقد كانت الملاريا من الأمراض المستوطنة في بلاد اليونان وصقلية في العصور القديمة وقد وصف هوميروس حمى الملاريا Pyretos في الألياذة (Book, XXII, 3) . كذلك أشار أرسطوفانيس إلى الملاريا في روايته الزنابير وأهل أكارنانيا والثلاثون قدما عام ٤٢٥ . ويرى أنه طبقا لوصف أعراض المرض الذي أودى بحياة بيريكليس والذي وصفه بلوتارخوس [Perikles, 38] وما أشار إليه ديودوروس الصقلي [IV, 82] فإن اللفظ والوصف يرجع الاحتمال بأن سبب وفاته كانت الملاريا . ولكن المؤرخ ثوكوديديس وهو مؤرخ علمي =

ذاته فقدت أننا أشجع أنبائها وأعظم سياسيا إذ كان بيريكليس الرجل الوحيد الذي استطاع أن يجمع شمل الأمة وأن يفرض شخصيته القوية على أصدقائه وأعدائه على السواء . واهترت « وحدة الأمة وبدا المستقبل مظلماً . وخلا المسرح السياسي لشراذم الاتهازين وللديماجوجين من أنصار الحرب من أمثال كليون (١) الذي عرف باسم « ذباخ الخيلود » ولما يشس كليون من كسب تأييد النبلاء ومساندة الطبقة المتوسطة لجأ إلى السياسة الرخيصة والسوقية من أجل استمالة الفوغاء وتجنيدهم خلفه . وكان هذا بداية صراع اجتماعي رهيب شيه بذلك الذي خبرته روما لمضى قرن من الزمان بين العامة والاشراف . ولقد كان هذا الصراع على حساب وحدة الأمة الأثينية التي تفككت بموت « القائد » وعلى حساب « النصر » الذي كان يتخيه .

تموثوق به لم يستخدم في وصف أعراض هذا الوباء كلمة الحبي Pyretos بل استخدم لفظاً آخر هو Kauma أي « الفيوبة » . ومن ثم فهناك احتمال وجود وباء الطاعون فعلا إلى جانب احتمال أن يكون لفظ Kauma لفظ مرادف للكلمة Pyretos ومهما يكن من أمر فإن بلاد اليونان تعرضت للكوارث البشرية بسبب اللاريا ومن أجلها أدخلت عبادة رب الشفاء إسكليبيوس المرادف لامعتب المصري وجعلوا له عيدا خاصا هو (Asklepeion) في شهر أبريل من كل عام موسم الحمى والوباء ، وعيدا آخر اسمه (Epidauria) في شهر سبتمبر موسم تكاثر البعوض بسبب هطول الأمطار وتكوين المستنقعات ويذكر باوسانياس أن وباء اللاريا هو الذي أحدث الكوارث بالاقتصاد الأفريقي ودمر نفسياتهم وجعلهم يترددون في الغيبات والسحر والشموعة وأصبح دور الزوجة الأول هو أن تكون « ممرضة » كما يقول ميناندر في إحدى كوميدياته انظر :

W.H. Jones, Malaria and Greek History, University of Manchester, Historic Series no. VIII London 1919, p. 36 ff.

(١) وقد وصفه كاهرشتدت Kahrstedt بأنه سبب الحرب " (Partly. Wissowa, XI, 1921, 714 Sab II).

Clemenceau وقارنه بالسياسي الفرنسي كليمنصو ومن حياة هذه الشخصية وتقييمها انظر :

Raymond Renaud, Le Demagogue Cleon, Etudes Classiques, Tome XLI, no. 2, April 1973, pp. 181-196.

لقد قدم لنا ثوكوديديس صورة حية للمجتمع الأثيني وقد أزهقت مصائب الحرب وخسائرها المادية والمعنوية . لقد قل الدخل وزادت النفقات واختل نظام المدفوعات . وبالرغم من هذا فقد كان هناك من شجعوا استمرار الحرب وحاربوا أى فكرة للسلام - من أجل الرغبة في تحقيق الربح والحفاظ على المكاسب . أولئك كانوا التجار والحرفيين لأنهم كانوا من أكثر طبقات المجتمع الأثيني استفادة من الحرب لأنهم كانوا يسكرون في أذيال الجيوش لكي يسوقوا بضائعهم حتى الطبقة المعدمة فقد وجدت عملاً في خدمة الأسطول وكانت مثل طبقة التجار تؤيد استمرار الحرب وتبني فكرة التوسع . أما « السلام » فلم يعد يتحدث عنه سوى المثقفون المدركون لماسى الحرب وكذلك أصحاب الاقطاعات الزراعية والعاملون بالزراعة اذ هجرت المزارع نتيجة لنقص الأيدي العاملة وقل المحصول واعتمدت أثينا على ما يجلبه الأسطول من الغلال .

وبالرغم من هذا فقد نجح الأسطول الأثيني بقيادة الجنرال الماهر فورميون Phormion في حصار مدينة بوتيدايا Potidaea على خليج كورثا واجبارها على الاستسلام في نفس الوقت قامت قوات الحلف البيلوبونيزي بمحاصرة مدينة بلاتايا .

تمرد مدينة موتيليني ورعونة كليون في معالجة الموقف :

وفي العام الثالث من الحرب جاءت الأنباء الى أثينا تحمل خبر تمرد موتيليني Mytilene عاصمة جزيرة لسبوس Lesbos قرب ساحل آسيا الصغرى وانتشار هذا التمرد الى معظم أجزاء الجزيرة . وخشى الأثينيون من نجاح الثوار لأنه يهدد كافة أجزاء الامبراطورية الأخرى وخاصة في بحر ايجه . وفي الحال حاصر الأسطول الأثيني المدينة براً وبحراً الى أن استسلمت عام ٤٢٧ ق.م ، وهنا بدى التهور فقد (١)

(١) عن مسؤولية كليون من هذه المأساة انظر : المقال السابق ص ١٨٢

كذلك انظر :

D. Gills, " The Revolt of Mytilene, A.J. Ph. XCII, 1971, P. 38—47 ; also J.J. Quinn, " Political groups in Lesbos during the Peloponnesian war, Historia, XX, (1971) p. 403—417.

دعى كليون الى قتل جميع ابناء المدينة القادرين على حمل السلاح وبيع النساء والأطفال في أسواق العيد وحتى عندما اجتمعت الأكلisia لتخضع من هذا الحكم القاسى خطب فيهم كليون قائلاً « أقتى ما زلت عند رأيى فى أن تلتزموا بالقرار السابق فى هذا الشأن وألا تدعوا الشفقة أو الكلمات المسولة والاحساس العام بالغفوى يضللكم » وجاء القرار بالموافقة على اعدام زعماء التمرد وهدم التحصينات ومصادرة سفن المدينة المتمردة . وبأيت القرار يقف عند هذا الحد بل ذهب الى مصادرة كافة الأراضى فى الجزيرة وتقسيمها الى ثلاثماية جزء وتوزيعها على مستوطنين جاؤا بهم من أثينا بعد تخصيص عشر هذه الأراضى للمعابد الأثينية وكان هذا يشل فقدان السياسة والكياسة فى وقت كانت فيه أثينا فى أشد الحاجة اليهما .

وقد ردت قوات أثينية على هذا العمل بتضييق الحصار على مدينة بلاتايا حتى سقطت فى صيف عام ٤٢٧ ق.م. نفسه بمد حصار دام أربع سنوات . ومهما كان الأمر فقد كان العام عام انتصار للأسطول الأثينى التى استطاع بفضل خبرة جنرالاته المحنكين من أن يحقق عدة انتصارات صغرى فى إيتوليا (على الجانب الشمالى من خليج كورنثا) ثم تمكن فى النهاية تحت قيادة الجنرال ديموستينيس Demosthenes من تحقيق انتصار حاسم على سكان خليج أمبراكيا Ambracia وتوكيد السيادة الأثينية عليهم وكان ذلك فى عام ٤٢٦ ق.م .

القوات الأثينية تغرب أسبرطة فى عقر دارها :

بلغت القيادة العسكرية الأثينية روعتها عندما أبحر الأسطول الأثينى حول شبه جزيرة اليلوبونيسوس ثم انقض على مسينيا فى الجنوب الغربى منها واحتل مدينة بيلوس Pylos عام ٤٢٥ ق.م وحاولت أسبرطة عبثا طرد الإثينيين من هذه المنطقة الحساسة ولكن الجيش الأثينى بقيادة ديموستينيس وكليون نفسه ردوها على أعقابها خامرة بل وأمر مائتين وتسعين جنديا أسبرطيا كانوا قد تحصنوا فى جزيرة سفاكتيرا Sphacteria لمواجهة لمدينة بيلوس ذات الماضى التليد أيام مجد الحضارة الموكينية

والتي تحتل مكاناً استراتيجياً هاماً فهي تقع في الطرف الشمالي من خليج نافارين Navarino الضيق وتكاد تلتحم بجزيرة سفاكتيرا الصخرية ولقد أظهرت حروب محمد علي الكبير في المورة وعمليات الحرب العالمية الثانية أهمية هذه المنطقة عسكرياً .

لقد كان احتلال القوات الأثينية لهذه المنطقة انتصاراً وهزيمة محققة للأسبرطيين ولذا دعى الأسبرطيون الى عقد السلام وكانت خسارة كبيرة لأثينا أن ترفض هذه الدعوة لأنها كانت ستجني على مائدة المفاوضات كل ما تطلبه وهي في أروع ساعاتها .

أسبرطة تبعث بالجنرال براسيداس Brasidas في حملة ضد المصالح الأثينية في تراقيا :

وفي مطلع عام ٤٢٤ ق . م كان الأسطول الأثيني يضرب بعنف في المنطقة المحصورة بين شواطئ أتيكا وشواطئ البيلوبونيسوس الشمالية الشرقية محتلاً جزيرة كوثيرا Cythera ونيسايا Nisaea الميناء الشهير لمدينة ميجارا ، وكان قصد الأسطول الأثيني احتلال هذه المدينة والتي بالفعل كادت تسقط في يد أثينا لولا مقاومة السكان .

ورداً على الأعمال العسكرية الأثينية في عمق الأراضي الأسبرطية أرسل الأسبرطيون في العام نفسه ملكاً شهيراً اسمه براسيداس (١)

(١) من الطريف أن نقارن بين شخصية كل من كليون الدباغ الزعيم الأثيني وبين الجنرال الأسبرطي براسيداس ذلك القائد الذي ظهر ليغير وجه المارك في صالح أسبرطة وحلفائها بعد هزيمة سفاكتيرا المريرة وكسب تهليل وأعجاب أسبرطة وحلفائها خاصة في كورنثا إذ وصف براسيداس بأنه أوديب الجديد الذي جاء لينقذ بلاده من الجوع والوباء . وقد نشر جون بوردمان (J. Boardman) حديثاً وعاء مرسوماً عليه كليون في صورة أبو البول في شكل كلب يعارس مع نفسه عملاً جنسياً خليعاً J.H.S. XC, 194-5. وقد نشر أ . ل . س راون هذا الرسم بأنه يعني كليون كنقيض في الفكرة والدور للقائد براسيداس أوديب أسبرطة خاصة أن هذا الوعاء يجرى من كورنثا وربما اكتسب كليون وصف « الكلب » الذي وصفته به الكوميديا السياسية الأثينية في ذلك الوقت من جسارته وجرائه الوثقة تماماً مثلاً اكتسب الفيلسوف دوجينيس الكلب هذه الصفة وتوارثها من بعده اتباعه الكليون . Dudley, History of Cynicism, London, 1937, p. 29. وفي نفس الوقت الذي اكتسب فيه براسيداس شعبيته بدأ المثقفون الأثينيون يبدون تقدمهم لسياسة كليون الفوغالية التوسعية =

على رأس حملة مكونة من الهيلوت لتدمير المصالح الأثينية في منطقة تراقيا والتي منها كانت المواد التموينية تגיע من منطقة البحر الأسود الشهير بغلالها الوفيرة . وقد تمكن براسيداس من فك الحصار عن مدينة ميجارا وتحريرها وسار شمالا حيث استولى على عديد من المدن الهامة مثل مدينة أكاثوس Acanthus وحاصر أمفيبوليس Amphipolis وأرسلت أثينا نجدة لاتقاذ هذه المدينة بقيادة المؤرخ ثوكوديديس نفسه ولكنها وصلت بعد سقوطها وكذلك سقطت مدينة توروني Torone .

حملة أثينا الفاشلة ضد طيبة واقليم بيوتيا :

كما تلاحت الضربات في نفس الوقت بالقوات الأثينية في اقليم بيوتيا عندما خطط الجنرالان ديموستثيس وهيبوكراتيس Hippocrates للقيام بحملة لغزو هذا الاقليم انتهت بهزيمة القائد الأخير هزيمة ساحقة في معركة ديليوم Delium .

= وتهكموا على كليون قوصفه ارسطو فانيس بانمدباغ جلود الكلاب : [Ecc. 420
Av. 490] Skyloides. كما كتب سوفوكليس مسرحية « أوديب ملكا » في العام التالي لوفاة بيريكليس اظهر فيها اوديب كبطل مناضل ومنقذ وهذا يعكس اعتراض المثقفين على سياسة كليون وتعاطفهم حتى مع براسيداس وكما نقول مدام دي رونبلي بالحرف الواحد « لقد كان براسيداس وحدة هو الذي ظهر على مسرح الاحداث كصاحب سياسة منهجية وهي « التحرير » كرد على سياسة أثينا التوسعية الامبريالية ولكي يجعل براسيداس سياسته هذه ذات مفعول استخدم كل وسائله لاقتناع حلفاء أثينا بهجرها حتى تتقوض امبراطوريتها ... » ومن الواضح ان ثوكوديديس اجل وقدر براسيداس في مؤلفه :

J. de Romilly : Thucydides and the Athenian Imperialism translated by p. Thody (Oxford 1963) p. 43.

وفي رايونا رسم كليون في صورة ذكر أبو الهول في شكل الكلب يعارس العادة السرية سخرية مريرة من جانب اهل كورنثا ترمز الى الفشل النفسى لكليون وتصل بموضوع اوديب التي يعتبرها المحللون نظرة نفسية ورمزية اكثر منها روائية انظر :

Cleon Caricatured, on a Corinthian Cup. JH. S. XCIV, 1974, P. 166-170 (by E.L. Brown).

محاولات نيكياس لعقد السلام : Peace of Nikias

وتحت تأثير هذه الضربات المتلاحقة وجدت أثينا نفسها مضطرة الى الدخول في محادثات للسلام مع أسبرطة وبالفعل تم عقد هدنة لمدة عام دون اشتراط وقف العمليات العسكرية في تراقيا حيث قاد كليون حملة بنفسه عام ٤٢٢ ق.م ، وبالفعل استطاع أن يعيد مدينة ثوروني الى أثينا ولما حاول تخلص أمفيبوليس لاقاه براسيداس بقوات ضخمة ودارت معركة حامية سقط فيها كليون وبراسيداس قتيلين وهزمت فيها أثينا هزيمة ساحقة .

صلح نيكياس وانتهاء الجولة الاولى من الحرب :

هكذا وضعت الظروف أمام الأطراف المتحاربة فرصة لادارة للسلام لأن صقرا الحرب كليون وبراسيداس سقطا في المعركة السابقة . خاصة أن الأثينيين والأسبرطيين كانوا يتوقون للسلام . ولقد جاءت المبادرة من جانب ارستقراطي أثيني مشهور بثرائه اسمه نيكياس Nikias استطاع أن يوفق بين أثينا واسبرطة لعقد معاهدة سلام عام ٤٢١ ق.م لمدة خمسين ابان الحرب مع بعض التغيرات البسيطة .

١ - أن يحتفظ كل من الطرفين المتحاربين بالأراضي التي استولوا عليها ابان الحرب مع بعض الاستثناءات البسيطة .

٢ - أن يتبادل الطرفان الأسرى وكان هذا يعنى بالدرجة الأولى الجنود الأسبرطيين الذين أسرتهم القوات الأثينية في حملتها ضد مدينة ميلوس .

لقد كانت الجولة الأولى من الحرب عامة في صالح أثينا والتي صمدت كما توقع لها بيريكليس - لعشر سنين قاسية من الضغط الاقتصادي وللرباء الذي قضى على ما يقرب من ثلث سكانها .

الاحوال السياسية بعد عقد صلح نيكياس :

ان نظرة على معاهدة السلام التي عقدها نيكياس لتوضح تماما أنها ولدت ميتة (١) . فالشروط لم تكن مقبولة لحلفاء اسبرطة الذين لم يدعوا حتى للتوقيع عليها والذين كانوا ينتظرون نصيبا منها لأن السلام كان لصالح أسبرطة وأثينا وحدهما ولذا ساد التذمر بين أعضاء الحلف اليلوبونيزي انى حد التردد على أسبرطة . فمثلا ثارت أرجوس (عدوة أسبرطة القديمة) وانضم اليها بعض من الساخطين على اسبرطة من أعضاء الحلف اليلوبونيزي مثل دويلة ايليس ومانتينا Mantinea وبلغ من عنفوان التردد أن انضمت كورثا اليه ولكنها انسحبت بسرعة منه خوفا من اسبرطة) وسارعت أثينا بالتحريض واذكاء نار الفتنة بل وأرسلت قوات لمساعدة الثوار وكان المعرض لذلك سياسى جديد بدأ فجه يسطع في السياسة الأثينية ألا هو الكياديس .

الكياديس Alcibiades (٤٥٢ - ٤٠٤ ق م) :

أصبح الشكل العام للسياسة الأثينية في السنوات التي تلت صلح نيكياس صورة واضحة من شخصية الكياديس . لقد كان هذا الفتى محبوبا لأنه نشأ وترعرع في بيت بيريكليس العظيم . أى أنه ولد وفي فمه معلقة من ذهب (٢) . ولذا نشأ مختالا بنفسه ذكيا مثقفا ، جميلا يسحر الناس . وسرعان ما قامت بينه وبين سقراط صداقة وطيدة . وقد اشترك الكياديس في عدد من معارك الحرب اليلوبونيزية . ويقال أن سقراط أنقذ حياته في معركة بوتيديا عام ٤٣٢ ، وكان يبلغ وقتئذ عشرين عاما . ولا يهتنا المدى الذى بلغته هذه الصداقة ولكن الذى يهنا أن هذا الفتى أفسده تدليل أسرته له وعبادة جمهور المدينة لسحره فكان يقضى وقته في المتعة وفي الثروة مع سقراط وفي الاشتراك في سباق العربات خاصة في الأعياد الأولمية وقد تلقى الفتى تعليما رفيعا على أيدي السوفسطائيين فنشأ لا يؤمن بمبدأ ولا برسالة إلا طموحه الشخصي .

H. D. Westlake, "Thucydides and the uneasy Peace. A Study in Incompetence, Classical Quarterly, XXI, 1971 pp. 315-325.
Jean Hatzfeld, Alcibiade, Paris 1961, P. 8 ff.

كان انتهازها على استعداد أن يتخطى القوانين والعرف مستهترا ماجنا ،
فجمع بين الديماجوجية وسحر الشخصية حتى استطاع أن يصل الى
القيادة عام ٤٣٠ ق م وما أن عين جنرالاً Strategos حتى بدأ في ترميم
حزب الحرب القديم ، بأمل الحصول على مكاسب في صورة انتصارات
في ميادين القتال وكانت تلك هي الطامة الكبرى .

ولعلنا لا ندهش اذا ما خلف أرستقراطي نبيل مثل الكياديس دباغا
وضيعا مثل كليون في الحكم ، اذ أن ميكولوجية الأثيني كانت تميل بطبيعتها
الى الارستقراطية وتطمئن اليها ، أو على الأقل اتست قوتهم بالامبالاة
بالنسبة الى الوضع الاجتماعى لأن الذى كان ينعيم في الدرجة الأولى
هو عظمة الوطن ورخائه . ولقد لجج الكياديس في خيلته الانتخابية
باقناع الجماهير بأنه يعرف العلاج الأمثل لمشاكل أثينا الاقتصادية وأنه
يعرف الطريق الذى سيقوده ليعيد المجد والرخاء ليصنع المجتمع العظيم .
ولما كانت تلك هي أحلام الأثينيين فقد فاز في الانتخاب دون أن يحقد
عليه أحد لأنه كان فاحش الثراء . وبغوزه انتهى سلام نيكياس ولاحق
الحرب في الأفق القريب .

ولهذا يلقي المؤرخون مسئولية الهزيمة النهائية على الكياديس لأنه
هدم فرصة السلام (١) .

استشاطت اسبرطة غضبا لتدخل أثينا في أرجوس ولارسالها قوات
لمساعدة الدويلات المتمردة وكادت الحرب تندلع من جديد عام ٤١٨ ق م
عندما أرسلت أسبرطة حملة بقيادة ملكها آجيس Agis والذى حقق
نصرا ساحقا على الثوار وعلى الجنود الأثينيين قرب ماثينيا وقد أعاد هذا
النصر لاسبرطة شرقها العسكرى ومستواها الرفيع في فن القتال . والحق
يقال أن هذه الهزيمة قد تمت في غياب الكياديس الذى هزم في معركة
الانتخابات في هذا العام قبل هذه المعركة بوقت قليل .

(1) K.W. Welwei, op. Cit., p. 303 ff.

مذبحة ميلوس :

وفي العام التالي أعيد انتخاب الكياديس ليرتكب حماقة كبرى دفعت أثينا ثمننا باعظا لها ألا وهي مذبحة ميلوس . وميلوس إحدى جزر بحر ايجه الفقيرة إلا من محاجر الصخور الأوبسيدية . ولقد كانت هذه الجزيرة غنية أيام الطلب على هذا النوع من الحجر ولكن عندما اكتشف النحاس لم يعد هناك طلبا عليه فأنكمش ثراؤها وعاشت على الكفاف شبه منسية ولهذا لم تدفع قط الاتاوة السنوية التي كانت أثينا تفرضها على أتباعها منذ نشأة حلف ديبلوس . وفجأة يكتشف الأثينيون هذه الحقيقة ويرسلون قوة حربية تطالب أهل الجزيرة بالاستسلام . ولما علم أهل الجزيرة بهذا الخطر أرسلوا مندوبين عنهم إلى معسكر الجيش الأثيني في الجزيرة لاجراء مفاوضات . وقد سجل لنا ثوكودديدس هذا الحوار الذي دار بينهم والذي وضع فيه منطق أثينا الاستعماري بأن « القوة هي الحق » فالأثينيون يعلنون بصلافة واستعلاء عن حقهم في السيطرة « لأنهم هزموا القرس » ويعلنون أيضا أن « فرص العدل تجيء فقط إذا ما تساوت القوى المتصارعة وأن على القوى أن ينتزع ما يقدر عليه وعلى الضعيف أن يمنح ما يستطيع » لقد كان منطق أهل جزيرة ميلوس منطق الحمل الضعيف في وجه ذئب غادر .

ولما يشس وفد ميلوس تركوا مائدة المفاوضات وأخبروا قومهم الذين عاروا لأسلوب التكابر والغرور والصلافة التي اتصفت بها المحادثات الأثينية . وما أن عادوا حتى تحرك الجيش الأثيني وبمساعدة الخونة من سكان الجزيرة دخلت القواد الأثينية المدينة وقتلت كل رجال الجزيرة وشبابها وباعوا نساءها وأطفالها في أسواق العبيد كل هذا بتحريض الكياديس الذي اقتنى امرأة من نساء الجزيرة لتعمل عنده . وأخيرا صادروا أراضي الجزيرة وقسوها بين خمسمائة مسوطن أثيني (١) .

لقد ألحق هذا العمل البربري الكثير بسمعة أثينا وجر عليها الحقد من جانب حلفائها وأعدائها على السواء كما ارتفعت أصوات المثقفين

(1) W. Fornara, «The date of the regulations for Melos» A.J. Phil., Xell, 1971, p. 473—475.

بالاحتجاج وعبر عن ذلك صراحة ثوكوديديس وهو يسجل التاريخ كما لمح الشاعر المأسوي يوريبيديس عن أسفه لمثل هذا السلوك البربري في مسرحيته « نساء طرواده » ولم يكن هذا العمل هو آخر عمل ورط فيه الكبياديس المستهتر أثينا بل ارتكب حماقة كبرى وكان آلهة الاغريق أرادت أن تعاقب الآثينيين على جرائمهم ضد حلفائهم ، وأما هذه الحماقة فهي حملة صقلية الفاشلة .

حملة صقلية المشؤومة :

سبق أن عرفنا شيئا عن استيطان الاغريق لجزيرة صقلية وكذلك عن اتحادهم عام ٤٨٠ ق.م وهزيمتهم لقوات قرطاجة . ولكن هذا الوئام بين المدن الاغريقية في صقلية لم يدم طويلا بعد النصر اذ سرعان ما دب الشقاق والخلاف ثم نشب بينهم القتال في عام ٤٢٧ ق.م عندما طلبت مدينة ليونتيني Leontini من أثينا التدخل لصالحها ضد جارتها سيراكوزة مستعمرة كورثا . ولكن أثينا تباطأت في النظر في هذا الطلب . وفي عام ٤١٦ ق.م طلبت مدينة سيجستا Segesta من أثينا نفس الطلب . ولكن في هذه المرة أرسل الآثينيون وفدا إليها للبحث في هذا الطلب . ولما كان أهل المدينة يعلمون جيدا قسوة الآثينيين فقد أظهروا الثراء الفاحش حتى على حساب الحقيقة . فمثلا كلما دخل الوفد الآثيني يتسا فيه وجدوا أطباقا من الذهب والفضة ولم يدر يبالغون أنها نفس الأطباق .

وعاد الوفد مبهورا بالثراء وقص على الكبياديس مشاهداته وسال لعابه ووجد الفرصة سانحة لمغامرة جديدة غربا اذ لم يعد هناك عقبات في الشرق كما تخيل أن مستقبل الامبراطورية الاثينية هو في الغرب وليس في الشرق الذي بدأت مصادره تنضب . وبالطبع هدف الآثينيين الى التحالف مع أهل مدينة سيجستا حتى يثبتوا أقدامهم في الجزيرة ثم يحولوهم الى اتباع مثلما فعلوا بأعضاء الحلف الديلي . ولم ينقص الكبياديس الحجج في اقناع الآثينيين بالموافقة على ارسال الحملة ضد سيراكوزة . فالأخيرة مستعمرة كورثا عدوة أثينا اللدود بحكم عضويتها في حلف اليبلوبونيسوس . ثم أن أهل سيراكوزة كانوا سيطلبون المون من

كورتا أو في أحسن الظروف سوف يرسلون العون لمساعدة اسبرطة وخير
لأثينا أن تتبهر الفرصة وتتدخل حتى تضمن موارد جديدة تأتي بالمال
الذي هو عصب الحرب . ولم يجد الكياديس معارضة سوى من
نيكياس رجل السلام وأمعافا في تورطه وأحراجة فقد انتخب مع
الكياديس نفسه وجنرال آخر اسمه لاماخوس Lamachus لقيادة
الحملة . هكذا رفض المجلس الشعبي نصائح نيكياس المسن والذي دهمته
الشيخوخة والمرض ورفض منطقة الذي كان يرى عدم جدوى أو احتمال
اقامة الامبراطورية غربا أو تدخل الكورثيين في صقلية أو تدخل سيراكوزة
ضد أثينا . واستجاب الجمهور لجدل الكياديس الذي كان يبلغ
الخامسة والثلاثين وقتئذ وكان في غف شبابيه وحيوته .

وما أن ووفق على الحملة حتى بدأت أثينا في تجنيد كل طاقاتها لها
وأعدت أسطولا ضخما قوامه ١٣٤ سفينة حربية ذات ثلاث طوابق
Tribremes ومائة وثلاثين سفينة صغيرة للامداد والتموين كما أعدت من
القوات خمس آلاف رجل مسلح بالعتاد الثقيل (Hoplites) وألف
وثلاثمائة جندي مسلح بأسلحة خفيفة يدعمهم ثلاثين فارسا . وبلغ عدد
من اشتركوا في الحملة سبع وعشرين ألف رجلا ما بين جندي وبعار .

حادثة تعظيم تماثيل الاله هرميس :

وبينما كانت الاستعدادات للحملة قائمة على قدم وساق بل وفي صبيحة
اليوم المحدد لاجاز الأسطول ، حدث حادث مروع وغريب آثار الذعر
من الالهة وغضبها واعتبر طالع نحس لمستقبل أثينا اذ حطم مجهولون
تماثيل الاله هرميس النصفية Hermae والتي كانت مقامة أمام أبواب
البيوت وفي الطرقات والميادين . ولما كان هذا الاله حارسا لحرية التجارة
والنظام السياسي الاثيني فقد اعتبر ذلك اعتداء على الديموقراطية
الاثينية وبالغ آخرون في تصور مؤامرة أوليجارخية ضد الديموقراطية .
فانتشر الذعر والقلق بين الناس وتجمعوا في ساحة المدينة واتخذوا قرارا
بالاجماع بتخصيص مكافأة كبيرة لمن يرشد عن « الفعلة » ولم يتقدم أحد
لأن الحادث في أغلب الظن كان من عمل فتيان سكارى قاموا به ليلا دون

تقصد بالرغم من أن بعض الناس يرون أنه تم بتدبير من مدينة كورنث أو سيراكوزة لعاقة الحملة وبث البلبلة بين الأثينيين .

وعلى أى حال فقد وجد فريق من الاتهازيين السياسيين فرصة للتشهير بالكيباديس فاتهموه بالقيام بهذا العمل مذكرين الناس بسابقة له تعدى فيها على حرية الشعائر السرية الزراعية والتي كانت تقام فى اليوسيس . كما طالب أنصار الحزب الديموقراطى بتقديم الكيباديس الى محاكمة عاجلة لزندقته وبالطبع نفى الكيباديس هذه التهمة عن نفسه وأعلن عن استعداده للشول أمام المحكمة ولكنه طلب تأجيل المحاكمة لأن أنصار الحزب الديموقراطى كانوا يدركون مدى شعبيته بين الجنود وتأثير محاكمته على روحهم المعنوية وأنه ذاهب الى مغامرة قد لا يعود منها . وبالفعل ووفق على تأجيل المحاكمة .

الأرمادا الأثينية يبحر الى صقلية :

أبدع ثوكوديديس فى وصف الحملة وتحدث عن طعن القائد للحصول على مكاسب وشهرة مادية ومعنوية كما شرح سبب إقبال المتطوعين من فقراء الشعب رغبة فى التخلص من مشكلات الحياة اليومية خاصة تحت وطأة الحرب وفضلوها عن الانتظار داخل الأسوار الحصينة . ويقول ثوكوديديس : « لقد ساد الجميع بلا استثناء رغبة جامحة للإبحار ، فالمتقدمون فى السن من الجنود كانوا يحسون بأنهم قادرون على غزو صقلية وأما الشباب فكانوا متلهفين لأن يملأوا أعينهم بأعاجيب بلد بعيد ، وأما البقية الباقية من القوات فكانت تتلهف على الأجور والمرتبات (١) وتحلم بنزوح بلد ثرى خيرات لا تنضب . »

(١) أبان هذه الحرب كان الجندى الأثينى ينفق على نفسه خلال الأيام الثلاثة الأولى لالتحاقه بالجيش ثم تتولى الدولة الإنفاق عليه بعد ذلك . وكان يسمح للجندى بالسلب والنهب بشرط أن يقدم للدولة عشر ماينهب . ومن دراسة الجيش الأفريقى ونظمه وتموينه ومبادئه

وشعائره قبل المعارك أنظر :

كما يصور لنا ثوكوديديس يوم الابعار في صباح أحد أيام صيف عام ٤١٥ ق م . حيث خرجت المدينة عن بكرة أبيها لتودع أبناءها وساروا الى ميناء بيرايوس كل له فلذة كبذ ، أخ أو قريب في هذه الحملة « وكلما اقتربت ساعة الرحيل كان القلق يتزايد وتدفق العواصف الجياشة بالدموع وتسلسل الخوف الى قلوبهم من هذه المغامرة الخطرة ، ولكن قوة الأسطول وكثرة العتاد كانت تهدء من روعهم » ويصف ذلك ثوكوديديس بقوله : « لم يحدث قط أن خرجت حملة الى بلد أجنبي بمثل هذا العدد والعدة ولم يحدث قط أن قام مشروع مثل هذا يرت فيه القوة الفعلية أحلام النهر » .

وسرعان ما انطلقت السفن « كل تسارع الأخرى » وتعال الصلوات وشقت تراثيم الجند عباب السماء يشاركهم المودعون من الشاطئ « وراح القادة يسكبون الخمور قربانا للآلهة » .

استبعام الكياديس للمحاكمة وهروبه الى أسبرطة :

وما كاد الكياديس يصل الى مسرح العمليات العسكرية في سيراكوزة (١) حتى أرسل في استدعائه وذلك لأنه أعداده السياسيين انتهزوا فرصة غيابه وأقاموا دعوى عليه يتهمونه فيها باتهاك قدسية الدين وبالفعل وصلت سقينة تحمل أمرا بالقبض عليه . ولما أحس الكياديس أن الموقف في أيدي أعدائه السياسيين قرر الهرب وتم له ذلك في عرض البحر . ولدهشة المتابع لسيرة هذا القائد نجده يلجأ الى أسبرطة عدوة بلاده . وهنا كشف النقاب عن أسرار البلاد العسكرية ووضع أمام الأسبرطيين كل ما يحتاجونه من معلومات ونصائح وأشار عليهم بأمرين

(١) يناقش ذلك ثوكوديديس في الكتاب الثامن انظر الدراسة الحديثة من هذا النص :

قلبا مركز أثينا العسكري ، أولهما نصيحتة للأسبرطيين بأن يسارعوا ويحتلوا دكيليا وهي منطقة حساسة في الشمال من أثينا بالنسبة للاتاج الزراعى والتموين الغذائى والصناعى وبالفعل سارع الأسبرطيون وأرسلوا حامية احتلت هذه المنطقة مما كان له أشد الأثر على الاقتصاد الأيئنى الذى صمد طويلا للحصار ازاء السنوات السابقة للحرب ، اذ هجر المزارعون حقولهم وفر العبيد الذين كانوا يعملون فيها الى معسكرات الجيش الأسبرطى وانهر سيل من اللاجئين الى داخل أسوار أثينا وانكش حجم التجارة الأيئنية وأحس الناس لأول مرة بالتقلص الاقتصادى والنقص فى التموين لأول مرة .

أما النصيحة الثانية التى قدمها الكياديس لأعداء وطنه فكانت صيحته فى وجه الأسبرطيين « أرسلوا قائدا أسبرطيا الى سيراكوزة فى الحال » وعلى الفور أرسل الأسبرطيون جنرالاشهيرا اسمه جوليپوس (Gylippus) ومعه ثلاثة آلاف جندى ليزيقوا الجيش الأيئنى خسائر فادحة .

ولما علم الإيئنيون بخبر هروب الكياديس لغنوه وصادروا ممتلكاته وبيع أثاث منزله فى مزاد علنى . ومن الطرائف التاريخية ذلك النقش الذى وصل إلينا يحمل قائمة بهذا الأثاث كلها تدل على أشياء بسيطة برغم ما نعلمه عن ثراء هذا الرجل مما يدل على مدى بساطة الحياة الأيئنية .
نيكياس رجل السلام يتولى القيادة :

هكذا استطاع القائد الأسبرطى جيليوس التسلل بقواته لى سيراكوزة فى خريف عام ٤١٤ ق . م . وكان الإيئنيون وقتئذ يقومون بمحاصرة المدينة وفى الحال انقلب ميزان المعركة وأصبحت القوات الأيئنية فى موقف الدفاع ولم يكدر يمر الشتاء حتى تمكن هذا القائد من تكوين أسطول بحرى سرعان ما دخل المعركة وطرد الإيئنيين الذين كانوا يتحكمون فى مدخل المدينة البحرى ونتيجة للمبليات الأسبرطية الناجحة وضعف القيادة الأيئنية انهارت روح القتال وساد الاستهتار واللامبالاة وساء الموقف أن الجنرال لاماخوس أكفأ قادة الحملة قتل فى احدى الممارك ، وبقي ليكياس وحده ونحن نعلم مدى معارضة هذا الرجل للحملة منذ

بدايتها ولكنه فجأة وجد نفسه منوطا بمسئولية كبرى قد تعرضا لثبته
الخيانة العظمى لم يجد أمامه سوى طريقا واحدا وهو تحمل مسئولية
قيادة المعركة حتى في أحلك الظروف لأن القائد يجب أن يتصرف حسب
يجب أن يفعل بغض النظر عن النصر . وكان أول شيء فعله نيكياس هو
أن أرسل في طلب تعزيزات عسكرية واستجاب المجلس انسعى إلى ضبه
وأبحر الجنرال ديموستينيس بقوة بحرية قوامها خمسة عشر ألفا من
الرجال . . . أن رست سفنها حتى حاول ديموستينيس القيام بهجوم
ليلي على سيراكوزة وعلى القوات الأسبرطية ولكنه رد على اعتدبه خسرا
ويبدو أن ديموستينيس راعه انهيار الروح المعنوية وتدمير الجسر
الأثينيين فذكر استحالة النصر وأخذ في اقناع نيكياس بالانسحاب اشرف
بدلا من الهزيمة المهينة وبعد تردد ومعارضة وافق نيكياس على الانسحاب
والعودة الى الوطن . وبدأ الاستعداد لذلك . وفي ليلة الانسحاب
وذلك في السابع والعشرين من أغسطس تصادف خسوف القمر .
ورأى العرافون ضرورة تأجيل موعد الانسحاب تجنباً لهذا الطالع النحس
وصدق نيكياس قولهم . وأجل الانسحاب الذي قدر له أن لا يتم أبدا
وذلك لأن شعب سيراكوزة علم بخطة الأثينيين فحاصروا الميناء ثم قاموا
بهجوم على السفن الأثينية الراسية . ويصف لنا ثوكوديديس باستفاضة
ودقة تفاصيل معركة حامية الوطيس انتهت بدمار السفن الأثينية جميعا
ومقتل ما يزيد عن ٥٠٠٠ رجل جندى ولما حاول نيكياس ومعه ديموستينيس
انقاذ ما يمكن انقاذه هجر الجرحى والمرضى وما تبقى من السفن وحاول
التقهقر برا ، وفي هذا خطأ كبير إذ « لم يمودوا بحارة بل جنود شاه
لا يعتمدون على أسطولهم بل على جنودهم » . وتكبد الجيش الأثيني
أثناء انسحابه خسائر فادحة بسبب أعمال المقاومة من جانب سيراكوزة ،
وسقط الجنرالان ديموستينيس ونيكياس قتيلين وهلك جيشهما ما بين قتيل
وأسير . إذ أسر أهل سيراكوزة عددا كبيرا من الجنود الأثينيين وساقوهم

الى العمل في المحاجر في ظروف لا انسانية لسدة البرد ليلا والحرارة نهارا الى جانب القذارة ولتغفن لذي كان ينبعث من جث لموتى . هكذا رأى الاثينيون مرارة الاستعباد التي تحدث عنها الشاعر المأسوي يوريديس في مأساته « نساء طرواده » والتي صور فيها أكابر الأسر الطروادية تعاني مرارة الرق . لقد كتب يوريديس هذه المأساة وأسلوبه يقطر مرارة واحتجاجا على ما فعله الاثينيون في ميلوس والآن جاء دور الاثينيين ليشربوا من نفس الكأس (١) . وكان يوريديس كان يتنبأ بأحداث المستقبل عندما وضع على لسان هيكوبا ملكة طروادة صرخة من الأعماق تقول فيها « يارب الرحمة ! ... ولما ادعو الآلهة أنهم يعرفون حالي ولم يعودوا يستمعون لصلواتي منذ وقت طويل ... » .

هكذا لحق بأثينا أكبر هزيمة عرفتھا المدينة منذ قيامها (٢) . هزيمة لم تفق منها قط . وأسدل على تاريخ المدينة ستار حجب انتصارات الأمس التي استمرت أثينا تجمي ثمارها لمدة سبع وسبعين عاما هي أعظم السنوات

(1) cf. P.G. Maxwell-Stuart : The Dramatic Poets and The Expedition to Sicily, (Historia, Band, XXII (1973) Heft 3, PP. 397—404.

(٢) لا تزال حملة صقلية محط الجدل بين التخصيصين أهمها مقالة :

U. Laffi, " la Spedizione ateniese in Sicilia del 415 A.C., *Revisita Società Italiana*, LXXXXII, 1970, pp. 227 — 307.

وفيها يناقش المؤلف أسباب الهزيمة في صقلية الى هروب الكبياديس وانصاحه بالخطة العسكرية للاسبرطيين كما يرجع الهزيمة الى الخلاف بين قادة الحملة وعدم وجود خطة متفق عليها . ولكن يدافع البعض عن هروب الكبياديس الى يأسه وادراكه انه قد تورط في حملة لن تكسبها أثينا ووصفوا الحملة بأنها اشبه بحملة ماكسيمليان في البرازيل ومن الدراسات الجديدة عن هذه الحملة .

S. Van De Maelle, " Le récit de l'expédition athenienne de 415 en Sicile et l'opinion de Thucydides sur Le rappel d' Alcibiade, A.C., XL, 1971, p. 21—37 ; KJ. Meister, " Die Sizilien. Expedition des Athènes bei Timalos, *Gymnasium*, LXXVII, 1970, pp. 598-517 ; H. Meier-Welcker (Athen und Sizilien. zum Problem der — Politische-militarischen Lagebeurteilung nach Thucydides und Clauswitz, *Hist. Zeits*, CCXV, 1971, p. 1—32.

في عمرها كله بالرغم من الحماقات التي ارتكبت . لقد كانت هزيمة أثينا في سيراكوزة عام ٤١٣ مأساة واقعية يبلغ أكثر فجاعة من تلك المآسى التي خلدها شعراء أثينا للعالم الحديث . ولا ينبغي علينا أن نقلل من شأن أغريق صقلية لأنهم كانوا لا يقلون تذوقا للثقافة والحضارة الاغريقية عن الاثينيين فقليل أن أهل سيراكوزة كانوا يعفون عن أى أسير أثينى اذا ما ردد أحياء من أشعار يوريديس . ومن الواضح ألها كانت أحياءا حزينة لبطله مهزومة مثل الملكة هيكوبا العجوز وهى تندب حظها التعس وتشكو قسوة القدر وكان الشاعر يوريديس كان يريد أن يقول « ارحموا عزيز قوم ذل » .

وبدت ملامح الهزيمة الكبرى تلوح في الأفق عندما بدأت الآثار الاقتصادية المترتبة على احتلال أسبرطة لمنطقة ديكيلىا في الظهور . لقد ألحق الكياديس بأثينا الكثير عندما قال للاسبرطيين « أبدأوا الحرب ولكن لا تجعلوها قاصرة على غزو أتيكا لبضع أسابيع من العام بل احتلوا مكافا على أرض أتيكا وحصنوه جيدا » ثم اختار لهم منطقة ديكيلىا على الحدود بين منطقة بيوتيا وأتيكا . وبهذه النصيحة أصبحت أسبرطة تقبض على عنق أثينا اذ توقف تدفق الغلال وقطع الطريق بين أثينا وجزيرة يوبويا Euboea حيث أرسل الاثينيون قطعان مواشيهم وأغنامهم بعيدا عن الخطر وأصبحت العاصمة معرضة لأى هجوم عليها . بل وأكثر من هذا هجر الاثينيون مناجم الفضة في لاوريوم Laurium وانضم العبيد الذين كانوا يعملون فيها إلى القوات الأسبرطية . فى هذه اللحظة التى بدأ فيها الاثينيون يحسون بهذه المشاكل الجديدة وصلت أنباء الهزيمة فى صقلية وذلك عندما وصل رجل الى ميناء بيرايوس قادما من الغرب ودخل حانوت حلاق وراح يثرثر عن الهزيمة الساحقة التى لحقت بالقوات الاثينية ولما ذعر الحلاق وأخبر الناس قبضت السلطات الاثينية على هذا الحلاق بصجة نشر الاشاعات المفروضة . ولكن سرعان ما توافدت أنباء كثيرة عن هذه الهزيمة وذاعت بين أهل الجزر التابعة لأثينا فى بحر ايجه واتى . كانت تمنى فى قلوبها يوما مثل هذا ليتخلصوا من هذا الاستعمار الذى

جثم عليهم طويلا وفي هذه المرة لم يثوروا ليطالبوا بالحرية بل تلفتوا
يمينا ويسارا وراحوا يبحثون عن حليف يقضى على ما تبقى من سلطان
أثينا .

الفرس يتحركون مرة ثانية - الثورة ضد أثينا :

لقد علمنا من الفصول السابقة كيف أن بلاد فارس لم تنفض عيونها
ولو مرة واحدة عن ساحل آسيا الصغرى وعن الجزر القريبة منه ووجدت
بلاد فارس عندما عرفت أن الوهن قد حل بأثينا - فرصة لمقد تحالف مع
أسبرطة لأنها كانت تعلم أن الأسبرطيين لا يعينهم الا ما حولهم فقط .
ورحب الاسبرطيون بهذا التحالف ووافقوا على أن يستعيد الفرس
ممتلكاتهم في أيونيا مقابل أن يتولى أسطولها محاربة الأسطول الأثيني
في المياه الشرقية والقضاء على سلطانها . وذلك لأن كبريات حلفاء
أثينا من أمثال جزيرة خيوس ولسبوس ويوبورا أبلت أسبرطة باعترامها
الثورة ضد أثينا ، وبالفعل تم عقد اتفاق بين الفرس وأسبرطة في ميليتوس
عام ٤١٢ ق م . ولما علمت أثينا بهذه الخيانة اندفعت بأخر ما لديها
من قوة فحاصرت خيوس والتي كان يحميها الكياديس الهارب ومعه
تيسافريس Tisaphernes السراب الفارسي الشهير وسرعان ما سقطت
خيوس مرة أخرى في حوزة القوات الأثينية وكذلك جزيرة لسبوس
ولكنهم فقدوا رودس التي تحالفت مع الفرس .

الكياديس يعود للقوات الأثينية :

كانت أسبرطة تنظر للكياديس نظرة الشك وخاصة بعد أن تأكد
لها أنه يحرك الأحداث لكي يضغط على المسئولين في أثينا من أجل العفو
عنه والسماح له بالعودة الى الوطن أما الفرس فلم يثقوا فيه لموقعه من
الثورة في خيوس . ولما أحس الأثينيون بذلك عفوا عنه وعهدوا اليه بقيادة
أسطولهم في البحر الايجي والذي كان يتخذ من جزيرة ساموس قاعدة
له وكانت هذه الجزيرة هي الوحيدة التي وافقت على أن تبقى تابعة
لأثينا وقد بذل الكياديس كل جهده لكي يجعل مواطنيه يفكرون له
ماضيه الأسود ويعفون عنه .

النظام الديمقراطي الأثيني يتلقى ضربة :

لما كان معظم الأخطاء التي حدثت أثناء الحرب - خاصة في صقلية - من فعل أنصار النظام الديمقراطي فقد بدأ الهجوم علنا على هذا النظام كما أساعد على ذلك انتشار شائعة قوية وهي أن الفرس سوف يرفعون أيديهم عن المصالح الأثينية في آسيا الصغرى إذا ما قام نظام أوليجارخى بدلا من النظام الديموقراطى ، وهذا النظام الذى أيده الفرس يعرف في اليونان بالاوليجارخية Oligarchia أى حكم الأقلية . وهو حكم رجى تخلصت منه أثينا منذ أحداث القرن السادس قبل الميلاد بالرغم من أنه بقى معمولا به في كثير من المدن الاغريقية الأخرى . وهو يعنى حكم الأرستقراطية الاقطاعية ولكن كلمة الحكم الأرستقراطى لم تستعمل كثيرا في وصف هذا الحكم لأن معظم الأسر النبيلة قد تغير بها الحال كما أصبح كثيرون من غير النبلاء - أغنياء - ولهذا فالكلمة جامعة مانعة . وبالفعل حدث انقلاب أوليجارخى قضى على الديموقراطية وأعدم قادتها وتكون مجلس من أربعماية (١) عضو كان من بينهم الشاعر سوفوكليس لادارة شؤون البلاد عرف بمجلس الأربعماية . ولكن سرعان ما دب خلاف بين الأوليجارخين المعتدلين بزعامة ثيرامينيس Theramenes (٢) والأوليجارخين المتطرفين بزعامة

(1) Cf. M.H. Jameson, "Sophocles and the Four Hundreds, *Historia*, XX, 1971, p. 541-568.

(٢) من الطريف أنه قد عثر على وثيقة بردية من مصر من بين الأوراق البردية التي عثرت عليها جامعة ميتشجان تتحدث عن ثيرامينيس في دفاع عنه ولا نعرف المؤلف الحقيقى وربما كانت هذه الأبولوجيا موضوع انشاء كتبه تلميذ . انظر :

R. Merkelbach H.C., Youtie, "Ein Michigan Papyrus über Thermanes, *Zeitschrift für Papyr. und Epigr.*, 11, 1968 p. 161-169, Comment by Heinrich, *Ibid.*, III 1968 p. 101-108 also A. Andrews, *ibid.*, VI, 1970, p. 35-38.

ومهما يكن من أمر فإن المؤلف تأثر جدا بأسلوب لوسياس الخطيب خاصة في خطبته دفاعا عن ايراثوثنيس (انظر ص) ومن المعلومات الجديدة التى ذكرتها الوثيقة أن ثيرامينيس سافر الى ساموس ليلتقى بالزعيم الأسبرطى لوساندر .

فرينيخوس Phrynichus وأنتيفون Antiphon • هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فقد أعلنت قوات الأسطول الأثيني ولاعها للديمقراطية وعصيانها لهذا الحكم الأوليجارخى • لأن الأسطول ارتبط دائماً بالديموقراطية الأثينية • وأكثر من هذا هدد الأسطول من قاعدته في ساموس بالتدخل ما لم يعاد النظام الديموقراطى •

انهيار الحكم الأوليجارخى :

من الواضح اذا أن الحكم الأوليجارخى كان ضعيفا منذ البداية وكان معرضا للسقوط في أية لحظة • وعندما ظهر الأسطول الأسبرطى فجأة خارج مياه ميناء بيريه دعر الأثينيون ولما أبحر شرقا الى جزيرة يوبويا سارع الأسطول الأثيني لملاقاته على عجل ولم يكن مستعدا وكانت النتيجة هزيمة الأسطول الأثيني تماما ثم اعلان يوبويا الثورة ضد أثينا • وما أن وصلت أنباء الهزيمة حتى ارتعدت قلوب الأثينيين ذعرا ووضع رجولة الحكم الأوليجارخى في معالجة الأزمات وانزاله عن الشعب وعندما أدرك زعماءه تلك الحقيقة فروا واحدا وراء الآخر الى منطقة ديكيليا وعقد الأثينيون اجتماعا شعبيا أعلنوا فيه سقوط الحكم الأوليجارخى وعودة النظام الديموقراطى في شكل حكومة الـ ٥٠٠ وبصورة أكثر اعتدالا من المفهوم القديم بالرغم من بقاء امتيازات المواطنة مغلقة على خمسة آلاف مواطن فقط هم تعداد الأكليسيا (١) بحجة أنهم هم وحدهم القادرون على تسليح أنفسهم في الحرب مكونين مجتمع المواطنين Politeia ومن الواضح أن الديموقراطية قد عادت تحت الحاح جنود الأسطول الذين أعلنوا منذ اللحظة الأولى عن سخطهم على نظام حكم الأوليجارخين ولم يمهله طويلا سوى أربعة أشهر هي المدة التي حكم فيها هذا النظام (من مايو حتى سبتمبر ٤١١ ق م) وتولت حكومة انتقالية مهدت لعودة النظام الديموقراطية بصورة أكمل •

cf. P.J. Rhodes, "The Five Thousands in Athens I, Revolution of 411 B.C., J.H.S., XCH, 1972, pp. 115—127.

عودة الديموقراطية ترفع من روح جنود الاسطول المعنوية ؛

همل جنود الأسطول بعودة مكاسبهم الديموقراطية اليهم وارتفعت روحهم المعنوية وجاءت فرصتهم في أواخر عام ٤١١ ق.م (١) . عندما أبحر أدميرال اسبرطى جدير اسمه منداروس Mindarus الى بحر مرمرة Hellespont للقيام بمدوان على هذه المنطقة الحساسة اقتصادياً بالنسبة لاثينا عندئذ تعقبه (٢) الأسطول الأثيني واستطاع أن يجهز عليه في كونوسيم Cynossema بالقرب من سستوس Sestos عند مدخل هذا البحر ثم أعقبه باتصار آخر عند أييدوس Abydos (في الشمال الغربي على ساحل آسيا الصغرى) وسارع الأسطول الاسبرطى الى مدينة كوزيكوس Cyzicus على الساحل الجنوبي لبحر مرمرة وحاصرها يعاونه في ذلك القائد الفارسي فارنا بازوس Pharnabazus

ولكن الأسطول الأثيني تقدم اليه وجنوده يصدوهم الأمل بالنصر وحاصروه حصاراً محكماً ، ثم انقضوا عليه بشراسة أتت عليه تماماً وسقط قائده منداروس صريماً وكان ذلك في ربيع عام ٤١٠ وكانت ضربة قاصمة لاسبرطة فطلبت السلام وعرضت مقترحات طيبة ولكن الغرور الأثيني رفض هذه المقترحات وطالب بالنصر كل النصر ولا شيء غير النصر ولم تجد أثينا مكافأة لأبنائها خيراً من إعادة النظام الديموقراطي كاملاً اليهم . وكان عام ٤٠٩ ق.م عام الانتصارات بالنسبة لاثينا اذ توالى الألباء بعودة المدن المتمردة الى حوزة الامبراطورية اذ أعاد الأسطول الأثيني جزيرة ثاسوس Thasos وسليبريا Selymbria وخاليكدون Chalcedon وأمنت أثينا تماماً منطقة بحر مرمرة والبحر الأسود وطهرتها من القوات الاسبرطية والفارسية مما . وسرعان ما استسلمت مدينة بيزنطة Byzantium بعد حصار طويل وكان الفضل في هذه الانتصارات يرجع الى براعة القيادة للأسطول

(١) يتوقف تاريخ ثوكورديدس عند عام ٤١١ ق.م. وهنا نبدا في الاعتماد على مؤرخ آخر له أهميته وهو اكسينوفون .

(2) cf. S. Van De Maele, " Le livre VIII de Thucydide et la politique de Sparte en Asie Mineure (412—411). Phoenix, XXV, 1971, pp. 32—51.

والتي كان على رأسها الكياديس خائن الأس الذي أضحي بطل اليوم
تتردد سيرته على كل لسان . وسرعان ما عاد الى الوطن بين الهتاف
والعناق ونودي به جنرالاً أعلى له كافة السلطات العسكرية لكي يقود
الامة والأسطول الى مرفأ النصر والمجد . وبالقمل تولى الكياديس
القيادة في مايو عام ٤٠٧ ق.م .

قودش يرمى بثقله في المعركة ويتحالف مع اسبرطة :

كان لسوء حظ أثينا أن تدخل الفرس في الحرب ورموا بثقلهم فيها .
وكان هناك ثمة تحالف بين الفرس والاسبرطيين ضد أثينا خاصة وأن
عيون الفرس لم تحول أبداً عن أيونيا وعن الجزر القريبة منها . ولكن
هذا التحالف ظل حبراً على ورق الى أن أوكل شئون آسيا الصغرى الى
الأمير الفارسي قورش الثاني يساعده تسافريس بدلا من دارا الثاني
وقرر الأمير الشاب أن يجعل قوة فارس حقيقة وينفذ شروط التحالف مع
اسبرطة . وفي نفس الوقت اكتشف الاسبرطيون شخصية عسكرية بينهم
وهو الأدميرال لوساندر Lysander وسرعان ما كسب هذا الأدميرال ثقة
الأمير الشاب قورش وقررا أن يعملوا معا وأن يدفعوا بقوات كبيرة الى
الحرب لهزيمة أثينا عليها .

هزيمة أثينا وعزل الكياديس :

وبعد التمهيل والتكبير أبحر الكياديس في خريف عام ٤٠٧ من أثينا
في اتجاه الشرق حيث راجط الأسطول عند رأس نوتيوم Notium (والتي
تقع في الشمال الغربي من أفسوس Ephesus على ساحل آسيا
الصغرى) وتمكن لوساندر من أن يناوش القائد المناوب لأكياديس
ويجبره الى مصيدة بحرية ومن ثم الى هزيمة كبرى في مطلع عام ٤٠٦ ولما
وصلت الأنباء أعلنت أثينا عزل الكياديس وذلك لأن أعداءه أثاروا
الشبهات حوله مذكرين الناس بتاريخه الأسود وهرب الكياديس الى
غريجيا في شمال آسيا الصغرى حيث لجأ الى حاكمها الفارسي فاراباسوس
وظل هناك حتى اغتيل عام ٤٠٤ ق.م بتحريض من حكومة الطغاة الثلاثين
(سنعالجها فيما بعد) وتحريض من لوساندر نفسه . وبهذا ينتهي تاريخ
(٢٣ - الاغريق)

الكبياديس الحافل بالمغامرات والانتصارات والخيانة وبالفسائس والمؤامرات . وكل ما نعلق به عليه أنه كان رجلاً شديد الأناية انتهازياً من الدرجة الأولى حيث ارتكب عدة حماقات جرت على وطنه سخط الأصدقاء وحقد الأعداء وكان لهذا أثره في هزيمة أثينا فيما بعد . وعلى أي حال فإن المؤرخ ثوكوديديس لم يتردد في أن ينتقد الأثينيين لفشلهم في استغلال مواهب هذا القائد العسكري ويتهمم علناً بأنهم كانوا يعمدونه عن مناصبه في وقت كان الوطن في حاجة ماسة إليه . وعلى أي حال أسرع الأثينيون بتعيين أميرال جديد لقيادة الأسطول وهو كونون Canon أحد القادة العشرة Strategoi الذين اختيروا في ذلك العام .

معركة أرجينوساي Arginusae ومحاكم الإعدام :

في نفس الوقت الذي اختير فيه كونون أميراً للبحر الأثيني اختير قائد جديد للأسطول الأسبرطي وكان اسمه كاليكراييداس Callicratidas بدأ على الفور في تقوية أسطوله بأن أضاف إليه مائة وأربعين سفينة جديدة ثم بدأ في مناوشة كونون واستطاع بنصف هذا الأسطول أن يحاصر كونون ويهزمه في ميناء موتيليني بجزيرة لسبوس نفسها وما أن وصلت أنباء الهزيمة إلى أثينا حتى اشتد حماس الشعب وأصروا على الحصول على نصر بأي شكل وبالفعل أرسلوا مائة وخمسين سفينة لنجدة كونون . وعند جزيرة أرجينوساي جنوب جزيرة لسبوس دارت معركة حامية الوطيس بين الأسطولين استطاع الأسطول الأثيني فيها أن يدمر ويفرق سبعين سفينة أسبرطية كما سقط القائد الأسبرطي كاليكراييداس فيها قتيلاً وكان بالفعل انتصاراً شرف أثينا ورفع رأسها ولكن بدلاً من أن يقابل قادة الأسطول عند عودتهم بالهتاف وأكاليل النار قوبلوا بالاتهامات . إذ نما إلى علم الأثينيين أن القيادة لم يتقنوا الفرقى الأثينيين وتركوهم معلقين بحطام السفن يصارعون الموت ويقال أن قادة الأسطول عجزوا عن انتقاذهم بسبب العواصف وهياج البحر وعلى أي حال فقد أثار هذا الحادث غضب الشعب وطالبوا بتقديم القادة إلى

المحاكمة بتهمة الاستهانة بأرواح جنودهم والاهمال في العمل وأمام الجمعية العامة أدين القادة وحكم عليهم بالاعدام ومصادرة الأموال وهذا الحكم في ستة منهم كانوا حاضرين وبهذا العمل الأهوج خسرت أثينا كماءات عسكرية في وقت كانت في أشد الحاجة اليها ومما لاشك فيه فان الديماجوجية هي التي كانت وراء هذه الأحكام البشعة والظالمة .

ولم يستمع أحد الى احتجاجات الفيلسوف سقراط الذي كان يرأس المجلس وقتئذ وجدير بالذكر أن الأثينيين كانوا دائماً أعداء أنفسهم وكانت الدولة هي الضحية لأنها كانت « كالهرة تأكل جمافها » . وبذلك خسرت كماءات عسكرية وسياسية لو قدر لبعضها البقاء لتغير مسار تاريخ أثينا فحسب بل تاريخ بلاد اليونان .

هزيمة أثينا النهائية :

وبعد موت كاليكراييداس قائد الأسطول الأسبرطى عادت القيادة مرة أخرى الى الأدميرال لوساندر عام ٤٠٥ ق.م . الذي أبصر على الفور الى بحر مرمرة Hellespont واستولى على لامباسكوس Lampascus وسارع الأسطول الأثيني على عجل لنجدة هذه المنطقة من عدوان الاسبرطيين وعند ساحل « ايجوسبوتامى Aegospotami (نهر الماعز) تلك المنطقة الساحلية الوعرة وفي مواجهة الأسطول الأسبرطى رسا الأسطول الأثيني متحفزاً للقتال وظل لأربعة أيام يتحارب بالأسطول الأسبرطى والأسطول الأسبرطى يتأنح الى أن اعتقد الأثينيون أنه لم يعد في وسع الأسبرطيين القتال فانخفضت درجة استعدادهم للمعركة . ولكن الأسبرطيين كانوا ينوون أخذ الأسطول الأثيني على غرة وبالفعل في اليوم الخامس غادر الجنود الأثينيون السفن الى الشاطئ للاحتفاء ولتناول غذاء جيد بينما كان لوساندر الأدميرال الأسبرطى يوصد تحركاتهم فلما اطمان الى مفادرة الجنود للسفن أبحر بسرعة الى مكان السفن الأثينية وبسرعة خاطفة استولى عليها جميعا دون أدنى مقاومة ولم ينج من الماية والثمانين سفينة سوى

تسع سفن من بينها سفينة القيادة بارالوس Paralus التي كان عليها كرونون قائد الأسطول والذي لم يجرؤ على مواجهة قومه فأرسل « البارالوس » لتحمل الأبناء التبعة وقد سجل لنا المؤرخ كسينوفون Xenophon وصفا دقيقا للساعات الرهيبة التي شهدتها أثينا عقب وصول سفينة القيادة . أنها ساعات احتضار الامبراطورية الأثينية عام ٤٠٤ ق.م لقد قوبلت الأبناء بالبكاء والمويل على الضحايا والرعب من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم « لقد كانوا يفكرون في جزاء رهيب شبيه بذلك الذي كانوا يوقعونه على أعدائهم مثلما فعلوا بأهل جزيرة ميلوس كما أحسوا بأن « جيروت الانتقام » الذي كان يثير شفقتهم وهم يشاهدون مآسى الشعراء على المسرح على وشك أن يلحق بهم .

أثينا تستسلم وتقبل شروط اسبرطة :

وبوسط هذه الآلام والأحزان عقد المجلس الشعبى اجتماعا قرر فيه اقامة التحصينات واغلاق الموانى وقصر استقبال السفن وابحارها على ميناء واحد كما أمروا باقامة دوريات الحراسة على الأسوار وكان الصمود والمقاومة هو حلم الأثينيين جيمما والأمل الوحيد لنجاتهم من القتل والتعذيب والبيع في أسواق العبيد ، ولكن موقف أثينا كان ضعيفا لا أمل فيه لأن لوساندر يستطيع محاصرتها حتى الموت جوعا وبالقمل ظهر في نهاية العام في مياه خليج سارونيكوس (حول جزيرة سلاميس وفي مواجهة ميناء ييريه) بأسطول كبير للغاية وتقدم فحاصر ميناء ييريه ومنع الخروج منه أو الدخول اليه .

وفي نفس الوقت أصدر الملك باوسانياس أمرا بأن يتحرك جيش كبير لاحتلال أثينا قاده بنفسه وعسكر هذا الجيش في منطقة كانت تسمى «بالأكاديمية Academia » (١) عندئذ وجد الأثينيون أنفسهم محاصرين برا وبحرا ولم يدروا ماذا يفعلون فلا سفن ولا خلفاء ولا طعام

(١) وهو المكان الذي افتتح فيه أفلاطون مدرسته الفلسفية فيما بعد .

ولا امدادات . ونتيجة لذلك انتشرت المجاعة وظلوا يرفضون الاستسلام الى أن نفذ مخزون الغلال تماما ، عندئذ أرسلوا سفارة الى الملك ايجيس عارضين عليه قبول معاهدة صداقة يصبحون بمقتضاها حلفاء لأسبرطة على أن تبقى تحصيناتهم العسكرية وخاصة الأسوار العالية التي كانت تربط ما بين العاصمة والميناء وفي معسكر الجيش الأسبرطي قابلهم الملك وبعد أن استمع لهم اعتذر لهم قائلًا لهم أنه محدود السلطة وليس في إمكانيته تحقيق ذلك بل عليهم السفر الى أسبرطة لمقابلة الايفورات Ephors والاتفاق معهم . وبالفعل سافرت هذه السفارة الى أسبرطة ولكن شروطها قوبلت بالرفض وعادت السفارة الى العاصمة حيث كانت المجاعة قد عصرت المواطين عصراً . عندئذ تقدم رجل يدعى ثيرامينيس الى الجمعية الشعبية بمشروع بعودة الاتصال بأسبرطة وجس نبضها وبالفعل سافر ثيرامينيس على رأس وفد من الاثينيين والتقوا بالاييفورات Ephors عند مدينة سيلاسيا ولما سئل الوفد عن القصد من مجيئه أجابوا بأنهم مفوضين لعقد معاهدة السلام . عندئذ دعاهم الايفورات الى حضور مجلس حلف اليبلوبونيسوس حيث تحدث مندوبو كورثا وطيبة محرضين أسبرطة على رفض السلام وتدمير أثينا نهائياً وشاركهم في ذلك كثيرون من حلفاء أسبرطة ولكن الأسبرطيين أجابوا بأنهم لا ينوون تدمير قطعة عزيزة من بلاد هيللاس وأنهم لن يبيعوا سكانها في أسواق العبيد لأنهم قاموا بدورهم في حماية بلاد اليونان وهزموا الفرس كما أخبروا الحلفاء بأنهم راغبين في انتهاء الحرب اذا ما قبلت أثينا الشروط التالية :

(ا) أن تنكمش الامبراطورية الاثينية الى اقليم اتيكا وجزيرة سلاميس فقط .

(ب) أن تزال كل التحصينات والأسوار الدفاعية خاصة ما بين العاصمة والميناء .

(ج) أن يسلم الاثينيون أسطولهم التجارى فيما عدا اثنتا عشر سفينة .

(د) أن يسمح الاثينيون لجميع المنفيين السياسيين بالعودة .

(هـ) أن يعلن الأثينيون اعترافهم بقيادة أسبرطة على بلاد اليونان في السلم والحرب تاركين لها وحدها حرية تحديد الصديق والعدو وأن يتبعوا خطاها في البر والبحر .

كانت هذه هي الشروط التي حملها ثيرامينيس الى أثينا وعند أبواب العاصمة وقفت حشود الأثينيين في انتظاره يعلو وجوههم الخوف والتلف وأبلغ ثيرامينيس المجلس بشروط أسبرطة وتحت ضغط المجاعة التي لم تعد تحتمل وافقت الأغلبية على هذه الشروط بينما اعترض قرقليل من المتطرفين وعاد ثيرامينيس ليبلغ قرار الاستسلام الى أسبرطة في أبريل عام ٤٠٤ ق م . وعلى الفور بدأ الأثينيون في هدم الأسوار والتحصينات بحماس بالغ حيث راحت النساء تمزق لهم على النساى لتشجيعهم وأعلن حلفاء أسبرطة عن مشرق شمس الحرية على كافة أجزاء بلاد اليونان . هكذا انتهت الحروب البيلوبونيزية بسقوط الامبراطورية الأثينية .

تعليق على داي ثوكوديديس في الحرب البيلوبونيزية :

ان التاريخ الذي تركه لنا ثوكوديديس وثيقة هامة تكشف لنا كيف تحولت أثينا من أخلص الدويلات الاغريقية تمسكا بالقيم الانسانية واحترام حقوق الانسان الى أشدها قسوة وعنفا وبربرية في التصرف ليأسها من المستقبل وخوفها منه . اذ يعتقد ثوكوديديس أن خسارة أثينا في الحرب راجعة الى مخالفتها سياسة بيريكليس وانصياعها الى عواطف الحزب الديموقراطي المتطرف فاندفعت في فتوحات لا معنى لها فأرهقت نفسها وفقدت بذلك طاقة كبرى كانت في حاجة ماسة لها ابان الحرب .

كذلك يتحدث ثوكوديديس عن عامل آخر من العوامل التي سببت هزيمة أثينا وهو الصراع الدامي بين السياسيين الأثينيين وخاصة بين الجزين التقليديين، الحزب الديموقراطي والحزب الأوليجارخي - لدرجة أن كل فريق كان يعتبر انصياعه للفريق الآخر أشد العاقا بالعار من سيطرة الأجنبى عليه . كما يجب ألا ننسى ما سببه وباء الطاعون الذي حاق بالأثينيين وقضى على ما يقرب من ثلث السكان .

لقد كان حظ أثينا تمعا اذ فقدت أعظم سياسى في تاريخها ولم يمد

هناك من يحل محله ويتصرف مثله بنفس اتزانه وحكمته . لقد غاب بيريكليس عن أثينا وترك مسرح السياسة لمجموعة من الساسة المحدودي السلطة والتأثير ، راح كل منهم يصارع الآخر ، دون أن يستطع فرض شخصيته على الجميع ويمسك بزمام الأمور ويعيد توجيه دفة الدولة الى الاتجاه الصحيح وبلغ اليأس بهؤلاء السياسيين الضعفاء مبلغا لدرجة أنهم كانوا على استعداد للتجارة بمصالح البلاد طمعا في كسب تأييد الفوغاء الذين انصاعوا لجنونها وعبائنا تعلقا منهم بها بالرغم من علمهم بمدى الخطر الذي يلحقه الانصياع لأحلام الفوغاء . فمثلا تمسك كليون دباج الجلود دائما بسياسة العدوان والاستمرار في القتال وبذ فرص السلام لأنه على حد - تعبير ثوكوديديس - « كان يتصور أن الأعيه سوف تنكشف فلا يصدق الناس افتراءاته » .

ومن أعظم الفلاسفات التاريخية التي يؤكد بها ثوكوديديس قوله « الحروب تولد العنف » والعنف يولد الفوضى السياسية » ثم يستشهد على ذلك بصورة دقيقة رائعة ومعبرة لسيكلوجية مواطني جزيرة كوركيرا نتيجة للحرب الأهلية التي اجتاحتها عام ٤٢٧ ق.م (١) . كما يتحدث عن أثر الحرب على شخصية المواطن وذكر أنها ظاهرة انسانية حدثت وتحدث وستحدث دائما . وفرق بين طباع الناس وقت السلام وطباعهم أثناء الحروب ذلك أنه المحرك لسلوك الدول والأفراد في عهد السلام يكون دائما الروح النبيلة العالية نظرا لأنهم بعيدين على أن يكونوا تحت سيطرة الحاجة الملحة . ولكن الحرب معلم قاس ينتزع وسائل الرفاهية اليومية كما تطبع شخصيات المواطنين بطابع الظروف » ثم يعود فيقول : « وما أن تندلع أعمال الشغب في المدن حتى يندفع مشيروها وهم يحصلون علم الثورة قدما انى الأمام وهم مصممون على أن يفوقوا ما يروى عن الذين سبقوهم أصالة في مشروعاتهم وبشاعة

(1) A.F. Bruce ; The Corcyrean Civil war of 427 B.C., Phoenix, XXV 1971 p. 116-117 ; A. Fuks, Thucydides and the Stasis in Corcyra A.J. Phil. XCII, 1971, p. 43-55.

ومن الجدير بالذكر ان كولنجوود هاجم ثوكوديديس لاستخدامه منهج التحليل النفسى واتهمه بأنه « الرجل الذي مرق تحت أقدامه الفكر التاريخى جريا وراء اسباب ودوافع غير تاريخية » انظر :

في انتقامهم » ، ويقول « ان الروابط الحزبية أصبحت أقوى من روابط الدم » وأن السياسى كان على استعداد « أن يجرؤ على أى عمل دون أن يسأل نفسه الغرض من ذلك » .

كما يتحدث ثوكوديديس بلهجة المؤرخ الفيلسوف فيقول : « ان سبب هذه الشرور هو حب السيطرة التى تتبع من النهم والطموح ومن روح الحزبية عندما يشتبك الناس فى الصراع » ، ثم يقول « لأن زعماء الحزبين المتصارعين استخدموا شعارات براقة فحزب يعطى تمسكه بسيادة القانون بين أغلبية المواطنين بينما يتغنى الحزب الآخر بمقالاتية (واتزان) حكم الارستقراطية وبذلك تتحول مصالح الجمهور التى هى فى الأصل أسس ما يجب أن يكرسوا له أنفسهم الى جائزة يتصارعون عليها » (١) . « هكذا تمخضت الثورة عن كل أنواع النذالة فى بلاد اليونان واختفت البساطة التى هى عنصر أساسى للسلوك النبيل وأصبحت محل تهكم من قبل الناس وأصبح الميل عاما الى المنافسة القاسية وأضحت قوة الفرد تكمن فى ايماله بأن لاشئ فى مأمن عن الأخطار وعليه أن يبحث عن سلامته ولا يثق فى الآخرين ولذا أصبح الأقل ذكاء هم فى العادة الأكثر نجاحا فى الحياة » .

النظام الديموقراطى يتعرض لمؤامرة اوليجارخية :

لم يكن فقدان الأسطول الأثينى هو ضياع الاستقلال والسيادة فحسب ، بل انهيار النظام الديمقراطى من أساسه خاصة وأن شيوخ الأوليجارخية وأتباعها لم ينتهوا بعد . وما شجع دعاة الأوليجارخية هو علمهم بأن أسبرطة تحبذ قيام مثل هذا الحكم وتؤيده . وعلى أى حال فقد وجدوا المناخ مناسباً للقيام بالقلاب بالفعل استطاع زعيمان من زعماء الأوليجارخية هما كريتياس Critias وثيرامينيس (الذى كان عضواً فى حكومة الأربعماية السابقة) بمساعدة القائد الأسبرطى لوساندر من اقامة هيئة دكتاتورية تتكون من ثلاثين عضواً عرفت بمجلس الثلاثين تحت اسم اعادة النظر فى الدستور والقوانين وحكمت

(1) cf. C.H. Grayson : " Two Passages in Thucydides, Class. Quar. XXXII, 1972—p. 62-73.

حكما مطلقا يساعدها في ذلك حامية اسبرطية • وكان الارهاب والاعدام هو وسيلة الحكم الجديد مما أدى الى اعتراض ثيرامينيس على طريقة كريتياس في الارهاب مما حدا بالأخير الى اداقته وتقديبه للمحاكمة ثم اعدامه • وقد عانى الشعب الأثيني الكثير من هذا الحكم فهرب عدد كبير الى خارج البلاد اتقاء من شر هذا الحكم •

عودة النظام الديموقراطى مرة أخرى (سبتمبر عام ٤٠٣ ق م) :

ولما ازداد عدد المطرودين والمنفيين خارج أثينا تجمعوا وتمصنوا في قلعة فولبي Phylae ثم هبطوا على ميناء بيريه بقواتهم حيث دارت معركة رهيبة بينهم وبين حكومة الثلاثين الأوليجارخية وسقط كريتياس صريعا فيها وهزم أتباعه وسقط هذا النظام وأقيم مكانه « مجلس العشرة » الذى طلب على الفور تدخل أسبرطة لمساعدته ، ولما كان الملك باوسانياس الاسبرطى على غير وفاق مع لوساندر وسياسته فقد سارع بالتدخل وعزل « مجلس العشرة » و « مجلس الثلاثين » وأعلن الأمان السياسى لكافة الأثينيين وفى خلال هذا الأمان • أعيدت الديموقراطية مرة أخرى الى مهدها - أعنى الى أثينا •

وبعد تلك هى الحرب الكبرى التى أزلت أثينا من عليائها وسلبت منها سلطانها العسكرى ووضعت نهاية لتجبرها على شقيقاتها الدوليات الاغريقية عندئذ فقط بدأ الأثينيون يتمتعون عند سماع الأحلام السياسية التى كانت تثير الحمية فى قلوبهم وبدأوا فى تفضيل السلام والحضارة على الحرب والسيطرة وبدأت ملكاتهم فى العمل حتى غدت أثينا فى القرن الرابع منارة للعلم والحضارة وكعبة الفلاسفة فى كافة أنحاء المسكونة وظلت جامعة هيللاس بلا منازع حتى انتزعت مدينة الاسكندر فى مصر منها هذا الشرف •

الفصل الثالث عشر

الامبراطورية الاسبرطية (٤٠١ - ٣٧١ ق ٢٠)

باتت اسبرطة على أثينا في الحروب اليلوبونيزية • أبعدت الأخيرة الأولى عن طريقها واشتردت على مسرح السياسة الاغريقية تلعب الدور المنتظر وهو دور الامبراطور الجديد • لأنها لأول مرة أتيح لها فرصة التوسع خارج قوقمتها في اليلوبونيسوس والتعامل مع مدن اغريقية وليس مع الهلوت أو المجاورين Perœci.

والحق يقال كان سلوك اسبرطة مع خصمها أثينا مهذبا وذكيا • فقد رفضت أسبرطة بشدة طلب مثلى يويثيا وكورتا بتدمير مدينة أثينا عن آخرها وازالتها من الوجود وجادلت مينة لحلفائها فضل أثينا على الحضارة الانسانية واكتفت بتقليم أظافرها بأن أرغمت أثينا على ازالة أسوارها وتحديد أسطولها واسقاط حكومتها الديمقراطية وأرغمتها على قبول حامية اسبرطية فوق « اكروبولها » • ويرى بعض الدارسين أن اسبرطة كانت تهدف من وراء هذه الاجراءات استيعاب أثينا وجعلها رأس جربة للقوة الامبرطية في وسط البلاد اليونان ضد مخططات طيبة التي كانت تعلم بجعل اقليم يويثيا وحدة جغرافية تتحكم فيه كما تتحكم أثينا في اقليم أثينا واسبرطة في اقليم لا كويا • وحتى هذه الاجراءات لم تبق طويلا فقد ساعدت يويثيا اللاجئين الاثينيين في اسقاط دكتاتورية مجلس الثلاثين الذي أقامته اسبرطة • وفشلت اسبرطة أن تفصل شيئا بسبب العداء الشديد بين قادة اسبرطة لوساندر وباوسانياس • وانتهى الأمر بمقد معاهدة بين أثينا وباوسانياس اعترف فيها بمودة الديمقراطية وبصورة أمثل • كل هذا بين مدى تآكل حجم الانتصار الاسبرطى على أثينا • ووجود نية المقاومة عند الاثينيين •

لقد حاولت اسبرطة منذ معركة نهر الماعز ولمدة ثلاثين عاما اقامة امبراطورية شنانسة تمتد خيما وراء البيلوبونيسوس . وفي غمرة الانتصارات نسيت شعارها الذي رفعته ابان الحروب البيلوبونيزية وهو « تحرير كافة المدن الاغريقية » فاخذت تقيم حاميات عسكرية في المناطق التي استولت عليها وعلى رأس كل حامية أمر اسبرطى harmost كما راحت تسقط الحكومات الديموقراطية وتقيم مكانها حكومات رجعية اوليجارخية تتمثل في مجالس العشرة decarchy ، وبهذا ضيقت قبضتها على المدن الاغريقية عن طريق هؤلاء الاوليجارخين الذين كرههم الشعب . وولد الخوف من ثورة الشعب عليهم العنف الدموى فيهم فراحوا يتخلصون من أعدائهم بالاتصال الجسدى والنفى والتشريد لأن هذه الحكومات كانت تقوم على فساد الهارموسات الاسبرطيون أنفسهم

والربط « بعيدين عن قيود القانون » الديرجوسى « ولا رقيب عليهم فانطلقوا يعيشون في رفاهية وترف وكانهم ملوك شريقون . وكثيرا ما راحوا يوقعون بين الشعب والحكام الرجعيين بقصد ابقاء المدن الاغريقية ضعيفة ومقيدة اليدين بسبب صراعاتها الداخلية . هكذا كانت قبضة اسبرطة أعنف من قبضة أثينا على بلاد اليونان خاصة عندما راحت الامبراطورية تدر على اسبرطة آلاف تالنت كل عام ، بل أن المدن الاغريقية التى التصقت على أثينا أثناء الحروب البيلوبونيزية راحت تزح تحت وطأة الجبروت الاسبرطى وتنسئ عودا الامبراطورية الاثينية الى جانب ذلك غضبت المدن الاغريقية من اسبرطة لخياستها لقضية حرية أشقائهم فى آسيا الصغرى عندما تطلت عنهم للفرس فى صفقة سلام مع الشاهنشاه . وغلل هذا الأمر يورق بالهم غيره على الهلينية وهم يرونها تحت رحمة الاستعباد الفارسى الشرقى بسبب خيانة اسبرطة لقضية الاغريق .

والى جانب ذلك لم تتخل اسبرطة عن سياستها القديمة وهى حماية

الييلوبونيسوس والمحافظة على بقائه هادئا ولم تتوانى في اتخاذ خطوات حاسمة لزاء ذلك مثلما فعل الملك أجيس Agis عام ٤٠١ ق.م عندما قاد حملة ضد مدينة ايليس Elis لكي يعيد ايليس الى صوابها ، على حد تعبير كسينيفون .

وكان رد الفعل لسياسة استعراض القوة والعنف شديداً عند حطباء اسبرطة فقد ساد الخوف بينهم بل أن تجبر شخصية الزعيم لوساندر Lysander (١) ولدت الخوف داخل المجتمع الاسبرطي نفسه وسرعان ما دب حلاف بين اسبرطة وحلفائها فقد اعترضت كورثا وطيبة على فكرة اقامة حكومة اوليجارخية في أثينا حتى لا تصبح أثينا مغلب القط الاسبرطي ضد طيبة ، كما رفضت طيبة وكورثا الاشتراك في الحملة العسكرية الاسبرطية ضد ايليس . بل أكثر من هذا أخذتا تتعاطفان مع الحكم الديمقراطي الأثيني وتحاولان التحالف مع أثينا . وهما المدينتان اللتان طالبتا بتدميرها بعد هزيمتها في الحرب الييلوبونيزية .

كان لوساندر هو العقل المدبر وراء هذه السياسة العنيفة التي اعترض عليها الملك باوسانياس نفسه وكان يؤيده في ذلك عندد من الايفورات وبالفعل حدثت عدة قلاقل ضد حكومات العشرة في المدن الاغريقية والذي كان من تخطيط لوساندر . ووجدت اسبرطة نفسها وقد كسبت كراهية الجميع بعد أن فقدت عددا كبيرا من مؤيديها الذين أصبحوا يتعاطفون مع أعدائها . وساد الفزع على فقد الامبراطورية التي تدر عليها آلف تالت سنويا فصارعت اسبرطة الى توريطة الفرس في القضية بالصدقة حينما وبالعداء حينما آخرو . كانت الصداقة الفارسية الاسبرطية تقوم على رجلين صديقين هما لوساندر والأمير قورش Kyrus كان لوساندر ذا شخصية وقووذ في اسبرطة بالرغم من أنه لم يكن ملكا . بل كان صانع الملوك فعندما مات الملك أجيس عام ٣٩٩ ق.م اعترض على تنصيب ابنه الأكبر بحجة الشك في بنوته واستطاع بنفوذه أن يقيم

(١) عن لوساندر انظر الدراسات الآتية :

C.D. Hamilton Spartan Politics and policy, 405-401 B.C. Andrews.
Tow Notes on Lysander, Phoenix, XXV 1971, p. 206-226.

أجيسلاؤس 'Agésilaoz' وهو أخ غير شقيق لولى العرش ، أما قورش فكان أميراً ذا طموح يسنى أن يجلس على عرش فارس وكان يطمح أن تساعد أسبرطة في ذلك مستقبلاً . وعندما بدأ النزاع بين الأمير قورش وأخيه الأكبر الملك ارتاكسيركسيس Artaxerxes أخذ الأمير الأصغر في اعداد حملة عسكرية من الاغريق المرتزقة للاطاحة بحكم أخيه ولم تتردد أسبرطة في مساعدته فالمعركة بالنسبة لها هي معركة بين يريرى ويريرى وأن ضحاياها سيكونون من البرابرة أيضاً وعلى أرض بعيدة عن أراضي بلاد الاغريق ، بل انها تمت أن ينجح قورش الصديق ، في خطته . ولكنها كانت تعرف أن هزيمة قورش يعنى فقدان صداقة بلاد الفرس وبداية الصراع معها .

قورش ورحلة العشرة آلاف مرتزق من الاغريق :

وكما قلنا ، بعد موت الملك دارا الثانى خلفه على العرش ابنه الأكبر ارتاكسيركسيس ولكن حدث أن دب العداء بين الأخ الأكبر وأخيه الأصغر قورش والذي كان «سترابا» على آسيا الصغرى . وأخذ قورش يدبر المكائد للاطاحة بأخيه والجلوس على العرش مكانه . ومن أجل ذلك استطاع أن يجند جيشاً من المرتزقة الاغريق تحت قيادة أسبرطى اسمه كليارخوس وقد بلغ تعداد جيش قورش عندما سار به الى سوسا - عاصمة بلاد الفرس - ما يقرب من مائة ألف جندي من الشرق وثلاثة عشر ألف اغريقى مرتزق منهم عشرة آلاف وستماية جندي مشاة hoplites هم الذين أطلق اسمهم على المغامرة .

تترك هذا الجند في ربيع عام ٤٠١ ق.م وأخفى قورش على الجنود هدف الرحلة الا من قائدها كليارخوس . وقيل للجنود أن هدف الحملة هو منطقة بيسيديا Pisidia في آسيا الصغرى وقد انطلقت هذه الأكذوبة حتى على اكسينوفون Xenophon الأديب والمؤرخ وأحد الفرسان الإثنيين من تلامذة الحكيم سقراط . والذي بفضل اشتراكه في الحملة استطعنا أن نتعرف على تفاصيلها يوماً بيوم وذلك لأن اكسينوفون سجل

يومياتها في كتابه الشهير الصعود *Anabasis* أى السير الى أعالي الشرق داخل قلب آسيا الصغرى والى قلب الامبراطورية الفارسية فيها وراء دجلة والفرات .

تصركت الجيوش من تجمعها في سارديس *Sardis* في آسيا الصغرى ولم توجه الى يسيديا بل اتجهت شمالا ثم شرقا عبر ولاية كيليكيا *Cilicia* ومنها الى ميناء طرسوس وهناك عرف الجنود أنهم متجهون الى بلاد الفرس وساروا الى داخلها لمدة ثلاثة أشهر بعد تركهم شاطئ البحر . وعند ايسوس *Issos* وجد قورش أسطولا مجهزا ومعدا له وعليه سبعماية جندي أرسلتهم أسيرة للأمير . وساروا عبر سوريا شرقا الى نهر دجلة حيث عبروا الى قلب الصحراء التى ساروا فيها لمدة اثني عشرة يوما حتى أشرفوا على بابل .

ولما علم ارتاكركسيس بتقدم أخيه أعد جيشا لملاقاته قوامه أربعماية ألف رجل وأخذ يقيم التحصينات والعوائق عبر بابل ولكن جيوش قورش عبرتها . وعند مشارف قرية كوناكسا *Cunaxa* التقى جيشا ارتاكركسيس وقورش . وكان الأخير يعلم طباع الشرق بأنه فى حالة قتله للملك فان جيوش أخيه سوف تعلن الولاء له ولذا طلب من كليارخوس تشديد الحراسة حوله ولكن كليارخوس المتحذلق رفض ولم يشأ قورش أن يثير الخلاف بينه وبين الاغريق الذين فاتهم أن حياة قورش تعنى لهم الكثير . ولما بدأ الالتحام أنزل الاغريق الرعب فى قلوب الفرس بينما اندفع قورش ومعه ستماية فارس لمهاجمة قلب دفاع الملك الذى كان يترصد أخاه وغريمه واندفع قورش غير مبال وهم يهاجم أخاه ولكنه أصيب بسهم قاتل وسقط صريحا ولما أشيع نبأ مقتل قورش تمزقت القوات الشرقية أما القوة الاغريقية فقد انسحبت الى خيائها حيث وجدتھا قد نهبت وأحرقت . ولكنها حافظت على نظامها وأبدت رباطة جأش منقطعة النظير فى وجه هذه المحنة القاسية وهى فى قلب قارة معادية ووسط متاهات جبلية لا يعرفون مغرجا وبالرغم من ذلك فقد

رفضوا دعوة ارتاكسيركسيس لهم بالاستسلام. عندئذ لجأ الملك الفارسي الى سلاح الخديعة فأوعز الى أحد ولاته واسمه تسافرنيس Tissaphernes أن يعرض على الجيش الاغريقى تزويده بالثؤنة وقيادته عبر الصحراء والجبال عبر طريق أقصر من ذلك الطريق الذى جاءوا منه. وساروا خلفه حيث عبروا بابل الى قلب ميديا (بلاد الفرس القديمة) ثم عبروا نهر الزاب الأصفر والزاب الأكبر فى سلام ، وفجأة دعى تسافرنيس قادة الجيش الخمسة الى خيمته بصحبة التشاور ولما فعلوا ذلك قبض عليهم وأرسلهم الى سوسا عاصمة الملك ليحاكموا ويمدوا . وكان تسافرنيس يعتقد أنه بفعلته هذه سيجعل باقى أفراد الجيش يستسلمون . ولكن الجنود ازدادوا عناداً وعقدوا اجتماعاً حيث وقف أكسينوفون يخطب فيهم ليرفع من روحهم المعنوية وعلى أثر ذلك اختاروه قائداً لهم ليقودهم فى عودتهم وكان أكسينوفون قد انضم الى هذه الحملة كجندى متطوع . وسار أكسينوفون بهم شمالا مخترباً صحارى وجبال ووديان وعبر بهم أنهار وهو يواجه الأخطار من القبائل المعادية ويسجل يوميات هذه المغامرة الخطرة ولهذا جاء كتابه الصمود *Anabasis* سجلاً حافلاً بالشجاعة والمغامرة والنظام والتصرف العاقل فى مواجهة الأخطار . انها ملحمة الألم والشجاعة « وأوديسا » واقعية .

وما أن حل شهر ديسمبر ببرده وثلوجه حتى كانوا على مشارف أرمينيا واستمروا فى اتجاه الشمال عبر الجبال المغطاة بالثلوج وقد نال منهم الجوع والبرد والارهاق كثيراً حتى علموا أنهم يقتربون من البحر الأسود . وأخيراً سمع أكسينوفون صياحاً من طلائع القافلة التى كانت تستكشف الطريق من فوق صخرة فظن أن خطراً يلاحقهم فلما صعد اليهم سمعهم يهللون بجنون ثالاسا ! ثالاسا ! *Thalassa ! Thalassa* أى البحر ! البحر ! وبعد مسيرة أيام وصلوا الى مدينة تراپيزوس *Trapezus* على البحر الأسود وكان ذلك فى ربيع عام ٤٠٠ ق.م . وهى مدينة اغريقية . وهناك استراحوا شهراً وقدموا الأصحاب وأقاموا مهرجانات رياضية على شرف زيوس المنقذ ثم سافروا بحراً الى مدينة يزنطة وهناك هرق الجنود الذين كان عددهم قد تناقص الى ستة آلاف جندى ولكن

الغالبية العظمى منهم وجدت نفسها رفاق سلاح ولا يريدون التفرق بل البحث عن مغامرة جديدة ، فانضموا تحت قيادة قائد أسبرطى للعمل في خدمة أحد أمراء تساليا ولكنه خدعهم في أجورهم فتركوه . ولما قامت الحرب بين بلاد الفرس وأسبرطة قررت أسبرطة الاستفادة من خبرة هذه الفرقة . وبالفعل قبلوا العمل بعد أن قبضوا مرتباتهم مقدما وسافروا مع الجيش الأسبرطى في حملته ضد بلاد الفرس عام ٣٩٩ ومعهم أكسينوفون أيضا . وأخيرا عاد أكسينوفون الى بلده الحبيبة أثينا بعد أن جمع مالا وفيرا ولكنه حزن كثيرا لأنه علم بموت معلمه وسيد سقراط . ولم تستقبله أثينا بالترحاب بل بالغضب لأنها كانت في ذلك الوقت متحالفة مع بلاد الفرس ضد أسبرطة ولهذا حكمت عليه بالنفى فاختر أن يذهب طواعية الى أسبرطة حيث اشترك مع الجيش الأسبرطى في عدة حروب ضد بيوتيا وأثينا وأخيرا اختار قرية هادثة بالقرب من أوليميا ليستقر بها حيث قدم له الأسبرطيون بيتا ريفيا وزوجة لخدمته . وهناك انعكف أكسينوفون على الكتابة في الأدب والتاريخ حتى صودرت مزرعته بعد عام ٣٧١ ، فهاجر الى كورثا وبقي فيها حتى مات حوالي عام ٣٥٤ ق م .

ويعرف الدارسون للأدب الاغريقى مكانة أكسينوفون كأديب متنوع القدرات ، فضلا عن ذلك فهو يكتب بأسلوب سهل مبسط وبالرغم من هذا فلم ينقصه الخيال الذى يصطنع المواقف ويحسم الشخصيات . وإلى جانب ذلك كان أكسينوفون فيلسوفا هاويا ، مؤرخا وخيرا في الاقتصاد حيث له أبحاث في هذا المجال ، كذلك كان أكسينوفون كان فارسا مغوارا وجنديا بارعا بفنون العسكرية . ولكن كان في كتاباته يميل الى الاتجاه الأخلاقى والتربوى وأثر ذلك على الفرد بل ويقدم حلولاً وعلاجا لمشاكل الأخلاق والمجتمع والاقتصاد ولكنه يكرر أفكاره مرات ومرات حتى تكاد أن تصبح ثقيلة على النفس .

والى جانب رحلة الصفوة Anabasis كتب إكسينوفون مؤثفا آخر هو هليلنيكا Hellenica (١) فى سبع مجلدات بدأها من حيث انتهى ثوكوديديس تاريخه عام ٤١١ حتى عودة الديوقراطية مرة أخرى على يد ثراسيبولون ويستمر فى تسجيل هويلات الأحداث حتى موقعة ماتينيا عام ٣٦٢ ق م حيث اشترك فيها ولداه فى صفوف الجيش الأثينى ضد ملية وسقط فيها أكبر أبنائه كما روى فى مؤلف آخر اسمه «تربية قورش» Kyropaedela الذى كرسه لدراسة ونسبته وتربية مؤسس الامبراطورية الفارسية وهى ملحمة رومانسية ومياسيسية وفلسفية كتبها فى ثمان مجلدات ومن أعماله الكبرى أيضا مذكراته عن سقراط ودفاعه عن أفكاره وهى تعرف باسم Memorable أو الذكريات هذا الى جانب العديد من الأبحاث الصغيرة التى شملت عدة موضوعات متفرقة أهمها المأدبة Symposium وهى تدور حول مجاورات سقراط والاقتصاد أو الايكونوميكوس Oeconomicus. وفيها يعرض آراء سقراط فى مجال الزراعة.

وكما سبق القول يعتبر أسلوبه أرقى المؤلفات الاغريقية الاثينية حيث لا يخلو من التشبيهات والألفاظ الجديدة والشاعرية انتشارا بخكم رحلاته وإقامته فى بلاد مختلفة. كما أنه استعار الكثير من كتابات من سبقوه خاصة فيما كتبه عن أفكار سقراط ولعل إعجابه بالشخصية الاسبرطية ودفاعه عنها يشرح وبين طبيعته العملية الواقعية التى تتجلى فى كتاباته خاصة فى الهليلنيكا.

وعلى أى حال فقد أثار مؤلفه «الافاباسيس» خيال المنامرين وخابق فى قلوب العسكريين والسياسيين آمالا رومانسية لغزو فارس. اذ لم تفض سنوات حتى كان الملك الاسبرطى أجيسلاوس يقوم بحملة عسكرية الى قلب بلاد الترس باءت بالفشل ثم أعد فيليب الخامس ملك مقدونيا حملة مشابهة من كل الاغريق ولكنه قتل قبل أن يقوم بها والتى القدر اتسام هذا الحلم الرومانى على أكتاف الاسكندر الأكبر.

(1) K : Bringman, "Xenophon's Hellenica und Agesilaos zu ihren Entstehungsweise und Dichtung, Gymnasium, LXXVIII (1972) pp. 224-241.

توتر العلاقات بين الفرس واسبرطة واندلاع الحرب :

كانت المدن الاغريقية في آسيا الصغرى قد استغلت اندلاع الصراع بين أرتاكسيركسيس الثاني وأخيه قورش ، خاصة بعد أن ارتفعت روحها المعنوية وهي ترى الأمير الثائر يعتمد على أشقائهم الاغريق في محاربة أخيه . فأعلنت الثورة ضد السلطة الفارسية ووجدت والى آسيا الصغرى ، الجديد تسافرين صعوبة شاقة في القضاء على ثوراتها وهو يعيها بالقوة الى حوزة الامبراطورية الفارسية كما أن العلاقات بين الفرس واسبرطة كانت قد نمت نتيجة لتأييد أسبرطة العسكري لقورش بإرسال سبعماية جندي لمساندته ، وبعد مقتل قورش أحس الملك أكسيركسيس بمرارة شديدة ازاء الاغريق عامة والاسبرطيين خاصة .

وأدركت أسبرطة أن الحرب بينها وبين الفرس قادمة لا محالة . فأثرت أن تأخذ المبادرة فتذكر فجأة في عام ٤٠٠ ق.م الشعار القديم وهو حق المدن الاغريقية في التمتع بالحرية والاستقلال ، فتلجى نداء اغريق آسيا الصغرى الذين راحوا يطلبون النجدة ضد سياسة القمع الفارسية . كما أن السياسيين الاسبرطيين كانوا ينظرون بتلهف شديد الى نهج مدن آسيا الصغرى الغنية والى تحقيق حلم مناصر في فتح بلاد الفرس نفسها . وتحركت قوة اسبرطية الى آسيا الصغرى بقيادة ديركوليديس Dercyllides ضمت اليها بقايا الجنود المرتزقة الذين حاربوا مع قورش . ولما وجد القائد الاسبرطى صعوبة في تحقيق هذا الحلم حاول استخدام قواته في الضغط على الملك الفارسى لقبول معاهدة سلام يعترف فيها باستقلال المدن الأيونية وبالفعل : سل قائد الحملة الى الملك في عاصته صوصا . وبناء على نصيحة وزيره فارنازابزوس Pharnabazus رفض الملك مثل هذا الاقتراح ، كما أشار الوزير على الملك باستخدام الأسطول في الحرب ونجح الفرس في تجنيد القائد الاثيني كونون Conon الذي كان قد فر الى فارس بعد تدمير أسطوله في معركة نهر الماعز لأن الفرس كانوا يدركون مدى تحرق كونون لفصل الاهانة المرة التي لحقت به وتحفزوه للانتقام من الأسطول الاسبرطى . وبالفعل عينه

الفرس قائدا للأسطول الفارسي الذي كان يتركز عند شواطئ فينيقية ولا يقل عن ٣٠٠ سفينة حربية .

في هذه الأثناء كان الملك آجيس قد مات في أسبرطة واستطاع لوساندر أن يدفع بالأمير أجيسلاؤس الى كرسى العرش بدلا من المستحق الشرعى « ليوتوخيداس » وربما كان لوساندر على حق لأن هذه الشخصية كانت قادرة على تحقيق الكثير لاسبرطة فقد كان الملك أجيسلاؤس ذكيا وهادئا، مفكرا ورزينا الى جانب ما اتصف به من شجاعة. ولكن اعتراض الاسبرطيين الوحيد عليه كان بسبب نبوة قديمة تحذرهم من ملك أعرج. ولم يكن ذلك عيبا ولكن العيب هو الفرور الشديد والطموح القاتل الذى اتصف به هذا الملك والذى يظهر فى تليفه الشديد لرأس الحملة العسكرية ضد الفرس (١) اذ كان يتخيل نفسه وهو يسير الى المعركة وكأنه أجاممنون وهو يقود الاغريق ضد طرواده . وسار الى ميدان القتال فى آسيا الصغرى ومعه قوة من الاسبرطيين الجدد neodamones تقدر بالآلوفين من الجنود كما كان يرافقه مجلس استشارى عسكري مكون من ثلاثين خبيرا على رأسهم لوساندر نفسه . ووصلت الحملة الى آسيا الصغرى عام ٣٩٦ ق.م ولكن حدث خلاف على اصدار الأوامر بين الملك ولوساندر مما اضطر الأخير أن ينسحب فى دبلوماسية رقيقة بأن طلب من الملك ارساله على رأس حملة اسبرطية لتأمين منطقة بحر مرمرة والبحر الأسود حيث حقق بالفعل الكثير لاسبرطة فى هذه المنطقة . أما الملك أجيسلاؤس فقد حقق عدة انتصارات ضد فريجيا وأحضر أسلحا كثيرة الى مدينة أفيوسوس Ephesus كما ألحق بتسافريس وبقواته خسائر فادحة مما دعى الفرس الى عزل هذا الوالى وارسال والى

(١) جدير بالذكر أن هذا الملك قام بحملة الى وادى النيل عام ٣٦١ ق.م لمساعدة الملك المصرى تاخوس فى حملته ضد فينيقية الفارسية ولكن الخلاف دب بينهما ولما برز نخبائو كمدعى لعرش مصر سارع أجيسلاموس لتأييده وهكذا تحولت حملته عن هدفها الأساسى وهو طرد الفرس من مصر الى التدخل فى الصراع على العرش . كما أن المصريين استمعوا لكونه أعرجا .

جديد هو ثراوستيس Tihraustes وكان هذا الأخير أكثر تعقلا فأخذ
ينسعى للسلام وعرض على أجيسلاؤس اقتراحا بمقد معاهدة سلام تنسج
فيها المدن الأيونية استقلالها مقابل دفع الجزية المالية للفرس ومقابل
انسحاب الأسبرطيين من آسيا الصغرى ولما لم يكن من حق الملك
الأسبرطي عقد أى معاهدة دون أخذ رأى الأيونات فقد عقد هذه لمدة
سنة أشهر وأرسل صيغة السلام إلى وطنه منتظرا جوابا . في أثناء فترة
الانتظار راح يكيل الضربات ضد ولاية فرجيا Phrygia حتى أجبر
ملكها على أن يجثوا على قدميه طالبا السلام .

وفي منتصف صيف عام ٣٩٤ ق.م ظهر أسطول كوثون بالقرب من
شواطئ آسيا الصغرى يحوم منتظرا الانقضاض على الأسبرطيين وبلغ
من حقد فارنا بازوس على الأسبرطيين أن انضم إلى قيادة هذا الأسطول .
ولما علم أجيسلاؤس أنه أسطولا كبيرا يفوق أسطول كوثون ولكن
أخطأ عندما عين ضوره يساندر Pisander قائدا عليه وهو يجهل حروب
البحر . واندفع يساندر للقاء كوثون قرب مدينة كيندوس Cindus
ولكن كوثون تمكن من إيقاعه في الشرك ودمر أسطوله وقتله واستولى
على ما تبقى من سفنه .

وما أن علمت المدن الأيونية نبأ هذه الهزيمة حتى قارب ضد
الخاميات الأسبرطية وطردت الهارموسات وأعلنت ولاءها للفرس لأنها
كانت تعلم أن هزيمة كيندوس قد كسرت ظهر أسبرطة وأنه التخلخل
بدأ يدب في إمبراطوريتها وأن تعقل الحكم الفارسي أفضل من رعبونة
الأسبرطيين .

اندلاع الصراع بين أسبرطة وحلفائها في اليلوبونيسوس (٣٩٥ ق.م) :
وبينا كان أجيسلاؤس يحلم بمعارك وانتصارات جديدة ضد بلاد
الفرس اندلعت حركات التمرد ضد أسبرطة داخل عتق دارها في
أيلوبونيسوس . وكانت جذور هذا التمرد تمتد إلى أيام انتصار أسبرطة
على أثينا في الحروب اليلوبونيزية فقد احتفظت أسبرطة لنفسها بكل
ثمار النصر ، وأخذت تعامل حلفاءها باستعلاء وابتحار . وتسلك معهم
سلوكا مهينا قاسيا مثلما فعل الملك آجيس مع أهل مدينة أيليس عندما

دخل مدينتهم ونهب أرضهم وفرض عليهم شروطاً مهيبة كما طرد أخفاد
اللاجئين المسيحيين من مستعمرتهم في فاو باكتوس وكيفالينا .

ووجد الفرس فرصة لفتح جبهة جديدة ضد الاسبرطيين بتشجيع
الشرذمة وتأييد المدن الاغريقية ضد اسبرطة ومن أجل ذلك أرسل الفرس
عميلا لهم من جزيرة رودس اسمه تيموكراتيس Timocrates راح
يطوف بالمدن الاغريقية في أرجوس وكورنثا ولبية يحرضها على الثورة .
وكانت طيبة بالذات تثير شكوك اسبرطة نظراً لاتباعها سياسة توحيد
اقليم بيوتيا تحت زعامتها ، وبدأ الصراع بتزاع على الحدود بين مدينتي
فوكيس Phocis ولوكريس Locris وأيدت اسبرطة الاولى فما كان
من لوكريس الا أنها طلبت من طيبة المعونة . ولم تردد طيبة في ذلك
لأنها كانت تعلم مدى اقشغال الجيش الاسبرطى في بلاد الفرس .
وهددت طيبة بغزو البيلوبونيسوس وعقدت معاهدة صداقة مع الحلف
الاثينى . أما الاسبرطيون فقد ركبهم الغرور وظنوا أنها فرصة نادرة
وهي قمع الثورة داخل البيلوبونيسوس والقضاء على خطر طيبة ووضع
الاسبرطيون خطة هي أن يطبق الجيش على طيبة من الشمال بقيادة لوساندر
ومن الجنوب بقيادة باوسانياس وتكون مدينة هاليارتوس Haliartus *
هي نقطة الالتقاء . ولكن الملك باوسانياس تأخر في الوصول وتقدم لوساندر
وحده ومن ثم أخذت قواته على غرة وسقط صريحا . وفي فئداته بنيت
اسبرطة بأكبر خسارة ، ولما وصل باوسانياس وجد أن خطته قد فشلت
وحاول استرداد جثة الزعيم الاسبرطى . وفي نفس الوقت وصلت القوات
الاثينية لمساعدة طيبة بقيادة ثراسيولوس Thrasybulus وآثر باوسانياس
السلام فمقد معاهدة انسحب بمقتضاها من بيوتيا ولم يذهب باوسانياس
الى اسبرطة لأنه كان يعلم بالذى ينتظره هناك بل ذهب الى المنفى
في تيجيا من تلقاء نفسه .

* وهي مدينة صغيرة في وسط اقليم بيوتيا تطل على بحيرة كوبايس

Copais

كورنثا تثور على أسبرطة (الحروب الكورنثية) :

وفي عام ٣٩٤ ق.م . احتل المتحالفون الاغريق باقتصارهم على أسبرطة وتجمعوا حول أثينا مركز هذا التحالف المضاد والذي اليه انضمت كثير من المدن اليلوبوليسية أهمها كورنثا وطيبة وأرجوس . وكانت كورنثا أكثر المتحالفين تحمسا لاستمرار الحرب ضد أسبرطة وتحريضاً على غزوها وتدميرها عن آخرها حين طلب مثلها القيام بحملة عسكرية مشتركة « لحرق الزناير وهي في عشائها » (١) ويرجع السبب في اشتعال الحروب الكورنثية الى مؤامرات طيبة ضد أسبرطة في بلاد اليونان الوسطى ، يساعدها في ذلك تحريض الفرس بالرشوة والمال لاجداث الثورة ضد أسبرطة رداً على مساعدتهم للأمير قورش ولابعاد أجيسلاؤس عن آسيا الصغرى . وراحت أسبرطة تدافع عن زعامتها لبلاد اليونان بأن مساعدتها لقورش كان دافعها مصلحة المدن الأيونية الموجودة في آسيا الصغرى ولكن مثل هذا الادعاء كاذب لأن أسبرطة لم تكن تعنى كثيراً بقضية الحرية في بلاد اليونان اذ لم يمر ثلاث سنوات حتى لجدها تباع استقلال المدن الأيونية في آسيا الصغرى مقابل صفقة مع بلاد الفرس . وهذا التذبذب بين الظهور كمدافع عن المدن الأيونية وبين بيع قضيتهم للفرس هو بمثابة الاتهام الرئيسي الذي يمكن أن يوجه الى السياسة الأسبرطية .

كذلك فإن هناك من يلقي اللوم على أسبرطة في مسئولية قيام الحروب الكورنثية ويقولون أن مدينة فوكيس حليفة أسبرطة هي التي بدأت بالعدوان . حتى اكسينوفون نفسه وهو المتعاطف مع الأسبرطيين لا يخفى سرور وابتهاج الأسبرطيين بهذه الحرب أملاً في معاقبة طيبة التي كانت تثير شكوكهم بمحاولة توحيد اقليم بيوتيا تحت زعامتها . ومن ثم يمكن أن تتم الأسبرطيين بالفرور المطلق الذي أفقدهم توازنهم فنسوا الحدود التي يجب أن يتوقفوا عندها وهي اليلوبوليسوس فقط . لأن أقصى الطاقة الأسبرطية يتوازن مع السيطرة على اليلوبوليسوس ،

(1) cf. C.H.D. Hamilton, 'The Politics of revolution in Corinth', 395-386, *Historia*, XXI, 1972, P. 21-27.

أما الانتشار الى مناطق توسعية فيما وراء اليبلوبونيسوس فإن في ذلك اختلال بالتوازن بين القدرة والسيطرة . وهذا الشيء هو الذي أدى الى هزيمتها فيما بعد .

لم ينتظر الاسبرطيون حتى يهاجمهم التحالفون الاغريق فأرسلوا جيشا في عام ٣١٤ ق . م ، الى كورثا التي دارت حولها المعارك حقق فيها الاسبرطيون انتصارات سياسية، اذ كسرت القيود وأ. ولم ينس الاسبرطيون خطر قدومه لمحاربة بيوتيا وتركه الجديد « أن يغادر أرض ا الى بيوتيا مخترقا ثراكيا ومة اجيسلاؤس بجموع الجيوش الوطيس سجل لنا اكيب اجيسلاؤس . وأخيرا حقق اذ بلاده لأنه أدرك عدم جدوى هزيمه اهل بيته .

وفي هذه الأثناء كان كونون وفارثابازوس يقومان بهجمات بحرية ضد الأراضي الأسبرطية على شواطئ اليبلوبونيسوس تشجيعا للثورة ضد أسبرطة . وفي النهاية أهدى فارثابازوس الأسطول الى كونون وطلب منه العودة الى أثينا للمساعدة في بناء قوتها البحرية واعادة بناء الأسوار بين أثينا وميناء بيريه والتي كانت أسبرطة قد أمرت بهدمها بعد هزيمة أثينا في الحروب اليبلوبونيزية . هكذا كان كونون أول من أعاد بناء الأسوار منذ أن بناها سلفه القديم ثيمستوكليس ، أنه من باب السخرية أن يساعد الفرس أثينا في بناء أسوار بنيت أساسا لحماية المدينة منهم . وسرعان ما أحيا قيام الأسوار الحنين في نفوس الاثينيين الى المجد القديم واهياء الامبراطورية ولكن هدف الفرس لم يكن مساعدة أثينا بقدر ما كان هزيمة أسبرطة واحداث فتنة تشغلهم عن آسيا الصغرى .

تركزت معارك الجولة الأخيرة بين أسبرطة من ناحية وحلفائها الثائرين عليها من ناحية أخرى حول كورثا، وكانت كورثا قد حصنت

مينائيا الشرقى والغربى وأقامت أسوار بين المدينة وبين هذين المينائين وأصبحت بذلك تسيطر على الخليج المعروف باسمها ، أما الانبرطيون الذين جعلوا قيادتهم فى سيكيون Sicyon فقد حاولوا تدمير تحصينات كورنثة ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين بنفيل فرقة من المرتزة والمسلحين بأسلحة خفيفة Pelastes والتي كان يقودها ايفيكرا تيس Iphicrates الأيئى . ولقد ثبت فى هذه المعارك مدى كفاءة الجنود المسلحين بأسلحة خفيفة وهجومهم على الجنود المسلحين بأسلحة ثقيلة Hoplites حيث تمكنوا من التسلل الى خلف خطوط الاسبرطيين والقضاء على فرقة كاملة منهم فضلا عن أعمالها الخائفة النسيبة بحرب العصابات التى ألحقت الكثير بالجيش الاسبرطى فاضطر الملك أجيسلاؤوس الى الانسحاب ليلا عائدا الى انيزطة بينما أكلت فرقة ايفيكرا تيس بحريه باقى مدن طيبة . حدث هذا فى الوقت الذى كانت فيه القوات الأيئيه قد حققت نجاحا كبيرا فى منطقة البحر الأسود حيث انقسم اليها خلفاؤها السابقون مثل مدينة بيزطة وجزيرة ثاسوس ومدن شبه جزيرة القرم Chersonese وخالكيدون ولسوس وثاموسراكى وراج أسطولها يجمع المساهبات المالية للإمبراطورية الجديدة . وكان يمكن أن تستعيد أثينا كثير من مساعدات بلاد الفرس لولا حدوث أزمة مفاجئة بينهما بسبب تأييد أثينا لافاجوراس حاكم قبرص والذي انشق عن الامبراطورية الفارسية .

أسبرطة تنهى لعودة السلام مع الفرس وعقد «سلام» الملك عام ٢٨٧ ق م :

لجأت أسبرطة الى التحالف مع ديمفيسيون بأغية سيراكوزه بصقلية حيث أدها بأسطول قوامه عشرين سفينة ومن ناحية أخرى أدركت أسبرطة عدم جدوى تحدى دولة الفرس ولذا لجأت الى سياستها القديمة وهو التصالح مع الفرس واقامة صداقة معهم واستخدام هذه الصداقة فى اخضاع المدن الاغريقية وان كان ذلك على حساب بيع حرية أغريق آسيا الصغرى للفرس . وما كان من السهل اقناع

أرتاكسيسز كسينيس (١) بعودة العلاقات مع الاسبرطيين لولا مجهودات الدبلوماسي الاسبرطي البارع انتالكيداس Antalcidas . حيث توصل مع الملك الى صيغة سلام يفرض بالقوة على كافة المدن الاغريقية وتكون اسبرطة مسئولة عن تطبيق نصوصه . وقبلت أثينا مجبرة هذا الصلح حيث دعى الى سارديس ممثلو الأطراف المتحاربة ثم قرأ تيريبازوس Tisibazus عليهم قرار الملك بعد أن أراهم خاتمه موضوعاً على هذه القرارات وجاء في هذا القرار المعروف بسلام الملك « أن الملك ارتاكسيسز كسينيس يرى أنه من العدل أن يقول له مدن آسيا الصغرى وجزيرتي قبرص وكلازوميناى (٢) وفيما عدا ذلك تصبح كل المدن الاغريقية كبرها وصغيرها حرة مستقلة باستثناء جزر المنوس وامبروس وبكوروس التي كانت تابعة للآثينيين منذ زمن سابق ومن يرفض هذا السلام فسوف أحاربه جنباً الى جنب مع الذين لهم نفس الهدف (ويعنى الاسبرطيين) في البر والبحر والسمك وبالمال » .

هكذا باعلان اهذا «السلام المقروض» فقدت أثينا كل مجهوداتها لاستعادة امبراطورتها القديمة كما زاد غضب الاغريق لخيانة اسبرطة لأشقائهم في آسيا الصغرى بأن يصبح الاغريق تحت تحكم الملك الفارسي يطبق عليهم شروطه كما يريد وسرعان ما انتشر العداء والسخط تجاه اسبرطة لأنها هي التي سمت التي عقد هذا الصلح بل أنها أقامت من نفسها وصية على مراعاة نصوصه من أجل التحكم في المدن الاغريقية .

اسبرطة تسعى بحالة المدن الاغريقية :

استئملت اسبرطة وضعبا الجديد وصداقة الملك الفارسي وراحت ترتكب حساكات ضد المدن والتحالفات الاغريقية سالكة أسلوباً استبدادياً ، فكان استقلال المدن الاغريقية عندها يعنى التفكك ومحاربة أى اتجاه للاتحاد ، وكان أول اسطدام لها مع حلف أولينثوس Olynthos الذي تكون من

(١) ويعرف في المصادر الفارسية باسم الملك ارتاخشاشا الاول

(٢٤٤ - ٤٢٤) .

(1) Merkelbach, Das attische-Dekret Für Klazomenai aus Jahr 287, Zeitsch. Für Papyr. und Epigr., XX, 1970, p. 32-36.

تجالف المدن الواقعة في شبه جزيرة خالكيدىكى وانضمت اليه معظم المدن الواقعة هناك فيما عدا مدينتا أبوللونيا وأكانثوس Acanthus اللتان قاومتا أولينثوس وطلبتا العون من اسبرطة . وفي نفس الوقت استغلت اسبرطة الصراع الذي نشأ بين ملك مقدونيا أمونتاس Amyntas وبين جلف أولينثوس بسبب مطالبة الأخير برد أراضي كان قد أعطها للحلف . ولم تتوانى اسبرطة في تلبية المعونة وأرسلت حملة بقيادة فويبيداس Phoebidas عبرت اقليم بؤتيا في طريقها الى مقدونيا وبعد معارك طاحنة عزمت اسبرطة أولينثوس وأجبرتها على حل الحلف الذي كانت قد أقامته وأن تلتزم باتفاقية عام ٣٨٧ ق م . كذلك اتبعت اسبرطة نفس السياسة داخل البيلوبونيسوس حيث أمرت مدينة ماتينيا Mantinea بإزالة حصونها ولما رفضت حاصرتها القوات الاسبرطية حتى سقطت وحولتها الى خمسة قرى منفصلة مثلما كانت عام ٥٠٠ ق م . ولم يتوقف الطغيان الاسبرطى عند هذا الحد بل راحت ترغم المدن على قبول العملاء الموالين لاسبرطة وتقيم الحكومات العييلة لها وتفرض على المدن حماياتها . وكانت بالطبع تستغل في ذلك صداقتها للملك الفارسي ولديونيسيوس طاغية سيراكوزة مما زاد من حقد المدن الاغريقية عليها حتى أن اكسينوفون المتعاطف معها وصف هزيمتها فيما بعد على يد طيبة « بأنه جزاءها على ما اقترفته في حق المدن الاغريقية » .

مؤامرة اسبرطة ضد طيبة (٢٨٢ ق م) :

وبينما كان القائد الاسبرطى فويبيداس Phoebidas يخترق بيوتيا في طريقه الى مقدونيا اتصل به مجموعة من المتآمرين من أنصار اسبرطة في طيبة بقيادة رجل اسمه ليونتيداس Leontidas من أجل احداث انقلاب أوليجارخى للاستيلاء على الحكم والتخلص من الحزب الديموقراطى الجاكيم . وسهل المتآمرون للقائد الاسبرطى مهمة احتلال قلعة كادمية Cadmea التي تسيطر على طيبة ، واختير يوم عيد النساء Thesmophoria حيث تخلى القلعة من الرجال تماما حسب شعائر هذا العيد الدينى ولا يبقى فيها غير النساء وبالفعل وجد أهل طيبة حامية اسبرطية تحتل فجأة القلعة دون

مقاومة أو ارافة دماء وأقام المتآمرون حكومتهم الموالية لاسبطة وهي شبه دكتاتورية معتمدين في ذلك على الحامية الاسبرطية التي كان قوامها ألف وخمسين جندي وبدأت هذه الحكومة الاولى جارية في التخلص من معارضيها بالقتل والطرده وفرت أعداد غفيرة من اللاجئين الى أثينا التي فتحت لهم أبوابها وأخذت تساعدهم على تنظيم أنفسهم من أجل تحرير بلادهم وكان من بين اللاجئين السياسيين رجل وطني اسمه يلوبيداس Pelopidas كونه جماعة من سبعة من الرفاق من بينهم صديقه الحميم إبامينونداس Epaminondas وقرروا القيام بمؤامرة لطردهم الاسبرطيين وإعادة الحكم الديمقراطي الى طيبة . وبعد اتصالات بالمتعاطفين معهم داخل طيبة والذي كان على رأسهم نائب الزعيم في طيبة تسللوا عائدين وهم متخفون في زي الصيادين ودخلوا بوابات المدينة مع جوع الفلاحين العائدين من حقولهم دون أن يعلم بأمرهم أحد ولما اتفق على موعد المؤامرة دعى نائب الزعيم الطيبى أعضاء الحكومة الحاكمة الى حفل كبير وعدهم فيه بتقديمهم الى نساء جميلات من عبياء القوم ولم تكن هذه النساء الا يلوبيداس ورفاقه الذين أغمدوا خناجرهم في صدورهم ثم سارعوا باطلاق السجناء السياسيين وفتحوا الأبواب لعودة المنفيين وإعلان الثورة الديمقراطية . واجتمع المجلس الشعبى في سوق المدينة حيث حيا شعابة أبطال طيبة السبعة (١) وانتخب ثلاثة منهم من بينهم إبامينونداس كوزراء Polemarchs في الحكومة الديمقراطية الجديدة والتي طالبت بعلاء الحامية الاسبرطية من قلعة المدينة ولم يجد قائد الحامية فائدة في المقاومة حتى وصول لجدة من اسبرطة لأن الثوار كانوا يحاصرون القلعة فأعلن رضوخه لمطالبهم بالبعاء عن القلعة ولما عادت الحامية الى اسبرطة قوبلت بالغضب وحوكم ثلاثة من قادتها ، أعدم اثنان وهى الثالث خارج البلاد ، وحاول الملك كليومينيس استرجاع القلعة بقوة عسكرية ولكنه استدار عائدا قبل أن يصل الى طيبة .

(١) ربما كان في ذلك اشارة الى الاسطورة القديمة السماء بالسبعة

أسبرطة تركت جماعته مماثلة ضد أثينا ٣٧٨ ق.م :

كانت أثينا أيضا تشك في نوايا طيبة بالرغم من تأييدها لها وكان يمكن لأسبرطة أن توسع من هذا الشك لتشمل إليها أثينا وبالفعل جرت محاولات أسبرطة لكسب ود أثينا وردت أثينا مظهرة استجابة أكبر عندنا. حاکمت الضباط الأثينيين الذين اشتركوا مع ثوار طيبة وأعدمت واحدا منهم وقت الآخر ولكن فجأة وبدون مبررات نجد أحد القادة الأسبرطيين واسمه سفيرودرياس Sphodrias وكان يشغل قائد حامية مدينة تسبياس Thespias الواقعة على الحدود الشمالية لأتيكا ، فجده يسير فجأة ليلاً محاولاً احتلال ميناء يريه الأثيني ردًا على تعاقب أثينا مع أهل طيبة وتأيدها للثوار . ولكن هذا العدوان فشل فشلًا ذريعًا . وساد الغضب في أثينا وكان يمكن لأسبرطة تصحيح هذا الخطأ بحكمة هذا « الهارموس » ولكنه كان صديقًا للملك أجيسلاؤوس الذي تدخل لتبرئته . مما جعل الأثينيين يتهنون الملك الأسبرطي بتدبير هذا العدوان على أراضيهم . وكان ردّها بذ كل محاولات السلام مع أسبرطة وتوثيق التحالف مع طيبة وكانت أثينا وقتئذ منهكة في بناء إمبراطوريتها الكوندرالية الثانية .

طيبة تكون قوة عسكرية صاعدة :

بعد أن استتب الحكم الديموقراطي في طيبة أخذت تستمد لبناء قوة عسكرية تمهيدا للدخول في معركة فاصلة مع أسبرطة وكان يلوبيداس هو المخطط العسكري بينما كان صديقه ايبامينونداس المخطط السياسي . وكانت القوة العسكرية في طيبة تقوم أساسا على فرقة قوامها مائة وخمسون زوجا من الرجال الأصدقاء كل يحارب جنبا الى جنب مع أعز صديق له (١) وبالفعل ثبت كفاءة وفاعلية هذه الفرقة من الجنود المشاة hoplites بحسن التدريب والتكتيك الجديد بينما لم نجم ايبامينونداس في مجال السياسة . فقد كان رجلا متواضعا ، قادرا ووطنيا وشجاعا . والى جانب ذلك فقد كان حكيما على قدر كبير من الثقافة الفلسفية خاصة البيثاجورية

(١) وهو ما يعرف بالفرقة المقدسة Sacred Band

كما كان رجلا زاهدا في المال والجاه ورغم هبوطه فقد كان خطيبا موهوبا .
لقد لمع نجمه في عام ٣٨١ عندما انتخب رئيسا لميوتيا Bocerarch
المتحدة بعد طرد كل الحاميات الاسبرطية وبعد الحاق الهزيمة بالاسبرطيين
في عدة مواقع اهلها بوحية تجورا Tegyra والتي اضرمت كثيرا بسيرة
الجيش الاسبرطي التقليدي .

اثينا توالى ضرباتها الانتقامية ضد اسبرطة (٢٧٦ ق م) .
كان الاسطول الاثيني بقيادة خابرياس يقوم بحراسة الطريق بين
البحر الاسود وجزر بحر ايجة حيث كانت اثينا تستورد القمح لغذاء
شعبها وحدث ان حاول الاسطول الاسبرطي ان يقطع هذا الطريق على
اثينا وكان قوامه ثمانين سفينة وعند منتصف الطريق بين جزيرتي فاكوس
وباروس انتفض الاسطول الاثيني على الاسطول الاسبرطي ودمره تماما
وهكذا شفى قادة الاسطول البحري الاثيني غليم القديم وانتم خابرياس
لوزيمته البحرية القديمة في ارجينوساي Arginusae ابان الحروب
اليلوبونيزية ثم في مطلع عام ٣٧٥ ق م ظهر اسطول اثينا وحقق لها
خارج شواطئ اليلوبونيسوس وحدث ان تارزت جزيرة كوركيلا واعلنت
انضمامها الى التحالف الاثيني الجديد ولكن الاسطول الاسبرطي وصل
الى شواطئ كوركيلا وحاصرها بغير اسقاط الحزب الديوقراطي
الموالي لاثينا ولكن اهل الجزيرة قاوموا هذا الحصار بشراسة وصنوه
وقتلوا قائد الاسطول الاسبرطي قبل وصول الاسطول الاثيني الذي
تأخر وصوله بسبب فشل المجلس في تقرير الاموال والرجال بالازمين لهذه
العملية مما دعى المجلس الى تعيين قائد يد للحملة وفر القائد القديم
تيموثيوس Timotheus الى مصر . حل الخدعة في جيش التوالى
الفارسي هناك .

وازاء ذلك غضبت اسبرطة وللمرة الثانية اوقعت محاولات التقرب
الى اثينا بلمقد سلام معها ولكن لمسه حظ اسبرطة حدثت سلسلة من
الزلازل في اليلوبونيسوس احدثت خسائر فادحة مما دعاها الى طلب السلام
رسميا مع اثينا التي استجابت لهذا الطلب تحت ضغط الأزمة الاقتصادية

التي كانت تعاليها من ناحية ولتخوفها من مطامع طيبة من ناحية أخرى خاصة بعد أن بدأت الأخيرة في مهاجمة فوكيس Phocis التي كانت قد أعلنت انضمامها الى التحالف الكوثندراالى الأيئنى ، كما أن طيبة هاجت مدينة بلاتيا Plataea وشردت أهلها الذين كانوا يعتزمون الانضمام الى التحالف الكوثندراالى الأيئنى وتدفق عليها لاجئوها هكذا وجدت المدينتان المتحاربتان نفسيهما مرهقتين من طول القتال وتترنحان من الارهاق ونضب الموارد بينما لاح في الأفق خطر داهم عليهما ألا وهو طيبة فلم يجدا بديلا من تكوين حجة متعاقفة لوقف هذا الخطر الجديد .

صلح كالياس Callias ٣٧١ ق م :

وتحت الحاح الحاجة أرسلت أثينا وفدا من ثلاثة مندوبين الى العاصمة الأسبرطية يترأسه سياسى ماهر اسمه كالياس ودعت أسبرطة كافة المدن الاغريقية الى ارسال وفود اليها من أجل التوصل الى صيغة سلام عادل ومقبول يفرض بالقوة على غرار صلح الملك . وأرسلت طيبة وفدها برئاسة ابامينونداس واتفق الأيئنيون والاسبرطيون على صيغة تضمن استقلال كل المدن الاغريقية وكان المقصود بها احراج طيبة ولأن هذا كان يعنى أيضا حل الامبراطورية الأيئنية الثانية وحلف أسبرطة الا أن الاتهام سمح بقيام التعاون والاتحاد بين المدن من تلقاء نفسها وليس بالارغام والاجبار ولكن عند التوقيع على هذه الاتفاقية أصر ابامينونداس على أن يوقع باسم يوتيا وليس باسم طيبة وجادل في ذلك بقوله أن ييوتيا وحدة جغرافية اقليمية متحدة مثل أتيكا بالنسبة لأثينا وعندما سأله الملك أجيسلاؤس محتدا « هل لكم أن تتركوا كل مدينة في ييوتيا وشأنها » رد بقوله : « هل لكم أن تتركوا كل مدينة في لاكونيا وشأنها » . عندئذ أمر المجتمعون بشطب اسم طيبة من الاتفاق وصوت المجلس الشعبى الأسبرطى على قرار بارسال حملة على الفور لهزيمة طيبة ولم يتمهل الاسبرطيون ويستمعوا الى نصيحة أحد أعضاء المجلس الذى طالب بالتريث لحين اعداد حملة مشتركة من كافة الموقعين على اتفاقية كالياس بل سخرؤا منه ووصفوا حجته بأنها « رأى تافه » .

هكذا جاء صلح كالياس نهاية لتاريخ طويل من الحروب بين أثينا وأسبرطة حيث استعادت أثينا قوتها وسيطرتها بعد هزيمتها في الحروب البيلوبونيسية على حساب أخطاء أسبرطة التي أرهقتها الهزائم المتعددة في البر والبحر وكانت هزيمة كوركيرا آخرها ، كما أن نضب مواردها أعاقها عن تحقيق أحلامها . لقد كان صلح كالياس اعترافا من جانب أسبرطة بفشل سياستها في تحقيق مطامع سياسية على حساب صلح الملك عام ٣٨٧ ق.م ، وتخليها عن أحلام تحقيق امبراطورية شاسعة .

تحالف طيبة مع ياسون ملك مدينة فيراى في تساليا :

وفي وجه هذا الخطر والعزلة سارعت طيبة الى التحالف مع ياسون طاغية مدينة فيراى Pherae في تساليا وكان هذا الطاغى يأمل في توحيد تساليا تحت زعامته مستخدما الدبلوماسية والقوة العسكرية في آن واحد وهو نفس الطريق الذي اتبعه فيليب المقدونى فيما بعد . واستطاع ياسون أن يكون فرقة عسكرية قوامها ستة آلاف جندى تمكن بها من فرض سيطرته على منطقة شاسعة من شمال بلاد اليونان تمتد من مقدونيا شرقا الى ابيروس Epirus غربا ووحد هذه المنطقة وعين نفسه حاكما عليها يحمل لقب تاجوس Tagus . لقد كان هدف ياسون هو اضعاف أسبرطة من أجل الاستيلاء على بعض أراضيها ومن أجل ذلك تحالف مع طيبة ضد أسبرطة ليحصل على نصيب من الأسلاب في حالة هزيمة أسبرطة وقبلت طيبة هذا التحالف لكسر العزلة السياسية التي فرضت عليها بعد صلح كالياس .

معركة ليوكترا ونهاية أسبرطة (يولييه ٣٧١ ق.م) :

صدرت الأوامر الى كليومبروتوس بالتحرك نحو طيبة وترك الحرب مع فوكيس وفي الحال امتثل للأمر وسار الى طيبة . وهناك وجد جيوشها محصنة في مرتفعات ليوكترا . وقد لعب التكتيك العسكرى الذى أدخله ابامينونداس وييلوييداس دورا كبيرا في تحقيق النصر على الأسبرطيين الذين كان جيشهم يقارب الأخذ عشرة ألف رجل بينما كان جيش طيبة لا يتعدى ستة آلاف رجل الا أن سرعة التحرك واستخدام الفرسان

لتفريق مؤخرة العدو أمكنها من إيقاع الجيش الأسبرطى في كمين، قاتل سقط فيه ما يقرب من ألف أسبرطى وكاد كليومبروتوس نفسه أن يسقط قتلاً. ولذا هذه الهزيمة الغير متوقعة طالب قائد الجيش الأسبرطى بمقدار جولة بحجة دفن قتلاه بينما كان يطمح في الحصول على نجدة تباعدهم عن تغير ميزان المعركة لصالحه. وانسحب الإسبرطيون إلى خنادقهم بينما أرسل أهل طيبة إلى خليغوم باسون يطلبون النجدة. وما أن وصلت الدعوة حتى انطلق باسون محترقا بالمناطق التي كان يتمنى الاختلاء عليها وبعد سبعة أيام ووصل إلى مكان المعركة وهناك دعاه أهل طيبة إلى الهجوم والاكمال على ما تبقى من الجيش الأسبرطى ولكنه راوغ أهل طيبة حتى لا يفقد صداقة اسبرطة إلى الأبد وحتى لا يحقق أهل طيبة نصرا على حنايه. وبدلاً من الهجوم على الأسبرطيين توسط بين الأطراف المتحاربة واستطاع أن يقنع الأسبرطيين بترك بيوتها وكلها ويعودوا إلى بلادهم. بينما عاد باسون إلى مستوليا على هيراكليا في طريقة وأخذ يستعد لاستعراض قوته عند الألعاب الأولمبية طمعا في ترأس المجلس الامفكتيونى ولكنه حين على يد سبعة من الشباب وانهارت كل أحلامه في أن تصبح قوة اتحادية في شمال بلاد اليونان بينما سر ذلك طيبة جيذا لآلة أزاح إحدى القوى المناوئة لها في بلاد اليونان من طريقها لتنفرد على مسرح السياسة في بلاد اليونان وتصبح زعيمة الأولى بلا منازع أو منافس.

أما الإسبرطيون فقد حاولوا تنظيم صفوفهم تحت قيادة ارخيداموس ابن أجيسلاؤس ولكن الوقت كان متأخرا. وكان تأثير هذه الهزيمة على نفسية الأسبرطيين بدمارا لأنه كسر ظهرها وانتهى قيادتها للعالم الاغريقى.

تحليل تاريخى لاسباب سقوط الامبراطورية الساسانية

لا شك أن سقوط الامبراطورية الساسانية جدير بالتحليل التاريخى لانه جاء نتيجة لعدة عوامل سياسية واجتماعية ونفسية.

كان التذبذب والتخبط في السياسة الساسانية من أهم العوامل التي ساعدت على سقوط الامبراطورية فحينما نجد اسبرطة تعقد الصفقات

مع بلاد الفرس من وراء ظهور الاغريق وعلى حساب أشقائهم في آسيا الصغرى وحينا تظهر أسبرطة كمظهر المدافع عن حرية الاغريق واستقلالهم مما أفقد الثقة بها بل ان تأمرها مع الفرس حط من قدرها بين الدولات الاغريقية خاصة وأنها أحكمت من قبضتها على المدن الاغريقية باقامة الحكومات الأوليغارخية العيلة لها وباقامة الحاميات وتعيين القواد أو « الهارموستات » عليها واذلال المدن الاغريقية بسياسة الاستعلاء والعاق الاهانات دون أى اعتبار أو احترام لاحساس الاغريق . هذا الجبروت والقوة ولد الإهبة من أسبرطة لدى حلفائها الاغريق وسرعان ما انفجر هذا الخوف الى الثورة عليها .

عندما أذيع نبا انتصار أسبرطة على أثينا في الحروب البيلوبونيسية لم يتفاعل أحد بل تذكر الناس قولاً مأثوراً شائعاً يقول ان نهاية أسبرطة ستكون بسبب ثرائها . لقد تدفق الثراء على أسبرطة بشكل لم تعرفه من قبل فالامبراطورية - كما ادعى البعض - كانت تدر عليها ٤٠٠ تالنت سنوياً فضلاً عن الأسلاب والغنائم التي كانت تعود بها الحملات العسكرية التي شنّها لوساندر ثم الأسلاب التي عاد بها الملك أجيسلاؤس من حملته ضد آسيا الصغرى فضلاً عن الضرائب والاقاوات . هذا الثراء تسبب في فساد أخلاق الأسبرطيين وانتشار الرشوة بينهم ، ان سر قوة أسبرطة كان يكمن في تربية ونشأة المواطن عسكرياً والانضباط الكامل والالتزام بقوانين ليكرجوس والبساطة والتقشف وبذ الثراء والعيش في مجتمع المساواة ، كل هذا قد تحطم بتدفق الثروة فلم يمدودوا يلتزمون بالقواعد القديمة القاسية . واذا كنا نتهم المواطن الأسبرطى باهمال قوانين ليكرجوس فإتينا نتهم قوانين ليكرجوس بأنها هي التي شجعت المواطنين على الخروج عليها . لقد كان هذا النظام جامداً لا يتطور وغير مرن ولذا لم يعد يناسب ظروف الامبراطورية الجديدة والانطلاق الى ما بعد حدود البيلوبونيسوس .

لقد كانت الامبراطورية بداية نكبة أسبرطة فسواطنوها لم يعودوا رجالا. أشداء جادين مثل الجيل الأول الذى وضع أساس المجتمع القديم بل صورة شاحبة منه ، كما أن تغير الظروف سبب تغير الأحوال ومن ثم حدث تخلخل فى بناء المجتمع الأسبرطى وأصبح على شفا ثورة اجتماعية فمثلا نسع عن حركة تمرد يقوم بها الأسبرطيون المعتبرون من الدرجة الثانية hypomeiōnes . وهم مواطنون أسبرطيون وليسوا من المستعبدين الذين انضموا اليهم فى جبهة واحدة ضد الطبقة الأسبرطية ذات النفوذ وقام بالتمرد الذى حدث فى عام ٣٩٨ أسبرطى من المبعدين أو المنبوذين اسمه كندانون Kindanon وبسرعة قضت أسبرطة على هذه الحركة وأعدمت زعيمها ولم نسمع عنها شيئا ولكنها كانت دليلا على الصراعات الاجتماعية التى تغلّى فى باطن المجتمع الأسبرطى . كان ثورة كندانون موجة ضد القوة الحاكمة من طبقة الأسبرطيين ذوى النفوذ . وكانت عناصر الثورة تقوم على جبهة عريضة من الساخطين سواء من طبقة المواطنين أو دونهم . والساخطون من طبقة المواطنين كانوا يشملون أيضا مواطنى الدرجة الثانية hypomeiōnes وهم المواطنون الذين سلبت منهم بعض الحقوق والامتيازات بسبب عجزهم عن الالتزام الكامل بواجباتهم وبالتقوانين الليكرجية ، وكذلك طبقة المواطنون الجدد neodamodeis وهم من الهيلوت والمجاورين الذين خدموا فى الجيوش الأسبرطية من أجل الحصول على الجنسية بعد عتقهم من العبودية وقد تطوعت أعداد كبيرة من هؤلاء فى الحروب البيلوبونيزية ومع أجيسلاؤس فى حملته ضد آسيا الصغرى . وبعد عودتهم من الحروب والمخاطر حصلوا على جنسية اسمية لأنهم حتى فى أثناء الحروب كانوا يحاربون فى جيوب متفرقة وليس مع « الرفاق » الأسبرطيين .

ومن ظواهر التخلخل فى المجتمع الأسبرطى ضعف شخصية الملوك وظهور شخصيات من الموظفين طفت على شخصياتهم بل وأصبحت تتحكم فيهم أو بمعنى آخر ظهور مراكز قوى متعددة خلخلت ميزان القوى داخل

المجتمع ومن هذه الشخصيات براسيداس ولوساندر وكلاهما لم يكن ملكا بينما فاقا سلطة الملوك مما سبب الكثير من المشاكل . كذلك فإن التوسع في منح السلطة أو الاشتهار في منح الجنسية لدائرة أكبر من المواطنين أفقد التوازن القديم فلم تمتد المناصب مصطفاه على دائرة ضيقة من المواطنين الاسبرطيين بل شملت أطراف المجتمع الاسبرطى وضمت عناصر أبعد ، ومن أمثلة هؤلاء يجرى الايفورات الذين زادت سلطتهم وطفى سلوكهم وسلطانهم في الداخل وعلى القادة العسكريين في ميادين القتال . وهؤلاء المواطنون الجدد لم يكونوا من نفس الجوهر الذى كان عليه أسلافهم . ويقول أرسطو أن الايفورات في أيامه كانوا ينتمون الى دائرة اجتماعية أوسع حتى من التى ينتمى اليها مجلس الشيوخ « الجيروسيا » .

لقد كان هناك قلق يسود النظام الاسبرطى بأكمله سرعان ما تهجر الى صراع مكشوف حينما ظهر عجز النظام الليكرجوسى وفساد مواطنيه . ولم يكن الثراء وحده هو العامل المؤل عن فساد المواطنين بل أن ظهور المطالب الجديدة في ظل ظروف جديدة جعلت النظام الحديدي القديم عاجزا على أن يتماشى مع الأوضاع الجديدة . هذا الى جانب أخطاء كثيرة كان لها رد فعل جديد مثل غرور واستعلاء قادة الحاميات الاسبرطية harmosts ومغالاتهم في التبذير وتقليد ملوك الشرق . ومثل جنون الملك اجيسلاؤوس بالعظمة حتى خيل له بأنه أجامنون الجديد يسير ليدمر طروادة ، والفرور والانخداع بالنفس الذى ساد المجتمع الاسبرطى خاصة بين العسكريين لدرجة الترحيب بالدخول في حرب ضد طيبة في نفس الوقت الذى يحاربون فيه الفرس أقوى دولة في الشرق الأوسط وقتذاك .

لقد قدم لنا أرسطو فيما قل ودل وجهة نظره عن أسباب سقوط الامبراطورية الاسبرطية بقوله « لقد كان للاسبرطيين دائما الفوز في ميدان الحروب ولكن الامبراطورية دمرتهم وذلك لسبب بسيط : هو أنهم لم يكونوا يعرفون كيف يستفيدون من المزايا الجديدة التى اكتسبوها

كما أنهم لم يعودوا على أى مهارة ذهنية أخرى تفوق مهارتهم في
فن الحرب » .

ولا يمكن أن نفعل في تحليلنا الصراع الخفى بين الملوك والشخصيات
القوية في اسبرطة وبين نظام ليكرجوس ولو . قدر لهذه الشخصيات أن
تميش مدة أطول لقادت حركة اصلاحية ضد هذا النظام ولكن الأحداث
كانت تعصف بها فمثلا لقي لوساندر مصرعه في معركة هاليارتوس
عام ٣٩٥ وبقى باوسانياس لفعله في نجده .

ومن الجدير بالذكر أن باوسانياس كان دائم الهجوم على النظام
السياسى للدولة وعلى قوانين ليكرجوس حتى لوساندر أشيع بعد موته
أنه كان يخطط لجعل الملكية . بالانتخاب وترشيح نفسه لهذا المنصب .
وهذا دليل على أن قوانين ليكرجوس الجائدة كان تحت الهجوم المستمر .
ولكن بمقدم الملك أجيلاؤس بشخصيته الطاغية اختفت ارهاصات
المعارضة والاصلاح . -

مهما يقال عن الملك أجيلاؤس فلقد كان أعظم ملوك اسبرطة قدرة
وكفاءة وربما أجل قدومه مقوط الامبراطورية التى كانت تترفع . كان
هذا الملك سياسيا ، ذاهية ، سريع التصرف ، حاسم القرار ، كما أنه كان
جنرالا عسكريا قديرا مشهودا له ، ولهذا كان اختيار لوساندر له سليما
فما أن أعتلى العرش حتى أمسك بزمام الأمور المترنحة جيدا وقاد الأمة
الاسبرطية في طريقها التقليدى حتى موته عام ٣٩٠ ق.م . وهو في سن
متقدمة جدا . كان الخطأ الوحيد التى وقع فيه أجيلاؤس هو سياسة
التأجرة باستقلال وحرية مدن آسيا الصغرى الاغريقية وبيعها للفرس
مقابل رضاء الفرس عن تصرف اسبرطة في بلاد اليونان الأم وإطلاق
يدها تفعل بهم ما تشاء . مناقضا بذلك ما بدأ به عهده باعلان الكفاح لاسترداد
حرية الاغريق في آسيا الصغرى من الملك الفارسي . وقد لجأ أجيلاؤس
الى التصالح مع الفرس بعد تأكده من فشل فكرة السيطرة الكاملة
وذلك بسبب الهزائم التى لحقت به في البحر على يد الأسطول الفارسي

بقيادة كونون في كنيديوس ٣٩٤ اهتزت عن أثره الامبراطورية فيما وراء البحار وبدأت تنفك وتلى ذلك الهزيمة البرية في نيميا في اليلوبونيسوس عام ٣٩٤ مما دعاه الى السعي الى السلام مع الفرس فأرسل دبلوماسيا ماهرا هو أكتالكيداس للتوسط في عقد صلح الملك الذي فسره الاسبرطيون بطريقتهم الخاصة وهو استمرار سيطرتهم على ممتلكاتهم بينما يحظر على باقي الدويلات الاغريقية خاصة طيبة أن تتوسع اقليميا أو خارجيا تحت شعار الحرية لكل المدن الاغريقية وكان تفسير كلمة « الأوتونوميا » (أى الاستقلال) التي تردد ذكرها - في نظر الفرس وأسبرطة هو حظر قيام الاتحادات الكونفدرالية بين الاقاليم الاغريقية المتجانسة عملا بسياسة «فرق تسد» ويذكر لنا أكسينوفون شيئا هاماً يتجلى في اقتراح مندوب أسبرطة بتعديل فقرة من صلح الملك كانت تقول « فسأحاربه جنبا الى جنب مع الذين يرغبون » الى « فسأحاربه عن طريق توكيل لمن يرغب في ذلك » مما يدل على نية أسبرطة في أن تكون « الوكيل العام » لتطبيق سلام الملك .

وهناك رواية تقول أن الملك أجيسلاؤس أتهم بالتعاطف مع الفرس فرد قائلا « لا بل هم الفرس الذين يتعاطفون مع أسبرطة » .

وكان رد فعل هذا السلام هو تكاتف الولايات الاغريقية ضد الفرس وأسبرطة وقيام الامبراطورية الاثينية الكونفدرالية . وتكونت جبهة متحدة من طيبة وأثينا وكورثا وأرجوس لتقف في وجه أسبرطة ولأول مرة وصل الحزب الديموقراطي الى الحكم في كورثا التي انضمت الى أثينا ولكن هذا لم يدم طويلا بعد هزيمتها على يد أسبرطة وأعادتھا الى حظيرة الحكومة الأوليجارخية والى عضوية حلف اليلوبونيسوس بالقوة .

الى جانب بيع استقلال وحرية المدن الأيونية ارتكب أجيسلاؤس حماقة كبرى بعدم احترامه لاحساس المدن الاغريقية ومشاعرها الوطنية وغيرها على استقلالها ونظامها السياسى فقام بعدة تصرفات سخيفة قصد بها اذلال هذه المدن ، فمثلا هاجم مدينة ماثينيا الديموقراطية

عام ٣٨٥ ق.م ودمرها وحولها الى خسة قرى صغيرة وبذلك أرجع عقارب الزمن الى عام ٥٠٠ ق.م الميلاد عندما برزت هذه المدينة بعد اتحاد قراها الخمسة ، وأكثر من هذا جعل السلطة في يد الطبقات الأوليجارخية . وفي عام ٣٨١ أمر مدينة فلايوس Phleious بالسماح للهاريين الأوليجارخين بالعودة اليها ثم عاد فحاصرها حتى استسلمت ثم ترك فيها حامية لتعربس الحكم الأوليجارخي الجديد . أضف الى ذلك حماقة الاستيلاء على قلعة كادمية Cadmea ومحاولة الاستيلاء على ميناء بيريه . ولا ننسى الحملة التي أعدها هذا الملك ضد اتحاد أولينثوس القيدراالى وارغامه هذا الاتحاد على حل نفسه عام ٣٧٩ ودخول مدته رطة كل هذه التصرفات تكاد أن تكون ذات طابع بعدوان والقسوة والاحتقار وفرض التفرقة تحت اسم يؤكد أنها صادرة من عقلية واحدة وهي عقلية الملك

اجيسلاروس .

أما فيما يختص بسياسة اسبرطة مع حلفائها القدامى داخل اليلوبونيسوس فقد طرأ عليها التغير أيضا . نعم لقد ظل مجلس الحلف Synod يجتمع ولكن ليس بالصورة التي كان عليها مثلاً عام ٤٣٢ ق.م فلم يعد هناك نقاش أو اعتراض أو استماع الى وجهة انظر الأعضاء وقد أعطانا كسينوفون صورة عامة لأحوال هؤلاء الحلفاء عام ٣٨٢ عندما يقول : « كانت الغالبية تؤيد ارسال الحملة (ضد أولينثوس) ولكن لمجرد أنهم كانوا يريدون ارضاء الاسبرطيين » .

كذلك ألحقت اسبرطة بحلفائها القدامى اهانة كبرى عندما وافق هذا المجلس في نفس الجلسة على اقتراح اسبرطة في جواز مساهمة بعض المدن بالأموال بدلا من الرجال أثناء الحروب ما دامت هذه الأموال معادلة لدفع أجور نفس العدد ولكن من الجنود المرتقة التي يمكن لاسبرطة استئجارهم .

ولقد كان هذا القرار ضربة قاسية لمشاعر حلفاء قدامى . تساقط رجالهم على مر زمن طويل في حروب اسبرطة واستهانة بكرامتهم وتشكيكا في قدرتهم العسكرية واستنزافا لأموالهم بدفع أجور جنود مرتزقة يتقاضون أجورا باهظة الثمن كان مريرا على نفوسهم أن تفضل اسبرطة عليهم هؤلاء المرتزقة .

كان هذا خلق جوا من التعاطف مع طيبة حتى داخل دول اليلويونيسوس وجعل أثينا تهب في أكثر من مرة لتقديم العون لطيبة . حتى أولينثوس أبدت تعاطفا مع هذه المدينة .

ويمكن لأحد أن يتساءل ألم يوجد هناك اعتراض من الملك الآخر ؟ ليس دستور اسبرطة ينص على وجود ملكين حتى لا يستبد ملك معين بسياسة معينة ؟ نعم لقد كان هناك سياسة شبه مضادة ولكنها كانت صادرة من شخصيات ضعيفة . مثلا كان هناك شبه اعتراض من جانب الملك أجيسبوليس Agespolis الذي خلف أباه باوسانياس على العرش وقيل أنه كان مثل أبيه يتعاطف مع الديموقراطيين (تعاطف أبوه مع الاثينيين عام ٤٠٣ ق م) ويميل الى احترام حرية واستقلال المدن الاغريقية بصدق ، ولما مات هذا الملك وتولى من بعده أخوه كليومبروتوس Kleombrotos أبدى هذا الأخير اختلافا بسيطا في سياسته . هو أنه كان يفضل طاقة اسبرطة للمحارك البحرية ضد أثينا وامبراطوريتها على أن تستمر اسبرطة في حملاتها البرية ضد طيبة تخفيفا عن كواهل اسبرطة .

ومن أكبر الحماقات التي ارتكبتها اسبرطة وتسببت في اسقاط امبراطوريتها استمدائها الدائم لأثينا دون أدنى مبرر مثل محاولة سفودرياس الفاشلة لاحتلال ميناء بيريه وما تلاها من اشتعال الحرب بين أثينا واسبرطة استمرت ثلاث سنوات مما أدى الى اضعاف طاقة اسبرطة ضد طيبة التي ألحقت بها عدة ضربات . ثم القيام بحملة بحرية كبيرة بقيادة كليومبروتوس ضد أثينا (رداً على تدخلها الى جانب الديموقراطيين في

جزيرة زاكينثوس (Zakynthos) بمساعدة ديونيسيوس طاغية سيراكوزه
عام ٣٧٣ ولم تحقق هذه الحملة شيئاً بل تزايدت الخسارة على حساب
اسبطة .

كذلك يمكن ان تتهم الاسبرطيين بالفرور القاتل والثقة بالنفس الى
حد الانخداع وينجلى ذلك في الهرولة بارسال قوتهم لمحاربة طيبة بعد
طردها من بؤتر الصلح عام ٣٧١ ولم يتأثروا أو يحاولوا استغلال باقى
الدويلات الاغريقية التى كانت تعارض توسع طيبة . مما سبب الهزيمة
الكبرى والمهينة فى ليوكترا .

نهاية اسبرطة :

استقبل حلفاء وأعداء اسبرطة على السواء أبناء هزيمتها فى ليوكترا
براحة ورضاء حيث ظهر الحقد الدفين عليها من بين الذين استعبدتهم
داخل البيلوبونيسوس وجن جنون هؤلاء عندما ظهرت جيوش طيبة على
ضفاف نهر اليوروتاس حيث تقع اسبرطة وذلك فى عام ٣٧٠ ق م
واستقبل جيش طيبة على أنه جيش تحرير وتفككت الدولة الاسبرطية
حتى داخل البيلوبونيسوس . فقد استقلت اركاديا Arcadia وظهرت
عواطفها القومية الدفينة والتى لم يستطع الاحتلال الاسبرطى أن
يمحوها بل نجد أركاديا تكون هى الأخرى حلفاء من اتحاد آبائها .
أما ميسينيا Messenia مركز المقاومة القديم ضد اسبرطة فقد ذقت
أخيراً طعم الحرية والاستقلال لأول مرة منذ القرن الثامن قبل الميلاد
ووجدت اسبرطة نفسها عارية تماماً كما كانت قبل عام ٧٥٠ ق م .

كان ذلك بداية النهاية اذ ازداد تدهور أسبرطة والاسبرطيين خلال
المائة سنة التى تلت هزيمتها فى ليوكترا عام ٣٧١ ق م وتضاءلت
أهميتها السياسية وتناقص عدد الاسبرطيين . ولما حاول الملك أجيس
الثالث Agis عام ٣٤٢ احياء قوانين ليكرجوس وزيادة عدد المواطنين
الاسبرطيين بتحرير العبيد وتحويلهم الى مواطنين لاقى معارضة شديدة

من الايفورات ومن قدماء المواطنين الباقين . وبعد مصرع آجيس الثالث على يد كليومينيس الثالث حاول الأخير القيام بثورة اجتماعية ألغى فيها نظام الايفورات وزاد عدد المواطنين الاسبرطيين الذين كان قد اقترض الى أربعة آلاف فقط ولكنه وجد اعتراضاً من الحلف الأخرى بقيادة انتيجونوس دوسون Antigonos Doson وهزموه في عام ٢٢٢ ق. م. وكان الملك نلبيس Nabis آخر ملوك اسبرطة الأقوياء ولكنه هزم على يد القائد الروماني فلامينيوس Flaminius عام ١٩٥ حيث أرغمت اسبرطة على الانضمام للحلف الأخرى وبعد سقوط هذا الحلف أرغمها الرومان على الاندماج في شمال البيلوبونيسوس في دولة متحدة Civitas Confederata أطلق عليها اسم ولاية آخايا Provincia Achala .

حقيقة أن أسبرطة مرت بفترة من الازدهار كما شملتها حركة احياء وذلك ابان عصر الامبراطورية الرومانية خاصة ابان حكم الامبراطور هادريان في القرن الثاني الميلادي لأن ذلك الامبراطور كان عاشقاً للحضارة والثقافة الاغريقية كما يشهد بذلك الآثار والنقوش التي تركها في أسبرطة . كذلك حاول الامبراطور سبتيميوس سيفيروس احياء قوانين ليكرجوس من باب الرومانسية والخيال وبالفعل أعيدت هذه القوانين ولكن لم تكن بالصورة التي كانت عليها قديماً . وظلت أسبرطة مدينة جبيلة وهادئة حتى تعرضت لهجوم القبائل البربرية عام ١٦٧ ميلادية ونجت من هذا الدمار المهلك ولكنها لم تنج عام ٣٩٥ ميلادية من الدمار الشامل الذي ألحقه بها القوط تحت قيادة آلاريك Alaric حيث وضع هذا الهجوم البربري نهاية مأسوية معززة لمدينة عتيقة لعبت دوراً عظيماً في تاريخ الاغريق بل وفي تاريخ الانسانية .

الفصل الرابع عشر

الامبراطورية الاثينية الثانية

(٢٧٨ ق.م - ٢٢٨ ق.م)

لاهمية هذا الموضوع بالنسبة لتاريخ الاغريق وتاريخ الفكر السياسي عند الاغريق وجبت دراسته كموضوع مستقل . وما يجعل هذا الموضوع شيقا أن النقوش اليونانية هي مصدره الأول ، ولأول مرة يجد المؤرخ نفسه يعتمد على النقوش بالدرجة الأولى بينما يعتمد على النصوص الأدبية بالدرجة الثانية .

ويكفى أن نقول أن مشروع قيام الامبراطورية الأصلية كما قدمه رجل سياسي من ماراثون اسمه أرسطوطاليس وصل الى أيدينا سليما . كذلك اهتم الكتاب الاغريق في هذه الفترة بظاهرة قيام هذا الاتحاد ومن هؤلاء الكتاب ديودوروس الصقلي Diodorus الى جانب كتابات كسينوفون الذي عاصر أحداث هذه الفترة ولكنه قلما يقطع استرساله الروائي ليجيء بسيرة هذا الاتحاد . ولكنه بالرغم من هذا يعكس لنا صورة حية وصادقة للأحوال في أثينا (١) . وهناك نصوص أدبية لكتاب آخرين يمكن الاستفادة منها في دراسة هذا الموضوع مثل ايسوقراط Isocrates وديموسثينيس Demosthenes وأيسخينيس Aeschines ولكن يجب الحذر عند التعامل معها . فمثلا كان ايسوقراط يعارض

من الكتب المفيدة جدا في هذا الموضوع كتاب :

J.K. Anderson : Military Theory and Practice in the Age of Xenophon, Berkeley-Los Angeles 1970.

حيث كانت الحرب اهم مظاهر تلك الفترة .

بشدة فكرة الامبراطورية بأى شكل كان ومن أجل هذا راح يسألني الى حد المغالطة ولكن بالرغم من هذا لا نستطيع اغفاله لأنه شاهد عيان لقيام الامبراطورية كما أن جوهر كتاباته هو موضوع الوحدة .

أما ديموستينيس ، الخطيب السياسى المفوه ومنافسه ايسوقراطيس فيلسوف الوحدة الاغريقية الكبرى فقد تعدنا فى مناسبات متفرقة عن الامبراطورية الآثينية ولكن آراءهما متضاربة أحيانا لذا يجب الحرص والاستعانة بشارحى نصوصهما من القدماء .

ورغم أن هذا الموضوع يبدو شيقا ومشجعا للدراسة لوفرة مصادره الا أن المعلومات تبدأ فى التضاؤل بعد مرور عدة سنوات على قيام الامبراطورية الثانية لأن الكتاب هجروا الكتابة عنه واتجهوا للكتابة عن أحوال أثينا وهنا يصبح البحث عن النقوش أمرا ملحا . وأنه لمن باب المشقة على الدارسين أن يفتشوا بين كتابات هذه الفترة من أجل استخراج النادر الذى يتعلق بهذا الموضوع . ولكن تكون دراستنا شاملة لهذا الموضوع فان تغطيته لا بد وأن تشمل العناصر الموضوعية التالية .

١ - الأحوال السياسية التى مرت بها أثينا منذ هزيمتها فى الحروب اليلوبونيزية حتى اعلان الامبراطورية الثانية .

٢ - المبادئ والمؤسسات الدستورية وحقوق وواجبات المتحالفين طبقا لميثاق الوحدة .

٣ - تقييم تاريخى ناقد لهذا الاتحاد ومدى مساهمته فى احياء فكرة الوحدة الاغريقية الشاملة .

٤ - الأحداث التى مرت على الاتحاد بعد نشأته وحتى سقوطه .
هذه هى العناصر الأربعة الأساسية لدراسة هذا الموضوع دراسة لا شاملة فحسب بل مفيدة تاريخيا وفكريا .

١ - الأحداث السياسية التي مرت بها أثينا منذ الهزيمة حتى قيام الامبراطورية الثانية :

ومن المعروف أن هزيمة أثينا الفعلية في الحروب البيلوبونيسية جاءت نتيجة لفقدان أثينا جزيرة ساموس القاعدة المثالية لاسطولها عام ٤٠٤ ق.م على يد الملك الاسبرطى لوساندر . وبعد هزيمة أثينا قدمت اسبرطة شروطا ليست بالقاضية القاسية بل اكتفت بتجريدتها من حصونها وحواطئها وأسطولها ، ومن ممتلكاتها ، ومن نظامها الديموقراطى .

ولم يفق المواطنون الأثينيون من صدمة الهزيمة الا بعد اسقاط نظام مجلس الثلاثين دكتاتورا الذى أقامته اسبرطة واصلاح ما أفسده وبقض كل ما فعله وعودة نظامهم الديموقراطى بمساعدة طيبة . ولقد قضى الأثينيون سنوات وهم يصلحون مخلفات الهزيمة والدكتاتورية . وهذا شغلهم عن التفكير في مستقبل بلادهم من جديد لعدة سنوات ولكن بعد ذلك أخذوا يعملون بطاقة ونشاط غير معمولين من أجل استعادة قوتهم البحرية وإعادة بناء الأسطول وسرعان ما أدى ذلك الى رخاء الحالة الاقتصادية لدى الدولة ولدى المواطنين ومن ثم بدأوا يذكرون في استعادة الأمجاد الضائعة . ولقد لعب القائدان الأثينيان كونون Conon وثراسيبولوس Thrasybulus دوراً عظيماً من أجل احياء الامبراطورية القديمة .

كانت خطة كونون (٤٠٤ - ٣٩٢ ق.م) لاعادة بناء الامبراطورية تقوم على استغلال أخطاء الامبراطورية الأسبرطية لصالح أثينا بعد تأليب المدن الاغريقية عليها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى الاستفادة من قوة الأسطول الفارسى لتدمير قوة اسبرطة البحرية (وقد نجح كونون بالفعل في تدمير الأسطول الاسبرطى في معركة كنيديوس ٣٩٣) ومن ثم يصبح أحياء الامبراطورية سهلاً .

ولتحقيق ذلك أخذ كونون يستغل الخلاف الذى نشأ بين اسبرطة وبلاد الفرس بل أخذ يتقرب الى ملكهم على حساب الاسبرطيين من أجل طرد حامياتهم من الجزر والمدن الاغريقية وحشهم على المطالبة

بالحرية والاستقلال ، بل ساعد في تحرير بعضها دون هدف أو مقابل
مما زاد من احترام أثينا بين المدن الأخرى . كما شجعت أثينا على زيادة
الخلاف بين أسبرطة وكورثا وبث الفرقة داخل اليلوبوليسوس .

هكذا بنشر سياسة السلام والمصادفة والوثام مع كافة الجزر والمدن
الاغريقية أصبحت أثينا مدينة محبوبة بقدر ما أصبحت اسبرطة مدينة
مقوتة ، ومن مظاهر نجاح أثينا استعادتها لنفوذها القديم في جزيرة
ديلوس Delos ذلك المركز الروحي للاغريق جميعا والكعبة التي تتجه
اليها أنظارهم في كل مكان .

كان المحرك الأول لنشاط كونون هو عقدة الذنب التي نشأت في
نفسه بأنه هو المسئول عن هزيمة أثينا البحرية في أجوسبوتامى
Aegospotami (معركة نهر الماغز) ولذلك حرص على الانتقام من
أسطول الاسبرطيين بقدر ما حرص على إعادة بناء أسطول أثيني جديد
يعوضها عن أسطولها الذي تحطم في هذه الموقعة . وبالفعل تحقق له
ذلك عندما قاد الأسطول الفارسي ليلحق بالأسطول الآسبرطى هزيمة
مدمرة عام ٣٩٩ ق م قرب مدينة كنيديوس Cnidos وتلى ذلك
تحريره لعدد كبير من المدن والجزر الاغريقية من الاستعمار الآسبرطى
بعضها أثر الاستقلال والازواء وبعضها أقام علاقات ود وصداقة مع
أثينا فمثلا نسيت جزيرة أرتريا Eretria خلافتها مع أثينا وأقامت
معها علاقات وطيدة . وكافأ الفرس كونون باعطائه ما تبقى من
أسطولهم ليعود به الى أثينا حيث يبدأ في إعادة بناء الأسوار القديمة
التي كانت تربط بين يبريه والمدينة .

وبالرغم من أن الرياح السياسية هبت فيما بين ٣٩١ - ٣٨٩ ق م .
على أثينا من حيث لا تشتهي الا أن التصميم والعزم على استعادة الأمجاد
السلبية لم يقل أو يفتر . لدرجة أن أحد سياسى أثينا واسمه اندوكيداس

Andokidas عبر عن رأيه في السلام عام ٣٩١ ق.م فعارض فكرة الاستقلال لكل المدن الاغريقية وهذا دليل على وجود النية الاستعمارية . وكان من بين المضايقات لأحلام الآثينيين النفقات الباهظة التي أنفقتها أثينا في تحرير المدن وإحياء الأسطول التي أحدثت أزمة اقتصادية . وثانيهما قيام الخلاف وقيام الشك بين كورنوث والفرس الذين اتهموه بسعيه لتحقيق مصالح ذاتية لبلده خاصة بعد مساعدة أثينا لحاكم قبرص يواجوراس الذي ثار ضد الفرس وطلب العون من أثينا ، بينما راحت اسبرطة تميد بناء قوتها البحرية من جديد وتستعيد المدن التي فقدتها مثل كينيدوس وساموس وأيفيسوس عام ٣٩١ ق.م فضلا عن تارجح زودوس بين المؤيدين لأثينا والمؤيدين لاسبرطة . وهكذا انهارت خطط كورنوث الذي قبض عليه الفرس أثناء زيارته لسارديس في مهمة دبلوماسية ، وبالرغم من أنه تمكن من الهرب إلا أنه لم يعيش بعد ذلك طويلا .

وبعد أن انقشعت هذه السحب التي كانت تلبد سماء الآمال السياسية الأثينية برز من بين صفوف الآثينيين القائد العسكري ثراسيبولوس Thrasybulus ، ولم يكن ثراسيبولوس بالنجم الجديد ، فهو فهو زعيم ديموقراطي متطرف وقف في وجه مجلس الأربعماية الذي قام في أثينا وفر الى طيبة حيث نظم عدداً من اللاجئين الديموقراطيين يقدر بسبعين متطوعاً هاجم بهم ميناء بيريه وهزم قوات الأوليجارخيين الآثينيين . وبعد اعلان اسبرطة عودة اللاجئين بعد هزيمة أثينا عاد ليكافح من أجل إعادة الحكم الديموقراطي ، لقد كان ثراسيبولوس « بيريكلي » التفكير فهو يؤمن بفكرة الاستعمار والسيادة الأثينية المطلقة حتى ولو كان تحقيق ذلك يفوق امكانية أثينا المادية .

برز ثراسيبولوس الى الصفوف الأولى في الوقت المناسب ليحول

دون ضياع كل ماحقه كرونون في السنوات السابقة . بدأ هذا الجنرال المتطرف بتنفيذ تحقيق الامبراطورية وذلك بقيامه في ربيع عام ٣٨٩ ق م بحملة بحرية الى منطقة بحر مرمرة والبحر الأسود ليضع النواة الأولى والأساسية للامبراطورية الجديدة مستغلا الصراعات المحلية ليضم الكثير من المدن الى تحالف مع أثينا كما قام بمساعدة الأحزاب الديمقراطية المتعاطفة معها للوصول الى الحكم مثلما فعل في مدينة يزنطة . كذلك أعاد لأثينا اتاوتها القديمة على السفن المارة عبر البسفور والدردنيل وهى ١٠٪ من حمولة كل سفينة . وبعد أن أعاد سيطرة أثينا وتوذيها في البحر الأسود وثرانيا والخالكيدون . اتجه جنوباً الى جزيرة لسبوس حيث كسب الى جانب أثينا موتيلنى العاصمة وانضم الى أثينا عدد آخر من المدن الأيونية مثل هاليكارناسوس وكلازوميناي وثاسوس وساموثراكي . ثم اتجه الى رودوس ليضع نهاية للتلاحن بين الديمقراطيين والأوليغارخين مستمداً على معونة جزيرة خيوس ، وهكذا استطاع ضم رودس الى أثينا . ولكن نهاية هذا البطل البار لأثينا والمنفذ لامبراطوريتها كانت منجمة . فعندما ذهب الى أسبندوس Aspendos ليجمع التبرعات من أجل تحقيق مشروعاته حوالى عام ٣٨٨ فاجأه سكانها وقتلوه اتقاماً لنهب قواته لحقولهم عندما كان يسكن هناك .

يتضح من دراسة النقوش التى تركها ثراسيبولوس من وراثه في الجزر الاغريقية أنه كان يتحرك طبقاً لخطة محددة قصد بها إعادة الامبراطورية القديمة على النحو التى كانت عليه فيما بين ٤١٣ - ٤١٢ ق م كما ذكرت النقوش أنه أعاد حق أثينا فى اتاوة قدرها ٥٪ على الصادرات والواردات وهى نفس النسبة التى كانت تفرضها أثينا على توابعها أثناء الامبراطورية الأولى . وذهب ثراسيبولوس الى أكثر من هذا فأقام بعض الحاميات الاثينية فى بعض المدن لاثنا نجد الأكلisia الاثينية تناقش امكانية اقامة حامية فى كلازوميناي . ويبدو أن محاولات إعادة امبراطورية أثينا القديمة قد لاقت اعتراضاً من بعض الاثينيين . وخلاصة

القول أن كونون وثراسيولوس ضحيا بحياتهما من أجل اعادة
الامبراطورية القديمة التي سقطت تحت جحافل الغزو الاسبرطى .

ويبدو أن الاسبرطيين ارتاحوا لموت ثراسيولوس وحاولوا استعادة
سيطرتهم على البحر الأسود بارسال حملة بقيادة أناكسيبوس لمساعدة
أنصار امبرطة في مدينة ابيدوس Abydos (١) على البحر الأسود ،
ولكن الإثنيين سارعوا بارسال ايفكراتيس Iphicrates وتمكن
ايفكراتيس من هزيمة القائد الاسبرطى بالقرب من « أبيدوس » . . .
وبذلك احتفظ الإثينيون بمكاسبهم في منطقة البحر الأسود . ومدخله .

وفي عام ٣٨٨ ق م عين الاسبرطيون قائداً جديداً للأسطول
الاسبرطى (nauarchos) وهو أثالكيدياس الشهير ووصل هذا القائد
الى مدينة أفيروس ومن هناك أرسل نائبه الى بحر مرمرة بينما سعى
هو لزيارة ملك الفرس . وبالفعل وصل الى سوسا حيث لاقى ترحيباً
كبيراً من الملك واستطاع بدبلوماسية أن يعيد المياه الى مجاريها بين
اسبرطة وبلاد الفرس . ويبدو أن اثالكيدياس قد أقنع الملك الفارسي بأن
ازدياد قوة أثينا البحرية خطر على فارس بقدر ما هي خطر على اسبرطة ،
وتوصل الحليفان القديمان الى وسيلة لتفكيك الامبراطورية الاثينية
فيما عدا المنوس وامبروس وسكوروس تحت اسم الحرية والاستقلال
لكافة المدن الاغريقية (فيما عدا اغريق مدن آسيا الصغرى) ومن
يرفض الانصياع لشروط الملك سيصبح عدو له وتتولى اسبرطة
محاربته نيابة عنه .

وعاد اثالكيدياس في خريف عام ٣٨٧ ق م من بلاد الفرس متجهاً
الى منطقة البحر الأسود حيث تسلم العمل بأسطول اسبرطة وتمكن

(١) سميت هذه المدينة الاغريقية على قرار اسم المدينة المصرية ابيدوس
(العرابة المدفونة) .

من مطاردة الأسطول الأثيني في الشواطئ الشرقية لمداخل البسفور وأبعده الى شواطئ خاليكدون في الشمال الغربي لبلاد اليونان . وهكذا تمكن الاسبرطيون بمساعدة حليفهم ديونيسوس طاغية سيراكوزة ، من استعادة السيطرة البحرية على البحر الأسود وأصبح في مقدورهم قطع الطريق على سفن القمح الأثينية كما أخذ مساعد اتالكيداس يهدد ميناء بيريه من قاعدته في جزيرة ايجينا Aegina . وازاء هذا التهديد لم تجد أثينا بدا غير أن تعلن موافقتها على سلام الملك وأرسلت مندوبيها ليقسموا أمامه احترامهم والتزامهم به . وكما اعترضت أثينا في بادئ الأمر على سلام الملك اعترضت طيبة التي كانت تسعى لتوحيد اقليم بيوتيا تحت زعامتها ولكنها في النهاية أجبرت على قبول هذا السلام كما أجبرت أرجوس أيضا .

هكذا تغير مسار تاريخ أثينا بإعلان سلام الملك . اذ تحطم حلم مياسينها القدامي وهو احياء الامبراطورية الأولى التي كانت تقوم على الاستعمار وفرض الاتاوة على الأتباع ورضى الأثينيون بجزرهم الثلاث التي منحت لهم وأصبح الموقف الجديد يحتم على الأثينيين مواجهة المستقبل الاقتصادي لبلادهم معتمدين على أنفسهم ومصادرهم الاقتصادية فقط ولعل الضائقة المالية التي كانوا فيها هي التي شجعتهم على قبول هذا الواقع وأن يعطوا لبلادهم الفرصة لالتقاط أنفاسها قبل أن تفكر في مستقبلها الجديد .

ولكن مجهودات السنوات الماضية لم تضع كلها هباء لأنها خلقت من أثينا قوة بحرية بصرف النظر عن فقدانها سيطرتها السياسية . بل على لعكس كان السلام في صالح الأثينيين ، لأن هذه الصدمة جعلتهم لا يفكرون في جعل مدينتهم مرة ثانية استعمارية ميطرة تتحكم في غيرها من المدن بل آثروا أن يجمعولوا منها أختنا كبرى تدافع عنهم وتحصينهم وتصور استقلالهم من القرس والاسبرطيين على السواء وكان لزاما على الأثينيين أن يهجروا الأفكار الاستعمارية القديمة التي أودت بالامبراطورية الأولى وبأى محاولة لاسترجاعها . وبدأ الأثينيون يفكرون في فلسفة جديدة ألا وهي (٢٦ - الاغريق)

اقامة علاقات ومصالح بين مدن بلاد اليونان المختلفة خاصة البحرية منها .
وأن تقوم هذه العلاقة على أساس المساواة والاحترام المتبادل . وسرعان
ما أتت هذه السياسة الحكيمة أكلها إذ استمرت المدن التي كانت لها
علاقة حسنة بأثينا قبل سلام الملك على نفس علاقاتها الطيبة ان لم تكن
قد ازدادت في بعض منها . وفي عام ٣٨٠ ق م تحدث ايسوقراط عن
علاقات أثينا الطيبة مع خيوس وبيزنطة وموتيليني كما أن علماء النقوش
كشفوا نصوصا من معاهدات مثل التي قامت بين أثينا وخيوس على
أساس الاستقلال والحرية والالتزام بشروط الملك .

وقد ساعد على نجاح هذه السياسة استغلال الاثينيين جيدا لأخطاء
اسبرطة وتخلفها في سياستها ثم في سلوكها العدواني المهيمن ضد
أوليتشوس وماتينيا وطيبة مما جعل كثيرا من المدن ترنم في أحضان
أثينا معتبرة إياها الأخت الكبرى الحامية ضد الأخت الشريرة
اسبرطة .

أثينا تساعد ثوار طيبة ورد الفعل الاسبرطي :

ارتكبت اسبرطة عدة حماقات معتمدة على تفسير نصوص سلام
الملك لصالحها ومعتمدة على حليفها ديونيسيوس طاغية سيراكوزة ،
وتمادت في اذلال المدن الاغريقية وحل الأحلاف وتقييد تحرك طيبة في
يوتيا . وكانت تلك سياسة الملك أجيسلاؤس . ومن أكبر الحماقات التي
ارتكبها هذا الملك احتلال قلعة كاديا في طيبة بقوة تعدادها ١٥٠٠
جندي بمعاونة الحزب الأوليجارخي الاسبرطي عن طريق انقلاب مفاجيء
تم أثناء عيد ديني للنساء في هذه القلعة مما أثار امتعاض الاغريق وتدفق
أنصار الديمقراطية على أثينا حيث استقبلتهم وساعدتهم ردا لجميل أهل
طيبة على الاثينيين في كفاحهم لاسقاط الدكتاتورية الأوليجارخية التي
أقامها لوساندر في أثينا بعد هزيمتها في الحروب البيلوبونيسية .

استغلت أثينا أخطاء اسبرطة الفادحة وراجت في صمت تعقد
معاهدات الصداقة بينها وبين المدن والجزر الاغريقية حيث حرصوا كما
يؤكد لنا علماء النقوش على كلمة الاستقلال 'autonomia' والحرية

eleutheria في ظل سلام الملك . كما كسبت أثينا احترام أهل طيبة بمساعدة بعض اللاجئين في القيام بانقلاب مضاد في ديسمبر عام ٣٧٩ ق.م أعادوا فيه الديمقراطية وطرّدوا الحامية الاسبرطية . ولكن نلاحظ أن الأثينيين بالرغم من تعاطفهم ومساعدتهم لأهل طيبة إلا أنهم حرصوا على ألا يتورطوا في معارك ضد أسبرطة خوفا من المضاعفات من ناحية وخوفا من أن يخلقوا « طيبة » قوية تهدد مصالحهم من ناحية أخرى ، حقيقة حدث أن أغلق القائد الأثيني خابرياس Chabrias البحر الشمالي عبر اليوثيراي Eleutherae في وجه الملك كليومبروتوس الاسبرطي وهو في طريقه الى طيبة ولكن هذا التصرف يمكن أن يعتبر تصرفا محايدا لدولة لا تريد التورط في معارك أما أن يشترك قائدان أثينيان في صفوف ثوار طيبة فقد كان أبعد مما تتحملة أسبرطة وهو مالا تريده أيضا أثينا ويبدو أن الاسبرطيين فقدوا فرصة نادرة وهي رغبة أثينا في عقد السلام مع أسبرطة وذلك بمحاكمتها لهذين القائدين وإعدامها واحدا وبقي الآخر إلا أن سفودرياس الاسبرطي ارتكب حماقة في ربيع عام ٣٧٨ ق.م وقام بهجوم ليلي فاشل هدف به احتلال ميناء بيريه رداً على مساعدة أثينا لثوار طيبة . وتبع ذلك غضب أثينا وتأزم الموقف خاصة بعد تبرئة سفودرياس نتيجة لتدخل الملك الاسبرطي . وكسب أنصار طيبة للموقف في أثينا حيث أعلن عن قيام تحالف بين المدينتين . بل وبدأت أثينا في تحصين ميناء بيريه وبناء أسطول جديد . ولم يكن هذا رد الفعل الحقيقي لأن رد الفعل الحقيقي عند الأثينيين كان التعجيل بإحياء فكرة قديمة وهي تحالف من نوع جديد بين أثينا وباقي المدن الاغريقية في وجه الخطر الاسبرطي المتعاون مع الفرس .

تكوين التحالف الكونفدرالي وقواعده (الامبراطورية الاثينية الثانية) :

ما أن أعلنت براءة سفودرياس حتى دعا الأثينيون حلفاءهم الى ارسال ممثلين الى أثينا للتشاور في أمر قيام اتحاد كونفدرالي لموقف العدوان الاسبرطي ووافق عدد من المدن الاغريقية على المشروع من ناحية المبدأ . ومن أوائل المدن والجزر التي وافقت على الفكرة خيوس ورودرس وبيزطة وموتيليني وطيبة ويقول ديودورس الصقلي أن خيوس

وبيزنطة كاتتا أول من أعلن قطع علاقاتهما مع أسبرطة والدخول في هذا الاتحاد الجديد ثم تلى ذلك رودس وموتيليني عاصمة جزيرة لسبوس وعدد آخر من المدن . ودخلت خيوس الاتحاد بأداء القسم الخاص به كما اتفق المتحالفون على أن تكون عضوية الاتحاد مفتوحة لأي عضو يريد الانضمام .

وفي ربيع عام ٣٧٨ ق م قدم رجل اسمه أرسطوطاليس الماراثوني Aristotles of Marathon مشروع الوحدة بطريقة جذابة وبعد ذلك بوقت قليل خرجت وفود الى المدن ذات المصالح البحرية ومعها نسخ من هذا المشروع لعرضه على حكوماتها للدخول هذا الاتحاد . وكان من حسن المحظ أن عثر علماء النقش على شذرات من مشروع أرسطوطاليس بين آثار أثينا عام ١٨٥١ . وأصبح التاريخ متكاملا بين مطابقة نص النقش وبين ما سجله ديودورس الصقلي . ويبدأ النقش بتاريخ الموافقة على هذا المشروع وهو فبراير عام ٣٧٨ ق م ثم يبان الغرض من تكوين الاتحاد وهو إرغام الأسبرطيين لكي يسمحوا للأغريق بممارسة حرياتهم حتى يصبح في إمكانهم ممارسة السيادة على أراضيهم والدفاع عنها . وفي النهاية يدعو القرار الأغريق وغير الأغريق الى الانضمام الى هذا التحالف بشرط ألا يكونوا من بين رعايا الملك الفارسي وضمن للأعضاء الاستقلال autonomia وبدون أي احتلال أو فرض حاكم معين أو الزام بدفع أتاوة ومن الجدير بالذكر أن النقش يعنى بكلمة «غير الأغريق» - أهل تراكيا ومقدونيا وبيروس في شمال بلاد اليونان حيث كانوا يعتبرون برابرة Barbaroi أو انصاف اغريق في أحسن الأحوال ، وأن دخول أي عضو الاتحاد يكون على نفس المساواة مثل أي عضو من الأعضاء البازين مثل طيبة وخيوس وغيرها . وينص الاعلان أيضاً على أنه في حالة موافقة مدينة على الانضمام للاتحاد يشترط على شعبها (demos) أن يطن تنازله عن أي ادعاء سابق للمطالبة بأي أراضي داخل أي من المدن المتعاقبة واذ شك أي من الأعضاء في وجود وثائق ضارة به في أثينا منذ أيام الامبراطورية الأولى فإن هذه الوثائق تدمر فوراً بعد موافقة المجلس الاتحادي .

وتأكيداً لمبدأ المحافظة على الاستقلال حظر دستور الاتحاد على مواطني المدن المتحالفة وحكوماتها امتلاك ضياع أو عقار في مدن غير مدتهم الأصلية ابتداء من تاريخ الانضمام الى التحالف . وفي حالة الابلاغ من وجود مثل هذه الحالات يخطر المجلس الاتحادي والذي سيقوم بدوره ببيع هذه الممتلكات ويكافئ المبلغ بنصفها ويذهب النصف الآخر الى خزانة الاتحاد .

كذلك نص الاعلان على تقديم المساعدة المادية والمعنوية لأي عضو يتعرض للعدوان . كذلك نص الاعلان على معاقبة أي فرد يحاول الخروج عن هذه المبادئ السابقة باسقاط جنسيته وكافة حقوقه السياسية *Capitis deminutio* ومصادرة ممتلكاته وتقديمه للمحاكمة أمام الاثنيين وحلفائهم ليعاقب بالاعدام أو النفي من البلاد . وفي نهاية النقش تمكن العلماء من قراءة أسماء المدن التي قبلت الدخول في الاتحاد ثم ترك فراغ للمدن التي قد تنضم مستقبلاً .

ومن الملاحظ أن هذا النقش يحمل الروح العاطفية الاعلامية أكثر من الهدف القانوني والتشريعي والتنظيمي للاتحاد فهو أشبه بمنشور *manifesto* موجه الى الهلليين وغير الهلليين بقصد اغرائهم للانضمام الى هذا التحالف الجديد والذي يحدد هدفه وهو « ارغام الاسبرطيين لترك الاغريق وشأنهم يتمتعون بالسلام والحرية والاستقلال ولكن يمارسوا سيادتهم على أراضيهم » وما لاشك فيه أن الأثنيين كانوا صادقي النوايا عندما أعلنوا هذه المبادئ فقد تعلموا من الامبراطورية الأولى دروساً قيية ، كما أن هجوم اسبرطة المباغت على ميناء بيريه وبراعة مرتكب هذا الهجوم جعل الاثنيين مقتنعين أكثر من أي وقت مضى بأن اسبرطة دولة لا تحترم المعاهدات ولا تلتزم بمسوائيق لأنها خالفت نصوص سلام الملك وعلى ذلك يجب مقاومة عدوانها بالتكتل وتوحيد الصفوف . ذلك هو منطق « الغرض من الوجود » *raison d'être* بالنسبة لهذا الاتحاد ولذلك تعرض هذا المنطق للجدل والاعتراض عندما ضعفت اسبرطة وأقبل تعجبها في سماء

السياسة الاغريقية عندئذ تساءل بعض المتحالفين عن الغرض من تمسك أثينا بهذا الاتحاد بعد زوال السبب لقيامه . كذلك فان تمسك أثينا « بسلام الملك » في هذا النقش وفي باقى معاهداتها يدل على ذكاء السياسة والدبلوماسية الاثينية وحرصهم على الابتعاد عن المسائل التى قد تورطهم فى حرب مع بلاد الفرس حتى لاثير العقبات فى طريق وحدة الاغريق . ولعل من يقرأ مديح آيسوقراط Paengyricus لهذا الاتحاد يدرك مدى التغير الذى طرأ على مفهوم السياسة الاثينية وحرصهم على عدم تكرار الأخطاء التى ارتكبت أثناء قيام الامبراطورية الاولى وهى سياسة الانانية والاستعمار المكشوف والتى بها حولت حلف ديلوس الدفاعى الى امبراطورية لها . وتجنبنا لأخطاء الماضى سمحت لوائح الاتحاد الجديد للندن الأعضاء أن يقيموا العلاقات الثقافية والتجارية والسياسية فيما بينهم دون الرجوع الى أثينا بعكس ما كان فى الامبراطورية الاولى التى كانت تشترط ارتباط المدينة بأثينا فقط وأى مصالح بين مدينة وأخرى لا بد أن تتم عن طريق أثينا وحدها . كما حرصت أثينا فى الاتحاد الجديد أن تتنازل عن أى حق للتدخل فى الشؤون الداخلية للأعضاء واعلان رفضها ارسال حاميات عسكرية أو فرض أتاوة اجبارية Phoros أو تملك أراضى فى المدن المتحالفة . ولذا حرص الأثينيون على ذكر عبارة « الأثينيون وحلفاؤهم » Athenaiot Kai Symmachoi . توضيحا لسياستهم وهى أن يتولى مصالح المدن المتحدة مجلس اتحادى خاص بهم يسمى بالمجلس العام للمتحالفين To Koinon Syndrion Symmachon والذي كان يتكون من ممثلى المدن المتحالفة وكان لكل مدينة مندوب أو أكثر ولكن صوت واحد لكل مدينة مهما اختلفت حجم هذه المدن أو أهميتها . وكان هذا المجلس الاتحادي Syndrion يتولى ادارة شئون الاتحاد الذى تقبّر أن يكون مقره الدائم أثينا .

تقييم الاتحاد ومناقشة الأسس التي قام عليها :

كأى اتحاد وحدوى آخر فى أى زمان أو مكان - قام هذا الاتحاد على ثلاثة سلطات تنظيمية هى السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية .

فمن ناحية السلطة التنفيذية تمتعت أثينا بنصيب الأسد ، فهى مقر المجلس الاتحادى الذى يتولى شئون المدن المتحالفة ، وكان مجلس الشيوخ الأثينى Boule هو الوسيط بين المجلس الاتحادى Synedrion والمجلس الشعبى الأثينى ekklesia ، والذى كان لابد من استشارته لأن على الأثينيين كان يقع العبء الأكبر خاصة فى مجال الحرب وأمور السلام .

وفى أول عهد الاتحاد أعتبر المجلس الشعبى الأثينى ekklesia والمجلس الاتحادى مؤسستان دستوريتان متساويتان . ولكن بمرور الزمن وازدياد المسؤولية على عاتق أثينا ازدادت مسؤولية المجلس الشعبى الأثينى فغطت على سلطات المجلس الاتحادى خاصة إبان اندلاع الحروب بين المتحالفين وهذا أمر طبيعى فى حالة الطوارئ ، ولم يؤثر ذلك البتة على مؤسسات الاتحاد ومبادئه الأساسية الأخرى .

كذلك حظيت أثينا بنصيب كبير فى المجال التنفيذى فموظفوها هم الذين كانوا يقومون بتنفيذ بنود الاتحاد فى الحرب والسلام ويقول ديودورس أن ذلك جعل من الأثينيين قوة حقيقية وأعطى لمدينتهم دور القيادة الفعلية . ففى مجال الجيش كان جنرالات أثينا يسكنون بزمام الموقف فى البر والبحر وفى مجال الاقتصاد والمال كان موظفوها يجمعون مساهمات الأعضاء .

ولكن بمرور الوقت تعدت أثينا على استقلال القضاء وتدخلت فى محاكم المدن المتحالفة فمثلا تدخلت أثينا فى السلطة القضائية لجزيرة كيوس Keos لتضمن عقوبة قاسية ضد المتمردين على الاتحاد كذلك حدث شئ مماثل فى جزيرة ناكسوس فى منتصف القرن الرابع ق.م . ومن الأمثلة الصارخة على تدخل أثينا فى استقلال المتحالفين وتعميدها على حرمة القضاء فيها إصرارها على الاحتفاظ بحق اعتبار من تراههم من

الأفراد أيما كانت مدتهم خارجين على القانون وذلك بمقتضى قانون يصدر من إحدى المحاكم الأثينية ويصبح ساري المفعول في كافة مدن الاتحاد . أيضاً كان في تمسكها بحق حماية بعض الأفراد واعتبار من يتعرض لهم بالأذى خارجين عن القانون في كافة مدن الاتحاد وكان ذلك تعدد على استقلال المتحالفتين بالرغم من أن بنود الاتحاد نصت على مادة تميز انشاء محكمة مشتركة من الأثينيين وجلفائهم للنظر في مثل هذه القضايا .

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على خرق أثينا تمهدها باحترام واستقلال المتحالفتين تدخلها من أجل إصدار تشريعات بهدف الحد من تجارة بعض المدن المنافسة لها حماية لاقتصادها ، خاصة بالنسبة للمواد الخام التي تقوم عليها صناعاتها ، اذ احتكرت تجارة هذه المواد وحرمت على المتحالفتين الاتجار فيه مما يدل على أن أثينا كانت تنتهك القواعد لتسلب حلفاءهم حقوقهم من أجل مصلحتها الذاتية وكما ، قرارات (dogmata) المجلس الاتحادي Synedrion تعتبر من الناحية النظرية معادلة لقرارات المجلس الشعبي الأثيني Ekklesia لأن القرارات التي أريد للمجلس الاتحادي مناقشتها كانت تتعلق بالمصالح المشتركة بين المدن المتحالفة مثل الحرب والسلام وعقد المعاهدات ، كذلك نصت بنود الاتحاد على انشاء محكمة فدرالية مشتركة لمحاكمة من يخرج عن نصوص الاتحاد وغير ذلك من المشاكل المختلفة ولكن ذلك لم يحدث . بل بمرور الوقت حدث شرخ بين المبادئ النظرية والواقع السياسي . فقيام الاتحاد لم يمنع حدوث صراع بين مصالح المدن المتحالفة مما أدى الى الانفجار في الصراع في بعض الأحيان ، وكان على أثينا أن تتصرف بسرعة دون انتظار الى قرار من مجلس الاتحاد . وعندما ازدادت نفوذ ومسؤولية أثينا اضطرت الى التفاوض في بعض الأحيان عن بعض البنود الأساسية من أجل مصالحها . كما أن قيامها بقمع حركات التمرد ضد الاتحاد اعتبرت خرقاً لمبدأ الاستقلال وحق السيادة للمدن المتحالفة . وكما رأينا ، كيف تدخلت أثينا في استقلال وحرية القضاء في المدن المتحالفة ، كذلك بدأت

أثينا في جمع اشتراكات (Syntaxeis) مالية من الأعضاء لمساعدتها في القيام بالتزاماتها ازاء الاتحاد ولكنهم آثروا أن يتفادوا كلمة اناوة Phoros القديمة واستخدموا بدلا منها تميزا مذهباً هو « اشتراكات » Syntaxeis تدفع في شكل مبالغ مالية أو سفن حربية وقوات برية .

كما احتفظت أثينا لنفسها بالقيادة العامة في مجال الحرب والادارة العليا وفي التنفيذ والتنظيم مما أهلها لمركز القيادة السياسية (hegemonia) على الاتحاد ومن ثم يحلو لبعض المؤرخين بتسميته الامبراطورية الآثينية الثانية . أما اذا أردنا تتبع نقاط الضعف في هذا الاتحاد فنسبداً بنقد جوهر قيامه اذ كان الغرض من وجوده (raison d'etre) شبيهاً بالفرض من وجود حلف ديلوس القديم - وهو تكوين جبهة عسكرية ضد عدو مشترك يهدد مصالح المتحالفين فاذا انتهى هذا الخطر لم يعد هناك أى تبرر لبقاء التحالف ثم سرعان ما تحول أثينا التحالف الى امبراطورية لها . لقد كان الغرض من وجود التحالف الأخير هو حماية استقلال المدن الاغريقية من العدوان الاسبرطى ولقد فات الذين وضعوا مبادئ وأسس الاتحاد أن يجعلوا العامل العاطفى والنفسى الموجود فى أعماق الاغريق ، وهو الوحدة الهلينية حجر الزاوية لهذا الاتحاد لأن السبب الأول كان عرضياً وربما تجنب الآثينيون ذكر كلمة الوحدة الهلينية حتى لا يتهموا بالاطماع وتهديد استقلال المتحالفين وآثروا ذكر سبب قرب ومباشر ألا وهو التهديد والخطر الذى كان لابد من وجوده لكي يجمعوا المتحالفين فى جبهة واحدة ولكى يتناسوا التعصب الوطنى لاستقلال مدنها .

ومن نقاط الضعف الأخرى فى نصوص الاتحاد مساواة المدن المتحالفة عند التصويت بصرف النظر عن تعدادها ومضادها وأهميتها مما جعل مصالح المدن الغنية تحت رحمة المدن الفقيرة فلم يكن من العدل مثلاً أن تعطى جزيرة صغيرة فقيرة مثل مغنوس Siphnos صوتاً واحداً مثلها مثل المدن الكبرى مثل طيبة أو مونيلىنى أو أثينا وقد يدافع

البعض عن ذلك بأن المساواة في التصويت هي توكيد لمبدأ المساواة الكاملة والتامة بين المدن المتحالفة ولكن هذا ليس بعدل . ومن الغريب أن هذا الاتجاه الخاطئ ظهر فيما بعد عند قيام الحلف الآخي Achaean league مما جعله تمثيلاً غير عادل لشعبه .

كان من الخطأ أيضاً قيام مجلسين تشريعيين منفصلين بل ومتنافسين في وقت واحد وفي مدينة واحدة وهما المجلس الاتحادي Syndnion والمجلس الشعبي الأثيني ekklisia . وكثيراً ما دب الخلاف بينهما خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمور الحرب والإدارة مما أوجد بوادر الشقاق منذ البداية . كان المفروض قيام مجلس تشريعي واحد ومتحد يضم الأثينيين وحلفاءهم على أساس تمثيلي عادل ، وهو أمر في الحقيقة كان من الصعب تحقيقه بسبب غيرة الأثينيين الوطنية على مدينته ذات التراث والنفوذ وكان من الصعب عليه أن يقبل إلغاء مجلسه الشعبي الذي كان يرى فيه ديموقراطيته العزيزة على نفسه ورمز حريته واستقلاله لسكى يدمج في مجلس اتحادي غريب عليه ينصر فيه فيفقد فرديته واستقلاله وهذه نقطة ضعف سيكلوجية في المواطن الاغريقي خلقتها نظام دويلات المدن مما عطل قيام الوحدة الاغريقية الشاملة لوقت طويل .

ولكن كل هذه العيوب لا تبعدنا عن ذكر أهمية هذا الاتحاد في تقريب فكرة الوحدة السياسية الشاملة على أساس ناجح . لقد كانت الامبراطورية الثاية خطوة جريئة موفقة من أجل تحقيق وحدة فيدرالية بين الدويلات الاغريقية . حقيقة لقد قام الاتحاد الثاني على أسس متشابهة مع حلف ديلوس الا أنه في هذه المرة ضمن حقوقاً للمتحالفين وحدد مسؤولياتهم بصورة تمثيلية شعبية أكثر نجاحاً من الماضي .

لقد كان هذا الاتحاد النموذج الأول لاتحادات فيدرالية أخرى قامت بين المدن الاغريقية فيما بعد ونخص بالذكر الحلف الآخي (١) ونحن لا ننكر أن نظام التمثيل والتصويت داخل المجلس الاتحادي

(١) لقد مالج فريمان ظاهرة قيام الاتحادات الفدرالية عند الاغريق في بحث قيم صدر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولم تظهر حتى الآن أبحاث أخرى تكمله أو تزيد عليه :

F. A. Freeman, History of Federal Government (edit by Bury, London 1889).

لم تكن عادلة الا أن تكوين مجلس دائم مثل لندن مختلفة في مدينة أثينا يعتبر عملا رائعا وتطورا كبيرا في فكرة الوحدة الشاملة الاغريقية لأن هذا المجلس كان المنبر الذي من فوقه عبرت المدن المختلفة والبعيدة عن رأيها على لسان مثلها كما وضع للآتينين مدى أهمية نظام التمثيل عن طريق نواب محدودى العدد وصحح لهم خطاهم في تصور ووجوب تمثيل كل الشعب مجتمعا كشرط لتحقيق الديمقراطية لأنه من المحال جمع شعوب كل المدن المتحدة في مكان واحد . كذلك فإن فكرة تأسيس محكمة فيدرالية (بالرغم من أنها لم تنفذ) للنظر في الخلافات بين أثينا والمدن المتحالفة ولحاكمة الخارجين على هذه الوحدة يعتبر خطوة رائدة في طريق تحقيق الوحدة لأنها كانت بمثابة مزج جماهيري حقيقى على مستوى الاتحاد كله . انها لم تنفذ ولكن مجرد التفكير فيها يعتبر نصرا كبيرا لأنصار الوحدة . كذلك فإن انشاء خزانة فدرالية أمر هام للغاية لأن وجود خزانات للمدن المتحالفة مستقلة عن الخزانة الأثينية حال دون وقوع الخطأ الذى وقعت فيه أثينا في الامبراطورية الأولى عندما اتهمها الأعضاء باستغلال أموالهم للاتفاق على مشروعات خاصة وذاتية .

هكذا يمكن أن نقول أن هذا الاتحاد يمكن أن يعتبر النواة الأولى للوحدة الاغريقية الشاملة .

الظروف المختلفة التى مر بها الاتحاد منذ قيامه حتى سقوطه :

نستطيع أن نقول أن هذا الاتحاد قد مر بثلاثة مراحل مختلفة هي :

١ - المرحلة الأولى أو مرحلة التأسيس ٣٧٨ - ٣٧١ ق م وفيها

كان الحماس لفكرة الاتحاد قويا حتى ولو على حساب التضحية . ويمكن أن نسميها بمرحلة الاشغال العاطفى التى ساد فيها الاحساس المثالى لمبدأ الوحدة الهلينية دون التفكير المنطقى فى تحقيقها . تبدأ هذه المرحلة باعلان الاتحاد عام ٣٧٨ وتنتهى بانسحاب طيبة منه عام ٣٧١ ق م أيضا تتميز هذه الفترة بوجود الحافز للوحدة وهو الخطر الذى هددت به أسبرطة استقلال ، وحرية المدن الاغريقية لقد بدأ الاتحاد بخمس أو ست أعضاء مؤسسين وأخذ يتزايد حتى أعادت أثينا امبراطورتها شرقا وغربا ووصل عدد

المتحالفين الى ما بين ٧٠ و ٧٥ عضوا . وكانت أثينا ترحب بقبول أى متحالف حتى المشكوك فى أطماعهم مثل ياسون طاغية فيراى الذى انضم الى التحالف وأصبح عضوا فيه .

ولما هزمت طيبة العدو المشترك أسبرطة فى معركة ليوكترا وانهارت الأمبراطورية الاسبرطية بدأ الأعضاء المتحالفون يتساءلون خفية عن السبب فى بقاء التحالف وبدأت الشكوك تحوم حول أثينا من جديد بأنها تسمى لقرض همودها البحرى الذى أصبح قويا .

وتنتهى هذه الفترة بانسحاب طيبة من الحلف والحقيقة أن انسحاب طيبة لم يؤثر على الحلف اطلاقا لأن الضمامها اليه منذ البداية كان مشكوكا فيه . فقد كان لها أطماع وأحلام سياسية تريد تحقيقها فى بيوتيا ولكن أسبرطة كانت تقف لها بالمرصاد ولذا انضمت الى الحلف الآثينى طمعا فى استخدام تسهيلات العسكرية لصالح مشروعاتها الوحودية وضد أسبرطة .

ويمكن أن نلاحظ أن الحلف كان يعانى ضعفا ماليا منذ بداية تكوينه لدرجة أنه لم يستطع مواجهة أى أزمة اقتصادية أو مالية فيما بعد . لقد تحملت أثينا منذ البداية العبء الأكبر من ميزانية الاتحاد واضطرت ازاء المسئوليات المتزايدة الى فرض ضريبة اضافية على مواطنيها *eisphoron* لأن الاشتراكات التى كانت تجبى من الأعضاء *Syntaxeis* لم تكن كافية للوفاء بالتزاماتها العسكرية ووصل الحال ببعض القادة العسكريين مثل تيموثيوس *Timotheus* وايفكراتيس *Iphicrates* الى الاستدانة وبيع ممتلكاتهم أو تشغيل الجنود والبحارة فى الحقول ونهب المدن والعمل كمرتزقة من أجل الاتفاق على العمليات العسكرية المطلوبة . وليس بالحساس وحده يقوم الاتحاد . فتحمس الآثينيين واستعدادهم للتضحية من أجل نجاح الاتحاد لم يكن كافيا لبقائه طويلا وكان فى امكانهم مطالبة المتحالفين الأعضاء بمساهمة أكبر ولكن هزيمة أسبرطة العدو الأسامى لم يعط أثينا التبرير الكافى لطلب ذلك بل وصل الحال الى تراكم مؤخرات

الاشتراكات (١) Syntaxeis على الأعضاء دون أن تحاول أثينا الضغط عليهم لتسديدها حتى لا تظهر بمظهر الطامع أمام الحلفاء .
الرحلة الثانية : مرحلة تدهور العلاقات بين أثينا وحلفائهم .
٣٧١ - ٣٥٧ ق.م :

بعد هزيمة أسبرطة وانسحاب مليية ساءت العلاقات بين أثينا والحلفاء وتتميز هذه الفترة بندرة المعلومات التاريخية عن نشاط الاتحاد حتى يصعب على المرء تتبع نشاطه حيث غطى نشاط العلاقات الخارجية لأثينا على نشاط المتحالفين .

لقد حاولت أثينا في بداية هذه الفترة تحويل الاتحاد الى حلف لها والمتحالفين الى مناطق نفوذ لها . ومن أجل هذا توسعت أثينا في قبول الأعضاء فقبلت عددا من مدن الييلوبونيسوس . ولم يعد انضمام هذه المدن على الحلف بـفائدة إذ انسحبت منه واحدة تلو الأخرى بعد تحقيق أغراضها الخاصة . ووصل الحال أن أثينا لم تجد أحدا يعاونها عام ٣٦٦ ق.م وهي تحاول استعادة مدينة أوروبوس Oropos المنسقة عليها .

ومن أخطاء أثينا في هذه الفترة تورطها مع مدن الييلوبونيسوس . فبعد هزيمة أسبرطة انضمت كثير من المدن الصديقة لأسبرطة الى الحلف الأثيني بغية الحصول على مساعدة ضد طيبة وتحت الحاح هذه المدن وجدت أثينا نفسها حليفة لأسبرطة ضد طيبة مما أثار احتجاج الأعضاء القدامى في الحلف وهم الذين أقاموا الحلف أساسا لمعاربة أسبرطة . وسادت موجة من الاعتراض على قبول أصدقاء أسبرطة الجدد في الحلف بل ووصل الحال ببعض الأعضاء الى الانسحاب من الحلف احتجاجا والانضمام الى مليية المنتصرة مثلما فعلت يوبويا وأكارتايا . ثم تلى ذلك انسحاب أولينثوس وتوابنها بحجة واهية وهي تهديد أثينا لمدينة أمفيبوليس Amphipolis .

هكذا فقد الحلف الكثير من الانسجام الذي كان يتميز به عند تكوينه ، خاصة بعد انتصار طيبة الساحق في ليوكترا والذي وضع نهاية

(1) C.M. Wilson, " Athens military Finances 378-7 to the Peace of 375 B.C., Athen. XLVIII, 1970, p. 302-326.

لمجد أسبرطة العسكرية ولخطر تهديدها لاستقلال المدن الاغريقية مما أفقد التحالف الغرض الأساسى الذى من أجله قام . ولما تغيرت سياسة أثينا ازاء حلفائها تغيرت سياسة الحلفاء ازاءها أيضا وظهرت موجة من الاحتجاج والانسحاب فانسحبت بيزنطة وكيوس وبدأ التذمر يظهر فى رودس وخيوس . وبينما راحت المدن المؤسسة تسلمخ عن الانضمام شهدت الفترة ما بين ٣٥٨ و ٣٥٧ ق م موجة جديدة من الانضمام من جانب أعضاء جدد ربما دفعوا الى الانضمام تحت تهديد القوة الأثينية البحرية المتزايدة وكان أعظم حدث فى تاريخ الحلف هو عودة جزيرة يوبويا الى الاتحاد ولكن بعض المؤرخين يعزون هذه الموجة من الانضمام الى عملية تشييط مؤقت سرعان ما اختفت .

لقد تغيرت سياسة أثينا ازاء حلفائها فى هذه الفترة من التحمس والاستعداد للتضحية الى الأناية والبحث عن المكاسب الخاصة فكل الممارك العسكرية التى تمت فى هذه الفترة فيما عدا تأمين شبه جزيرة القرم Chersonese لم يكن بذات فائدة للأعضاء بل لصالح أثينا فقط . وإذا حدث ومطالب الحلفاء بعمل عسكري لصالحهم تراخت أثينا فى تنفيذه . فمثلا عندما أخذ الاسكندر ملك فيراى يهدد جزر الكوكلايس Cyclades بأسطوله نجد الأسطول الأثينى بقيادة خارس لا يهتم بذلك ويفضل الابحار الى جزيرة كوركورا للتدخل لصالح الحزب الموالى لأثينا . وفى نفس الوقت نجد أثينا تتدخل بالقوة لاختضاع الأعضاء المنشقين عليها فقد أخضعت جزيرة كيوس وحددت استقلالها وسلطاتها القضائية والتجارية وأصدرت أثينا أحكاما ضد المارقين عليها وجعلتهم خارجين عن القانون ومطالبت جميع المدن بتنفيذ هذه الأحكام مما جرح كبرياء المدن المتحالفة وملا صدرها بالتذمر والتشكك فى نوايا أثينا . كذلك عانت أثينا والحلف عجزا ماليا شديدا (١)

(1) Cf Mossé, " La vie économique d'Athènes au IV^e Siècle : crise ou renouveau ? , Praelectiones Patavinae, Rome 1972, P. 135-144.

وازداد العجز بين الدخل من الضرائب والنفقات العسكرية لدرجة أن بعض القادة كانوا يدفعون مرتبات الجنود والبحارة من أموالهم الخاصة ودون أن يستردوا هذه المبالغ من الدولة مما دعاهم الى تعويض ذلك عن طريق السلب والنهب والحاق الأذى ببعض المدن . وبهذا دفعت أثينا جبرالاتها الى أعمال اللصوصية مما أثار امتعاض الدويلات الاغريقية . وربما يجد الباحث عذرا للاثينيين في ذلك فقد زادت النفقات العسكرية بسبب التطورات السياسية المتعاقبة . كذلك فان اعتماد الجيش الاثيني على الجنود المرتزقة زاد من بهالة لتكاليف .

وخلصة القول أن بواذر التدهور بدأت في الظهور على الاتحاد عندما بدأت المدن الكبرى المؤسسة في الانسحاب أو الاستعداد للانسحاب من التحالف بينما استمرت أثينا في توسيع رقعة نفوذها وسيطرتها البرية والبحرية بصرف النظر عن اتباعها منطقا سياسيا معقولا يبرر لها تصرفاتها . كما بدأ الأعضاء الباقون يحسون بالبرود وعدم الاكتراث ازاء التحالف ولكنهم ظلوا كابتنين لاحساساتهم المريرة ازاء الشقيقة الكبرى حتى تحول هذا الكبت الى صراع دموي قضى على البقية الباقية من الاتحاد .

المرحلة الثالثة والاخيرة :

(مرحلة تفجر الصراع وانهايار التحالف ٢٥٧ - ٢٠٨ ق م) :

سبق أن رأينا كيف أن التحالف بدأ محلا بالمشاكل ولكن هذه المشاكل بالرغم من تعددها وتضاربها لم تكن كافية لاحداث اهتجار سياسى يأتى على البقية الباقية من التحالف . ولكن في هذه الفترة ظهر عامل جديد وهو تدخل قوى أجنبية ومعادية واستعدادها لهدم التحالف .

فمن ناحية راح الملك ماوسولوس Mausolos ملك كاريا الأسوي يحرض المتحالفين في أيونيا ضد أثينا ويدعوهم الى الانفصال من التحالف كما وعد المدن الاغريقية بالمساعدة في حالة الثورة وكان هذا الملك يطمح في مد نفوذه في آسيا الصغرى على حساب أثينا . ونتيجة لهذا التحريض ثارت خيوس وروودس وكوس وسرعان ما لحقت بهم بيزنطة التى كانت قد

انسحبت من الحلف وتلى ذلك عدد كبير من المدن الصغيرة . كانت الثورة
يتزعمها الأوليجارخيون ضد الديموقراطيين وسببت صراعا وخرجوا
مريرا لأثينا لأنها كانت الأم الكبرى للأحزاب الديموقراطية .

ومن ناحية أخرى كان فيليب ملك مقدونيا قد برز بملكته التي ساحة
الصراع الاغريقي . وكان هذا الملك طموحا يأمل في بناء امبراطورية
كبيرة ومن ثم أخذ يعمل على هدم التحالف حتى يبنى امبراطوريته على
أشلائها كما رأى فيليب الدبلوماسي البارح أن اندلاع الثورة بين
المتحالفين سوف يشغل أثينا عن توسعاتها في مقدونيا وتراكيا . وإلى
جانب كاريا ومقدونيا كانت طيبة هي الأخرى تتحفز للانتقام من أثينا
بعد فقدانها جزيرة يوبويا التي عادت الى التحالف عام ٣٥٧ ق . م .

أما الأسباب المباشرة التي أدت الى التدهور فقد كانت نتيجة لتصرف
عدوانى قام به القائد الاثينى خارس تجاه كل من خيوس ورودوس .
فقد حاول الاثينيون استعادة جزيرة خيوس في خريف عام ٣٥٧ ق . م
وقاد خارس القوات البرية ضد الجزيرة بينما كان زميله خابرياس يربط
بالأسطول . وحاول خابرياس الهجوم بمفرده ولكن هذا الهجوم كلفه
حياته فاضطر الاثينيون الى وقف العمل المسكرى مؤقتا .

وفي عام ٣٥٠ قررت المدن الثائرة تكوين أسطول مشترك فيما بينهما
والقيام بعمل انتقامى مضاد ضد ممتلكات أثينا وتعرضت جزر لمنوس
وأمبروس للنهب وحاصروا جزيرة ساموس الموالية لأثينا . وكان الثوار
المتحالفون يهدفون الى جمع الأسلاب من أجل دعم الثورة ضد أثينا ،
ولم يسكت الاثينيون على ذلك فأرسلوا حاميات عسكرية مختلفة تحت
قيادة عدد من الأراخنة لحماية المدن الموالية لهم وجوزوا أسطولا يتكون من
ستين سفينة تحت قيادة تيموثيوس وايفكراتيس بالإضافة الى ستين سفينة
أخرى كانت تحت قيادة خارس .

وسار الأسطول الاثينى الى بيزنطة في صيف عام ٣٥٦ ق . م لمهاجمة
مدينة بيزنطة لأنها رأس الثورة من ناحية ولاستعادة الطريق الحيوى
لأثينا لتجارة القمح وتأمين منطقة البحر الأسود وبحر مرمرة من ناحية

أخرى . وازاء هذا التصرف اضطرت المدن الثائرة على الاتحاد الى فك حصارها
 لجزيرة ساموس والابحار فوراً لملاقاة الأسطول الأثيني والذي تحرك
 هو أيضاً لملاقاة أسطول الثوار . وبالقرب من خيوس تواجه الأسطولان
 عندئذ أمر خاريس كلا من تيموثيوس وإيفكراتيس بالهجوم ولكنهما
 طلبا منه التريث لحين هدوء البحر الهائج فلم يستمع اليهما واندفع وحده
 مهاجماً فرد على أعقابهم خاسراً . عندئذ ادعى أن زميله غدرا به فظير
 قبول رشوة من العدو . فاستدعى الأثينيون هذين القائدين للمثول أمام
 المحاكمة . وأسفر التحقيق بتوقيع غرامة كبيرة على تيموثيوس بينما برئت ساحة
 إيفكراتيس وابنه من تهمة الرشوة وانسحب تيموثيوس الى منفى اختاره
 بمدينة خالكيس في جزيرة يوبويا وذلك في خريف عام ٣٥٦ ق . م .
 وبذلك أصبح الميدان خالياً من أى منافس لخاريس . ولكن نشاطه
 البحري أصبح مقيداً بسبب العجز المالى مما اضطره الى العمل بجيشه
 كجندي مرتزق . وارتركب خطأ في قبوله العمل في خدمة ملك فريجيا ضد
 الملك الفارسي ارتاكسركسيس أوخوس . وبالفعل تمكن خاريس وجيشه
 من إلحاق الخسارة الفادحة بالفرس ، نظير مكافأة صغيرة . وازاء هذا
 أعلن الملك الفارسي غضبه مهددا بغزو أثينا نفسها . وكان رد فعل هذا
 التهديد كبيراً لأن الملك كان يعلم مدى الضعف الذى تردت فيه أثينا .
 فانسحب خاريس من الأراضى الفارسية على الفور بينما ارتفعت أصوات
 أنصار السلام تطالب الأثينيين بالتعقل وهجر فكرة محاربة المنشقين وكان
 يقود هؤلاء السياسى الأثينى يوبولوس Eupolos . وتحت تأثير
 التهديد اتنارسى والعجز المالى قبلت أثينا عقد سلام مع المنشقين واعترفت
 باستتال خيوس وكوس ورودوس وبيزنطة وتوابها وسرعان ما انسحبت
 جزيرة كوركورا وحذت موتيلينى وموئنا حذوها وبذلك لم يتبق لأثينا
 من الحلف عام ٣٥٥ ق . م سوى مدن جزيرة يوبويا وبعض الجزر الصغيرة
 المتناثرة في بحر ايجه وساحل تراكيا حيث كانت عيون فيليب المقدونى
 الطامعة مركزه .

اتتهز فيليب انشغال أثينا في الصراع مع حليفاتها وراح يتوسع شمالا في تراكيا فقد استولى على مدينة بودنا Pydna وتحالف مع أولينثوس وطرده الأثينيين من بوتيدايا .

وفي عام ٣٥٦ وعندما حاول ملوك بايونيا والليريا وتراقيا التحالف مع أثينا سارع فيليب بسحق هؤلاء قبل أن تحرك أثينا أصبعها . وفي صيف عام ٣٥٥ قبلت أثينا أن تتحالف مع مدينة نيابوليس Neapolis التي كان فيليب يهدد استقلالها وأرسلت خايس إليها ولكن فيليب كان قد فتح جبهة أخرى .

ان رسالة ايسوقراطيس الشهيرة عن السلام التي أصدرها عام ٣٥٥ ق. م وبحث أكسينوفون الشهير عن الاقتصاد يقدمان لنا صورة صادقة عن وضع أثينا الحرج ولذا أيد الكاتبان دعوة يوبولوس الى السلام . ويتضح من هذين البحثين مدى تدهور الاقتصاد الأثيني نتيجة لاعتمادها على الجيوش المرتزقة ، ولم تكن مساهمة الحلف الضئيلة تكفى تكاليف العمليات العسكرية مما اضطر أثينا في بعض الأحيان الى جمع المساهمة لعدة سنوات قادمة . كذلك فإن عجز القيادة السياسية في أثينا في السيطرة على تحركات جنرالات الجيش خارج البلاد وإهمالها لمصالح حلفائها حط من قدرها القيادي ومن ثم طالب ايسوقراط بهجر فكرة الامبراطورية مقابل السلام وتحسين الاقتصاد ولكن قدامى السياسيين رفضوا ذلك بشدة .

تلى ذلك تقدم فيليب في الشمال واستيلائه على ممتلكات أثينا على ساحل مقدونيا وتراقيا وأخذ يتقدم نحو شبه جزيرة القرم Chersonese بل وظهرت قواته في عام ٣٥٦ قرب بحر مرمرة وإزاء هذا أعلنت بيزنطة تحالفها مع فيليب ضد أثينا وحذى حذوها عدد آخر من المدن التابعة لبيزنطة في هذه المنطقة وكان أمر مريرا أن ترى أثينا حلفاءها السابقين يتحالفون مع فيليب ألد أعدائها والذي عجزت عن الوقوف في وجهه وآثرت التهرب من ملاقاته .

وفي عام ٣٤٩ ق.م ثارت مدن يوبويا على أثينا وانسحبت من التحالف وكانت ضربة قاسية . ولما حاولت أثينا ارسال أسطولها لقمع هذه الثورة وتأييد أنصارها هناك حدث أمر خطير . فقد ثارت أولينثوس ضد فيليب وطلبت العودة الى التحالف الاثيني وهنا تمزقت المسؤولية الاثينية بين يوبويا وأولينثوس وكان النتيجة الفشل في كليهما . وسقطت أولينثوس في يد فيليب عام ٣٤٨ (١) بالرغم من أن لاجئها ظلوا يعترفون بوجود التحالف الاثيني لأنهم طالبوا السلطات الاثينية باغاثتهم من ضربة الحرفيين الأجانب metoikion وفي عام ٣٤١ ق.م استولى فيليب على مدينة اينوس Aenos آخر حلفاء أثينا في تراكيا التي أصبحت كلية تحت سيطرة فيليب . وكانت جزيرة تينيدوس Tenedon رفضوا الاوحد المستوفي لالتزاماته تجاه التحالف حتى عام ٣٣٩ ق.م ولكن نهاية التحالف الاسمية والفعلية جاءت بعد معركة خايرونيا Chaeronia ضد فيليب في أغسطس عام ٣٣٨ ق.م وهزيمة أثينا وحلفائها (٢) . وكما يقول باوسانياس : « أن فيليب قد عقد اتفاقا مع الاثينيين من الناحية الاسمية أما من الناحية الفعلية فقد ألحق بهم خسارة بالغة ، لأنه انتزع منهم الجزر ، وعزلهم عن امبراطورية البحر » (٣) .

حقيقة لقد احتفظت أثينا بممتلكاتها القديمة وهي جزر سلاميس ، وديلموس وساموس ولنوس وامبروس ولكن ذلك لم يكن عن طريق التحالف لأن الاثينيين اعترفوا رسميا بانتهائه .

هكذا مات التحالف لأنه فقد الغرض الذي من أجله قام ولم يعد

هناك سببا لبقائه ووجوده .

(١) للمزيد انظر :

J.M. Carter : "Atheas, Euboea, and Olynthus, *Historia*, XX, 1971., p 41 8-429.

وقد عارض ديموستينيس في خطبته Peri Mirenas «عن السلام» فكرة التدخل لقمع الثورة في يوبويا بينما لم يشر الى الثورة في خطبته الاولثية ولهذا يتهم المؤلف ديموستينيس باخفاء الحقيقة عن الاثينيين .

(2) O.W. Rheinmuth, "The Spirit of Athens after Chaeronea, *Acta of the 5th epig. Congress*, 1967, Oxford 1970, p. 47-51.

(3) Pausanias, I, 27, 2.

الفصل الخامس عشر

محاولة طيبة الفاشلة لبناء امبراطورية

وفرض الزعامة على الدولات الاغريقية (٣٧١ - ٣٦٤ ق م)

جدير بنا - قبل أن نسترسل في الحديث عن الدور القصير والمذهل
حقا - الذى قامت به طيبة على مسرح الأحداث الاغريقية ، أن نعطي
نبذة توضيحية عنها وأن نلقى نظرة على خلفيتها التاريخية قبل أن تصبح
امبراطورية وذلك غداة هزيمتها القاضية لاسبطة هزيمة سلبت الأخيرة
ديناميتها العسكرية والسياسية وأرغمتها على تغيير مسارها التاريخي
ووضعتها على أول طريق الانهيار والغروب .

تقع طيبة Thebes (وهو نفس الاسم الذى أطلقه الاغريق على
الاقصر) (١) على الحافة الجنوبية للسهل الشرقى لاقليم بيوتيا الجبلى الوعر .
وقد أرادت الطبيعة والتاريخ لهذه المدينة أن تكون القلب النابض لهذا
الاقليم - كما كانت أثينا بالنسبة لأتيكا - فهي مدينة قديمة واحدى منارات
الحضارة الموكينية في بلاد الاغريق الوسطى ولهذا لم يكن اسمها غريبا على
الاغريق اذ خرجت منها أساطير وروايات نالت اعجاب الاغريق واستولت
على غريزتهم الدرامية وشغلت فكر شعرائهم المسرحيين وفلاسفتهم
الأخلاقين . فأساطيرها تلى في الأهمية حروب طروادة خاصة فيما

(١) ذكرت الأساطير الاغريقية أن مؤسس طيبة هو قديموس Cadmus

ابن ملك صور الذى حظ رحاله في بيوتيا وبني قلعة كادميا (التى سميت
على اسمه) وجلب حروف الكتابة من فينيقيا (انظر ص ١٢٨) ومن المؤكد
أن لفظ Thebai اسم اغريقى الأصل وليس مصريا ، اما عن تسمية
العاصمة الفرعونية (الاقصر) بهذا الاسم فإنه ليس الا من قبيل محاولات
الاغريق الدائمة لمساواة الاسماء المصرية للأشخاص أو المدن أو الآلهة
بالفاظ معادلة أو مشابهة لها من الواقع الحضارى الاغريقى ، والدليل على
ذلك أن الاقصر كانت تعرف لدى المصريين باسم واحد هو واسط أى
الصولجان رمز الحكم ولم تعرف ابدا باسم طيبة الا في النصوص الاغريقية
والرومانية . أما العرب فقد أطلقوا عليها اسم الاقصر - جمع قصور -
لأنهم طنوا معابدها قصورا .

يتعلق باللعة التى تلاحق البطل أينما كان كما نرى فى أسطورة أوديب الملك (١) .

لقد أدركت طيبة أن دورها يحتم عليها فرض زعامتها على منطقة يوتيا ولهذا حاولت جاهدة توحيد ذلك الاقليم منذ أيام الحروب الطروادية وتعرضت من أجل ذلك الى غزو عدوانى من مدينة أرجوس ولكن طيبة فشلت فى ما فحمت فيه أثينا وهو توحيد الاقليم فكريا وسياسيا وقوميا ، وصهر الموائق القبلية والمحلية فى بوتقة الوطن المتحد . والحق يقال أن الاثينيين لم يتمنوا لجارتهم فى الشمال النجاح فى هذا ، بل وقصروا منها موقف المعارضة حتى لا يرون جارة قوية تهدد طموحهم ومصالحهم ، أضف الى ذلك فقد كان هناك سببا دائما للصراع بينهما وهو مدينة بلاتيا Plataea الواقعة على الحدود بينهما لأن سكان هذه المدينة كانوا من المستوطنين الاثينيين الذين كانوا دائمى التعرض للعدوان من جانب طيبة ، ولأن هذه المدينة كانت بمثابة رأس حربة لأثينا لضرب طيبة وقد بدأ الشقاق بين طيبة وأثينا يتخذ شكلا فعالا منذ عام ٥١٩ ق م وبالفعل لم يسترح قواد طيبة الا بعد تدمير بلاتيا تدميرا شاملا عام ٣٧٣ ق م خرجت بعدها هذه المدينة الصغيرة نهائيا من التاريخ الاغريقى بالرغم من المحاولات التى جاءت فيما بعد على يد فيليب المقدونى عام ٣٣٨ ق م لاعادة استيطانها ومحاولات الاسكندر الأكبر عام ٣٣١ ق م لاعادة بناء حوائطها ومبانيها .

ولقد دفع هذا الخلاف طيبة الى اتخاذ موقف غريب من أثينا ابان الحروب الفارسية اذ تعاونت طيبة مع الفرس ابان حملتهم الثانية ٤٨٠/٤٧٩ ق م مما جر عليها استنكار المدن الاغريقية عامة ومدن اقليم يوتيا خاصة، ونتيجة لذلك فقدت زعامتها الا أنها تمكنت من استعادتها مرة أخرى عام ٤٤٦ ق م .

وابان الحروب اليلوبونيسية انتهزت طيبة انشغال القوى العظمى فى بلاد اليونان وراحت تتوسع على حساب جيرانها حتى أصبحت تسيطر تامة على نصف اقليم يوتيا وأصبحت بذلك تنتخب أربعة

(١) Cf. W. R. Roberts, The Ancient Boeotians London 1895. *passim*.

من أعضاء مجلس الأحد عشر رئيسا Boeotarchoi وهو المجلس الأعلى الذى كان يحكم هذا الاقليم . بل أنها انضمت الى جانب اسبرطة ضد أثينا فى الحروب البيلوبونيسية وكانت من بين الأعضاء المتشددين فى شروط النصر وبلغ بها التشدد بأن طالبت بإزالة أثينا من الوجود ، ولكن اسبرطة بالرغم من تحالفها مع طيبة - لم تكن تسترح لنواياها فحرمتها من ثمار النصر ، فما كان من طيبة الا أنها هجرت اسبرطة وأبدت تعاطفها مع أثينا وذلك بمساعدة الديموقراطيين الاثينيين فى استعادة حكمهم بعد سقوطه . وتلى ذلك تحالفها مع أثينا واشتركت معها فى اثارة حلفاء اسبرطة وذلك بالتعاون مع عدوة اسبرطة القديمة أرجونس ونجحوا فى إشعال الحرب بين اسبرطة وحلفائها داخل البيلوبونيسوس فيما يعرف بالحروب الكورثية .

II. فضحت الدبلوماسية الاسبرطية فى الحصول على شروط صلح سنة عام ٣٨٢ ق م كان ذلك يعنى سلب طيبة مكاسبها التى قضت أربعين عاما فى تحقيقها مما دعى طيبة الى اعلان استيائها من هذا الصلح كما أدى الى استيلاء اسبرطة الخاطف على قلعة كادميا عام ٣٨٢ ق م وتفاوض أثينا مع طيبة لطرد الحامية الاسبرطية من القلعة بقيادة ابامينونداس وييلويداس عام ٣٧٨ ق م ، هذان الزعيان اللذان أوجدا نواة مدرسة عسكرية فعالة فى طيبة استطاعت أن تضم جزءاً كبيراً من بيوتيا وأرهقت الجيش الاسبرطى ثم أجهزت عليه فى ليوكترا عام ٣٧٢ ق م .

وعادة يلى الصراع الاجتماعى الصراع السياسى . فقد كانت الفلسفة التى قام عليها الاتحاد البيوتى تحت قيادة طيبة تعتمد على الفكرة الأوليجارخية . ولهذا فحلف بيوتيا حلف أوليجارخى من أساسه ، حيث كان حق الجنسية فيه يقوم على شرط الامتلاك قبل شرط الخدمة فى الجيش كجندي مشاة hoplites . وعلى رأس المدن التى كانت أعضاء فى حلف بيوتيا ، تأتي أورخومينوس Orchomenos وثسبياي Thespieae وتاناجرا Tanagra وكانت الأخيرة مركزاً هاماً للفنون خاصة صناعة التماثيل الصغيرة من الطين المحروق Terra-Cotta مثل التى نراها

في المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية والتي أصبحت تعرف باسم تماثيل تاناجرا Tanagra Figurines .

وكان لكل مدينة مجلس ثوري Boule يضم ربع المواطنين تقريبا ومجلس شعبي ekklesia يضم باقى المواطنين . أما الحلف البيوتى فكان ينقسم الى أحد عشر جزءا تحكمته طيبة مباشرة فى أربع منها ، وكان كل جزء ينتخب رئيسا Boeotarchos . يمثله فى مجلس الاتحاد المكون من أحد عشر عضوا . كما كان كل جزء يرشح عددا من قضاته للعمل فى المحاكم الاتحادية ويساهم بقدر معين فى خزانة الاتحاد وكذلك بما لا يقل عن ألف جندي مشاة hoplites ومائة فارس فى القوات الاتحادية . هذا بالإضافة الى حق الاتحاد فى تجنيد كل من بلغ سن الجندية فى حالة الضرورة وكان قرار مجلس الاتحاد نهائيا وحاسما لأنه كان يمثل السلطة الأعلى فى البلاد ولهذا نجحت طيبة فى تكوين حكومة اتحادية على أساس تمثيلى ودستورى عادل . ويرجع تاريخ قيام هذا الاتحاد الى عام ٤٤٧ ق.م (١) ولهذا كان من الطبع أن تقاوم طيبة قرار سلام الملك الفارسي لأنه كان يعنى فقدانها رأس مالها السياسى أعنى هذا الاتحاد .

ولما عاد إبامينونداس الى طيبة وأسطط الحكومة الأوليجارخية العيلة التى تأمرت مع اسبرطة لاحتلال قلعة كاديا استبدل الأساس الأوليجارخى الذى كان يقوم عليه الاتحاد بالأساس الديموقراطى مثلا فى مجلس اتحادى يعقد فى طيبة على أساس تمثيلى ودستورى ولكنه زاد من دور طيبة فيه .

هذه هى طيبة التى أصبحت بعد معركة ليوكترا أقوى دولة على مسرح الأحداث ولتتساءل الآن ما هو الدور الذى لعبته طيبة بعد معركة ليوكترا .

(1) cf. E. A. Freeman, History of Federal Government, vol. 2, (History of Federal Government in Greece and Italy (Edited by J. B. Bury) London 1893 II.

تفكيك الدولة الاسبرطية داخل اليلوبونيسوس :

كانت هزيمة اسبرطة في ليوكترا مريعة ، اذ فقد الجيش الاسبرطى سمته التقليدية بهزيمته على يد جيش أقل منه عدداً فضلاً عن سقوط الملك كليومبروتوس في المعركة وهو أول ملك اسبرطى يسقط في حرب منذ أن سقط الملك ليونيداس أثناء الحروب الفارسية ولم تتوقف خسارة اسبرطة عند هذا الحد بل أن ما تلى ذلك كان أعظم . لقد كانت هزيمة ليوكترا بمثابة اشارة بدء الثورة على اسبرطة داخل اليلوبونيسوس اذ انتشرت حركات التمرد والحروب الاجتماعية (Stasis) بسرعة مذهلة وقاد الثورة الأحزاب الديوقراطية وأخذ المنفيون يتدفقون على مدلهم ونالت الدماء غزيرة في شوارع مدن اليلوبونيسوس ، وانتزعت الحكومات الأوليغارخية من جذورها من كل المدن فيما عدا كورنثا فلايوس Phlius وسيكيون Sicyon حيث كانت جذور برخية أعمق من أن تقتلع، وكان عنف الثورة الاجتماعية (Stasis) خرج حلف اسبرطة أقوى بكثير من داخله فشلا أدت الثورة في أرجوس الى مذبحة رهيبة كان ضحاياها ألفاً من أغنياء المواطنين .

استقلال اقليم اركاديا :

أما القرية الكبرى فقد كانت استقلال جزء حيوى من الدولة الاسبرطية وهو اقليم اركاديا Arcadia ، ذلك الاقليم الجبلى الذى بتوسط اليلوبونيسوس والذى تتخلله الأنهار الجميلة مثل نهر الفايوس Alphaeus الشهير وروافده المتعددة . ولكن هذا الاقليم لا يخلو من المناطق الغنية ذات الوديان التى تروىها الأنهار مثل المنطقة الشرقية من سهل اركاديا حيث قامت المدن الجميلة التى تطل على السهل من ارتفاع قدره ألفين قدم ومن هذه المدن أورخومينوس الشهيرة Orchomenos (غير المدينة التى تحمل نفس الاسم فى بيوتيا) وماتيينيا Mantinea وتيجا Tegea ، واذا تقدمنا غربا الى وسط السهل نجد مدينة هيرايا Horaea التى عرفت بأنها أول من سك النقود فى هذه المنطقة . أما فيما عدا ذلك فهى مناطق جبلية وعرة تحصر بينها سهول ضيقة لاتسمح بقيام المدن الكبرى بل قامت فيها قرى الرعاة المتناثرة والمنعزلة ، وهكذا

جعلت الجغرافيا اقليم أركاديا اقليما ذا قيمة ضئيلة من الناحية السياسية والاجتماعية والحضارية وأشبه بمنطقة منسية . وبالرغم من هذا كانت أركاديا منطقة هامة وغنية بالقوى البشرية الطاملة خاصة لتجديد الجيوش المرتزة اذ نسمع عن الجنود المرتزة الأركاديين منذ وقت مبكر .

ولما بدأت اسبرطة تتوسع من مدينة صغيرة الى دولة لها اطار زراعي وذلك منذ منتصف القرن السادس ق.م ضمت اليها هذا الاقليم الكثيف السكان والوعر التضاريس وقد كلف ذلك اسبرطة كثيراً لأنه كان دائم الثورة عليها .

ويعتقد علماء الحضارة أن أصل الأركاديين يرجع الى مكان بلاد الاغريق ما قبل الغزو الدوري خاصة . وأن لهجتهم اليونانية قريبة الشبه من لهجة أهل قبرص حيث تخلفت الحضارة اللوكينية زحاً من الزمن بعد انهيارها . أما فيما عدا ذلك فالاقليم رعوى وقد ظهر ذلك في تراثه الفكري البسيط خاصة في الدين الذي أولى عناية فائقة للاله الغريب « بان » Pan رب الرعاة . ومعظم أساطيرهم وأغانيهم تدور حول الرعاة حتى فنونهم البسيطة لا تمثل سوى الرعاة وحياتهم ، ولم تخطو هذه البساطة والسذاجة من البربرية البدائية اذ مارسوا تقديم الأضاحي من البشر (human Sacrifice) واستمروا في ذلك حتى أيام أفلاطون ؛ بل اعتبروا مذاق لحم البشر ضرباً من ضروب الشجاعة والاقدام ثباتاً بالذئاب ومن الأقوال المأثورة الطرفة أن أهل أركاديا وجدوا في بلادهم منذ أن وجد القمر .

استغل ابامينونداس وجود احساس قومي في أهل اقليم أركاديا وراح يشجعهم على الاستقلال وتكوين دولة معادية لاسبرطة بمثابة الحرية التي تحدد تحركها ، وقد ظهر هذا الاتجاه بعد اعادة أهل مانتينيا توحيد قراهم في مدينة محصنة وظهر قائدها لوكوميديس Lycomedes ذو الأحلام السياسية التي لم تقف عند هذا الحد بل تمدتها الى رؤية

دولة أركادية تجمع شتات مدن الاقليم في اتحاد فيدرالى قوى • وسرعان ما وجدت فكرته أنصاراً لها داخل مدن وقرى الاقليم فيما عدا أورخومينوس وتيجيا وميرايا التى آثرت أن تبعد عن هذه الزواجر السياسية وأن تظل موالية لزعيمتهم القديمة اسبرطة •

أدرك السياسى الذكى ابامينونداس أن هذا الحلف سوف يكون مهدداً بالتفكك نظراً للصراعات القبلية والاقليمية شأنه شأن أى مجتمع بدائى التفكير ورأى أنه من الخير إقامة مدينة جديدة لاتقع فى جورة أى من الأعضاء وتكون عاصمة لهذا الإتحاد ووقع اختياره على منطقة فى سهل أركاديا الغربى قرب جبل لوكايون Lycaeon وعلى الحدود الشمالية الغربية لسهل لاكونيا وأقام فى عام ٣٧٠ ق.م أسوار مدينة كبيرة أسماها بالمدينة الكبيرة Megalopolis (١) ثم أغرى سكان القرى القريبة بالهجرة إليها • ويقول باوسانياس أن أربعين قرية هاجرت إليها وسكنها وأصبحت المدينة عام ٣٦٢ ق.م مركزاً خيولاً لأركاديا يطل على نهري يوروتاس وألفايوس وحصناً متقدماً لمدينة تيجيا • ومركز أعصاب بالنسبة لطرق البيلوبونيسوس وممراته ، بل كما يتضح من اسمها أنها أنشأت من أجل أن تصبح عاصمة البيلوبونيسوس كله وكان المسئول عن تأسيسها هم الأركاديون المتطرفون وليس ابامينونداس ولهذا عارضت كثير من مدن البيلوبونيسوس الانصياح لرغبة هذه المدينة فى فرض نفوذها عليهم •

ولكن هذه المدينة الجبيلة لم تعمر طويلاً فقد كتب باوسانياس الذى زارها فى القرن الثانى الميلادى يقول « أن مدينة نيجالوبوليس التى بناها الأركاديون بحماس شديد (٢) وكانت محط الآمال الكبرى للأغريق ، تبدو لى وكأنها أطلال مهجورة » •

(١) عن تأسيس هذه المدينة انظر :

H. Braumont and J.-Peterson : Megalopolis : Anspruch und Wirklichkeit, Chron., II, 1972, p. 57-90.

2. J. Roy, Arcadian nationality as seen in Xenophon's Anabasis, Menemosyne, Serie 4, 1972, p. 129—136.

وقد كشف علماء الآثار حديثاً جانباً من أهم مشآت هذه المدينة وهو مسرح كبير وقاعة الاجتماعات القيدالية Thersilion المغلقة والمقامة على أعمدة جميلة . وهي تسع عشرة آلاف شخص . اذ كان من حق أى مواطن فى اقليم الاتحاد أن يحضر اجتماعات هذا المجلس الشعبى الاتحادى والذي كان بمثابة السلطة العليا لتصرف شئون الاتحاد . وكان هذا المجلس يقوم بانتخاب قائد الجيش الاتحادى Strategos بالإضافة الى خسين مسئول demiourgoi يصرفون النواحي المختلفة للاتحاد . وليس هناك أى دليل على وجود مجلس شيوخ Boule . كما كان للاتحاد الأركادى قوات مشاة eparitai أو eparitoi موضوعة تحت تصرف الحكومة القيدالية وينسق عليها من الخزانة القيدالية أيضاً . وقد ظهرت فاعلية هذه القوات عام ٣٨٦ ق.م . عندما أجبرت هيرايا وأورخومينوس على الانضمام الى التحالف الأركادى والذي أصبح بعد هذا التاريخ فعلاً اتحاداً أركادياً شاملاً بالرغم من عزوف تيجيا عن الانضمام اليه .

أركاديا تتحرش بامبرطة وطيبة تتدخل :

لقد صدقت توقعات ابامينونداس . فقد قام الصراع بين أركاديا المتحدة وامبرطة وذلك بعد أن أثارت الأولى القن ضد أنصار الثانية فى مدينة تيجيا وأجبرتهم على الفرار الى لاكونيا . عندئذ أدركت امبرطة أن الوعاء قد فاض بها فيه فتحركت للتدخل لصالح أتباعها ، فسار الملك أجيسلاؤس على رأس جيش ضد الحلف الأركادى ، ووجد الحلف مساعدة من أرجوس وإيليس عدونا امبرطة ثم طلبوا المساعدة من أثينا ولكنها آثرت ألا تتدخل فى هذه المشكلة . عندئذ أرسل أهل أركاديا فى طلب العون العسكرى من طيبة ولم تتوانى طيبة اذ تحرك جيش منها بقيادة ابامينونداس فى شتاء عام ٣٧٠ ق.م الى أركاديا ولما وصل وجد الملك الاسبرطى قد رحل دون أن يحقق أى شئ من حملته . ولما هم ابامينونداس بالعودة تمسك به أهل أركاديا وأرجوس وإيليس ورجوه ألا يعود دون أن يؤدب هؤلاء الاسبرطيين . ودار فى خيال ابامينونداس حلم تاريخى وهو غزو المدينة التى لم تعرف غازياً وطناً

أرضها ، ولذا كانت من المدن النادرة في بلاد اليونان التي لم تقسم الأسوار حولها . وتذكر أبامينونداس أن جيوش اسبرطة قد غزت بلاده أكثر من مرة فلما لا يغزوها ؟

وتحرك جيش طيبة وحلفائها في تشكيل رباعي ، انقسم كل ربع منه ليهاجم المدينة من اتجاه مختلف ، ولم يجد الجيش في تقدمه أي مقاومة تذكر . وحرقت مدينة سيلايا الجميلة Sellasia ، ثم تجمع الجيش مرة أخرى استعداداً للهبوط على وادي نهر يوروتاس حيث قوات اسبرطة تقف على الجانب الآخر للنهر الذي كان مستلثاً ببناءه أطلال الشتاء مما أعاق عبور جيش طيبة - خاصة أن الجسر الوحيد الذي كان يربط بين ضفتي النهر كان تحت حراسة شديدة فصار أبامينونداس جنوباً حتى مدينة أموكلاي Amyclae حيث يمكن العبور بسبب غور النهر البسيط في هذه المنطقة ، ولما طيرت أنباء هذا الغزو الغريب ارتعدت اسبرطة خوفاً وطلب الملك أجيسلاؤس النجدة ممن بقوا ولائهم من توابع اسبرطة مثل كورثا وفلايوس وسيكيون من مدن خليج كورثا . ومثل مدن أورخومينوس وهيرايا في أركاديا ومدن سهل أرجوليس ، وبدأت اسبرطة مدججة بالسلاح بالرجال المصممين على الموت قبل أن يروا مدينتهم تسقط . وكان نهر يوروتاس ازداد فيضاً عندئذ أدرك أبامينونداس أن احتلال اسبرطة أمر صعب فأكثر أن يغرب سهل لاكونيا واكتفى بأن أشبع خياله بالمرور بجيوشه أمام المدينة المرتعدة . وهو أمر لم يفعله أحد من قبل .

حقيقة أن اسبرطة لم تسقط ولكن ظهورها في مثل هذا الخوف كان بداية لضربة سياسية أخرى . فقد ثار الهيلوت والمجاورون Periocci من أهل مسينيا وأدرك أبامينونداس أنه يستطيع أن يكيل ضربة بفصل مسينيا عن اسبرطة وذلك بعد أن كافأ الأركاديين بمنحهم جزاء من شمال لاكونيا اقتطعه من اسبرطة .

استقلال ميسينيا :

وأخيراً بعد أربعة قرون من العبودية . تحرر أهل ميسينيا على يد ابامينونداس . ذلك الاقليم الحزين الذى يقع فى الجنوب الغربى من شبه جزيرة البيلوبونيسوس حيث يحده شمالاً منطقة ايليس وشرقاً سهل لاكونيا ، وهى منطقة جبلية وعرة مثل جارتها أركاديا يتخللها بعض الأنهار خاصة نهر نيدا Neda ، ولكنها كانت أكثر عراقة وحضارة من أركاديا . فقد أثبتت الحفائر الأثرية أنها كانت مركزاً حيوياً من مراكز الحضارة الموكينية ، بل أنها لعبت دوراً فى حروب طروادة ومنها كان نستور الوقور (Nestor) خطيب الحروب الطروادية ، كان مصير ميسينيا مثل مصير باقى مدن الحضارة الموكينية اذ غزتها جحافل الدورين فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد . ولما بدأت المدينة الدورية اسبرطة تنبسط وتتبع ضمت اقليم ميسينيا لها واعتبرت أهلها مستعبدين وأنصاف مستعبدين Peroei ، وقاوم أهل ميسينيا اسبرطة فى حربين مريرتين ابان القرن الثامن والسابع قبل الميلاد ، فقدوا بعدها أرضهم وحريتهم وأصبحوا عبيداً للادة الاسبرطيين ، ولكنهم لم يستسلموا أبداً بل ظلت الثورة حية وان كانت تحت الرماد ، وكانت قلعته فى الثورة هو جبل إثومى Ithome التى منها أعلنوا ثورتهم الكبرى عام ٤٦٤ ق.م حيث قاوموا اسبرطة طويلاً حتى استسلموا ، وفر الثوار طالبين الحماية من أثينا فوطتهم فى مدينة ناواكتوس عام ٤٥٥ . وقد ساعد أهل ميسينيا أثينا عندما احتلت قوة من رجالها مدينة بيلوس فى البيلوبونيسوس بعد إقتصارهم على الاسبرطيين فى سفاكتيرا Sphacteria عام ٤٢٥ ق.م وحاولت أثينا تأليبهم على اسبرطة آنذاك ولكنها لم تفكر فى منحهم استقلالهم . وخلاصة القول أن ميسينيا كانت دائماً « كب أخيليس » (١) بالنسبة لاسبرطة .

(١) أى نقطة الضعف .

استقبل أهل ميسينيا أبامينونداس بالتهليل فقد كان جيش تحرير بالنسبة لهم . ووضع القائد الاسبرطى بنفسه حجر الأساس لعاصمتهم المنيقة التي أسسوها ميسيني Messene ما بين عام ٣٧٠ و ٣٦٩ ق م وخرج نداء الى اللاجئين من أبناء الأقاليم يطالبهم بالعودة الى الوطن المستقل بعد غربة التشريد وعلى نفقات الزمامير راحوا يبنون أسوار مدينتهم . وأصبحت قلعة جبل Ithome قلب المدينة تحيط بها الأسوار هبوطاً من الجبل الى الوديان . وبذلك تلقت اسبرطة ضربة قاضية أخرى فقد أصبح الهيلوت والمجاورين أحراراً في بلادهم وفقدت اسبرطة غرب لاكونيا كله . ولا تزال أطلال هذه المدينة بتحسيناتها وأبراجها وقلاعها قائمة حتى اليوم تشهد بقدرة الهندسة العسكرية الاغريقية .

أينما تتدخل دون جدوى :

أثرت هذه الأحداث كثيراً في المواطنين الاثينيين ، ولما طلبت اسبرطة منهم العون في شتاء عام ٣٦٩ صوت المجلس الشعبي بالموافقة على ارسال حملة بقيادة ايفكرايتس ولكنه عندما وصل وجد « أن السيف قد سبق العزل » فلم يفعل شيئاً . خاصة أن جيش أبامينونداس كان قد غادر ميسينيا وبالتالي فلا خطر يهدد اسبرطة ، فأرضهاها بالقيام ببعض الالتحامات الموجودة مع جيش طيبة عندما لحق به قرب خليج كورنثا . ولكنه لم يطارد أبامينونداس ليجبره على العودة الى طيبة ، وبعد ذلك بشهرين عقد تحالفاً مع اسبرطة وبهذا التحالف تعقد الموقف السياسى في البيلوبونيسوس . فقد أصبح الاثينيون في حالة حرب مع طيبة وحلفاء في نفس الوقت لأعداء دولة أركاديا أى حلفاء لمدينة اسبرطة .

أبامينونداس يغزو البيلوبونيسوس للمرة الثانية :

ولم يكد يمض وقت قصير حتى دب الصراع بين المدن الموالية لاسبرطة وبين الحلف الأركادى مما دعى أبامينونداس الى الظهور بجيشه مرة أخرى في هذه المنطقة من البيلوبونيس في صيف عام ٣٦٩ ق م وكان عليه في هذه المرة أن يواجه قوات أيننا واسبرطة مجتمعة واستطاع بالفعل أن يخترق صفوف هذين الجيشين عندما حاولا اعتراضه عند

خليج كورثا وتمكن من أن يحتل سيكيون وبليني ولكنه فشل في احتلال فلايوس . وفي هذه الأثناء وصلت عشرين سفينة تحمل ألفين من الجنود المرتقة بعث بهم ديونيسيوس طاغية سيراكوزة لمساعدة اسبرطة مما اضطر ابامينونداس الى العودة الى طيبة قبل أن ينهى الغرض الأساسى لعمله .

ولما عاد الى طيبة واجهه أعداؤه السياسيون وقدم للمحاكمة ولولا تدخل أصدقائه لصدر حكم ضده ولذا حرم من الترشيح لمنصب الزعيم Boeotarch لعام ٣٦٨ وفى هذا العام شغلت اسبرطة اهتمامها بأحداث تساليا ومقدونيا وتركزت اليلوبونيسوس الذى ظل على حالة القوضى والصراع السياسى . ففى صيف عام ٣٦٨ ق م ألحقت اسبرطة بمساعدة قوات ديونيسيوس الأول هزيمة ساحقة بأركاديا وهبت الثورة الاجتماعية فى سيكيون وظلت مشتعلة لسنوات عديدة والمدينة تتأرجح بين الأوليجارخية والدكتاتورية والديموقراطية .

الينا واسبرطة وأعداء طيبة يطالبون بفرض سلام الملك (٣٦٧ ق م) :

ازدادت صلات التعاون بين سيراكوزة واسبرطة وتمكنت الأخيرة من تحقيق بعض الانتصارات البسيطة على الحلف الأركادى بفضل المساعدات العسكرية من جانب الأولى خاصة فيما بين ٣٦٩ ق م « وبدأ اسم ديونيسيوس الأول طاغية سيراكوزة يتردد فى العالم الاغريقى (١) ففى عام ٣٦٨ ق م عقد هذا الطاغية معاهدة تحالف مع الاثينيين بصفتهم حلفاء لاسبرطة حليفته القديمة . وكان الاثينيون قد مهدوا لهذه المعاهدة بقرار تكريم للماهل السيراكوزى منحوه فيه وأولاده حقوق المواطنة فى مدينتهم . بل أنه دعى الى مؤتمر عام للمدن الاغريقية عقد فى دلفى وكان

(1) G. Woodhead ; The «Adriatic Empires of Dionysius I of Syracuse, Klio LII, 1970, P. 503—513.

ويتحدث المقال عن نشاط هذا الملك فى بناء امبراطورية فى بحر الادرياتيک تحمل محل القوة الاغريقية فى بلاد الافريق التى نظمت سياسيا واقتصاديا بسبب الحروب الطويلة .

الداعي الحقيقي لعقد هذا المؤتمر هو أريوبارزائيس Ariobarzanes ،
 سأترباب ولاية فريجيا وربما تم ذلك يوحى من الاثينيين بقصد تصفية
 الخلافات بين الدويلات الاغريقية والتي كانت تهدد بإندلاع حروب في
 كل مكان .

ولم تمنع الدويلات الاغريقية من الاشتراك في هذا المؤتمر ولكنهم
 في النهاية انفضوا دون أن يتفقوا ، فقد رفض طلب أثينا في ضم
 امفيوليس اليها Amphipolis ورفضت اسبرطة أن تعترف باستقلال
 ميسينيا بينما عارضت طيبة مطالب كل من اسبرطة وأثينا وطالبت
 بالاعتراف بالتغيرات التي أحدثتها في العالم الاغريقي . وفي الشتاء
 التالي خرجت أصوات من أثينا واسبرطة تطالب بالعودة الى سلام الملك
 الفارسي ، وسارعت طيبة فأيدت هذا الاعلان وتبعها أرجوس وايليس
 والأركاديين، وسافرت وفود هذه الدويلات الى بلاط الشاهنشاه في سوسا
 وأرسلت طيبة يلوبيداس الذي سحر الملك الفارسي بمنطقة وحصل على
 الكثير مقابل تنازلات قليلة . وعاد يحمل صكا مكتوبا عليه خاتم ملك
 الملوك ويعترف بسيادة طيبة على الدولة البيوتية وبدولة ميسينيا المستقلة
 مقابل اهمال مطالبة الأركاديين بمدينة ايليس بل ضم اليها مدن تروفيليا
 التي كانت أركاديا قد استولت عليها مما أغضب الأركاديين وشعروا بأن
 حليفهم طيبة قد غدرت بهم وباعتهم من أجل مصالحها الذاتية ، كذلك
 عاد المندوب الأثيني غاضبا فقد رفض الملك طلب أثينا في ضم مدينة
 أمفيوليس اليها . أما طيبة فقد عادت تلعب الدور الذي سبق لاسبرطة
 أن لعبته وهو زجل البوليس الذي يراقب تطبيق شروط الملك الفارسي ،
 عندئذ دعا ابامينونداس الى عقد مؤتمر كبير في طيبة لتأكيد احترام
 شروط الملك على ضوء التغيرات الأخيرة ولكن هذه الدعوة لقيت
 الصمت من جانب الولايات الاغريقية لأن شروط الملك لم تعد تجلب
 السلام بل بدور الشقاق والخلاف وهددت بإندلاع حروب جديدة بين
 الدويلات الاغريقية .

ابامينونداس يغزو البيلوبونيسوس للمرة الثالثة :

عادت المسألة البيلوبونيسية الى الظهور بعد عودة ابامينونداس الى مسرح الميامة في طيبة . فقد أعيد انتخابه لمنصب الزعيم عام ٣٦٧ ق م وما أن تم ذلك حتى سار بجيشه الى البيلوبونيسوس بهدف ردع الحلف الاركادى الذى أعلن استيائه من التعديلات الأخيرة على ائتاق سلام الملك أرتاكسيركسيس . وعبر جيش طيبة مضيق خليج كورثا بمساعدة حلفائه أهل أرجوس الذين آمنوا له الممرات الجنوبية لكورث . لقد فعلت أرجوس هذا بدافع حقدها على لوكوميديس رجل أركاديا الأول وبسرعة استولى ابامينونداس على منطقة آخيا وتحالف مع مدنها عن طريق إقامة حكومات أوليجارخية فيها . ولكن أعداء ابامينونداس أدانوا فكرة الاعتماد على الحكومات الأوليجارخية وعملوا على إصدار قرار يأمره بإسقاط هذه الحكومات وإحلال الديمقراطيين محلهم (١) . وشذ ابامينونداس ذلك القرار على كرهه وكان بالفعل قراراً أرعنا لأنه أشعل نار الصراع الاجتماعى من جديد Stasis (٢) وكانت الأوليجارخية متأصلة في هذه المناطق بفعل استعمار اسبرطة الطويل لها . ولهذا قاد الأوليجارخيون معارك عنيفة حتى استردوا الحكم في آخيا وأعلنوا انتهاء معاهدات الصداقة مع طيبة والعودة الى التحالف مع اسبرطة وكان ذلك ضربة خاسرة لطيبة خاصة بعد أن أعلنت بليني Pellene انسحابها من حلف يوتيا وكان الخطأ الثانى الذى ارتكبه ابامينونداس اثارته أثينا ضده وذلك عندما اقتطع مدينة أوروبوس Oropus منها وضماها الى طيبة وذلك في ربيع عام ٣٦٦ ق م .

اعداء طيبة يتحالفون في جبهة واحدة :

وتتيجة لهذه التصرفات الخاطئة سافر لوكوميديس زعيم الحلف الاركادى الى أثينا وسعى لمقد تحالف مع الأثينيين ضد طيبة وقبل الأثينيون ذلك التحالف بقصد الرد على احتلال طيبة لمدينة أوروبوس .

(1) J. Wiseman " Epaminondas and Theban invasions, Klio, LI, 1960, p. 177-199.

(2) J. Roy, Arcadia and Boeotia in Peloponense affairs 370-362 B.C. XX, 1971, p. 569-599.

وبينما كان الزعيم الأركادى فى طريق عودته تربص به بعض من أعدائه وقتلوه وبذلك فقد الحلف الأركادى عقلا ذكيا وقيادة بارزة فى وقت كان أحوج فيه إليها . وببقتضى هذا التحالف الاثنى الاركادى تعقد الموقف السياسى فى بلاد اليونان اذ أصبحت أثينا حليفة لمدون متخاصمين فى نفس الوقت هما اسبرطة وأرجوس ولقد لام بعض المؤرخين الزعيم الاثنى كالستراتوس Callistratos لقبوله التحالف مع الحلف الاركادى ولكنه لم يكن يدري أن زعيم الحلف الاركادى لوكوميديس سوف يلقى مصرعه غدرا وسوف ينهار الحلف بعد موته . انسحاب كورثا وتوابعها على ساحل أرجوليس وعلان حيادها :

ازدادت علاقة الحرب والسلام بين الدويلات الاغريقية تعقدا بعد استرداد أثينا لمدينة أوروبوس وادراكها لمدى خطورة ترك عنق الزجاجة الذى يربط مداخل البيلوبونيسوس مفتوحا للجيوش الطيبة تعبء متى تشاء لتدخل البيلوبونيسوس فحاولت القيام بمؤامرة تهدف الى احتلال كورثا بقصد احكام السيطرة على مداخل البيلوبونيسوس ولكن المؤامرة اكتشفت وغضبت كورثا وأعلنت تصالحها مع طيبة وحذى حذوها تابعتها مدينة فلايوس ومدن ساحل أرجوليس وأعلنوا اعترافهم باستقلال ميسينيا ولكنهم أعلنوا فى نفس الوقت حيادهم فى أى صراع يقوم مستقبلا بين طيبة وأعدائها وكان فى ذلك خسارة كبيرة لأثينا .

هكذا بدأ الجو السياسى مشحونا فى الولايات الاغريقية وباتت الأمور معقدة والخلافات حبالى بحروب مختلفة فى كل مكان .

وعاد ابامينونداس الى بلده وهناك وجد مشاكل سياسية تبرز فى تساليا ومقدونيا شغلته وأصدقائه لأكثر من عامين مما ساعد على هدوء الأحوال فى البيلوبونيسوس أكثر من أى وقت مضى ، بالرغم من انفجار الصراع بين الحلف الأركادى ومدينة ايليس Elis فى الشمال الغربى من البيلوبونيسوس .

طيبة تتدخل في مشاكل مع تراكيا ومقدونيا :

سبق لنا أن ذكرنا كيف أن ياسون طاغية فيراى لقي مصرعه ٣٧٠ ق م أثناء استعراض عسكري وأن موته أفلج صدر طيبة التي كان تتطلع الى التوسع شمالا وضم دولته لحلفها ، وكانت تتظر الفرصة التي تتيح لها ذلك . وجاءت الفرصة بعد أن انتهى الصراع على عرش فيراى وتولى ابن شقيق ياسون واسمه الاسكندر ، ولكن مدن تساليا الأخرى رفضت الاعتراف به حاكما شرعيا لاغتيا له عنه ، وساعد في ذلك الرفض اللاجئين من مدينة لاريسا الذى أعلنوا التمرد ودعوا ملك مقدونيا المجاورة للتدخل لنصرتهم . وكان يحكم مقدونيا آنذاك الملك الاسكندر الثانى وكان يطمح في التوسع على حساب فيراى . فسارع الى احتلال مدينة لاريسا وكراون ودخلها دخول الغازى فاستاء أهلها وأدركوا أن ظنهم في الاسكندر الثانى قد خاب فاتجهوا الى طيبة لانقاذهم من الدولتين معا . وكان فرصة لطيبة فسارع يلوبيداس في عام ٣٦٦ ق م وطرد المقدونيين من لاريسا وحرر عدة مدن في تساليا وجعلها تحت حماية طيبة اسما ومستقلة فعلا .

ولما عاد الاسكندر الثانى الى مقدونيا وجد مؤامرة في القصر . فقبضت أمه يوروديكي تلك الملكة الشاذة عليه في غيابه مع عشيق لها من النبلاء ويدعى بطليموس الألورى Ptolemy of Alorus وأعلنت أن بطليموس العشيق هو المستحق للعرش . ونشب صراع مرير بين أنصار الاسكندر الثانى وبين العشيق المدعى للعرش ومطالباً طيبة عام ٣٦٨ ق م . بالتدخل والتحكيم بينهما . وأيدت طيبة الاسكندر وعقد يلوبيداس معه معاهدة صداقة وغادر مقدونيا عائداً ولكن لم تمض بضعة شهور حتى اغتيل الاسكندر الثانى ونشب الصراع حول أنصار الملك القتل والعشيق المطالب بالعرش وحاولت الملكة الأم يوروديكي أن تضمن العرش لولديها فيليب الخامس وبرديكاس أبناءها من زوجها الملك أمونتاس . ولكن الأميرين كانا قاصرين ولذا سارعت بالزواج من العشيق وعيته وصياً على الأميرين . ولكن سرعان ماظهر مطالب جديد بالعرش اسمه

باوسانياس أدعى أن له صلة قرابة بالملك القتييل . ولكن الملكة الأم حاولت القضاء عليه بكل وسيلة . فاتجهت الى أثينا تطلب المساعدة من أجل تحقيق ذلك . ووجد الأثينيون في ذلك فرصة لتدعيم مركزهم في شمال بلاد اليونان خاصة منطقة خالكيدىكي وبالفعل قامت حملة بإزعامة إيكراتيس حققت للملكة غرضها . وأثار هذا التصرف من جانب الملكة غضب طيبة لأنها لم تكن تود أن ترى الأسطول الاثيني يظهر في مناطق نفوذها فسارع يلويداس الى مقدونيا في حملة ثانية على ٣٦٨ حيث أرغم الملكة وعشيقها بطليوس على الدخول في تحالف مع طيبة ولضمان سياسة الملكة مستقبلا حمل معه عدداً من الرهائن من علية القوم في مقدونيا ومن بين هؤلاء الرهائن كان غليب الخامس نجل الملكة من الملك أموتاس ، وفي طيبة زاح الأمير الذي أراد له القدر أن يكون صانع مقدونيا الجديدة ، يتلقى تعليمه في الأكاديمية العسكرية تحت رعاية وإشراف أبامينونداس نفسه .

وفي أثناء عودة يلويداس من مقدونيا عرج الى تساليا حيث حل مشاكل مدينة لاربا وغيرها من مدن تساليا ومنحها الاستقلال الذاتي وأقام بينها شبه حلف اتحادي تحت حماية طيبة ، ثم حاول في عام ٣٦٨ أن يضم مدينة فارسالوس Pharsalus ولكن الاسكندر ملك فيراى خرج عليه بجيش رهيب جعله يصرع اليه طالباً السلام . وكان الاسكندر ملك فيراى قد عقد معاهدة دفاعية مع الاثينيين رداً على معاهدة الصداقة بين طيبة ومقدونيا . وفي أثناء مآذبة أقامها الاسكندر للقائد يلويداس ومساعدته الثاني أبسينيناس قبض عليهما وأسرهما ولم تستطيع طيبة أن تنقذ جنرالها الشهير الا في الخريف التالي بفضل بفضل أبامينونداس الذي أنقذ الجيش من ورطة كاد أن يقع فيها وأمن انسحابهم الى مناطق آمنة . وعقد معاهدة مع ملك فيراى اعترف فيها بسيطرة الملك على أجزاء كبيرة في جنوب وشرق تساليا مقابل اطلاق سراح يلويداس واسمينياس .

هكذا يبدو أن نجاح سياسة بيوتيا في شمال بلاد اليونان كان محدوداً . بسبب بهالة تكاليف الحملات العسكرية التي بدأت ثقل ظهر طيبة فلم تكن بيوتيا بالمنطقة الغنية بمصادرها الطبيعية ولا كان لها حلفاء أثرياء ولذا أثرت طيبة أن تترك حلفاءها في الشمال متصارعين مفكرين حتى لا تصبح تساليا متحدة في دولة واحدة تهددها يوما ما .

ثم شغلت طيبة نفسها بالمفاوضات مع الفرس وبالتدخل في البيلوبونيسوس لسنوات عديدة قادمة مما شجع الاسكندر ملك فيراى « ذلك اللص الظالم للبر والبحر » أن يتوسع لكي يصبح سيد الشمال معتدلاً على جيش مدرب خير تدريب جنده من أبناء القبائل الجبلية الشرسة . وبدأ يهدد مدن تساليا فاستغاثت هذه المدن بطيبة عام ٣٩٤ ق م فسارع يلوبيداس بقوة قدرها ثلاثماية فارس واقتحم تساليا بالقوة في صيف ذلك العام . ودار صراع حربي عنيف بين الطرفين للاستيلاء على المرتفعات رموس الكلاب المعروفة باسم « كونوس كينالاي » وهي مجموعة من المرتفعات على الطريق ما بين لاريسا وفارسالوس . وبعد معركة عنيفة هزم الاسكندر . ولكن يلوبيداس ارتكب خطأ كبيراً عندما اندفع ليطارد الاسكندر لكي يقتله فتكاثرت عليه حراس الملك وقتلوه . ولما ذاع هذا النبأ انتشر الذعر بين صفوف جيش طيبة لفقدان أحد اثنين تقوم عليهما الامبراطورية البيوتية .

وفي الخريف التالي أرسلت طيبة الغاضبة جيشاً قوامه ثمانية آلاف جندي لتأديب الاسكندر الذي آثر أن يستسلم ويقبل انتزاع كل ممتلكاته فيما عدا فيراى وأن يقبل الدخول تحت حماية طيبة .

طيبة تتدخل ضد مصالح الامبراطورية الاثينية في شرق بحر ايجه:

كما سبق أن ذكرنا أن الدولة الاثينية هبت فيما بين ٣٦٨ - ٣٦٦ ق م لاستعادة قوتها وتوكيد سيطرتها وقد ساعدها على ذلك تواطؤ حاكم فريجيا معها وضد مصالح ارتاكسيركسيس ملك الفرس . وبمقتضى معاهدة سلام الملك اعيدت ساموس الى حوزة الفرس . وبعد أن

استعادت أثينا هذه الجزيرة لم تعتبرها عضواً في الامبراطورية بعد امتلاكها لها بقوة الحراب ، وعلى ذلك فقد عاملتها معاملة المهسورين فارسك مسنوطنين أثينيين لاحتلال أراضيها الغنية ، وهو اجراء فاشل قديم أعاد الى الأذهان سياسة الاستعمار العارى البيركلية التى حاولت الامبراطورية الثانية تفاديه . وعرفالا بجميل أثينا منحها حاكم فريجيا مدينة اسستوس Sestus قرب مدخل البسفور والدردنيل واستقلت أثينا هذا الموقع لتدعيم مركزها فى شبه جزيرة القرم Chersonese بل أن قائد الأسطول الأثينى تيموثيوس Timotheus أخذ يجبر المدن الهامة هناك مثل بودناوميثومنى وغيرها من مدن خالكيديكى على الدخول فى حوزة الامبراطورية الأثينية .

ولم يكن هذا أمراً تسكت عليه طيبة لأنها كانت تخشى أن تستعيد أثينا سيطرتها على جزيرة يوبويا الهامة بالنسبة لها . وأمر ابامينونداس ببناء أسطول ، وفى عام ٣٦١ ظهر بأسطوله الذى كان يتكون من مائة سفينة حربية فى بحر مرمره . وكان ظهور سفن طيبة اعلناً بتفجير الثورة الاجتماعية فى مستعمرات أثينا . وسرعان ما انتشرت الثورة على الامبراطورية الأثينية فى مدن بيزنطة ورودس وخيوس . ولم تستطع أثينا استعادتها باستثناء جزيرة كيوس الصغيرة التى أعادها القائد الأثينى خابرياس الى الامبراطورية .

معركة مانتينيا ونهاية الامبراطورية فى طيبة :

بينما كان الحلف الأركادى يترنح وينهار حاولت مدينة ايليس انتهاز الفرصة لاستعادة سيطرتها على منطقة تريفوليا Triphylia ومن أجل ذلك تحالفت ايليس مع اسبرطة العدو الأول للاركاديين . ولم تجد اركاديا فى دفاعها عن نفسها الا أن تفتح جبهة جديدة لتشغل أهل ايليس . فخلجات الى تجديد الصراع بينها وبين مدينة ييسا Pisa وهو صراع قديم من أجل الاشراف على الألعاب الأولمبية . وأيدت اركاديا حق ييسا فى الاشراف على الألعاب الأولمبية بل وبمساعدة أثينا تمكنت مدينة ييسا من اقامة المهرجان الأولمبى الثامن والسبعين تحت ادارتها . وبينما

كانت مسابقات ألعاب القوى الخمسة Pentathlon (وهي الجري والمصارعة. ورمى الرمح الجلة والقفز العالي) قائمة على أشدها هاجمت ايليس مكان الألعاب الرياضية عام ٣٦٤ ق.م وهو تعد صارخ على حرمتها ، كان كافياً لادانتها ، وثارت ثائرة بلاد اليونان وأدانت ايليس بالرغم من أن التعاطف الحقيقي كان مع مطلبها في أحقيتها في إدارة هذه الألعاب ، وتدخلت أركاديا إلى جانب ييسا ولما كان الحلف الأركادى يعاني من أزمة اقتصادية كبيرة لا تساعد على الانشاق على العمليات الحربية فقد أقدمت أركاديا بالتعاون مع ييسا على الاقتراض من خزائن معبد زيوس في أولبيا ، من أجل دفع رواتب الجنود المرتوفة وكانت الخلافات السياسية بين مدن حلف أركاديا قائمة على أشدها فاتهمزت مدينة مانتينا الغرضنة وأعلنت انضمامها من الحلف الأركادى واستنكارها لما فعله الحلف في استغلال الأموال المقدسة من أجل حرب واهية والحققة أن الاقتراض من خزائن المعابد لم يكن شيئاً غريباً عند الاغريق لأن سلطات المعابد اعتادت اقراض الحكومات التي يتبعها موقع المعابد الأموال مقابل نسبة من الأرباح فمثلاً اقترضت أثينا من خزائن معبد البارثينون مبالغ كبيرة أثناء الحروب البيلوبونيسية . ومن المعروف أن فكرة البنوك نبتت من المعابد القديمة ولكن الذي أثار ثائرة الدويلات الاغريقية على أركاديا وييسا احساسها بأن أموال معبد زيوس في أولبيا ملكاً مشاعاً لهنم ولايجوز أن يكون استخدامها قاصراً على مدينة معينة وازاء هذا الاحتجاج فرقت أركاديا الجيش المأجور وأنشأت صندوقاً لمساعدة ييسا عن طريق التبرعات التي جمعتها من أثرياء مدن الحلف .

ورأت ايليس أن تقبل هدنة مؤقتة مع الحلف الأركادى الذي كان يعاني من شتى أنواع الشقاق فقد كان هناك عدداً من الأعداء يطلبون بانتهاء التحالف مع طيبة واستبداله بالتحالف مع اسبرطة وازاء هذا تقدم أصدقاء طيبة بطلب حاجل يطلبون فيه التدخل وأرسلت طيبة أحد قوادها الذي أساء التصرف في معاملته للأركاديين - مما ترك مرارة في قلوبهم ازاء طيبة وشجع على العداء ازاءها والمناذاة بالغاء أى تحالف معها مما أدى الى تدهور نفوذ طيبة في جنوب البيلوبونيسوس .

وازدادت الأمور تدهوراً في الحلف الاركادي فقد تحالفت مانتينيا وشمال اركاديا مع اسبرطة وانضمت ايليس وأثينا الى هذا التحالف الذي كان المقصود به أساساً طية حامية البقية الباقية من الحلف الاركادي . وتجمعت جبهة مضادة للتحالف الأول المناصر لطية من تيجيا (التي كانت تنظر ببرارة الى تاريخها السيء مع اسبرطة والاستعمار الاسبرطي) ، ومن ميجالوبوليس وبعض المدن الموالية لطية في جنوب اركاديا بالإضافة الى ارجوس العدو التقليدية لاسبرطة وميسيني التي كانت تدن لطية بحريتها واستقلالها . بينما بقيت كل من كورثسا وتوابعا وميجارا على الحياد على الرغم من أن كورثسا لم تعترض اختراق جيش طية لأراضيها وهو في طريقه الى المعركة وسار ابامينونداس بجيشه الى تيجيا حيث انضم الى الجيوش المتحالفة معه والتي كانت في انتظاره .

اتخذ المتحالفون ضد نية موقعهم قرب مدينة مانتينيا وفي بلقيء الأمر فكر ابامينونداس في مهاجمة هذه المدينة واحتلالها قبل تجمع أعدائه وقبل وصول جيش اسبرطة الذي كان في طريقه الى ميدان القتال .

ولما فشل في تنفيذ ذلك حاول أن يقوم بعمل مفاجيء وسريع وهو الهجوم على لاكرويا واحتلال اسبرطة مستغلاً غياب رجالها في المعركة . ولكن ما أن تلقى الملك أجيسلاؤس أنباء هذه النية من أحد القارين حتى استدار بسرعة عائداً الى اسبرطة ولما وصل ابامينونداس الى مشارف اسبرطة وجد المدينة محصنة ومدججة بالسلاح من أخصص قدمها الى قمة رأسها وتبدو كقلعة عسكرية . وكانت فكرة ابامينونداس الأساسية هي شغل اهتمام المتحالفين ضده عن خططهم في مانتينيا ومحاولة جرهم الى الذهاب الى اسبرطة لحمايتها ومن ثم يسرع ويضرب ضربته في مانتينيا قبل هودتهم اليها . ولكن لم يصل أحد من المتحالفين ضده سوى فرقة من الفرسان الأثينيين أرسلتهم أثينا للدفاع عن اسبرطة وتمكنت هذه الفرقة من مطاردة ابامينونداس حتى غادر اسبرطة . وفي

هذه الأثناء عادت القوة الاثنية التي كانت تحرس الأكساب الأولية وانضمت الى باقي المتحالفين في ماتينيا .

كان المتحالفون يتحصنون بفجوح المرتعات للوجودة جنوب ماتينيا لأنهم ظنوا أن ايامينوقلاس سوف يتقض عليهم بهجوم رأسى ولكن ايامينوقلاس ظل هادئاً حتى بدأت اللوز في التناقص . وزاد قلق الجنود من طيلة الانتظار فاستعد للهجوم وسار في تشكيل مساقف تشكيلة في معركة ليوكترا فعلى يساره سار الجنود المشاة المنلحون بالأسلحة الثقيلة في صف طويل وتحت اشرافه المباشر وكانت مهمتهم هو اخراق مينة العدو بسرعة خاطفة . ثم لجأ ايامينوقلاس الى سياسة خداع الأعداء بأن أوهمهم أنه لا ينوى الهجوم وذلك بأن سار في تشكيل استعراضى متجه نحو الشمال الغربى ولكنه استدار حول النجبال ثم فاجأ الجيوش المهاجمة من اليمن منأ اترعهم وسبب حالة من الاضطراب بين صفوفهم وانلغخ فرسانه مطعين الرعب في قلب فرسان الحلفاء بينما قاد هو بنفسه رأس الهجوم بساعة جنوده من الشمال الى قلب جيوش العدو فانهارت مينة الاسبرطين ولم يستفيدوا من دروس معركة ليوكترا .

ولما رأت باقى الجيوش هذا الانهيار الذى حاق بجيش اسبرطة انورت روحهم المعنوية والقتالية وكان نصراً محققاً طيبة ولكن يا للأسف كان بداية لنهايتها . فبينما كان ايامينوقلاس يتلغغ مع مسيرة جيشه ليتقرب العدو الهارب سدد أحد الجنود الى صدره حربة فأصابته إصابة ذلالة ولما شاع الخبر بين قواه سادها الذعر لأنها كانت تعتمد كلية على ارشاداته ولا يستطيع أحد من الضباط أن يقوم مقامه فتوقف جيش طيبة عن مطاردة العدو ، وبدأ ينحصر وهو حزين وكأه جيش مهزوم . وتجمع الجنود حول قائدهم الأعلى وهو يحتقر به أن اترعت الحرية وبدأ مكان الجرح مخيفاً . وسأه ايامينوقلاس عن رجل يسمى ايولايدوس Iolaidos وآخر يدعى دايفانتوس Daiphantos ولما قبل له انهما قد قتلا في المعركة أجاب وهو يخرج الكلمات بصعوبة (عليكم

اذ أن تعقدوا السلام مع العدو » وفقد جيشه الوصية وعقد مجلس للسلام على أساس الشروط القديمة استقلال مدن اليونان على أساس الأمر القائم Status quo فقد بقى الحلف الإركادى منقسما الى شطرين متحالفين واعترف باستقلال ميسينيا وكان اعتراف اسبرطة بذلك اعلافا لها أمام الجميع انها لم تعد تتحكم في شئون دويلات اليلوبونيسوس واعترف المتصالحون بحلف بيوتيا وامبراطورية أثينا كأمر واقع . وبالرغم من أن الامبراطورية البيوتية بدأت في التفكك بعد ضياع سر قوتها الوحشية والخلقة مثلة في شخص ابامينونداس ويلوييداس والتي أمسكت بالامبراطورية جيداً ودفعتها الى الأمام أكثر من عشر سنوات هي قمة مجدها وعظمتها . وبهذا بدأت طيبة تتواري عن مسرح السياسة الاغريقية .

لا يمكن لنا أن نفعل تناول هذه الشخصية العظيمة بالتعليق والتحليل . فقد اجتمع المؤرخون على قدرته الفائقة وذكائه العاد وشجاعته النادرة . فهو واحد من أعظم ثلاثة عرفهم التاريخ العسكري القديم لما أحدثوه من ثورة في النظم والتكتيك العسكري ؛ بالإضافة الى ياسون ملك مدينة فيراى ، وديونيوس الأول ملك سيراكوزة في صقلية . بل أن انتصارات فيليب المقدوني والاسكندر الأكبر المذهلة لم تكن سوى نتائج هذه الثورة الفنية العسكرية في طيبة .

تقييم تاريخي لشخصية ابامينونداس :

والحق يقال كان ابامينونداس عبقرية عسكرية أكثر منها سياسية . بل أن قدراته السياسية كانت متواضعة لا تتناسب مع مهمة تخطيط وبناء الامبراطورية ، ولذا لم يخلق بيوتيا كما ينبغي أن تكون دولة ذات مركز قيادي في مجال علاقاتها الخارجية مع الدويلات الاغريقية . ونظراً لعدم وجود الجهاز المدرك والمخطط راحت بيوتيا تتخبط في علاقاتها الخارجية ، كذلك أخذ على ابامينونداس اهماله في انشاء واعداد الأسطول القوي الذي يحرس الامبراطورية وممتلكاتها في الخارج ويضمن وصول

الخيرات اليها من البلاد كما كان يفعل الأسطول الإثيني . كذلك لم يحاول إبامينونداس تدعيم بناء امبراطوريته لتتأسس في بنيان واحد . ولم يحاول أن يصهر القوميات الاقليمية في قومية واحدة بهدف خلق الاحساس بالانتماء السياسى الواحد .

حتى ولو وضعنا في الاعتبار الأسباب الخارجة على ارادته مثل عدم قدرة الاستعمار البيوتى على الصمود نظراً لنصف الامكانيات الاقتصادية وندرة مصادر الثروة والطاقة ولكن ذلك قد يدفع البعض الى توجيه اللوم اليه بأنه قد أساء في حساباته ولم يتصرف في ضوء طاقاته . كذلك أخطأ إبامينونداس بأن جعل نفسه الامبراطورية والامبراطورية هي نفسه فلم يحاول خلق قيادة تتولى من بعده لا في الجيش أو السياسة . لقد كان همه هو التوسع وليس تدعيم هذا التوسع حتى داخل الامبراطورية الأصلية نفسها ، ولذا فقد بقيت الامبراطورية مركبة من عناصر قبلية متنافرة ومتباينة ومتناقضة ترفض أن تتحد في قومية واحدة . فقد فاتته أن يخلق الأمة ولم يقم بالدور الذى قام به كيسيوس الإثينى وليكرجوس الاسبرطى . ومهما قيل عن شخصيته القوية والجدابة فقد كان ينقصه من الطاقة السياسية الديناميكية التى كان يتمتع بها بيريكليس العظيم والتى أرغمت الإثينيين على احترامه وأخرننت السنة أعدائه وجعلت منه دكتاتوراً مستتيراً حكم أثينا لمدة خمس عشرة عاماً باسم الديمقراطية .

أن الطموح والوطنية قد يحققان للزعيم السلطة وفرض السيادة ولكنهما ليسا كافيين لبناء الامبراطورية ، لأن الطموح والوطنية هما سلاحا السياسى القصير النظر ، فقد دفعت الوطنية إبامينونداس الى الاندفاع في مشروعات ومغامرات نجح فيها كفرد ولم تنجح فيها بيوتياً كامبراطورية (١) .

(1) G.L. Caw Kwell, "Epaminondas and Thebes, Classical Quarterly, XXII, 1972, P. 254-278.

ولكن بالرغم من هذا لانستطيع أن نذكر عليه مجهوداته في تنظيم المجمع
الامفكتيوني الديني بصورة جديدة جعلت منه ساحة وبوقا ووسيلة
لأهداف الامبراطورية البيوتية . ولقد قام بأعماله العظيمة دون أن يجد
مواطنين مناصين لامبراطوريتهم يشاركونه الحماس والعقيدة بل
كانوا مواطنين متراخين لا مباليين غير مدركين لما يقوم به زعيمهم ، دولة
مفلة اقتصاديا ومواطنون مفلسون سياسيا ووطنيا فكيف تبقى
الامبراطورية ؟ أن السلاح قد يصنع الامبراطورية ولكن لا يستطيع
الحفاظ عليها ومن ثم تصبح عبئا عليه وسببا في انهيار المعتدى وضعفه .
ومهما يقال فيبقى اسم ابامينونداس علما من أعلام التاريخ فهو
الذي وضع نهاية للتفوق العسكري الاسبرطي الذي كان اعتقادا سائدا
شبه أسطوري ، وفنت أحشاء الدولة الاسبرطية الى الأبد بخلق دولة
ميسينيا وأركاديا وهما الأقطار الحيوي الذي كانت تعيش عليه اسبرطة
وتتوسع هكذا عندما مات الزعيم ماتت الامبراطورية معه ودفنت
أحلامها معه في القبر .

تلك هي أحوال العالم الاغريقي عام ٣٦٠ ق م فقد خرجت الدويلات
مرهقة من طوان المعارك والحروب ، مفلة لبهاطة النفقات على الجيوش
ورواتب الجند المرتزقة وأصبح السلام أمرا ملحا بل وحيويا أكثر من أي
وقت مضى . فقد تركت اسبرطة مخضبة الجناح بعد فقدتها حلفها
القديم في البيلارونيوسوس . وبدأت الولايات والمدن التي وحدها ابامينونداس
عام ٣٧٠ في امبراطورية واحدة تتفكك وتنهار بعد موته عام ٣٦٠ ق م
حتى الامبراطورية الاثينية البحرية كانت في ذلك الوقت في انهيار
مضطرد ، ولم تكن لتبقى أكثر من خمس سنوات حتى حدث بعدها انهيارها التام .
ولكن بغياب طيبة وبنهاية اسبرطة كان يمكن لأثينا أن تنهض من جديد
اذ لم يبق على المسرح السياسي سواها ، وكان في استطاعتها أن تحقق

بسهولة مطالبها السياسية في امفيبوليس ولكن ظهر في سماء الأحداث دولتان نصف اغريقيتان أعاقتاها عن تنفيذ أحلامها هما دولة كاريا الآسيوية بزعامة حاكمها ماوصولوس ودولة أخرى أكثر اهتماما بشئون بلاد اليونان، هي مقدونيا . وكان من الطبيعي أن يؤدي صراع المصالح الى التصادم بين مقدونيا وأثينا وما تبقى من ولايات اليونان . وكان هذا الصراع بداية صفحة جديدة وآفاقا جديدة للتاريخ والحضارة الاغريقية .

الفصل السادس عشر

مقدونيا تفرض سيادتها

على بلاد اليونان

مقدونيا - الجغرافيا والسكان :

ظلت مقدونيا خلال عصور التطور الحضارى والسياسى لبلاد اليونان منطقة يحيطها الغموض ، فهى بالرغم من أنها اقليم شاسع وغنى بالوديان ، والأنهار ، وبالأراضي الخصبة والمرعى الواسعة ، وبالعابات الكثيفة والجبال الوعرة ، الا أنها كانت الى درجة كبيرة منطقة نائية بعيدة عن المنافذ البحرية والتيارات الحضارية ، خاصة القادمة عبر الجنوب أى من بلاد اليونان .

كانت مقدونيا تحتل المساحة الشاسعة الواقعة بين منطقة البلقان شمالا وبلاد اليونان جنوبا ، ويربط بينها وبين تساليا ممر جبلى شهير اسمه ممر تمبي Tempe ذلك الممر الذى تغنى بجماله وسحره الشعراء . وفى العصر الحديث نجد مقدونيا القديمة تشغل الحيز الذى تتقاسمه كل من ألبانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وبلاد اليونان . وكانت عاصمة مقدونيا القديمة مدينة أيجاي Aegae وهى عاصمة المملكة المقدونية الأصلية ، لأنهما من ناحية تتوسط الاقليم فضلا على أنها تطل من ربوة

(١) من أحسن المراجع التى عالجت تاريخ وحضارة مقدونيا المكتبة العالمية

O. Hoffmann . Die Macedonen, ihre Sprache und ihr Volkstum (1966) ; S. Casson, Macedonia, Thrace, and Ilyria (1926).

وهو شيق لأنه من عمل مؤرخ اعتمد على البقائير الأثرية . ايضا أود ان أشير الى الكتاب .

A.P. Dascalacis, The Hellenism of the Ancient Macedonians Institute of Balkan Studies, Thessalonica 1963.

عالية على وادى فسيح تتخلله الأنهار والعديد من البحيرات والغابات الكثيفة ومن أهم أنهار مقدونيا القديمة نهر أكسيوس الشهير Axios (والذى يعرف اليوم باسم فاردار - Vardar) وهو ينبع من المنطقة الجبلية الشمالية مخترقا إيجاي نحو الشرق ليصب بعد رحلة طويلة في بحر ايجة .

وفيما بعد نقلت العاصمة من قلعة إيجاي الى أديسا Edessa (ومكانها الآن مدينة فودينا التى تقع على بعد ٤٥ ميلا من شمال غرب مدينة سالونيك اليونانية وعلى بعد ٢٥٠ ميلا من جنوب شرق بلجراد اليوغوسلافية وعلى بعد ٢٠٠ ميل شمال غرب العاصمة اليونانية أثينا) . حقيقة لقد ظلت مقدونيا لغزا وسرا مغلقا بالنسبة للعالمية الاغريق ، إلا أنهم اقتربوا منها في عصر الانتشار والاستيطان عندما أقاموا بعضا من مستوطناتهم بالقرب من شاطئ بحر ايجة وحول خليج سالونيك ومنطقة خالكيدىكى بشعابها الثلاث الفائرة في البحر وباقامة هذه المستوطنات يمكن القول بأن الاغريق وضعوا أيديهم على المداخل المؤدية لمقدونيا بل وعلى عنق الزجاجة لأنهم - أى الاغريق - أغلقوا الأبواب على المقدونيين وحالوا بينهم وبين الانطلاق عبر آفاق العالم الخارجى والتفاعل بتيارات حضارته ، وأبقوهم سجناء مزولين يحيون حياتهم البدائية المتخلفة بين الرعى والصيد والقتال ولا يعرف الاغريق عنهم سوى أنهم قبائل بدائية شرسة تسكن الغابات الغامضة ويحسن الابتعاد عنهم . بينما بدأ المقدونيون القريبون من المناطق الساحلية في تقبل الحضارة الاغريقية (١) .

كانت إيجاي في الأصل عاصمة لأكبر أقاليم مقدونيا وأغناها ويعرف باسم اقليم اماثيا Emathia وكان الاغريق يعرفون المنطقة الواقعة

(١) يقول داسكالاكيس . كلما اقترب المقدونيون من السواحل كلما زادت نقاوة عنصرهم الاغريقى وكلما تعمقوا في الداخل كلما ازداد اختلاطهم عنصريا بالبرابرة غير الاغريق

جنوب هذا الاقليم باسم اقليم بيريا *Pieria* وهى منطقة جبلية وعرة وسبب معرفة الاغريق لهذه المنطقة هو أنها تقع شمال جبل مقدس عند كل الاغريق ويقع فى أقصى شمال تساليا الا وهو جبل الأولبوس *Olympus* الأسطورى ، والذي يفصل جغرافيا بين تساليا ومقدونيا . وكان الاغريق يعتقدون بأن آلهة الأولبوس تسكن فوق قمة هذا الجبل الشامخ والذي يبلغ ارتفاعه نحو عرة آلاف قدم ، حيث تغطى قمته الثلج البيضاء والتي كانت تتراعى لأهل ايجاي المقدونية أنفسهم من بعيد ، مع نيف الأفق الجنوبى .

ويشق منطقة بيريا نهر هاليكامون *Halikamon* (حاليا نهر فسترتزا) *Vistritza*) متجها نحو الشرق ليصب فى خليج سالونيك . ولقد كان لهذا الوادى مكاتته فى الأساطير والخيال الاغريقى الخصب فقيس أن ربات الفنون والآداب السبع *(Musae)* كانت تعيش عند سفح الأولبوس . كما روى التراث الأسطورى أيضا أنها تحوى قبر أورفيوس *(Orpheus)* نبي الموسيقى والانطلاقية الأسطورى (١) ، فضلا على أن هذه المنطقة كانت كجنتها على الأرض لجمالها وغناها . ولكن بالرغم من هذا تردد الاغريق كثيرا فى دخول هذه المنطقة واحتلالها خوفا من شراسة المقدونين بسبب ما عرف عنهم من بربرية وهور عدوانى من أى أجنبى غير مقدونى يقدم الى بلادهم (٢) .

وفى الغرب من اقليم بيريا وامايا تمتد منطقة أخرى تعرف باقليم لينكستيس *(Lyncestis)* وكانت عاصمة هذا الاقليم مدينة هيراكليسا

(١) تروى الاساطير أن ربات الفنون والآداب المقيمة فى اقليم بيريا ظلت الى الأبد تنوح فوق قبر أورفيوس *Orpheus* ويقول داسكا لاكيس أن العبادات والشعائر ذات الرقص الانطلاقى جاءت الى مقدونيا من تأثير القبائل التراكية التى يعتقد أنها جاءت الى مقدونيا من آسيا الصغرى عبر مضيق البسفور والدرديل . لكن أهل تراكيا كانوا يتكلمون لغة تختلف عن الاغريقية لأن الاغريق استعانوا بترجمان أثناء التفاوض معهم انظر :

Xenophon, Anabasis, VII, 3, 25.

(2) cf. Daskalakis, op. cit, p. 7.

Heraklea (وهي مدينة موفاستير الحالية في أقصى جنوب يوغوسلافيا) ويقال أن أسرة اغريقية يربطها صلة قرابة بأسرة آل باخياس الكورثية جاءت من الجنوب وظلت تحكم هذا الاقليم على مدى قرنين من الزمان ، وينتسب شعب هذا الاقليم الى الألييريين (Illyrians) أجداد الألبانيين المعاصرين ، وقد تغنى الشاعر العاطفي الروماني أوفيدوس في مؤلفه « مسخ الكائنات » (Metamorphoses) بنهر اقليم لينكستيس وشبه مياهه العذبة بالنبيذ المعتق (١) وعلى أى حال كان اقليم لينكستيس جزءاً لا يتجزأ من مقدونيا الكبرى ولكنه كان أكثر بعداً من اقليم اماثيا وأكثر انعزالاً عن تيارات الحضارة الاغريقية وعلى العكس ، ذلك كان اقليم اماثيا حيث بدأت الحضارة والثقافة الاغريقية في التسال سواء عن طريق القادمين أو بفضل القصر الملكي وبلاطه في أيجاي .

ومناخ مقدونيا عموماً شديد البرودة شتاءً وغزير المطر ربيعاً وشديد الحرارة صيفاً ، ولكن ذلك الطقس القارى لم يؤثر على الاطلاق في المحاصيل الزراعية خاصة في البقاع الجنوبية الغربية من ساحل بحر ايجه لقد كانت مقدونيا القديمة غنية بمصادرها الطبيعية وذلك لأن هذه المصادر لم تكن قد استهلكت ، كما هو الحال في باقي بلاد اليوفان ، كما أن قلة عدد السكان ساعدها على الاحتفاظ بمصادرها غنية .

لقد اشتهرت مقدونيا بأشجار التين والزيتون وبحقول القمح والشعير والكروم والحداث . فضلاً عن المراعى الشاسعة الممتدة فوق الروابي والسهول والتلال حيث كان ترعى قطعان المواشى والأغنام . كما ساعدتها الغابات الكثيفة على تصدير الأخشاب اللازمة لبلاط اليونان (٢) . ولقد عرف عن مقدونيا شهرتها بتربية الخيول وبصناعة النبيذ كما أنها كانت تمتلك مناجم غنية بالذهب والفضة . وخلاصة القول كانت

(1) Metamorphoses, XV, 829.

(2) Xenophon, Hellenicas VI, 2.

مقدونيا بخيراتها وأراضيها البكر واقتصادها القوى مؤهلة لكي تلعب دوراً سياسياً وعسكرياً ناجحاً في تاريخ شبه القارة اليونانية (١) .

كان المقدونيون شعباً أشقر البشرة ، طوال القامة ، زرق العيون ، تجرى في عروقهم دماء أهل شال أوروبا ، وقد قيل أن سكان مقدونيا الأصليين جاءوا إليها من حوض نهر الدانوب ، أي أنهم يرتبطون بقرابة مع الاغريق « ولكن الاغريق رفضوا الاعتراف بهذه القرابة لأنهم لم يستسيغوا لغة المقدونيين الغريبة ذات الرطانة البربرية بالرغم من أنها كانت تنبثق من نفس الجذور التي أنبثت منها اللغة اليونانية كما أن اللغة المقدونية لم تكن مدعبة بخلفية أدبية وفكرية خلاقة مثل اللغة اليونانية مما أضعف من موقعها ولهذا فضل أمراء القصر والأرستقراطيون المقدونيون تعلم اللغة اليونانية بلهجتها الأتيكية الراقية كجزء من تعليمهم وكانوا يفضلون الحديث بها فيما بينهم . لأنهم وجدوا في ذلك أرقى وأسهل من الرطانة بلغتهم القومية الجافة .

لقد تمكن الأثريون من تتبع تاريخ مقدونيا منذ العصر الحجري المتأخر وخلال عصر النحاس حيث ساد فيها نوع من الاستقرار تأثر بدرجة معينة بطريقة الحياة الموكينية بالرغم من احتفاظ مقدونيا بجوهر مستقل عن حضارة جنوب اليونان ، كما ثبت من الحفائر الأثرية أن مقدونيا لاقت نفس مصير الحضارة الموكينية عندما غزاها الدوريون في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد واستوطنوها ولهذا يرى المؤرخون أن سكان جنوب مقدونيا ليسوا إلا أحفاد الدوريين ، أما سكان شمال مقدونيا أو مقدونيا العليا فقد كانوا خليطاً من الاغريق وأهل الليريا وقبائل منطقة تراكيا (٢) .

يقع اقليم تراكيا (٣) في أقصى الشرق من مقدونيا ، ويقف هذا الاقليم كمنطقة عازلة بين مقدونيا ومضيق البسفور والدردنيل (Propontis) .

(1) Daskalakis, op. cit., p. 7.

(2) F. Geyer, "Macedonien bis zur Thronbesteigung Philipps (Historische Zeitschrift, Beiheft 19, 1930, Daskalakis, op. cit. p. 25 ff.

(3) Daskalakis, op. cit pp. 23-24.

ذلك المخرج الحيوى الهام . وكان أهل تراكيا قبائل بربرية صعبة المراس ، شرسة تعيش فى المناطق الجبلية الوعرة . وبالرغم من هذا فلم يكن هناك أى علاقات سواء سياسية أو حضارية بين أهل تراكيا والمقدونيين باستثناء الروابط الفردية والمحدودة التى تنشأ من المصاهرات بينهم . كذلك لم يكن هناك أى روابط بين مقدونيا وأهل منطقة ميسيا (Moessia) الواقعة بين أطراف مقدونيا الشمالية وجنوب حوض نهر الدانوب .

ومهما بلغت الشعوب والقبائل فى أطراف العالم الهليني رقا الا أنها كانت جميعا فى نظر الاغريقى الجنوبي المتحضر ، شعوبا بربرية ، شرسة متخلفة عن ركب الحضارة ، تعيش حياتها البدائية النامضة وسط الأحراش والغابات وعلى الجبال . ولم يفرق الاغريقى فى الحقيقة بين المقدونى والأليريى والميسى والتراكى ولم يضع تعريفا جوهريا ، يحدد عنصر كل منهم ، بل اعتبرهم جميعا برابرة (Barbaroi) وهذا بالرغم من اقبال الأمراء والارستقراطيين المقدونيين على الأخذ بشئ من منهل الحضارة الاغريقية وعلى تقليد طريقة الحياة الاثينية وإيجاد نوع من الصفات المشتركة بينهم وبين الاغريق فى الجنوب ولكن ذلك لم يغير أبدا من نظرة الاغريق الاستعمالية التى نظرت اليهم على أنهم قبائل بدائية متخلفة تغطى أجسامها بجلود الحيوانات وتقض حياتها بين الرعى والتقاتل (١) . بل أن أرسطو نفسه ضرب مثلا بالمقدونيين فى الشراسة والبربرية عندما روى كيف أنهم لا يعترفون ببلوغ الفتى مبلغ الرجال ما لم يقتل عدداً من الناس (٢) . أما أثيناىوس (Athenaeus) فقد وصف المقدونيين بأنهم شعب مجنون بالصيد ، لا يعرفون حداً عند الشراب ، يعبون الخمر قبل الطعام لكى لا يفقدون (٣) .

Athenaeus III, 91 ; cf. Daskalakis, op. cit. 29.

(١)

Aristotle, Politics, VII, 2, 6.

(٢)

Arrian, Anabasis, VII, 9.

(٣)

الأسطورة القومية :

كما عودنا التاريخ ، هناك فترة غامضة في حياة الشعوب تحاول فيها عند كتابة تاريخها سبر أغوارها بالخيال الشعبي أو بالأساطير لكي تخلق لنفسها أو للوكةا أصولا مقدسة ، ولكي يرسموا لأنفسهم بداية أسطورية ولا يجد المؤرخ بدا من التعامل مع مثل هذه الأساطير القومية ولكن عليه أن يعالجها بحذر ، ويحللها منطقيا لكي يستخرج منها قدراً مينا من الحقيقة .

تقول الأسطورة القومية المقدونية (١) أن ثلاثة أخوة هم جاوانيس (Gauanes) وأيروبوس (Aeropus) وبرديكاس (Perdikas) هاجروا من أرجوس في البيلوبونيسوس متجهين شمالا الى الليريا تلك البراري الشاسعة المهجورة في الشمال عند ملتنى حدود يوغوسلافيا والباينا واليونان ، وذلك أبان القرن الثامن قبل الميلاد ، وتقول الأسطورة أيضا أن هؤلاء كانوا ينحدرون من نسل هرقل جد الدورين الأسطوري ، وسار الأخوة شمالا حتى وصلوا الى مقدونيا العليا حيث عملوا رعاة عند أحد ملوكها . ولكن هذا الملك لاحظ أن الأخ الأصغر برديكاس (Perdikas) يأتي بأشياء غريبة فانهم الأخوة بالشعوذة والسحر . وأمر بطردهم من خدمته ولكنهم طالبوا بأجورهم المتأخرة لديه وأراد الملك أن يسخر من هذا الطلب فظفر الى بقعة من ضوء الشمس تقذت عبر سقف القصر الى أرضيته وصاح قائلا : « ها هوذا أجركم الذي تستحقونه فخذوه لأنى أعطيه لكم » (٢) ، وهنا قفز برديكاس بسرعة معلنا قبوله تلك الصفقة ورسم دائرة حول البقعة ، ولما فطن الملك الى خبث برديكاس طارده هو وأخوته حتى خارج مملكته . وسار الأخوة الثلاث حتى وصلوا الى

(١) يقترح داسكا لاكيس أن كلمة مقدوني مشتقة من اللفظ الدوري مقدونوس Makedonos الذي ورد في الأوديسا (VII, 107) بمعنى الشاهق أو العظيم ومنه اشتق لفظ Magnus اللاتيني وان اللفظ اشتق من طبيعة جبال الاقليم الشاهقة . لذلك أنظر :

N. Androitis, History of the Name of Macedonia, Balkan studies, I (1960) p. 143 and P. 148. ; Daskalkis, op., p. 2.

Herodotus, VIII, 137.

(٢)

حدائق الملك ميداس عند جبل برميون (Bermion) • ورحب أهل هذه المنطقة بالأخوة القادمين بل اتخبوا برديكاس ملكاً عليهم بعد أن تزوج من ابنة الملك السابق لهذه المنطقة واسمه كارانوس (Karanos) والذي وصفته الأساطير الشعبية بأنه شقيق فيدون ملك أرجوس ومؤسس العرش المقدوني الأول (١) •

وما فهمه من الأسطورة القومية أن الأسرة المقدونية المالكة ادعت أنها تنتسب الى سلالة هرقل مثل الدورين تماماً وأن في عروقتها تجري دماء مقدسة مثل الآلهة الأبطال • وأنهم هاجروا أصلاً من أرجوس • وربما يؤيد ذلك ملاحظة وجود مدينة تسمى أرجوس أيضاً وتقع في سهل الليريا ويقول استرابون الجغرافي أن لفظ أرجوس يعنى في اللغة المقدونية « النهر » (٢) •

ملوك مقدونيا :

وبعد موت برديكاس - الجد الأول للملك مقدونيا - تولى عدد من الملوك منهم الملك أمونتاس Amyntas والذي جلس على عرش البلاد من الفترة ما بين ٥٤٠ الى ٤٩٨ ق.م ثم مات بعد أن ترك لولده ولخليفته الاسكندر الأول ملكة أكثر اتساعاً من أى وقت مضى (٣) •

الاسكندر الأول :

فاجأ الاسكندر الأول الاغريق عندما هبط عليهم زائراً عام ٤٩٦ ق.م ، وزاد من دهشتهم أنهم وجدوه يتحدث الأغريقية بلهجتها الأتيكية الراقية • كما وجدوه مثقفاً واسع المعرفة مثباً بملاعب الرياضة • وزاد أيضاً من دهشتهم عندما طلب منهم أن يسمحوا له بالاشتراك في الألعاب الأولمبية ، فسارعوه واعتذروا له مذكّرين إياه أن عضوية الاشتراك في الألعاب الأولمبية ترتبط بنقاء الدم الهليني وهذا شرط لا يتوفر فيه •

(١) وذلك حوالي ٨٠٣ ق.م ان صحت الاساطير وحسابات المؤرخين القدامى خاصة يوسيبوس •

Daskalakis op. cit, p. 121.

Strabo, 272.

(٢)

(3) Herodotus VIII, 139 ; Thucydides, II, 100. cf. Daskalakis, op. cit, P. 119. ff

ولكن الملك المقدوني أصر على تسجيل اسمه في قائمة الرياضيين المشتركين ولما رفض المجلس المشرف على الألعاب الأولمبية الموافقة على اشتراكه في المباريات لأنه « بربرى » - أى غير أغريقى - ثار الاسكندر ، وراح يحاول ليثبت نسبة الى الأجداد الاغريق الأول مشيرا الى أن جده الأكبر هو البطل الأسطورى هرقل الذى هو أول من وضع فكرة الألعاب الرياضية (١) وبالفعل انتزع الاسكندر الأول الاعتراف بحقه فى الاشتراك فى الألعاب الأولمبية .

وفى حلبة الجرى انتزع المقدونى دهشة الاغريق وأعجاب النظارة والحكام لدرجة أن الشاعر الاغريقى بندار Pindar الذى تخصص فى التغنى بأبطال هذه الألعاب تغنى بانتصاره فى احدى مقطوعاته . وربما كانت فكرة الاعتراف بهلينية الاسكندر الأول سياسية لأن الأحوال السياسية التى كانت تمر بها بلاد اليونان آنذا كانت تحتم عليهم أن يكسبوه الى جانبهم خاصة وأنه يتحس ويتحرق شوقا من أجل الاعتراف به اغريقيا .

لقد كانت بلاد الفرس فى ذلك الوقت فى أوج نشاطها السياسى والتوسع وأصبح مؤكدا أنها لا بد وأن تشتبك مع الدويلات الاغريقية فى عقر دارها وكان طريق الخطر بالنسبة للاغريق هو مقدونيا وتراكيا . فهما النقطتان اللتان تحميان بلاد اليونان من ناحية آسيا الصغرى التى قد يعبرها الفرس عن طريق مضيق البسفور والدردنيل (Propontis) ومما دفع الاغريق الى كسب رضا الاسكندر الأول المقدونى وقوع تراكيا تحت النفوذ والتأثير الفارسى ، ومن هنا وجد الاغريق أن من الأفضل ارضاء الملك المقدونى لوضع مقدونيا تحت تصرفهم بحيث يمكن جعلها منطقة مائمة مغلقة فى وجه الجيش الفارسى اذا ما حاول التعرض لجنوب بلاد اليونان ، خاصة أن الاسكندر الأول لم يكن معروفا ببيله نحو الفرس بل سبق اتهامه فى تدينير اغتيال بعض الشخصيات الفارسية التى نزلت بقصر آبيه الملك أموتاس لتطالب بالمزيد من النفوذ فى المنطقة ولكن

الأمير سوى وألقى اللوم على سوء سلوك الوفد الفارسي ورد الفعل من جانب الأمير المتهور .

كانت الامبراطورية الفارسية في توسع مطرد ، اذ لم يكد يمر نصف قرن على تأسيسها على يد قورش الأكبر حتى كان خليفته دارا الأول قد نجح في عام ٥٥٠ ق.م في البلوغ بالامبراطورية الى أقصى اتساعها ، وأصبحت تضم الى قصودها ، تركيا وأرمينيا وبلاد ما بين النهرين (Mesopotamia) ومنطقة شمال غرب شبه القارة الهندية وأفغانستان والتركستان ، بل شملت الشرق الأوسط كله عندما وقعت سوريا وفلسطين وشمال شبه الجزيرة العربية ومصر وقبرص وبعض جزر بحر ايجه في حوزة الامبراطورية الفارسية . ولم يعرف التاريخ امبراطورية بشل هذا الاتساع والشول ، حتى أن الدويلات الاغريقية في الجنوب أصبحت تتوقع سقوطها في حوزة الامبراطورية الفارسية التي وصلت حدودها الى قرب حدود مقدونيا ذاتها .

كانت الدويلات الاغريقية على النقيض تماما من الامبراطورية الفارسية ففتية ، لأن دويلات المدن الاغريقية كانت في قتال دائم وحالة الحرب لا تتوقف بينها . وذلك لعدم وجود وحدة سياسية بينها أو بين بعضها بكي تفرض السلام وتضع نهاية حاسمة لعوامل الصراع . بينما كانت الامبراطورية الفارسية اتحادا متنوعا لأجناس مختلفة ومتناقضة . لقد اختلفت هذه الشعوب في العنصر العرقي والثقافة والبيئة ولكنها كلها يوحدت في التزامها بقبول النظام الملكي الفارسي في الولاء لشخص ملك الملوك . وعلى أي حال لم تكن الدعاية الأثينية ضد « التسلط الفارسي الشرقي » ذات تأثير فعال سوى أن هؤلاء البرابرة الشرقيين يخونون اذلال العنصر الهيلاني والتحكم فيه والقضاء على نظامه « الديموقراطي » ، لأنهم يرغبون في الانتقام من حملة الاغريق القديمة ضد طراودة . وذلك لأن الديموقراطية الأثينية نفسها لم تكن قطاما فريدا في حد ذاته ، فقد فشلت في نشر التأخي والسلام والقضاء على الحروب والصراعات بين الدويلات الاغريقية ، بينما كانت الامبراطورية الفارسية تكون اتحادا

فريدا من نوعه لدويلات العالم القديم ، وكان ذلك في حد ذاته شكلا من أشكال السلام العالمى الذى حاول الاسكندر الأكبر فيما بعد تحقيقه ، ولكن القدر ترك ذلك للامبراطورية الرومانية وللسلام الرومانى (١) ، كما كان هناك الكثيرون من الاغريق ممن أكبروا حكمة الفرس في فن الحكم ، وأعجبوا بالنظام الفارسى الذى نجح في أن يوحد بين هذه الشعوب المتنوعة تحت لواء عرش الملك ، بل أن المدن الاغريقية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى وجدت السلام المنشود تحت حكم الفرس الذى لولاه لشغلوا أنفسهم بالقتال والصراع مثلما فعل أخوتهم في بلاد اليونان . ولهذا السبب ازدهرت أيونيا في ظل هذا السلام وأخرجت جيلا خالدا من الفلاسفة والمؤرخين والشعراء . بل ان هناك بعض الكتاب من الاغريق أنفسهم من شهدوا « بعقلانية » النظام الفارسى ، فقد كتب المؤرخ الكبير اكسينوفون انطباعاته عن تربية الملك قورش الأكبر ، مؤسس الامبراطورية الفارسية . وأشاد به وجمله النموذج الذى يجب أن يكون عليه الحاكم في أى مكان وفي أى عصر .

وعندما اندلعت الثورة الايونية ضد الامبراطورية الفارسية بتحريض من أثينا . وما تلى ذلك من رد الفعل الفارسى بالاستعداد لغزو أثينا ذاتها - مصدر الثورة وبؤرتها - من أجل القضاء على نظامها السياسى الذى أركى لهيب هذه الثورة ويثير القلاقل ضد السلام الفارسى ، وجدت مقدونيا التى بقيت رديفا من الزمن نسيا منسيا - نفسها وسط صراع فرض عليها ... صراع يحدد مصير الحضارة الاغريقية ومستقبلها وساد الفزع والخوف بين الاغريق خشية أن تنضم مقدونيا الى الفرس مثلما فعلت جارتها ثراكيا فتسحق للجيوش الفارسية بالعبور الى أراضيها وهى متجهة لغزو اليونان . ولهذا السبب تنازل الاغريق عن نظرتهم نحو مقدونيا واعترفوا بالاسكندر الأول أغريقا .

(١) انظر كتابى « الحرب والمجتمع القديم » المكتبة الثقافية العدد ٢٨٧ (١٩٧٢) ص ٥٢ وما بعدها .

ولكن بالرغم من هذا كان الاسكندر الأول حذرا ومتريثا في اتخاذ قراره وقارن بين أحوال الامبراطورية الفارسية المستتبة والطيبة وأحوال دولات المدن الاغريقية المتقاتلة والتي لا يحركها شيء سوى دافع الغيرة العمياء على نظامها واستقلالها واكتفائها الذاتي ، فضلا عن روابط القرابة التي كانت تربط البيت الحاكم المقدوني بالقصر الفارسي ، فقد كان هناك ثمة مصاهرة فشيقة الاسكندر الأول كوجايا (Cygaea) كانت متزوجة من أحد كبار رجال البلاط في القصر الفارسي . واتمى الملك الاسكندر الأول باتخاذ قرار بقبول دعوة الملك دارا عام ٤٩٢ ق.م في الدخول في تحالف معه . وفتحت حدود مقدونيا أمام الجيش الفارسي الغازي في الحملة الفارسية الاولى ضد بلاد اليونان والتي انتهت بهزيمة الفرس في موقعة الماراثون عام ٤٩٠ ق.م ، كما اشترك الاسكندر الأول نفسه مع الحملة الفارسية الثانية والتي نجحت في احتلال أثينا وأحرقها عام ٤٨٠ ق.م ولكن يقال أن ضمير الملك المقدوني أنه على خيانة القضية الاغريقية كما يدعى هيرودوت . وذلك قبل المعركة الفاصلة في بلاتيا فباح بأسرار عسكرية هامة للاغريق مما نتج عن ذلك هزيمة الحملة الفارسية الثانية واندحارها . واكتسب الملك المقدوني شعبية كبيرة بين الاغريق وسوء بسبب الهلينية (Phil-hellen) وبهذا دخلت العلاقات الاغريقية المقدونية مرحلة جديدة .

الملك برديكاس :

وفي عام ٤٥٤ ق.م مات الاسكندر الأول وخلفه من بعده ابنه الأكبر برديكاس (Perdikaas) الثاني والذي سار على نهج سياسة أبيه في نشر الثقافة الهلينية والتي كان مولعا بها ، ومن ثم فتح أبواب القصر الملكي للشعراء والأدباء والمفكرين والعلماء الاغريق القادمين من الجنوب ومن الشعراء الذين استضافهم برديكاس ثنائي في قصره شاعر جزيرة ميلوس الأول وشاعر فن الديثورامب الفنائى ، الشاعر ميلانيبيديس Melanippides والذي ظل يعيش في بلاط الملك حتى آخر أيامه ، ومن العلماء الذين نزلوا بالقصر الطبيب الشهير هيبوقراطيس Hippocrates.

وفي أواخر عصر الملك برديكاس الثاني اندلعت الحروب البيلوبونيسية بين أثينا وأسبرطة عام ٤٣١ ق.م وغرقت بلاد اليونان في فوضى هذه الحرب المريعة التي لم تكن بذات حدودى وانتهى قامت على حساب الحضارة والاقتصاد الاغريقى . وقد كان موقف مقدونيا بزعامة الملك برديكاس الثانى مذبذبا ، لأنه كان حيناً يقف مع أثينا ويؤيدها وحيناً آخر يناصر أسبرطة عليها . إلا أن هذه الحرب زادت من ارتباط مصر مقدونيا بالدويلات الاغريقية ، وبددت من الفكرة القديمة في هومن الاغريق بأنها بربرى غامضة تسكنها قبائل بربرية شرسة غير هيلينية الأصل والحضارة أو أنها تقع فيما وراء حدود العالم الهلنى . فضلا على أن الحروب البيلوبونيسية استنزفت طاقت الدويلات الاغريقية سياسياً واقتصادياً ، وأصبح المستقبل لمقدونيا ذات الاقتصاد البكر والنظام السياسى الملكى الراسخ المستقر ، بل أن الطغ ساعد مقدونيا عندما أخذ التدهور يحيق بالعرش الفارسى وحل الضعف بهذه الامبراطورية الشرقية التي كانت مقدونيا واقعة تحت قودها ، ومن ثم بذاتها مقدونيا تستقل عنها وتسقط عنها تبعيتها وتكون لنفسها قوداً وشخصية هيلينية مستقلة سياسياً وحضارياً وفكرياً . وكعادة ملوك مقدونيا عندما يحيق بهم الهرم والارهاق تنازل برديكاس الثانى عن العرش لابنه الشاب أرخيلاوس Archelaos الذى أعلن ملكاً على مقدونيا عام ٤١٣ ق.م

الملك أرخيلاوس :

يقول المؤرخ الكبير ثوكوديديس (Thucydides) (١) أن الملك أرخيلاوس فاق كل من سبقوه نشاطاً ونجاحاً في نشر التمدين وطريقة الحياة الاغريقية بين القبائل المقدونية وجعلهم متحضرين ولم يعمدوا في ظله برابرة كما كان ينظر اليهم من قبل - باستثناء قبائل الجبل التي فرت بحكم قسيتها وطبيعتها من كل ما هو غريب وجديد وبقيت على عاداتها وتقاليدها ، وآثرت أن تتعزل وتعيش على سجيها الاولى البدائية .

وأول عمل قام به أرخيلاءوس هو نقل عاصمة البلاد من قلعة ايجاي القديمة (Aegae) الى الجنوب عند مدينة بيلا (Pella) • وهى مركز حيوى تجارى يقع على مسافة عشرين ميلا من البحر (على مقربة من شمال غرب مدينة سالونيكى الحالية) • وكانت العاصمة الجديدة بيلا تطل على ربوة عالية وتشرف على بحيرة بوربوروس Borboros (ينجا الحالية) والتي يربط بينها وبين بحر ايجيه نهر لودياس Lydias • وكانت تلك البحيرة فى العصر القديم بؤرة نشاط للسفن التجارية العادية والرائحة • لقد أدرك أرخيلاءوس أهمية الطرق فى توحيد الأمة ونشر حضارتها الهيلينية فى شتى ربوعها ومن ثم فقد أنشأ شبكة متشعبة من الطرق تخرج من بيلا الى كل أجزاء المملكة • كما أدرك أرخيلاءوس أن الاستقرار السياسى لا يقوم الا على وجود قوة عسكرية تضمن هذا الاستقرار وتضع حدا لمشاغبات القبائل الجبلية ومن ثم استفاد من مراقبة سير المعارك الطاحنة بين أثينا وأسبرطة ابان الحروب البيلوبونيزية وانشأ قوة عسكرية عين لها ضباطا أغريقا من الجنوب للإشراف عليها وتدريبها • هكذا بينما كانت أثينا وأسبرطة تقبض كل منها على عتق الأخرى وتنزفها حتى الموت ، كان الملك أرخيلاءوس يبنى دولة فتية صاعدة بالتخطيط السليم وبالحضارة الاغريقية والتمدن الراقى ، وكأنه أدرك أن قدر الحضارة الاغريقية لم يعد فى الجنوب بل فى الشمال فى مقدونيا الفتية الناهضة •

كان أرخيلاءوس متيما بطريقة الحياة الاغريقية ، متعطشا لفنونها وأدائها ، ففتح أبواب قصره على مصراعيها لمشاهير الرجال الاغريق القادمين من كل أطراف العالم الاغريقى والناخبين فى مختلف فروع المعرفة الاغريقية • مثلا دعى الى القصر يوريبيديس ثالث عظماء شعراء المسرح الراجيدى الاثينى فحل بقصره عام ٤٠٨ ق م (١) حيث كتب عن مقدونيا

(1) Daskalakis, op. cit. pp. 36-37 ; p. 105 ; P. 107, note 81 (p. 141).
ويقول دوميديس أن أرخيلاءوس طلب منه كتابة مسرحية عن حياته ولكن يوريبيديس رفض ذلك بحجة أن المأساة هى قمة الحزن ولا يريد ذلك للملك العالى ، بينما كتب عن الجد الاسطورى للأسرة المالكة مظهرا اياه كبطل شهيد ويستشهد دوميديس بذلك فى تحديده لفن المأساة •

مسرحيته الخالدة « الباخيات » Bacchae . وقد ظل يوريديس يشهد الهدوء والسكينة وراحة النفس والبال حتى وافته منيته عام ٤٠٩ ق . م ومن بين عبقریات الفكر الاغريقى التى دعاها أرخيلاءوس الى قصره شاعر جزيرة ساموس الأول خيريلوس (Choerilos) الذى كتب مديحه الشهير فى تكريم المليك العظيم . كذلك نزل بالقصر الملكى فى بيللا موسيقار أثينا الأول تيموثيوس (Timotheus) وأجاثون (Agathon) الشاعر التراجيدى المعروف وصديق سقراط وأفلاطون بمعد أن ضاق ذرعا بسبب الهجوم عليه فى أثينا بأن سلوكه ومسرحياته تنشر التخلف وتقضى على الرجولة .

كذلك دعى أرخيلاءوس الى قصره بعض مشاهير المهندسين والفنانين والرسامين للقيام بحركة عمرانية كبرى ، مثلا دعى الرسام الذائع الصيت زيوكسيس Zeuxis ليخلد روائع أعماله على جدران مقر القصر الملكى فى بيللا وقد رويت الأساطير عن عبقرية تجسيم هذا الفنان لرسوماته ، ويقال أنه رسم عنقودا من العنب جعل الطير تحوم حوله معتقدة أنه حقيقى .

وكان يمكن للملك أرخيلاءوس أن يفعل الكثير من أجل « أغرة » مقدونيا ونقل كرسى الحضارة الاغريقية الى بيللا لولا أنه سقط غدرا عام ٣٩٩ ق . م . فى نفس العام الذى لاقى فيه سقراط حتفه منتعرا بالسم .

٤ - الملك أمونتاس الثانى : Amyntas II :

اهتز العرش المقدونى بموت أرخيلاءوس ، وسادت الفوضى وأعمال الشغب حتى تمكن أحد الأمراء وهو أمونتاس الثانى من اعتلاء العرش . وكان أمونتاس بن فيليب أحد أشقاء الملك برديكاس . وكان أمونتاس يميل الى استعراض القوة العسكرية أكثر من البناء الحضارى . فبنى سياسته على تأديب القبائل اللنكستية الخارجة على ولائه حتى أخضعهم

وعقد مع زعيمهم إيرزاس Irras اتفاقاً دعمه بالمصاهرة ، اذ تزوج من ابنة هذا الزعيم الأميرة يورديكي Eurydike التي عرفت بشراستها وميلها للسلوك البربري الغادر وقد أنجبت هذه الأميرة اللنكستية من الملك أموتاس الثاني ثلاثة أبناءهم على التوالي الاسكندر الثاني وبرديكاس الثاني وفيليب الثاني .

ولكن حكم أموتاس الثاني واجه عدة مصاعب وقلقل بسبب مضايقات الفرس وثورة القبائل ومضايقات مدينة أولينثوس Olynthus تلك المستوطنة الاغريقية والتي كانت تقع في شمال غرب شبه باليني Pallene إحدى الشعب الثلاث التي منها تتكون منطقة خالكيدكي الشهيرة ، ذات الثلاث شعاب الفائرة في خليج تراكييا وكانت مدينة أولنثوس تشهد آنذاك أوج نشاطها السياسي وتعمل جاهدة من أجل إنشاء اتحاد كوتفدرالي (١) يجمع بين دويلات مدن هذه المنطقة ويقطع جزءاً من سواحل مقدونيا . وبلغ الخطر بالملك قدراً جعل الكاتب والأديب الأثيني أكسينوفون يقول عنه : « أنه كاد أن يهوى من عرشه » (٢) . ولكنه تمكن في النهاية بمساعدة أسبرطة التي كانت تتزعم آنذاك سياسة تفتيت اتحادات بلاد اليونان بوحى من الفرس تحت اسم الحرية لائز المدن الاغريقية . تمكن الملك من تأديب أولينثوس وتأمين مقدونيا من أطباعها وذلك عام ٣٧٩ ق م .

ولكن صراعات القصر كانت من المشاكل الأخرى التي هوت بالملك . فقد زوج ابنته من أمير يدعى بطليموس بن أولوروس ، وكان هذا الرجل انتهازياً اذ حاول أن يوقع زوجة أموتاس في غرامه لكي يصبح هو ملكاً بدوره ، مما دعى الناس الى الاعتقاد بأن الملكة الأم كانت السبب وراء مصرع أموتاس الثاني زوجها وذلك عام ٣٦٩ ق م (٣) . وكانت تلك المؤامرة بداية لصراع رهيب عصف بالقصر المقدوني الحاكم أدى الى تدخل أثينا وطيبة فيه .

J.A.O. Larsen ; Greek Federal States, Oxford 1968, p. 24.

(١)

Xenophon, Hellenica V, 2, 18.

(٢)

Justinus, VII, 4.

(٣)

٥ - الصراع على العرش وتدخل أثينا وطيبة فيه :

بعد مصرع أموتاس الثانى غدرا ، سارع أكبر أبنائه وهو الاسكندر الثانى الى اعلان نفسه ملكا على مقدونيا ، رغبا عن أنف بطليموس المشيق والملكة الأم ولكن سرعان ماخر الاسكندر الثانى صريعا أثناء اشتراكه مع عشيق أمه فى رقصة حرب ويروى لنا أثيناىوس (١) كيف دبرت أم الاسكندر الثانى مقتل ابنها حتى يبدو وكأنه قضاء وقدر . أثناء هذه الرقصة بين عشيقها وولدها .

وعلى أثر شيوع نبأ اغتيال الملك الشاب ، انتشر السخط والغضب على الملكة الفادرة وعلى عشيقها الخائن ، وساعد على ذلك السخط ظهور مطالب جديد بعرض مقدونيا يدعى باوسانياس ، ووجد هذا الأخير من يلتفون حوله ويؤيدونه كما أنه كاد أن ينتزع العرش فعلا من الملكة وعشيقتها بمساعدة قوة من الاغريق المرتزقة لولا استنجاد الملكة بأثينا والتي كان يتزعم شرفها آنذاك الجنرال ايفكراتيس Iphicrates ، وكان هذا الأخير رجلا عصاميا ، اذ يروى أن أباه كان اسكافيا فقيرا من رعاى مدينة أثينا . وكان يربط ايفكراتيس والملك الراحل أموتاس الثانى صداقة حميمة كما يقول أيسخينيس Aeschines الخطيب ، ولهذا أبدى تعاطفا مع أبنائه فقاد حملة ضد باوسانياس المطالب بالعرش ، بل يقال أن الملكة الخائنة يوزيديكى أوحى الى ولديها برديكاس وقيليب أن يركبا تحت قدمى القائد الأثينى طلبا لحماه ومساعدته (٢) .

وبالفعل قام ايفكراتيس بمطاردة باوسانياس وقبول تبرير الملكة يوزيديكى بأن مقتل ابنها الاسكندر الثانى كان قضاء وقدر ، ولكى تثبت ذلك وافقت على تعيين ابنها الثانى برديكاس الثالث ملكا على مقدونيا خلفا لأخيه . وارضاء للملكة الأم عين بطليموس المشيق وصيا على الملك القاصر والمحب ايفكراتيس عائدا الى أثينا .

Athenaeus, XIV, 27.

(١)

Aeschines, (Fisher) 26.

(٢)

Ibid. 27.

(٣)

ولما أعلنت قبائل اقليم لنكستيس Lyncestis أنها لا تثق في هذه الملكة سارعت فأرسلت اليهم ولدها الأصغر فيليب ليكون رهينة عندهم .

كانت مدينة طيبة في ذلك الوقت في أوج قوتها وغنواها تحت زعامة ييلوييداس ، ولما رأى هذا الجنرال أثينا وهي تتدخل في شئون مقدونيا الداخلية استبد به القلق خشية قيام تحالف بين أثينا ومقدونيا مستقبلا لضرب امبراطورية طيبة . لأن ييلوييداس كان يعتقد أن مناطق الشمال مناطق نفوذ لطيبة وحدها ولا يريد لأثينا أن تتدخل بنفوذها في هذه المناطق ، ولهذا سارع بالقيام بحملة عسكرية كبرى بالقرب من حدود مقدونيا عام ٣٦٧ ق م وطالب الملكة الأم بتقديم ضمانات تؤكد نواياها الحسنة ازاء طيبة مستقبلا ولم تجد الأم وسيلة خيرا من استدعاء ابنها فيليب من عند القبائل اللنكستية ليحمله معه ييلوييداس رهينة لديه في طيبة وبقي فيليب ثلاث سنوات في طيبة يتدرب هناك على أشهر وأحدث فنون القتال في أكاديميتها العسكرية التي أنشأها الجنرال العظيم ييلوييداس وحقق بها السيادة والتفوق على سائر دويلات المدن الاغريقية بما في ذلك اسبرطة صاحبة الأسطورة التي لا تهر .

وفي عام ٣٦٥ ق م ، وربما بتحريض من طيبة ، قام الملك برديكاس بالتخلص من بطليموس العشيق وطرد أمه الملكة الخائنة ، وسارع أهل طيبة بارسال فيليب بعد أن تدرب على خير فنون القتال وأحدثها الى مقدونيا ليساعد أخاه في حركته والانتقام من قتلة أبيهما وأخيهما . وتمكن برديكاس الثالث من إعادة السلام الى مقدونيا وإزالة عوامل القلاقل والفتن . وفي ظلال السلام عادت مقدونيا الى سياستها القديمة وهي استقطاب رجال الفكر والمعرفة من كافة الولايات الاغريقية لينشروا الثقافة وطريقة الحياة الاغريقية في اتحاد البلاد .

ولكن يبدو أن هذا الاستقرار لم يدم طويلا ، اذ ظهرت الملكة المطرودة مرة ثانية عام ٣٥٩ ق م . بعد أن حرزت القبائل اللنكستية على ابنها الملك برديكاس الثالث . وسقط هذا الملك صريعا أثناء إحدى

الاشتباكات مع القبائل المتمردة ، تاركاً ابناً رضيعاً هو أموتاس الثالث وسارع فيليب شقيق الملك القليل فأعلن نفسه وصياً على ابن أخيه الرضيع .

٦ - فيليب الثاني ملكاً :

ما أن أعلن موت برديكاس الثالث وانتقال الحكم الى ابنه الرضيع أموتاس الثالث تحت وصاية عمه فيليب الثاني حتى بدأت القلاقل تعود مرة أخرى حول العرش المقدوني ، إذ عاود باوسانياس مطالبة بعرش البلاد مهدداً بإثارة الشعب والفتنة ، ومن ناحية أخرى ، طالب ثلاثة من أشقاء الملك القليل (وأشقاء فيليب أيضاً) من أم أخرى بأحقيتهم في وراثة العرش وإزاء هذا الانقسام طالب فريق من المقدونيين من فيليب الثاني أن يعلن نفسه ملكاً على مقدونيا وليس وصياً على العرش ويضع حداً لهذه القلاقل ، ولم يتردد فيليب في ذلك . فأعلن نفسه ملكاً على مقدونيا . وسرعان ما راح يتخلص من المطالبين بالعرش واحد تلو الآخر ويعيد الرسوخ والاستقرار لعرشه ، لكي يتفرغ للدور الكبير الذي قام به على مسرح الأحداث السياسية .

مقدونيا تحت زعامة فيليب الثاني :

كان فيليب في الثالثة والعشرين من عمره ، عندما وجد نفسه ملكاً على مقدونيا بمشاكلها المعقدة ، وكما سبق أن ذكرنا أنه كان قد قضى ثلاث سنوات يتدرب على أعنف وسائل الحرب في أكاديمية طيبة ، حيث التقى وتعلم عن قرب من أعظم شخصيتين في تاريخ طيبة بل والعالم الاغريقي ألا وهما ابامينونداس ، ويليبيداس وحيث قضى الفترة ما بين الخامسة عشرة الى السابعة عشرة من عمره (من ٣٦٧ - ٣٦٥ ق م) يتعلم تحت إشراف ابامينونداس شخصياً والذي غرس فيه الروح الاغريقية وصاغ منه فتى مثقفاً متحضراً . وكان هدف زعيم طيبة الأول من ذلك هو أن يخلق من فيليب الثاني صديقاً لطيبية وموالياً لها ثم يبحث به ملكاً على مقدونيا وبذلك يحقق انتصاراً صامتاً بشمن زهيد ولكننا لا نستطيع أن نعجز عما اذا كانت طيبة قد نجحت في الاستيلاء على تفكير فيليب

ووجدانه ، لأن مواطن أمراء البيت المالک المقدونى كانت تتجه عادة الى أثينا كعبة الفكر والفلسفة والفن ، كما أن تاريخ أثينا الطويل وتراثها العريق جعلها تبدو بحق - كما قال زعيمها يوما ما - جامعة هيللاس . ولم تستطع طيبة بأى حال من الأحوال أن تعجب عن أثينا شمساها المشرقة ، لأن طيبة ذاتها كانت جديدة على السيادة الهلينية . ووسيلة سيادتها لم يكن الفكر بل القوة المنظمة نعم لقد أخرجت طيبة عبقريات ساهمت فى التراث الحضارى الاغريقى ، مثل الشاعر الغنائى العظيم بندار ولكن ذلك يبدو نادرا لأن شعب طيبة كان شعبا عمليا فى المقام الأول يهتم حبا بالتجارة والتعامل المادى كما كانوا ذوى خيال محدود ويتسبون بالحرص الشديد والأناية المطلقة وتضادى المقامرة بأى وسيلة ، وقد دفعتهم أنانيتهم الى التعاون مع الفرس ضد الاغريق . كما تعكس أساطيرهم القسوة والعنف والتلذذ « السادى » فى التمثيل ، فأوديب مثلا يقتل أباه لايوس Laios ويتزوج من أمه يوكاستى (Jocasta) دون أن يدري ، ولما اكتشف الاثم الذى ارتكبه فقا عينيه بأصبعه تكفيرا عن هذا الاثم . انها مأساة شاذة لاتصدر الا عن خيال معتل وعقيم . ومن أساطير طيبة السقيفة البربرية أسطورة أبى الهول أكل لحوم البشر . ومأساة الراعى أكتايون Actaeon الذى أغضب ربه الصيد أرتيمس وهى تستحم فى بركة مياه وسط الأدغال فأوحت الى كلابه أن تمزقه أربا . كما روى لنا بلوتارخوس نفسه أن أهل طيبة كانوا يمارسون تقديم القرابين البشرية .

كان فيليب فتى وسيما ، مهذبا ، خفيف الظل ، لبقا محبا للرياضة وعاشقا للثقافة وطريقة الحياة الأثينية ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يستطع أن يتخلص من الجفوة وخشونة الطباع والألفة وغيرها من صفات البداوة التى آلت اليه من القبائل المقدونية الجبلية . ولهذا فقد كان سلوكه (٣٠ - الاغريق)

متأرجحا بين رقة الحضارة والتهذيب وغلاظة الطباع القبلية وجفوتها •
كان فيليب طموحا ، يجيد فن الدبلوماسية لدرجة أن الاغريق اتهموه بأنه
رجل لا يمكن أن يثق المرء فيه ، كما كان قائدا عسكريا حقيقيا يدير
ويسيطر بمهارة على الممالك • ولكنه كان يؤمن بأن القتال ليس غاية في
حد ذاته ولكنه وسيلة لتحقيق النفوذ السياسي •

كان فيليب شديد الولع بالعمل ينكب عليه ولا يسأمه ، وفي أوقات
فراغه يق نفسه في المتعة والشراب لدرجة أن الخطيب الاثيني ديموستينيس
Demosthenes شبهه « بقطعة من الاسفنج » عند الشراب (١) • كما
كان متطرفا مسرفا لا يعرف الاعتدال (٢) متهورا في القتال لا يهاب الموت
أبدا بل يعيش المخاطر مما أدهش أعداءه فقال ديموستينيس عنه « يا له
من رجل ! من أجل النفوذ والسيطرة فقتل عينه وكسر كتفه وثملت ذراعه
وساقه (٣) » • ومن صفات فيليب أيضا أنه كان حاد الطباع ، سريع
الغضب ، غيفا إذا انفعل ولهذا كان مرهوب الجانب • كما كان مولعا
بمطاردة النساء الجميلات ، دائم التزاوج بهن (٤) •

فيليب يحقق لمقونيا السطوة والسيادة العسكرية :

كان فيليب جنديا وقائدا بمعنى الكلمة ، فقد كان حازما ، صبوراً
جلدا مقداما ، يتقدم الجيوش فاكرا لذاته عند القتال ، كما كان مدرباً
رائعا تمكن من تدريب رجاله بعنف فخلق منهم نواة الجيش المقدوني
الذي لا يقهر ، والذي لا يعرف سوى الخضونة والبساطة كما ضرب
فيليب لجنوده المثل الأعلى في سلوكه المتواضع ، فكان يحيا حياتهم
ويشاركهم أفراحهم وأغانيهم ورقصاتهم ، ولا يغضب من مصارحة جنوده

Plutarchus, Demosthenes, XVI.

Athenaeus, IV, 62.

Demosthenes, On the Crown, 67.

Athenaeus, XIII, 5.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

البدو التي لا تعرف التملق (١) • ولكنه كان قاسيا عند العقاب اذ كان ينفذه على مشهد من الجنود بلا رحمة أو شفقة (٢) •

بدأ فيليب تنظيم قوته العسكرية بأن جمع حوله أشرف القبائل المقدونية الذين تأغرقوا وسماهم « بالرفاق » (hetairoi) • وقد جعل فيليب من هؤلاء الرفاق نواة قوة الفرسان في الجيش المقدوني التي أصبحت تلعب دورا حيويا « في التكتيك » العسكري الجديد • وقد بدأت هذه القوة بعدد محدود هو ستائة فرد (٣) • ويقاثلون جماعة وبضربون المثل في التعاون والتنافس مع باقى فرق الجيش عند القتال • أما مشاة الجيش المقدوني • فكانوا من عامة الرعاة والفلاحين المقدونيين حيث استغل فيليب طباعهم الشرسة وغرائزهم العدوانية لجعل منهم أعظم جنود عرفهم التاريخ •

كان تشكيل الجيش المقدوني يقوم على « الفيلق » Phalanx الذى جملة وحدة التنظيم • والفيلق هو جمع كثيف من المشاة يتكون من ما بين عشرة الى ستة عشرة صفا من الجنود • وكان جنود الفيلق مجهزين بانحراب الطويلة والسيوف القصيرة والدروع الكبيرة ويضعون فوق رؤوسهم خوذة نحاسية ويغطون قصبة أرجلهم بالجلد السيك (greaves) ومن الملاحظ أن الفيلق المقدوني كان على غرار الفيلق الطيبى ، باستثناء أن

Polybius, V, 27.

(١)

Arrian III, 26.

(٢)

(3) Diodorus, XVI, 4.

(٣)

ويقترح داسكالاكيس أن هذا النظام كان موجودا بين الإغريق في المصور القديمة حيث ذكر هوميروس رفاق الملك من كان يوزع عليهم الاقطاعيات والهدايا بل أن رفاق أخيليس بطل الإغريق الذين أصطحبوه الى طروادة لقبوا بهذا الاسم ، كما أعطى هوميروس نفس اللقب لرفاق اوديسيوس الذين ضلوا في البحر معه وبأنهيار سلطة الملك اخفى هذا النظام من بلاد اليونان وبقي في مقدونيا • وبعد تحضر مقدونيا تغير المعنى ليأخذ معنا طبقة يميز طبقة الاقطاعيين المرافقين للملك والذي يحاربون معه ويكونون مجلس أركان حربه •

هذا الأخير كان يتكون من خمسة وعشرين صفا . كذلك قلد فيليب النظام العسكري الطيبى عندما جعل فى مؤخرة فيلقه فصيلة من الرماة بالنبال لحمايتها .

كذلك قسم فرقة الفرسان الى ميمنة وميسرة تحف بفيالق المشاة لتحميها من كل جانب . وقد استخدم فيليب كل خبرته التى تعلمها أثناء اقامته فى طيبة ليخلق جيشا مقدونيا يزيد على عشرة آلاف مقاتل محترف ، يتحرقون شوقا للقتال ويتسابقون على الموت - فداءا للوطن وللملك . كان من الطبيعى أن يعتمد فيليب فى البداية على الجنود المرتزقة من الاغريق (١) ولكنه استغنى عن خدماتهم تدريجيا لكى يفسح المجال أمام القبائل المقدونية لكى تطوع فى الجيش من أجل جعل الجيش مقدونيا وطنيا خالصا . خاصة عندما يحين الوقت لكى يتعامل مع الاغريق فى الجنوب . كان مفهوم فيليب للجيش هو الزعامة الشعبية والقيادة العسكرية فى نفس الوقت . فالشعب هو الجيش والقيادة هى الحكومة . وكان أول فرصة أتاحت للجيش المقدونى الجديد لكى يجرب نفسه ونظامه ، عندما اندلعت الفتنة بين قبائل اقليم لنكستيس . وهبطت القوات المقدونية لتسحق المتمردين سحقا ، دون هوانة وبسرعة خاطفة . وهكذا أصبحت مقدونيا فى عهد فيليب الثانى ورثة لأسبرطة وطينة فى تحقيق أكبر قوة ضاربة عرفها الاغريق .

فيليب ومناجم الذهب :

كانت الخطوة الثانية لفيليب هو توفير المال الكافى لتدعيم القوة العسكرية . ومن ثم بدأ فى استغلال مناجم الذهب فى جبال بنجايوس Pangaïos على الحدود بين تراكيا ومقدونيا . وكانت مدينة أمفيبوليس تقع بالقرب من هذه المناجم . وهى مستوطنة آثينية وكانت أمفيبوليس Amphipolis تستغل مناجم الذهب وتصدره عن طريق مينائها . فاستغل فيليب تورط أثينا فى مشاكل سياسية مع حلفائها واستولى على أمفيبوليس بالقوة معلنا أن احتلاله لهذه المدينة أمرا ضروريا وليس عملا مقصودا به

الدخول في صراع مع أثينا • وبعد ذلك بنى فيليب مدينة جديدة محصنة سماها فيليبيا Philippia (١) • وجعلها مركز انتساج الذهب • ومن الثروة الجديدة سك فيليب عملة مقدونية ذهبية أخذت طريقها كوسيلة لاغراء السياسيين وشراء ضمائرهم • وجعل هذا الذهب مقدونيا أغنى ولاية في بلاد الاغريق •

زواج فيليب وانجابه الاسكندر :

يروى المؤرخون أن فيليب عندما كان في الرابعة والعشرين من عمره ، سافر الى جزيرة ساموثراكي القريبة من شواطئ تراكي للمشاركة في احتفالات دينية أقيمت عام ٣٥٨ ق م احتفاء بشياطين البراكين (Cabiri) والذين نسبت الأساطير الاغريقية أبوتهم الى هيفايستوس رب النار والحداة • وكانت لهؤلاء المردة عبادة ذات طقوس سرية تتسم بالغف والجنون والسحر حيث تطلق فيها زمام العواطف والشهوات المساجنة وتصادف أن التقى فيليب هناك بأميرة مملكة ابيروس Epirus التي تقع في شمال غرب اليونان (جنوب البانيا حاليا) وكانت هذه الأميرة قد جاءت أيضا للمشاركة في تلك الشعائر السحرية وشاء القدر لفيليب أن يطلب الزواج منها وأن يتم له ذلك •

كانت أولمبياس Olympias شأنها شأن غيرها من نساء قومها وعصرها من مريدات الشعائر الصاخبة المجنونة ، والمالجة ، اذ كانت تشترك في الرقصات العنيفة وهي تلف حول جسدها حية كبيرة أملا في انسامي عن المادية والارتقاء الى عالم الروح الا محدود وجعل الجسم لاثقا لوظيفته الأساسية وهي أن يكون محرابا طاهرا للروح ، وكان ذلك في الحقيقة هو المفهوم الصوفي عند الوثنيين • ويحدثنا بلوتارخوس في اسهاب عن طبيعة هذه المرأة الجامحة وغيرتها القاتلة واتقائها بالشع

(١) شهدت هذه المدينة وبالتحديد في السهل الذي يفصل بينها وبين مدينة امفيبوليس - اعظم معارك التاريخ الروماني ، عندما هزم انطونيوس واكتافبوس قتله يوليوس قيصر وعلى رأسهم بروتوس وكاسيوس عام ٤٣ ق م •

وألفتها الشديدة وإيمانها المطلق بالشعوذة ، وخاصة بالعرافة المقيمة في معبد زيوس في دودونا حيث مركز عبادته . كما كانت تذهب الى سرورها محتضنة الثعبان الضخم أملا في الالتقاء والتزواج بزيوس في شكل الثعبان . على أى حال جذبت هذه الصفات البربرية فيليب وجعل منها زوجة له وملكة على مقدونيا .

ولم يفض وقت طويل حتى حملت أولمبياس : وزادت هواجسها الدينية حتى فاقت كل تصور ، مدعية أن « زيوس - آمون » أنزل عليها صاعقة أسطعت النيران في كل جسدها ، ومن ثم راح الكهنة والمنجمون يجتهدون في تفسير هذا الحلم ويتنبأون بقدسية المولود القادم وشجاعته . وكما تفهم من نصوص بلوتارخوس ضاق فيليب ذرعا بسلوك زوجته وادعائها أن زيوس - آمون هو الوالد الحقيقي للجنين الذي يقبع في أحشائها .

وفي شهر سبتمبر عام ٣٥٦ ق.م بينما كان فيليب منصرفا لخدمة قواته بل ويقيم مع جيشه في الشكنات ، جاءه البشير أنه قد وهب ذكرا ، وفي نفس الوقت جاءته الأنباء أن قائده بارمينيون (Parmenion) قد كسب نصرا ساحقا على الإليريين فاعتبر فيليب ذلك طالع السعد للمولود الجديد الذي سماء الاسكندر (الكسندروس) (Alexandros) تيمنا بأجداده ممن حملوا ذلك الاسم ، كذلك جاءته الأنباء أن مستوطنة بوتيدايا Potidaea الواقعة عند عنق الشعبة الغربية المسماة باليني Pallene ثالث شعب منطقة خالكيديكى Chalcidice الاغريقية قد استسلمت لقوات فيليب ، وأن حصان فيليب الشهير قد فاز في المباريات الأولمبية في ذلك العام . ويقول بلوتارخوس أن الأنباء قد جاءت أيضا من أيونيا بأن حريقا قد شب في معبد الربة ديمتر الشهير في مدينة افسوس وكان أحد عجائب الدنيا السبع . وأن النيران قد آتت على المعبد تماما وأن ذلك الحريق قد شب في نفس اللحظة التي ولد فيها الاسكندر . وسارع الكهنة الى ايجاد تفسير لهذه الظاهرة بأن ذلك ليس الا نذيرا لأمباطوريات الشرق بأن شعلة من نار مقدسة قد خرجت الى الحياة ،

وأنها سوف تأتي في يوم من الأيام على الشرق كله . وعلى أى حال فإن مثل هذه الأقاصيص التى سجلها بلوتارخوس ليست الا تفسيرات جانبية جمعت ونسبت لمولد الاسكندر بقصد تبيان قداسته وقدره مستقبلا .

الصراع بين فيليب والاغريق :

يرجع أصول الصراع بين فيليب والاغريق عندما أيدت أثينا أحد المطالبين بعرش مقدونيا وابنته أرجايوس ضد الملك فيليب ، ولجأ أرجايوس الى أثينا تَحِيثَ وحد سياسيها بالتنازل لهم عن مدينة أمفيبوليس إذا ما ساعدوه فى العودة الى عرش مقدونيا . ووجد الاثينيون أن فى ذلك فرصة ذهبية لنشر سلطاتهم وتشديد قبضتهم على منطقة تساليا وإقليم الخرسوتيس . فإرسلوا أرجايوس بصحبة قوة بحرية الى مدينة ميثوني (Methone) ولكن فيليب تصرف بدهاء ، اذ أمر بسحب كل المقدونيين من هذه المستوطنة ثم قبض على أرجايوس وأرسله مع باقى المرتزقة الى أثينا ، محتجا على تدخل أثينا فى شئون مقدونيا الداخلية .

كانت بداية المواجهة عام ٣٥٧ ق.م عندما أعلن فيليب الحرب على مبيتونة أمفيبوليس واستولى عليها بعد قتال عنيف ، وقد ساعده على ذلك تعاطف سكان المستوطنة مع مقدونيا . ولما طالب أرجايوس أثينا بالتدخل لم تستجب . وقد قيل أن أثينا عرضت عن هذا الطلب لوجود اتفاق مبرم بينها وبين فيليب بأن يسلمهم أمفيبوليس مقابل أن يسلموه مدينة بودنا . ولكن فيليب بعد استيلائه على أمفيبوليس Amphipolis احتفظ بها لنفسه ولم تستطع أثينا أن تفعل شيئا بسبب تورطها فى الصراع ضد حلفائها عندما بدأ الانهيار يحيق بامبراطوريتها الثانية .

بدأ فيليب يسلك سلوكا عدوانيا ضد المستوطنات الاغريقية على ساحل تراكيا ، وركز بالذات على مدينة أولينثوس Olynthus ، التى طلبت النجدة من أثينا بل وأعلنت التحالف معها . ولكن ذلك لم يأت

بفائدة . اذ تمكن فيليب عام ٣٥٦ ق.م (١) عن طريق التعاون مع أنصاره من الاستيلاء على مدينة يودنا Pydna ، ثم عقد معاهدة مؤقتة مع أولينثوس Olynthus لكي يتمكن من الهجوم على مدينة بوتيديا . ويستولي عليها . وعلى أثر ذلك أرسل القوات الأثينية التي أسرها الى بلدها وسلم بوتيديا الى أولينثوس ثمنا للسلام معها .

وحاولت أثينا الرد على ذلك بالتحالف مع بعض زعماء القبائل الثائرة على فيليب في تراكيا وبانونيا والليريا ، ولكن بارمانيون تمكن من سحق المتآمرين بسرعة وهكذا وجد الأثينيون أنفسهم في حرب مع مقدونيا ، ففي عام ٣٥٥ ق.م عادت أثينا الى مضايقة مقدونيا باحياء تحالف قديم مع مدينة نيبوليس بقصد إثارة القلاقل ضد فيليب .

وبعد الاستيلاء على أمفيبوليس ، بدأ فيليب في استغلال مناجم الذهب وكما سبق أن أشرنا أنشأ مستوطنة مقدونية سماها فيليبيا جعل منها مركزا لصناعة الذهب واستغلال مناجمه ، وبفضل ذلك وضع فيليب يده على ثروة طائلة راحت تدر على مقدونيا دخلا سنويا يزيد على الألف تالنت . ومن ثم بدأ فيليب في سك عملات ذهبية تحمل صورته . كما وضع وحدة ثابتة للتعامل على أساس الأستاتير الذهبي (Stater) ، وكان الأستاتير المقدوني يقل في وزنه قليلا عن « الداريك » (Darik) الفارسي وبهذا أخذ نظام التعامل المقدوني الجديد في الانتشار وحل محل نظام التعامل النقدي الفارسي .

وكان الأستاتير المقدوني يعادل ست قطع فضية من العملة الأثينية من فئة التترادرخمات والتي كانت تسك على أساس التعامل النقدي الفينيقي (١) .

(١) من تاريخ التدخل المقدوني في تساليا انظر المقال الطريف والذي

يرجع اوله الى عام ٢٥٨ ق.م

G.T. Griffith, " Philip of Macedon early interventions in Thessaly, Classical Quarterly, XL, 1970, P. 67 ff. L = R.H. GGLXVI, 1971, pp. 126).

C.A.H., pl. II - 6.

(٢)

في ذلك الوقت كانت الامبراطورية الاثينية تعاني تفككا وانهارا بسبب ثورات حلفائها عليها وبسبب تدخل الملك الفارسي ارتاكسيركسيس الثالث والمعروف باسم الملك أوخوس (Ochus) الى جانب تدخل ملك كاريّا الآسيوى الشهير ، ماوصلولوس Mausolos مستخدما ثراهه في رشوة حلفاء أثينا للاستيلاء على بعض مستلكات امبراطوريتها في آسيا الصغرى وبعض الجزر خاصة رودوس .

وكما سبق أن تعرضنا لهذا ، ظهرت دعوة سلام في أثينا . من جانب بعض سياسيتها الذين طالبوا بالبعد عن الصراعات والسياسة العدوانية بسبب الضعف الإقتصادي . وتطبيقا لهذه الدعوة الجديدة رفضت أثينا الاستجابة الى طلب المساعدة الذى تقدم به الديموقراطيون في رودوس من أجل اسقاط حكم الأوليجارخين والعميل لأرملة ماوصلولوس القادة والتي كانت تعرف باسم أرتميسيا . Artemisia بالرغم من تحذيرات ديموستينيس في خطبته الأولى .

فوكيس تسبب أزمة تؤدي الى حرب مقدسة :

وفي نفس العام الذى ولد فيه الاسكندر الأكبر ، حدثت أزمة كبرى سببها دويلة فوكيس (Phocis) تلك الدويلة الواقعة في جنوب تساليا حيث يحدها من الشرق دويلة طيبة ومن الغرب مدينة دلفى مقر المجمع المقدس .

بالرغم من الطابع الفوضوى الذى ساد العلاقات بين الدويلات الاغريقية ردحا من الزمن حيث انتهكت خلالها الشرعية والقانون ، الا أن مؤسسة واحدة بقيت بعيدة عن هذه الصراعات والفوضى الا وهو المجمع الأمفكتيونى المقدس .

يرجع نشأة هذا المجمع الى فجر التاريخ الاغريقى عندما أخذت مؤسسات وتحالفات على مستوى يفوق تنظيم دويلات المدن تبدأ في الظهور ، وكانت هذه التحالفات يجمعها عادة ديانة معينة . وكان أكبر هذه التجمعات الدينية اتساعا الحلف الأمفكتيونى وذلك لأن أعضاءه

المؤسسين كانوا اثنتا عشرة قبيلة قومية هيلينية وليس مدنا محدودة سياسيا .
وكان مكان التجمع الأساسى هو حول معبد الربة ديمتر Demeter
في مدينة أثيلا Anthela بالقرب من مر الترموبيلاي Thermopylae
ثم أصبح يعقد مرة في دلفى ومرة في أثيلا أى مرتين كل عام .

وبمرور الوقت أصبح المجمع الأمفكتيونى المقدس هو الهيئة الوحيدة
والمشرفة على معبد الاله أبوللون . وقد سبق الحديث (١) عن أهمية دلفى
الدينية والقومية وكيف أنها كانت مصدرا للحصول على رأى الاله في
مساكل الاغريق الشخصية والسياسية . وبسبب الصراع الناشئ بين
الدويلات الاغريقية وجد هذا المجمع نفسه في موقف حرج بالرغم من أنه
لم يكن يعترف بالتقسيم السياسى للاغريق في شكل دويلات مدن ، بل
كان يعترف بتقسيم القبائل الأصلية التى اخضعت منها الاغريق . اذ قسم
الاغريق الى اثني عشر قبيلة ، وجعل لكل قبيلة ممثلين في المجلس ، ولكل
مثل صوت مستقل عند التصويت .

وكان الاثينيون مثلا يدرجون تحت اسم القبيلة الأيونية وأسبرطة
تحت اسم القبيلة الدورية ، وبالرغم من هذا فقد كانت الدولة هي التى
تحرك أصوات القبيلة في المجلس وليس العكس خاصة فيما يتعلق بأثينا
وأسبرطة ، أما طيبة فقد لعبت دورها أيضا عندما كانت في موضع القيادة
اذ حرصت على تجنيد أصوات قبائل وسط اليونان وثناليا لصالحها ومن
ثم فقد مارست تأثيرا قويا على سير العمل في المجمع الأمفكتيونى (٢) .
بدأت الأزمة عام ٣٥٧ ق م عندما أصدر المجمع الأمفكتيونى قرارا
يدين عددا من أثرياء دويلة فوكيس ويفرض عليهم غرامة كبيرة لتعديدهم
على الأرض المقدسة والموقوفة لصالح معبد الاله أبوللون (٣) . ولم يكن
ذلك شيئا جديدا اذ سبق للمجمع أن أصدر قرارا مماثلا ضد الأسبرطيين

(١) انظر ص ١١١ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٤٣٨ وما بعدها .

(٣)

بعد هزيمتهم في معركة ليوكترا عقابا لهم على احتلالهم قلعة كاداميا في طيبة • وامتلأ الأسبرطيون للقرار • ولكن أهل فوكيس عاندوا ورفضوا • ولما كانت طيبة تلعب دور الحامية للمجمع المقدس فضلا عن تحفها لضرب أهل فوكيس بسبب السلاخهم عنها بعد تدهور أمبراطوريتها عام ٣٦١ ق م فقد استغلت هذه الأزمة لضرب فوكيس مستعينة بقبائل تساليا المعادية لفوكيس ولكن طيبة قد فشلت بسبب ظهور عدد من الطفأة العسكريين الأقوياء في فوكيس والذين كرسوا كل طاقتهم الى تدعيم القوة العسكرية لفوكيس مما سبب تخلخلا في الميزان السياسى والعسكرى في بلاد اليونان •

عندما أعلن المجمع الأمفكتونى الحرب على فوكيس وسارت قوات طيبة على الفور الى المدينة المتمردة والتي رفض قائدها فيلوميلوس الانصياع الى قرار المجمع المقدس عام ٣٥٦ ق م بل سارع وطلب النجدة من أسبرطة المعادية لطيبة وتمكن فيلوميلوس بمساعدة القوات المرتزقة بالاضافة الى جيش فوكيس الصغير والذي كان يتكون من ألف من انجنود المسلحين بالأسلحة الخفيفة (polastes) من الاستيلاء على دلفى والحرم المقدس • ولما حاول مواطنو مدينة أمفيسا تحرير معبد أبوللون من قوات فوكيس سحقهم فيلوميلوس بلا رحمة •

ولكى يحافظ فيلوميلوس على بطشه العسكرى اضطر الى فرض ضرائب باهظة على كهنة وسكان دلفى • وفي العام التالى أرسل فيلوميلوس رسالة الى كل دويلات اليونان ، يعرض فيها حق فوكيس في ادارة المدينة المقدسة معتمدا على نص جاء في سفر السفن في الياذة هوميروس يصف أهل فوكيس بأنهم «سادة دلفى» • وكان نداء فيلوميلوس مؤثرا لدرجة جعلت كل من أثينا وأسبرطة تعلنان تأييدهما لحق فوكيس في ادارة دلفى • ولكنهما أحجمتا عن ارسال أى قوات عسكرية أما اقليم أخيا (Achaia) فقد أرسل قوات عسكرية للدفاع عن حق فوكيس وقد عبرت هذه القوات خليج كورنثا عام ٣٥٤ ق م •

وفي العام التالي سارعت قوات فوكيس بمهاجمة مقاطعة لوكريس Locris العليا بفرض فتح ثغرة تفصل بين طيبة وبين حلفائها في تساليا • ودارت عدة معارك انتهت بسحق قوات فوكيس وقتل فيلوميلون • ولم ينته الأمر عند هذا الحد • إذ تولى قيادة جيش فوكيس المندحر شقيق فيلوميلون وكان اسمه أونومارخوس Onomarchus • والذي جمع فلول الجيش المندحر ليعاود القتال • وكان أونومارخوس خطيباً مفوهاً شديد التأثير في مستمعيه • وبدأ إحياء جيش فوكيس بالاستيلاء على كتور • رقي وصهرها وسكها عملات ذهبية وصهر الأدوات والتماثيل البرونزية لكي تصنع منها أسلحة • وعن طريق ثروة دلفي المصادرة أمكنه من تجنيد عدد كبير من المرتزقة • ثم هاجم شرق لوكريس وغرب بيوتيا واستولى على مدينة أورخومينوس • ثم استطاع عن طريق الهدايا أن يشتري تأييد لوكوفرون طاغية مدينة فيزاي ليقف إلى جانبه • ولكن هذا الأخير فصح في أن يوزط أونومارخوس في مشاكله لأنه كان يطمع في إخضاع كل مدن تساليا وجعلها تحت رئاسته وإقامة نفسه رئيساً (Tagos) عليها • ولما اعترضت مدينة لاريسا Larissa التي كانت تقع بين مقدونيا ومدينة فيزاي على ذلك حاول اقتحامها ولم تجد المدينة الشجاعة خياراً في طلب النجدة من فيليب المقدوني للتدخل لحمايتها من لوكوفرون وأونومارخوس طاغيتا فيزاي وفوكيس • وأيدت تساليا طلب لاريسا Larissa وأرتمت في أحضان فيليب المقدوني الذي وجد في ذلك فرصة قيمة للتدخل وإظهار نفسه كبطل تقي وخادم للمجمع المقدس في دلفي وجعل مقدونيا تلعب دور القوة الجديدة على مسرح الأحداث في بلاد اليونان • وسارع أونومارخوس لنجدة حليفه لوكوفرون طاغية فيزاي ولدهشة التاريخ ألحق أونومارخوس طاغية فوكيس الهزيمة بقوات فيليب الثاني مرتين متتاليتين في عام ٣٥٣ ق م واستولى على عدة مناطق من بيوتيا • واضطر فيليب إلى الانسحاب بسرعة نحو الشمال • واعتبر هذه الهزيمة تجربة مفيدة في أول التحام عسكري له مع الإغريق •

ولكن سرعان ما عاد فيليب كالثور الهائج على رأس قوات كبيرة وبمساعدة تساليا كلها بعد أن أقنع جنوده بأنهم يخوضون حرباً مقدسة من أجل الآله أبوللون وانتقاماً لشرفه الذي أهانه أهل فوكيس وحلفائهم ودارت معركة فاصلة وذلك عند خليج بيغاساي Pegasae سحق فيها فيليب أونومارخوس وقواته وأراد فيليب أن ينزل عقاباً بشعاً لمن يخالف المجمع الأمفكتيوني مستقبلاً إذا أمر باغراق ثلاثة آلاف جندي من الأعداء في البحر والأتیان بجثة أونومارخوس الذي كان قد مات غريقاً في الخليج وصلبها جزءاً وفاقاً .

أما لوكوفرون طاغية فيراى فقد ولى الأدبار عائداً الى بلاد اليونان الوسطى ولم يعد الى مدينته لأن قوات فيليب استولت عليها وعلى مينائها وعلى منطقة تساليا الشرقية كلها وأعلنت لاريسا قبولها لفيليب رئيساً لها وعلى كل تساليا . وهكذا وجد فيليب فرصة نادرة لفرض سلطانه على تساليا وكسب هوذ واحترام كهنة دلفى .

ولما أراد فيليب أن يحول نصره الى أسهم سياسية في بلاد اليونان وذلك عندما أراد أن يعبر مر الترموبيلاي جنوباً ليدخل دلفى في احتفال كبير حيث يستقبل استقبال الفاتحين . سارعت أثينا بإرسال قوات لاحتلال مر الترموبيلاي إشارة الى اعلانها أن فيليب ضيف غير مرغوب فيه حتى ولو جاء متخفياً تحت ستار حماية العقيدة ، ولما أدرك فيليب ذلك صرف النظر عن الذهاب الى دلفى وآثر أن يتقضى بعض الوقت في تساليا يفرض نفوذه بالدبلوماسية والذهب (١) ثم غاد أدراجه الى مقدونيا عام ٣٥٣ ق م ومن تساليا قرر فيليب تطهير المنطقة من المستوطنات الاغريقية ولم يكدهم عام حتى كان فيليب على مسافة أربعين ميلاً فقط من منطقة البسفور والدرديل وعلى مقربة من أى وقت مضى من حدود بلاد الفرس .

الاستيلاء على أولينثوس ٢

وفي عام ٣٤٩ قاد فيليب جيوشه شرقا الى منطقة خالكيدى ذات الشعب الثلاث للاستيلاء على المستوطنات الاغريقية هناك والتي كانت أولينثوس تتزعمها (١) . وكانت سلطات هذه المدينة قد أغضبت فيليب الثانى عندما آوت اليها أحد أشقائه من أيه والذين كانوا يطالبون بعرش مقدونيا عندئذ وجه فيليب انذارا الى أولينثوس بالاستسلام له فورا ولكن سلطات المدينة بتأثير وايعاز من أثينا رفضت هذا الانذار وأغلقت بواباتها وحصنت نفسها . عزمت على مقاومة فيليب وظلت تقاومه حتى عام ٣٤٧ ق م . ولكن فيليب أدرك أنه ليس بالقتال وحده يستطيع المرء الاستيلاء على كل شئ وقرر استخدام سلاح الرشوة بالذهب وبالفعل فتحت الخيانة له أبواب المدينة ليدخل بقواته ويزيل البوابات ويهدم التحصينات ، ويأمر بقتل شقيقه المطالبين بالعرش ويبيع سكان أولينثوس فى أسواق العبيد . وعند مدينة ديون على مسافة أميال قليلة من مدينة جبل الألمبوس . احتل فيليب بانتصاره الكبير فى مهرجان زيوس رب أبواب الاغريق . وجعل من احتفاله مناسبة لافهار الترف والبذخ المقدوني اذ دعى كبار الفنانين الاغريق للترفيه عن جنود مقدونيا المتأغرقين . وكان هدفه هو توجيه رسالة عاطفية الى الاغريق بأن المقدونيين أشقاء لهم فى الحضارة والعنصر .

وقد نزل نبأ سقوط أولينثوس (١) نزول الصاعقة على الاثينيين فحاولوا ارسال نجدة الى المستوطنات الاغريقية الأخرى . ولكن فيليب بعث للاثينيين رسالة يعلن فيها أنه لا يريد الدخول معهم فى حرب وأله يخفى السلام والمصلحة معهم وأن ما فعله ليس الا حقا من حقوقه فهو يطرد مستوطنين دخلاء من سواحل بلاده الجنوبية وأنه قد انتهى من ذلك وليس له مطلب آخر . ثم طالب أن يكون صديقا لأثينا لا عدوا لها .

(١) من محاولات أولينثوس المبكرة لانشاء حلف اتحادى مع خالكيدى انظر :

M. Zahndt, "Olynth und die Chalkidier. Untersuchungen zur Staatenbildung auf der chalcidischen Halbinsel in 5 und 4 Jth V. Chr., Vestigia, 14, Munich 1971.

(٢) حدث ذلك فى أثناء ثورة يوبويا على أثينا وانسحابها من الامبراطورية الاثينية .

وأدرك الإثينيون أن السيف قد سبق العزل ولم يجدوا بدا من إرسال وفد الى بيلا لبحث امكانية التصالح مع فيليب . وكان الوفد يتكون من عشرة أعضاء ويرأسهم خليب وسياسي مفوه ألا وهو ديموستينيس والذي كان أصغر أعضاء الوفد منا .

ديموستينيس (١) الخطيب المتطرف :

كان ديموستينيس يبلغ من العمر آنذاك ثمان وثلاثين عاما . وكان يتزعم الحزب الوطني المتطرف في أثينا والذي كان يتمسك بتعصب شديد بالتقاليد القديمة ويرفض التجديد . وكان هذا الحزب يعتبر ظهور مقدونيا خطرا قادحا يهدد الوجود والديموقراطية الأثينية ولكي يشمر الناس بذلك فقد ألقى ديموستينيس عددا من الخطب النارية ضد الملك فيليب . ولما كانت خطب ديموستينيس نموذجا راقيا لنقاء اللغة اليونانية بلهجاتها الاتيكية ، فقد جمعت بل وأصبحت أساسية في كتب المطالعة لطلاب الأدب اليوناني القديم . ولما كانت هذه الخطب قد بلغت ذروتها في المضراوة والتشهير السياسي بما في ذلك الافتراء والاثارة . فقد لقيت هذه المجموعة من الخطب بالفيليبات (Philippics) .

فبالرغم من روعة الانشاء ونقاء اللغة وقوة التعبير الا أن ديموستينيس كان يموذه اجادة الالقاء . فقد كان عصيبا في حركاته ، ذا صوت غير جمهوري فضلا على أنه كان يلتغ وتلغثم خاصة عندما يفعل مما يشير في المستمع نوعا من الملل والنفور . ولقد حاول ديموستينيس أن يتخلص من هذا العيب فقد قيل أنه اعتاد الذهاب الى شاطئ البحر وحيدا ، ثم يملا فمه بالحصى ويرقع عقيرته مرددا أبياتا من الشعر في مواجهة عصف الريح وهدير الأمواج وقد قيل أنه لكي يبرن نفسه على طول النفس في الالقاء اعتاد التمرن على القاء خطبته وهو يصعد تلة عاليا .

ولما لاحظ أصدقاؤه أنه يهز أحد كتفيه عند الالقاء وضع ثقلا على هذا الكتف حتى لا يحركه كثيرا ، وروى أنه لم يكن يتردد أن يحلق

(١) يؤثر البعض تسميته بـ « ديموستين » ولكني آثرت أن أتمسك بالاسم الاصلى حرليا .

نصف شعر رأسه ويترك النصف الآخر حتى يجبر نفسه على البقاء في منزله ليتم عملا يريد أن ينجزه .

كان ديموستينيس رجلا وسيما ، مهذبا ولهذا فقد كان «رجل السيدات» المفضل لأنه كان ضعيفا أمامهن ، ولقد وجه إليه أحد مساعديه نقدا مريرا بسبب ذلك اذا قال : « ماذا يفعل الواحد مع ديموستينيس ؟ ان كل ما يفكر فيه على مدى عام كامل يذهب هباء في ليلة واحدة في صحة امرأة (١) » .

وعندما مثل الوفد الأثيني أمام فيليب المقدوني طلب هذا الأخير أن يكون دور كل منهم في الحديث حسب العمر وكان هذا يعني أن دور ديموستينيس سوف يكون الأخير . ولما جاء دوره تلعثم ولم تسعف ذاكرته وتصب منه العرق وأحمر وجهه ثم اعتذر عن عدم قدرته علىلقاء خطابه . وربما بهر ديموستينيس بوقار فيليب وعظمة عرشه ، وعلى أى حال قابل فيليب ذلك اللقاء ببرود تام وطلب من ديموستينيس ألا يتعجل في اللقاء خطابه ونصحه بالاستراحة لكي يسترجع ذاكرته وانتهى اللقاء ، وعلى مأدبة تكريم الوفد الأثيني اقترح فيليب أن يقوم بين أثينا ومقدونيا تحالفا وليس سلاما فقط .

وعاد الوفد مسحورا بشخصية فيليب ونقلوا هذا الانطباع الى المجلس الشعبى (الاكليسيا) في أثينا . ولكن فجأة انبرى ديموستينيس لرفاقه وهو يقرعهم واحدا تلو الآخر متهما اياهم بالسذاجة ، لأن فيليب قد خدعهم بظهوره وأثر فيهم بسحر حديثه وقوة شخصيته .

عاد الوفد الأثيني مرة ثانية الى بيلا ، وظل ينتظر عدة شهور عودة فيليب من ميدان القتال ، وقد أتاحت هذه الفرصة لديموستينيس أن يلتقى لأول مرة بالأمير الصغير الاسكندر والذي كان في الماشرة من عمره آنذاك وأعجب بتربيته وبالقسط الوافر من الأدب والشعر الاغريقى الذى كان يتعلمه .

فيليب في دلفي :

وفي عام ٣٤٦ ق.م بعد أن هدا أثينا بالوعود ، عزم فيليب على اختراق تساليا وزيارة المدينة المقدسة ولكنه وجد أن ممر الثرمويلاي محتلا بفرقة من جنود فوكيس وبعض قوات الجنود المرتزقة ، فقرر أن يرشو هؤلاء الجنود بالذهب ويوفر على نفسه قتالهم وبالفعل تم له ذلك . وعن طريق تحالفه مع طيبة ، هاجم فيليب فوكيس واستولى على ثلاث وعشرين مدينة تابعة لها . وحول هذه المدن الى قرى بعد تفتيتها سياسيا بحيث لا تزيد كل قرية على خمسين منزلا .

وفجأة وجد فيليب نفسه يدق أبواب دلفي ويستقبل استقبال الفاتحين بالاحفاوة والتكريم كنصير للاله أبوللون وكهنته واجتمع المجمع الأمفكتيونى واتخذ قرارا بطرد فوكيس من المجلس واعطاء مكانها لمقدونيا وتكريما لفيليب فقد دعاه المجلس المقدس الى رئاسة الألعاب البيثية التي تصادف عقدها في دلفي في خريف ذلك العام وقد رجحت غالبية الوفود بذلك فيما عدا ممثلو أثينا واسبرطة .

وهكذا حقق فيليب الأفكار التي رسمها ، اذ جعل مقدونيا تحظى باعتراف الجميع بأنها لم تعد ولاية بربرية تتبع فيما وراء العالم الهليني بل جعلها اغريقية خالصة ، بل وزعية لكل هيللاس .

ايسوقراط يدعو لوحدة الاغريق ويبارك مشروعات فيليب :

وفي الوقت الذى كانت فيه زعامة فيليب تتزايد ، برز خطر جديد هدد مستقبل الاغريق جميعا ، وذلك أن الامبراطورية الفارسية نهضت من كبوتها بعد تولي عرش البلاد أمير قوى هو أرتاكسيركسيس الثالث وذلك في عام ٣٥٩ ق.م ومنذ ذلك الوقت راح أرتاكسيركسيس يعمل بطاقة وعزم لاستعادة النفوذ الفارسى في بحر ايجه . وقد قاوم اغريق هذه المنطقة وقوعهم تحت نفوذ حكم دولة شرقية بالرغم من أن الامبراطورية الفارسية كانت مؤلفة من عدد كبير من القوميات والعناصر المختلفة والتي تتحد فقط في شكل الولاء للملك الملوك والعرش الفارسى . ومن المعروف أن الفرس أنفسهم استفادوا من الحضارة الاغريقية ومن خبرات أبنائها (٢١ - الاغريق)

سواء في الفن أو المعرفة ، أو في التجارة وجغرافية البحار والمحيطات ، أو في الجيش واعداد الأساطيل . وعن طريق هؤلاء الاغريق الذين تعاونوا مع الفرس ، تسلمت الحضارة الاغريقية الى قلب آسيا الصغرى . وقد صاحب عودة نفوذ الامبراطورية الفارسية انتشار شائعة تقول أن الملك أرتاكسيركسيس يعد حملة عسكرية جديدة ضد بلاد اليونان . مثل حملة الفرس في أوائل القرن الخامس ق م .

وكان البوق الذي قاد الدعوة للوحدة الاغريقية ضد الخطر الفارسي الجديد ، هو خطيب أثينا العجوز والذي كان وقتئذ قد جاوز عامه الثمانين ، وهو ايسوقراط (Isocrates) ، كان ايسوقراط تلميذا لفيلسوف مدينة ليونتيني Leontini (في جزيرة صقلية) الشهير جورجياس Georgias . وكان هذا الأخير أول من دعا في عام ٤٠٨ ق م الى شن حرب مقدسة ضد الفرس ، الخطر الحقيقي الذي يهدد الاغريق .

كانت الرسالة التي بثها ايسوقراط الى العالم الهليني هي الوحدة الاغريقية وتكوين جبهة عسكرية دفاعية (Symmachia) من جيوش أثينا وأسبرطة وطيبة وباقي الدويلات الاغريقية والقيام بحملة غزو ضد الفرس في عقر دارهم . كما كان ايسوقراط يتابع باعجاب شديد نشاط فيليب وفتوحاته ويعتبره قوة للاغريق جميعا بل وأملهم وموحدهم ومن ثم وجدا ايسوقراط نفسه في خلاف شديد مع ديموستينيس العدو الأكبر لفيليب والمعارض لأي وحدة تقوم بزعامة مقدونيا . ولقد تشجع الخطيب العجوز وبمثر رسالة مطولة الى الملك فيليب المقدوني سماها باسمه (١) Philippus ، حثه فيها على توحيد الاغريق تحت زعامته . وأن الوحدة الاغريقية تحتاج لزعيم قوى مثله . وشرح ايسوقراط في رسالته للملك فيليب كيف أن تزايد فئة الجنود المرتزقة هو الذي يدفع الى تزايد الحروب لأن هذه الفئة تجد في الحرب والقتال مرتزقا واقترح ايسوقراط على فيليب حلا وعلاجاً لمشكلة هؤلاء الجنود وهو التخطيط لحملة عسكرية كبرى ضد آسيا

(١) وذلك في عام ٣٤٦ ق م .

الصغرى تمتص كل الجنود المرتزقة وتفتح مجالا وافاقا جديدة للاغريق وتمتلى بلادهم السيطرة على مناطق النفوذ التجارى فى العالم .

بيد أن الملك فيليب كان رجلا واقعيا لأنه كان يعرف منذ البداية ، أن الاغريق لن ينسوا خلافاتهم الا اذا أجبروا على ذلك بالقوة وبعد السيف ، أو برشوة زعمائهم ببريق الذهب وخداع شعوبهم بالوعود الجوفاء مثل تحقيق المساواة بينهم ونشر السلام فى ربوع البلاد . كما كان فيليب يدرك جيدا أنه لا يستطيع التورط فى حملة كبرى ضد الفرس وهو يعتمد على الاغريق وحدهم ، لأنه يبدو قد قرأ وسمع عن الحملة الفارسية ضد بلاد اليونان فى القرن الخامس ق . م حيث ظهر الاغريق متفرقين أمام الخطر الشرقى ، بل وخان بعضهم البعض بسبب الأحقاد والخلافات .

ولكن دعوة ايسوقراط لاقت فى قس فيليب ارتياحا ، واعتبرها « ضغطا مستحجا » لأنه بدأ فى قرارة نفسه يفكر فى احياء أنصار الوحدة الاغريقية لكى يجعل من نفسه بطلهم والقائد الأعلى لقوات الاغريق المتحدة تماما مثلما كان أجاسمنون فى الياذه هوميروس وقرر أن يخضع لسلطاته دويلات الاغريق واحدة تلو الأخرى .

سياسة فيليب تجاه الدويلات الاغريقية بعد سقوط أولينثوس : عاد فيليب بعد أن ترأس الألعاب البشية الى مقدونيا بعد أن ترك حاميات مقدونية فى فوكيس ، وممر ثرموبيلاي وفى عدد من أجزاء تساليا ولأول مرة جرب فيليب سلاح رشوة الزعماء وذلك فى يوبويا التى استولى عليها فى هدوء وتحت ظلال السلام . واستطاع أن يخرس ديموشثينيس ويطلق مفعول خطبه بحركة ذكية وهو العفو عن كل الأسرى الأثينيين الذين تم أسرهم فى أولينثوس . ثم بعث فيليب بمبعثه لشراء ذوى النفوذ فى أسبرطة وباقى أجزاء اليلوبونيسوس .

سلام فيلوكراتيس : Peace of Philokrates

شهدت الفترة الزمنية التى تلت الاستيلاء على أوليثوس أروع ساعات فيليب . وظهر لتناقض المصادر التاريخية لهذه الفترة ، فإن الموقف قد يبدو متضاربا بعد الشئ . فمثلا ديودوروس الصقلى أحد

مصادرها الأساسية لهذه الفترة يروى لنا الحوادث في تخطيط غير معهود منه كما أن تقواه وتعصبه الأخلاقي للمجمع الامفكتيوني ضيق قضية أهل فوكيس وحقهم التاريخي في المطالبة بإدارة دلتى .

وليس أمامنا سوى الالتجاء الى الخطب الأثينية . ولكنها في الحقيقة ليست سوى قطع من البلاغة العاطفية ، الحبالى بالأحقاد الشخصية والتشهير السياسى ، حيث غرقت الحقيقة في خضم تجنيتها ومبالغاتها .

عنى أى حال سبب سقوط أولينشوس « عقدة قلق » وتأزم الموقف السياسى في أثينا ، ولم يجد الحزبان السياسيان التقليديان في أثينا بدا من الاتحاد ازاء هذا الخطر الجديد وتوحدت كلمة الشعب على وجوب اتخاذ عمل حاسم . وبسرعة خرجت وفود مبعوثي أثينا الى البيلوبونيسوس تدعو لموقف موحد من جانب الاغريق ازاء مقدونيا . وكان من بين قادة الوفود الخطيب أيسخينيس Aeschines الذى لا نعرف كثيرا عن تاريخه المبكر . ولكننا نعرف أنه عمل حيناً من الوقت معلماً باحدى المدارس . ثم ترك هذا العمل ليتفرغ للتمثيل . ثم هجر المسرح الى ميدان السياسة وانضم الى جماعة يوبولوس Eubolos المناذية بالسلام ، بل وأصبح محل ثقة يوبولوس نفسه والذى كان واحداً من أشهر رجالات الأكلسيا الأثينية .

بالرغم من قدرة أيسخينيس على الجدل والاقناع الا أنه فشل في اقناع الدويلات الاغريقية في الدخول اتحاد قومي عسكري ضد مقدونيا وقد ادعى بعض السياسيين أن يوبولوس هدف من ارسال هذه الوفود امتصاص موجة الغضب ضد فيليب ولكن هذا الزعيم كان مخلصاً في توحيد الدويلات الاغريقية وايصال الاحساس بالخطر القومي الى وجدان الاغريق قبل الاندفاع في حرب خاسرة مع عدو ذي بطش وقوة ولما فشلت هذه الخطة لم يكن هناك بديلاً سوى التوصل الى اتفاق مشرف مع فيليب . وقد بدى السلام هو الطريق الوحيد خاصة أن فيليب بات هو الآخر يتحدث عن السلام مع الاغريق من أجل كسب الوقت خاصة في الفترة ما بين ٣٤٧ و ٣٤٦ ق م وزاد من فرض السلام سقوط



الخطيب والسياسي أيسخينيس

غالابكوس ملك فوكيس الذى كان يلعب لعبة الصراع والوقعة بين مقدونيا من ناحية وبين أثينا وأسبرطة من ناحية أخرى • واجتمع مجلس الأكليسيا وقرر الدخول فى مفاوضات سلام مع فيليب • وأوكل المجلس هذه المهمة الى زعيم يدعى فيلوكراتيس (Philokrates) • وقد طالب هذا الزعيم بضم كل من أيسخينيس وديموستينيس الى الوفد • وسافرت البعثة الثلاثية الى ييلا حيث استقبلها فيليب بالحفاوة والتكريم • واتفق معهم على السلام على أساس الأمر الواقع Status quo الا أن فيليب أصر بشدة على عدم اعتبار فوكيس جزءا من هذه الصفقة لأنه ينوى عقابها • وعاد الوفد بهذا المشروع ومعه ممثلين عن فيليب لمرضه على مجلس الأكليسيا • ولما حاول ديموستينيس اثارة العقبات مصرا على حذف النص الخاص باستثناء فوكيس ومينائها هالوس من نص المشروع اعترض مندوبو فيليب وأيدهم يوبولوس وجماعة السلام وأقنع المجلس بالموافقة على المشروع بحذفه • وعاد الوفد مرة أخرى لكى يحصل على يمين الشرف باحترام الاتفاق من الملك فيليب • وانتظر الوفد قليلا فى العاصمة لحين حضور الملك فيليب من حملة عسكرية كان يقوم بها فى تراكيا • ولكن ديموستينيس عاد الى اثارة ضمان مستقبل فوكيس وحلف بيوتيا ، وأصر أيسخينيس على تبنى قضية شعب فوكيس ولكن فيليب وعد بالتساهل فى تعامله مع هذه المدينة • واقنع كل من فيلوكراتيس وأيسخينيس بذلك ولكن ديموستينيس أصر على رأيه ، وفى أثناء التكريم اساء أيسخينيس التصرف بقوله هدية ثمينة من فيليب • وفى فيراى شهد الوفد فيليب يقسم يمين الالتزام للمعاهدة فى حفل صغير • ثم عاد الوفد الى أثينا بعد غيبة قاربت على ثلاثة أشهر (من أبريل الى يونيو عام ٣٤٦ ق. م) •

وما أن عاد الوفد حتى اندلع حوار عنيف ومناظرات حادة فى ساحة الأكليسيا حول نصوص الاتفاق مع فيليب • خاصة أن ديموستينيس الذى لم يقتنع بالمعاهدة أقام دعوى ضد رفيقه متهما اياهما بقبول رشوة من فيليب من أجل التساهل فى الشروط • وقد ألقى أيسخينيس دفاعا منظولا بأنه تأكد بنفسه من نوايا فيليب ازاء مستقبل فوكيس ، وقد

ساعده في ذلك وصول رسالة من فيليب تؤكد نواياه ازاء هذه الدولة، فأصدر المجلس قرارا باسقاط الدعوة وأعقبه بقرار شكر للملك فيليب .

عودة الخلاف بين أثينا وفيليب :

لم يمض وقت طويل على هذه المعاهدة ؛ حتى حدث تطور خطير عندما وجه الأثينيون نداء الى فوكيس بتسليم دلفي الى المجمع الأمفكتيوني وانهاء الازمة . وسارع فيليب بعد هذا النداء ووجه نداء الى الأثينيين بإرسال قوة عسكرية تشترك مع الجيش المقدوني لنصرة المجمع المقدس ضد فوكيس وبيوتيا . وانبرى ديموستينيس بالمرصاد لهذا الاقتراح وطالب الأثينيين برفضه مذكرا اياهم بنصوص معاهدة السلام التي لم يجف حبرها بعد . ورد يوبولوس على ذلك بأن على أثينا أن تقبل عرض فيليب لأن عليها مسئولية كمدينة كبرى في نشر السلام . وفي أثناء الجدل تصرف فيليب ولم ينتظر قرار الأثينيين . اذ سار بقواته الى معر الثرموبيلاي واستسلم فالايكوس ملك فوكيس وسمح له فيليب بالرحيل الى حيث يريد فاختر كريت حيث سافر اليها وبقي فيها يلعب دورة في مشاكلها حتى لاقى حتفه هناك . ووضع فيليب مصير فوكيس بين يدي المجمع المقدس الذي قرر تفتيت هذه الدولة سياسيا وتحويلها الى قوى منزوعة السلاح . وأن يفرض على سكانها غرامة باهظة مقابل المبالغ التي نهبها من دلفي : وقسطن هذه الغرامة على سنوات ظلوا يسددونها لحزاة دلفي حتى عام ٣٢٢ ق م . وحظيت مقدونيا بالحصول على مكان مندوبي فوكيس في المجمع المقدس (١) وكما سبق أن ذكرنا ترأس فيليب الألعاب البيشية في ذلك العام .

وقد أثار ذلك أثينا وأعلنت أنها سوف تستدعي مندوبيها في المجمع الأمفكتيوني ورد فيليب على ذلك بمطالبتها بالاعتراف به عضوا في المجمع الأمفكتيوني وراوغ المجلس في اعلان رأيه . ولكن لدهوة الجميع انبرى ديموستينيس موضعا للمجلس عدم جدوى رفض الاعتراف بفيليب عضوا في المجمع الأمفكتيوني لأن السلام أئمن من هذا الاعتراف .

وكانت الفكرة القابعة في رأس هذا الخطيب السياسى هو تهدئة فيليب ثم قلب المائدة عليه في الوقت المناسب ، بعد أن يضى على الصراع بين الاغريق وفيليب طابعا قوميا . وقد أدهش هذا القرار الحكيم أعضاء مجلس الأكلisia وارتفعت شعبية ديموستينيس لدرجة لم يسبق لها مثيل . وأصبح اسمه يتردد على كل لسان في العالم الاغريقى .

وانحصرت شعبية ايسوقراط العجوز خاصة بعد بعثه برسائلته الشهيرة « فيليبوس » (Philippus) الى الملك فيليب بعد توقيع صلح فيلوكراتيس والتي طالب فيها بتكوين جبهة متحدة من أثينا وأسبرطة وطيبة وأرجوس ضد الفرس على أن يكون فيليب على رأس هذا التحالف (Symmachia).

ومهما يقال عن ايسوقراط فقد كان الاثنى الوحيد الذى أدرك رسالة فيليب التاريخية وحاول أن يوصلها الى عقول ووجدان الأثنيين وجدير بالذكر أن ايسوقراط اشترط في مشروعه أن يضمن فيليب استقلال الدويلات الاغريقية وعدم المساس بحقوقها الاقليمية ، ولم يكن هذا المشروع يرضى فيليب لأنه كان يريد فرض سيادته على كل دويلات اليونان ثم يوسع من نفوذه في منطقة البلقان العليا وأخيرا يقوم بحملته التاريخية ضد الفرس في آسيا الصغرى للاستيلاء على ممتلكاتها الاغريقية ولكن بالرغم من هذا كله فقد قدر فيليب دعوة ايسوقراط لما نشرته مقالته المفتوحة من تأثير في نفوس الاغريق . ولهذا يعتبر المؤرخون السياسيون « الفيليبوس » مجموعة من الآراء الناضجة سياسيا والتي لمست واقع المشاكل السياسية للاغريق ، واقتрحت حلا معقولا لها . لقد رأى ايسوقراط المستقبل السياسى البعيد للأمة الاغريقية بينما لم يكن معاصروه يرون الا ما هو تحت أقدامهم . ومن ثم يقال أن ايسوقراط قد سبق عصره بكثير .

ديموستينيس يزكى نذر العداة ضد فيليب :

منذ أن وقع صلح فيلوكراتيس وحى الجدل والنقاش فى الأكليسيا لم تهدأ خاصة بعد أن برز عدد من المؤيدين لأراء ديموستينيس من الشباب المتطرف من أمثال هيريديس ولوكرجوس •

وهذرت خطب ديموستينيس مهاجمة فيليب خاصة بعد اسقاط دعوى الرشوة التى أقامها ضد أيسخينيس • وطالب باتخاذ عمل حاسم ضد فيليب لتدخله فى شئون البيلوبونيسوس لصالح ميسينيا وأركاديا وغيرها من المدن التى انسلخت عن أسبرطة • وبسبب هذا التدخل تعالت أسبرطة مع أثينا • وتحت الحاح ديموستينيس سافر وفد أثينى الى البيلوبونيسوس لاستعادة أركاديا وأرجوس إلى الساحة الهلينية وطرد النفوذ المقدونى • وزار ديموستينيس البيلوبونيسوس بنفسه وألقى هناك خطبة نارية صب فيها عليه جام غضبه من البلاغة المحرقة لدرجة جعلت الملك المقدونى يرسل وفدا الى أثينا للاحتجاج • وعندما وصل الوفد المقدونى كان ديموستينيس قد نجح فى مهمته اذ توالى وفود دوللات البيلوبونيسوس على العاصمة الأثينية لتعلن تأييدها المطلق وتعلن قطع علاقاتها بمقدونيا •

وأمام الوفود المجتمعة ألقى ديموستينيس أعنف هجوم على فيليب • وهو الخطبة الفيليبية الثانية ، وذلك فى خريف عام ٣٤٤ ق • م • تبدأ الخطبة بدعاية تهاجم الاثينيين وعشقم للجدل دون العمل ، ثم يفسد مزاعم فيليب فى ادعائه السلام والصداقة مع أثينا • ويبين أنه ينوى الغدر بأثينا وبالولايات الاغريقية •

ثم يحذر الجميع من الوقوع فى شباكه التى ينصبها « ما من ملك أو طاغية الا وهو عدوا للحرية وخصما للقانون ، فحذارى - وأتم تسعون لتفادى الحرب أن تفعلوا فريسة فيقودكم طاغى جديد » (١) ؛ بعد ذلك يستطرد ديموستينيس فيهاجم أصدقاء فيليب من الاثينيين ويلقى عليهم مسئولية ما يحدث فى البيلوبونيسوس من تدخل مقدولى •



ديومستيس الخطيب والسلمى الوطنى الاينى

وقد زادت هوة الخلاف بين أثينا وفيليب عندما استولى الأخير على جزيرة هالوليسوس وهي جزيرة كانت في الأصل تابعة لأثينا ثم استولى عليها القراصنة ولكن فيليب طردهم منها وضمها إليه ، ليفاجئ بمطالبة أثينا بإعادتها إليها .

وبالرغم من هذا كله ، أرسل فيليب مندوباً عنه هو ييثون البيزنطى Python of Byzantium وهو أحد تلاميذ إيسنقراط من أجل إحياء سلام فيلوكراتيس . ولكن مهضة الرجل باغت صحة ومقالة بسبب تزايد العداء ضد فيليب وركوب ديموستينس الموجة المعادية لمقدونيا . بل ووجد الخطيب النيامى الأثينى الفرصة مواتية ليشن هجوماً عنيفاً على إيسخينيس وجواعة المتعاطفين مع مقدونيا . وبدأت الحملة بقضية رفعها هيبريدس مساعد ديموستينس ، ضد فيلوكراتيس نفسه ، متهما إياه بالتهاون في حقوق أثينا لصالح مقدونيا . ولما وجد فيلوكراتيس أن الخناق قد بدأ يضيق عليه غادر البلاد إلى المنفى مختاراً وبعت مفادحة للأرض الإثينية حكم عليه بالإعدام غالياً . بعد ذلك تقدم ديموستينس نفسه بدعوى ضد إيسخينيس . ولكن يوبولوس القوي التأثير في المجلس أبرى مدافعاً عن إيسخينيس . ولحسن الحظ وصل اليينا إدعاء ديموستينيس ودفاع يوبولوس المضاد مما يعتبر بمصدرنا رائعا عن الظروف التي عقد فيها صلح فيلوكراتيس . على أى حال كان من الصعب على ديموستينس أن يهاجم معاهدة اشترك فيها بنفسه ووقع على نصوصها بخط يده .

ولكنه نجح في تلميح سمعة إيسخينيس بالرغم من فشله في أدائه لعدم وجود الدليل الكافي ولعدم وجود قانون يحرم قبول الهدايا أثناء انهام الرسمية . ويبدو أن الأمر انتهى بسبب تدخل الجنرال فوكيون الذى كان يلتقى احتراماً كبيراً في المجلس والذي عرف بنزاهته وتعالينه حتى أنه لقب بـارستيديس الجديد .

وبينما كانت هذه الصراعات على أشدها راح فيليب يلوح بالصدقة والسلام ونجح في استمالة يوبويا وميجارا إلى صفه ولكن فيليب راح

يسقط الحكومات الديمقراطية ويقيم مكانها حكومات أوليجارخية موالية لمقدونيا وهكذا أعطى فيليب لأثينا فرصة التدخل والتعاون مع الأحزاب الديمقراطية لاسقاط الحكومات الأوليجارخية العيلة واعداء النظم الديمقراطية الى لحكم مما أدى لى تضاؤل النفوذ المقدوني في البيلوبونيسوس فيما بين ٣٤٣ - ٣٤٢ ق م . بل وأرسلت أثينا عام ٣٤٣ قوات عسكرية لناصره أهل أمبراكيا ضد فيليب .

فتوحات فيليب في تساليا وتراكييا : -

قرر فيليب أن يفرض سلطانه في الشمال فانشغل في فتوحات استمرت ما بين ٣٤٦ - ٣٤٢ ، تمكن فيها من جعل تساليا منطقة مقدونية قسمها الى أربعة مقاطعات كبرى جعل على رأس كل منها حاكما مقدونيا ، بل وفرض على كل منها مساهمة من الرجال والأموال لمساعدة الجيش المقدوني ، ثم عزل ملك ايروس لتعاطفه مع الأثينيين وعين شقيق زوجته أولمبياس مكانه .

وبعد ذلك اتجه فيليب الى تراكييا حيث بقى فيها من عام ٣٤٣ الى ٣٤٢ ق م ثم توغل في منطقة البحر الأسود وبحر مرمرة قلب الامبراطورية الأثينية الثانية ، متهمكا سلام فيلوكراتيس ، بل وادعى فيليب ملكية مقدونيا لمنطقة الخرسونيسوس . وجاءت خطبة ديموستينيس الشهيرة « عن الخرسونيسوس » التي تدعو الى حرب طويلة ومريرة ضد الملك المقدوني . وفي عام ٣٤١ التي ديموستينيس خطبته القيلية الثالثة والتي دعى فيها لحرب شاملة ضد مقدونيا يتحدد على أثرها قدر الحضارة الهلينية . ومطالب مواطنيه بأن الوقت قد حان للعمل . ولقد كانت الخطبة القيلية الثالثة أعظم ما كتب ديموستينيس حيث ألهمت قلوب الاغريق غيرة ووطنية وأشعلت نفوسهم بالحق على مقدونيا بالرغم أن آراءه كانت تكرارا لخطبة السابقة .

الخرسونيسوس بين أثينا ومقدونيا : -

زار ديموستينيس بيزنطيوم وكسبها الى جانب أثينا ، وسافر مساعدة هيريديس الى رودوس وخيوس ونجح في كسبهما ، وأبحر خاريس الى

شمال بحر ايجه والجنرال فوكيون الى جزيرة ارثريا وكسبها الى جانبه . ولم يقبل شتاء عام ٣٤٠ يوم حتى كان ديموشثينس يمدد اجتماعا لمثلّى كل الاغريق في أثينا حضرته وفود كل من يوبويا وحلفائها وكورثيا وميجارا وأخيا ، ومن شمال غرب اليونان حضرت وفود عن اكارنانيا وأمبراكيا وكوركورا . وراح ديموشثينس يث الحمية في قسوس المؤتمرين ويوغر صدورهم ضد فيليب ومشروعاته السياسية .

ولما علم فيليب بذلك قرر التدخل وأرسل انذارا الى كل من بيرثوس Perinthus (ايركلى الحالية في تركيا) وبيزفطيوم (Byzantium) يدعوها فيه الى الاشتراك معه في حملة ضد الخرسوليسوس وزفست المدينةان طلب فيليب ، وتحصنتا وغلقتا أبوابها وبدأ فيليب بحصار بيرثوس التي كانت تقع على مرتفع منحدر ولا يربط بينها وبين البحر سوى لسان ضيق من الأرض . وقد جرب فيليب ضد هذه المدينة كل أسلحته من أبراج متحركة ومزاريق ولكن المدينة صمدت واستمر الحصار حتى خريف عام ٣٤٠ ق م . وقد ساعد القرس في توصيل السلاح والمؤن الى المدينة المحاصرة عن طريق آسيا الصغرى وبدأ فيليب كما لو كان عاجزا بل أنه تلقى جرحا كبيرا في كتفه أثناء الحصار .

ولأول مرة دعا فيليب ابنه الاسكندر ليشترك في أول معركة بحرية وكان حينئذ يبلغ السادسة عشرة من عمره .

وبعد أن اعتكف فيليب قليلا ، سار الى بيزطة ليجد الاثينيين وقد تدفقوا على المدينة ، كما سارع لنجدتها من تبقوا من حلفاء الامبراطورية الاثينية الثانية مثل رودس وخيوس . ولكن فيليب نجح في الاستيلاء على مائتين وثلاثين سفينة محملة بالبضائع وحاول في أحد ليالى شتاء عام ٣٣٩/٣٤٠ ق م أن يقوم بهجوم خاطف على المدينة ولكنه رد على أعقابها خاسرا . فترك الأمر معلقا وانسحب الى الشمال ليؤمن مصب الدانوب وساحل البحر الأسود الغربى . ويرى بعض المؤرخين أن هذا الغزو كان جزءا من مشروع كبير قصد به فيليب التمهيد للقيام بحملة ضد القرس ومن ثم راح يؤمن الطريق الى آسيا .

العالم الاغريق يتحالف ضد مقدونيا :

كان فشل فيليب في احتلال بيرثوس ويزنطة أكبر نكسة أثرت في همية هذا القائد العظيم ولكنه كان يعلم أنه سوف ينجح يوما في اخضاع الاغريق لسلطانه لأنه أدرك أن خطب ديموستينيس لم تحقق الجبهة المتحدة للمعادية لمقدونيا وراح يتربص ويتحين الفرصة لتحقيق هدفه .

ولحسن الحظ حدثت أزمة جديدة أتاحَت هذه الفرصة أمام فيليب وذلك عندما أثار أيسخينس مثل أثينا في المجمع الأمفكتيوني قضية ضد أمفيسا وهي مدينة صغيرة تقع على بعد أميال قليلة شمال غرب دلفي لأن شعبها كان يزرع أراضي موقوفه لمعبد أبوللون ولكن أهل أمفيسا جادلوا في إعادة تخطيط حدود بلدهم مع حدود دلفي ولم يؤيدهم أحد سوى طيبة التي أعلنت عزمها على مساعدة أهل أمفيسا لاسترجاع حقوقهم المشروعة من كهنة دلفي . ولما رفضت أثينا مساعدة دلفي في تنفيذ قرار يعاقب أهل أمفيسا ، عندئذ طلب المجمع الأمفكتيوني من فيليب القيام بمعاونة أهل أمفيسا ورأى فيليب الفرصة مواتية للتدخل في شئون الاغريق لكي يعوض هزائمه أمام يزنطة وبيرثوس من ناحية ولكي يقوم بمظاهرة عسكرية ترهب الاغريق اذا ما فكروا في التحالف مع الفرس ضده من ناحية أخرى كما كان هدفه من وراء التدخل هو كسب المزيد من الوقار الديني من أعضاء المجمع الأمفكتيوني .

وسار فيليب بجيشه يعاونه ابنه الاسكندر الذي كان يبلغ وقتذاك السابعة عشر ربيعا واخترق الجيش المقدوني تساليا وعند قلعة الاتيا Elateia التي تتوسط المسافة بين بيوتيا وفوكيس أسس فيليب قاعدة متقدمة لجيوشه يتحرك منها الى الجنوب والشمال . كما قصد باحتلال الاتيا انذار أهل طيبة بعدم التدخل في أي معارك قد تقوم مستقبلا لصالح أمفيسا وضد مقدونيا .

الذعر يسود أثينا بسبب احتلال الاتيا :

ويسترجع ديموستينيس ذكريات ذلك اليوم الأسود بعد تسع سنوات في خطبته السماة « بخصوص العرش » (١) . حيث يصنف مجلس

الاكليسيا وقد خيم عليه الصمت لم يجرؤ أحد على أن يفتح فاه ، وفجأة يكسر ديموستينيس الصمت فيطالب بمقد تحالف عسكري سريع مع طيبة للوقوف في وجه فيليب ومخططاته . وأرسل ديموستينيس وفداً الى طيبة يدعوها لذلك وفي الوقت الذي كان أهل طيبة يناقشون فكرة التحالف مع أثينا وصل اليهم مندوبون عن فيليب وأمام المجلس الشعبي عرض كل وفد وجهة نظره وبعد مداولات ومحاولات قرر المجلس الشعبي لطيبة قبول عرض أثينا ورفض التحالف مع مقدونيا .

تعهد الآثينيون بتحمل ثلثى نفقات الحرب وأن تكون القيادة للجيش المتحدة في أيدي قادة طيبة واعترفت أثينا بسيادة طيبة على كل بيوتيا وتنازلت عن حقها في المطالبة بمدينة أوروبوس . وحاولت الحليفان ضم باقي الولايات الهلينية اليهما ولكن كثير من هذه الولايات أثرت الحياد ولما كان لوكورجوس وهو واحد من أشد أنصار ديموستينيس يشرف على الخزانة العامة ، لم يجد الزعيم الأثيني صعوبة في تحويل ميزانية الترفيه والألعاب الى الحرب .

لم يكن فيليب يريد محاربة أثينا لأنه تغاضى عن أخطائها وابتلع خطب ديموستينيس وسبابه ، وذلك لأنه كان متيماً بالثقافة الأثينية ولا يريد أن يتهم بتدمير القلب النابض بالحضارة الاغريقية ، كذلك لم يقصد فيليب تهديد بيوتيا ولكن طيبة هي التي تحالفت مع أمفيا ضد فيليب ومن ثم كان مسلك فيليب في احتلال الاتا مسلكاً دفاعياً .

ولكن ديموستينيس دفع الأمور بخطبه النارية الى أسوأ . كانت عليه ، لأنه راح يث الكراهية ضد مقدونيا ضد فيليب ويدعو الاغريق أن يهبوا دفاعاً عن استقلالهم وحريتهم ولكن الخطيب الأثيني باغ في تخيلاته ولم يفهم الحقيقة فضل الآثينيين معه وشوه صورة الزعيم المقدوني .

فيليب يسحق التحالف الاغريقي في خايرونيا :

وبعد قيام الجبهة الجديدة وجهت كل من أثينا وطيبة نداء الى الولايات الاغريقية للانضمام اليها ، ولبي الدعوة عدد كبير من هذه المدن

ابتداء من يوبويا شرقاً الى أكارفانيا وجزيرة ليوكاس في أقصى الغرب ، كذلك انضم الى الجبهة المعادية لفيليب جزيرة كوركيرا المتاخمة لساحل ايروس وكذلك أخيا وكورتا وميجارا المواجهة لدلفى كذلك انضم الى التحالف ميسينيا وأيليس في غرب البيلوبونيسوس وبالطبع مدينة بيزنطة . ولم يقف مع دلفى سوى ولاية أيتوليا الواقعة الى الغرب من دلفى وبعض المدن الصغيرة ذات الأهمية المدمومة . أما اسبرطة وأركاديا فقد أعلنتا الحياد ازاء الحركة الدائرة بين مقدونيا والأغريق .

وقد بدأ المتحالفون هجومهم بادانة كهنة دلفى لاعطائهم الفرص لفيليب ذلك الملك البربرى للتدخل في شئون تخص الأغريق وحدهم ، فعرضوا بذلك حرية بلاد اليونان الوسطى والجنوبية للخطر . أما فيليب فقد اعتبر قيام مثل هذا التحالف عائقاً في سبيل أحلامه وعليه أن يقضى عليه بأى وسيلة . ومن ثم راح يحصن قلعته في الاتيا وأقام خطاً متقدماً عند جبل برناسوس الذى تقع عند سفحه مدينة دلفى وأمفيسا ، ثم دعى قوات من مقدونيا وشماليا وانطلق ليؤدب أمفيسا طبقاً لمخططة الأصلى لكى يظهر عدم اكتراثه بما يفعله الأغريق من ناحية ولكى يبدى لهم أنه مكلف برسالة دينية عليه أن يتجزها من ناحية أخرى .

أما قوات المتحالفين فقد احتلت المنطقة والممرات الجبلية من يوبويا الى فوكيس وقام الجنرال الاثنى خاريس Charis بقيادة قوة مكونة من عشرة آلاف جندي لاحتلال الطريق الذى يربط بين خليج كورتا وأمفيسا ليقطع على فيليب أى دعم يطلبه من مقدونيا عبر خليج كورتا .

عندما وصل فيليب الى أمفيسا وجد أن أثينا قد دفعت بمشرة آلاف من الجنود المرتزقة لحماية المدينة من الجنوب كما أنها أقامت عدداً من الكمان في الجبال فأدرك فيليب أنه لا أمل في المصالحة وتهادى الحرب مع الأغريق . وفي صيف عام ٣٣٨ ق.م لجأ فيليب الى خديعة وهو أنه كتب خطاباً الى جنراله أتيباتر يخطر فيه بقراره بالعودة الى مقدونيا لمواجهة بعض القلاقل هناك ، ثم عمل على أن يقع هذا الخطاب في أيدي

الاغريق^(١) ونجحت الخطة وتنفس الاغريق الصعداء واسترخت القوات . وكان فيليب يرقبها من فوق الجبال . وفي ظلام الليل هبط عليهم واستولى على امفيسا استيلاء خاطفاً وهلل كهنة دلفى للبطل متبئين بالدمار لمن يقف في طريقه وقد علق ديموستينيس ساخراً على هذه النبوءة قائلاً « انها ليست من وحى أبوللون بل من وحى فيليب » .

بعد هذه الهزيمة وسقوط أمفيسا قرر الاغريق التراجع الى خايرونيا ذلك السهل الواقع عند سفوح جبال بتراخوس والذي تقع فيه مدينة طيبة أيضاً ، وعلى الناحية الأخرى للسهل يتدفق نهر كيفيسوس Kephissos من مرتفعاته في الشمال . فالمنطقة اذا تجمع ما بين السهل والجبل والعائق المائي مما جعلها أرضاً مثالية لمعركة متعددة التكتيك والعمليات .

وفي اليوم المشهود في شهر أغسطس عام ٣٣٨ ق م تحرك فيليب من الاتيا الى سهل خايرونيا حيث وجد جبهة عريضة مكونة من الجنود تمتد عبر السهل من سفوح خايرونيا الى حافة كيفيسوس . وكانت قوات طيبة يقود الميمنة وقوات أثينا الميسرة أما الوسط فكان يشغله الجنود المرتزقة والمتطوعون من باقي الدويلات الاغريقية . أما قوات فيليب فكان يقود ميسرتها الاسكندر بينما قاد فيليب الميمنة .

بدأت المعركة عند الفجر عندما انقض الفرسان الأثينيون على الجناح الذي يقوده فيليب ولكن الاسكندر اندفع نحو قوات طيبة وراح يحصد جنود الفرقة المقدسة Sacred band حصداً ، أما فيليب فقد تظاهر بالانسحاب لكي يجبر القوات الأثينية الى فخه ولجأت القوات الأثينية الى مرتفعات خايرونيا للاستراحة من العناء تاركين وراءهم ألف قتيل وفجأة انقض عليهم فيليب وأطبق معه ابنه الاسكندر وقضى على البقية الباقية من القوات الأثينية وأسر ألفين من جنودها من بينهم ديموستينيس نفسه . وما أن غابت شمس ذلك اليوم المشهود حتى كان فيليب قد فرغ من القتال وراح يجمع أسراه في مدينة ليباديا Libadeia حيث راح يحتفي بالنصر الكبير ويفرق نفسه في الشراب فقد أصبح جنوب

اليونان بعد خابرونيا تحت رحمة مقدونيا ، واستعدت أثينا للدفاع عن نفسها ودعت فلاحينا لهجرة حقولهم وقراهم والاحتباء داخل أسوارها وجندت كل رجالها حتى من الستين .

أما تصرف فيليب فقد اتسم بالتناقض إذ كان قاسيا مع طيبة لأنه اعتبرها قد خانت عهدا للسلام معه وانضمت ضده في حرب لا مبرر لها ولهذا فتك بها وقضى على قيادتها الديموقراطية وأحل محلها حكومة أوليجارخية مكونة من ثلاثاية عضو عميل لمقدونيا ، ثم حل حلف يوتيا الى الأبد وترك حامية في قلعة كاديا وأخرى في خالكيس بجزيرة يوبويا ، ولكي يقضى على أى انتفاضة مستقبلية أعاد فيليب إحياء أورخوميتوس وثيسبى وبلاثيا وهم أعداء طيبة التقليديين .

أما بالنسبة لأثينا فقد كان فيليب كريما متسامحا ، فقد أرسل لهم أحميد الأسرى الأثينيين وكان اتسمه ديماديس ليخبرهم بحسن نواياه تجاههم ويبدو أن فيليب كان في حاجة الى مساعدة الأساطيل الأثينية من أجل حملته العسكرية مستقبلا ضد الفرس . وبسرعان ما أرسل الأثينيون إيسخينيس ليضع شروط المصالحة . واثباتا لحسن نواياه باع فيليب كل الأسرى فيما عدا الأثينيين الذين أعادهم مكرمين .

وكان من شروط المصالحة إصرار فيليب أن تعترف أثينا بسقوط الامبراطورية الثانية وتتنازل عن كل ممتلكاتها فيما عدا المنوس وامبروس وسكوروس وديلوس وساموس ، وأن تطلق أثينا لمقدونيا السراح في البيلوبونيسوس . وبالفعل اعترفت جميع دويلات البيلوبونيسوس بالزعامة المقدونية (١) فيما عدا أسبرطة التي آثرت سياسة العزلة والكبرياء . فقد كانت أسبرطة تحس بالحسرة على ماضيها المنهار وتشعر بالعجز لعدم قدرتها على استعادة أركاديا وميسينيا وأرجوليس الي حوزتها . كما

(1) Ow, Rheinmuth The Spirit of Athens oxford 1970, p. 47 - 51.

قلت كورتا تواجد حامية مقدونية قرب خليجها لتؤمن تمررك
الجيش المقدوني .

هكذا استيقظ فيليب في عشية اليوم التالي للمركة على حقيقة
واقعة وهو أنه أضحى بطل اليونان الأواحد وكان في استطاعته أن يصدر
أوامره للسير نحو أثينا ولكنه آثر التريث والاجتهاد في كسبها الى
جانبه لأنها رمز المجد وجامعة هيللاس . كذلك فقد أظهرت خايرونيا
بطولة الاسكندر الشاب وأصبح له معجبون كثيرون من رجال الجيش
المقدوني الذين أحسوا بمقدرته العسكرية وتبؤوا بأنه معجزة مصر
والقائد الذي لا يقهر .

وبمعاهدة السلام اعترفت أثينا رسميا بسقوط الامبراطورية الاثينية
الثانية مقابل تعهد فيليب بالا يسمح باقامة أى حامية مقدونية داخل
الأرض الأتيكية أو أن يربط الاسطول المقدوني في مياهها الاقليمية .
كما تنازلت أثينا لمقدونيا عن منطقة الخرسونيسوس وأقسمت يمين الولاء
والصداقة لفيليب الثاني .

ولما كانت الامبراطورية الاثينية في حالة تدهور بل كانت اسما على
ورق فلم يحزن الاثينيون على الاعتراف بسقوطها بالرغم من أن خطبة
التأين التي ألقاها ديموستينيس على رفات شهداء خايرونيا كانت تنظر
أسى وحزنا . بل أن الاثينيين « أصدروا قرارا بالانعام على فيليب بحق
المواطنة » .

بعد ذلك قام فيليب بتصفية حسابه مع يوبويا وفوكيس ثم الى
ميجارا ومنها الى كورتا حيث استقبل استقبال الفاتحين وحيث ترك
حامية مقدونية لحماية خط الاتصال بين مقدونيا وجنوب اليونان . ثم رحل
بعد ذلك الى أولبيا حيث قدم الأضاحي وأقام معبدا في واحدة زيوس
المقدسة عرف بمعبد فيليب Philippeion ومن أولبيا سار فيليب الى

اسبطة المتوارية في آنف وعجز وكبرياء ، ورفضت هذه المدينة في آنف
أن تعترف به زعيما على الاغريق ، ولم يشأ فيليب أن يضيق خناقه عليها
ربما من باب الرثاء على حالها أو لأنه لم يرى في سياستها الانعزالية
خطورة على استراتيجيته الكبرى ضد الفرس .

**مؤتمر كورنثا الكبير وتعيين فيليب قائدا عاما على قوات الاغريق
المتحدة :**

بعد أن تأكد لبطل خايرونيا أنه الجنرال الأوحده الذي لا ينافس في
مجال القتار ، تحول فيليب الى ميدان السياسة ليحرز أكبر نصر سياسي
عرفه التاريخ . فقبل أن ينصرم عام ٣٣٨ ق.م. دعى فيليب الى عقد مؤتمر
كبير تحضره كافة المدن الاغريقية وقد استجابت جميعها لهذه الدعوة
باستثناء اسبطة التي آثرت الانطواء على نفسها . ثم عرض فيليب
على المجتمعين مشروع عقد معاهدات دفاعية مشتركة بينهم (١) وبين
مقدونيا بعد أن تتناسى النزاعات الداخلية فيما بينها .

ثم كلف المجتمعون فيليب ليتولى القيادة العامة لهذا التحالف
الاغريقي المقدوني . كما اتفق على تكوين مجلس دائم لهذا الاتحاد
(Syedtion) يكون مقره كورنثا . كما اتفق على أن يكون تمثيل المدن
الاغريقية في هذا المجلس حسب قوتها العسكرية . وأن يجوز عقد
اجتماعات المجلس سواء في كورنثا أو أى مكان آخر له أهمية قومية
مثل أولبيا ودلفى . وأن تتولى لجنة من خمسة أعضاء (Predroi) مهمة
الاشراف الدائم على الحلف . ولكى يظهر فيليب للاغريق حسن نيته
طلب أن تكون مقدونيا عضوا دائما في هذه اللجنة الخماسية . كذلك
اتفق المجتمعون على توقيع عقوبات صارمة ضد كل من يخالف لوائح
الاتحاد وأن يتولى تنفيذ هذه المهمة قوات مشتركة من فيليب والحلفاء .
وتعهدت كل مدينة اغريقية بتقديم مساعدة عسكرية مثل تجهيز عدد من
السفن والرجال في حالة دخول مقدونيا أى حرب مع عدو أجنبي . وقد
ضمن فيليب ألا يتعرض لاستقلال المدن الاغريقية وأن يتركها على

حالها الذي كانت عليه عند توقيعها على هذه المعاهدة ، وباستثناء كورثا وقلمة كاديا في طيبة وخالكيس في يوبويا وخليج أمبراكيا تعهد فيليب بعدم اقامة أى حاميات مقدونية في بلاد اليونان ، وأخيراً التزم فيليب ، موافقة الاغريق على قبول معاقبة أى اغريقى يحاول التعدى على دستور مدينته أو يعمل لصالح قوى معادية للاغريق وكان فيليب يقصد بذلك دولة فارس حيث كان يعمل في جيشها وأسطولها عدد كبير من الاغريق كجنود مرتزقة .

بهذه المعاهدة قضى فيليب لأول مرة على الصراعات المحلية بين الدويلات الاغريقية كما أوقف تسرب الجنود المرتزقة الاغريق للعمل في صفوف الجيش الفارسي ، بل ونصب نفسه باختيار الاغريق قائداً عاماً عليهم والموجه لسياستهم الخارجية وحقق الوثام الدائم بينهم (homonoiia) لأول مرة . وذلك لأنه كلف اللجنة الدائمة للحلف للتوسط لحل أى خلاف قد يقع بين المدن الاغريقية . وبذلك خلق لأول مرة جبهة متحدة من الاغريق والمقدونيين وحقق أحلام أيسوقراط العبوز الذي كان يدعو اليها منذ ثمانية سنوات مضت ولكنه قضى نحبه بعد بضعة أسابيع قليلة من معركة خايرويا وهو في عامه الثانی والتسعين وبذلك لم يشهد تحقيق حلمه الكبير الذي كرم من أجله حياته .

وفي ربيع عام ٣٣٧ ق م . دعى فيليب المجلس للاجتماع لمناقشة مشروع القيام بحملة عسكرية ضد الشرق وكما يقول ديودورس أضفى فيليب على الحملة طابعا هليلينيا عندما وصفها بأنها حملة من أجل الانتقام والرد على حملة الفرس ضد بلاد اليونان في القرن الخامس ق م (١) والتي دنسوا أثناءها شرف المعابد المقدسة فوقه الأكروبول الأثيني وقد وصف العالم الكبير فلكن Wilcken ذلك بأنها فكرة عبقرية idealer gedanke (٢) . ولكن الاغريق قبلوا فكرة الحملة ضد الامبراطورية

Diodorus XVI. 89, 2.

(١)

V. Wilcken, Alexander der grosse, p. 44.

(٢)

الفارسية كارهين وذلك خوفاً من غضب فيليب الثاني وتفاديا لشره .
وفي عام ٣٣٧ ق.م بدأ فيليب الاستعداد والتدريب ، بل سار جنراله
بارمينيون في ربيع عام ٣٣٦ ق.م بصحبة جيش عظيم به بحر مرمرة
لتمهيد الطريق للجيش المقدوني بل ولكي يحرض المدن الاغريقية في
أيونيا على الثورة ضد الحكم الفارسي وبالفعل استجاب لذلك خيوس
وايسبوس وكوزيكوس وعدد آخر من المدن الايونية الواقعة تحت
نفوذ الفرس .

اغتيال فيليب :

وبينما كان الاستعداد للحملة الكبرى قائماً على أشده ، جاءت الأنباء
بخطر مصرع فيليب غداً وازاء ذلك سارع بارمينيون للمودة. بينما أثر
أثالوس مساعدته الانتظار قرب بحر مرمرة . لقد سقط فيليب صريعاً
تحت ضربات خنجر أحد ضباطه الغاضبين عليه وقد اختلقت المصادر في
تحديد شخصية القاتل ودوافع الجريمة . فقد قيل أن ذلك تم بتدبير من
أولمبياس والدة الاسكندر انتقاماً لكرامتها التي أهدها زوجها بسبب
علاقاته وزيجاته الكثيرة وخوفاً من أن يحرم ذلك ابنها الاسكندر الأكبر
من تولى العرش خاصة اذا أنجب ذكراً . كما قيل أن الفرس هم الذين
دبروا هذه المؤامرة لاعاقبة مشروع الحملة ضد بلادهم . وقيل أن القاتل
اتقم من فيليب بسبب الخلاف معه . وربما كان هذا أقرب التفسيرات
جميعاً .

والحق يقال أن الخلاف كان محتدماً بين فيليب وابنة الاسكندر الذي
احتج على زواج أبيه من ابنة شقيقه الجنرال أثالوس ، وشربه في نخب
ورث صالح من هذا الزواج فضلاً على أن فيليب كان قد سبق له
الزواج من سيدة في لاريسا وأنجب منها ابناً أبله عرف باسم فيليب
أرهيداوس . ويقال أن الاسكندر كان يعاني قسماً ويتألم لمعاملة
فيليب القاسية لأنه ووصل به الاحتداد مع أبيه لدرجة رفع فيها السلاح
عليه (١) . وقد انسحب الاسكندر في صحبة أمه الى ايروس ولم يمسد

الى مقدونيا الا بعد أن أرسل أبوه اليه رسولا يؤكد خلافة الاسكندر على
عرش مقدونيا . ولكن القلق عاد مرة أخرى عندما وضعت عروس فيليب
الجديدة ابناً ذكراً سمته كارانوس (Karanos) تيمناً بالجد الأكبر للأسرة
المقدونية .

هكذا سقط فيليب صريعاً أثناء حفل زواج ابنته كليوباترا شقيقة
الاسكندر في العاصمة القديمة ايجاي (Aegae) وذلك في صيف عام
٣٣٦ ق.م وعلى أثر ذلك قامت أولمبياس بتدبير مقتل هذه العروس
الجديد ووليدها الرضيع لتؤمن العرش لابنها الاسكندر (١) .

تقييم تاريخي لفيليب الثالث :

يمكننا أن نوجز مهمة فيليب في عملين عظيمين يرتبط كل منهما
بالآخر أشد الارتباط ، أولهما خلق دولة مقدونية متحدة لأول مرة في
التاريخ ، وهذا وحده يعطيه الحق في أن يفد من أعظم رجالات
السياسة في العصر القديم . وثانيهما توحيد المدن الاغريقية في جبهة
متحدة وهو أيضا عمل تحقق لأول مرة في تاريخ الاغريق .

لقد ظلم المؤرخون فيليب ، عند الحكم عليه تاريخياً ، فمن ناحية
غطت شخصية ابنه الاسكندر الأكبر عليه فجعلته لا يأخذ حقه في التقدير
والتبجيل مع أنه واضع حجر الأساس الأول للإمبراطورية المقدونية
ولولا الوالد ما جاء الابن وأصبح بطل العالم والتاريخ ، كذلك فقد
ظلم النقاد القدامى فيليب عندما وصفوه بأنه من الطغاة القساة الذين
حرموا المدن الاغريقية من حريتها واستقلالها ، ولكن فيليب حقق
للاغريق ما فشل فيه الاغريق أنفسهم . اذ جعل لهم لأول مرة تحالفاً
قوياً كما نما فيهم روح الانتماء الواحد والوحدة وأوقف القتال
والحروب فيما بينهم . ولو قدر فيليب أن يعيش لفترة أطول لشاهد
نتائج أكثر ايجابية لهذا التحالف الاغريقي ولكنه مات قبل أن يؤتي

(٢) ناقش بوزورث نظرية اغتيال فيليب والى اللوم على زواج الملك

من عروس جديد

نمره • وجدير بالذكر أن فيليب لم ينتوى بالمرة أن يحكم المدن الاغريقية بنفس الأسس المستبدة التي حكم بها مقدونيا بل ترك لتلك المدن حرية الحكم الذاتي لنفسها ولم يأخذ منها شيئاً سوى ادارة سياستها الخارجية والعسكرية •

لقد كانت البقريّة الاغريقية في القرن الرابع ق.م في أوج نفوذها في الفكر والنن ، في الفلسفة والعلوم والأدب ، بدرجة لا تقل عن نبوغ هذه البقريّة في القرن الخامس ق.م ولكن نقطة الضعف في الحضارة الاغريقية هو الفشل في المجال السياسي ، فقد ظلت نظمهم السياسية جامدة لا تناسب التطورات والتغيرات الجديدة ، حقاً ، لقد خرجت عدة أصوات مختلفة تنادى بوجود قيام وحدة اغريقية تقوم على أساس التحالف التعاهدي بين الدولات الاغريقية وبالفعل قام بعض من هذه الأحلاف ولكنها سرعان ما انهارت نتيجة للأحقاد الإقليمية وانتشار روح الأنانية والشوفانية الضيقة ، فضلاً على أن هذه الأحلاف كانت بمثابة اتحاد شركاء سرعان ما ينهار عند أول بادرة خلاف • ولقد عبر ايسوقراط عن ذلك صراحة عندما ذكر أنه ليس هناك من أمل في قيام وحدة كاملة بين الاغريق بدافع ذاتي من أنفسهم وبدون تدخل من قوى خارجية • وخلاصة القول لقد نجح فيليب فيما فشلت فيه أثينا واسبرطة وطيبة خلال فترات سيادتها السياسية والعسكرية •

وقد يقال أن فيليب — ازاء تعامله مع بعض المدن الاغريقية — كان قاسياً بلا مبرر ، فقد كان شديد القسوة ازاء مواطني مدينة أولينثوس وأسرى فوكيس وطيبة ، ولكن ما ارتكبه فيليب من قسوة لا يفوق بأي حال من الأحوال قسوة أثينا ازاء حلفائها ابان قيام حلف ديلوس وفي قضائها على الثائرين عليها والمطالبين بحريتهم ، كما أن قسوته لا تعدو شيئاً اذا ما قورنت بقسوة اسبرطة ازاء الهيلوت أو حتى سلوك طيبة المتعنّت أثناء فترة سيادتها •

وقد يتهم المؤرخون فيليب بالخبط السياسى ولكن ليس ذلك عيا ،
فقد عرف الاغريق ساسة فاقوا فيليب دهاء ومكرًا من أمثال ثيستوكليس
والكبياديس وكليون من أثينا ولوساندر الاسبرطى .

لقد سقط فيليب بعد كفاح طويل ومعارك ضارية خرج منها وقد
فقد احدى عينيه وشلت احدى ذراعيه وأصيبت احدى ساقيه بجرح
جمله أعرجاً وأصبح مرهقا يفرق هسه فى الضرر ولهذا يقال أن دوو
فيليب انتهى لأنه لم يعد مؤهلا لقيادة حملة أسطورية ضد امبراطورية
الفرس ولكنه أدى دوره كاملا وحقق رسالته فى بناء الأمة المقدونية (١)
وتوحيد الدولات الاغريقية المتنافرة وفرض عليها التعايش فيما بينها ،
وقبل كل شىء كسب للمقدونيين اعترافا بأنهم اغريق وليسوا برايرة كما
كانوا يعرفون قديما . وخلاصة القول أن الذين كتبوا عن فيليب لم
ينصفوه حقته ، فمن ناحية ظلوه عند الحكم عليه ومن ناحية أخرى
شغل المؤرخون بتاريخ حياة ابنه العظيم الاسكندر الذى طغت شخصيته
على شخصية أبيه فجعلتها ، فضلا على أن أعداء فيليب كانوا كثيرين
ومنهم من كان سيد البلاغة والخطابة فبقيت خطب ديموستينيس أثرا
خالدا للأجيال فى كل مكان ولكنها كانت فى نفس الوقت تلتطخ شخصية
فيليب تحنيا عليه وتشهيرا به . فتركت انطبعا مشوها عنه .

الاسكندر الاكبر :

سبق أن لحنا الى الهالة المقدسة التى نسجتها أولمبياس حول ابنها
الصغير الاسكندر وحول نسبة أبوته الى زيوس آمون وغير ذلك من
النبوءات التى اختلقت من أجل تعظيم مستقبل الصغير . كان الاسكندر
يتمتع بحب أمه الجارف فعوه بل أنه نفسه بادلها نفس الحب بقدر يفوق
حبه لحو أبيه لدرجة أن بعض الكتاب باتوا يشكون عما اذا كان
الاسكندر مصابا بمقدة أوديب .

(1) J.R. Ellis, "The Securtiv of Macedonian throne under Philip II, Ancient Macedonia Paper read at the First international Symposium held in Thessaloniki, 1968. Thessaloniki 1970, p. 68-75. also cf. by the same author., "Amyntas, Perdiccas, Philip, and Alexander, the Great, J.H.S., XC, 1971, p. 15-24.

على أى حال ما أن بلغ الاسكندر الثانية عشرة من عمره حتى بدأ أبوه فى اعداده للفروسية ، اذا اشترى له جواده الشهير بوكيفالوس (Boucephalus) أو رأس الثور ، والذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من أسطورة الاسكندر فيما بعد . كما تلقى الاسكندر قسطاً كبيراً من الثقافة الاغريقية خاصة عند ما دعى فيليب الفيلسوف الكبير أرسطوطاليس (Aristotiles) الى القصر الملكى المقدونى ليشرف على تربية الاسكندر . وكان أرسطوطاليس - أو أرسطو كما اشتهر - ابناً لطبيب القدر المقدونى . وقد ولد فى عام ٣٨٤ ق.م فى مستوطنة ستاجيرا (Stagira) فى منطقة خالكيدىكى والتي لا تبعد عن ييللا العاصمة المقدونية سوى ستين ميلاً وقد قيل أن أرسطو تربى مع فيليب نفسه فى القصر الملكى المقدونى الا أنها اختلفا عام ٣٦٧ ق.م عندما حصل فيليب الى طيبة كرهينة ، عندئذ غادر أرسطو مقدونيا متجها الى أثينا كعبة الثقافة وهناك انضم الى مدرسة الفيلسوف الكبير أفلاطون . وبعد موت أستاذه أفلاطون لم يطق أرسطو البقاء فى أثينا فأثر التجول والترحال حتى دعاه فيليب ليشرف على تربية الاسكندر وليشأ مدرسة فلسفية فى مقدونيا وقد قبل أرسطو دعوة فيليب صديق طفولته دون تردد لاعتقاده أن مقدونيا هى أمل الاغريق فى الانتصار على البربرية الشرقية . كما أنه وجد فى مقدونيا الهدوء لكى يتأمل ويفكر بعيداً عن الاثارات والثروات السياسية التى كان تشغل بال المدن الاغريقية ، وعند حضوره الى مقدونيا رحب به فيليب وتكريماً له أعاد بناء مستوطنة ستاجيرا الاغريقية مسقط رأسه بعد أن كانت قد هدمت مع باقى المستوطنات الاغريقية التى دمرها فيليب ، كما عفى عن سكانها ليعودوا اليها .

كان أرسطو آنذاك فى الخامسة والأربعين من عمره وكان لا يزال مغموراً ، عندما حظ رحاله فى ييللا . وفى أحد ضواحي العاصمة المقدونية أنشأ مدرسته الخالدة فى قلب أحد الكهوف حيث تعود أن يلقى دروسه على تلاميذه وهو يمشى ولذا سميت مدرسته باسم مدرسة

المشائين peripatetics • ولقد ظل الاسكندر يذكر فضل أرسطو عليه ، اذ علمه أصول التفكير الواقعي والعقلاني والنظرة الموضوعية الى الأمور ، كما قام أرسطو بتدريس عدد من العلوم كالتأثير الصغير مثل البلاغة والريطوريقا وأصول النحو والفلسفة والموسيقى والطبيعة والمساحة • والى أرسطو يرجع الفضل في تهذيب وصقل شخصية الأمير الصغير ، لأنه كان ملازما له بينما كان أبوه فيليب مشغولا عنه في معاركه •

لم يكن الاسكندر قد جاوز العشرين ربيعا عندما لقي أبوه مصرعه في خريف ٣٣٦ ق م • حيث وجد نفسه ملكا على مقدونيا ، ولكنه لم يتهيب المخاطر وتولى ذلك العرش العظيم بمسئوليائه الجسماء في هذه السن المبكرة ، وذلك لأن الاسكندر كان يعتقد أنه خرافي الارادة مؤله النسب ، بطل لا يقهر مثل أخيليس بطل الياذة هوميروس التي كان يحتفظ بنسخة مذهبة منها ويحملها معه في كل مكان يذهب اليه • كذلك كان الاسكندر يعتقد في قراره نفسه أنه جاء ليكمل رسالة مقدسة وهي تحرير آسيا الصغرى وسوريا وقبل كل شيء مصر مقر آية آمون من جبروت ملك الفرس وطغيانه •

الاسكندر يقضي على المصاعب وحركات التمرد :

كانت أولى المشاكل التي برزت أمام الاسكندر غداة مصرغ آبيه هي ظهور بعض المطالبين بالعرش اذ بايعه الجيش المقدوني الذي كان يقوده أنتيباتر Antipater صديق فيليب المخلص • والذي كان يعسكر قرب بحر مرمرة في انتظار العبور الى آسيا الصغرى • أما الجيش الآخر والذي كان قد عبر الدردنيل فعلا الى آسيا الصغرى بقيادة أثالوس خال عروس فيليب الجديدة فقد أعلن معارضته لتولى الاسكندر وأعلن مبايعته لاموتاس الثالث ابن يوديكاس شقيق فيليب • وقد أثار ذلك حنق الاسكندر الناري فأرسل مبعوثا ألقى القبض على أثالوس وعلى باقي أفراد أسرته وأعدمهم جميعا وفر أموتاس الى أن قبض عليه فيما بعد وتنفذ فيه الاعدام أيضا •



الاستندر الأكبر
قاهر العالم المكون

(المتحف البريطاني بلندن)

استقبل الاغريق بالسرور البالغ فبا مصرع فيليب وساد بينهم اعتقاد خاطيء أن الاسكندر الشاب لن يملا حتى خذاه آبيه ومن ثم ساد اعتقاد أن الدويلات الاغريقية تستطيع أن تطالب بحريتها وتبذ المعاهدات التي عقدتها مع فيليب . وبالفعل انتشرت بواذر التمرد في تساليا وأمبراكيا حيث طردت الحاميات المقدونية ، ثم تلى ذلك اعلان أثونيا وأكارثانيا الاستقلال ، وسرعان ما بدأت بواذر القوة تدب من جديد في فوكيس . وفي بلاد اليونان الوسطى استيقظت طيبة وبدأت تحرك لطرده الحامية المقدونية من قلعتهما ، ثم أعلنت ابليس وأرجوليس في اليلوبونينوس استقلالهما وساد احساس بالراحة في مدينة أسبرطة .

كانت أينا أول من رفعت لواء الثورة ضد الاسكندر ، فعندما وصلت الأنباء اليها خرج ديموبثنيس الى مجلس الأكلisia ليرى حلما أوحى به اليه زيوس ليلا ووجهه يتحقق صباحا . ثم أعلن موت فيليب وهو يرتدي رداءا شبيها بأردية الآلهة ويضع على رأسه تاجا من الزهور وأخيرا طالب المجلس بتقديم أكليل من الزهور للقائل بأوسانياس ونقش اسمه في لوحة الشرف .

ولم تمض أسابيع قليلة على اندلاع التمرد والثورة حتى كان الاسكندر قد جمع حوله « الرفاق » المعجبين به خاصة كبار جنرالات الجيش المقدوني من أمثال بارمينيون وأقتباتر ، وسار على رأس جيش يبلغ تعداده ثلاثين ألفا ليؤدب الولايات الاغريقية المنشقة . وبدأ مسيرته الى تساليا حيث زار مدينة فيثوتيس Phthiotis مسقط رأس أخيليس بطل الألياذة .

وتكريما لهذا البطل أعلن اعفاء سكان هذه المدينة من الضرائب ثم سار الى ممر الترمويلاي . ومنه الى طيبة حيث كانت الحامية المقدونية في ضائقة وهي محاصرة في قلعة كادما . واستيقظ سكان طيبة ليجدوا قوات الاسكندر تعسكر خارج أنوار طيبة ، وسارع الأثينيون بإرسال سفارة الى الملك الشاب بقيادة ديموبثنيس نفسه ليعلنوا أسفهم للاسكندر لسوء سلوكهم نحوه وأكرم الاسكندر أنه يسير على نهج آبيه في اغراق

الأثينيين في بحر العفو المقدوني وبالفعل استقبل الاسكندر الوفد المقدوني هاشا باشا وبعد أن ألقى عليهم درسا بطولا في معنى الاخلاص والوفاء قبل اعتذارهم وأعلن حسن نواياه ازاء مدينتهم ، وما ان عاد الوفد بهذه الأنباء حتى تنفست أثينا المذعورة الصعداء وأصدرت الأكلisia قرارا بمبايعة الاسكندر واختياره بطلا حاميا للمدينة .

بعد ذلك سار الاسكندر الى مدينته المفضلة كورثا . ومن هناك دعى وفود المدن الاغريقية للالتقاء به . وعقب الاجتماع الكبير الذي حضرته كافة المدن الاغريقية فيما عدا أسبرطة ، صدر قرار بالاجماع باختيار الاسكندر قائدا عاما لقوات تحالف الاغريق والمقدونيين . وعندما وجهت دعوة للأسبرطيين للاشتراك في هذا المؤتمر أجاب شيوخهم في كبرياء « ان من عادة الأسبرطيين أن يقودوا وليس أن يقادوا » .

كما أيد ممثلو الاغريق المجتمعون في كورثا مشروع غزو دولتقارس ووعدوا بتقديم المساعدات العسكرية للاسكندر والتي كانوا قد وعدوا فيليب بها . كما وعد هو من جانبه باحترام استقلال وسيادة المدن الاغريقية ويزوي أن الاسكندر أصر وهو في كورثا أن يزور الفيلسوف الشهير ديوجينيس (Diogenes) والذي كان يبلغ الثمانين من عمره والذي جاء أصلا من مدينة سينوب (Sinope) على البحر الأسود حيث أقام في كورثا في أحد بيوت الأغنياء وقد عرف عن ديوجينيس زهده الشديد في الدنيا وارتدائه الأطمار البالية وتركه لشعره يتهدل . وكان ديوجينيس لا يأبه بشيء على الاطلاق لأنه كان يؤمن « باللاشيئية » ، ولكنه كان حاد الذكاء ، دائم التعليق على المواقف بمبارات لاذعة تهكمية . كذلك عرف عن ديوجينيس احتقاره الشديد للأغنياء والمرفهين ومن الشباب المتخث وقد سجل لنا الكاتب الفيلسوف لارتيوس عدة مواقف لديوجينيس الفيلسوف تشرح ذلك . سأله مثلا مرة أحد الشباب المتخثين سؤالا فرد ديوجينيس قائلا « دعني أولا أثبت أنك ذكر أم أنثى ؟ » .

على أي حال بحث الاسكندر عن هذا الفيلسوف الصلوك حتى وجده فألما يستجهم بالشمس الهادئة في إحدى الحدائق وتقدم الاسكندر

منه محبياً ومعرفاً بنفسه قائلاً أنا الاسكندر الملك فلم يحرك ديوجينيس ساكناً بل قال متمتما وأنا ديوجينيس الكلب (١) . عندئذ عاود الاسكندر يسأل في أدب جم : « هل هناك من شيء أقدمه لك ! » فأجاب ديوجينيس وهو يرفع رأسه قليلاً « نعم ، لا تقف بيني وبين الشمس ! » فاستدار الاسكندر عائداً في صمت من حيث أتى . ولسخرية القدر أن الفيلسوف الكهل مات في نفس العام الذي مات فيه الاسكندر في ريمان شبابه وهو لم يتجاوز الثالثة والثلاثين ربيعاً بينما رحل ديوجينيس عن العالم وهو في التسعين من عمره .

ومن كورتا سار الاسكندر الى دلفي ليستشير كاهنة أبوللون في حملته ضد الشرق ولكنه لم يجد العرافة Pythia لأنها كانت تمنطق العرافة في أيام محددة ، وقد طلبت منه أن ينتظر . ولكن كيف له وهو الذي يعتقد بأنه ابن زيوس - آمسون أن يتساوى مع غيره من البشر وينتظر الكاهنة ! فدفع الكاهنة من ذراعها الى المبد لتجيب على أسئلته ويقال أنها صاحت من الألم والمضايقة « أنت يا بني لا يقدر عليك أحد » فاعتبر الاسكندر هذه الصيحة نبوءة !

قضى الاسكندر الشهور التالية في تأمين حدود مقدونيا في الشمال في منطقة الدانوب والبحر والأسود . كما اشتبك في قتال مرير ضد الاليريين (٢) ونظراً لظفاعة المعارك فقد أشيع أن الاسكندر قد لاقى حتفه ولما وصلت هذه الشائعة الى أثينا خرج ديموستينيس على الناس يحرضهم على الثورة ضد مقدونيا وينادى بتحالف مع الفرس فكسر بذلك نصوص مؤتمر كورتا والقواعد المعنوية التي قام عليها التحالف بين المقدونيين والاغريق . وقد بلغ من تجسيم ديموستينيس للموقف أن علق ديماديس على هذا الأمر فيما بعد قائلاً : « لقد خيل لنا أن ديموستينيس قد أرانا جثة

(١) سميت هذه الفلسفة بالكلبية لأن مؤسسها الاول ديوجينيس كان يتخذ من ملعب سباق الكلاب مكاناً للتعليم ومن ثم لقب بالكلب . وكان ديوجينيس أحد تلاميذ سقراط الحكيم أنظر : أميرة مطر - الفلسفة عند اليونان ص ٢٨٧ وما بعدها .

(2) cf. N.G.L. Hammond, " Alexanders Campaigns in Illyria J. H.S., 1974, P. 66-87.

وهي مقاله مطوله تصلح فصلاً من كتاب عن حياة الاسكندر .

الاسكندر مسجاة على منصة الخطابة « ولكن الاثنين تروشا ولم يفعلوا »

تمرد طيبة وتدميرها على يد الاسكندر :

أما مدينة طيبة فقد أعلنت الثورة على مقدونيا واغتالت كبار ضباط الحامية المقدونية في قلعة كاديا « وقد أيد الاثينيون مدينة طيبة في موقعها وناشدوا كافة المدن الاغريقية للوقوف بحوارها ، وبلغ التطرف حدا أن طلبت بعض العناصر بسرعة الدخول في مفاوضات مع الفرس لاقامة تحالف ضد مقدونيا »

ولما توالى الى انماع الاسكندر أنباء ما حدث في طيبة وأثينا اعتلاه الغضب الشديد وأدرك أن الوعاء قد فاض بما فيه واتهم الاغريق بخيانة القضية الاغريقية ذاتها وذلك بعد قتل كبار ضباط الحامية المقدونية وحث يمين الولاء والصداقة مع مقدونيا ومحاولة الاتصال بالفرس « وكالبرق هبط الاسكندر على طيبة ولكن أهل طيبة لم يفتنوا الى حقيقة الموقف واستخفوا بتهديد الاسكندر بل ولم يعبأوا بعروضه لتفادي كارثة كبرى . عندئذ أعلن الاسكندر أن من يريد النجاة بحياته فليهرب من طيبة الى مصر . ولكن أهل طيبة ردوا على ذلك بعناد ووقاحة أنهم بدورهم يرجعون بأى أغريقى أو فارسى يأتى للدفاع عن أسوار مدينتهم »

أحس الاسكندر بأن السيل قد بلغ الزبى فهجم على طيبة من الناحية الجنوبية القريبة من القلعة حيث الحامية المقدونية المحاصرة ودار صراع عنيف في شوارع المدينة وفي السوق وفي كل مكان « وأخيرا وهنت مقاومة أهل المدينة فسقطت في يد الاسكندر الغاضب الذى أمر بذبح السكان نساءا أطفالا وشيوخا وشبابا كما وقع في الأسر ما يقرب من ثلاثين ألفا ولم ينج من الموت أو الأسر الا عدد قليل »

بعد ذلك دعى الاسكندر حلفاءه لتقرير مصير طيبة، فصوتوا بالاجتماع على ازلتها وتسوية مبانيها بالأرض وكانت مدينة فوكيس من أشد المتحمسين لهذا القرار ولم يستثنى من الدمار سوى معابد الآلهة وبيت

الشاعر القديم بندار . وعلى نضات المزامير انهالت المعاول بلا رحمة تزيل طيبة من الوجود وتمحوها من التاريخ .

أما فيما يختص بالأسرى فقد أصدر الاسكندر عفوه عن الكهنة ، وأقاربهم وكذلك عن آل الشاعر بندار وكذلك كل من أعلن ولاءه لمقدونيا أما الباقيون فقد بيعوا في أسواق النخاسة . ثم قسمت أراضي المدينة على المدن المجاورة واحتفظ الاسكندر لنفسه فقط بقلة كادمية .

عودة المدن الاغريقية الى حوزة مقدونيا :

كان المصير الذي حاق بطيبة ضربة قاضية لروح الاغريق المنوية ، لقد جاءت سريعة وقاسية وقاضية ، وكان من الطبيعي أن ترتعد أثينا خوفا على مصيرها خاصة وأنها كانت المحرقة الأولى لثورة طيبة .

كان أول رد فعل لسقوط طيبة هو تغيير أركاديا لسياستها بسرعة إذ استدعت قواتها التي كانت في طريقها لتجدة طيبة وحاكت السياسين الذين دبروا ارسال هذه المساعدة ، أما ايليس فقد أسقطت الحزب المعادي لمقدونيا وأحلت محله جماعة أصدقاء مقدونيا أما إتوليا فقد أرسلت تستعطف الاسكندر لموقعها السابق وحزت حذوها كافة المدن الاغريقية فيما عدا أسبرطة المنطوية على نفسها .

وقد بلغ الخوف مداه في أثينا لدرجة أنهم ألغوا الاحتفالات الدينية في اليوسيس ثم كسروا الرعب بارسال سفارة لتهنئة الاسكندر على قمع الثورة (١) ولكن الاسكندر رد بضرورة تسليم زعماء التمرد وروهوس افنتة خاصة ديموشثينيس . ولم يصدق الأثينيون هذا الطلب المعتدل فأرسلوا سفارة مكونة من السياسين أصدقاء مقدونيا من أمثال ديماديس والجنرال فوكيون، ورجب الاسكندر بهذه السفارة واستمع بشغف الى الجنرال المعجوز الذي كان يعجب به أشد الاعجاب .

ولم يشأ الاسكندر أن يكرر مأساة طيبة التي كان ضميره يؤرقه بسببها ، لأن الاسكندر كان دائما يمانى من تأييب الضمير بعد الغضب

والانتقام البشع . خاصة أن طيبة التي كان بالأمس سيدة هيللاس أضحت
أطلالا وهي التي كان لها الفضل على العرش المقدوني . كما أنها كانت
موطن ديونيسوس رب الخمر الآله المفضل لدى الاسكندر . فوافق
الاسكندر على مسامحة أثينا والعودة الى السلام معها بشرط تهي زعماء
الحزب المعادي لمقدونيا من أمثال خارديموس Charidemos الذي كان
قد دعى الى القتال ضد الاسكندر حتى الموت كما اشترط الاسكندر أن
يمتزل ديموستينيس السياسة وأن يحال للتحقيق فيما نسب اليه بأنه قد
تلقى أموالا من الفرس وأخيرا أرسل الاسكندر رسالة مطولة للآثينيين
يطالبهم فيها بالتخلي عن مثل هذه الأعمال مستقبلا وينذرهم بالبطش بهم
لو فكروا في القيام بمثل هذا العمل أثناء غيابه في حملته المستقبلية ضد
الامبراطورية الفارسية .

هكذا ما كاد خريف عام ٣٣٥ ق . م يقدم حتى كان الاسكندر ابن
الواحد والعشرين ربيعا قد أخضع الاغريق بضرية واحدة واتزع لنفسه
قيادة القوات الاغريقية والمقدونية ، وأصبح زعيما لا ينافس يفرض
سلطانه على منطقة شاسعة تمتد من البيلوبونيسوس جنوبا الى حوض الدانوب
شمالا ومن جزيرة كوركيلا غربا الى البسفور والدرذيل شرقا . وعاد
الى مقدونيا كبطل جدير بالاعجاب وبدأ الاغريق يغيرون من نظرتهم له
ويحسون بأن نجما جديدا قد بزغ في سماء المجد ومن الخير لهم أن
يكونوا معه لا عليه .

حملة الاسكندر الكبرى نحو الشرق :

وفي ربيع عام ٣٣٤ ق . م (١) عبر الاسكندر مضيق الدردنيل من مدينة
مستوس الى مدينة أبيدوس (Abydos) على الجانب الآخر ، في ضحلة
جيش يربو على اثني عشرة ألفا من المقدونيين واثني عشرة ألفا من الاغريق

(١) cf. G. Wirth, "Darieos und Alexander, Chéron, I, 1971, p. 133-152.

وفيها يرسم لنا مقارنه نفسه بين الاسكندر الشاب القوى وبين
دارا الثالث الضعيف الفاشل ويدافع عن حملة الاسكندر ضد الفرس بأنها
كانت هامة لمنع الفرس من تدبير خطة للهجوم على بلاد الاغريق ويدل على
ذلك بأن الاسكندر سار الى الشرق في ظروف صعبة بالنسبة للحكم المقدوني
في بلاد اليونان الوسطى ولكنه ضحى بذلك من أجل منع الخطر الخارجي .

والمرتزقة . وكانت قيادة الحملة كلها في أيدي المقدونيين . اذ كان الاسكندر بمثابة القائد العام ، يليه الجنرال بارمينيون وولداه فيلوتاس الذى كان يقود فرقة الفرسان « الرفاق » - ونيكاندر - الذى كان يقود حملة الدروع . ومن أسماء القادة المقدونيين الذين لمعت أسماءهم برديكاس وأمونتاس وملياجر ، وكليتوس الذى كان يتولى حراسة الاسكندر مع الحرس الملكى وأنتيجونوس الذى كان يقود قوات الحلفاء الاغريق والمرتزقة كذلك كان للاسكندر مجموعة من الرفاق يكونون أركان حرب الجيش تعرف منهم ثلاثة عشر من بينهم بطليموس بن لاجوس وسليوكوس ولوسيماخوس وهم الذين لمعت أسماءهم بمد موت الاسكندر .

كذلك اصطحب الاسكندر معه مجموعة من العلماء والباحثين ليرصدوا مصادر الطبيعة في البلاد المفتوحة ، ومؤرخه كاليستين Callisthenes الذى كلفه بتدوين يوميات الحملة وقد وعد حلفاؤه الاغريق أن يزودوه بأسطول كبير قوامه مائة وستين سفينة .

معركة نهر جرانيكوس :

بعد أن عبر الاسكندر مضيق بحر مرمرة سار جنوبا الى مكان طروادة القديمة حيث توقف لتقديم الاضاحى والتسائم في ذكرى أجاسمنون قائد الحملة الاغريقية . ثم عبر بعد ذلك نهر جرانيكوس Granicus وهناك دارت رحى أكبر معركة مع الفرس كاد الاسكندر أن يقتل فيها لولا شجاعة قائد حرسه كليتوس . وانتهت المعركة بهزيمة الفرس وأسر ألفين من المرتزقة الاغريق أرسلوا للعمل في حقول مقدونيا مدى الحياة عقابا لهم لاشتراكهم في جيوش معادية للاغريق والمقدونيين طبقا لقرارات مؤتمر كورثا .

ونتيجة لهذه المعركة استسلمت سارديس دون قتال و تلى ذلك مبايعة المدن الايونية للاسكندر واعتباره محررا ونصيرا للديموقراطية ضد الاوليجارخية العميلة للفرس . ولم يقف في وجه الاسكندر سوى مدينتان

هما ميليتوس Miletus وهاليكارناسوس ولكن وصول الأسطول المقدوني ودخوله المعركة أسقط هاتين المدينتين وطرد الأسطول الفارسي من مياهما ثم أجبرتا على الدخول في الحلف الاغريقي - المقدوني بالقوة . كما طالب أهل خيوس باعلان الولاء له (١) .

بعد ذلك عين الاسكندر أرملة الملك ادريوس idrieus حاكمه على ملك زوجها وهي مسلكة كاريا ، كما أبقي سترابات الفرس في وظائفهم بعد أن بايعوه . ولم يغادر الاسكندر ساحل آسيا الصغرى الا بعد أن اطمأن الى أن الأسطول الفارسي لن يقوى على العودة اليه (٢) عندئذ أمر أسطوله بالتحرك لأنه كان يدرك أن المعركة الفاصلة بينه وبين الملك دارا هي معركة تقررها الجيوش البرية في المقام الأول .

وفي شتاء عام ٣٣٣ ق . م أرسل الاسكندر بعض جنوده المقدونيين حديثي الزواج لتقضاء أجازة قصيرة في مقدونيا ، ثم أوكل الى قائده بارمينيون أمر قيادة الفرسان على أن يلتقي به في فريجيا بينما قاد الاسكندر باقى القوات بنفسه الى ليكيا وبامفيليا وبسيديا وأصبح أسلوبه هو مهاجمة القبائل المتعصبة بسفوح التلال وتضييق الخناق عليها ثم سحقها . وبعد تأمين ليكيا وبامفيليا ، عين نيارخوس حاكما عليها .

وبعد الاستيلاء على فريجيا عين أتيجونوس واليا عليها . وقضى الاسكندر عدة أيام في فريجيا شاهد أثناءها عربة جوردياس المؤسس الأسطوري لهذه المملكة القديمة .

وفي جورديون تلقى الاسكندر امدادات عسكرية من مقدونيا والحلفاء وتقدم سوب أنكورا Ancyra (أنقرة) ومنها جنوبا الى

(1) G. Wirth, " Die Syntaxels von Kleinasien in 334 v. Chr. Chiron, 11, 1972, P. 91-98.

كذلك أرجع الى النقش المعروف باسم خطاب الاسكندر الى أهل خيوس والذي اميد نشره والتعليق عليه حديثا . (Tod, 11, 1970, p. 266-267).

A. W.G. Forrest, Alexander's letter to the Chian. Klio, LI, 1969 p. 201-206.

(2) cf. H. Hauben, " The Command Structure in Alexanders Mediteranean Fleet Ancara Society. III, 1972, PP. 55-56.

كابادوكيا وكيليكيا حيث وضع يده على بوابات كيليكيا الشهيرة ثم استولى بعد ذلك على ميناء طرسوس Tarsus.

موقعة اسوس ودخول الاسكندر الشرق الاوسط :

ومن طرسوس سار الاسكندر جنوبا في اتجاه سهل اسوس الضيق المؤدى صوب سوريا ولما سمع بوجود دارا في مدينة سوخي بسوريا (وهي احدي أعمال لواء الاسكندرونة في سهل بحيرة اظاكية) اتجه اليه ولكن دارا سبق الاسكندر بالهجوم على اسوس وقتل الجرحى المقدونيين . عندئذ سارع الاسكندر لملاقاة الجيش الفارسي الذي كان قد تحصن قرب نهر بيناروس بين التلال والبحر . وكان يبلغ تعداداه ٣٥٠٠٠٠ من الفرس والاغريق المرتزة (١) اما جيش الاسكندر فكان اقل من ذلك بكثير .

وفي شهر اكتوبر عام ٣٣٣ التحم الجيشان واستخدم الاسكندر نفس التكتيك الذي استخدمه في جرانيكوس حيث ابلى الجنرال پارمينيون بلاء حسنا ونتيجة لذلك لم يصد الفرس طويلا فانسحب دارا وبجته قواته وسقطت سوريا كلها في يد الاسكندر الذي استولى على عربة دارا الملكية وخيخته وقوسه ولأول مرة شاهد الاسكندر بذخ الشرق الخرافي . ولما أدرك الاسكندر أن أسرة دارا موجودة في الحية أبدى نحوها عظما ورعاية .

لقد كان لاتتصار موقعة اسوس Issos صدى واسع . ففى كل مكان ذهب الاسكندر اليه وجد انتصاراته قد سبقته . ومن ثم انهضت الأحزاب المعادية لمقدونيا وحلت محلها الأحزاب المتعاطفة مع الاسكندر . وأعلنت ييلوس Byblos (جيل في لبنان) وحيدون (صيدا) وجزيرة رودس للمباينة للاسكندر أما مدينة صور فقد قاومت بناد وشراسة جيوش الاسكندر وظلت سبعة أشهر تقاوم الحصار وترد الهجوم بالرغم من أن الاسكندر جرب ضدها أحدث وسائله العسكرية وكاد الاسكندر أن يئس من الاستيلاء عليها . ولكنه تمكن في النهاية من تدمير أسطول

(1) G.L. Maurison, "Dareios III, and the battle of Issos, Historia, XXI, 1972, P. 399-423.

مصور وهدم جزءا من حائط المدينة وردا على قتل أهل صور للأسرى المقدونيين أعمال الاسكندر قتلا وقتكا في أهلها وبيعت النساء والأطفال في أسواق الرقيق .

وفي خريف عام ٣٣٢ ق م سقطت غزة آخر قلعة في الطريق الى مصر ، بعد مقاومة عنيفة . وأرسل الملك دارا يعرض على الاسكندر شروطا مجزية للصلح . منها التنازل عن كل ممتلكاته الواقعة غرب دجلة والفرات وأن يدفع غرامة حرب كبيرة وأن يزوج الاسكندر من يريد من بناته مقابل أن يرد اليه زوجته وباقي أسرته ولكن الاسكندر رفض بشدة هذا العرض السخى وأعلن أنه ينبغي مملكة فارس ذاتها وليس ممتلكاتها . ولم يعد أمام الطرفين سوى القتال حتى الموت .

الاسكندر الأكبر في مصر :

كما قلنا ، بعد سقوط صور سار الاسكندر بقواته بحذاء الساحل السوري والفلسطيني حتى وصل غزة في خريف عام ٣٣٢ ق م . حيث وجد الحامية الفارسية بقيادة باتيس قد قامت بتحصين المدينة جيدا و نظرا للموقع الاستراتيجي الهام للمدينة فقد وقف الاسكندر أمامها حائرا . فغزة تقع على حافة الصحراء السورية وفي نفس الوقت تطل على البحر المتوسط . والمدينة القديمة كانت تطل من ربوة عالية على منحدر كبير ويحيط من حولها الخنادق والتحصينات مما جعلها قلعة لا يمكن أن تسقطه

وقد اعتمد قائد الحامية الفارسية في غزة على الجيوش العربية والفارسية وعلى مخازن الغلال المتلثة في الصمود أمام الحصار . ويبدو أن الفكرة التي كانت في مخيلة القائد الفارسي هي المقاومة والصمود لحين أن يسترد الملك دارا قوته ويتمكن من توجيه ضربة قاضية للاسكندر . كما أمل القائد الفارسي لغزة أن يجد بعض العون من قبل حاكم مصر الفارسية .

وكان الاسكندر قد بحث بخبرائه ومهندسيه لتفحص القلعة وانتظر هو مع جيشه في الخيام حتى صمم مهندسوه وسيلة لمهاجمة المدينة والاستيلاء عليها . وبعد اشتباك شرس وعنيف سقطت غزة في يد الاسكندر بعد أن

تلقى جرحاً كاد أن يقضى عليه . وسحب الملك المقدوني جثة بائيس خلف عربته وكأنه أخيليس (١) بطل الإلياذة سحب جسد غريمه هكتور الطروادي أمام حائط طروادة ، بينما تدفق جنوده ينهبون المدينة وبفتكون بأهلها ويقول كورتيوس أن ما لا يقل عن عشرة آلاف من القرس والعرب لاقوا حتفهم وبيعت النساء والأطفال . واستولى الملك وجنوده على كميات كبيرة من البخور والعطور العربية التي اشتهرت بها المدينة ويقال أن الاسكندر أمر بإرسال كميات منها لمعلمه ليوتيداس كما أرسل الهدايا إلى أنه أولمبياس وأخته كليوباترا . واحتفظ لنفسه بصندوق مطعم بالعاج وضع فيه نسخة من الإلياذة التي كان يحملها معه دائماً أينما ذهب .

وفي حوالي منتصف شهر نوفمبر عام ٣٣٣ ق.م. وجد الاسكندر نفسه يندق باب مصر عند مشارف بيلوزيوم Pelusium (الفرما) بوابة مصر الشرقية ، وهناك وجد أسطوله في انتظاره بقيادة أميراله هيفايستون . ولا تزال حتى الآن أطلال الفرما القديمة قائمة في الصحراء الشرقية على مسافة ثمانية عشرة ميلاً شمال شرقى مدينة بور سعيد . ولم يجد الاسكندر عند حدود مصر مقاومة مضادة ، لأن مـ تراب مصر الفارسي ، والذي كان يدعى مازاكيس آثر أن يستسلم ويوفر على نفسه عار الهزيمة . فسلم القلعة بذهبا وخيراتها إلى القاهر المقدوني وأصبحت مصر تحت قدمى الاسكندر (٢) .

كانت الأحوال في مصر غير التي كانت أيام الفراعنة . فقد مات ملوكها العظام ومات معهم الإمبراطورية المصرية منذ ألف سنة تقريباً قبل مجيء الاسكندر .

ولكنها كانت وطناً مفتوحاً أمام التجار الإغريق الذين تدفقوا عليها منذ القرن السابع ق.م. خاصة بعد أن أسسوا مستعمراتهم التجارية قراطيس (سيدة البحار) Naukratis على الفرع الكانوبى للنيل (الفرع

Gurtius, IV, 6, 69.

(١)

(٢) انظر ابراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة - الطبعة

الرابعة - الجزء الاول - القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٧ - ١٨ .

الغربي) وموزعة الآن بين قرى تفرش ونبيرة وكوم جفيف التابعة لمركز
إيتاي البارود محافظة البحيرة .

كذلك وجد الجنود المرتزقة الاغريق عملا في الجيوش المصرية كما
يشهد بذلك نقش أبو سنبل الشهير الذي سبق الحديث عنه . وكانت
السفن الاغريقية تأتي وتروح محملة بالبضائع والحضارة . والحقيقة أن
علاقة مصر بالاغريق ترجع الى أيام كريت وموكناي . ولكن ملوك الأسرة
انصاوية في مصر شجعوا العلاقة مع الاغريق ووثقوا من الارتباط بمدنهم
في أيونيا وبلاد اليونان خاصة أن ملوك هذه الأسرة قد عرفوا بحبهم
للحضارة الاغريقية لدرجة أنهم أقروا تدريس اللغة الاغريقية للتلاميذ في
المدارس المصرية .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الجنود المصريين حاربوا الى جوار
اغريق آسيا وليديا عندما اجتاحتها قورش الأكبر في النصف الثاني من
القرن السادس . وعندما هاجم قمبيز مصر عام ٥٢٥ قاوم الجنود الاغريق
المرتزقة مع المصريين لصد هذا الاحتلال الفارسي . ولما ثار ايناروس
سارعت أثينا بتأييد هذه الثورة وأرسلت جزءا من أسطولها دمر عام
٤٥٤ ق.م حيث هزمت القوات الاثينية قرب ممفيس بعد أن تكبدت
خسائر ماحقة في ذلك العام الحاسم . وقد أدت هذه الهزيمة الى رد فعل
قوى هو تحول حثب ديلوس الى امبراطورية لأثينا .

ومن ناحية أخرى كانت مصر دائما كعبة العلم والنور بالنسبة
للاغريق ، قصدها طلاب العلم والمعرفة خاصة فلاسفتها للاستزادة من
الحضارة المصرية . فنحن نعلم أن المشرع الاثيني سولون زار مصر، كما
زارها أيضا فيلسوف جزيرة لندوس الشهير كليوبولوس Kleobolos
وطاليس فيلسوف ميليتوس وبيثاجوراس (فيثاغورس) الساموسي وغيرهم
من طلاب المعرفة ورواد العلوم .

لقد اعتقد هؤلاء الفلاسفة والحكماء أن مصر هي المهد الأول للأسرار الكهنوتية ومهبط وحى الفنون والعلوم ، كما سحرتهم آثارها الخالدة التى حرصوا على زيارتها والتفرج عليها • وفى خلال القرنين الخامس والرابع زاد تدفق طلاب المعرفة على مصر فزارها هيرودوت الذى جاء لمشاهد وليسمع ويسجل بنفسه أعاجيب وطبيعة هذا البلد الغريب كما زارها أفلاطون باحثاً عن نماذج عملية لنظريته الشهيرة فى التذكر من خلال الفكر الدينى المصرى الغامض وعن طريق الكتابة انهيروغليفية •

ولم تكن أثينا وحدها الخريصة على مساعدة مصر بل حاول ملك اسبرطة الأعرج أجسيلاتوس Agislaos تحريرها عام ٣٦٠ ق م • ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل •

لقد كان التبادل الحضارى بين مصر والإغريق قديماً منذ وقت مبكر ، ولقد نقل الإغريق الكثير عن الديانة المصرية ، بل أنهم قبلوا الهة مصرية دون تغيير أو تبديل مثل آمون الذى غزت عبادته أوروبا وشيدت من أجله العديد من المعابد آخرها المعبد الكبير الذى شيد فى أثينا عام ٣٣٣ ق م أى قبل عامين فقط من غزو الإسكندر لمصر ، ولقد استاء الإغريق عندما سمعوا بتدنيس الفرس للمعابد المصرية وقتلهم عجل آيس لأنهم كانوا يشعرون بأجلال ورهبة إزاء هذه الديانة • وقبل كل شئ كانت مصر جوهرة التجارة الإغريقية التى يجب الحفاظ عليها مستقلة أو على الأقل محايدة ولكن ليس فى أيدي الفرس بأى حال من الأحوال •

وإزاء ذلك أشاع الاسكندر مقدما أنه جاء ليحرر مصر من عبودية الفرس ويرحب المصريون بالبطل الذى يدعى أنه من نسل ربهم آمون • ولما كان المصريون شعباً متدينين فقد رحبوا بالاسكندر وقبلوه فرعوناً وبطلاً محرراً من ظلم الفرس وتمتعهم •

وسار جيش الاسكندر بخطوات الأوز وكأنه فى نزعة طوال الطريق من ميلوزيوم الى ممفيس (ميت رهينة) وهو طريق يبلغ طوله حوالى المائة والعشرين ميلاً ، عن طريق الصحراء الشرقية عبر هليوبوليس (المطرية) مقر معبد

الشمس الكبير وجامعة أوون القديمة ، والتي تكاد تواجه ممفيس على
الجانب الشرقي لنهر النيل •

عبر الاسكندر النيل من الشرق الى الغرب في صحبة أسطوله الذي
كان قد لحق به ودخل ممفيس وسط خفاوة كهنتها وشعبها البالغة . لقد
كانت ممفيس مقر معبد بتاح ومقر عجل آيس المقدس وقد أسعد المصريين
الفارق العظيم بين سلوك الاسكندر المذهب وسلوك قمبيز عندما ذبح
عجل آيس المقدس منذ مائتين عام تقريبا ، ثم تقدم الاسكندر الى معبد
بتاح وحيث حظيرة عجل آيس المقدس وقدم الأضاحى والقرايين في
خشوع لرب ممفيس بتاح العظيم وزوجته سحمت وابنهما تفرقوم •
وليس من المستبعد أن يكون الاسكندر قد طاف بمنطقة سقارة وآثارها
وتفرج على السيرايوم - مقبرة المعجول المقدسة - ومدافن الفراعنة
والأشراف العظام وسواء كان الاسكندر صادقا أم مثلا رائعا فقد انتزع
اعجاب المصريين وحبهم فقبلوه ابنا لآمون وفرعونا عليهم ، ويقال انه
توج في معبد بتاح وأعطى الألقاب المقدسة الخاصة بالفراعنة مثل « ابن
الشمس » و « صنى رب الشمس » و « حبيب آمون » الخ • ولا تزال
هذه الألقاب المنقوشة باقية حتى الآن على بعض المعابد المصرية ، بل ظهر
رسمه على الحوائط وهو يضع على رأسه تاج الوجهين الذي تزينه
انكوبرا المقدسة •

ويروى لنا أريانوس أن الاسكندر أعلن الاندماج الحضارى بين مصر
وببلاد الاغريق عندما أقام مهرجانه الكبير حيث عرضت فيه المباريات
انرياضية ومباريات الموسيقى والشعر واللقاء والانشاد • وقد اشترك
في ذلك المهرجان فريق من المغنين والموسيقيين والممثلين والراقصين
والرياضيين الاغريق الذين كانوا يصحبون الجيوش كفرقة ترفيه عن
الجنود • وعلى أى حال لم تكن الحضارة الاغريقية غريبة على المصريين ،
فقد تعودوا عليها ولمسوها من احتكاكهم بالتجار والزوار والاغريق بالرغم
من أنهم عافوا أن يقلدوها الا فيما ندر •

تأسيس مدينة الاسكندرية :

وبعد أن أقام الاسكندر بضع أسابيع في منفيس سار غربا متتبعا الفرع الكانوبى للنيل حتى وصل الى مدينة كانوب القديمة (كوم سمعدى) عند حافة الدلتا الشمالية الغربية . وشاهد الاسكندر بحيرة مريوط Mareotis تلك البحيرة التى يفصلها عن البحر المتوسط شريط رفيع من الصخور والرمال لا يتعدى عرضه ميلا واحدا ، وعان الاسكندر هذا الشريط الضيق من الأرض الواقع بين البحر والبحيرة والذى لا يعد سوى عشرين ميلا غربا من كانوب القديمة واختاره ليبنى عليه مدينته الجديدة فى مصر، وقد لاحظ الاسكندر أن هذا المكان يكاد أن يكون جزيرة مستقلة . وفى نفس الوقت يرتبط بالدلتا عن طريق أحد فروع النيل مما يجعله (١) مرتبطا بنقراطيس التى تقع على مسافة ليست بالبعيدة . وبمنفيس العاصمة الفرعونية وبذلك يمكن ربط الاسكندرية بالبحر الأحمر عن طريق القناة القديمة التى تربط النيل بالبحر الأحمر مما يؤهلها لأن تكون ميناءا عالميا بين الشرق والغرب ، وفى مواجهة هذا الشريط الرملى كانت تقع جزيرة صغيرة اسمها فاروس Pharos (مكانها الآن قلعة قايتباى) ولا يفصلها عن الساحل سوى مسافة ألف ياردة ، ومن العجيب أن هذه الجزيرة قد أشارت اليها الاوديسا (٢) . وقد روى التراث الشعبى أن الاسكندر سمع فى نومه هذه الأبيات من الأوديسا تتردد على أسماعه فقرر بناء مدينة تحمل اسمه .

درس الاسكندر كل هذه المزايا الاستراتيجية للموقع ووجد أنه من الممكن إقامة مدينة تفوق مدينة صور (٣) التى وقف ازاءها حائرا وعاجزا لحين من الزمن كما وجد الاسكندر مثلا أن جزيرة فاروس تمثل حاجزا لموج البحر المتهدر وتقيم خلفها ميناء هادئا لرسو السفن . كذلك وجد (١) وهى ترعة سخديا القديمة ويقوم مقامها ترعة المحمودية الآن

او التى كانت تعرف بالرياح الناصرى فى العصور الوسطى .

Odessey, IV, 355.

(٢)

(٣) يرى الاستاذ بل أن الاسكندر لم يكن يريد محو صور من الوجود لأنه كان سيدرك لو عاش مدى أهميتها بعد فتح فارس ولكنه مات قبل أن يعيد بناءها وهذا أعطى الاسكندرية الفرصة للازدهار والتوسع لتصبح المدينة التى لا تنافس فى حوض البحر المتوسط انظر :

Hi, Bell, " Alexandria, J.E.A. XIII, 1927, P. 171-184.

الاسكندر أنه في الامكان اقامة ميناء غربي للمدينة بربطها بالدلتا عن طريق القنوات والطرق (مكانها محطة الركاب الحالية) والسفن الصغيرة .

وعندما هم الاسكندر بترجمة هذه الدراسات الى الواقع ، وجد في هذا المكان المزمع اقامة مدينته فيه ، قرية مصرية يسكنها صائدو الأسماك وتسمى واقوده Rhacotis (١) وربما لهذا السبب اتخذت الربة ايزيس الربة العامية لمدينة الاسكندرية بل وأقيم لها العديد من التماثيل ، كما تضمنت خطة البناء اقامة معبد كبير لهذه الربة فوق جزيرة فاروس حيث بنى القنار النهر عند طرفها ليهدي السفن والذي كان احدي عجائب الدنيا السبع . وفي مواجهة طرف الجزيرة الشرقي كان يبرز لسان ضيق من الأرض الى قلعة في البحر (رأس لوخياس القديمة السلسلة الآن) واختار الاسكندر المساحة بين اللسان وطريق كانوب لتكون مقرا للحى الملكى Regia ، وكان هذا الحى يشغل أكثر من مساحة ربع المدينة القديمة . واختط المهندسون شوارعاً عريضاً يقطع المدينة من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب (شارع السوما - النسي دافال) ليتقاطع مع شارع عريض آخر يقطع المدينة من أقصى الشرق الى أقصى الغرب (طريق الحرية) ويزيد طوله على ميلين وعرضه على مائة قدم تقريباً ويحده من الشرق بوابة الشمس ومن الغرب بوابة القمر ، وقد عرف هذا الشارع بطريق كانوب ، وعلى جانبي هذا الطريق الكبير كانت تقام الأروقة المسقوفة Stoa (البواكى) لتسبح المارة الظل والالتجاء من المطر . وفي نفس اوقت كانت مكانا للخطباء والمعلمين والمبشرين بالنظريات الفلسفية ، وفي قلب المدينة في المنطقة الواقعة ما بين شارع كانوب والبحر اختطت ساحة المدينة الرئيسية حيث أقيم فيها معبد ثرب بوسيدون رب البحار وهو من أهم ملامح المدينة القديمة وبحوار المعبد أقيم المسرح الكبير والمكتبة العامة ودار الحكمة (Museion) كما شملت مرافق المدينة الجديدة والأرصفة ومستودعات المياه وعلى الجانب الآخر من طريق كانوب أقيمت ملاعب الرياضة والترية gymnasion وملعب السباق ودار حفظ الوثائق . . الخ (٢) .

كذلك شملت مدينة الاسكندرية القديمة حديقة كبرى للحيوانات
زنت بالنافورات . ويقول فيلون أن المدينة قسمت الى خمسة أحياء أعطى
لكل منها حرفا من الحروف الأبجدية اليونانية مثل حى الألفا والبيتا
والجاما والدلتا والابسيلون وأن اليهود كانوا يسكنون الحى الرابع
(حى الدلتا) .

كذلك شمل تخطيط المدينة عدة شوارع ضيقة فرعية تتقاطع مع
الشوارع الرئيسيين فتبدو المدينة وكأنها لوح شطرنج ومن حولها
أقيمت الأسوار التى يتخللها الأبراج والعصون . (١)

وبالرغم من أن المدينة قصد بها فى الأصل أن تكون مستعمرة مقدونية
فى الدرجة الأولى الا أنها أصبحت عالمية . بفعل الهجرة إليها من كافة
أنحاء بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، ومع هذا فقد ظل الحى الغربى المقام
فوق راقودة (ومكانه كوم الشقافة - كرموز حاليا) حيا مصرية حيث
أقيم فيه معبد سيرايس الشجر .

ولا نعرف بالضبط التاريخ الذى وضع فيه أساس المدينة الا أنه
احتل فيا بعد بتاريخ انشائها فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر
الخامس من السنة المصرية أى فى شهر طوبة (يناير - فبراير) وقد قام
المهندس دينوكراتيس Deinocrates بتكليف من الاسكندر بوضع
التخطيط العام للمدينة . وكان هذا المهندس قد فرغ لتوّه من الاشراف
على بناء معبد الزهرة أرتيس فى افيوس والذى اعتبر أحد عجائب الدنيا
السبع فى العالم القديم ، وقد امتزجت عبقرية اختيار المكان بمقبرة
التخطيط العمرانى حتى أضحت أثرا خالدا للأجيال المستقبلية وأصبحت
الاسكندرية يوما ما وريثة لعرش الحضارة الأغريقية حتى حجبت أثينا

(٢) كشف الفلكي باشا من سبعة شوارع صغيرة كانت تقطع المدينة
من الشرق الى الغرب وأحد عشر شارعاً عرضياً كانت تقطع المدينة من الشمال
الى الجنوب ، وذكر أنها كانت تحمل أسماء افراد الاسرة الحاكمة وكانت
مرصوفة بالبازلت الأسود أو الأصفر .

ذاتها . وبلغ من جمالها واتساعها أن أصبحت حديث العالم وملتقى عدة أجناس مختلفة (١) .

٢- زيارة الاسكندر لمعبد آمون في واحة سيوة :

غادر الاسكندر مكان الاسكندرية بعد أن أشرف على وضع التخطيط العمراني لها وترك العمال والمهندسين يعملون ، وسار هو غربا بقصد فتح مدينة قورينه المستولمة الاغريقية الشهيرة في ليبيا (مكانها قرية شحات قرب برقة) وتحريرها من سيطرة الفرس ، واتخذ الاسكندر الطريق المعتاد على طول الساحل الشمالى لافريقيا بجوار البحر حتى وصل الى بارايتونيوم (مرسى مطروح) ، ولكنه فوجئ هناك بوجود وفد من قورينه جاء ليعلم البيعة ويحمل الهدايا الثمينة للقاتح العظيم . وقبل الاسكندر مسرورا الهدايا والمبايعه التي جعلته يسيطر على مساحة شاسعة من شاطئ افريقيا الشمالى حتى حدود قرطاجه في تونس فأصبح بذلك سيدا على البحر المتوسط كله والبلاد المطلة عليه .

أحسن الاسكندر أن الوفد القوريني قد وفر عليه مشقة السفر الى ليبيا ، ومن ثم وجد أن لديه وقتا لزيارة معبد آمون في واحة سيوة . والقيام بتلك الرحلة الرومانسية من أجل اشباع الاحساس الدفين في نفسه بأنه ابن آمون رع . لقد دفع هذا الاحساس الاسكندر لأن يتجه جنوبا من بارايتونيوم (مرسى مطروح) الى قلب الصحراء الفريية القاتلة ليقطع مسافة ١٨٠ ميلا في ثمان أو تسعة أيام في زمهرير الشتاء القارس لعام ٣٣١ ق.م. وفي مواجهة الرياح المحلة بالرمال . انها مخاطرة ميسرة حتى في عصرنا الحاضر رغم تقدم وسائل الاتصال والامداد . فلا زالت

(١) عن مدينة الاسكندرية القديمة وآثارها ومظاهر الحياة فيها ظهرت عدة ابحاث باللغة العربية منها : زكى على : الاسكندرية تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطالمة - مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية العدد الثانى (١٩٤٤) والعدد الرابع (١٩٤٨) ايضا انظر محمد عواد حسين - لطفى عبد الوهاب ومصطفى العبادى : الاسكندرية منذ أقدم العصور - منشورات محافظة الاسكندرية ١٩٦٣ ، أما الاستاذ الدكتور ابراهيم نصحي فقد اورد في الجزء الثانى من كتابه مصر في عصر البطالمة وصفا دقيقا للمدينة ومبانيها وسكانها من ص ٢٧٢ - ٣١٠ .

هناك القوافل التي تفضل وتهلك بسبب العطش ، مما شجع على انتشار الأقاويل والشائعات حول المساعدات الربانية والشواهد المساوية التي قادت الاسكندر سالما عبر هذه الصحراء الميئة الى الواحة المقدسة حيث تطلها أشجار النخيل والتين والزيتون والتي تروىها عدة آبار وعيون مائية (١) .

ويروي لنا أريانوس كيف أن الاسكندر راح يبلا عيونه بالرهبة المقدسة في كل مكان تفقده في الواحة ، وعندما اقترب من معبد آمون انشعب وجد الكهنة في انتظاره ، ودخل الاسكندر الى قدس الأقداس حيث تم اللقاء بين الاله في صورة التمثال وبين الابن في صورته البشرية . ولما سأل الاسكندر عما اذا كان قد اقتص من كل الذين دبروا مقتل أبيه رد عليه الكاهن « وضع غبارك فلا أحد من البشر يقدر على قتل أبيك ، أما قتلة فيليب فقد نالوا جزاءهم » . ولقد تضمنت هذه العبارة — ان صحت — اعترافا صريحا من جانب الكهنة ببؤنة آمون . وقد سبب هذا ارتياحا كبيرا في نفس الاسكندر . ويروي لنا بلوتارخوس أن الاسكندر كتب الى أمه فيما بعد خطابا ذكر لها فيه أنه عرف أسراراً أخرى من كهنة المعبد ووعد بأنه سوف يروىها لها عند عودته الى بيللا . ولكن القدر لم يمهله ليفعل ذلك .

وبعد أن استراح الاسكندر بضعة أيام في الواحة استدار راجعا الى منفيس وقد كان هناك تغير واضح في سلوك الاسكندر بعد زيارته لمعبد آمون في سيوة اذ راح يتصرف باستعلاء وكبرياء تجاه الاغريق فيما عدا المقدونيون الذين استاءوا لهذا التصرف ويقال أنه ذكر في خطاب الى الآثينيين عبارة تدل على جدية اقتناعه بأنه ابنا لآمون وذلك عندما أشار الى أبيه فيليب « الذي كان يدعى في الماضي بوالدي » (٢) بل وضع الاسكندر منذ ذلك الوقت على رأسه قرني كبش آمون ومن ثم أشار اليه التراث بأنه ذو القرنين

(١) من رحله الاسكندر الى واحه سيوة انظر :

C.B. Welles, *Historia*, XI (1962) P. 271 ff.

كذلك إبراهيم نصحي المرجع السابق المجلد الأول ص ٢٢ .

Plutarchos, *Alexander* ; *Arrian*, III, 3.

الاسكندر ينظم مصر قبل ان يغادرها :

وصل الاسكندر الى ممفيس في أوائل شهر ابريل تقريبا ، واحتراما
لمشاعر المصريين أصدر قرارا بتعيين نائبين مصريين له واحد لشئون مصر
العليا اسمه بيتيسيس Petesias والآخر لشئون مصر السفلى اسمه
دولواسيسيس Dolosaspis . وفي نفس الوقت وكل الاسكندر شئون
الخزانة المصرية لاغريقى من مستعرة نقراطيس اسمه كليومينيس
(١) Kleomenes

وربما قصد الاسكندر بهذه الحركة تأسيس حكومة مصرية اغريقية
لحكم البلاد ، وتأمينا لمصر ترك الاسكندر حاميات عسكرية في ييلوزيوم
وممفيس كما وضع قوات عسكرية قرب الشلال الاول عند أسوان لحماية
البلاد من الجنوب وجعل قيادتها موزعة بين قائدين هما بيوكتاس (٢)
وأموكتاس .

(١) عن كليومينيس النقراطيسى انظر الابحاث الاتية : -

J. Vogt, "Kleomenes Von Naukratis, Her Von Aegypten," Chiron, I (1971)

P. 153-157 ; also J. Siebert : Nochmals Kleomenes Von Naukratis,
Cairon II, (1972) pp. 99-102.

ولكن الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى دافع عن سياسة كليومينيس
المالية ووصفها بأنها تضحيه من جانبه من أجل ان يورث البطالة خزانة غنية
وتجارة خارجية ثابتة ومنظمة (انظر مصطفى العبادى مجلة كلية الآداب
جامعة الاسكندرية المجلد ١٧ ص ٦٥ - ٨٥ - ١٩٦٣) وقد رد الأستاذ
الدكتور ابراهيم نصحي بشدة على هذا الدفاع وادان سياسة كليومينيس
ووصفها بأنها خرقاء متفاضية عن القيم الاخلاقية اساءت الى الشعب والى
اقتصاد مصر الخارجى انظر ابراهيم نصحي المجلد الاول ص ٣٥ هامش ٢ .

(٢) نشر الأستاذ تيرنر حديثا قصاصه بردية عثرت عليها البعثة
البريطانية في سقارة ، والقصاصه عبارة عن تحذير صادر من قائد عسكري
اسمه بيوكتاس Peucestas بعدم الاقتراب من بيت أحد الكهنة ، وقد
اقترح الأستاذ تيرنر ان يكون هذا القائد هو بيوكتاس الذى عينه الاسكندر
قائدا على الحامية التى تركها فى ممفيس (Arrian iii, 5.5) لأنها من ناحية
الخط ترجع الى الربع الاخير من القرن الرابع ق.م ، فان صدق هذا الاقتراح
فانه يبين مدى رقه الاسكندر ومحاظنته على شعور المصريين انظر : -

E. G. Turner, A Commander in Chief's order from Saqqara, J.E.A., Vol 60
(1974) pp. 239-242.

ويبدو أن فتح الشرق الأوسط ووضع السلطة لأول مرة في أيدي
الآغريق وإطلاق الإشارة الأولى نحو أغرق مصر والشرق الأوسط كان
العمل المثالي. لمشكلة توايد عدد السكان وقلة الموارد التي أرهقتها الحروب
الكثيرة . بل أننا نعرف أن أرسطو معلم الاسكندر عالج في مقال مشكلة
الهجرة والاستيطان ودور الاسكندر في حل هذه المشكلة .

على أى حال ما أن فتح الاسكندر مصر حتى تدفقت جموع الآغريق
في أثر الجيش المقدوني فلطالما سمعوا عن سحرها وعراقها شعبها وقدم
حضارتها وجمال الحياة فيها . ولكن من الواضح أن المهاجرين قصدوا
المواضع المصرية في أول الأمر مثل منفيس وطية وسائس أو قصدوا
قرايطيس حيث يقيم الآغريق لأن الاسكندرية كانت لا تزال في دور
التكوين ولم تكن قد اكتملت بعد لاستقبال المهاجرين والدليل على ذلك
أن منفيس ظلت عاصمة مصر حتى السنوات الأخيرة في القرن الرابع
ق.م . ولم تصبح الاسكندرية مدينة بمعنى الكلمة إلا في عصر بطليموس
الثاني الملقب بفيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م) حيث تلتحق الزواجر
للتفرج على مبائنها ومطابدها المذهلة .

وقبل أن يغادر الاسكندر مصر عائدا الى ميدان القتال في الشرق
الأوسط استعرض قواته بكاملها في منفيس ثم أقام مهرجانات ثقافية
ورياضية أنهاها بتقديم القرابين مرة أخرى الى زيوس آمون . ويقال أن
أحد أبناء الجنرال بارمينيون غرق في النيل أثناء استحمامه فيه فأقام
الاسكندر له جنازة مقدسة على نحو اعتقاد الآغريق والمصريين بقداسة
الفرقى (١) . ثم أمر ببناء جسر يربط بين ضفتي النيل . ويقال أن الاسكندر
أعد حملة من علماء الآغريق لاكتشاف منابع النيل وأسباب ظاهرة الفيضان

(١) انظر مقالتي « نظرة على الآغريق وعبادة الفرقى في مصر في
العصرين اليوناني والروماني - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
- المجلد الثامن عشر (١٩٧١) .

النيلي . كما وافق الاسكندر على عدة مشروعات منها تجديد معبد آمون
بالاقصر وقد صور الاسكندر على احدى حوائط هذا المعبد في زى
القراعة ولا يزال هناك نقش يوضح أن الاسكندر أقام محرابا في هذا
المعبد الكبير . (١) تخليدا لأبيه آمون رع .

وليس من المستبعد أن تكون الأنباء قد وصلت الى أسماع الاسكندر
عن تحرك جديد للملك دارا لأنه غادر مصر فجأة متجها الى بلاد ما بين
النهرين لأن الخطاب الذى أرسله الى أمه أولمبياس بعد زيارة معبد سيوه
ذكر أنه كان ينوى العودة الى مقدونيا ويبحث وضع اسبرطة الشاب
ولكن الاسكندر لم يكن ليترك امبراطورية شاسعة تمتد من الدانوب
شمالا الى النيل جنوبا ومن البحر الأدرياتيكي غربا الى دجلة والفرات
شرقا تقع تحت تهديد الملك دارا وجيوشه ، كما أنه كان يعلم أن المعركة
النافلة بينه وبين الفرس لم تدر رحاها بعد . ومن المرجح أن الاسكندر
غادر منفيس في أوائل مايو عام ٣٣١ ق م عائدا الى الشام التى اتخذ منها
قاعدة متقدمة لمهاجمة الفرس لفزو بلادهم وضربها الى امبراطوريته
الشاسعة .

لقد كان الاسكندر يحلم بسحر الشرق الفارسى وبثرائه وبأسراره
وبأرض بابل وآشور . ويبدو أن الاسكندر قد وعد بزيارة مصر مرة
أخرى ولكن القدر أراد له أن يعود الى أرض النيل جثمانا يستتر فيها
الى الأبد .

تطبيق تاريخى على غزو الاسكندر لمصر : -

من الملاحظ أن الفترة التى قضاها الاسكندر في مصر من خريف عام
٣٣٢ الى ربيع عام ٣٣١ لا تتعد بضعة شهور ولكنه شغل فيها نفسه بأعمال

وانجازات كثيرة ولم يجد الوقت الكافي ليطغى، انظر العطش الرومانسي
التاريخي والديني الذي كان يتوق اليه .

ولكن فتح الاسكندر لمصر غير وجه التاريخ عامة وتاريخ وادي النيل
خاصة . اذ قامت على ضفاف النيل لأول مرة مملكة هيلينية - او مملكة
مقدونية اغريقية قدر لها أن تكون أكثر الممالك الهلينية ثباتا ورسوخا
بل ان الحضارة الاغريقية ظلت تترعرع على ضفاف النيل ما يقرب من ألف
عام تقريبا (ثلاثة قرون للأسرة البطلمية وتسعة قرون للحكم الروماني
والبيزنطي) .

وأهم من هذا وذلك تأسيسه لمدينة الاسكندرية (١) التي سرعان ما أصبحت
المدينة الأولى في حوض البحر المتوسط ولا تزال من أهم موانئه حتى العصر

(١) وأخيرا وبعد طول انتظار نشر العلامة فريزر مؤلفه الكبير :

Alexandria Ptolemaica, 3 vols, Oxford 1972.

والجزء الاول يشمل النص أما الجزء الثاني فهو خاص بالهوامش والمصادر
والجزء الثالث عبارة عن كتاب Index للجزئين الاولين وترجع أهمية
هذا العمل العظيم الى اهتمامات المؤلف بالنقوش والمصادر الخاصة
بالاسكندرية وحضارتها وبعض هذه النقوش لم ينشر بعد ، كذلك شمل
الجزء الثاني كافة الرسائل والأبحاث التي تمت عن الاسكندرية وأثارها
وحضارتها في العصر البطلمي ومطلع العصر الروماني ، أما الجزء الاول فقد
وجه اليه العلماء نقدا شديدا لاسباب المؤلف في شكوكه ازاء المصادر القديمة
مثل شكه في أن يكون سوستراتوس الكنيدي هو المعماري الذي بنى الفناء
الشهير ويفسر مقطوعة بوسيديوس بطريقة غير مقنعة ليخرج برأى غريب
وجديد وهو أن سوستراتوس لم يكن سوى الممول لمشروع الفناء ولم يكن
المعماري الذي بناه (vol. I, p. 18-20) ، لكن شكوكه فريزر لا تكفي لتكذيب الأدلة
انقديمة (ابراهيم نصحي العمل السابق - الجزء الثاني - ص ٢٩ ملحوظة ٢ ،
E.G. Turner, J.E.A. 1974 (Review)

كذلك فند الأستاذ الدكتور ابراهيم نصحي في جدل عنيف مزاعم فريزر
حول تاريخ نقل العاصمة من منف الى الاسكندرية في عام ٣٢٠ ق.م لان
لدكتور نصحي يرى أن ذلك لم يتم أبدا قبل عام ٣١٢ ق.م انظر ابراهيم
نصحي - الجزء الثاني - ص ٢٠٨ لكن الفصل الثالث الذي خصصه لتراث
المدينة الأدبي والفكري يعتبر اكمل المؤلفات الحديثة في هذا المجال .

الحديث كما أن تأسيس الاسكندرية أحدث ثورة في طرق التجارة القديمة وخلق طريقا جديدا يجمع بين القارات الثلاث التي تلتقي في مصر ، كذلك وسع الاسكندر لأول مرة في تاريخ مصر حدودها غربا عندما ضم اليها جزءا من أراضي ليبيا الشرقية حتى سرت الكبرى Syrtis •

وكما يتضح من تتبع تحركات الاسكندر ، لم يكن غزو مصر مدرجا في خطته الأساسية عندما غادر مقدونيا ، لأنه دخل آسيا عن طريق البسفور والدردنيل وهو نفس الطريق الذي غزى منه الفرس بلاد اليونان في القرن الخامس ق.م. ولكن قد يتساءل الدارس ما الذي جعل الاسكندر يقطع رحلته نحو الشرق في أحوال الصراع ليتجه نحو سوريا ومصر . لا بد أن لذلك سببا ، لأن قائدا مثل الاسكندر لم يكن يحرك جيوشه اعتباطا أو عفوا أو حسبما توحى اليه الظروف ، بل يظهر من سيرته أنه كان عسكريا ذكيا ضليعا في تفهم الاستراتيجية • من الواضح أن الاسكندر كان يخطط لغزو آسيا كلها وليس الامبراطورية الفارسية وحدها ولكي يحقق هذا الحلم فإن عليه أن يجند القوات اللازمة لتحقيق هذا المشروع • فقواته التي تبلغ أربعين ألف مقاتل لم تكن كافية لتحقيق مشروع خرافي مثل هذا ، بل تعتبر قوة محدودة فضلا عن أنه كان ينقصها الأسطول القوي ، حتى الأسطول الذي كان يرافقه كان يتكون أساسا من سفن المدن الاغريقية والأسطول الاثيني وكان الاسكندر لا يثق في اخلاص الاغريق ويعلم أن هذا الأسطول على استعداد لخياته والغدر به والتعاون مع الفرس ضده • كما أن الاسكندر كان يعلم أن القوات المرتزقة والاغريقية من المشاة كانت تسير معه على مضض ، بل ووقعت في يده مراسلات سرية متبادلة بين الفرس والاغريق بشأن تدبير مؤامرة ضده • وقد يأخذ بعض المؤرخين على الاسكندر أنه صدق وعود الاغريق ببساطة بأنهم سوف يرسلون اليه المدد والعناج عندما يقرر معركته الفاصلة ضد الامبراطورية الفارسية في عقر دارها •

لقد سار الاسكندر لفتح الشرق معتمدا على قرارات معاهدة كورثا التى جعلته القائد العام لقوات مقدونيا وسائر الاغريق . لكن كان هناك ظواهر تدل على أن الاغريق سوف يكتفون باتفاق كورثا ولا بد أن الاسكندر قد لمح فى عيون الوفود الاغريقية التى وقعت عليه علامات الخبث والمكر ولكن الجنرال العالم والمتدقق حيوة كان متلهفا على القتال بأى ثمن وفى سبيل ذلك لم يدقق فى الشروط . وتوضح من تصرفات الاسكندر أنه كان متجلا متسرا فى المعارك التى خاضها . لقد انتظر الاسكندر عندما عسكر فى جورديون بآسيا الصغرى وصول تعزيزات عسكرية من المدن الاغريقية حسب اتفاق كورثا ، وظل ينتظر بالقرب من بحر مرمرة حتى جاء الربيع ولم يصل سوى تعزيزات مقدونية فقط عندئذ يبدو أن الاسكندر قد أحس بأنها معركة مقدونيا (١) وحدها ضد العالم كله *Macedonia Contra Mundum* وبناء على ذلك كان عليه أن يغير خطته العسكرية ومن ثم سارع الى تأمين الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط لكى يطمئن على وصول الامدادات ويضمن خطا للانسحاب فى حالة الانهزام ولكى يقطع على المدن الاغريقية الواقعة فى شرق البحر المتوسط أى محاولة لضربه من الخلف عن طريق البحر ، وضما للاستيلاء على المنافذ البحرية خارج البسفور والدردنيل قرر الاسكندر تأجيل غزو فارس وآثر أن يستولى على الساحل السورى وساحل شمال أفريقيا بطوله حتى قورينة ، تلك القلعة الهلينية التى كانت تقف بالمصاد لقرطاجة المستعمرة الفينيقية فى تونس . لقد استولى الاسكندر على الساحل السورى بأكمله لأنه كان قاعدة ومحط الأسطول الفارسى ونحن نعلم الشراسة التى قاتل بها الفينيقيون فى صور دفاعا عن الفرس ولم تسقط هذه المدينة الا بعد حصار دموى ولمدى طويل . ولهذا قرر الاسكندر وضع استراتيجية تضمن ألا يقوم لهذه المدينة قائمة بعد ذلك وهذه الاستراتيجية هو بناء مدينة الاسكندرية لتتزع من صور كل امتيازاتها .

(1) Cf. E.N. Borza, J.C.P., LXVI, 1971, P. 230 ff.

حيث كان عام ٣٣١ علما حاسما فى تاريخ الاسكندر فى اسبرطه كانت ثورة الملك اجيس على أشدها والاغريق على استعداد للتآمر حتى مع الفرس لطرد الوجود المقدونى من بلادهم ولولا كفاءة نائبه انتيباتر فى بلاد اليونان لتغير وجه التاريخ .

هكذا يتضح أن الاسكندر الأكبر فتح مصر لأسباب سياسية في الدرجة الأولى وهي وضع شرق البحر المتوسط تحت سيطرته حتى ولو كان ذلك يعنى تعطيل معركته النهائية مع الفرس لمدة عام آخر . وكان الاسكندر يعرف جيدا أن هذا التأخير سوف يعطى الملك دارا فرصة لتجميع شتات جيوشه المنسحرة وقد ظهر ذلك في المعركة الفاصلة التي خاضها في أرابيللا فيما بعد . ولكن الاسكندر صمم على بناء « صور » مقدونية في الأراضي المصرية تتزعم طرق التجارة من القينقيين حلفاء الفرس الى أيدي المصريين الأصدياء .

ومن ثم جاء اختياره لقرية راقودة المجهولة لكى تتحول الى أعظم مدينة عرفها التاريخ (١) . فقد كان الفرع الكافوبى للنيل قليل الأهمية خاصة من ناحية التجارة الخارجية بالرغم من وقوع ثقراطيس بالقرب منه ، لأن الفرع الكافوبى كان غير صالح فى معظمه للملاحة واستقبال السفن الكبيرة الآتية عبر البحار خاصة السفن الحربية . لقد وجد الاسكندر فى راقودة مكانا جيدا صلبا يرتفع عن سطح الدلتا وقريب من المياه العذبة . ومن النيل خاصة إذا شقت قناة تربط المدينة بالنيل . وفى مواجهة القرية تقف جزيرة فاروس وعن طريق بناء لسان ضيق يربط بينهما وبين الشاطئ . أسكن حماية السفن من هياج البحر والرياح وبهذا أمكن إنشاء ميناء مناسب لاستقبال السفن المقدونية الضخمة . وجدير بالذكر أنه لم يكن فى مصر كلها وقتذاك ميناء واحد يناسب التطور الكبير الذى طرأ على صناعة السفن فى هذه الفترة من تاريخ البحر المتوسط .

ان على الذين يدرسون آثار الاسكندرية أن يتفكروا فى عبقرية الاسكندر فى التخطيط قبل التفكير فى براعة تنفيذ بطليموس وخلفاؤه الذين اكملوا المدينة حتى جعلوها حديث العالم . لقد اختار الاسكندر لمدينته خطة هليينستية لحما ودما تجعل المدينة ذات شوارع متقاطعة

(١) انظر : لويس مفورد : المدينة على مر العصور - اصلها

وتطورها ومستقبلها - اشراف ومراجعة د. نصحى القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٣٢ وما بعدها .

شكلوحة الشطرنج وكان هذا هو الأسلوب المتبع في بناء المدن الاغريقية في النصف الثاني من القرن الرابع .

وقد كشفت الحفائر الأثرية في مدن بريوني Priene وبرجامون Pergamon عن معالم مدن مشابهة (١) . فمثلا نظام الصرف المائي في المدينة عن طريق أنابيب مدفونة تحت الطرق المعبدة يدل على تقدم كبير في نظام العمران . ومن الواضح أنه خطط له قبل تخطيط شوارع المدينة مما يدل على الجدية والكمال المتشود . فضلا عن التقدم في العمران وإنشاء المرافق الصحية والخدمات العامة وباختصار بنيت مدينة الاسكندرية لكي تكون نموذجا لمن بناء المدن الاغريقية لكافة دول العالم في الشرق والغرب . بالرغم من أن الاكتشافات الأثرية في مدينة الاسكندرية تعاني صعوبة بسبب قيام المدينة الحديثة فوق باني المدينة القديمة كما أن جزءا كبيرا من المدينة القديمة ما زال قابعا تحت البحر .

لقد كان للاسكندرية تأثير كبير على الحضارة الانسانية ، اذا لم يكدم منتصف قرن على تأسيسها حتى التزعت كرسى الحضارة الهلينية . فانتقل لأول مرة من أوروبا الى أفريقيا كذلك أحدث بناء الاسكندرية ثورة كبيرة في طرق التجارة ، فقد انتقل مركز التجارة اليها من صبور النيشيقية . وبذلك أعطى الطريق الجديدة لتجار الاغريق فرصة لفتح طريق بحري جديد يربط بين المحيط الهندي والبحر الأبيض عن طريق البحر الأحمر وهو نفس الدور الذي تلعبه قناة السويس في العصر الحديث ، وبهذا تحول البحر الأحمر لأول مرة في التاريخ الى قناة للحضارة الاغريقية ومصرية . وهي حضارة أصبحت ذات شخصية متميزة بطابعها الخاص ، بل وفرض تيار الحضارة الاغريقية مصرية نفسه خارج مصر ممثلا في الآلهة المصرية في قالبها الاغريقي مثل ايزيس وهربوكراتيس (حورس) ، بل ووصل هذا التيار الحضاري شرقا حتى أفغانستان ، لقد كانت الاسكندرية عاصمة لكل الاغريق (٢) حيث

(1) D. Van Berchem, "Alexandre et la restoration de Priene : Mus, Helvit. XXVII, 1970, p. 198-205.

(2) cf. A. Bernard, "Alexandrie, la Grande (Signes des temps, 19) Paris 1972 P.M. Frazer, "Alexandria Ptolemaica Oxford, 1970, Chapter III.

كان يسمع في طرقها كافة لهجات اللغة اليونانية بل وعديد من اللغات المختلفة ، ومن المعروف أن الاسكندرية أصبحت في هذه الفترة المركز الروحي لليهود حيث ترجمت لأول مرة التوراة من العبرانية الى اليونانية *Septuaginta* . بل أن الاسكندرية ساهمت في تطوير الفكر الوثني وتعزيزه لدرجة جعلته يصبح القاعدة الأساس التي قام عليها الفكر المسيحي فيما بعد .

معركة جاوجاميل (Gaugamela) الفاصلة :

عاد الاسكندر مرة أخرى الى صور ، وهناك أعد العدة للمعركة الفاصلة التي حشد لها أربعين ألفا من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان ثم سار شرقا الى قلب الامبراطورية الفارسية فوصل مدينة تابساكوس *Thapsacus* على نهر الفرات في أغسطس عام ٣٣١ ق.م وكانت بابل القديمة هي هدف الاسكندر . فغير طريقه شمالا ثم هبط على شاطئ دجلة الشرقي وهناك عرف من بعض الجنود الفرس الذين قبض عليهم أن دارا يستعد للقاء الاسكندر بجيشه الذي حشده له عند ابسوس . على أي حال لم يقصد الاسكندر العاصمة البابلية القديمة نينوى *Nineveh* بل صعد شمالا ثم هبط جنوبا حيث رصد معسكر دارا في سهل جاوجاميل . وقد بولغ في ذكر عدد قوات الفرس فقيل أنها بلغت مئويًا من المشاة وأربعين ألفا من الفرسان . ولما نصح الجنرال بارمينيون الاسكندر بشن هجوم ليلي اعترض الاسكندر في كبرياء « أنا لا أسرق النصر » والحقيقة أن الاسكندر كان يريد نصرا في وضوح النهار بسجدة هبقرته العسكرية . ومن ثم أكر الاسكندر أن يربح جنوده ويوفر لهم عشاء طيبا ونوما هادئا بينما قضى الجنود الفرس ليلتهم في تحصين معسكرهم خوفا من هجوم ليلي قد يشنه الاسكندر عليهم .

ودارت المعركة الفاصلة (١) في أول أكتوبر عام ٣٣١ وازاء هجوم فرسان الاسكندر وهن خط القتال الفارسي وانهار تماما مثلما حدث في

(١) لوصف تفاصيل المعركة انظر : و . ب . تارن : الاسكندر الاكبر .

ترجمة زكي على ومراجعة محمد سليم سالم سلسلة الالف كتاب رقم ٤١١ ص ٨٩ - ٩٣ .

أسوس وولى دارا هاربا تاركاً حرسه يقاومون الاسكندر حتى يسكن ملكهم من الفرار . وقد شاع فرار دارا وأدى الى تفشى الاضطراب فى صفوف الفرس فارتدوا خاسرين أما الاسكندر فقد تابع سيره مقتنياً أثر المدو الى أن وصل الى أرييلا Arbela وقد أبلى باريينيون فى هذه المعركة بلاء حسناً ، وأبدى شجاعة منقطعة النظير .

فتح بابل :

وبعد أن أراح الاسكندر جيشه تقدم نحو بابل Babylon وكان الاسكندر يتوقع صعوداً من جانب البابليين ازاء الحواط والقلاع التى تحيط بعاصمتهم ولكن لدعشته ما أن اقترب حتى وجد البوابات تفتح على مصراعها بل وخرج السراب الفارسى مازايوس بنفسه يستقبل الاسكندر مرحباً ، ويبدو أن هذا الحاكم الفارسى الذى حارب بشجاعة فى جاوجاميللا استاء من هروب دارا وإزاء ذلك أبقى الاسكندر مازايوس مكانه كوال على بابل . وقد اتبع الاسكندر مع البابليين نفس السياسة التى اتبعها مع المصريين ، فأظهر نفسه كحام للديانة البابلية وألقى القراوات المصحفة التى كان أكسيركسيس قد أصدرها ضد العادات القومية البابلية ، وأمر بإصلاح المعابد البابلية خاصة معبد بعل Ba'al الكبير الذى دمره أكسيركسيس عند عودته مهزوماً من بلاد اليونان .

كان تعيين الاسكندر لمازايوس ستراباً على بابل أول عمل من نوعه يقوم به الاسكندر فهو أول فارسى يعين من قبل ملك مقدونى ، ولكنه لم يخول له أى سلطة عسكرية بل جعل ذلك فى يد قائد مقدونى ، كذلك جعل الشئون المالية . وهكذا كان الاسكندر يقضى الفرس عن السلطة العسكرية والمالية ولا يمانع فى توليهم السلطة الاسمية والادارية .

فتح سوسا وپرسيس :

وبعد أن استراح الجيش المقدونى سار به الاسكندر تجاه الجنوب الشرقى الى سوسا مقر القصر الصيفى للملك الفارسى . واستولى على

قلعتها حيث وضع يده على كنوز هائلة من الذهب والفضة . وكذلك على مجموعة تماثيل قتلة الطغاة (Tyrannicides) التي كان الآثينيون قد أقاموها تكريما لهما موريوس وأرستوجيتون قتلة الطاغى هيسارخوس ابن الطاغى بيسستراتوس وكان اكسيركسيس قد حمل هذه المجموعة من التماثيل معه الى بلاد الفرس عند قيامه بحملته ضد بلاد اليونان في القرن الخامس . ووجد الاسكندر في اعادة هذه المجموعة العزيزة على نفوس الاغريق كسبا معنويا كبيرا .

ومن احدى غزوه اقليم برسوبوليس غادر الاسكندر سوسا قاصدا عاصمة الامبراطورية الفارسية طمعا في ذهب قصور قورش ودارا وغيرهم من ملوك الفرس وكانت هذه العاصمة تقف في قلب الأرض الفارسية يحيط بها التلال من كل جانب فتحصنها ضد أى هجوم . ولما وصل الاسكندر الى الممر المربع المؤدى الى بريسيس وهو المعروف بالبوابات الفارسية Persian Gates وجد والى الفارسي أريو باززانيش قد حصنها واستبسل في الدفاع عنها بل وصد طلائع هجوم الاسكندر ولكن الاسكندر قاد قوة خفيفة وتوغل وسط التلال في قلب الشتاء لى أن باغت العدو من الخلف ووجد والى الفارسي نفسه محاصرا بين شفرى الجيش المقدوني فاستسلم وكان هذا لنصر أصعب نصر حققه الاسكندر في ظروف صعبة وهى وعورة المكان وثلوج الشتاء واستبسال العدو .

ثم تابع الاسكندر بعد ذلك مسيرته نحو برسوبوليس Persepolis (١) « أغنى مدينة تحت الشمس وأقدم مدينة على وجه الأرض » ، واستولى على قصورها العظيمة المشيدة فوق التلال قبل أن يسرع الفرس بنقل كنوزها . ويقال أنه استولى على كنوز خيالية حتى أن نقلها كان يحتاج عدد كبير من الدواب وتلك ثروة لم يصدقها أحد في العالم الاغريقى . ويروى لنا المؤرخون أن أهم حدث قام به الاسكندر في برسوبوليس ، هو حريق قصر اكسيركسيس عندما أشرف الاسكندر على حرقه عامدا متعمدا

(١) ذلك هو الاسم الاغريقى أما الاسم الفارسي فهو استلشر .

ويرى أن الاسكندر كان ثملاً من فرط الشراب هو وأصدقائه ، وفجأة اقترحت وصيفة أثينية اسمها ثائيس اشعال النيران في قصر اكسركسيس رداً على حرقة للمعابد الأثينية في حملته ضد بلاد اليونان وبسرعة اندفع الاسكندر ورغاه يجرقون القصر ولم يدرك بشاعة فعله الا بعد أن ذهب تأثير الشراب عندئذ أمر بإطفاء النيران . ولكن تارن يرى أن تلك القصة ليست الا حديث خرافة ابتدعت بقصد التأثير الروائي (١) .

موت الملك دارا الثالث :

الحصر الملك دارا وما تبقى له من قوات وقادة في اكباتانا عاصمة اقليم ميديا Media أقدم أقاليم فارس القديمة وسارع الاسكندر لملاقاته في هذه المدينة ، ولكن عند وصوله وجد دارا قد فر شرقاً الى باكتريا واستولى الاسكندر على المدينة والاقليم . « وجلس في قصر الذهب والفضة يحصى ما تم في عالم تغيرت أوضاعه » ومن هذه الثروة الطائلة دفع مراثيات الجنود الاغريق الذين فضلوا السير معه الى حيث يذهب . وصمم الاسكندر على مطاردة دارا والقبض عليه بأي وسيلة ولكن القدر خيب آماله ، فقد راح الأمراء الفرس يفتقون ذراعاً بحظ مولاهم العس فرفضوا الاستمرار معه في تمهة جيوش جديدة ومقاتلة الاسكندر . ولم تجد قوات الاغريق المرتزة تمعاً للعاهل الفارسي ، وفي لحظة الضعف والحيرة برز أحد أقرباء الملك دارا وهو بيسوس Bessus وكان يشغل منصب ستراب باكتريا ، فقبض على دارا ليلاً وزج به في سجن يقع على الطريق الى باكتريا . وبالقبض على دارا تمشت جيشه ، وغادر المرتزة الاغريق المكان في اتجاه الشرق الى جبال قزوين وطلب كثير من الجنود الفرس صنفح الاسكندر وغفوه . وبعد أن تزود الاسكندر وجيشه بالطعام بما يكفيه يومين سار الى معسكر بيسوس وقضى ستة وثلاثين ساعة في نير متواصل وعندما وصل الى المكان وجد أن بيسوس قد غادره ، فقرر اختصار الطريق عبر الصحراء ليلحق به معرضاً نفسه وجيشه

(١) و . تارن المرجع السابق ص ٩٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٩٧ .

للمطش وأهوال الصحراء الى أن وصل الى شاهرود حيث كان دارا سجيناً ومن الواضح أن الأمير يسوس ورفاقه كانوا ينوون تسليم دارا للاسكندر اذا ما صمم على مطاردتهم وذلك ثمناً للسلام ولما أبصر يسوس ورفاقه أن الاسكندر على وشك أن يلحق بهم في شاهرود أمروا الملك دارا السجين أن يركب أحد الجياد ليهرب معهم ولكنه رفض أن يقضى حياته هارباً فقررُوا التخلص منه وطمنوه بالحناجر وتركوه يعالى سكرات الموت ولاذوا بالهرب . ولما عثر أحد الجنود المقدونيين على الملك وهو يهضم ظهره ضربه فقدم اليه الجندى بكوب من الماء فارتشفه دارا بصعوبة وهو يهز رأسه علامة للامتنان وعندما وصل الاسكندر الى مكان الملك الفارسي كان هذا الأخير قد فارق الحياة . وتفحص الاسكندر متأثراً جثث الملك ويقال أن خلق عليه عباءة الملكية الأرجوانية احتراماً وتبجيلاً ويرى البعض أن العثور على دارا قتيلاً بيد رفاقه وفر على الاسكندر حرجاً شديداً ، لأنه اذا كان قد قتل بيد الاسكندر فإن ذلك كان سيترك في نفوس الفرس ذكرى محزنة وحقة دفينا تجاه الاسكندر . ثم أمر الاسكندر أن يرسل الجثثان بكل آيات التعظيم والتبجيل الى برسوبوليس حيث تقيم أمه المعبودة ولكن يدفن في مقابر أسلافه من ملوك الفرس . لقد كان دارا صورة هزيلة للطاغى الشرقى (١) بكل ما يتسيز به في فترات ضعفها ، من رهوة وضعف وقنوط ولكنه كان انساناً طيب القلب حسن المعاشرة أوقع به القدر مع بطش عظيم حجب عنه كل صفاته الطيبة . وموت دارا أسدل الستار على الأسرة الأخمينية الفارسية .

الاسكندر بطل آسيا :

هكذا أصبح الاسكندر سيد آسيا وملكها ، وقد كان حكيماً بما أظهره من سياسة العفو والصدور الرحب تجاه المناطق التي فتحها . وكانت حكمته تتبع في الحقيقة من الذكاء السياسى . اذ لم يتعرض للقوميات الاقليمية أو العادات أو القوانين الوطنية في هذه البلدان ، وكل ما كان

(١) المرجع نفسه ص ١٠٢ . كذلك انظر :

G. Wirth, Darius und Alexander, *Chiron* I, 1971, P. 183-182.

يضع يده عليه هو السلطة التي قسمها ولم يتركها مركزة في شخص الساتراب كما كان الحال أيام ملوك الفرس .

وأصبح الساتراب يملك السلطة الادارية ، أما السلطة العسكرية والادارة المالية فقد فصلها الاسكندر عنه وجعلها في أيدي رجال مقدونيين تأمينا ضد حركات التمرد وتقليما لأطراف الأمراء الشرقيين .

كان لفتح الشرق تأثير كبير على مركز الاسكندر بين الاغريق (١) ، فقد اعتبروه زعيما للاغريق ضد الفرس البرابرة ، ووجدوا في فتح الشرق الغامض مسرة وبسحره وبكنوزه فرصة للنهب والاستغلال لأنهم كانوا ينظرون الى الفرس نظرة الاحتقار ويعتبرونهم في درجة العبيد . ولكن الاسكندر بعقليته الجديدة حاول أن يملأ الهوة بين الهليني والبربري الشرقي . لأنه كان يهدف الى انشاء امبراطورية تزواج بين الشرق والغرب على أساس الوئام والسلام . وعلى أساس أن يحكم العنصرين بالمساواة ضاربا عرض الحائط بعقدة الاغريق العنصرية واستنكار المقدونيين المتطرف لتعاظمه مع الشرقيين .

وقد وضعت سياسة الاسكندر الجديدة بعد معركة جاوجاميللا . عندما راح الاسكندر يعين أمراء فرس كساتراتبات على المقاطعات التي كان يفتحها ، بل فتح القصر والبلاط أمام الفرس ولم يعد القصر المقدوني مقدونيا خالصا كما كان ، بل أخذت الروح الشرقية تطفئ عليه . فمثلا أعجب الاسكندر بطريقة الشرقيين بالسجود أمامه عند مخاطبته كملك ورب على آسيا Proskynesis ، وأخذ يظهر مرتديا الزي الملكي الفارسي في المناسبات العامة ربما بهدف ألا يبدو غريبا كلية عن الفرس وهو ملهم .

(١) يرى البعض ان موقف الاسكندر من الاغريق تغير بعد حريق سوسا وأنه كان نقطة التحول من المحايلة الى التحدى الصارخ والمعنى الخاصة بعد ان وضع أسسا للتغاهم مع الفرس والشرقيين وبعد أن شاق ذرعا بحركات التمرد التي قام بها الاغريق والتي كان آخرها تمرد الملك الاسبرطي أجيس عام ٣٣١ - ٣٣٠ وأن هذا العام كان عاما حاسما بعد ان نجح انتيباتر في قمع هذه الثورة انظر :

غزو الشرق الأقصى :

ولكى يؤكد الاسكندر سيادته على آسيا قرر مطاردة قلول الثوار وتصفية جيوب المقاومة الفارسية فسار الى بحر قزوين ومن هناك اتجه الى زادراكارتا المقر الملكى لاقليم هوركانيا Hyrcania حيث نجح في أن يرغم جيوب المقاومة على الاستسلام وتقديم فروض الطاعة والولاء . أما بالنسبة للأسرى الاغريق الذين كانوا يحاربون مع الجيش الفارسى ، فقد عفا عن هؤلاء الذين دخلوا خدمة الجيش الفارسى قبل قيام ميثاق مؤتمر كورتنا ، أما غيرهم من المرتزقة فقد أجبرهم على دخول خدمة الجيش المقدونى .

ودخل الاسكندر منطقة إيران الشرقية البعيدة عن التيارات الاغريقية والتي تظهر فيها الروح الآسيوية الشرقية الخالصة لأن هذه المنطقة كانت تنتمى الى حضارات أقدم وأجرق من الحضارة الفارسية بل وترجع الى عصر سابق عليها . واستراح الاسكندر أسبوعين أقام خلالها المهرجانات الرياضية والثقافية ثم سار شرقا الى سوسيا Susia إحدى المدن الواقعة شمال آريانا Arria وهناك سمع أن بيسموس قد نصب نفسه ملكا على القرس وأنه يجمع شتات الجيوش في باكتريا Bactria فقرر الاسكندر السير اليه على الفور ولكن قيام حركة تمرد ضده في أراخوسيا اضطرته الى العودة الى أرتوكوانا Artocoana عاصمة آريا Arria ، واجتاح الاسكندر هذا الاقليم كله وعلى مقربة من أرتاكوانا أسس مدينة تسمى بالامكندرية أغلب الظن هي هيرات (١) وعندئذ دخل درانجيانا دون مقاومة تذكر .

وفي بروفتاسيا (٢) عاصمة اقليم درانجيا ترمى الى أسباع الاسكندر أن فيلوتاس ابن قائده المخلص بارمينيون يتآمر على حياته . وقدم فيلوتاس الى مجلس محاكمة من المقدونيين الذى أدانه بأنه كان يعلم بوجود مؤامرة ضد حياة الاسكندر ولم يبلغ عنها ، ومن ثم أعدم رميا بالسهم ، ولم يطمئن الاسكندر بعد قتل فيلوتاس الى والده بارمينون

(١) المرجع نفسه ص ١٠٦ .

(٢) وتعنى المرتقبه .

فأرسل رسولا على عجل الى ميديا Media حيث كان يعسكر الجنرال المعجوز وطلب من بعض القادة التاليين له في المرتبة أن يعدموه . وكانت العلاقة بين الملك الشاب وجنراله المعجوز قد فترت في الفترة الأخيرة خاصة بعد فشل بارمينيون في جوجاميل بالاضافة الى ظهور خصوم بارمينيون من أمثال كاليستينيس Callisthenes راحوا يحرضون الاسكندر عليه . وقد أجرى الاسكندر عدة تعديلات في قيادته ومنها ادخال بطليموس بن لاجوس في قيادة الأركان .

واذ كان اعدام فيلوتاس له مبرراته القانونية وأن الأدلة على خيانت كانت - على حد قول بطليموس - دامغة ، فإن قتل بارمينيون يعتبر اغتيالا صريحا لا مبرر له وعلا قصد به تخويف باقى القادة الذين قد يفكرون في خيانتهم ، لأن بارمينيون لم يلق محاكمة بل اغتيل ظلما وعدوانا وبدلا من أن يعود الاسكندر ليعاود طريقه الى باكتريا دار حول نفسه ومار في قلب أفغانستان وعبر جبال كوش ونزل الى جيحون (أوكسوس) Oxus ، وما أن حل الشتاء حتى كان الاسكندر قد بلغ شرقا الى سهل هالماند Halmand وفي جندهار أسس مدينة أخرى سماها الاسكندرية لتكون عاصمة لاقليم أراخوسيا Arachosia . واندفع الاسكندر الى نهر كابول وإلى سلسلة جبال الهندوكوش التي تقف كفواصل تقسم العالم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . وقد سمى الاغريق هذه المنطقة كاوكازوس Caucasus أى القوقاز وقضى الاسكندر الشتاء عند منح الهندوكوش حيث أنشأ اسكندرية جديدة ثم اتجه الاسكندر نحو الشمال ليعبر في مرخاواك الذى كان يبلغ ارتفاعه أحد عشر ألفا وستمائة قدم ، وكانت مغامرة لا تقل عن مغامرة هانيبال في عبور الألب اذ قاسى الجيش أهوالا كثيرة بسبب حاجته الى الطعام وقلة الوقود وكان هدف الاسكندر هو الهبوط على يمسوس من الشمال

وبالفعل ولي ييسوس الادبار عبر نهر جيحون (أوكسوس) واستولى
الاسكندر على باكتريا دون مقاومة • ثم زحف الاسكندر نحو سهل
جيحون تجاه كيليف Kilif وعبر النهر الى ميراكاندا Miracanda
المعروفة باسم سمرقند •

وقد حاول حلفاء ييسوس من أهل اقليم سوجديانا تسليم هذا
الزعيم مقابل ائقاذ بلدهم فأرسلوا الى الاسكندر يعرضون عليه ذلك •
فرد الاسكندر بارسال بطليموس بن لاجوس ليلم التسليم على يديه
ويأتى به متيد اليدين والقدمين عارى الجسم لينفذ فيه حكم الموت في
باكتريا •

بعد ذلك تابع الاسكندر مسيره جنوب نهر جيحون حيث أنشأ على
ضفافه آخر اسكندرية على حدود العالم Alexandria Eschate (ومحلها
الآن خود شند) والاسم يعنى اسكندرية القصوى • وقد تزوج
الاسكندر عروسا من إحدى بنات هذه المناطق وهى روكسانا الشهيرة
Roxana.

وفى ماراكاندا Samarcanda أقيمت وليمة كبرى تكريما لشقيقه فى
الرضاعة كليتوس Kleitus واتتهت هذه الوليمة بمأساة محزنة عندما
احتدم النزاع بين الأخوين بفعل تأثير الغمر انتهت بطعن كليتو بعربة
قائلة على يد الاسكندر • ولما أفاق من خمره أحس بندم قاتل لفعلته
الشنعاء وقضى ثلاثة أيام يعانى من وخز الضمير دون أن يتناول شيئا من
الطعام ، وأخيرا أقنعه أصدقاؤه بضرورة تناسى ما حدث وتناول شيء
من الطعام وأعلنوا أن موت كليتوس سببه غضب ديوليسوس بسبب
اغتيال تقديم قرايين له وقد شجع الفيلسوف اناكسارخوس الاسكندر
على تناسى هذه الجريمة باقتناعه بأنه فوق القوانين ولا يمكن للملوك أن
يخطئوا أبدا ، ولكن لم يندم أحد من الملوك على شر ارتكبه مثلما ندم
الاسكندر على قتله كليتوس (١) •

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ (انظر Arrian, IV, 9, 6 ; VII, 29, 1,

ولم يمض وقت طويل حتى اكتشف الاسكندر مؤامرة جديدة على حياته خطط لها بلاط القصر وقد سحقها الاسكندر باعدام جميع من كانوا يخططون لها سواء من قريب أو بعيد .

وفي باكتريا طرح كاليستينس قضية ألوهية الاسكندر للنقاش فلما في ارضائه والسماح له بإعادة بناء أولينثوس Olynthus مسقط رأس هذا الفيلسوف - المؤرخ للحملة والذي كان يدون تاريخ الاسكندر بقصد الاعلان والدعاية له . وقد شجعه على ذلك وجود ثيف من المناقطين الذين راحوا ينادون الاسكندر بأنه ابن زيوس وأنه ليس بشرا بل الالهة على الأرض . ومما لاثك فيه أن ذلك لاقى استحسانا من جانب الاسكندر ، خاصة أن الاسكندر أعلن اقتباسه لعادة السجود أمامه Proskynesis على نحو ما يفعل الفرس وربما كان قصده هو أن يصبح الالهة على الامبراطورية الجديدة التي تمزج الشرق بالغرب . وكان فلاسفة الاغريق وسياسيوهم من أمثال أرسطو وايسوقراط قد تحدثوا عن فكرة التالية ، أرسطو بالنسبة للاسكندر وايسوقراط بالنسبة لفيليب (١) وقد وجد الاسكندر أن الوقت قد حان للخروج على الناس بهذه الفكرة .

ولكن بدعة السجود الشرقية أدت الى استياء المقدونيين وغضبهم لأنها عادة متبسة من الفرس ويجب أن تبقى وقفا على الآسيويين ، وكان أول المعارضين هو كاليستينس المتطرف في نظراته الى البرابرة الشرقيين مما جر عليه غضب الاله الذي صنعه يديه . وجاءت الفرصة عند اكتشاف مؤامرة دبرها بعض الشباب الذين كانوا يعملون مع الاسكندر بسبب ضغينة شخصية بين الاسكندر وبين أحد الفتيان واسمه هرمولائوس Hermolaus ولكن لسوء الحظ جاء ذكر كاليستينس باعتباره كان مرييا لهذا الفتى وربما تورط كاليستينس بالكلام مع بعض هؤلاء الفتيان ووجد الاسكندر فرصته في الانتقام من كاليستينس فأمر بقتله على الفور بينما أشيع أنه مات ميتة طبيعية في السجن .

(١) المرجع السابق ص ١٢١ .

الإسكندر في الهند :

كانت الهند معروفة عند الفرس لأنها كانت جزءاً من إمبراطورية دارا الأول أما بالنسبة للاغريق فكانت فكرتهم عنها مشوشة يكتنفها الغموض (١) . أما الدافع الذى دفع الإسكندر لغزوها فلم يكن غير أنها جزء من الإمبراطورية الفارسية التى يريد الاستيلاء عليها بكاملها ولم يكن هناك قصد أو علاقة بين غزو الهند وفتح العالم . لأنه من الواضح لم يكن يعرف كثيراً عن الهند . وربما أراد الإسكندر إيجاد حل لمشكلة المحيط ومدى علاقة الهند بمصر ولتحقيق ذلك الفرض اصطحب معه فى حملته مجدفين وبشائين للسفن من فينيقيا وقبرص وكاريا ومصر (٢) .

وفى مستهل صيف عام ٣٢٧ ق.م عبر الإسكندر سلسلة جبال الهندكوش للمرة الثانية عن طريق مر كوشان ثم عبر سهل كابول (سهل كوفن Cophen) فتمر الهندوس قرب تاكسيلا Taxila (أتوك Attock) .

وقد أعلن أمير هذه المنطقة ولاءه للإسكندر وضم قواته الى قوات القاتع المقدونى وتقدم الإسكندر بجيوشه دون مقاومة تذكر الى الهيداسيس Hydaspes (جهيلم Jhelum) وهى جيناب غرب باكستان) حيث هزم الملك بوروس Porus أحد ملوك المنطقة فى معركة تكبد فيها الإسكندر خسائر فادحة بسبب مواجهة الأمير الهندى للإسكندر بقوات القيلة وهى تجربة لم يقابلها الإسكندر فى أى من معاركه السابقة . وهناك أدلة واضحة على روح الاستبسال المقدونى فى مواجهة القيلة . وقد كان لاستخدام هذا السلاح الجديد أثراً كبيراً على تسمية قواد الإسكندر فيما بعد وتنافسوا فى الحصول على أكبر عدد منها لأنها أصبحت السلاح النفاذ فى الحرب خلال العصر الهلينستى .

(١) انظر الهند القديمة - حضارتها وديانيتها تأليف الدكتور محمد اسماعيل الندوى القاهرة ١٩٧٠ ص ١٦٥ وما بعد .

(٢) قارن : المرجع السابق ص ١٤٢ .

وبعد النصر أسس الاسكندر مدينتين هما الاسكندرية نيكايا أى الاسكندرية مدينة النصر Alexandria Nicaea والاسكندرية بوكيفالا Alexandria Bucephala تخليداً لجواده الشهير بوكيفالوس Bucephalus الذى قيل أنه تقق هناك . وقد سكت عملة فيما بعد لتخليد ذكرى هذه المعركة وقد ظهر عليها الاسكندر وهو يقضى أثر القميل الذى يركبه الملك الهندى بوروس Porus (١) الذى تصالح مع الاسكندر وأصبح حليفاً له .

بعد ذلك تابع الاسكندر السير شرقاً الى الهيفاسيس Hyphasis (وهو نهر بياس Beas) وليس من المؤكد أن يكون هذا النهر فرعاً من فروع ستلج (Sutlej) فى الغرب من باكستان الحالية (٢) بل ربما كان نهر البياس المذكور هو الحد النهائى لامبراطورية الملك دارا الأول . وعلى أى حال كان يعتبر آخر الأنهار الخمسة .

وعند نهر البياس انتهت مغامرة الاسكندر فى الهند وذلك لأن القوات المقدونية كانت قد أنهكت من القتال والترحال فى ظروف متاخية غريبة عليها . بل أن قوى الرجال أنهكت من الناحية النفسية . ولهذا رفضوا التوغل شرقاً وظهرت رغبتهم الشديدة فى العودة الى أوطانهم . وكما فعل أخيليس بطل الاياذة عندما غضب ، اعتكف الاسكندر فى خيمته ثلاثة أيام أملاً فى أن يعدل الجيش عن رأيه ويتابع المسير معه . ولكن الجيش كان عنيداً فى اصراره . وأخيراً استسلم الاسكندر لارادة الآلهة والجيش . ويقال أنه بنى اثنتى عشر مذبحاً لكل اله من آلهة الأوبسوس ووسط تهليل الجند وهتافهم عاد الاسكندر ادراجه سالكا الطريق الذى كان ينوى أن يقطعه . وبذلك وضع أمامهم أعنف مراحل القتال وأسوأ مراحل الزحف فى حياتهم وعند نهر جيهم وجد الاسكندر أطولاً قد أعد لنقل الجيش بقيادة نيارخوس ذلك الجنرال الكريتى

(١) المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٢) المراجع السابق ص ١٥٧ .

الذى وثق فيه الاسكندر جيداً ، أما باقى الجيش فقد سار بحذاء الضفتين الشرقية والغربية للنهر . وفى الجنوب عند ملتقى جيليم بالجيناب تأهب الاسكندر لخوض آخر معركة هامة فى حياته وهى معركته ضد شعب آراتا أو شعب المالين Mali وهو اقليم بوسط الهند . وقد قاومه هذا الشعب بعنف فى قلعتهم مولتان Mooltan . وبلغ من عنف المقاومة أن المقدونيين كادوا أن يفقدوا الأمل فى الاستيلاء على القلعة ولكن الاسكندر ضرب مثلاً نادراً فى الشجاعة والتهور اذ خطف سلماً مخصصاً لاحتحام المعادل وتسلق بنفسه حائط القلعة حيث تلقى جرحاً كاد أن يقض عليه وأثنى عليه أنه قد مات . وقد يفسر البعض ذلك بأن الجيش المقدونى قد سئم الحرب وراح يتراخى فى القتال ازاء المقاومة التى انتشرت فى كل مكان يذهب اليه . ووصل الاسكندر الى المحيط الهندى فى منتصف عام ٣٢٦ ق.م حيث أنشأ مدينة فى منطقة باتالا Pattala فى دلتا النهر . وكذلك بنى مرفأً عظيم وأحواضاً للسفن لضمان الاتصال البحرى مع الغرب ثم كلف نيارخوس بالتيسار برحلة استكشاف بحرية حول الخليج الفارسى .

وفى سبتمبر عام ٣٢٥ ركب الاسكندر الفرع الشرقى للسند حتى وصل الى مصبه ، ثم اخترق الكثبان الرملية عند المصب وقضى « يوماً فى مرفأ الاسكندر » (وهو كراتشى) الى أن هبت الرياح الموسمية فاضمته فى الابحار وفى نهاية سبتمبر كان الاسكندر يخترق صحراء جندروسيا (Godrosia) (بالوخستان Baluchistan - أو المقران) وبعد عبوره نهر آرايس Arabis (وهو هاب) تلقى نبأ خضوع الأورتيين (اورتيا) وهم شعب ايرانى متأثر بالهند ثقافة وعنصراً وقد أسس عند عاصمتهم أورا اسكندرية جديدة (الاسكندرية فى المقران) وبعد رحلة شاقة عانى فيها الجيش من الحر والجوع والأمراض وصل الاسكندر وجيشه الى سهل كارمانيا Carmania (كرمانه) أما نيارخوس والأسطول فقد قام برحلة سجلت أحداثها بتفاصيل رومانسية وكأنها رحلة أوديسيوس وكان نيارخوس قد غادر ميناء كراتشى (ميناء

الاسكندر) متجها غرباً الى الخليج الفارسي حتى رسا عند رأس مصندم في بلاد العرب ومر في بوغاز هرمز وبعد رحلة استغرقت ثمانين يوماً حط مرساه عند نهر أمانيس Amanis حيث تم لقاء الجيش والأسطول ، وقد أقيمت بهذه المناسبة الاحتفالات والألعاب الرياضية . وقد أسست اسكندرية أخرى في جولاشكرد Gulashkird ثم تابع كل من الجيش والأسطول المسير نحو سوسا فوصلها في ربيع عام ٣٢٤ ق م .

الفكر الاسكندر الجديدة لتوحيد الشرق والغرب :

جاءت عودة الاسكندر في وقتها ، اذ تكشف له الوضع عن وجود فوضى واضطراب ، فمن ناحية راح الولاة الذين عينهم الاسكندر يتصرفون كحكام مستقلين وانضم الى لواء خدمتهم كثير من الجنود المرتزقة . كما أساء فريق من الولاة الفرس (السترابات) معاملة رعاياهم وظهر مدعون للعرش في ميديا وكرمان ونهب قبر قورش وعدد من المعابد والاساطيل الملكية في ايران . وارتكب كليومينيس في مصر كثيراً من المساوئ وراح هارباً بالوس يبعثر الأموال مقلداً بذخ ملوك الشرق . كل هذا تم في غياب الاسكندر الذي كان حريصاً على أن يمنع أى عمل من أعمال الظلم تلحق برعاياه ومن ثم قابل ذلك بالعنف والبطش من أجل إعادة العدل والنظام .

وفي سوسا أقيمت وليمة كبرى احتفاءً باتمام غزو الامبراطورية الفارسية حيث تم زفاف الاسكندر وثمانين من ضباطه على سيدات ايرانيات من الطبقة الارستقراطية . وكان ذلك الزواج المختلط اعلافاً لأفكار الاسكندر الأيديولوجية في مزج الشرق بالغرب عنصراً وثقافة . ولكن هذه التجربة لم تنجح بل فشلت بعد موت صاحبها .

بل أنها أثارت رد فعل غاضب من جانب الجنود المقدونيين خاصة بعد تجنيد الاسكندر للفرسان الاسيويين في صفوف كتائب الفرسان المقدونيين وقبول بعض الشبان النبلاء الفرس في قوات الحرس الملكي . ومما أثار الحقد في نفوس المقدونيين وأشعل السخط قيام الاسكندر

بارتداء الزى الفارسى وتقليده العادات الفارسية مما جعلهم يشمرون
بأنه لم يعد ملكهم وحدهم بل ملكا شرقيا أسيويا .

ولكن الاسكندر فاجأ الاغريق باصدار عفوه عن جميع المنفيين
السياسيين والسماح لهم بالعودة الى أوطانهم باستثناء أهل طيبة . وذلك
أثناء الألعاب الأولمبية التى عقدت عام ٣٢٤ ق م . وكان هدف
الاسكندر من ذلك هو كسب هؤلاء المنفيين الى جانبه والاستفادة منهم
كجنود مرتزقة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قصد الاسكندر أن يوفر
لبلاذ اليونان مناخا من الوحدة والسلام وبذ صراعات الأحزاب وما ينتج
عنها من تفرق وتشريد ومصادرات وهو اجراء ينم على حكمة وبعد نظر
سياسى ولكنه فى نفس الوقت تعدى على الشئون الداخلية للدويلات
اليونانية مما يعتبر مخالفا لميثاق مؤتمر كورثا (١) .

كذلك فان ابتداعه لنظام السجود وفرض هذا السلوك على المقدونيين
والاغريق كان مخالفا لميثاق مؤتمر كورثا الذى اعترف به ملكا على
مقدونيا وليس الالهة على الاغريق . وعندما رأى الاسكندر أن خير
السبل لفرض طاعته على الاغريق هو تأليه نفسه ، وقد سبق أن ذكرنا
كيف أن بعض الفلاسفة مهدوا لهذا التأليه الذى كان معروفا عند
الشرقيين وفى وادى النيل . وبالفعل أرفق مرسومه الخاص باستدعاء
المنفيين بطلب الى مدن كورثا بقبوله الالهة عليهم ، ولم تجد المدن
الاغريقية - بما فى ذلك اسبرطة - بدا من قبول هذا الطلب . وقد عارضت
أثينا ذلك فى أول الأمر ولكنها عندما أدركت أن الملك المقدونى جاد فيما
يجمع ، قبلته الالهة بدافع من الرهبة وتقادبا لغضب ذلك الملك النصارى
المزاج ، أما المقدونيون فلم يعاؤا بالتأليه .

كذلك خرق الاسكندر ميثاق كورثا عندما بدأ يتدخل فى الشئون
الداخلية للمدن الاغريقية عندما أرغم الاثينيين على الجلاء من ساموس
ورد الجزيرة الى أصحابها . ولو كان العمر قد طال بالاسكندر لرأينا
الكثير من مثل هذا الاقحام فى شئون المدن الداخلية .

(١) المرجع السابق ص ١٧٨ .

ولكن الشكوك تسربت الى قلوب الجنود المقدونيين ازاء سياسة « التفريس » التى يتبعها الاسكندر وخشوا أن تتخذ هذه السياسة نظاما أوسع فى عالم الاسكندر الجديد وقد زاد الموقف اشتعالا اصدار الاسكندر أمرا الى كراتيروس أن يعيد الى الوطن الجنود القدامى والذين تقدم به العمر ولم يعودوا لائقين لحمل السلاح وقد فر المقدونيون ذلك الأمر بأنه بداية لنقل السلطة والسيادة من مقدونيا الى بلاد الفرس ومن ثم اندلع العصيان من جانب الجيش كله الا الحرس الملكى Agema وبدأوا اعتصامهم فى أويس Opia وطالبوا جميعا بالعودة الى أوطانهم فاشتد غضب الاسكندر وألقى القبض على زعماء التمرد وفى حركة تشيلية درامية ألقى الاسكندر خطابا عاطفيا سرح فيه الجيش كله ما داموا يريدون التغلغل عن القائد الذى قادهم من نصر الى نصر ثم اعتكف فى خيمته يومين وبعد ذلك دعى زعماء الفرس اليه وراح يفكر فى تأليف جيش آسيوى على النظام المسكرى المقدونى . ولم يطق المقدونيون هذا فاستسلموا صاغرين ومطالبوه بالعفو عنهم . وفى حركة درامية أخرى خرج الاسكندر ليقف فى وسطهم والدموع منهرة على خديه (١) . وبعد العتاب بين الجندى والقائد بخصوص مصاهرته للفرس ورد الاسكندر ، بأنه اتخذ الجميع أصهارا له ، علت أصوات الاستحسان وانهالوا عليه جميعا بالتقيل وتم الصلح واللقاء وسمح لسكل من يريد العودة من الجنود القدامى بالرحيل الى وطنه .
مجلسين بالهدايا .

صلاة الاسكندر من أجل الوفاق العالى :

ولكى يعلن الاسكندر آراءه الجديدة فى عالمه الجديد أعد وليمة كبرى فى غداة التصالح مع الجيش ، حضرها تسعة آلاف ضيف . وكانت الولىمة بمناسبة تحقيق السلام فى الأرض . وقد جلس الفرس الى جانب المقدونيين كشعبين ممثلين للامبراطورية الجديدة بشقيها الأوروبى والآسيوى . بل حضر تلك المأدبة ممثلون عن كافة أجناس الامبراطورية

وقومياتها • وفي نهاية الوليمة راح الجميع يسكبون النبيذ على سبيل
القربان في آن واحد على صوت الأبواق طبقاً للعادة المقدونية • وكان
العرافون الاغريق والمجوس يشرفون على هذه القراين •

وفي خاتمة الحفل أقام الاسكندر صلاة من أجل الوثام بين الشعوب
التي تكون امبراطوريته ومن أجل أن يتعاونوا على قدم المساواة لافرق
بين مقدوني أو اغريقي أو فارسي ، بل كلهم سواء في امبراطوريته الجديدة
المتزجة والمتحدة العناصر والأجناس ، وكان الاسكندر يأمل من كل
قلبه أن يسود هذه الامبراطورية التوافق والإستجمام الفكري والعاطفي
والعنصري وهو ما سماه بالوثام ، (homonoia) • ومن الأقوال المأثورة
عن الاسكندر أن الناس وأن اختلفت عناصرهم وقومياتهم الا أنهم جميعاً
أبناء لأب واحد وهكذا توج الاسكندر حياته العظيمة بدور النبي
الموحد أو المصلح الانساني على مستوى أمم الأرض • ولكن في ذلك
الغريف خسر الاسكندر صديقاً حميماً وهو هيفايستيون Hephæstion
الذي كان يعتبره خليفته والشخص الثاني من بعده • وكان موت
هيفايستيون بسبب الحمى التي أصيب بها في اكباتانا Ecbatana
حسارة كبيرة للاسكندر الأكبر ولجيش المقدوني على السواء •

وقد حزن عليه الاسكندر بشدة وكرمه باعتباره بطلا قومياً ، بل
ترك منصب القيادة التي كان يتولاها شاغراً واستمرت كتيبة هيفايستيون
تحمل اسمه الى الأبد • ووري هذا البطل الثراب في جنازة رهيبة وذلك
في بابل •

الاسكندر في بابل:

وفي ربيع عام ٣٢٣ دخل الاسكندر مدينة بابل التي كان يزعم جعلها
عاصمة للامبراطورية ولم يعبأ ببعض النبوءات المشائمة التي تنبأ بها
كهنة الرب بل (أويلوس Belus) البابلي اذا ما دخل بابل (١) •

لقد اهتم الاسكندر بالخليج الفارسي وعمل على تحسين سبل
الاتصال بين بابل والبحر وازالة كل العراقيل والعقبات التي كان القرس

(١) لفظ بابل اسم اطلقه الساميون بمعنى « باب - بل » اي باب
« الرب بل » •

يقيمونها في وجه الملاحة بين دجلة والبحر وعند مصب نهر دجلة أنشأ الاسكندر اسكندرية جديدة أصبحت فيما بعد مركزاً هاماً للتجارة (خاصة بعد أن أعيد بناؤها باسم خاراكس مسيني Carax-Messene) كما أنشأ الاسكندر حوضاً كبيراً لخدمة السفن التجارية الكبيرة وكانت نية الاسكندر في ذلك هي احتلال الساحل الشرقي للخليج الفارسي .

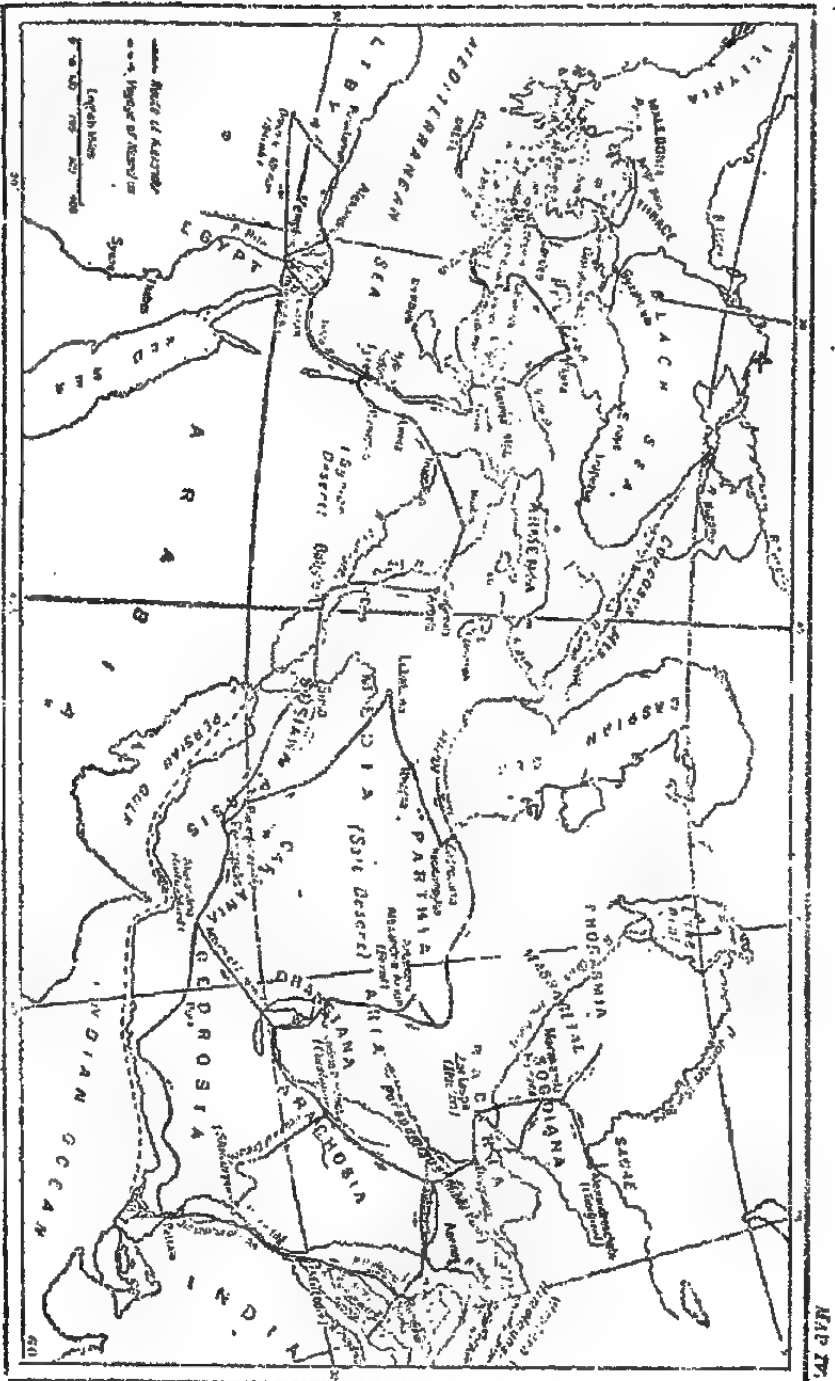
وهكذا حول الاسكندر بابل الى مركز تجارى وبحرى هام وقام بدراسة الطرق المائية في الفرات وروافده ومدى استغلالها في تشييد الملاحة وتوطيد طريق الملاحة الجديد بين الهند وبابل .

الاسكندر وبلاد العرب :

ومن أجل ربط الطريق البحرى من الخليج الفارسي الى مصر ، عزم الاسكندر على اكتشاف امكانية الطواف حول جزيرة العرب ، وأعد لذلك عدداً من السفن الحربية التى بنيت في فينيقيا ونقلت الى الفرات . ويقال أن الاسكندر كان ينوى مرافقة الأسطول في تلك الحملة ذات الطابع الكشفى . ومن الجدير بالذكر أن الاسكندر لم يكن يعلم كثيراً عن بلاد العرب سوى أنها تابعة الى حد ما لفارس .

وقد حاول يارخوس قائد الأسطول الطواف حول جزيرة العرب من الجانبين من الخليج الفارسي ومن خليج السويس في نفس الوقت ، فأبحرت سفينة من السويس جنوباً حتى وصلت الى اليمن ثم وصلت الى حضرموت (١) ، ومن ناحية أخرى أبحرت ثلاث سفن جنوباً من الخليج الفارسي وقد اكتشفت إحدى هذه السفن جزيرة البحرين ثم تابعت السير حول شواطئ الجزيرة العربية حتى رأس مصندام Mussendam وكانت الأوامر الصادرة الى قائد هذه الرحلة هو الطواف حول شبه الجزيرة العربية الى أن يصل الى السويس وماكانت تلك الرحلة البحرية الا تمهيداً لحملة الاسكندر المزمعة لضم بلاد العرب وفك طلائعها . وتديد غموضها وعزلتها عن العالم المسكون .

(١) المرجع نفسه ص ١٨٦ ملحوظة رقم ٢ .



الطريق الذي اتبعه الاسكندر في غزواته للشرق الأوسط والاقصى

THE ROUTE OF ALEXANDER

الحمى القاتلة تدهم الاسكندر :

وبينما كان الأسطول على أهبة الاستعداد لبدا الحملة البحرية المزمعة على بلاد العرب ، أصيب الاسكندر بحمى (١) ودهم الوهن جسده المرهق من الحروب وكثرة الجروح والاجهاد الذى يفوق الطاقة ولكنه ظل يقاوم الحمى ويعمل على تجهيز الحملة ومناقشة الضباط المشرفين عليها الى أن أقعدته الحمى تماماً عن العمل ولم يقو حتى على الحراك . عندئذ نقلوه الى قصر الملك البابلى . نيبختنصر Nebchtnassar وهو فاقد النطق عاجزاً عن الكلام وفى مشهد مؤثر راحت القوات تمر منكسة الرأس من أمام مليكهم المسجى على فراش الموت وهو يرمز مشيراً بالتقدير والامتنان .

وفى اليوم الثالث عشر من شهر يوليو عام ٣٢٣ ق م فاضت روح الاسكندر الى بارئها وهو لم يكن قد أتم بعد عامه الثالث والثلاثين .

تحليل لشخصية الاسكندر وانجازاته :

مات الاسكندر بعد أن فاقت شهرته الآفاق وحقق انتصارات لم تتح لأحد من قبله ، وفتح للعالم آفاقاً جديدة للوفاق والسلام . لقد كانت غزواته تهدف الى توحيد شعوب الأرض فى إطار من الوفاق والوئام وهو ما عناه بلطف الهومونيوا (أو الكونكورديا باللاتينية Concordia وليس الى غزو شعوب الأرض واستغلال خيراتها لصالحه . لأنه كان يسلم الأقطار بعد فتحها الى حكام محليين ولم يحاول الاحتفاظ بها لنفسه . وهذا يلقي ظلالاً من الشك على الزعم القائل بأنه كان يهدف الى غزو العالم ورميه تحت قدميه كما أن كثير من فتوحاته كانت تتخذ نسكل الاستكشاف البحرى لطرق الاتصال بين أجزاء العالم .

(١) بالرغم من هذا لم يسلم الأمر من الشائعات التى انتشرت تقول بينا أنه مات غداً وحيناً أنه مات بالسهم ولكن من المؤكد أنه مات ميتة طبيعية انظر : -

A.B. Bosworth The death of Alexander, the Great : rumours and propaganda Class Quarterly, XXI, 1971, p. 113-136.

لقد كان الاسكندر انما نبيلا الخلق ، كريم المعشر ، ذا ارادة صلبة كالحديد ولكنه كان عاطفيا شديد الانفعال ذا نفس جياشة بالمشاعر (١) ، لا يستطيع كبح جماح غضبه ، وكثيرا ما راح اعز المقربين اليه ضحية لثورة الغضب ، ومن ثم كان يعالى دائما من نوبات نفسية عنيفة بسبب وخزات تأنيب ضميره بالندم على ما فعل عند ما تنحصر عنه موجة الغضب المجنون ، ويثوب الى رشده . ويتشعل ذلك في حادثة مقتل صديقه الحميم كليتوس واعتكافه حزينا في خيمته لا يأكل ولا يشرب ولا يتحدث الى أحد .

ولكن بقدر ما ارتكب الاسكندر من أعمال مفاجئة لا تقرها العدالة الانسانية بقدر ما قام بأعمال تتم عن عدالة مطلقة وشهامة خالصة ، فهو الذى حارب الظلم الواقع على الشعوب الشرقية من جانب المقدونيين وطالب بارمينيوس بمحاكمتهم واعدائهم اذا ما أدبنوا .

لقد كان للاسكندر الأكبر شخصية مؤثرة وقوية طغت على كافة قواده وسعرتهم وجعلتهم يشعرون بأن مستقبلهم متعلق بمستقبله ، وهو بالرغم من هذا كان حلو المعشر في علاقاته بقواده ، دافعا لهم على العمل وتحقيق النصر .

(١) من الكتب الحديثة التي اثارت جدلا بين العلماء كتاب كرافت

K. Kraft, *Der rationale Alexander* Edit H. Gösche (Frankfurter Althistorische Studien 5) Kallmuenz über Rapsburg : Verlag M. Lesleben (1971).

وقد ظهر الكتاب بعد موت مؤلفه الذى فجر رايًا غريبا هو ان الاسكندر كان رجلا واقعيا يحكم تصرفاته العقلانية . ولكي يثبت ذلك كذب كرافت كل المصادر القديمة التي تتحدث عن الانفعال (Pathos) الذى كان يحكم تصرفات الاسكندر . وقد اتهم الأستاذ بوزورث Bosworth الذى عرض الكتاب (JHS, XCIII, 1973, p. 256-8) كرافت بأنه لوى الحقائق وداس على الأدلة وناقض كافة البحالة المعاصرين لكي يبرر رايه القائل بأن الذى كان يحكم أفعال الاسكندر لم تكن العاطفة الجياشة والانفعال (Pathos) بل السياسة الواقعية (realpolitik) وبالرغم من غرابة جبدله واقحام أفكاره الى ان الكتاب في مضمونه شيق وطريف ومحاولة لفرض الشخصية الانمانية على ذلك القاهر المقدوني .

كذلك يتميز الاسكندر بشخصية أبطال الأساطير في أعمالهم الخارقة والتي هي في الحقيقة أشبه بالمعجزات . وكان أخيلس هو نموذج المفضل الذي حاول دائماً أن يتشبه به في السراء والضراء كذلك أبدى إعجاباً بأبطال أسطوريين وبآخرين مثل هرقل ورب الخمر ديونيسوس (١) .

ولا يخفى على الدارس أن روح الاسكندر كانت تتسم بنزعة رومانسية خيالية الى جانب احساس قوى بالروحانية باعتباره ابن آمون ورسوله الى الانسانية لينشر فيها المحبة والوئام وليجنبها شرور الفرقة والآثام . ولقد دفعه هذا الميل الى الأحلام الى التشرب بروح الشرق وبسحره ورومانيته فقصده غازياً ، ثم سرعان ما راح ينتقى الكثير من عادات الشرق وأفكاره لدرجة جعلته يدعو الى المزج الفكري والعنصرى بين الشرق والغرب بل شرب في نخب وئام جميع شعوب امبراطوريته الجديدة ، ولكن بالرغم من سيطرة الأفكار الحالية وتعمق الايمان بالأسرار الخفية في نفس هذا القائد العظيم الا أنه لم يستسلم للغيبيات ، بل كان عملياً الى أقصى حد في تصرفاته ، اذا فهو مزيج من الخيال والواقعية ، من الضيعة والعملية والتأمل والتنفيذ ، وهذه ميزة لا تتحقق للكثير من البشر . بل ميزته عن غيره من أبطال التاريخ . ذلك هو الأسكندر الانسان (٢) .

أما اذا تناولنا الاسكندر كقائد عسكري (٣) فيتوجب علينا أن

(١) Victor Ehrenberg, *Alexander and the Greeks*, (translated by Ruth Von Velsen) Oxford, 1939, p. 104, p. 105.

(٢) هناك من يرى أن تغير سلوك الاسكندر كان نتيجة للوازع الدينى الشديد انظر :-

L. Edmunds, "The religiosity of Alexander, G.R.B.S., XII, 1971, p. 363-381. وهذا حقيقى الى حد كبير .

(٣) من أوفى المراجع التى عالجت عبقرية الاسكندر العسكرية كتاب

Peter Greene, "Alexander, the Great Weidenfeld & Nicholson, 1970 = R.H. CC XLIX, 1973, p. 164).

د. أ. ل. ك. ا. عرفنا من قبل فى كتابه عن معركة سلاميس (انظر ص هامش) منغمس فى الاستراتيجية العسكرية . وفى كتابه عن الاسكندر جمع كل ما يمكن أن يجمع عن الاسكندر ولكنه لم يستخدم الهوامش بطريقة علمية ، =

نعترف بمبقريته الفذة التي تغنت بها الروايات والأقاصيص ، فقد كان على الرغم من شبابه أستاذًا في فن الاستراتيجية العسكرية . وقد ظهر ذلك في تصرفاته أثناء المعارك وفي الانتصارات الكبيرة التي حققها ، فمثلا كان يبدى ثقة مطلقة بنفسه أثناء القتال ؛ وكان يحرص على أن يتقدم قواته ويشرف على المعركة بنفسه وفي ذلك قلده القادة العظام من أمثال هانيبال ويوليوس قيصر وأغسطس ونابليون وروميل وموتجورى . وكان وجوده بين قواته دائما لروح قتالية ومعنوية عالية ، ومن براعة الاسكندر في فن القتال والاستراتيجية استخدامه للقوات الاحتياطية في الوقت المناسب ، ولم يكن ذلك معروفا في الحروب القديمة من قبله ، كما برع الاسكندر في التنسيق بين أسلحة الجيش المختلفة في القتال وفي اختيار اللحظة المناسبة لبدء الهجوم وهو الذى علم العالم مزايا خوض المعارك في الشتاء ومطاردة العدو بأقصى حد ، وكشف عن القول العسكرى المأثور « ازحف متفرقا أو قاتل متحدا » (١) . وبراعته القتالية كانت خفة الحركة وسرعة الانقضاض فهو لا يؤخر توقيت المعركة بل يقوم بها في حينها » .

كان الاسكندر من القادة القلائل في العالم القديم ممن أبدوا تهماً

= والكتاب رغم اهميته عسكرى اكثر منه تاريخى لانه افرد لمعارك الاسكندر الكبرى جرانيكوس وايسوس وجيلوم دراسة مستفيضة . لكنه لم يفوه ان يحلل نفسية هذا القائد فوصفه بأنه عسكرى عبقرى ، ذو طاقة وطموح خواض وانه طموح وسياسى غامض وجندى عنيد وهزلى فى بعض المواقف ومحب للتسلط الشرقى قاس لا يرحم ، يعيل الى الانطواء على نفسه وتحكم فيه مقده العظمه Megalomania والغرور المطلق Paranoic شديد الاعتقاد بالخرافات والشعوذة ، وجنون العظمة هو الذى قاده الى ادعاء الالهية والكتاب دراسة نفسيه دقيقة وحسابات عسكرية لا يقدر عليها سوى المتخصص ، كما ان الصور الجميلة التى ضمنها فيه تكمل الصورة النظرية عن حياة هذا القائد العظيم .

(٣) انظر تارن المرجع السابق ص ١٦٥ .

لنفسية الجندي . وأن الجيوش الكبيرة تقوم على الجندي الصغير ومن ثم حرص على رفع روحه المعنوية وتسلية وتثنية عن همة ، فكان يقيم المباريات الرياضية والترفيهية من آن لآخر ويشارك الجند - كما كان يفعل فيليب أبوه - مسابقاتهم وتسليةهم محافظة على العلاقة والمحبة التي تربطه بأفراد قواته . وبالتالي أبدى رجاله نحوه شعورا من الطاعة يتكاد يكون مثاليا فقد ساروا وراءه في بلاد غامضة وقاتلوا معه في ظروف صعبة لمدة عشر سنين . وقد يظهر مقدار نجاح الاسكندر وجيشه في فتح الامبراطورية الفارسية وغزو الصحراء اذا ما أدركنا مدى فشل القادة الرومان من أمثال كراسوس وأطونيوس في اختراق بلاد الفرس واخضاع البارثيين فيما بعد .

ومن ناحية ثالثة تبرز كفاءة الاسكندر في التنظيم والادارة المدنية وان كان انشغاله بالأمور العسكرية يأخذ معظم وقته ولم يدع له الفرصة الكاملة لاعادة تخطيط ولاياته وتطهيرها من الفساد والقوضى ، فعندما عاد من الهند وشاهد القوضى الادارية تسود ولايات امبراطوريته ، اكتفى بالتخلص من بعض الحكام بالقضاء القبض عليهم ومحاكمتهم وتعيين آخرين مكانهم ، لأن الاسكندر كان في ذلك الوقت مشغولا في مشروع الكشف البحري بين الهند ومصر .

والحق يقال لم يكن الاسكندر مجددا في مجال التنظيم والادارة لأنه احتفظ بالتراث الاداري الفارسي في الولايات فابقى على نظام الساتراطات (الولاة) . وربما أدرك الاسكندر أن تراث الحضارة الفارسية في مجال الادارة والتنظيم هو تراث قديم وتاج عبقرية وتجارب عصور طويلة فابقى عليه لأنه لا يوجد خير منه ، ويبدو أن الاسكندر أدرك مدى نجاح الفرس في التخطيط والتنظيم عندما استخدم شبكات الطرق التي أقامتها هذه الامبراطورية لتربط بين ولاياتها وأقاليمها المختلفة ، ومن هنا يمكن أن نقول لقد سبق الاسكندر الرومان في تقدير ما خلده العبقريّة الفارسية وأضافته الى تراث المكاسب الانسانية

والبحرانية . فمثلا لم يغير الاسكندر في جوهر الولايات الفارسية باستثناء مصر التي أزاح عنها النظام الفارسي كلية ووضع لها نظاما أكثر استتارة وقدرة لحكم شعبها وهو النظام الذي قامت عليه دولة البطلمة فيما بعد واستمرت ثلاثماية عام تقريبا .

أما في الهند فقد أولى الاسكندر الادارة شيئا من الاهتمام ، ذلك أنه فصل الولايات الكبرى الهندية الواقعة غرب السند وكون ادارات صغرى يسهل ادارتها والاشراف عليها في اطار وحدة مركزية كبرى ، كما سلب الاسكندر المسترابات الفرس الكثير من الامتيازات اذ حرهم من حق جباية الضرائب وسك العملة وجعل خيسته مفتوحة أمام أى فرد من أفراد الشعب لتقديم شكواه مثلما كان الحال في مقدونيا .

أما بالنسبة لحلفائه الاغريق سواء في أيونيا أو حول البحر الأسود أو في بلاد اليونان ، فقد حاول الاسكندر توحيد الاغريق بمقتضى حلف كورثا ، وفي وجه مصاعب نفسية وتاريخية لأن هذه المدن قضت معظم تاريخها مفككة الأوصال متقاتلة . وحاول أن يمنح المدن الصغيرة حقوقا مماثلة للمدن الكبيرة باسم الحرية لكل الاغريق بل ان الاسكندر كان في كثير من الحالات همزة الوصل بين هذه المدن فوحدتها كانت تقوم على شخصيته (١) ولكنه يبدو أنه عامل مدن آسيا الصغرى بطريقة تختلف عن معاملته للمدن الاغريقية أعضاء حلف كورثا . لأنه حررها وتركها لشأنها ، ويرى البروفيسور أهرنبرج أن الاسكندر راح يتحرر من الأفكار الاغريقية التقليدية مما أدى الى ظهور التوتر بينه وبين حلفائه الاغريق لأن مشاعره النهائية لم تكن اغريقية ولا مقدونية ولا فارسية بل من خلق الاسكندر نفسه أى اسكندرية (٢) فمعظم رفاقه من الاغريق جاءوا من المستوطنات ومن الجزر المختلفة ، ولهذا كانوا أكثر تمحرا من قيود و«عقد» عباد نظام دولة المدينة Polis (٣) ، ولكن قلة من الاغريق

(١) المرجع السابق ص ١٩٨ سنة ١٩٩ كذلك .

Victor Ehrenberg. Alexander and the Greeks, op. cit. p. 103 E.

op. cit. p. 104.

(٢)

op. cit. p. 108 E.

(٣)

كانت تبغى بقاء هذا الاتحاد وتحن الى الماضى القديم وتأسف على الحرية المسلوقة وفقدان حق السيادة الخارجية .

أما بالنسبة للإدارة المالية فقد كانت نقطة الضعف فى نظام الاسكندر . اذ أنه خلق نظاما ماليا وعين مشرفين مالىين . ونشأت طبقة من الموظفين المالىين للإشراف على جباية الأموال من عامة الناس الى خزاة الاسكندر وكان هاربالوس يرأس هذا الجهاز المالى . ولكن وجسود الاسكندر بعيدا شجع هؤلاء الموظفين على الفساد والابتزاز وانتشرت الرشوة بين هؤلاء الموظفين ونسمع كثيرا عن سلسلة الجرائم والآثام التى قام بها هاربالوس أثناء غياب الاسكندر فى الهند . وقد ارتكب كليومينيس النقراطيسى جرائم مالية أبشع فى مصر فقد احتكر بيع القمح وحرّم تصدير المحاصيل الا ما هو خاص به مما أدى الى افلاس التجار المصريين كما قام ببيع القمح لعامة الناس بأثمان باهظة على طريقة النهب التى كانت سائدة فى بلاد اليونان . فضلا على الأموال التى نهبا وابتزها من المعابد والمظالم الأخرى التى ارتكبها ، ويقال أن كليومينيس أمكن أن يجمع ثمانية آلاف من الثلاثينات فى حين أن أغنى رجل فى ذلك الوقت لم يتجاوز ثروته مائة وستين تالنتا كل هذا تم والاسكندر بعيد غارق فى مشروعاته العسكرية والايدولوجية لا يعلم شيئا عما يدور من خراب فى مصر (١) .

ومن الاجراءات المالية التى قام بها الاسكندر توحيد العملة الفضية واتخاذ المعيار الأتيكى أساسا مع تغيير بسيط وهو جعل الأستاتير الأتيكى (وحدة التعامل) مساويا لعشرين دراخمة فقط بدلا من أربعة وعشرين فى الماضى . وبهذا تبنى الاسكندر النظام العشرى الفارسى (وهو أن الدارك Darek الذهبى يساوى عشرين شكلة فضية Sigloi) ، وكان الهدف هو أن تكون العملة الموحدة دافعا لنهضة تجارية قوية .

وقد يؤخذ على الاسكندر سخاه الذى بلغ حد الاسراف والتبذير

(١) انظر دفاع المعبدي من كليومينيس ورد ابراهيم نصحي على ذلك
الدفاع ابراهيم نصحي المرجع السابق الجزء الاول ص ٢٥ .
(٢٦ ابريق)

في منحه للمكافآت واتفاقه على حفلات الزواج والترفيه وفي تقديم الهدايا الى الأمراء والعلماء والفنانين ، وعلى بناء المدن والمنشآت ، فضلا عن تهافت الحرب وتبديد الموظفين الجشعين ، وبالرغم من توافر الإيرادات خاصة من أموال دارا المصادرة إلا أن معدل النفقات كان يزيد بكثير عن الإيرادات ولو كان العمر قد طال بالاسكندر لواجه مشاكل مالية كبرى .

كذلك يشهد التاريخ بأن الاسكندر هو أحد البناة العظام ومؤسس المدن عبر التاريخ . وقد بالغ التراث في رواياته عندما نسب اليه بناء سبعين مدينة . ولكن المؤكد أنه أسس مالا يقل عن ست عشرة اسكندرية معظمها أقيم في الأراضي الواقعة شرق نهر دجلة وفي شمال الهند . وكانت الاسكندرية في مصر هي المدينة الوحيدة التي أنشأت على الساحل الافريقي . ويبدو أن الاسكندر وضع خططا ووعد ببناء الكثير من الاسكندريات الأخرى . وقد ورث عنه خلفاؤه حصى البناء والتعمير .

كان الاسكندر هو صاحب نظرية التعمير والاستيطان في العالم خاصة في آسيا من أجل الاغريق ولكن الاستعمار المقدوني الجديد كان يختلف كلية عن فكرة الاغريق القديمة عن الاستعمار الاستيطاني الذي مر به التاريخ الاغريقي ابان القرنين السابع والسادس ق.م فالمستوطنات المقدونية كانت عالمية لكل الأجناس ولم يكن سكانها مجلوسين من مدينة اغريقية معينة . ولم يكن هدف هذه المدن تجاريا استغلاليًا كما كان في الماضي لأن كثير من الاسكندريات كانت بعيدة عن البحار والمخارج المائية . بل كان هدف الاسكندريات هي أن تكون منارات لنشر الثقافة الاغريقية في آسيا وأفريقيا وأن تكون في نفس الوقت بوتقة لمزج شعوب الشرق مع شعوب الغرب .

والدليل على ذلك لم تكن مدن الاسكندرية نموذجا من المدينة الاغريقية القديمة بحريتها واستقلالها واكتفائها الذاتي بل كانت مؤسسات مدنية حضارية ذات رسالة انسانية ولكنها مقامة أساسا على الطراز الاغريقي .

كانت المدينة السكندرية تقوم أساسا على مساحة من الأرض

تابعة للملك كما كانت نواة مجتمعا اغريقية يجيء على قبتها أقلية مقدونية متمتعة بحقوق وامتيازات خاصة ، وبعد ذلك تجيء الجاليات العنصرية المختلفة والتي كانت تتمتع بحقوق ذاتية ، وأخيرا يأتى أقلية من الأهالى الوطنيين ، المقدونيين والاغريق يجيئون على قمة المجتمع ومستمعون بكافة الحقوق المدنية . وكان من الطبيعي أن تكون القوانين والأجهزة الادارية والقضائية اغريقية . ويبدو أن مدن الاسكندر الحضارية لم تكن لتشتمل على مجالس شورى ولا مجالس شعبية على النحو الذى كانت عليه المدن الاغريقية فى العصر الكلاسيكى . ولكن كان أهالى المدن خاضعين وملزمين لمجموعة من القوانين والتقاليد العرفية الاغريقية وكان اليهود وحدهم مستثنون من ذلك التقيد . وربما كانت فكرة الاسكندر فى اغفال الحقوق السياسية للمدن الاغريقية الجديدة هدفا لتوحيد العناصر الخليفة من السكان فى القلب الاغريقى الموحد وابعاد شبح العنصرية الهلينية التى كانت تسيطر فى الأجهزة السياسية القديمة للندن . والتى وجدها الاسكندر بلا شك عائقا لإفكاره العالمية . أيضا كانت مدن الاسكندر خاضعة لحكام أشبه بالملوك يعينهم بنفسه وليس كما كانت فى الماضى تقوم على مبدأ انتخاب الحكام ، وعلى أجهزة شعبية سياسية خلفت التعصب والتطرف ، والنزعة الى عدم الاندماج فى اتحاد سياسى شامل . وقد عانى الاسكندر ومن قبله أبوه فيليب من تلك النزعات العمياء . ولهذا جاءت مدن الاسكندر كمؤسسات مسلوقة الارادة السياسية وأشبه بحواضر مدنية خاضعة له كلية .

وإذا تركنا الحديث عن شخصية الاسكندر وانجازاته لنحاول تحليل أيديولوجيته وآراءه الخاصة بوحدة ومزج شعوب الشرق والغرب . مزجا عنصريا وحضاريا فى إطار هلىنى ، فإن هذه الايديولوجية برغم ما تبدو عليه من عظمة وجرأة الا أنها كانت فى حقيقتها طوباوية بمسدة التحقيق . بدليل أنه فشل فى النهاية فى تحقيقها ودفنت معه فى القبر وقد سبق أن أشرنا الى الطابع الحالم المتأصل فى آراء الاسكندر السياسية .

وترجع أسباب فشل هذه الأيديولوجية الى رفض فريق كبير من السكان الاغريق والشرقيين على السواء التخلي عن كيانهم ووجودهم العنصري والقومي ، والتغلب على الدافع النفسى الطبيعى فى الحفاظ على عنصرهم مميزا فى سبيل الاندماج مع شعوب غريبة . حقيقة أن الاغريق اختلطوا مع كثيرا من العناصر السكانية فى الماضى خاصة فى ايونيا والأناضول وفى غيرها من المناطق التى استوطنوها . بل وأثمر الزواج عن ظهور شخصيات هامة فى المجال الثقافى والسياسى من أمثال هيرودوت وئستوكليس وثوكوديديس . ولكن كان ذلك اختلاطا طبيعيا نشأ من نفسه دون تخطيط أيديولوجى .

كان الاسكندر يعلم بحكومة مركزية واحدة لامبراطورية متعددة القوميات على نحو أوسع مما كانت عليه الامبراطورية الفارسية (١) . ومن أجل ذلك عين حكاما من الفرس . ولكن هذه الفكرة انهارت بعد موته بل انه اصطدم فى حياته بقوميات رفضت الانصياع تحت لوائه مثلما حدث مع الصفديين وفى كابادوكيا وأرمينيا وغيرها .

ولكن ليس من العدل أن نحكم على هذه الأيديولوجية بالفشل التام لأن السيلوكيين (Seleucids) خلفاء الاسكندر فى سوريا وآسيا الصغرى ساروا قدما بسياسة تأسيس المدن التى بدأها ذلك الفاتح العظيم فانتشرت العواضر الاغريقية فى آسيا الصغرى وراحت تشع حضارة وثقافة فى مناطق نائية فى آسيا بلغت حتى أطراف الهند . ولهذا يقال أن الاسكندر فشل فى توحيد العناصر السكانية ولكنه نجح فى توحيد الثقافة والحضارة العالمية على أسس ومعايير اغريقية أكثر منها مقدونية .

وجد الاسكندر نفسه حاكما على امبراطورية شاسعة وسيداً على شعوب مختلفة وقوميات متناقضة العقليات والأمزجة ، وكان من باب المحال أن يقيم الاسكندر نظاماً منسقاً مقبولا يفرضه على كل هذه الشعوب والقوميات الغير متجانسة ، ومن ثم لجأ الى نفسه وشخصيته

(١) عن احلام الاسكندر وخططة انظر :

Harvard Studies in Classical Philology LXXXII (1968) p. 183 ff. (Badian).

المقدسة كقاسم مشترك بين جميع هذه الشعوب والقوميات • وأدرك أن فكرة تأليه نفسه سوف تجعل منه الها واحدا يحكم بمقتضى سلطته المقدسة في كل مكان سواء في الشرق أو في الغرب • وبهذا تقمص الاسكندر شخصية الاله الأوحده بصوره المتعدده ، ففى مصر كان ابن آمون رع بينما كان عند الاغريق ابن زيوس - آمون ، وقد واثقه الفرصة عندما راح الفلاسفة والسياسيون يتحدثون عن الاله فى صورة البشر ، مشيرين بذلك الى فيليب ومن بعده الاسكندر • وفى عام ٣٢٤ ق م اعترفت به مدن حلف كورثا الاها اسى فوق كل البشر يحكم بالسلطة المقدسة وتصرفاته الهام من الساء وأنه على حق دائما لأنه الاله الذى لا يخطئ • ولكن يبدو أن هذا الادعاء لم يكن سوى وسيلة لحكم شعوب الامبراطورية لأنه لا يوجد دليل على قيام عبادة ذات طقوس وهاكل كهنوتية لعبادته اللهم الا بعد موته حيث نسمع عن كهنة الاسكندر وذلك تعبيرا عن عبادة الملك والدولة والسلطة • وهى انعكاس لعبادة الشخص الحاكم *Cult of Personality* التى سادت فى العصر الهلينستى والتى تذكرنا بطوك الاباطرة الرومان فيما بعد وهى بكل تأكيد من تأثير فتح الشرق •

على أى حال فان موت الاسكندر مبكرا حرمانا من معرفة المشروعات الأيديولوجية الكبرى التى كان يزمع القيام بها لتوطيد دعائم الامبراطورية العالمية سكانيا وسياسيا وحضاريا واقتصاديا ، وتوثيق الروابط بين ربوعها وخلق الشعور الانتمائى المشترك بين شعوبها وهذا يجعل الحكم على نجاحه أو فشله فى تحقيقه لامبراطورية عالمية قابلا للجدل • كذلك أهمل الاسكندر مشكلة من خلفه ويكمل رسالته اذ أنه لم يستد به العمر لينجب أو يتبنى ابنا يعلمه ويدربه لاكمال رسالته مثلما فعل أبوه فيليب ومثلما حرص الامبراطور الرومانى أغسطس على أن يفعل • ولكن بالرغم من كل هذه النقائص والعيوب الا أننا لا يمكن أن نتقص من شخصية الاسكندر الخارقة والمبدعة والمتنوعة بل أنه نجح الى حد كبير فى خلق تراث عالمى وبدأ آفاقا لعالم جديد سطعت فيه شمس الحضارة الاغريقية فى سماء الشرق الخالد •

ومن عاجية أخرى أحس الشرق بفطرته الروحانية أنه أمام أعظم شخصيات التاريخ والانسانية . ففتح صدره لهذا القائد النادر المثال ومن ثم راحت صورته تنظج في خيال ووجدان كثير من شعوب الشرقين الأدنى والأوسط . وبدأ خيال هذه الشعوب ينسج أسطورة الاسكندر الاله المخلص ، رائد المحبة والوثام والمساواة ، دافع الظلم عن المقهورين ومحقق السلام على الارض والمصرة في الناس .

وبقيت سيرته طويلا تتداول بين هذه الشعوب ، وحيكت من حوله انتقص وأضيفت عليه القداسة والرسالة الالهية وهذا في حد ذاته نجاح للاسكندر في محاولة خلق فكر مشترك بين جميع شعوب العالم اذ نسج عنه أكثر من ثمانين رواية (١) صيغت بأكثر من أربع وعشرين لغة سادت من بريطانيا حتى الملايو .

لقد حاول الاسكندر في الحقيقة أن يحصل محل الامبراطورية الفارسية في خاق وحدة سياسية بين قوميات مختلفة عن طريق التنسيق بينها بوسيلتين : الأولى شخصية الملك التي يلتزم ازاءها كل فرد في الامبراطورية بالولاء المقدس ، والثانية عن طريق تشجيع التجارة ووسائل الاتصال الحضارى بين هذه الشعوب والقوميات بحيث لا تحس بأن هناك فواصل بينها . وهى نفس الأسس التى أقام الرومان عليها امبراطوريتهم العالمية على يد أغسطس وحلفاؤه .

والشئ الذى لا نستطيع انكاره بتاتا هو أن الاسكندر فجر عهدا جديدا للحضارة الاغريقية وفتح أمامها أفقا بعيدة بصورة لم تتحقق لها من قبل . اذ أصبح العالم لأول مرة بيتا مسكونا لكل الناس (Oikoumene) وأصبح المثقفون يعتبرون أنفسهم مواطنين لا في مدن صغيرة كما كان في الماضى بل مواطنين في العالم بأسره *Kosmopolites* وهكذا أتاحت أفكار الاسكندر للحضارة الاغريقية أفقا جديدة وفتحت أمامها عالما واسعا ومجالا جديدا لتجرب فيه علومها وفنونها وأفكارها حيث بذرت حبوبها في تربة الشرق الخصبة لتعطي نباتا حسنا . ولم تعد

الثقافة الاغريقية وقصا على الاغريق والمقدونيين وحدهم بل تعدتهم الى شعوب ليست اغريقية أصلاً . وأصبح لفظ هيليني يحمل معنى حضاريا وثقافيا أكثر منه عنصريا . واختفت اللهجات الاقليمية في اللغة الاغريقية وحل محلها لهجة مبسطة وسهلة وعامة (Koine) لكل الناس في كل مكان في جميع أطراف الأرض .

هكذا أبقت الاسكندر في وجدان الانسانية حيننا للوحدة الفكرية والروحية وخلق تساميا عن الأفكار الضيقة والصراعات البغيضة ، وأوجد عشقا للسلام والأخاء والمحبة وتلك كانت مقدمة للحضارة الاغريقية في ثوب جديد مستشرق يعرف بالهلينستي Hellenistic .

بلاد اليونان تحت السيطرة المقدونية :

عندما غادر الاسكندر بلاد اليونان في طريقه لغزو بلاد الفرس ، عين أنتيباتر Antipater نائبا عنه لحكم مقدونيا وبلاد اليونان وربما فكر الاغريق كثيراً في القيام بحركة تمرد ضد مقدونيا أثناء غياب الاسكندر في الشرق ولكن عندما جاءت أنباء انتصاراته الساحقة خاصة بعد معركة ايسوس ادرك الاغريق أنه من الخير لهم أن يتوخوا الحذر والحرص قبل القيام بأي حركة تمرد خوفا من انتقام نائب الاسكندر في ييللا ولهذا تظاهر الاغريق من أعضاء مؤتمر كورثا بمباركة انتصارات الاسكندر وبعثوا اليه بتاج من ذهب ليكلل جبينه المنتصر . وعندما تزعم ملك اسبرطة (١) آجيس الدعوة لشن حركة تمرد للقضاء على النفوذ المقدوني في البيلوبونيسوس بعد عام من انتصار ايسوس وانضم لهذه الحركة كل أركاديا - باستثناء ميجالوبوليس التي رفضت الاشتراك في هذا التمرد ، فقد أن لا أحد من دويلات حلف كورثا يتدخل بل آثروا الترقب والانتظار . وكان ذلك خيرا لهم لأن انتيباتر اندفع بقوة هائلة لمساعدة ميجالوبوليس ملحقاً بالثوار هزيمة ساحقة . كما سقط الملك آجيس ملك اسبرطة قتيلا وبذلك سحقت ثورة البيلوبونيسوس في مهدها .

(1) Cf. E.N. horna, " The End of Agis' revolt, Class Review LXVII, 1971, P. 280-285.

لقد تمنى الحلفاء الاغريق في قرارة أنفسهم بشدة أن يلحق القرس هزيمة بالاسكندر ومن ثم يجدون فرصة في التحرر من الاستعمار المقدوني ، ولكن هذا الأمل تضاعف تماما بعد موت دارا وانتهاء الامبراطورية الفارسية . ويمكن أن نقول أن السلام ساد بلاد الاغريق أثناء غياب الاسكندر في الهند ولم يحدث شيء عكر صفو هذا السلام . حقيقة ، لقد ساد الهدوء بلاد الاغريق منذ سقوط وتدمير طيبة واستمر هذا الهدوء والسلام الى أن أعلن نبأ موت الاسكندر . وقد يرجع هذا الهدوء والسلام العاقل الى القيادة الحكيمة التي تزعمها كل من فوكيون ولوكرجوس فضلا عن اقسام آراء ديموستينيس حينئذ بالاعتدال والتعقل تجاه السلام المقدوني .

احتدام الازمة بين ايسوقراط وديموستينيس :

بدأت ملامح الازمة بين أنصار السلام المقدوني ودعاة الوطنية الاثينية المتطرفة عندما تقدم أحد الزعماء واسمه كتي سيفون باقتراح بتكريم الخطيب ديموستينيس لما أداه من خدمات خاصة بعد تبرعه من أمواله الخاصة لاصلاح وترميم أسوار أثينا . وطالب كتي سيفون أن يكفل ديموستينيس بتاج من ذهب في حفل علني يقام على مسرح المدينة . ووافق مجلس الشورى على هذا الاقتراح ولكن هذا الاقتراح أثار حقد و غضب أيسخينيس Aeschines العدو الشخصي والسياسي منذ وقت طويل لديموستينيس فشن هجوما عنيفا في خطبة شديدة اللهجة ألقيت عام ٣٣٠ ق.م اتهم فيها كتي سيفون بالتعدي على القوانين بتقديمه مثل هذا الاقتراح . وفي الحقيقة لم تكن خطبة أيسخينيس سوى استعراضات لتاريخ ديموستينيس السياسي منذ عام ٣٥٧ الى عام ٣٣٠ ق.م بينا ماجره من تكبات ، متها اياه بالخيانة والتفريط في حقوق الأمة كما اتهمه باللامسئولية . ورد ديموستينيس على هجوم أيسخينيس بخطبة تعتبر قطعة غراء من البلاغة السياسية سحرت ألباب الحاضرين جميعا وعند التصويت لم يحظ اقتراح أيسخينيس المضاد بموافقة أحد سوى عدد قليل بينما اكتسح ديموستينيس خصمه في المجلس مما دعى أيسخينيس الى هجران السياسة تماما والانححاب من

المجتمع الأثيني بل غادر المدينة ليحيا حياة هادئة في الريف وهكذا تواري
أيسخينيس عن الأضواء الى طي النسيان .

أثينا تستغل السلام المقدوني في بناء نفسها :

وبالرغم من عظمة العمل المقدوني الذي غير الموازين السياسية في
حوض البحر المتوسط وفي الشرق الأوسط الا أن بلاد اليونان - خاصة
أثينا - ظلت على مجدها الحضارى والتجارى . اذا احتفظت أثينا
بمركزها السياسى والحضارى والتجارى كعاصمة لكل بلاد اليونان ،
ومما ساعد في عملية البناء الاقتصادى والممرانى اتباع السياسة الأثينية في
هذه الفترة الى الدعوة الى السلام ، وبذء الحرب ، مما وفر لها التفتتات
الطائلة التى كانت تنفقها على الحروب وتستغلها في بناء نفسها ذاتيا
وعسكريا وسياسيا من أجل استعادة نفوذها المفقود فيما وراء البحار .
ومن أجل هذا راحت تنفق الأموال الطائلة على بناء الأسطول من جديد
حتى جاوز الأربعماية سفينة ؛ ولحسن حظ أثينا كان المشرف على
حسابات المدينة وهقاتها رجل عاقل حكيم اسمه لوكرجوس (Lucyrgos)
وقد قام لوكرجوس بعدة مشروعات عمرانية كبرى في أثينا منها بناء
الاستاد الكبير على ضفاف نهر الليسوس بمناسبة أعياد الباناثينا ،
ومنها أيضا الجمنازيوم الشهير في ضاحية لوكايوس (1) حيث
تقع الأجمة المقدسة لدى الآله أبوللون وربات الشعر والتفنون والمعرفة
(Musae) . وحيث كان أرسطو يعشق التجول فيها مع مريديه ليحاضرهم
أثناء المسير (2) . ومن أعظم الأعمال التى تركها لنا لوكرجوس الأثينى
مسرح ديونيسوس الكبير ذا المدرجات الرخامية والمقام في رحاب
الأكروبول الذى لا تزال أطلاله من أهم ملامح آثار هذا المرتفع العظيم .

وعلى أى حال لم تظهر أى بادرة من أثينا توحى بتغيير سياسة
الانصياع لالاسكندر الا عندما أعلن الاسكندر قراره الشهير بوجوب قبول

(1) من هذا الاسم اشتق لفظ الليسية Lycée في اللغة الفرنسية
كمكان للتعليم والدراسة .

(2) ولذا عرفت مدرسته باسم المشائين Peripatetic School .

الذين السياسيين ومنح جزيرة ساموس الاستقلال والتحرر من السيطرة
الإثينية عندئذ اعترضت أثينا على ذلك القرار وأيدها في ذلك آيتوليا والتي
كانت تخشى على نفوذها في أكارثانيا. ولكن لم تجرؤ أثينا على اعلان هذا
الاعتراض عندما أرسل الاسكندر رسوله نيكانور Nikanor ليعلن ذلك
على الملا ايان المهرجانات الأولمبية بل كتبت غيظها في نفسها منتظرة
فرصة مواتية لاعلان هذا التمرد .

هاربالوس وثروته يسببان أزمة بين الاغريق ومقدونيا :

سبق أن أشرنا كيف أن هاربالوس أمين خزانة الاسكندر اختلس
أموالا كثيرة بطرق غير شرعية لنفسه ، ويقال أنه جمع مالا يقل عن خمسة
آلاف تالنت ثم فر هاربا ، وفي عام ٣٢٤ ق . م وصل هاربالوس الى
شواطئ بلاد اليونان في صحبة جيش صغير من المرتزقة ويحمل ثروته
الطائلة وطلب الدخول الى أثينا فسمح له ذلك بشرط أن يسرح جيشه
الصغير ، وبالفعل دخل هاربالوس ومعه سبعمائة تالنت ، وأعلن الاثينيون
أنهم سوف يحتفظون على هذه الثروة لحين أن يمث الاسكندر في طلبها .
وبناء على اقتراح ديموستينيس ألقى القبض على هاربالوس ووضعت
ثروته تحت حماية الدولة في خزانة الأكروبول . وكلفت لجنة بحراستها
كان ديموستينيس نفسه عضوا فيها ، وسرعان ما وصل فيلوكسينوس
أمين خزانة الاسكندر في غرب آسيا الصغرى مطالبا بتسليم هاربالوس
اليه باعتباره عامل أموال سابق في بابل كما وصل رسول آخر جاء
من ييللا مبعوثا من طرف أنتياتر نائب الملك في مقدونيا ليطالب أيضا
بتسليم هذا المختلس ومصادرة ثروته . ولكن الاثينيين أعلنوا أنهم لن
يسلموا هاربالوس الا لملندوب الاسكندر شخصيا ، أما هاربالوس فقد
تمكن من الهرب خارج أثينا وظل مطاردا الا أن اغتاله أحد شركائه في
الاختلاس .

أما الثروة المصادرة فقد ظلت في حراسة اللجنة المعنية ، ولكن عند
جردها لم يعثر الا على ٣٥٠ تالنت فقط . وبرعان ما وجه اتهام الى
مجموعة من السياسيين باختلاس ٣٥٠ تالنت من الثروة وأشيع أنهم

اقتسموا. هذا المبلغ فيما بينهم ، وجاء ذكر اسم ديموستينس بأنه تقاضى
عشرين تالنتا . وقد اعترف ديموستينس بذلك وكان تبريره أنه كان فى
ضائقة مالية بعد تبرعه بعشرين تالنتا لصالح خزانة صندوق التسليحة
Theoric Fund وأنه عوض هذا المبلغ من مال الاسكندر وهو لا يرى
فى ذلك عيبا ، وبالفعل أدين ديموستينس بتهمة التبيد والاختلاس
وحكم عليه بغرامة قدرها خمسين تالنتا . ووضع فى السجن لحين دفع
الغرامة . ولكنه تمكن من الهرب ، وظل ينتقل ما بين جزيرة ايجينا
Aegina ومدينة تريزن Troezen متعينا فرصة للعودة الى
أثينا .

اعلان موت الاسكندر ورد الفعل على الاغريق :

جاءت الأنباء تحمل خبر موت الاسكندر العظيم ، ولكن بناء على
تجربة سابقة لم يصدق الاغريق أو بمعنى آخر أثروا الترت ، وقال
ديموستينس معلقا على هذا النبأ « لو كان الاسكندر قد مات حقا ،
لملأت رائحة جسده أنوف العالم بأسره » (١) .

ولما أصبح النبأ حقيقة أعلنت أثينا وأيتوليا الثورة ضد السيطرة
المقدونية وانضمت اليهما عدد كبير من دويلات مدن شمال بلاد اليونان
وجندت أثينا ثمانية آلاف مرتزق من جنود الاسكندر السابقين لحمل
السلاح وكلفت قائدا اسمه ليونثيس Leontheas بقيادة الحرب
واستدعت ديموستينس ليعود الى خطابه القديمة وليعبر جهد مشاعر
الاغريق القومية ضد مقدونيا وتمكن ليونثيس من احتلال قلعة لاميا
Lamia المواجهة لمر الترموبيلاي فى شمال بلاد اليونان ، وانفزع
أتباتر الى لاميا ليسحق المتسردين ولكن فرسانه التسالين تمردوا عليه
مما جعله يتحصن بالقلعة ، ومن ثم وجد نفسه محاصرا داخلها بواسطة
ليونثيس وقواته وظل محاصرا طوال شتاء عام ٣٢٢ ق.م وأخيرا

(1) Cf. A.B. Bosworth, " The death of Alexander, the Great rumours and
propaganda Class. Quarterly, XXI, 1971, p. 112-136.

جاءت النجدة لأتتباتر من فريجيا Phrygia في آسيا الصغرى اذ وصل حاكمها ليوناتوس Leonnatus الموالي لمقدونيا ومعه قوة كبيرة تمكن أتتباتر بمساعدتها من تحطيم الحصار والاتصال بفلول القوات المقدونية، وقد تحسن وضع المقدونيين كثيرا عندما وصلتهم نجدة ثانية من آسيا الصغرى بقيادة كراتيروس وبعد معركة عنيفة في سهل كرانون Cranon بتاليا سحق أتتباتر قوات الاغريق ولكن نصره كان هزيعا ، وكان يمكن للاغريق كسب المعركة لولا تشتت صفوفهم وتككهم سياسيا مما أدى الى انخفاض روحهم المعنوية خاصة عندما تقدم أتتباتر عبر تساليا مهددا باحتلال أثينا ، وانهارت روح الاغريق المعنوية وأذعنوا لشروط اتتباتر القاسية ، اذ أرغم أثينا على قبول حامية مقدونية دائمة فوق الأكروبول ، وفي قلعة مونخيا Mynchia لمنع ولقبح أى حركة تمرد قد تقوم بها أثينا ضد مقدونيا مستقبلا سواء بفردا أو بمساندة الاغريق الآخرين ، كما اشترط على أثينا تسليم زعماء الثورة ضد مقدونيا وهما ديموستينيس وهيريديس *

كذلك اشترط أتتباتر (١) على الوفد الأثيني الذى جاء للاستسلام والذي كان يتكون من الجنرال العجوز فوكيون وديماديس صديق المقدونيين أن تغير أثينا من فلسفتها الديمقراطية باعطاء الملكية عين الاعتبار عند الممارسة حتى لا يسيطر على الحزب الديموقراطى الفوغاء والمعدمون وغيرهم ممن يستوى لديهم السلام والحرب ان لم يؤثروا العرب على السلام *

وبناء على شروط التسليم بعث أثينا الى ديموستينيس الذى كان يزور مدن اليلوبونيسوس ليعرضها على الثورة — بعث اليه تطلب منه

(١) كان اتتباتر قد اوكل له حكم مقدونيا نيابة عن ابن الاسكندر الذى لم يكن قد ولد بعد ونيابه عن شقيقه فيليب الابن Philip Arrhidaios عند توزيع الإمبراطورية على الورثة انظر :

Fr. Schachermeyer, " Alexander in Babylon und die Reichordnung nach Seinen Tode : Sitzungsber des Osterr. Akad des Wissens, Philos. Hist. Klass) 2٥8/3 (1970) = J.H.S., XC, 1970, P. 49-77.

العودة فأدرك معنى ذلك فهرب هو وصديقه هيريديس وقد التجأ
الأخير الى معبد الاله آياكوس Aeacus في جزيرة ايجينا ينما التجأ
ديوستنيس الى معبد بوسيدون في جزيرة كالاوريا Calauria .
وبناء عليه فقد حكم عليهما بالموت غيايبا ، ووصل رسل أتيئات الى ايجينا
وكالاوريا حيث استسلم هيريديس وأعدم ، أما ديوستنيس فقبل أنه
ابتلع سما كان يخفيه بداخل أحد أقلامه مفضلا الموت بيده على أن يموت
بسيوف المقدونيين .

وبهزيمة الأثينيين في كرانونا انتهت الى غير رجعة عهد الوطنية والكبرياء
والصراع الذي كان يشكل الروح العامة لتاريخ مدينة أثينا ، وقضت السياسة
القديمة وغاب العصر الكلاسيكى وبدأ عالم جديد في الفكر والعضارة .
اذ لم يعد الاغريق يهتمون بالسياسة والامبراطورية بل انفتحو الى التراث
الخالد يعبون منه ويجددون فيه حتى أصبحت أثينا منارة العلم والمعرفة
ومدرسة الفلاسفة والجامعة التي يحج اليها طلاب العلم من كافة جهات
العالم المسكون للتزود والنهل من ينابيع المعرفة فيها ، وظلت بلاد اليونان
على هذا الحال طوال الحكم المقدوني وعبر الحكم الروماني . حتى قضت
المسيحية على مدارس الفكر الوثني .

الفصل السابع عشر

الحضارة الإغريقية

إبان القرن الرابع قبل الميلاد

لقد تحولت عبارة يريكليس العالمية التي جاءت بين فقرات خطبته الشهيرة إلى حقيقة واقعة في القرن الرابع ق. م وهي العبارة الذي ذكر فيها أن أثينا هي « جامعة هيللاس » . لقد تحولت أثينا بالفعل بعد سقوط إمبراطوريتها وهجرها أتون الحروب إلى منارة للعلوم والمعرفة وتدفقت عليها تيارات الفن والفكر . وانتزعت أثينا لنفسها اعترافا من سائر الإغريق وسكان العالم المسكون بأنها الجامعة والمدرسة ومحراب الإلهام والحضارة .

وعبت الآفاق شهرة مدرسة إيسوقراط ومدرسة أفلاطون الفكرية وتدفق الناس عليهما من كل حذب وصوب .

ومن أهم مظاهر التغير التي حدثت في أثينا في القرن الرابع ق. م هو تحطيم أسوار العزلة والتقوقع والاختواء على النفس الذي كان دافعه الأول التطرف والاستعلاء الوطني الأعشى الذي يؤثر أن ينغلق على نفسه على أن يفتح ذراعيه لوحدة أشمل وأعم . لقد انهار جدار العزلة النفسية لتصبح أثينا أغريقية وليست أثينية فقط بل راحت ملامح العالمية الانسانية وروح الانتماء إلى العالم المتحضر دون تحيز Cosmopolitanism تبدو في الأفق الجديد . وهذا في حد ذاته تطور كبير وخروج على الخط السوفاني الضيق الأفق التقصير النظر الذي ساد إبان القرن الخامس قبل الميلاد والذي كان ينفر من أي شيء ليس أثينيا .

يرجع الفضل في توسيع آفاق العقيدة الأثينية الى مدارس الفكر والفلسفة الجديدة التي بنت تأملاتها على تفكير زمامى منطقي منظم . ولعل خطب ايسوقراط التي التزمت بروح الوحدة الشاملة لكل الاغريق ومهاجمة التفوق والوطنية المتعصبة . لخير دليل على روح التفكير الجديدة . كذلك فان افكار افلاطون العالمية الحاملة وآراء اكسينيفون السياسية المتحررة ضد التزمت الأثيني ومحابة هذا الأخير للنظم الاسبرطية في شجاعة منقطعة النظر كل هذا يعطى صورة رائعة لانهاض معادل الفكر القديم وهبوب نسبات عصر جديد ، عصر فتحت فيه أثينا ذراعيها للتيارات الدينية الشرقية والأجنبية ، وبدأت تبني معابد لهذه الآلهة في ميناء بيريه بل و في داخل العاصمة الأثينية ذاتها .

لقد تحول المسرح الأثيني الى مدرسة ومؤسسة تعليمية ثقافية ولم يعد مجرد أداة للتسلية واشباع الغرور الوطني والسياسي ولهذا قدره السياسيون كأداة لنشر الأفكار وكجهاز اعلامي يث المعرفة بين الاغريق ولهذا تغير جوهر التأليف المسرحي . فمثلا نجد الكوميديا القديمة التي عرفناها أيام أرسطوفانيس والتي كانت تركز نفسها للسياسة المحلية والسخرية من السياسيين الأثينيين وغير ذلك من الأمور المحلية البحتة التي لا يفهمها القارئ العادي الا اذا كان ملما بكل تفاصيل السياسة والحياة الأثينية وبكل دقائقها وتفاصيلها . لقد أبدل الستار على هذا النوع من الكوميديا القديمة وبرز مكانها نوع جديد من الكوميديا يتزعمها ميناندر Menander تتناول موضوعات ذات طابع انساني عالمي لا يختص بمكان أو زمان معين بل يمكن أن نقول عنه أنه انساني عالمي ، حتى التراجيديات تغيرت هي الأخرى لتسير على نهج النقد والواقعية والأسس الانسانية الخالدة تلك المبادئ التي كان يوريديس التأثير قد بشر بها في النصف الأخير من القرن الخامس ق م .

لقد صاحب ذلك كله ان لم يكن سبق ذلك كله تطور كبير في سيكولوجية الفرد الأثيني اذ بدأ الفرد يحس بنفسه بصورة لم يعهدها من قبل اذ لم يعد المواطن يرى نفسه من خلال المجتمع والدولة بل يرى

الدولة والمجتمع من خلال ذاته وأن الدولة يجب أن تكون في خدمته وترعى مصالحه ولم تعد روح الوطنية المتطرفة تسيطر عليه لدرجة أنه كان يعتبر « جسده ليس ملكا له وحده » كما كان يقول. بيريكليس . بل برزت روح الفرد Individualism وراح الفرد يطالب بحقوقه ويتحرر من القيود القديمة التي كانت تربطه بمجلة الدولة . هذا الاستقلال الفكري من السيطرة التي فرضتها دويلة المدينة دفع الكثير من الجنود والضباط الى العمل في صفوف أى جيش يطلبهم لخدمته . وقد شرح أفلاطون أحقية الفرد في العمل بحرية في أى مكان وضرب مثلا في جمهوريته بالدواب التي تسير في طريقها للعمل في أى مكان وإذا حاول أحد أن يعترض طريقها داسته تحت أرجلها . وهكذا يجب أن يكون المواطن الحر . كما ذكر أفلاطون أن كل شيء في الحياة يكاد أن يصرخ مطالبا بالحرية . وربما كان تطور روح الفرد نتيجة للاتجاه نحو الديمقراطية الدستورية وليس نتيجة للتشريع الأكمل . لقد ساهم في فكرة احياء روح الفرد مفكرون عديدون منهم يوريديس والفيلسوف سقراط ، ثم تلميذه أفلاطون ولقد سبق الحديث عن سقراط الذى كانت أفكاره نقطة التحول الكبير من شخصية الدولة الى شخصية الفرد .

كان أفلاطون تلميذا خليقا بأستاذه سقراط ولكنه أدار عينيه بعيدا عن أينما يعلن إعجابه بدستور أسبرطة مثلما فعل اكسينوفون من قبل . وقد أعلن أفلاطون بصراحة تامة أن الدستور الاسبرطى أقرب الى تصوره المثالى عن الدستور الحق من الدستور الأثينى وكان هذا مما لا شك فيه انتصارا لاسبرطة وتكديا للدعاية الأثينية القديمة ضد أسبرطة واتهامها بالرجعية والاستبداد . هذا بالرغم من أن أفلاطون كان يعلم علم اليقين أن دستور أسبرطة يمسو شخصية الفرد تماما من أجل الدولة والجماعة ولكن أفلاطون وجد ذلك أقرب النظم الى تصوره الاشتراكى الجماعى .

لقد كان هناك ثورة حقيقية على الفكر القديم كله فلاول مرة جادل الفلاسفة بشجاعة تامة في شرعية نظام الرق الذى كان جوهر المجتمع القديم وربما كان يوريديس أول من رمى هذا النظام بالحجر . ومن

الأفكار الجديدة التي تناولها المفكرون بالجدل والنقاش حقوق المرأة ومساواتها بالرجل . فبينما كان أرسطوفانيس يسخر في الماضي من الشيء الذي يسمى بحقوق المرأة وتناوله بالتقريع في مسرحيته اكليسيا النساء (أو برلمان النساء) نجد أفلاطون في الجمهورية يضع النساء على قدم المساواة مع الرجال ويتحدث عن الاشتراكية الجماعية ويضع تغبلا لها من أجل رخاء الناس ، كل الناس وحياتهم من الفقر ومن أنفسهم وجشعهم وهو الشيء الذي سخر منه أرسطوفانيس أيضا بالرغم من أن أفلاطون انتهى الى حقيقة مرة أن الاشتراكية المطلقة لا يمكن تحقيقها واضطر الى الاعتراف بحق الملكية الخاصة ولكن للأسرة وليس للفرد .

لقد كان للبلاغة وفن الكتابة دور عظيم في نشر الأفكار الجديدة وتوزيع العقيدة الأينية ومن أساطين البلاغة السوفسطائي جورجياس . ولعل ازدهار فن النثر بعد التحرر من الشعر وقبوه أثره الكبير لأن النثر بأسلوبه السهل شجع على روح النقد والجدل دون تعقيد . لقد كانت الخطابة وطلاقة اللسان شرطا أساسيا للوصول الى المناصب القيادية خاصة السياسية وقلرا لسلاسة النثر وسهولة عرض الأفكار الجديدة فيه ودون عائق ودون تعقيدات الشعر وتفاصيله فقد توارى الشعر كما اختفت التراجيديات القديمة برطانة لنتها وأوزانها وأفكارها الدينية المسيطرة على جوهرها ومفهومها وحلت محلها تراجيديات أكثر بساطة وتحررا ظهر فيها روح سقراط ويوريديس الجدلية الأنسانية .

لقد تحرر الإنسان الاغريقي في القرن الرابع من الضموض الديني ومن كل الأفكار والقيود القديمة ومن تسلط الشعر بأوزانه على فن الأدب حيث وجدت روح الفرد الجديد منطلقا لها خلال النثر البسيط السهل . ذلك النثر فتح الباب أمام الفكر للنقد والتجديد والاجتهاد وتحققت فعلا عبارة بريكليلس القديمة والتي قال فيها « انى أقول لكم أن أثينا هي مدرسة هيلاس وأن الفرد الأثيني بذاته يبدو قادرا على أن يتكيف نفسه مع أكثر أشكال العمل تعقيدا بأقصى قدر من المرونة والكمالية » (١) .

(١) Thucydides, II, 97-41.
(٢٧ - الاغريق)

ولا يفوتنا أن نشير إلى دوافع ازدهار النشر التي كان أهمها ظهور المطبعة القانونية أمام المحاكم في ظلال الديوقراطية الدستورية. إذ ظهرت طبقة من المحترفين الذين كانوا يكتبون هذه « الدفاعات » ليلقيها المدافعون عن أنفسهم ومن أشهر هؤلاء الأدباء القانونيين الخطيب « لوسياس » Lysias . ومن كتاب المقالات المشهورين الخطيب ايسوقراط صاحب المدرسة الشهيرة التي نافست مدرسة أفلاطون الفلسفية . إلا أن مدرسة ايسوقراط كانت تختلف عن مدرسة أفلاطون إذ أنها كانت مدرسة فكرية ثقافية هدفها المعرفة ، واعداد المواطن للحياة العامة . وليس فقط تعليمه جمال الصياغة وقوة الدراما البلاغية وكيفية تحسين الأفكار . ولهذا وجدت هذه المدرسة نفسها مضطرة إلى تدريس العلوم السياسية وقد وصف ايسوقراط مدرسته بأنها تدرس « الفلسفة » كما يراها هو .

أما الفلسفة الحقيقية في ذلك النقد فكانت تتجلى في مدرسة أفلاطون والتي أوجدتها في أجنة مقدسة تسمى بالأكاديموس Akademos (١) . وكان الشباب يذهب إليها لتلقى دروسا في الفلسفة . ولقد بلغ التنافس بيننا درجة تذكرنا بالتنافس الذي قام بين بعض كليات الجامعات البريطانية في العصر الحديث .

كانت مدرسة ايسوقراط تختلف في شكلها عن مدرسة أفلاطون لأن ايسوقراط كان باحثا أكاديميا وفي نفس الوقت رجل دعاية وإعلام ولما كان لا يجيد فن الالتقاء بسبب انفعاله الزائد وقيامه بحركات تشنجية فضلا على أنه كان ينقصه الصوت الجهوري الأجش مثل صوت منافسه ديموستينيس ، فقد فضل أن يكتب خطبه وينشرها في شكل مقالات يقرأوها الناس ولم يتلق الأئيين ذلك بالارتياح والتقدير . ولكن مقالات أو رسائل ايسوقراط كانت تسم بروح الاقتناء لمواطنه العالم ككل Cosmopolitan فمثلا يقول في خطبته الشهيرة « الثناء Panegyris التي كتبها عام ٣٨١ ق م : « لقد فاقت أثينا سائر العالم في قوة الفكر والخطابة حتى أن تلاميذها أصبحوا المعلمين لسائر الشعوب

(١) ومن هذا اللفظ اشتق اللفظ « أكاديمي » .

لقد جعلت (أثينا) لفظ هاليني يتخذ مفهوما فكريا لا عنصريا . ومن ثم
وجب منحه لكل من شارك في ثقافتنا قبل هؤلاء الذين يشتركون معنا
في الأصل الواحد . ان الفكرة التي تتضمنها هذه العبارة شجاعة
وجديدة ، ولم يكن أحد يجرؤ على قولها باستثناء يوريديس .

ولم يفت ايسوقراط أن يسجل ملاحظاته عن ظاهرة انهيار المجتمع
العظيم والالتزام بسنة السلف الصالح . ولهذا عبر عن حنينه لأيام المشرع
سولون وتمنى أن تستعيد محكمة الأريوباجوس مجدها المسلوب
وحقوقها في مراقبة السلوك والأخلاق بين الناس . ولم يجد ايسوقراط
في ذلك أى تعارض مع فكرته الخاصة بالسلام والوئام ووحدنة العالم
المسكون .

ولو نظرنا الى الفن الاغريقى فى القرن الرابع ق.م لوجدنا ملامح
العصر تظهر فيه . فمثلا لوقارنا أعمال النحات براكستيليس فى القرن
الرابع Praxiteles بأعمال فيدياس فى القرن الخامس ق.م لوجدنا الفرق
ملحوظا . اذ نجد فان القرن الرابع يتحور من السيطرة الدينية التى
كانت تفرض عليه قيودا قاسية . وبدأ الفنان يبلور شخصيته الفنية
بعيدة عن المعبد وعمارته فمثلا بينما كان فيدياس ينشد فى أعماله
المثالية والكمال الصارم وتصوير الاله كما يراه الإنسان العابد الورع
والذى تملكه عقدة الكبرياء والتعالى على غيره من شعوب العالم .
كما يظهر ذلك فى افرز معبد البارثينون ، أما فى القرن الرابع فقد
أصبحت الالهة فى نظر الفنان بشرا عاديين صورهم كما يصور الناس فى
حياتهم اليومية . لقد سجل براكستيليس لأول مرة فى تاريخ الفن
الاغريقى صورة الربة أفروديت وهى متجردة تماما من ثيابها فى طريقها
الى الحمام وعلى وجهها حياء الأثى وخجلها وهذا التمثال يصرف
« بأفروديت مدينة كيندوس » Aphrodite of Cindus حيث كان يقام
التمثال . حتى الحيوانات الأسطورية الشرسة تحولت الى مخلوقات
مهذبة متحضرة وشاعرية مثلما الحال فى تمثال براكستيليس الذى يصور

الساتوروس Satyros السعيد وهو مخلوق أسطوري يجمع بين روح الحيوان . كما بدأ الاهتمام بتصوير الانسان كمرد مستقل بذاته . واقعالاته وطباعه .

وفي مجال السياسة تغيرت نظرة المواطن الى دولة المدينة اذ راحوا يدركون أنها ليست سوى حكومة تصرف شئونهم وترعى مصالحهم كما أخذوا ينظرون الى المجتمع نظرة يمكن أن نسميها بمفهوم المصر الحديث نظرة « تعاونية » . كل يعمل من أجل الرخاء العام واختفت روح التكالب على رأس المال . وأصبحت السياسة الخارجية للمدينة أكثر تمعلاً وأقل طموحاً من القرن الخامس ولهذا كان يفوق كل المصور السابقة سعادة ورخاء وحرية .

واذا كانت أثينا قد فقدت امبراطوريتها السياسية في القرن الرابع الا أنها لم تفقد امبراطوريتها لتجارية ، ولم تتحقق أحقاد كورثا في أن تزول أثينا عن عرش التجارة . ولم تعد أثينا تخشى منافسا آخر سوى جزيرة رودس التي أضحت مركزاً تجارياً هاماً في الجنوب الشرقي من البحر المتوسط . ولكن رودس لم تكن في مركز يهدد التجارة الأثينية .

ولقد شهدت هذه الفترة انخفاضاً ملحوظاً في تعداد سكان أتيكا بسبب الحروب والأوبئة . فبعد أن كان تعداد الرجال يقرب من ٤٠٠٠٠٠ ، انخفض عددهم الى ٢٢٠٠٠٠ تقريباً . وقد ساعد هذا الانخفاض على توازن قدرات البلاد الانتاجية بعدد السكان خاصة بعد انتهاء عصر الاستيطان والهجرة وضياع المستلكات الخارجية .

أما الزيادة السكانية الضئيلة فقد كانت تجد لنفسها عملاً كمرتزة في الحيوان الأجنبية ، وفي الهجرة الى البلدان الشرقية .

ومن مظاهر الازدهار التجاري والاقتصادي اتساع ميناء بيريه بشكل راح يجاوز مدينة أثينا ذاتها . بل ظهر فن جديد في التعامل المالي وهو يمكن أن نسميه بنظام البنوك .

ان فكرة البنوك في العصر الحديث ليست سوى وليدة فكرة قديمة مارستها شعوب الشرق الأوسط الا وهي حفظ الأموال في المعابد في حراسة الكهنة ، ثم راح الكهنة بما لديهم من ثروات متجمعة من القرابين والهبات يقرضون الدولة نظير نسبة معينة من الربح ، وقد لعب معبد الآله أبوللون في دلفي دوراً كبيراً في هذا المجال . أما في القرن الرابع فقد شجع الازدهار التجارى الأغنياء من الناس على فتح دار للاقراض المالى ، اذ أنشأ باسيون Pasion فى أثينا أول دار للاقراض المالى بضمان من جميع مراكز التجارة وكان رأس ماله ٥٠٠ تالنت . كما قدم تسهيلات جديدة للتعامل بالوثائق المالية بدلاً من النقود مما أعطى دفعة قوية للتجارة ، وبالرغم من ازدهار الحالة النقدية بسبب استخدام الذهب المخزون فى المعابد والقادم من البلاد الأخرى فى سك عملات ذهبية فضلاً عن نجاح البنوك فى اغراء أصحاب الأموال المدخرة فى اخراجها وتشغيلها فى أسواق المعاملات الا أن نسبة الفائدة على القروض كانت عالية اذ وصلت الى ١٢٪ مما يدل على شدة الطلب على الأموال بسبب الازدهار التجارى والصناعى .

ولكن تضخم رأس المال واستقلال روح الفرد أدبا الى نتائج وخيمة ، اذ ظهرت بوادر الصراع الاجتماعى (١) عندما لفت المفكرؤز والفلاسفة الأنظار الى التناقض بين المساواة الاسيية فى الحقوق السياسية وبين الفارق الشاسع فى الثروة بين الأغنياء والفقراء ووضعوا عدم جدوى المساواة فى الحقوق السياسية ما دام العدل الاجتماعى غير قائم ولهذا طالبوا بوجوب ربط المساواة السياسية بالعدل الاجتماعى كى لا يستغل الأغنياء ثراءهم فى التسلط السياسى . ومن ثم ظهرت طبقة ديمقراطية تنادى بحتمية اعادة توزيع الثروة عن طريق الدولة . لقد كان مثل هذه الأفكار قبل القرن الرابع محل سخرية أرسطوفانيس فى روايته « برلمان النساء » و « الثروة » ولكنها فى القرن الرابع وضعت

(1) P. Mac Kendrick, "The Athenian aristocracy, 399-31 B.C., Cambridge, Mass, 1968.

موضع الجدية وتناولها أفلاطون بالدراسة وجعلها نظاماً أمثل في جمهوريته الفاضلة .

ولهذا لجأت الدولة الى اتخاذ إجراءات سريعة لارضاء المعدمين فرفعت أجر حضور جلسات المجلس الشعبي من نصف دراخما للجلسة (وهو الحد الذى وضعه بيريكليس) الى دراخما ونصف دراخما . وربما اضطرت الدولة ازاء ذلك لاحرصا على تعميق المفهوم الديمقراطي عند الناس بل نتيجة لارتفاع الأسعار عما كانت عليه أيام بيريكليس ونظرا للازدهار وارتفاع مستوى المعيشة .

ومن الخطوات الأخرى التى اتخذتها الدولة لارضاء الفقراء زيادة الاعتمادات الخاصة بصندوق الألعاب والمهرجانات Theoric Fund وقد نشأت فكرة هذا الصندوق أساسا من عرف قديم كان موجودا منذ أيام بيريكليس يقضى بضرورة منح الدولة للمواطن المعدم ثمن تذكرة حضور عروض المسرح . ولكن فى القرن الرابع زادت اعتمادات البند المخصص للترفيه وللإحاطة على المهرجانات الدينية والترفيهية لدرجة اقتضت تعيين مشرف مسئول عن توزيع هذه الأموال . ولارضاء المعدمين فرضت الدولة ضرائب باهظة على أصحاب الرساميل من أجل دعم هذا الصندوق تعبيراً من الدولة للمواطنين بأنها تضع رعايتهم ورفاهيتهم أمراً أساسياً .

لقد شمل التمييز أيضاً الجيش اذ لم تعد دولة المدينة أثقنا للحرب كما كانت فى الماضى ومن ثم لم تعد الظروف قادرة على اخراج جنرالات عابرة من أمثال تمستوكليس وبيريكليس ونتيجة لذلك حدث انفصام بين العسكرية والسياسة وأصبح فن الحرب مهنة مستقلة يقوم بها عسكريون محترفون بعيدون عن السياسة . ومن الجنرالات العسكريين الذين برزوا ابان القرن الرابع تيموثيوس وخابرياس وايفكراتيس . ولقد كان تيموثيوس موسراً وقادراً على تحمل نفقات خدمة وطنه لذات الخدمة . ولكن ايفكراتيس وخابرياس كانا فقيرين مما اضطرهما الى العمل فى الجيوش الأجنبية من أجل الحصول على ثروة تساعدتهما على تحمل نفقات منصبهما العسكرى . وبلغ الحال بأن رفع ايفكراتيس

السلاح في وجه أئينا عندما كلفه بذلك ملك تراكيا والذي تزوج
ايفكرايس من ابنته ، لقد تغيرت نظرة الجنرالات الجدد الى الدولة
خاصة بعد أن عزف المواطنون عن العمل في صفوف الجيش مما اضطر
الدولة الى الاعتماد على الجنود المرتزقة وتوفير رواتبهم الباهظة كما أن
الدولة عاملت الجنرالات باجحاف ، اذا كانت تكلفهم بعمليات عسكرية
دون أن تمنحهم تعقات هذه العمليات ، وفي بعض الأحيان كان المجلس
الشعبى يوافق في جلسة على تكليف جنرال معين بمهمة عسكرية ويرفض
في نفس الجلسة اعتماد تكاليف هذه المهمة . وفي بعض الأحيان ، كان
المجلس الشعبى يقطع الاعتماد أثناء القتال مما دفع الجنرالات الى
الارتزاق . وقد ساعد على ذلك أن الجنرالات الجدد لم يكونوا ذوي
تأثير على المجلس الشعبى كما كان أسلافهم في القرن الخامس . بل كانوا
مجرد عسكريين محترفين بلا سلطة سياسية . وقد ظهرت نتائج ذلك في
تدهور الأطباء العسكريين وتوقف أتون الحرب . وتلاشت الحروب
اللهم الا ما كان منها ضروريا لحماية المصالح التجارية .

وبعد أن استعرضنا النظرة العامة لفلسفة الفكر في القرن الرابع
وجب علينا أن نلخص الملامح العامة للحضارة الاغريقية في تلك الفترة
الجديدة .

١ - العمارة والفنون :

تميز القرن الرابع بأنه كان عصر الانشاء والتعمير، اذ أقيم ابانه مبان
ضخمة وعديدة في كل من آسيا الصغرى وصقلية وجنوب ايطاليا واليونان
العظمى) ومن أشهر تلك المباني والتي اعتبرت من عجائب الدنيا في العصر
القديم معبد الربة أرتميس في مدينة افيسوس بآسيا الصغرى . وقد
أشرف على بناءه المهندس خرسيفرون Chersiphron وقد تم تشييده بعد
عام ٣٥٦ ق م أما المبنى الآخر فهو ضريح الأمير ماوصولوس ملك كاريا
والذي عرف باسم الموصوليوم Mausoleum . وقد أشرف على تشييده
وتزيينه عدد كبير من المهندسين والنحاتين الاغريق من بينهم المثال

سكوباس Scopas الشهير ، وقد بدأ في انشاء هذا الضريح الذى أشرفت أرملة الملك ارتيميسيا بنفسها على بنائه حوالى عام ٣٥٣ ق م ولا يزال هناك جزء من عمود رخامى مزين بالنحت موجوداً بالمتحف البريطانى بلندن .

أما فن النحت فقد وصل كما سبق أن أشرنا الى ذروة القدرة والمهارة ولم يعد الفنان يرى الاله الا فى صورة انسان، بل لجأ بعضهم الى اتخاذ نماذج من البشر عند تنفيذ تماثيل الآلهة . مثلما فعل براكستيليس عند انجازه تمثال أفروديت كنيديوس . وكان هذا النحات أول من بدأ الثورة فى عالم النحت . ويتميز أسلوبه بالانسياب الرقيق والاسترخاء فى الوقفة واضفاء مسحة حاملة على الوجه .

ويلي هذا النحات نحات آخر شهير اسمه سكوباس Scopas ولكنه كان مرتبطاً بالمباراة . ويتميز أسلوبه بحب تسجيل الانفعالات العاطفية خاصة الدهشة والخوف — على الوجوه بشعيق فجوة العينين وجعلهما غائرتين . أما العملاق الثالث فى فن النحت فهو لوسيوسوس Lysippos الذى كان مواطناً لمدينة سيكيون فى شمال اليوبونيسوس . وقيل أن لوسيوسوس كان يجسم الناس ليس كما هم بل كما كانوا يدون لعينيه . ولهذا قلل من حجم الرأس وجعل الجسم أطول قائمة وانسياباً وأقل بدانة . وقد عرف لوسيوسوس بأنه النحات الذى تخصص فى نحت تماثيل الاسكندر الأكبر النصفية ، فهو الذى سجل عادة الاسكندر فى امالة عنقه على جانب من كتفه وعنه نقل الفنانون هذه الملحوظة ابان العصر الهلليستى والرومانى .

وكما برع الفنانون فى فن النحت برعوا فى فن الرسم ونجحوا فى انجاز أعمال خالدة من الفن المنظور وتمسكوا فى الظلال والجللاء Chiaroscuro وفى الحركة ودقة الألوان لدرجة عالية لم يحققها الانسان الا فى عصر النهضة الأوربية الحديثة (١) . ومن أشهر رسامى هذا العصر بارهاسيوس Parrhasius وزيوكسيس Zeuxis . ولكن للأسف لم يبق

(١) انظر السيد رجب حراز : تاريخ اوروبا فى عصر النهضة : مكتبة دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٣ .

لنا من أعمالها شيئاً اللهم الا الوصف النظري الذي سجله مؤرخو الفن والآثار من الأتريق لأن هذه الرسومات الكبرى على الحوائط تخدمت بفعل عوامل التعمية وبفعل غث الانسان . لكن انعكاس نهضة فن الرسم يمكن أن نشاهدتها في فن الرسومات الرائعة على الأواني الفخارية Vase-Painting مصدرنا الأساسي عن الكثير من أسرار الحياة اليومية والفكرية عند الإغريق .

١٠ التاريخ

كان أكسيونوفون (٤٣٠ ت ٣٥٤) من أعظم مؤرخي القرن الرابع ، وقد كان الى جانب قدرته التاريخية عليماً بقلوب كثيرة من المعرفة مثل الاقتصاد والتدبير والشئون العسكرية كما كان في علم السياسة والاجتماع ، ولكنه لم يكن باحثاً عميقاً بقدر ما كان يميل الى العرض العام . وقد سبق الحديث عنه وعن أعماله الخالدة التي سجلها لنا .

والى جانب كسينوفون تردد اسم مؤرخين آخرين هما ايفوروس Ephoros ومعاصره ثيوبومبوس Theopompos (١) .

كان ايفوروس (٤٠٥ - ٣٣٠ ق م) تلميذاً لايسوقراط وقد خلد لنا تاريخ العالم (historiae) في ثلاثين كتاب وبدأ بعودة أبناء هيراكليس (الغزو الدوري لبلاد اليونان) حتى جصاص بيرثوس الشهير على يد فيليب عام ٣٤٣ ق م . ولقد كان ايفوروس المصدر الأول للتورخ ديودوروس الصقلي فيما بعد . كما تأثر بدوره بالمؤرخين الذين سبقوه خاصة ثوكودديدس بالاضافة الى كتاب مقالات القرن الرابع . ولكن تأثيره ظل قوياً على المؤرخين الرومان ابان عصر الامبراطورية .

أما معاصره ثيوبومبوس (حوالي ٣٧٨ ق م) فقد كان مواطناً من جزيرة خيوس ولكنه فر مع أبيه هارباً حوالي عام ٣١٤ ق م . بسبب ميولهما الاسبرطية وظل الأب والابن في المنفى حتى أعادهما الاسكندر الأكبر مقابل تأييدهما المقدونيا ضد أنصار الأوليغارخية الموالية للفرس ، وبعد موت الاسكندر فر ثيوبومبوس هرباً الى مصر .

(1) A.E. Bruce : Theopompus and Classical Greek Historiography, *History & Theory*, IX (1970), P. 86-109.

ولكن لم يتبق لنا من أعمال هذا المؤرخ سوى شذرات من مؤلفه الضخم الهينيكا Hellenica أو تاريخ بلاد اليونان ، والذي هو استمرار للتاريخ الذى بدأه ثوكوديديس ولكن يبدأ بعام ٤١١ ق م ، ويستمر حتى معركة كنيديوس عام ٣٩٤ ق م ويلاحظ أن جوهر هذا المؤلف هو تسجيل التفوق الاسبرطى ابان الحروب البيلوبونيسية ، ولم تكن تعرف شيئا عن هذا المؤلف حتى عشر حديثا على نصوص منه من بين أوراق البردى التى استخرجت من مدينة أوكسيرينخوس (البنها محافظة المنيا) الاغريقية فى مصر ، ودار جسد غيف بين علماء الأدب انتهى بأن مؤلف بردية أوكسيرينخوس ما هو الا ثيوبومبوس (١) .

أما مؤلفه الثانى فهو الذى يعرف باسم الفيليبيات Philippica والذي روى فيه تاريخ فيليب منذ توليه ومدى انعكاسات ذلك على أحداث العالم ويتميز ثيوبومبوس ببعد النظر والبحث الناقد البناء واصداره الحكم الصادق بصرف النظر عن النتائج .

٢ - البلاغة والخطابة القانونية :

سبق أن أشرنا فى معرض حديثنا فى هذا الفصل عن تطور فن النثر واتزاعه اهتمام الشباب والراغبين فى العمل السياسى ، ولهذا ازدهرت عدة مدارس لتعليم لشباب أصول لخطابة حتى يتمكنوا من المشاركة فى الحياة العامة .

الى جانب ذلك ازدهر فن جديد وهو فن كتابة الخطب الدفاعية لتلقى أمام المحاكم (٢) . وظهر متخصصون جمعوا ما بين البلاغة والخبرة القانونية من أشهرهم لوسياس (٤٥٩ - ٣٨٠ ق م) ، وكان أصلا من سيراكوزة فى صقلية . ولكن بيريكليس أغرى أباه بالهجرة والاقامة فى أثينا ، ولكن لوسياس عاد فهاجر مع أخويه الى مستوطنة ثوريى

cf. Pauly-Wissowa, Sub Theopompos (by Laqueur).

(١)

(٢) محمد سليم سالم - البدائع - لوسياس بقلم عبد اللطيف

أحمد على ، ص ٧٩ - ١٠١ ، دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٤٥

Thurii ولم يرجع منها الا في عام ٤١٣ ق.م حيث اقام أيضا مع أخويه
تجارة في ميناء بيريه تختص بالدروع الحربية .

ولكن الاخوة الثلاثة اندمجوا في الحياة السياسية ولما سقطت
الديموقراطية الأثينية ، وأقيمت حكومة الثلاثين هاجم الأوليجارخيون
هؤلاء الاخوة بسبب نزعاتهم الديموقراطية وربما طمعا في مصادرة
أموالهم ، فخر لوسياس الى ميغارا وظل هناك حتى عادت الديموقراطية
فعاد الى أثينا عام ٤٠٣ ق.م حيث أنعم عليه بحق المواطنة وذلك لأنه
كان قبل ذلك في عداد الصناعات الأجانب Metikoi المحرومين من حق
المواطنة .

ومنذ ذلك الوقت وحتى موته ألف لوسياس ما يقرب من مائتي
خطبة قانونية ليلقيها المحامون في المحاكم لأنه كأجنبي لم يكن يحق له
الظهور أمام المحاكم الأثينية ولكنه خاطب الجماهير في المهرجان الأولمبي
لعام ٣٨٨ ق.م محذراً من وخيم عاقبة الصراعات الداخلية وأثرها على
السلام ، كما يقال أنه ألقى خطبة بنفسه ضد رجل يدعى اراتوستنيس
اتهمه بقتل أخيه وذلك في عام ٤٠٣ ق.م وهي الخطبة التي رفعت الى
مصاف أعظم خطباء أثينا اذ لقب بثالث خطباء أثينا العشرة الخالدين (١) .

ولقد نسب الى لوسياس خطب كثيرة بلغت ٤٢٥ خطبة يعتقد العلماء
أن ما يقرب ٣٣٣ منها ممدوسة عليه . وبين أيدينا الآن واحد وثلاثين
خطبة كاملة يشتهر العلماء في أصالة تسع منها أما الخطبة التي لا يجادل
أحد في أصالتها فهي خطبة الادعاء ضد اراتوستنيس وانتي ألقاها
بنفسه .

لقد كان لوسياس من أكبر خطباء الاغريق الكلاسيكيين وهو مثل
حي للأسلوب الذي يعرف بالسهل الممتنع البعيد عن الألفاظ الدخيلة
والعتيقة والذي يجسم القضية ببساطة ويسر ووضوح . وقد مدحه
النقاد كثيراً لصفاء أسلوبه وبساطة لغته والتوفيق بين الألفاظ والموضوع
فهو أول من جعل لكل مقام مقال وشبهوه بالرسم البارع الذي

(1) D.M. Mac Dowell, "The Chronology of the Athenian Speeches and legal innovations in 401-398 B.C., R.I.O.A., XVIII (1971) PP. 267-273.

• يستخدم الكلمة بدلا من الفرشاء والتنوع الخيالى بدلا من الألوان •
لقد تحاشى لوسياس كل تقاض الخطاب القديمة من الانغماس في
الشاعرية والمبالغة والتهويل واختلاق المواقف الدرامية على حساب
الحقيقة والتلاعب بالألفاظ • لقد كان معتدلا في غولطقه حتى مع اعدائه
لأنه كان يبغي الحقيقة الصادقة • وكان يقسم خطبه الى تقسيم بسيط
قريب من أسلوب أستاذه إيسوقراط وهو النتيجة ثم الموضوع ، ثم
الدليل ثم الخاتمة •

ولقد عمر لوسياس حتى بلغ الثالثة والثلاثين ومات بعيد أن نال
تقديرا واحتراما من الجميع •

ومن الخطباء المشهورين في القرن الرابع ديموستينس وإيسوقراط
اللذان لعبا دورا كبيرا في الحياة السياسية إبان هذا العصر : ولكن يجب
أن نؤوه بمكانه ديموستينس الأدبية في حقل البلاغة ، ولهذا نسبت اليه
خمس وستين خطبة تعرف العلماء على ستين منها • ومن هذا العدد يشك
العلماء في أن سبع وعشرين خطبة ليست من تأليف ديموستينس بل
بل ربما من تأليف معاصريه من الخطباء المعمرين أما خطب ديموستينس
التي لا يمكن أن يتطرق الشك إليها فهي مجموعة الخطب الأولثية
« واقيليات » « وخطبه عن السلام » « وبخصوص التاج » وخطبته
ضد إسخينيس وقد سبق الإشارة في الفصول السابقة الى المناسبة التي
ألقيت فيها كل منها •

ويرى بعض النقاد أن روعة ديموستينس تتجلى في الجمع بين
الاخلاص في القصد وعبقورية الموهبة والدقة في الصياغة وحرارة الالتقاء
واختيار اللحظة المناسبة لالتقاء الخطبة ومع هذا كله فقد تميز أسلوبه
بالبساطة والبعد عن التكلف •

فلا عجب أن أصبحت خطبة محل دراسة طلاب البلاغة من الاغريق
والرومان في العصور المتأخرة (١) •

(١) البدائع (المرجع السابق) ص ١٠٢ - ١٥٩ « ديموستينس »
بقلم محمد صقر خفاجة •

أما ايسوقراط (٤٣٩ - ٣٣٨ ق م) فقد كان يعتبر الخطيب الرابع من بين خطباء أثينا العشرة الخالدين وقد نشأ ايسوقراط في أسرة ثرية قادرة حرصت على أن يتلقى تعليما راقيا على أيدي كبار الأساتذة من أمثال بروتاغوراس وجورجياس كما تأثر كثيرا بسقراط بالرغم من أنه لم يكن من تلاميذه .

ولما فقد أبوه ثروته بسبب الأحداث التي عصفت بأثينا في نهاية الحروب البيلوبونيسية اضطر ايسوقراط أن يتعيش من كتابة الخطب القانونية كما قام بتدريس البلاغة في جزيرة خيوس ثم عاد الى أثينا عام ٤٠٣ ق م حيث افتتح مدرسته الشهيرة في حوالي عام ٣٩٢ ق م والتي قصدها أثينيون وغير أثينيين على السواء وحقت له ثروة وشهرة كبيرة . وقيل أن عدد تلاميذه مدرسته تجاوز المائة منهم الخطباء ايسايوس Isaeus وهيريديس ولوكرجيوس الأثيني والمبورخان أيضا Evagoras ونيوبوموس . كما كان على علاقة وثيقة بأيفاجوراس ملك قبرص وابنه نيكوكليس .

وقد سبق أن أثرنا الى فلسفته العامة (١) وآرائه السياسية ومميزات أسلوبه الأدبي ، وقد مات ايسوقراط بعد أيام قليلة من موقعة خايرونيا الكبرى عام ٣٣٨ ق م .

ونسبت الى ايسوقراط ستون خطبة ويمتقد النقاد أن نصف هذا الرقم مدموس عليه وعلى أي حال لم يصلنا سوى واحد وعشرون خطبة له منها ست خطب قانونية كتبت لكي يلقيها آخرون أمام الحاكم والباقي عبارة عن مقالات سياسية .

ويتميز أسلوبه بدقة اختيار الكلمات وموسيقية النغم ومهارة التشبيه ويقال إن شيشرون أعظم خطباء الرومان سار على نهج هذا الخطيب العظيم .

(١) عن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي اثارها ايسوقراط انظر :

Fuchs, "Isokrates and the Social - economic Situation in Greece". *Anc. Soc.* III (1972) PP. 17-44.

٤ - الفلسفة :

منذ فجر تاريخهم ، سيطر على الاغريق حب البحث والمعرفة عن طبيعة الأشياء ومسبباتها كما أن حب الاستطلاع كان غريزة قوية عندهم ، ومن ثم درسوا العلم ابتغاء المعرفة لذاتها وليس من أجل أى غرض تقى . وقد بدأوا بالتحرى عن الأشياء الغريبة ثم تقدموا شيئا فشيئا الى البحث عن المشاكل الأكثر غموضا مثل الظواهر الطبيعية والشمس والقمر وأصل الكون . ولهذا لم يفرق الفلاسفة الأول بين العلم والفلسفة .

وفي عصر التوسع التجارى اتعشت نزعة التفكير بعد أن تكشف أمام أظفارهم عالم أوسع كشف لهم عن معرفة جديدة عرت معتقداتهم القديمة وبدأ لأول مرة في تاريخهم الاتجاه الى التخلص من المعتقدات الاندنية والشعبية من أجل ممارسة البحث العلمى . وكانت مدينة ميليتوس وهى مركز تجارى هام مسقط رأس الفلسفة الأيونية . وبرزت أسماء لامعة مثل طاليس Thales وأناكسيماندر وأفلكسيمينيس وكان أسلوبهم علميا وملاحظاتهم تقوم على التجربة بعد الفرض . وكان هدفهم الكشف عن مبادئ لها ارتباط بالضرورة وسط مظاهر متغيرة « فلا شيء ينبعث من لا شيء » ولا شيء يحدث بغير شيء ولكن كل شيء يحدث عن سبب وضرورة (١) . ومن ثم راحوا يبحثون فى كل مكان فى الطبيعة وفى شجاعة تكاد تصل الى الخطيئة ، من أجل المشور على قانون يحكم الكون « وقد فجعوا فى الكشف عن النظرية الحقيقية للكسوف والخسوف وكروية الأرض ودورانها كغيرها من الكواكب انسيارة ، وحوون مركز نظامها .

كل هذا تم عن طريق ملاحظة الظواهر واقامة الدليل ثم استخراج القانون كما بحثوا عن مادة تكون أصل الكون (Physis) . واعتقد طاليس أنها الماء وقال غيره أنها الهواء أو النار أو البخار أو فى توافق أصول متضادة ومتعارضة مثلما يقول هيراقليطس الأفسوسى .

(1) Burnet Early Greek Philosophy, P. 340 f.

وفي نفس الوقت الذي كان فيه الفلاسفة الأيونيون يلاحظون الظواهر الطبيعية ويبحثون عن أصول الكون كان فيثاغورس واتباعه في جنوب إيطاليا يضعون أسس دراسة الرياضيات والهندسة البحتة وتطبيق الرياضة على فروع العلم المختلفة خاصة في الموسيقى والفلسفة بوجه عام ، وأن « الرقم » هو أصل الشيء ثم ظهر فلاسفة القرن الخامس الذين سبق أن أشرنا إليهم .

ولكن كل هؤلاء الفلاسفة السابقين ، كانوا باحثين طبيعيين (Physicists) يتجاهلون وقائع وحياة الانسان العقلية والخلقية ولا يعرفون التمييز بين العالم المادى والروحى ولكنهم أوجدوا التشكيك في كل شيء قبل البحث العلمى والوصول الى الحقيقة .

وفي ابان عصر بيريكليس بدأت نزعة الفلاسفة تتجه نحو المسائل النظرية الخاصة بالخلق والسلوك نتيجة للاستخدام بالواقع والتحول الى السعى نحو معرفة لها اتصال مباشر بالحياة العملية ، ولأول مرة سلط نور العقل الصافى على مسألة سلوك الانسان ، وقال بعضهم مثل بروتاجوراس أن الانسان مقياس كل الأشياء .

وان النجاح هو المعرفة التى تقوم على الاستدلال العقلى وأن الفضيلة هى نظريات مكتسبة وهى الفنون المهنية المختلفة . وقد قاد السوفسطائيون هذه الحركة الجديدة .

ويعتبر سقراط الأثينى (٤٦٩ - ٣٩٩ ق م) نقطة تحول في هجرة البحث العلمى التجريدى . لأنه بنى أبحاثه على أساس التأمل الواقعى الأخلاقى للناس فيقول أفلاطون على لسانه « أنتى أعشق المعرفة فالتناس الذين يقطنون المدينة هى معلمى وليس الأشجار أو الريف (١) . وبالرغم من أن سقراط لم يترك وراءه مؤلفات توضح وتشرح فلسفته الا أنه ترك تلاميذا له من أمثال أفلاطون الفيلسوف والذى كرس حياته بعد موت أستاذه في تسجيل أفكار سقراط في شكل محاورات .

(1) Plato, Phaedros, 23.

وفي القرن الرابع بلغت الفلسفة ذروتها عندما ظهر فيلسوفان عظيمان هما أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) وأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) ولد أفلاطون في أثينا (أو في جزيرة أيجينا) وعندما بلغ سن العشرين انضم الى تلاميذ سقراط وظل مرافقا له حتى موته عام ٣٩٩ ق.م ومن ثم لم يلق أفلاطون البقاء في أثينا فانطلق في رحلات متتالية زار فيها قورينة (Coryna) ومصر واليونان العظمى Magna Gaecia . كما سافر الى صقلية ليزور ديونيسيوس الأكبر طاغية سيراكوزة ولم يجب الطاغية هذا الفيلسوف بل أثار غضبه بنظراته وألقى القبض عليه وعرضه للبيع في سوق الرقيق حتى اقتداه أحد أصدقائه وعاد به الى أثينا حوالي عام ٣٨٧ ق.م حيث افتتح مدرسة في أجمة مقدسة لبطل يدمى أكاديموس Academos ولهذا سميت مدرسته بالأكاديمية . ولكن أفلاطون عاد لزيارة صقلية مرتين مرة في عام ٣٦٧ ومرة في عام ٣٦٢ ق.م بهدف أغراء ديونيسيوس الأصغر ليحرب حقل الفلسفة ويعطيه الفرصة ليطبق نظرية المدينة الفاضلة في سيراكوزة ولكن أفلاطون فشل في ذلك وانتهى أمره الى التجار مع ديونيسيوس الأصغر فعاد الى أثينا وعاش فيها حتى مات عام ٣٤٧ ق.م حيث خلفه ابن شقيقه في ادارة المدرسة .

وأهم ما خلف لنا أفلاطون المحاورات dialogues ، وقد نسب اليه اثنين وأربعون ديالوجا لم يعترف العلماء بسوى خمسة وعشرين منهم كمحاورات أصلية كلها تدور حول سقراط وشخصيته وأفكاره . وهي غاية في الاستدلال العقلى والبحث العلمى بالإضافة الى مهارة الحكمة الروائية والتصويرية ، ويقسم الفلاسفة هذه المحاورات الى محاورات روائية وتسجيلية لحياة أستاذه سقراط وهي التى ألّفها في الفترة المبكرة من اتاجه ، أما الأخرى فهى الديالوجات الميتافيزيقية وهي التى كتبها في فترة متأخرة من حياته .

ومن أعظم ما ترك لنا أفلاطون مؤلفه الخالد « الجمهورية » ، وهي يوتوريا سياسية بدأها بنؤال عن ماهية العدل ثم تطرق الى تفصيل عام عن جمهوريته الفاضلة التي يتحقق فيها الخير الاسمي لكل الناس . دولة تقسم فيها الوظائف الاجتماعية على أساس نفسية المواطنين وخصالهم فأولئك الذين تغلب في نفوسهم الشهوة يؤدون العمل البدني كالصناعة والزراعة أما ذوى النفوس النشطة فتتولى الحزب والشئون العسكرية . بينما يتولى الفلاسفة مهمة الحكم وينتهي الى رأيه الشهير « الى أن يصبح الفلاسفة ملوكا والملوك فلاسفة فلن يكون هناك خلاص للدول أو لأرواح الناس » (١) .

وقد حاول أفلاطون تحقيق هذه الجمهورية المثالية في سيراكوزة ، ولكنه فشل واصطدم بأرض الواقع المرير ، ولهذا حاول تعديل آرائه فالف من أجل ذلك « القوانين » .

ومن تعاليم أفلاطون أن السلوك الجاد يجب أن يسود الحياة العامة والخاصة بحيث يسود الوفاق والجمال والنظام وهي من الصفات الأساسية للعالم الاسمي ، وهو عالم الخير المطلق ذلك العالم الذي كانت تعيش فيه الروح قبل أن تعزل بالبدن كبا حدد خلاص الانسان بالمران على فضائل أربع هي : الشجاعة والعفة والحكمة والعدل .

وكما يعتبر أفلاطون من أعظم مفكرى الاغريق يعتبر أيضا من أعظم كتاب النثر عندهم فأسلوبه مزيج من الشعر والنثر ، أو شعر منشور . كما أنه متنوع الأساليب حسب تنوع المزاج فحينما هو ساخر وحينما متصوف وحينما آخر غاضب منتقد متوقد ، وقد قسم الفلاسفة كتاباته الى ثلاثة مصنفات روائية وجدلية واقتراضية .

أرسطو طاليس :

ولد أرسطو طاليس أو أرسطو في مدينة ستاجيرا Stagira في اقليم تراكيا عام ٣٨٤ ق م ، وكان أبوه يعمل طبيا في البلاط المقدوني وبعد

(١) الجمهورية الكتاب الخامس ص ٤٧٣ .

موت إليه سافر إلى أثينا لينضم إلى مدرسة أفلاطون ، وظل بهذه المدرسة حتى موت أفلاطون في عام ٣٤٧ ق.م .

وبعد عام ٣٤٢ ق.م دعاه فيليب المقدوني ليشرف على تعليم الاسكندر في القصر وباشر أرسطو مهمته بنجاح حتى غادر الاسكندر مقدونيا في غزوته الكبرى للشرق في عام ٣٣٥ ق.م عندئذ عاد أرسطو إلى أثينا ليفتح مدرسة في أجلة مقدسة لأبولون ليكايوس Appollo Lycæus ، وقلرا لعادته في التمشي أثناء الحديث ، فقد أطلق على مدرسته اسم المشائية Peripatetic .

ولما اقلع شعور العداء ضد المقدونيين وأنصارهم بمد موت الاسكندر الأكبر أصبح أرسطو طاليس موضع هجوم فتاك ووجه إليه اتهام بدم التقوى والاخلاص ومن ثم فر إلى مدينة خالكيس في جزيرة يوبويا وظل بها حتى مات في عام ٣٢٢ ق.م ، في نفس العام الذي مات فيه ديموستينيس Demosthenes .

ان ادراك أرسطو القوى والواقعي بالطبيعة وبالحياة الانسانية واهتمامه بظواهر العالم الهليني الاجتماعية والطبيعية هما اللذان جعلتا من فلسفته شرحا شاملا لجوهر الثقافة الهلينية ، ولهذا يقال اذا كان أفلاطون أكثر عمقا في البحث عن نوازع البشر فان أرسطو أكثر اقترابا من الواقع الهليني . كما أنه كان باحثا علميا منطلقا إلى أقصى درجة . وقد غطت أبحاثه كل جوانب الفكر والمعرفة الانسانية ابتداء من المنطق والديالكتيك إلى الميتافيزيقا وعلم الحياة والطبيعة وإلى التطبيق العملي للفلسفة أي السياسة ، ثم الأدب والفنون الجميلة .

ومن أعظم مؤلفاته العلمية فن الريطوريقا أو البلاغة ، وفن الشعر ، وفي الكتاب الأول يعرض لنا البلاغة بأنها القدرة على تحقيق الانعاس المناسب في الموقف المناسب عن طريق الأدلة وصياغة الأسلوب . أما فن الشعر فهو يردد نظرية أفلاطون في أن الشعر ليس الا تقليدا mimesis

ومن هذا المنطلق يذهب الى مناقشة التراجيديا الاغريقية ووظيفتها التي حددها بقوله أنها تحدث عن طريق الرثاء والخوف تطهيرا للنفس *Katharsis*.

أما في بحثه عن الأخلاق *Ethics* فقد سار على طريق أستاذه أفلاطون حيث استعمل كتابته بالبحث عما هو أعظم خير للإنسان وعن الغاية القصوى له وغرضه من ذلك ، وكان من بين تعاليمه أن الانسان من دون سائر الموجودات يجمع ما بين قوة الشعور والشهوة وقوة العقل . فهو بالشهوة الجسيمة يشبه الحيوان وبالعقل يشبه الآله ، وباتخاذ هاتين القوتين يصير كائنا أو أخلاقيا ، والأخلاقية في مفهومه هي التوفيق بين عناصر الحيوان والعقل وهذا التوفيق بين ارادة الانسان وعقله يولد الفضائل الأخلاقية أو لسعادة العظمى *Summum bonum* التي هي هدف الانسان الأول في الحياة ، وبينما كان سقراط يرى الفضيلة كنتيجة للعقل وحده وليست نتيجة للتربية ولا العبادة ، إذ بأرسطو يرى أن التربية والمران والمادة ضروريات لتكوين الفضيلة ويحدد الفضيلة بأنها عادة ثابتة ومقررة يكونها المران وتغليب المعنى وهدايته .

أما أعظم أعمال أرسطو فهو مؤلفه الخالد السياسة *Politics* وفيه قام كأستاذ للعلوم السياسية بدراسة ناقدة للتداعيات الاغريقية جيمنا مبينا لها وما عليها .

أما أسلوبه الأدبي فهو على النقيض تماما من أسلوب أفلاطون ، فهو أسلوب علمي جاف لا يغري قارئه بقدر ما يرهقه ، ولهذا يدافع البعض عنه بقولهم أنها ليست مؤلفات بل مذكرات لمحاضراته كان يلقيها على طلابه على عجل وهم ينهثون خلفه ، أما ما يذكره شيشرون عن مؤلفاته كينبوع ذهبي فهو صفة لمؤلفات أرسطو الأصلية التي فقدت (١) .

(١) نشر بيلافسكي حديثا مخطوطا عربيا هو عبارة عن خطاب من أرسطو موجه الى الاسكندر بشأن السياسة الواجب اتباعها ازاء المدن

الاغريقية

Lettre d' Aristote a Alexandre sur la politique envers les cités, texte arabe établi et traduit par J. Bielawski, Archivum Filologiczne XXV, Worclaw karkow, 1970 C = Mnemosyne, Series 4, XXV (1972) p. 261-295.

الديانة :

في القرن الرابع ماتت الآلهة القديمة وفقدت تأثيرها ورمزها
لمعجزها عن وقف الحروب وحماية الانسان من الوباء . ولهذا حدث
ما يشبه الانقيصام ما بين المثقفين الذين أولوا ظهورهم الى المعابد
واتجهوا الى الفلسفة المجردة لاشباع دوافعهم الداخلية وأصبحوا يلجأون
بديانة آباؤهم وأصبح الالحاد ظاهرة عامة بين المثقفين أما عامة الإنس
فقد فُتحت صدورهم لديانات الشرق الوافدة مثل آمون وايزيس وخنوس
وغيرها وأغرقت الديانة نفسها في بحور الشعائر الفاضحة وفي التنجيم
والسحر والنبوءات والشعوذة والدجل . وانهارت التقوى الاغريقية
التي كانت مائدة في عصر الامبراطورية أو عصر بيركليس العظيم
وهجرت المعابد الكبرى ولهذا لم تمد الدولة تهم ببناء المعابد العظيمة
كما كان الحال في العصر الكلاسيكي .

« والله أعلم »

فهرس لموضوعات الكتاب

رقم الصفحة

أولا :

- ٥ . الفصل الأول : مدخل الى الموضوع .
الموقع الجغرافي وأثره على تطور الحضارة ٨ ، الأسطورة
والدين عند الأغريق ١٢ ، أصل الأغريق ٢٣ ، أسطورة البطل
ثيسبوس ٢٩ .

- ٢٢ . الفصل الثاني : العصر الهيللاذى .
حضارة كريت ٣٣ ، الحضارة الموكينية ٤٨ ، النجالات
الكتابية الموكينية وحل روموزها ٥٣ ، مظاهر الحضارة
الموكينية ٥٨ ، الحروب الطروادية ٦٨ ، الفوز السدورى
٧٠ ، أيلنا والتراث الموكينى ٧٢ ، الهجرة الى ساحل آسيا
الصغرى وقيام المدن الأيونية ٧٦ .

- ٨٣ . الفصل الثالث : حضارة عصر الأبطال أو العصر الهومرى .
هومروس ٨٣ ، الألياذة والأودسا ٨٧ ، أحوال بلاد اليونان
السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية أبان العصر
الهومرى ٩١ .

- ٩٦ . الفصل الرابع : قيام جمهوريات المدن وتوثيق روابط التراث
الحضارى .
دولة المدينة ومفهومها ٩٧ ، أرجوس ودورها ١٠٥ ، حركة
الادماج السياسى وقيام المدن ١٠٨ ، بروز دلفى كمركز روحى
لكل الأغريق ١١١ ، الألعاب الاولمبية وأثرها فى تطور الروح
القومية بين الأغريق ١١٤ ، قيام وسقوط الحكم الأستقراطى
١٢٢ ، الفينيقيون ودورهم فى تنمية الحضارة الأفريقية ١٢٦ .

- ١٢٣ . الفصل الخامس : عصر الانتشار والاستيطان .
أسباب ودوافع هذه الحركة ١٣٤ ، شعائر وأجراعات
المستوطنة ١٣٧ ، فى آسيا الصغرى ، ١٤٠ ، فى صقلية
وجنوب إيطاليا ١٤١ ، سيراكوزة ١٤١ ، فى جنوب أوروبا
١٤٦ ، فى شمال أفريقيا ووادى النيل ١٤٧ ، مستوطنة
قودرنه ١٤٧ ، نقراتيس ١٥٩ ، فى منطقة البحر الأسود ١٦٥
بيزنطة ١٦٦ ، فى تركيا وشمال غرب حوض بحر إيجة ١٧١ ،
فى الساحل الغربى لبلاد اليونان والبحر الأدرياتيكى ١٧١ ،
نتائج عصر الانتشار والاستيطان ١٧٢ .

رقم الصفحة

١٧٢ . . . الفصل السادس : قيام الدولة الأسبرطية
دستور أسبرطة ١٧٦ : قوانين وتشريعات لوكرجوس والنربية
الأسبرطية ١٧٧ .

١٨٥ . . . الفصل السابع : قيام الدولة الأثينية
بدور الديمقراطية ١٩٢ ، محاولة كولون لأقامة دكتاتورية
١٩٤ دراكون وقوانينه ١٩٥ ، سولون واصلاحياته ١٩٦ .

٢٠٣ . . . الفصل الثامن : عصر الطفلة الأغريق .
كورنشا ٢٠٦ ، أسرة باخياس الأرستقراطية في كورنشا ٢١١ ،
قيام حكم الطفلة في كورنشا ٢١٢ ، نهاية حكم الطفلة في كورنشا
٢١٧ ، اغتيال هيبارخوس ٢١٩ ، محاولات كليثينيس لوضع
أساس النظام الديمقراطي ٢٢١ ، النظام الديمقراطي ثبت
نفسه ٢٢٦ .

٢٢٨ . . . الفصل التاسع : الصراع بين الفرس والأغريق .
٢٢٩ مقدمة لأسباب الصراع ٢٢٨ ، قيام الإمبراطورية الفارسية .
ثورة المدن الأيونية ضد الفرس بتحريض أثينا ٢٢٨ ، حملة
الفرس الأولى ضد بلاد اليونان ٢٣٨ ، موقعة الماراثون ٢٣٩
أرستيديس وئستوكليس ٢٤١ ، الحرب ضد إيجينا ٢٤٢ ،
حملة الفرس الثانية ضد بلاد اليونان ٢٤٢ ، معركة مضيق
الثرموبيلاي ٢٤٤ ، معركة سلاميس ٢٤٥ ، معركة موكالي
وبلاتيا ٢٤٧ ، الشاعر إيسخولوس ودوره في الحرب ٢٤٩ ،
انتصار أثينا وبداية سياسة تحصين المدينة بالأسوار ٢٥١ ،
الملك الأسبرطي باوسانياس وتأمره مع الفرس ضد التوسع
والتحريض الأثيني ٢٥١ .

٢٥٣ . . . الفصل العاشر : قيام الإمبراطورية الأثينية
ظهور الاستعلاء الأثيني ٢٥٣ ، قيام حلف ديلوس ٢٥٤ ، نفى
ئستوكليس وتولى الحزب المحافظ بزمامة كيمون ٢٥٥ ،
كيمون يساعد أسبرطة ٢٥٧ ، نفى كيمون وظهور إفيغيتيس
٢٥٨ اغتيال إفيغيتيس وتولى بيريكليس ببرنامج
الديموقراطي ٢٥٨ ، بداية التحرش بين أثينا وأسبرطة ٢٦٠
بيريكليس يحصن أثينا ٢٦٢ ، بيريكليس وتوسعه في شرق بلاد
اليونان ٢٦٢ ، هدنة الثلاثين عام بين أثينا وأسبرطة ٢٦٤ .

٢٦٥ . . . الفصل الحادي عشر : أثينا في عصر بيريكليس
تحليل لشخصية بيريكليس ٢٦٥ ، الإدارة ونظم الحكم ٢٦٩
الحالة الاقتصادية ٢٧١ ، الحياة الاجتماعية ٢٧٢ ، الفنون
والآداب ٢٧٢ ، المعمار والفنون ٢٧٥ ، معبد البارثينون ٢٧٨
فيدياس ٢٧٨ ، الآداب : إيسخولوس ٢٨٥ ، سوفوكليس
٢٨٦ يوريبيدس ٢٨٨ ، الكوميديا الأتيكية ٢٩٠ ، الفلسفة
والعلوم ٢٩٣ ، أناكساغوراس ٢٩٤ ، أمبيدوكليس ٢٩٤ ،
٢٩٥ ، علم التاريخ ٣٠١ ، هيرودوت أبو التاريخ ٣٠١ ،
هيرودوت في مصر ٣٠٣ ، ثوكوديدس المؤرخ العلمي ٣١٦ .

صفحة

الفصل الثاني عشر : الحروب البيلوونيسية . ٣١٧-

توكوديديس يورخ لهذه الحرب ٢١٨ ، أسباب اندلاع الحرب ٢٢١ لتدخل آثينا في الحرب الاهلية في جزيرة كوركير ٢٢٢ ، كورنثا ترد بالتدخل في بوتيديا ٢٢٢ ، طرد ميجارا من الموانئ الاثينية ٢٢٣ مجلس حلف البيلوونيسوس يعلن الحرب على آثينا وحلف ديلوس ٢٢٣ وضع الدولتين المتحاربتين ٢٢٥ ، اسبرطة وحلفائها ٢٢٥ ، آثينا وحلفائها ٢٢٥ ، طيبة تهاجم بلاكيا ٢٢٦ ، قوات البيلوونيسوس تغزو آتيكا ٢٢٧ ، بيريكليس يكرم الشهداء ٢٢٧ ، تفشي وباء الطاعون في آثينا وسقوط بيريكليس ضحية لهذا الوباء ٢٢١ ، تمرد موبيليني وروعونه كليون في معالجة الموقف ٢٢٣ ، القوات الاثينية تغزو البيلوونيسوس ٢٢٤ ، اسبرطة تبعث بالجنرال براسيداس ضد مصالح آثينا في تراكيا ٢٣٥ ، حملة آثينا ضد طيبة ٢٣٦ ، صلح نيكياس وانتهاء الجولة الاولى للحرب ٢٣٧ ، الاحوال السياسية بعد صلح نيكياس ٢٣٨ ، تولى الكياديس ٢٣٨ ، مذبة ميلوس ٢٤٠ ، حملة آثينا في صقلية ٢٤١ ، حادثة تحطيم تماثيل هرميس ٢٤٢ ، الارمادا الاثينية ينحرف الى صقلية ٢٤٣ ، استدعاء الكياديس للمحاكمة وهروبه الى اسبرطة ٢٤٤ ، تولى نيكياس ٢٤٥ ، الفرس يحرضون على الثورة ضد آثينا في ابونيا ٢٤٩ ، الكياديس يعود ليقود قوات آثينا ٢٤٩ ، نكسة النظام الديموقراطي في آثينا ٢٥٠ ، سقوط الحكومة الاوليجارخية ٢٥١ ، عودة النظام الديموقراطي مرة اخرى ٢٥٢ قورش يرمى بثقله في المعركة ضد آثينا ويتخالف مع اسبرطة ٢٥٣ ، هزيمة آثينا وغزل الكياديس ٢٥٣ ، معركة ارجينوساي ٢٥٤ هزيمة آثينا النهائية في الحرب ٢٥٥ ، استسلام آثينا وقبولها لشروط اسبرطة ٢٥٦ ، تعليق على راي توكوديديس في الحروب البيلوونيسية ٢٥٨ ، سقوط النظام الديموقراطي الاثيني ٢٦٠ عودة النظام الديموقراطي مرة اخرى ٣٦١ .

الفصل الثالث عشر : الامبراطورية الاسبرطية . ٣٦٢

قورش ورحلة العشرة آلاف الاثيني ٣٦٥ ، كسينوفون يسجل احداث هذه الحملة ٣٦٦ ، توتر العلاقات بين الفرس واسبرطة ٣٧٠ ، اندلاع التمرد ضد اسبرطة في البيلوونيسوس ٣٧٢ ، تمرد كورنثا ٣٧٤ ، مؤامرة اسبرطة لاحتلال قلعه كاداميا في طيبة ٣٧٨ ، محاولة اسبرطة لاحتلال ميناء بيرايوس ٣٨٠ ، قيام المدرسة العسكرية في طيبة ٣٨٠ ، آثينا تنتقم من اسبرطة ٣٨١ ، صلح كاليبس ٣٨٢ ، تحالف طيبة مع ياسون طاغية فيراي ٣٨٣ ، معركة ليونترا ونهاية السطوة الاسبرطية ٣٨٣ ، تحليل لاسباب سقوط الامبراطورية الاسبرطية ٣٨٤ ، نهاية اسبرطة وتواربها عن الاحداث ٣٩٢ .

صفحة

٣٩٤. الفصل الرابع عشر : الامبراطورية الاثينية الثانية
الاحداث التي مرت بها آثينا منذ هزيمتها ٣٩٦ ، آثينا تساعد
لوار طيبة ٤٠٢ قيام التحالف الكونفدرالي وقواعده ٤٠٢ ،
تقيم الاتحاد ٤٠٧ ، الظروف التي مر بها الاتحاد منذ قيامه
حتى سقوطه ٤١١ ، مرحلة التأسيس ٤١١ ، مرحلة تدهور
العلاقات بين آثينا وحلفائها ٤١٣ ، مرحلة تفجر الصراع
وانهيار التحالف ٤١٥ .

٤٢٠. الفصل الخامس عشر : محاولة طيبة لبناء امبراطورية .
تفكك الدولة الاسبرطية ٤٢٤ ، استقلال اركاديا ٤٢٤ ،
استقلال ميسينيا ٤٢٦ ، ابا مينونداس يقزو البليوبونيسوس
٤٣٠ آثينا واسبرطة يطالبان طيبة باحترام سلام الملك ٤٣١
تحالف الاغريق ضد طيبة ٤٣٣ ، طيبة تتدخل في مشاكل
مقدونيا ٤٣٥ ، معركة مانتينيا وسقوط الامبراطورية في طيبة
٤٣٨ . تقييم تاريخي لشخصية ابا مينونداس ٤٤٢ .

٤٤٧. الفصل السادس عشر : مقدونيا تفرض سيادتها على بلاد اليونان .
مقدونيا الجغرافيا والسكان ٤٤٦ ، الاسطورة القومية ٤٥٢ ،
ملوك مقدونيا ٤٥٣ الاسكندر الاول ٤٥٢ ، الملك بزديكاس
٤٥٧ ، الملك ارخيلايوس ٤٥٨ الملك امونناس الثاني ٤٦٠ ،
الصراع حول العرش المقدوني وتدخل آثينا واسبرطة ٤٦٢ ،
فيليب الثاني يحقق لمقدونيا الوحدة والسيادة والتفوق
العسكري ٤٦٦ ، فيليب ومناجم الذهب ٤٦٨ زواج فيليب
وانجابه الاسكندر الثاني ٤٦٩ ، انصراف بين فيليب والاغريق
٤٧١ ، فوكس تسبب في حرب مقدسة بين الاغريق ٤٧٣ ،
فيليب يستولى على اولينثوس ٤٧٨ ، ديموستينيس الخطيب
اثيني ٤٧٩ فيليب يزور دلفي ٤٨١ ، اسبورتراط يدعو
لوحدة الاغريق ٤٨١ ، سياسة فيليب تجاه الاغريق بعد
سقوط اولينثوس ٤٨٣ ، سلام فيلوكراتيس ٤٨٣ ، عودة
الخلاف بين فيليب والاغريق ٤٨٧ ، ديموستينيس يركي نار
العداء ضد فيليب ٤٨٩ ، فتوحات فيليب في تساليا واثينا
٤٩٢ ، الخرسونيسوس بين آثينا ومقدونيا ٤٩٢ ، العالم ا
الاغريقي يتحالف ضد مقدونيا ٤٩٤ ، فيليب يسحق الاغريق
في خابرونيا ٤٩٥ ، مؤتمر كورنثا وتعيين فيليب قائدا عاما
لتحالف الاغريق والمقدونيين ٥٠٠ ، اغتيال فيليب ٥٠٢ ،
تقييم لتاريخ فيليب ٥٠٣ ، الاسكندر الاكبر يتولى مكان ابيه
٥٠٥ . ارسطو معلم الاسكندر ٥٠٦ الاسكندر يسحق تمرد
الاغريق ٥٠٧ ، تمرد طيبة وتدميرها ٥١٢ ، عودة المدن
الاغريقية الى حوزة مقدونيا ٥١٣ ، حملة الاسكندر نحو
الشرق ٥١٤ ، معركة نهر جرانيكوس ٥١٥ ، موقعة اسوس
ودخول الاسكندر الى الشرق الاوسط ٥١٧ ، الاسكندر
الاكبر في مصر ٥١٨ ، تأسيس مدينة الاسكندرية ٥٢٣ ،

صفحة

الفصل الثاني عشر : الحروب البيلوبونيسية . ٢١٧ .

ثوكوديديس يؤرخ لهذه الحرب ٣١٨ ، أسباب اندلاع الحرب ٣٢١ تدخل أثينا في الحرب الأهلية في جزيرة كوركيरा ٣٢٢ ، كورنثا ترد بالتدخل في بوتيدابا ٣٢٢ ، طرد ميجارا من الموانئ الإثينية ٣٢٣ مجلس حلف البيلوبونيسوس يعلن الحرب على أثينا وحلف ديلوس ٣٢٣ وضع الدولتين المنحازتين ٣٢٥ ، اسبرطة وحلفائها ٣٢٥ ، أثينا وحلفائها ٣٢٥ ، طيبة تهاجم بلاتيا ٣٢٦ ، قوات البيلوبونيسوس تغزو آتيكا ٣٢٧ ، بيريكليس يكرم الشهداء ٣٢٧ ، تفشى وباء الطاعون في أثينا وسقوط بيريكليس ضحية لهذا الوباء ٣٣١ ، تمرد موبيليني ورعونه كليون في معالجة الموقف ٣٣٣ ، القوات الإثينية تغزو البيلوبونيسوس ٣٣٤ ، اسبرطة تبعث بالجنرال براسيداس ضد مصالح أثينا في تراكييا ٣٣٥ ، حملة أثينا ضد طيبه ٣٣٦ ، صلح نيكياس وانتهاء الجولة الأولى للحرب ٣٣٧ ، الأحوال السياسية بعد صلح نيكياس ٣٣٨ ، تولى الكياديس ٣٣٨ ، مذبحه ميلوس ٣٤٠ ، حملة أثينا في صقلية ٣٤١ ، حادثة تحطيم تمائيل هرميس ٣٤٢ ، الأرمادا الإثينية ينجر إلى صقلية ٣٤٣ ، استدعاء الكياديس للمحاكمة وهروبه إلى اسبرطة ٣٤٤ ، تولى نيكياس ٣٤٥ ، الفرس يعرضون على الثورة ضد أثينا في أيونيا ٣٤٩ ، الكياديس يعود ليقود قوات أثينا ٣٤٩ ، تكتة النظام الديموقراطي في أثينا ٣٥٠ ، سقوط الحكومة الأوليجارخية ٣٥١ ، عودة النظام الديموقراطي مرة أخرى ٣٥٢ قورث يرمى بثقله في المعركة ضد أثينا ويتخالف مع اسبرطة ٣٥٣ ، هزيمة أثينا وعزل الكياديس ٣٥٣ ، معركة أرجينوساي ٣٥٤ هزيمة أثينا النهائية في الحرب ٣٥٥ ، استسلام أثينا وقبولها لشروط اسبرطة ٣٥٦ ، تطبيق على رأي ثوكوديديس في الحروب البيلونيسية ٣٥٨ ، سقوط النظام الديموقراطي الإثيني ٣٦٠ عودة النظام الديموقراطي مرة أخرى ٣٦١ .

الفصل الثالث عشر : الإمبراطورية الأسبرطية . ٢٦٢ .

قورث ورحلة العشرة آلاف أثيني ٣٦٥ ، كسينوفون يسجل أحداث هذه الحملة ٣٦٦ ، توتر العلاقات بين الفرس واسبرطة ٣٧٠ ، اندلاع التمرد ضد اسبرطة في البيلوبونيسوس ٣٧٢ ، تمرد كورنثا ٣٧٤ ، مؤامرة اسبرطة لاحتلال قلعه كادمية في طيبة ٣٧٨ ، محاولة اسبرطة لاحتلال ميناء بيرايوس ٣٨٠ ، قيام المدرسة العسكرية في طيبة ٣٨٠ ، أثينا تقتحم من اسبرطة ٣٨١ ، صلح كالياس ٣٨٢ ، تحالف طيبه مع ياسون طاغية ليراي ٣٨٣ ، معركة ليونترا ونهاية السطوة الأسبرطية ٣٨٣ ، تحليل لأسباب سقوط الإمبراطورية الأسبرطية ٣٨٤ ، نهاية اسبرطة وتواربها من الأحداث ٣٩٢ .

صفحة

٣٩٤ . **الفصل الرابع عشر : الامبراطورية الاثينية الثانية**
الاحداث التي مرت بها آثينا منذ هزيمتها ٣٩٦ ، آثينا تساعد
نوار طيبة ٤٠٢ قيام التحالف الكونفدرالي وقواعده ٤٠٣ :
تقيم الاتحاد ٤٠٧ : الظروف التي مر بها الاتحاد منذ قيامه
حتى سقوطه ٤١١ : مرحلة التأسيس ٤١١ ، مرحلة تدهور
العلاقات بين آثينا وجلفانها ٤١٣ ، مرحلة تفجير الصراع
وانهيار التحالف ٤١٥ .

٤٢٠ . **الفصل الخامس عشر : محاولة طيبة لبناء امبراطورية**
تفكك الدولة الاسبرطية ٤٢٤ ، استقلال اركاديا ٤٢٤ ،
استقلال مسينيا ٤٢٩ ، ابا مينونداس يغزو البليوبونيسوس
٤٣٠ آثينا واسبرطة تطالبان طيبة باحترام سلام الملك ٤٣١
تحالف الاغريق ضد طيبة ٤٣٣ ، طيبة تتدخل في مشاكل
مقدونيا ٤٣٥ ، معركة مانتينيا وسقوط الامبراطورية في طيبة
٤٣٨ . تقييم تاريخي لشخصية ابا مينونداس ٤٤٢ .

٤٤٧ . **الفصل السادس عشر : مقدونيا تغزو سيادتها على بلاد اليونان**
مقدونيا الجغرافيا والسكان ٤٤٦ ، الاسطورة القومية ٤٥٢ ،
ملوك مقدونيا ٥٣ الاسكندر الاول ٤٥٣ ، الملك برديكاس
٤٥٧ ، الملك ارخيلايوس ٥٨ الملك امونثاس الثاني ٤٦٠ :
الصراع حول العرش المقدوني وتدخل آثينا واسبرطة ٤٦٢ ،
فيليب الثاني يحقق لمقدونيا الوحدة والسيادة والتفوق
العسكري ٤٦٦ ، فيليب ومناجم الذهب ٤٦٨ زواج فيليب
وانجاب الاسكندر الثاني ٤٦٩ ، انصراف بين فيليب والاغريق
٤٧١ ، فوكيس تتسبب في حرب مقدسة بين الاغريق ٤٧٣ :
فيليب يستولى على اولينثوس ٤٧٨ ، ديموستينيس الخطيب
الاثيني ٤٧٩ فيليب يزور دلفي ٤٨١ ، ايسوقراط يدمر
لوحة الاغريق ٤٨١ ، سياسة فيليب تجاه الاغريق بعد
سقوط اولينثوس ٤٨٣ ، سلام فيلوكراتيس ٤٨٣ ، عودة
الخلاف بين فيليب والاغريق ٤٨٧ ، ديموستينيس يزكي ناز
العداء ضد فيليب ٤٨٩ : فتوحات فيليب في ثساليا و تراكيا
٤٩٢ : الخرسونيسوس بين آثينا ومقدونيا ٤٩٢ ، العالم ا
الاغريقي يتحالف ضد مقدونيا ٤٩٤ ، فيليب يسحق الاغريق
في خابرونيا ٤٩٥ ، مؤتمر كورنثا وتعيين فيليب قائدا عاما
لتحالف الاغريق والمقدونيين ٥٠٠ ، اغتيال فيليب ٥٠٢ ،
تقييم لتاريخ فيليب ٥٠٣ ، الاسكندر الاكبر يتولى مكان ابيه
٥٠٥ : ارسطو معلم الاسكندر ٥٠٦ الاسكندر يسحق تمرد
الاغريق ٥٠٧ ، تمرد طيبة وتدميرها ٥١٢ ، عودة المدن
الاغريقية الى حوزة مقدونيا ٥١٣ ، حملة الاسكندر نحو
الشرق ٥١٤ ، معركة نهر جرانيكوس ٥١٥ ، موقعة اموس
ودخول الاسكندر الى الشرق الاوسط ٥١٧ : الاسكندر
الاكبر في مصر ٥١٨ ، تأسيس مدينة الاسكندرية ٥٢٣ ،

صفحة

زيارة الاسكندر لمعبد آمون في سيوة ٥٢٦ ، الاسكندر ينظم
مصر قبل أن يغادرها ٥٢٧ ، تعليق تاريخي لنتائج فتح
الاسكندر لمصر وبناء الاسكندرية ٥٢١ ، معركة جاجاميل
٥٢٦ ، فتح بابل ٥٣٧ ، فتح سوسا وبرسيس ٥٣٧ ، موت
الملك دارا الثالث ٥٣٩ ، الاسكندر بطل آسيا ٥٤٠ ، غزو
الشرق الأقصى ٥٤١ ، الاسكندر في الهند ٥٤٦ ، أفكار
الاسكندر لتوحيد الشرق والغرب ٥٤٩ ، صلاة الاسكندر من
أجل الوفاق العالمي ٥٥١ الاسكندر في بابل ٥٥٢ ، الاسكندر
وبلاد العرب ٥٥٣ ، الحمى تدهم الاسكندر وتفضي عليه ٥٥٥ ،
تحليل لشخصية وأعمال الاسكندر الأكبر ٥٥٥ ، بلاد اليونان
تحت السيطرة المقدونية ٥٦٧ ، احتدام الأزمة بين ايسوقراط
وديموستينس ٥٦٨ ، اثينا في ظلال الحكم المقدوني ٥٦٩ ،
هاربالوس وتروته بسببان أزمة بين اثينا ومقدونيا ٥٧٠ ،
اعلان موت الاسكندر ورد الفعل على الافريق ٥٧١ .

الفصل السابع عشر : الحصار الاغريقية ابان القرن الرابع قبل

٥٧٤

البلاد
نظرة عامة ٥٧٤ ، العمارة والفنون ٥٨٣ ، التاريخ ٥٨٥ ،
البلاغة والخطابة والنثر ٥٨٩ ، العلوم والفلسفة ٥٩٠ ،
افلاطون ٥٩١ ، ارسطوطاليس ٥٩٣ ، الديانة الاغريقية ٥٩٦

ثانيا - قائمة الخرائط :

- ١ - خريطة لبلاد اليونان وحوض بحر ايجه ص ٥
- ٢ - خريطة لمدن اليونان وحوض بحر ايجه ٢٤
- ٣ - خريطة لحوض بحر ايجه ٧٩
- ٤ - خريطة لاهم مدن وجزر بلاد اليونان وبحر ايجه ١١٠
- ٥ - خريطة للطريق الذي اتبعه الاسكندر لغزو
الشرقيين الاوسط والاقصى ٥٥٤

ثالثا - الصور :

- ١ - تمستوكليس بطل سلاميس ٢٤٦
- ٢ - ايسخولوس ٦٤٨
- ٣ - بيريكليس ٢٦٦
- ٤ - منظر عام للاكروبول ومعاينه ٢٧٧
- ٥ - منظر لاحدى اعمدة الارخثيون ٢٧٩
- ٦ - تمثال راسي القرص لليون ٢٨١

صفحة	
٢٨٣	٧ - نموذج لاحدى الاوانى المصورة
٢٨٧	٨ - سونوكليس
٢٩٨	٩ - وجه سقراط
٢٩٨	١٠ - تمثال لسقراط
٤٨٥	١١ - تمثال أبسخينيس الخطيب
٤٩٠	١٢ - تمثال ديموستينيس الخطيب والسياسى الاثينى
٥٠٨	١٣ - تمثال لالاسكندر الأكبر

تم بحمد الله وتوفيقه فى يوم الاحد الموافق الثانى والعشرين
من جبادى الآخرة عام ١٣٩٦ هجرية الموافق العشرين من
يونيو عام ١٩٧٦ ميلاديه والموافق الثالث عشر من شهر
بؤونه عام ١٦٩٢ من السنة القبطية .

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٨٧ سنة ١٩٧٦

